الهيئة العامة لقصور الثقافة



تاريخ مصر

من خلال مخطوطة

تاريخ البطاركة

لساويرس بن المقفع

8

إعداد و تحقيق:
عبد العزيز جمال الدين

لم يكن ابن المقفع آخر المؤرخين المصريين، لكنه ومخطوطته كانا الأشهر فى هذا السياق، وقد تعاقب من بعده من الآباء والرهبان المصريين من عكفوا على استكمال هذا التأريخ حتى بداية القرن العشرين. وبجهد الباحث المجد عكف المحقق المصرى عبد العزيز جمال الدين على جمع هذه المخطوطات وتحقيقها والتعليق عليها، موضحاً ما كتب فيها وما كتب فى التاريخ الرسمى الشهير، ليضع أمامنا عملاً قل أن نجده فى الثقافات الحديثة، لنقف أمام وجهتى نظر للتاريخ متأملين كيفية عمل الفعل البشرى فى تسجيل الأحداث حسب الانتماء الثقافى، وليفتح الباب على مصراعيه أمام العاملين فى مجال البحث التاريخى ليعيدوا التأمل فى آلية ومسار واحدة من أهم عمليات التدوين الذى حكم مخيلة البشر فى رؤيتهم لماضيهم التليد.

وزارة الثقافة



السعر: سبعة جنيهات

تصميم الغلاف: أحمد اللباد

تاريخ مصر

من خلال مخطوطة

تاريخ البطاركة

لساويرس بن المقفع

الجزء الثامن

وزارة الثقافة



مطبوعات
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• تاريخ مصر
من خلال مخطوطة
تاريخ البطاركة (الجزء الثامن)
• إعداد وتحقيق:
عبدالعزيز جمال الدين
• طبعة:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2012م
17x 24 سم
• تصميم الغلاف: أحمد اللباد
• رقم الإيداع: ٢٦٤٣/ ٢٠١٢
• الترقيم الدولى: 978-977-704-939-9
• المراسـلات:
باسم / المشرف العام
على العنوان التالى: 16 أ شارع
أمين سامي - القصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947897
التجهيزات والطباعة:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

تاريخ مصر

من بدايات القرن الأول الميلادى
حتى نهاية القرن العشرين

من خلال مخطوطة

تاريخ البطاركة

لساويرس بن المقفع

إعداد وتحقيق

عبد العزيز جمال الدين

الجزء الثامن

من ١٢١٦ م حتى الأب كيرلس البطرك ٧٥ (١٢٣٥ - ١٢٤٣م)

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد(*)

نبتدى بمعونة الرب وحسن توفيقه بنقل تاريخ الكنيسة المقدسة وذلك لاستقبال سنة اثنين وثلثين وتسع ماية للشهدآ الابرار الموافق لسنة اثنى عشر وستماية للهجرة العربية.

لما تنيح الاب القديس الطاهر الكامل الروحانى الناسك الناطق بالخفايا المتنزه عن الدنايا أنبا يوحنا [يوأنس] بطريرك (*) المدينة العظمى الاسكندرية

(*) هذا الجزء منقول من المخطوط العربى رقم ٣٠٢ المحفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس. وهو خاص بالفترة التى تأرجح فيها أختيار البطرك رقم ٧٥ كيرلس الثالث [ابن لقلق]، وهى فترة تمتد لحوالى ٢٠ سنة [١٢١٦/ ١٢٣٥م].

(*) البطرك ٧٤ فى الفترة ما بين عامى ١١٨٩، ١٢١٦م

طومان باى آخرة سلاطين المماليك(*)

أتيحت الفرصة أمام طبقة المماليك فى مصر ، فى آخر أيام الأيوبين ليحكموا البلاد بدلاً من سادتهم ؛ وذلك حينما هدد الصليبيون مصر نفسها ، ولاسيما حينما جائتها حملة لويس التاسع (saint Louls)(Louis IX) الصليبية. فبعد الإنتصار المظفر عليها، وأسر ملكها ؛ قبضوا على زمام السلطة تماماً؛ وأصبحت مناصب الدولة والجيش والقصر فى أيديهم . وما لبثوا أن قتلوا توران شاه أخر سلاطين الأيوبين فى مصر ، وهو ابن الملك الصالح أيوب ، الذى كان قد أستكثر منهم حتى صاروا معظم عساكره واعتبره المؤرخ أبو المحاسن أنه هو الذى أنشا طبقة المماليك فى مصر [١]. فأعلنوا سلطنة واحد منهم هو عز الدين أيبك الصالحى ، أى أنه كان ينتسب إلى سلطانه الملك الصالح هذا . ثم عملوا على محاربه ملوك الأيوبين فى الشام ، وأنتصروا عليهم أيضا ،خصوصاً وأن المماليك كانوا فى جيوشهم كذلك ؛فانضموا إليهم بحكم الانتماء العرقى والطبقى.

وفى رأينا ، أنه كما كان قيام دولة الأيوبين نتيجة من نتائج الحملات الصليبية الأولى ، فإن قيام دولة المماليك كان من نتائج استمرار هذه الحروب .

(*) طومان باى: د. عبدالمنعم ماجد. مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٨ القاهرة.

(١) مفرج الكروب ، مخطوط .B.N برقم 1702 بالكتب الاهليه، ورقه ٦٦ .

(*) أهم أحـداث سنة ٩٣٣ ق. = ١٢١٧م= ٦١٤هـ.
(*) فيها اجتمعت الافرنج عن طريق البحر ووصلوا إلى عكا، فخرج الملك العادل من مصر بعساكرها ونزل على نابلس فسارت إليه الفرنج، ولم يكن معه من العساكر ما يقدر به على مقاتلتهم، فانسحب أمامهم إلى عقبة أفيق، فثارت الفرنج على البلاد الإسلامية حتى وصلوا إلى ما بين بيسان ونابلس وعادوا إلى مرج عكا، وأقام العادل بمرج الصفر.

والقاهرة ومصر وأعمالها والحبشة والنوبة وخمس المدن وأفريقيه فى نهار الخميس الحادى عشر من طوبة سنة اثنين وثلثين وتسع ماية للشهداء الابرار الموافق للخامس عشر من شهر رمضان سنة اثنى عشر وستماية الهلالية [٧ يناير ١٢١٦م] وهو يوم الغطاس المقدس توجعت المسكونة لفقده وارتجت الامور من بعده وكان قبل موته قد أوصى ابنى اخته ابى سعيد وابى المكارم أن لا يتركاه فى الكنيسة ولا يدفناه بها حتى ينقل الى الديارات

طومان باى سلطان على مصر(*)

ليس لدينا معلومات كثيرة عن أصوله؛ إذ هو مثل بقيه المماليك الواردين إلى مصر، لانعرف شيئاً يذكر عنهم؛ إلا إذا وصلوا إلى مركز مرموق. وعلى العكس ؛ فلدينا عنه معلومات أكثر؛ منذ توليه مناصب هامة فى القصر والدولة إلى أن وصل إلى السلطة؛ بحيث أن كبار مؤرخى عصره؛ ينقلون عن سير ته جزئيات وتفاصيل وافية يوماً بيوم.

*

فلا نعرف المكان الذى نشأ فيه؛ وإن كنا نعرف أن أصله من بلاد الجركس. ثم هو ، وإن كان من المماليك المشتروات أو الجلبان ؛ إلا أننا لانعرف إن كان قد أشترى فى أسواق مصر ، أو فى خارج مصر ، أو فى أى سوق آخر. حقاً إن الأمير قانصوة ــ وهو الذى تولى السلطنة قبله ــ كان قد اشتراه لقرابته له؛ إلا أنه من الموكد أنه لم يكن ابناً له على الرغم من أنه كان يطلق عليه طومان باى أبن قانصوة ؛ إذ يقول نص تاريخى آخر : إنه ابن أخيه [(١)].

ومع ذلك ؛ فمن الممكن معرفة تاريخ ميلاده ؛ إذا تتبعنا تواريخ متعددة فى حياته . فمثلا نحن على علم بتاريخ شنقه ؛ وهو فى سن أربع وأربعين ، فى يوم الأحد٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٥/٩٢٢ سبتمبر ١٥١٧ [(٢)] ؛ فيكون إذن ميلاده فى حوالى ١٤٧٣/٨٧٨ .

---

(١) ابن إياس: بدايع الزهور فى وقايع الدهور، ٣ص ٣س٣ .
(٢) نفسه ، ٣ص ١١٥ - ١١٦ .

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

المقـدسـة على جـارى عـادة البطاركـة بل يجنزاه ويحملاه الى الحبش(*) ويدفناه فيه فى التربة التى لأهل بيتـه هناك فـفـعـلا ذلك وبيتـاه فى الكنيسـة المعلقـة تلك الليلة وجنزاه أحسن تجنيـز وحـضـر اسـقف الملكيـة(*) ولـم يكن احـد من الاسـاقـفـة حـاضـراً وطلعـوا به ثاني يوم وهو يوم الجـمـعـة الى الحبش وحوله من الخلق امم لا تحصى وكـان يومـاً مشهودا وحفروا له وسط التربة المختصة بأهله وهى بقـرب من قبـر انبا زخاريس البطرك (*) رزقـنـا الله

(*) دير الحبش جنوب القاهرة.

(*) اسـقـف الروم الارثـوذكـس (اليونانية).

(*) كـان بطركـا بين سنتى ١٠٠٤/ ١٠٣٢م.

كذلك ، نعرف أن الأمير قانصوة المذكور ؛ كان هو الذى قدمه ، وهو صغير السن ، إلى سلطان وقته الأشرف قايتباى؛ فصار من جملة مماليكه، فأمر هذا الأخير بأن يتربى فى الطبق ـ وهى المدرسة الحربية ـ مع بقيه المماليك الصغار الواردين إلى مصر ؛ حيث عرف مثلهم باسم: المماليك الكتابيه(١) ؛ لأنهم بالإضافة إلى تعلم وسائل الحرب والفروسية ، كانوا يتعلمون الدين والأخلاق، والكتابة والحساب والسباحة.

وبعد أن تعلم وتثقف وتهذب فى الطبق ، أعتق مع أترابه من المماليك ؛ وإن كان الذى أعتقه ليس الأشرف قايتبارى، وإنما ابنه الناصر محمد بن قايتباى ، الذى تولى بعد أبيه لفترة قصيرة ، قبل أن يتولاها السلطان الظاهر قانصوة الغورى فى ١٤٩٨/٩٠٤ ، الذى كان قريبه أو اشتراه . ولدينا وصف لطومان باى وقتذاك (٢) : فهو متوسط الطول، واسع الجبين ، أسود العينين والحاجبين واللحية.

*

المرحلة التالية فى حياته، هى توليه الوظائف الكبيرة ؛ حيث تولى العديد منها لمدة عشرين سنة ؛ قبل أن يتولى السلطنة ؛ وهى وظائف تتعلق أغلبها بوظائف كبيرة فى القصر أو

(١) نفسه ، ٣س ٦٨س ٢، .

(٢) ابن زنبل الرمال، آخر المماليك. تحقيق: عبدالمنعم عامر. القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١١٢ .

صلاتهما، ودفنوه هناك وعملوا قبره مصطبة. وتحدث الناس يومهم ذاك فيمن يقيموه بطريركا فقوم وقع تخيرهم على القس بول البوشي(*) وقوم وقع تخيرهم على القس داود بن يوحنا الفيومي(*) وقوم تخيروا الشيخ ابا الكرم ارشيدياقن المعلقة بمصر. والصاحب الأعز الوزير تعصّب لكاتبه سني الدولة ابى الفضايل. وتشعبت آراء الناس ولم يكن فيهم من هو ماسك غرضه إلا أصحاب القس داود بن يوحنا. وكان للسلطان

(*) نسبة الى مدينة بوش وهى من مدن الصعيد الأدنى وبها كنيسة ودير مشهوران.

(*) داود بن يوحنا الفيومي: هو ابن لقلق الذى تولى البطركية تحت اسم كيرلس الثالث وهو رقم ٧٥ من العدد تولى البطركية بين سنتي ١٢٣٥، ١٢٤٣م.

المملكة، إذ أن معظمها له صفة الأمارة . ومع أن طومان باى قد وصل إلى هذه الوظائف على أساس أنه من محاسيب ثلاثة سلاطين ؛ فإن توليه لها راجع أيضاً إلى كفاءته، إذ أن ذلك يدخل في الإعتبار أيضاً، في ترقي المملوك للمناصب الكبرى. وبحق؛ فان طومان باى ، أظهر في كل منها تفانياً، ومقدرة فائقة ، وبالتالى اكتسب خبرة لم تتهيأ لأى سلطان سابق عليه ؛ مما جعله على علم بكل تفاصيل وظائف القصر ، وجهاز الدولة.

فكانت أولى الوظائف التي تولاها بعد تخرجه من الطبق ، وظيفة «أمير جمدار» [١]، وهى لفظة فارسية، بمعنى من يتصدى لإلباس السلطان فى القصر؛ حيث شعارها لمن يتولاها «بقجة» مربعة [٢] ، وهى حافظة للملابس ؛ إذ جرى العرف أن يكون لكل وظيفة مملوكية شعار خاص «رنك» ؛ يدل عليها برسم أو غيره ، وضع على كل ما يتعلق بالقائم بها؛ فكان توليه هذه الوظيفة ؛ دليل على الثقة فيه؛ فقد أصبح يعمل فى حاشية السلطان «خاصكية»[٣]. محمد بن قايتباى، وأعتبر واحداً من حواشيه «خاصكى».

فلما تولى السلطنة قانصوة الغورى أبقاه فى حاشيته ؛ إلا أنه رقاه إلى رتبة « أمير عشرة» الحربية فى سنة ٩٠٦/ ١٥٠١ ؛ بمعنى أنه أصبح تحت أمرته عشرة مماليك على الأقل ؛ فضلاً

(١) ابن إياس ، ٣ص ٦٨ ص ٢٢ . من الفارسية جاما أى ثوب ، ودار تعنى ممسك .

(٢) لذلك كان يطلق عليه ماسك البقجة. حسن المحاضرة السيوطى. القاهرة، ٢ص ٨٥.

(٣) ابن إياس ، ٢ص ٦٨س- ٢٢ عنها، انظر . suppl,I,p346:Dozy

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

الملك الكامل(*) اعز الله نصره طبيب خاص به يعرف بالحكيم ابى شاكر بن ابى سليمن وكان مع السلطان على فاقوس، ومع السلطان الملك العادل خلد الله ملكه كاتب له يعرف بنش[نشء] الخلافة أبى الفتوح. وكان الملك العادل(*) يوميذ على بيت المقدس واصلا من دمشق الى مصر وكان هذان [الطبيب والكاتب] فى زمانهما اقرب النصارى الى سلاطينهما فاجتمعت جمعيه الى القس داود بن يوحنا فى يوم دفن البطريرك وهو

(*) الكامل: حكم بين عامى ١٢١٨، ١٢٣٨م.

(*) العادل: حكم بين عامى ١٢٠٠، ١٢٣٩م.

عن أعداد من الأجناد لاتقل عن ألف ؛ وإن لم لم ينتقل مع ذلك للعمل فى الجيش ؛ وإنما بقى بهذه الرتبة الجديدة ومفهومها فى القصر، فى حاشية قانصوة.

ثم رقاه قانصوة مرة أخرى إلى رتبة أكبر فى ١٥٠٤/٩١٠ ؛ هى : «أمير طبلخاناه» (١) ؛ معنى أنه أصبح له حق دق الطبول وغيرها من الآلات تشريفاً له ، فى موكبه أو فى مكان إقامته ، وهو تشريف كان سائداً فى الشرق منذ أيام البويهيين فى العراق ؛ وإن أصبحت هذه الرتبة الحربية تعنى أميراً مملوكيا تحت أمرته عدد من المماليك لايقل عن أربعين ، وأعداد كبيرة من الأجناداً أكثر مما يكون لأمير عشرة.

ولقد أتاحت له الترقية الجديدة ، أن يتولى منصباً آخر فى القصر ؛ حينما توفى ابن السلطان قانصوة، الذى كان يشغله ، وهو منصب شاد الشراب خاناه(٢) ؛ أى الأمين على ما فى هذه الخاناه ، وهى الخزانة أو البيت السلطانى؛ إذ كان الغورى على عكس سابقيه من السلاطين ، يمنح أبناءه الوظائف والرتب ، مثل غيرهم من الأمراء المماليك سواد بسواه ؛ حيث أن هذه الوظيفة كان لايتولاها إلا أمير مملوكى برتبة «طبلخاناه».

(١) هى طبلان وزم ران: صبح الأعشى للقلقشندى، ١٤ جزءاً. القاهرة ١٩١٥. ٤ص ، ٦.

(٢) هذه الخزانة الهامة وجدت فى معظم قصور حكام المسلمين ، فكانت تشبه خزانة الشراب عند الفاطميين. نفسه ، ٣ص ٤٧٢ .وتكتب الشرابخاناه كذلك.

يوم الجمعة وجاءوا اليه عشية واتفق رأيهم على ان يدوروا ليلتهم تلك على الناس ويأخذوا خطوطهم باستصلاحه فمضوا الى دار واحد من الجماعة يعرف بشمس الرياسة بن صفى الملك بن المرصفاوى وراموا منه ذلك فلم يوافقهم عليه واعتذر بأن قال من هو أنا حتى اقم البطرك وفى الدنيا مثل الحكيم ابى شاكر والشيخ ابى الفتوح. وكان فى الجماعة من هو مستنير وخال من الهوى. وكفهم [شمس الرياسة] عن الرواح الى

(*) أهم أحداث سنة ٩٣٤ ق.= ١٢١٨م.= ٦١٥هـ.
(*) فيها نزلت الافرنج على دمياط وحاصروها فى٥ بؤنة=٣٠ مايو= ٢ ربيع الأول واستولوا على برج دمياط بعد محاربات شديدة، تحت إمرة الملك الكامل بن الملك العادل، الذى كان بمرج صفر، ويرحل العساكر إلى دمياط وقد لحقته الوفاة فى جماد الثانى، وقد كتم الملك المعظم عيسى موته حتى أدخله دمشق ودفنه بقلعتها، وعمره: ٧٥ سنة، وملكه مصر ١٩ سنة ولدمشق ٢٣ سنة * وفيها تمرد أحمد بن المشطوب

فكانت أهمية هذه الخزانه فى أنها تحتوى على أدوات الصينى الفاخر ، والشوكات ، والكيزان ، وطاسات نحاسية وغير ذلك ؛كما تصنع فيها وتوضع أنواع الأشربة، والحلوى، والسكر والفواكه ، والعطريات ، وحتى الأدوية والعقاقير ، إذ كانت أشبه بالصيدلية الملكية ؛ فكان يطلق عليها أيضا: الدواء خاناه [(١)] ؛ وفيها على الخصوص الثلج [(٢)] ؛ الذى يجلب إلى مصر من الشام على الجمال أو فى السفن . فكان من يعملون تحت يده : الممتار [(٣)] ـ أى رئيس الخاناه ـ وبخاصة الغلمان الكثيرون الذين يسمون : الشراب دار [(٤)]، وهم الذين يكونون مسئولين عما فى هذه الخزانة ، ويتعلق عملهم بها . كذلك لما توفى أحد كبار الأمراء، من أصحاب الوظائف الكبرى فى القصر، وكان يشغل وظيفة الدوا دار الكبير [(٥)]، هو أصطلاح فارسى معرب يعنى من يحمل دواة السلطان ؛ لم يتردد قانصوة فى أن يسند هذه الوظيفة إليه أيضاً فى عام ١٥٠٧/٩١٣ ؛ فكان عمله فيها متشعباً ؛ ذا طابع سياسى وإدارى ،

(١) الخطط للمقريزى، ٢س ٣٢٥س ٢٥.
(٢) صبح الاعشى، ١٤ص ٣٩٥- ٣٩٣.كان الفاطميون مثل المماليك يستعملون الثلج على موائدهم، ويصرفون رواتب منه لأكابر دولتهم كما يرسلونه مع الحجاج فى مكة ،وفى ساحات القتال.
(٣) مه بالفارسيه معناها الكبير، وتار: هى أفعل التفضيل أى الأكبر .
(٤) دار معناها .ممسك أى من يختصون بالشراب .
(٥) من دولة العربية ، ودار الفارسية ، ويقال للوظيفة: الدواداريه الكبرى. بتفعيل:

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

غيره وانصرفوا تلك الليلة بعد ان اتهموه بأنه فند اراهم وذلك الذى كان نصر هذه الجماعة من اول امرهم الى اخره لانهم كانوا كلما بصرهم الانسان مصلحة ونهاهم عن الافراط فى السعى والطلب وعدلهم نسبوه الى الانقلاب عليهم واتخذوه عدواً وقصدوا اخذ الاشيا بالقوة، فاتصل بجماعة المصريين ما جرى من هذه الجماعة فاختبطوا وقاموا وقعدوا ونفذ القاضى الاعز الوزير الى جماعة من كتابه وتحدث معهم فى حق السنى

على الملك الكامل فأخرجه أخوه الملك المعظم عيسى، صاحب دمشق، الذى حضر لنجدة أخيه الكامل، ثم سار إلى دمشق وأمر بهدم سور أورشليم وشرد أهلها حتى لا يحتلها الافرنج، وفى هذه المحاربة قاسى المسيحيون بمصر اضطهادا شديدا حتى صار هدم كنيستهم الكبيرة المسماة باسم القديس مرقس الذى كانت بالاسكندرية بقرب باب القبارى، وقد جعلت بعد ذلك جامعا.

وشعارها المقلمة ، التى تدل على القائم بها. فكان من عمله أن يقدم للسلطان كل ما يؤخذ عليه علامته ؛ لكى يأخذ صبغة رسمية ؛حيث كانت العلامة فى وقت المماليك عبارة عن جملة دينية: الله أملى. تكتب بخط معين، وبقلم خاص ، اسمه قلم العلامة؛ فقد جرى معظم حكام المسلمين فى العصور الوسطى على وضع العلامة على كتبهم الرسمية . أو يقدم إليه كل ما يتعلق بالإقطاعات، وهى غلة أراضى مصر ، التى كانت تمنح لطبقة المماليك بديلاً عن الرواتب؛ فصار لتوزيعها رسوم معينة ، منها ضرورة كتابتها فى حضرة السلطان. أو يقدم إليه مظالم الشعب، فى شكل شكاوى أو ظلامات، كان معظمها سببه التعدى أو الفساد من موظفى الدولة. أو حتى يحمل إليه البريد، وهو نظام سلطانى ؛ يتعلق بكل كبيرة وصغيرة فى الدولة ، من مراسلات إ دارية، وديبلوماسية ، وأوامر حربية ،وحتى أخبار السرقة والجرائم ، والأمر بإرسال الأمراء المغضوب عليهم إلى السجن . وبسبب مسئولياته المتعددة ،كان يتبعه عدد كبير من الدوار دار ؛ قد يبلغون عشرة أو حتى ثمانين ؛ وإن كان يبدو أن عددهم كان أقل فى آخر عهد دولة الجراكسة.

ويبدو أن طومان باى قد أظهر كفاءة نادرة فى المنصب السابق؛ مما جعل السلطان يجمع إليه وظائف متعددة أخرى هامة دفعة واحدة. فكفل إليه منصب : إستا دار العالية [١]

(١) من استذ الفارسية ، المعروفة فى مصر بالأسطى، ودار معناها ممسك ؛ بمعني المتحدث فى البيوت السلطانية، وتكتب أيضا : إستدار .

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

[أبى المجد ابن سنىّ الدولة] كاتبه المقدم ذكره ولم يوافقهم احد عليه وكان ذلك فى ليلة الاحد رابع [عشر من طوبه] وفى صبيحة الاحد المذكور اجتمعت جماعة القس داود اليه واخذوا كتابا من رجل شيخ كاتب يعرف بالمعتمد بن حشيش الى الشيخ الوجيه بن الجندى كاتب السلطان الملك الكامل نصره الله لانه كان معه على فاقوس، مضمون الكتاب المذكور: ان الحضرة تعلم ما يلزم من حق الشيخ الاجل الرئيس المالك السيد نش

ووظيفته: الإستادارية العالية؛ وهى لفظة فارسية مركبة، تعنى المشرف على جميع البيوت السلطانية أو الخانات، حيث تعددت هذه البيوت لم يعرف قبلاً، وبلغت درجة كبيرة من الغنى؛ حتى أصبح غناها الفاحش منبعاً للخيال فى قصص ألف ليلة وليلة ، إذ أن غناها كان يتمثل فيما جمعه السلاطين من أشياء جلبت من جميع بقاع الأرض ، وفيما صنعوه فى مصر؛ فكان يشرف على هذه البيوت عدد كبير من الموظفين الكبار من أمراء المماليك والمدنيين ، فضلاً عن أنه كان لكل منها إدارة خاصة .

فبالإضافة إلى الشراب خاناه السابقة الذكر؛ أصبح إشرافه على بيوت أخرى (١)، مثل: الطست خاناه التى فيها ثياب السلطان، والفراش خاناه التى فيها المفروشات مثل الخيام وشلائت النوم والسجاد وما فى نوعه ، والسلاح خاناه التى فيها انواع السلاح، وما يتصل بها من مصانع لصنع كل صنف من السلاح، والركاب خاناه التى فيها كل ما يتعلق بالخيل من معدات الركوب . والطبلخاناه ، التى توجد فيها الآلات الموسيقية وغيرها ، والشكار خاناه وهى بيوت الطير وكل ما يتعلق بها، وبخاصة تلك التى تستخدم فى الصيد، والحوائج خاناه، وهى تعنى بيت الحوائج واللوازم الضرورية التى تصرف لمطبخ السلطان ، والمستحقات العينية لأرباب الدولة وغيرهم ، وغير ذلك.

(١) بتفصيل، انظر . ماجد ، نظم المماليك ، ٢ ص ١٥ وما بعدها ، مصادر أصلية متعددة.

الخلافة وما يرومه الاب القس داود وقد امكنت
الفرصة والحضرة تعلم مكانه الشيخ المذكور من
السلطان عز الله نصره والحضرة قريبة العهد به وما
يومن ما يجرى على من يتحدث لغيره. وكتابا اخر
من الفارس اخى الحكيم ابى شاكر اليه يقول فيه
ان القاضى الاعز قد تعصب لكاتبه السنى ابى
الفضايل وربما تم له الامر ليحمله بذلك وان ولدك
ابا العلا مريض ليقلقه على المجيء وتتحدث معه
الجماعة فى معنى القس داود وبينوا حاله واجتمعوا

ثم جمع له وظيفة أخرى هامة، هى و ظيفة: كاشف الكشاف [1]؛ المتعلقة بالتعمير الزراعى فى القطر المصرى كله؛ كشق الترع وإقامة الجسور؛ إذ كلمة الكشف وقتذاك تعنى الاهتمام بالأرض وأنتاجها . ويبدو أن ثقة السلطان قانصوة أصبحت مطلقه فى كفاءته ؛ حتى أنه طلب منه الإشراف على إقامة جسر فى الفيوم [2]، وكان السلطان ينوى أن يشرف بنفسه على إقامته لأهمية . فكان تحت يده خمسة من كبار الكشاف ؛ ثلاثة بالوجه القبلى ، واثنان بالوجه البحرى، غير أعداد لاتحصى من الموظفين ، الذين يتعلق عملهم بالأرض، مثل : القياسين أو المساحين ، الذين يقيسون المساحة، والشهود العدول وهم شهود الدولة الرسميون الذين يشهدون بصحة القياسات ، وقضاة العدل ربما ليكونوا حكما فى ذلك ، والكتاب الذين يحررون المساحات المزروعة ، والشداد الذى يشرفون على جباية الخراج، والجنود لأن الجباية تحتاج إلى من عرف بقوة البطش ، ثم الكيالين والشيالين والنواتية؛ وهؤلاء يحملون الإنتاج الزراعى فى السفن إلى القاهرة.

وأخيرا قبل سفر قانصوة لمحاربة العثمانيين فى الشام؛ أضاف إليه السلطان منصب نائب الغيبة الهام على أساس أن يقوم مقامه فى غيبته عن البلاد ؛ وهو يتكافأ مع منصب نائب

---

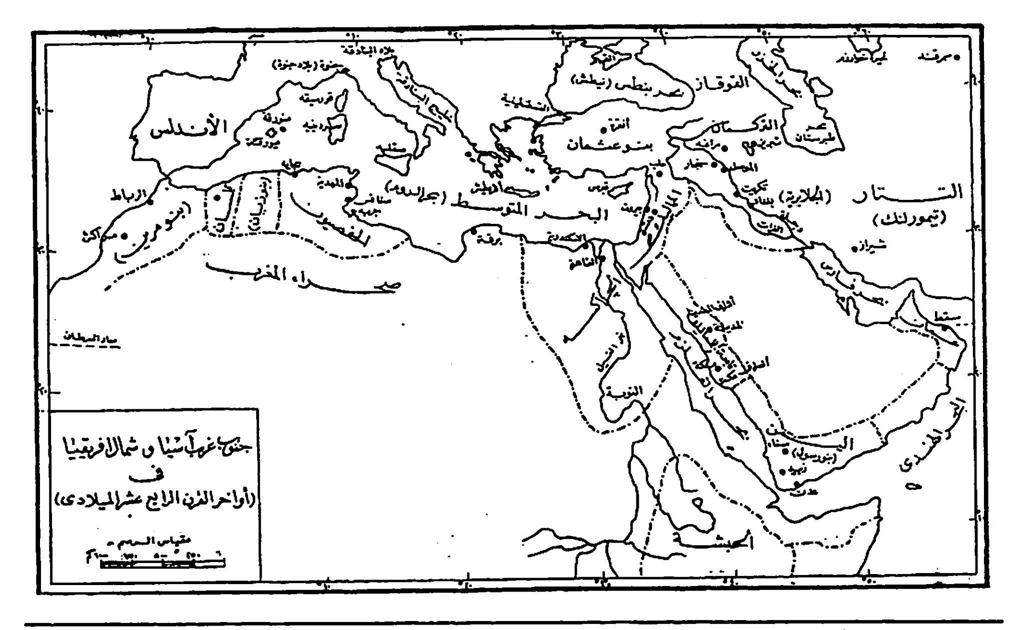
(١) ابن إياس ، ٣ص ٦٩ ،صبح، ٤ ص ٢٥ ،٦٥، زبدة، ص ١٢٩ -١٣٠ ؛ ماجد. نظم المماليك ، ١س ٧١-١٢؛

(٢) ابن اياس، ٣ ص ٩ س ٤ وما بعدها.

تلك الليلة عنده، اعنى القس، واكلوا وشربوا. وسار بها الصايغ صاحب القس داود المذكور فى نهار يوم الاثنين الكتب المذكورة طالباً للخيم المقصودة وسيروا المصريين جماعة منهم يتحدثوا فى حق الشيخ ابى الكرم المعروف بابن زينور المقدم ذكره. وكان الحكيم ابى شاكر عند السلطان عندما بلغه خبر وفاة البطرك فقال له: يا حكيم كيف تعملون فى البطرك الذى تقيمونه(*)؟ قال: يا مولانا نختار ثلثة رجال اخياراً اتقيا علماء يقع

(*) أزمة حول طريقة أختيار البطرك الجديد بحسب طريقة الكنيسة القبطية.

السلطنة والكفيل ، الذى عرف بالسلطان الصغير أو المختصر أو الثانى ؛ فى أيام دولة المماليك البحرية. فتوليه لهذا المنصب جعله على رأس رجال القصر والدولة معاً، بحيث أصبح له حق تعيين الأمراء فى المناصب الكبرى، ومنح الإقطاعات؛ والنظر فى المظالم وغير ذلك ، وبمعنى آخر كأنه السلطان نفسه.



من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

الاتفاق عليهم ويكتب اسماءهم فى ثلاث رقاع كل رقعة اسم واحد ونكتب فى رقعة اخرى اسم السيد المسيح ويترك الجميع على الهيكل ونصلى ثلثة ايام بطلبات كثيرة وابتهال متواتر وفى اخر الثلثة ايام نحضر طفلا دون البلوغ ونتركه يرفع واحدة من الرقاع بحضرة الشعب كله فيقراها فان وجدنا فيها اسما من الاسماء المختارة الثلثة قدمناه بطركاً علينا وان طلعت الرقعة التى فيها اسم السيد المسيح علمنا انه لم يرض احداً من اوليك

وفى خلال توليه لهذا المنصب الأخير أثبت أنه على مستوى المسئولية بحق ، بحيث حافظ على الجبهة الداخلية سليمة؛ حتى يتيح للسلطان وجيشه من المماليك ؛ أن يتفرغوا للمهمة التى ذهبوا من أجلها . فلم نسمع أن العساكر المتخلفين فى مصر قد أثاروا شغباً؛ مثلما كان يحدث غالباً فى غيبة السلطان ؛ وانما ضبط أحوال البلاد ضبطاً جيداً [1] ؛ فلم يقع فى القاهرة إلا كل خير. بل كان يعمل على تقوية الروح المعنوية ؛ فكان يسير فى الشوارع فى مواكب رسمية بالطبل والموسيقى ؛مما كان يثير الحماس والتفاؤل خصوصاً وأنه كان محبباً للرعية [2].

يتبين إذن أن طومان باى أصبح بالفعل مشرفاً على معظم وظائف الدولة المملوكية الكبيرة؛ بحيث لم يتبق له منها غير منصب السلطنة ، الذى ما لبث أن أتيحت له فرصة توليه أيضاً؛ نتيجة لقتل قانصوة الغورى فى حربه مع العثمانين . حقاً إن مصر أصبحت خاليه من السلطان؛ منذ سفر الغورى؛ إلا أنها لم تكن خالية من السلطة؛ لوجود طومان باى نايباً عنه. نقد عرض الأمراء المماليك الموجودون فى مصر ، ومن الذين قدموا من الشام بعد الهزيمة السلطة عليه، على أساس أن محمد ابن الغورى كان صغير السن؛ ولأن الغورى نفسه كان قد أوصى جميع أمرائه أنه إذا أصابه شئ أن يسلطنوا عليهم طومان باى ؛ فقالوا لطومان باى : «وما عندنا سلطان إلا أنت».

---

(١) ابن اياس ، ٣ص ٣٦س ٧وما بعدها ، ص ٦٩.

(٢) نفسه، ٣ص ٣١س ٨-٩.

فنبطلهم ونرجع نختار ثلثة أخر ولا نزال كذلك حتى يطلع اسم من الاسماء فنقدمه. فأعجب السلطان ذلك وقال: افعلوا عادتكم. فلما وصل بها المذكور [الشيخ] بالكتب التى على يديه اوصل [الشيخ] الكتاب المختص بالوجيه بن الجندى اليه فقراه واخذه معه ودخل على الحكيم ابى شاكر فى خيمته واوقفه على الكتاب المذكور فاغتاظ غاية الغيظ وقال: كان البطاركة يقدمون بمثل هذا ويقال انت تعلم ما يلزم من حق فلان وما تريد

ولقد تمنع طومان باى عن قبول السلطنة مدة خمسين يوماً؛ إلا أنه قبلها بعد ذلك ، تحت ضغط رجال الدين فى مصر وبخاصة ضغط عالم وشيخ كبير منهم، اسمه ابو السعود الجراحى، كان من مشايخ الصوفية، الذين كانت لهم مكانة خاصة لدى سلاطين المماليك ، بحيث أن زمنهم هو زمن كبار المتصوفة فى مصر؛مثل أحمد البدرى والشاطبى والشاذلى وأبى العباس وغيرهم . فكان رجال الدين المصريون يأتون بالأمراء المماليك ، ويجبرونهم على وضع أيديهم على مصحف شريف، يحلفون عليه أنهم إذا سلطنوه لن يتآمروا ولايغدروا، ولايثير شغباً، وأنهم ينهون عن مظالم المسلمين قاطبة.

وعلى ذلك ؛ رجال الدين فى مصر كانوا هم السبب فى إختيار طومان باى للسلطنة؛ وأنهم تعبوا من استئثار إختيار السلطان من قبل المماليك وحدهم ؛ دون أن يكون لهم رأى فى إختيار سلطانهم؛ ولذلك سعت طبقة المشايخ أن يكون لهم رأى فى إختيار السلطان ؛ بعد أن كان المماليك يعينون وحدهم السلطان ؛ خصوصاً وأنهم فعلوا ذلك أيضاً مع قانصوة الغورى، الذى اختاروه لتولية السلطنة؛ وكان هو الآخر قد تمنع عن قبولها .

وأخيراً ؛ فإن طومان باى، كل مثل قانصوة الغورى [1] ، يملك ناصية اللغة العربية، وشديد الولع بالآداب والعلوم ، وله فيها خوض ونظر، ويقرض الشعر [2] ، ومغرم بقراءة

---

(١) ابن إياس ، ٢ص ٥٩.

(٢) ابن زنبل الرمال: آخر المماليك. تحقيق عبدالمنعم عامر، القاهرة ١٩٦٢ .

نقـدم فـلان لاجله مـا سـمع قط بهـذا. ثم اخـذ
الكتـاب المذكـور وكـان قـد وافى اليـه الجـمـاعـة
المصريون فنقلوا الكتاب على نسخ عدة، ثم وقف
على كتاب اخيـه المضمن مـرض ابنه فقلق واخذ
دستوراً [إذن] من السلطان اعز الله نصـره وحضـر
الى القـاهرة وبلغ اشـيـاء قـبـيـحـة عن القس داود
وتحدث بهـا وبقى مـصـراً على امـر الرقـاع ووافقـه
عليها اكثر الناس. فاما القس داود وجماعته فما
كـانوا يرون ذلك بل كـانوا يريدون الاخـذ بالقـوة

التواريخ والسير . فكان هذا شيئاً نادراً بالنسبة لطبقة المماليك عموماً، الذين كانوا يتكلمون التركية ، ولو لم يكونوا تركاً ، إلا أنه يبدو أنهم أيامهم تمصروا بحق ، واعتبروا أنفسهم من أهل المنطقة ؛ حتى أن معظم معاصرى طومان باى من الأمراء والمماليك كانوا يتكلمون العربية، والعامية المصرية.

*

وقـد أقـيـمت مـبـايعـة طومـان باى بالسلطة ، فى يوم الجـمـعـة ١٤ من رمـضـان سنة ٩٢٢/١١أكتوبر ١٥١٦ ؛ بنفس الرسوم التى بويع بها السلاطين قبله؛ ولكن بشكل مختصر؛ بسبب ظروف الحرب ضد العثمانين.

وكان لابد من تواجد خليفة المسلمين للمبايعة، حتى تكتب بيعته الشرعية ؛ إذ أنه لاشرعية بدون تقليد منه ؛ إلا أن الخليفة المتوكل على الله ، كان قد أسر فى حرب قانصوة ضد العثمانين ؛ لذلك أحضر أبوه يعقوب وأخوه وأولاد عمه عوضاً عنه ؛ حيث أظهر يعقوب محضراً كان ابنه وكله فيه قبل سفره فى جميع أموره، وما يتعلق به من أمور الخلافة وغيرها ، وأنها وكالة مفوضة؛ فأثبت ذلك على يد قـاض ، وكتـب يعقوب كتاب التولية لطومان باى.

بعد ذلك ،خرج السلطان، وحوله الأمراء ورجال الدولة ،وقدامهم أبو الخليفة فى موكب بشعار السلطنه، من بنود وأبواق وطبول . ومع ذلك؛ فلم يكن على رأسه كثير من أشعرتها،

والسلطنة ولا يبـــالون بمن رضى أو غـــضب.
واجتمعت أنا يوحنا بن وهب بن يوحنا بن يحى ابن بولس(*) بالحكيم فى دخلته هذه الى القاهرة وقررت معه ان يكون اسم القس المذكور [داود] من جملة الثلاثة اسماء لانه كان صديقى وكنت اعرف منه علماً بارعاً وكهنوتاً حسناً وترجمة الالسن وانما كنت اكره منه تهافته وتظاهره بالطلب وقلة تحاشيه من الحديث فى هذا الامر لنفسه وكنت انصحه فى ذلك فلا يقبل النصح

(*) مؤلف هذه السيره هو يوحنا ابن وهب ولكن كاتبها وجامعها هو علم الملك ابن الحاج شمس الرياسات.

مثل : «القبة»[1]، أو ما كان يسمى ؛ أيضا «الجتر» ، وهى المظلة المصنوعة من حرير أصفر، مزركش بالذهب ، فى أعلاها طائر شبه الصقر، من فضة مذهبة. كذلك لم يكن يوجد فى موكبه «الغواشى»، [2] - مفردها الغاشية- وهى على هيئة وسادة ، مصنوعة من خيوط الذهب ومزخرفة؛ حيث أعتبرت من أهم أشعرة السلاطين ؛ لأنها كانت أشبه بسرج ترمز لفروسيتهم .وحتى فرسه؛ فقد كان من غير «كنبوش» [3] ،وهو ما يوضع أسفل السرج، ويكون عادة مزخرفاً «مزركشاً» أى مطرزاً، أما «السرج» نفسه، وهو مقعد الفرس فلم يكن مطعماً بالذهب ، وكذا لم توجد له «رقبة» [4] ، التص هى عبارة عن شريط من قماش حرير لامع «أطلس»، مزركش بالذهب، ومرصع بالجوهر؛ توضع حول عنق الفرس، تحت أذنيه.

وحتى زوجته «الخوند»[5]؛ جرت لها هى الأخرى مراسم خاصة فى هذه المناسبة ؛ فطلعت إلى القلعة بالفوانيس والمشاعل، ومعها نساء السلاطين «الخوندات»، لاسيما نساء الغورى الذى قتل فى حربه ضد العثمانين، وأعيان نساء الأمراء والموظفين ، ومن تعرفهن من

---

(١) بتفصيل: صبح ، ٢ص ٣٣، ٤ص٧-٨؛ ماجد، نظم المالك ، ٢ص ٩١-٩٢.
(٢) بتفصيل: صبح، ٢ص ١٣٣ ، ٤ص٧ ؛ انظر ؛ ماجد ،نظم المماليك ، ٢ص ٩١ يحملها غلمان الركاب.
(٣) جمعه كنابيش. بتفصيل : صبح، ٢ص ١٣٥ ، ٤ص١٢، ٤٢.
(٤) بتفصيل: نفسه ، ٢ص ١٣٣، ٤س٨؛ ماجد ، نظم المماليك ، ٢ص ٩٢.
(٥) ابن إياس ، ٣ص ٧٦. هى كلمة تركية ،جمعها خوندات.

واقـول له ان هذا الامـر يصلح ان يتظاهر العـاقل
بأنه لا يريده واذا تحـدث بهـا قـدامـه كـره الحـديث
وقام نزل من الموضع الذى يكون فيـه، هذا ان لم
يكن بارا وان كـان باراً فـيكون هذا باطنه وظاهره
لان هذا الامر فيـه اقدام على عظام وتقليد لرعيـه
كثيرة يكون الانسان مداناً عنها، فيحمل الامر منى
على التـقييد له ولا يرجع عمـا هو عليـه ولم يكن
مـتـوكـلا على الله فى اعطا هذا الامـرله بل على
سعيه واجتـهاده. ثم سـألت الحكيم ان يقيـم تلك

الستات؛ وقد حملت فوق رأسها «القبة، وهى المظلة المذكورة ؛ فدخلت القاعة المسماة ؛ قاعة الأعمدة أو العواميد[1] ؛ فجلست على مرتبتها بينهن.

*

وبتـولى طومـان باى السلطنة ؛ تلقب بألقـابهـا ، ولاسـيمـا لقـبى : «سلطان»، و«ملك»، وكلاهما يدل على صاحب السلطة العليا فى مصر منذ أيام الأيوبيين ؛ كما تلقب بالقاب درج على التلقب بها حكام المسلمين مثل : «الأشرف» ، وهو لقب الغورى من قبل، و«أبو النصر»، الذى يبدو أنه استحدث تفاؤلاً بالنصر على العثمانيين ؛ فكان يقال له: «الملك ، الأشرف، أبو النصر، طومان باى» .

كذلك أصبح الخطباه يخطبون باسمه على منابر المساجد ؛وان توقفت الخطبة له قبل ذلك ؛ فبسبب تمنعه عن السلطته ، لمدة خمسين يوماً، فلم يكن يخطب إلا باسم الخليفة فقط؛ كما ضربت باسمه السكة وهى العملة ؛مثلما كان يحدث لمن يتولى السلطنة، وكتب اسمه وألقابه على الملابس الرسمية المسماة: «خلع» أو «تشاريف».

يضاف إلى ذلك ، أنه أصبح يقوم ، مثلما كان يقوم السلاطين قبله «بالرسوم الملكية [2]؛ أو ما سمى أيضا: رسوم المملكة أو السلطنة ، وهو ما كان يتبع فى حفلات القصر، لاسيما

(١) بنيت فى عهد بيبرس . نفسه ، ا ص ١٠١ س٥,٢
(٢) بتفصيل، انظر. ماجد ،نظم المماليك ، ٢ص ٦٠ وما بعدها.

الجمعة الى يوم الاحدى ويجمع الاساقفة ويث
الحال على ما قام فى نفسه من امر الرقاع فلم
يفعل، وكان بيّن الرأى بل انه لما علم ان ولده
معافى رجع على حاله الى الخيم المنصوبة. وبعد
ذلك عمل المصريون محضراً بان القس داود
المقدم ذكره ممنوع من انبا بطرس اسقف الفيوم
الذى كرزه قساً بسبب الاعتراف وفتن جرت
بالفيوم وافتراق الشعب وانه ما خرج من الفيوم الا
مطروداً من قبل الاسقف وان الاب البطريرك منعه

فى الأعياد الرسمية ؛ حيث كان يشترك فيها السلطان والأمراء ورجال الدولة والجيش ؛ وهى الرسوم التى لم يكن لها مثيل فى أى بلاط اسلامى آخر؛ بحيث أعتبر أن المماليك فى هذه الناحية ، ختموا الرسوم الباهرة فى مصر [١] ، فى العصور الوسطى.

وقد كان طومان باى يقوم بالفعل برسوم السلطنة فى أثناء غيبة الغورى ،ولاسيما الاحتفال بكسر الخليج ،وأما ما سمى أيضا بفتح أو جبر السد[٢] ؛ مثلما كان يجرى بالرسوم الملكية من قبل؛ حيث لم تكن أخبار الهزيمة قد وصلت بعد ، وأن موت السلطان لم يكن قد تأكد كذلك .ومع أن المؤرخين لايذكرون تفاصيل كثيرة عن هذا الاحتفال؛ إلا أنهم قالوا عنه إنه كان له يوم مشهود ؛ مما يدل على اهتمامه به بالذات ، بسبب ارتباطه الوثيق بتقاليد الشعب المصرى ؛ منذ أيام الفراعنة.

*

وعلى كل حال؛ فقد تولى طومان باى السلطنة فى مصر.على أساس أنه السابع والأربعون من سلاطين المماليك فى مصر، والسادس العشرون من سلاطين الجراكسة والأخير فى دولتى المماليك البحرية والبرجية.

---

(١) إن إياس ، ٣ص ١٢٧ (آخر الصفحة). يتعذب أحد الشعراء عند ذكر حفلات المماليك الباهرة . نفسه ، ٣ص ١٢٩.

(٢) ابن إياس ، ٣ص ٣٧ ، ٦٩. عن تفاصيل إحتفال سلاطين المماليك به ،انظر .ماجد ،نظم المماليك ، ٢ص ١٢٨ وما بعدها.

ايضا لما اتضح له من فساد اعتقاده ودميم طرايقه وكتب فيه اثنان وعشرون قساً من قساً مصر والقاهرة وضواحيها، وكان المحضر المذكور بخط مصطفى الملك ابى يوسف بن الخطاب. وكثر القال والقيل وعظمت المحنة والبلية وصاروا الناس ياخذون على القس المذكور اشيآء، فقوم يقولون هذا من الفيوم والفيوم من حيز الصعيد ولا يجوز تقدمته، وقوم يقولوا هذا كان طلب فى حياة البطريرك مطرنه الحبشه ولم يجب اليها البطريرك

أحوال مصر
تحت حكم طومانباى

وحينما تولى طومان باى السلطنة،كانت البلاد فى أقصى درجات التدهور ،والدولة المملوكية في آخر رمق؛ نتيجة لعوامل متعددة، ظهرت تدريجياً طوال مدة حكمها التى امتدت زهاء ثلاثة قرون ، وبدت بشكل واضح فى أخاخر أيامها؛ بحيث توقع مؤرخون كثيرون ،كانوا شهود عيان لها، أن سقوطها وشيك الوقوع؛ وحتى أننا نحس بأن فترة اضمحلال قد وقعت بالفعل فى تاريخ مصر، مثلما كان يحدث من قبل ، فى أيام الفراعنة . ومع ذلك؛ فلنا أن نقرر أن طومان باى نفسه ليس هو المسئول عن هذه العوامل التى مهدت للقضاء على دولته ،كما لم يكن من الممكن أن يفعل شيئاً إزاءها، حتى ولو توفرت له النية الخالصة فى مجابهتها ؛ إذ قد استشرى الفساد فى كيان الدولة المملوكية ، وتحالفت عناصر الشر ضدها وكأنها حتمية النهاية ولم يعد هناك أى أمل فى استنقاذها.

*

ولعل أظهر العوامل قد أتى من طبيعة الحكم المملوكى ذاته، الذى لايرعى إلا مصلحته فى المقام الأول؛ بصرف النظر عن حقوق رعاياه المشروعة فى الحياة، مما جعل الناس يقفون منه موقفاً سلبياً حينما هاجم العثمانيون مصر . فقد كانت دولة المماليك دولة عسكرية متعفنة، يحكمها أرباب السيوف ، الذين استحوذوا على السلطة ، بشكل لم يعرف إطلاقاً فى تاريخ

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

بل امتنع من هذا غاية الامتناع، وقوم يقولون هذا ما استصلحه البطرك لان يقيم بدير العربه لانه كان طلع اليه ونزل به منه، واشد ما كان عليهم انه لم يسل عن البطرك فى مرضه ولا حضر جنازته واشيآء اخر شنيعة لا يليق ذكرها بهذا المسطور. ولما كان تمام الشهر اجتمع خمسة من الاساقفة وهم أنبا مهنا اسقف ابو صيربنا(*) وكان كبير الاساقفة يوميذ واخوه انبا مرقص اسقف لقانه وانبا ميخاييل اسقف طلخا المعروف بهديه وانبا غبريال اسقف

(*) ابو صيربنا: هى بوصير، أحد مراكز عبادة الاله اوزير. وفى العهد العثمانى فى تربيع سنة ٩٣٣ هـ أضيف إلى القرى التى باسم بوصير ألف فى أولها فصارت كلها بما فيها هذه باسم أبو صير. وهى كانت تابعة لمركز

مصر القديم أو الحديث ، أو حتى فى خارج مصر .حقاً إن معظم حكام مصر فى العصرين القديم أو الوسيط ، قد و سموا بالطغيان والاستبداد ؛ إلا أن طغيانهم وكان فردياً وأسرياً. ولكن بمجىء دولة سلاطين المماليك ، فإن الطغيان أصبح طغيان طبقة يجمعها رباط الرق. وعلى الرغم من أنه كانت تنخرط فيها جنسيات متعددة ، أتت عن طريق الشراء على الخصوص ؛ ألا أنهم كانوا يذوبون فى شكل طبقة متماسكة ؛ تتميز بنوعيتها وبعزلتها عن شعب مصر ؛ حتى أننا نجد إلى آخر عهد الدولة المملوكية وظيفة :«تاجر المماليك»(١) ؛ وذلك لدعم كيانها عن طريق الشراء.

وقد ترتب على ذلك، أن أقامت هذه الطبقة الحاكمة من الأرقاء الغرباء لنفسها وظائف كبرى وصغرى ثابتة؛ تمكنت من خلالها من السيطرة التامة على البلاد سياسياً وعسكرياً واقتصاديا. وعلي الرغم من تغيير السلاطين المستمر، فإن كل سلطان كان يتولى الحكم ، يشغل هذه الوظائف الثابتة المحددة بأعوانه . وفى سبيل ذلك ، يقوم بعزل من كانوا يشغلونها من قبل ؛ وإن كان قد يكفل بعضها مضطراً إلى من كانوا فيها ؛ اذا كان من الأقوياء ولم يند عن ذلك ، طومان باى نفسه ، الذى ما ان تولى السلطنة حتى عين فى وظائف الدولة الكبيرة والصغيرة بعض الأمراء من أعوانه ؛ وإن كان تحت إلحاح بعض الأمراء الأقوياء من أعوان السلطان الغورى السابق ، قد اضطر إلى الأبقاء على البعض منهم؛ على الرغم من شكه فى

(١) ابن إياس، ١ ص٧٣ (آخر السطر).

اطفيح وانبا مرقص [اسقف] مليج وصلوا على البطريرك انبا يوحنا نيح الله نفسه فى تمام الشهر وتقربوا عليه فى يوم السبت الرابع من امشير من السنة المقدم ذكرها وعادوا الى كنيسة القديسين سرجيوس وواخس لانهم كانوا مقيمين بها، فعند عودهم حضرت رسل الامير امين الدين والى مصر باحضارهم فحضروا قدامه فقال لهم: انتم قد صليتم على بطرككم يخرج كل واحد منكم الى بلده ولا تقعدوا ساعة واحدة. فقالوا: يا مولاى

المحلة الكبرى، فلما انشئ مركز سمنود سنة ١٩٣٥ ألحقت به لقربها منه.
اما لقانه: فأصل اسمها نقانه، وفى العهد العثمانى حرف اسمها إلى لقانه، وهى من قرى البحيرة.
طلخا: أحد مراكز الغربية.
اطفيح: من أقدم المدن. كانت قاعدة لمركز أطفيح سنة ١٨٢٦ ثم ضمت إلى الصف بالجيزة.
مليج: كانت تابعة لكنيسة تيالكيا القرية منها، ثم اشتهرت مليج دون تيالكيا.

أخلاصهم له وللحكمة. وعلى كل حال ؛ فقد كانت هذه الطبقة تحرص على كيانها ، بالإستحواذ على معظم وظائف السلطنة.

وعلى الرغم من أن طومان باى نفسه قد تولى السلطنة بناء على تأييد المصريين ، وأنهم هم الذين سعوا إلى توليته ؛ فإنه مثل سابقيه من سلاطين الجراكسة لم يحاول اشراكهم فى المسئولية السياسية معه فى الحكم . وهو مثلهم أيضاً لم يعمل على إعادة منصب الوزير ،الذى كان يختار عادة من بين المصريين ، وله الأشراف على الجهاز الإدارى ، فيكون بذلك الحاكم المباشر للمصريين .حقاً إنه فى ظل المماليك البحرية،كان يوجد منصب الوزير احياناً؛ إلا أن الوزارة على عهدها أصبحت غير مستقرة بسبب إستبداد السلاطين ؛ مما أوجد بالتالى حالة من الفوضى فى شئون مصر الإدارية . فقد كن الوزراء يتغيرون بسرعة مذهلة ؛ حتى أن ذاكرة المؤرخين لم تعد تعى أسماءهم، وأوقات توليهم ؛ فبعضهم يمكث أشهراً أو أياماً أو يوماً؛ كما أنها أضحت بالتالى مهنة ، يعود إليها من صرف عنها ؛ ليتولاها عدة مرات [١]؛ لفترات تقصر أو تطول وإن كان أغلبهم مطعوناً فى كفاءتهم؛ بحيث أبدى المقريزى ملاحظة أن الوزارة أصبحت فى وقته تطلق على موظف يشترى حاجيات السلطان [٢] . فلعل هذه الحالة التى وصلت إليها الوزارة ؛ جعلت طومان باى مثل سابقيه من السلاطين يشرف على كل

(١) ابن إياس ، ٣ص ٤٤ س ٨. تولاها أحدهم فى عهد الغورى أربع مرات.
(٢) الخطط ، ٣ص ٣٦٣، انظر .ماجد .نظم المماليك . ، ١ص ٤٨.

نحن نقيم غداً لا غير حتى نصلى على قبره ونمضى. وذكر ان الحامل للوالى على ذلك كتابه تقرّباً من قلب نش الخلافه لانه خشى ان يتفقوا على تقدمه غير القس داود فبادر بذلك وعادوا الى موضعهم كئيبين. فذكر لى القس بومنصور قس كنيسة بوسرجه والشيخ السنى ابو المجد ابن القسيس بو الفرج انهم جميعاً اجتمعوا قدام الهيكل غير اسقف مليج وحرموا القس داود ومنعوه ودعوا عليه وحلفوا انهم لا يضعون عليه

شئ فى الدولة، كما أن سير الأحداث اللاهثة فى وقته ربما لم يمكنة أيضا من التفكير فى إعادة هذ المنصب .

ومع ذلك ، فإن الشيخ أبا السعود ،وهو من رجال الدين المصريين، والذى كان السبب فى توليه طومان باى ؛ أراد أن يشاركه فى مسئولية الحكم، ويتصرف معه فى أمور المملكة من عزل وولاية [(١)] ويبدو أن طومان باى قد استجاب له بالفعل ، فسمح له بأن يفعل ما يشاء بموظفى الدولة، الذين أصبحوا رهن إشارته ؛ حتى أنه أمر بشنق أحدهم [(٢)].

مما جعل السلطان يحد من نفوذه نهائياً ويسيطر على الحكم بمفرده ، مثل سابقيه من السلاطين ،كسلطة أو تقراطية وحيدة فى البلاد.

والخلاصة أن طومان باى سواء فى غيبة السلطان الغورى ، أو فى وقت سلطنته ، قد أراد أن يكون رءوفا بالرعية ؛ إلا أن تركيب الدولة المملوكية لم يجعله يستطيع أن يغير شيئا جذرياً فى أحوال الأهلين ، أو الدولة ذاتها ؛ وهو التركيب الذى جعل طبقة المماليك فى واد وأهل مصرفى واد آخر.

*

وعامل آخر كان من أسباب تدهور الأحوال فى عهد المماليك فى مصر ، اتى من العرب

(١) ابن إياس ، ٣ص ٧٧س٤-٧. (٢) نفسه، ٣ص ٧٥.

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

يداً ابداً بحكم مـا جرى عليـهم من وجع القلب بسببه ثم انهم صلوا على قبر البطريرك وتوجهوا كل منهم الى كـرسيـه. ووصل السلطان الملك العـادل خلد الله ملكه والشيخ نش الخلافـة مـعـه ودخل الجميع الى القاهرة فذكر لى الشيخ الحكيم ابو شاكر رحمه الله انه اجتمع بالشيخ نش الخلافة وقت وصوله وفاوضه فى امر القس داود فقـال ما يصلح. وانه مـرتين اخـرتين زاره فى داره بالقـاهرة وذكر له انه ما يصلح. وبقيت المشاجرة على حالها

والعـربان ، الذين سكنوا فيـهـا ، فـقـد كـانوا يتنافسـون مع المماليك فى السيطرة عليـهـا ، واستغلالها ونهبها. وكان هؤلاء العرب قد سكنوا مصر منذ الغزوات الإسلامية الأولى ؛ حينما نقل إليها الخليفة هشام بن عبد الملك الأموى ، بيوتات من عرب قيس ، بلغوا ثلاث آلاف أهل بيت (١) ، ثم قدمت إليها قبائل أخرى من البادية ؛ حيث كان تجمعهم الكبير فى الحوفين(٢): الشرقى والغربى وهما المنطقتان المتصلتان : الأولى من جهه الشام ، والأخرى غرب دمياط ؛ يشتـمـلان على بلدان وقرى ؛ حتى غلب عليهم اسم : الحوفية ، أو أهل الأحـواف أو الحوف ولاسيـمـا فى بلبيس (٣) ، من مدن الحوف الشرقى الرئيـسية، التى وجد فيها وحدها ألف وخمسائة أهل بيت من قيس (٤)؛ فكان هؤلاء العرب يسيطرون على البلاد فى أيام الأمويين.

ومنذ قيام الخلافة العباسية . أصبح الاعتـمـاد على العرب وحدهـم غير ممكن فى مصر؛ بسبب أنهم كانوا من المناصرين للخلافة الأموية. وفى أول الأمر حاول العرب الإبقـاء على سيطرتهم فى البلاد ، وأصبحوا يولون الولاة بأنفسهم، وتوقفوا عن أداء الخراج.

وقد كان اعتماد المعتصم بعد المأمون على الترك وحدهم فى الجيش، وابقاؤه على حامية من هؤلاء فى مصـر ؛ سبباً فى إضعاف نفوذ العرب فيها، كما أنه أسقط أرزاق ورواتب هؤلاء

---

(١) الخطط، ١ص ١٢٨س ٢٢- ٢٣،

(٢) معجم البلدان لياقوت، ٣س ٣٦٧. وجدت أحواف أخرى، مثل حوف رمسيس.

(٣) معجم البلدان ، ٢ص ٢٦٢.

(٤) الخطط ، ١ص ١٢٩س٧.

والبغضا وحديث الناس بعضهم فى بعض واخراج
مثالبهم ومناقضهم ودخل الصوم المبارك واجتمع
الشيخ نش الخلافة بالشيخ نش الامام بن عز
الكفاه بن ابى يوسف ورام منه ان يكتب التزكية
للقس داود فامتنع عليه وانفصل منه مغضباً وبعد
ذلك اجتمع بى القس داود وذكرنى ما بينى وبينه
من المودة وسالنى فى كتب التزكية فقلت فى
نفسى هذه وراقة ما علىّ فيها من الله تبعه ان رضى
الناس واتفقوا رضيت وان لم يفعلوا يكتبون له

من الديوان ـ أى السجلات الرسمية ـ حيث كانوا يأخذونها ويتوارثونها منذ عمر بن الخطاب، أى منذ مائتى سنة .

وقد مهد ذلك إلى أضعاف نفوذ العرب فى مصر ، حتى قال المقريزى إنه أنقرضت دولتهم فى مصر[1] ، وأصبحوا يعرفون بالعربان على الخصوص؛ بمعنى قاطعى الطريق؛ مما يدل على أنهم قد أصبحوا عناصر قلق فى البلاد.

ولكن عربان مصر؛ مالبثوا أن استعادوا بعض نفودهم، حينما جاءت مصر قبائل عربية أخرى، من الخليج العربى، مدفوعة من دولة القرامطة بقصد أن يزيحوا الفاطميين عن مصر، الذين فتحوها بعسكر من المغاربة والبربر، وبرغم هزيمة القرامطة وانسحابهم ؛ إلا أن عرب الخليج عرفوا طريقهم إلى مصر، كما نقل الفاطميون إليها من بقى منهم فى فلسطين ، لاسيما من بنى سليم ؛ حيث أسكنهم العزيز الفاطمى الصعيد على الخصوص ؛ ليكونوا تحت رقابته؛ وحتى لايتفقوا مع عرب الشام ضده؛ وإن كانت المصادر لاتذكر مقرسكناهم فيه؛ مما يبين أنهم سكنوا الجبال والصحارى المحيطة به فى أول الأمر.

وقد أصبح العربان فى عهد الفاطميين، لاهم لهم إلا الإغارة على القرى ، والزحف عليها، والإحاطة بالمزارع، وإثارة القلق فى أنحاء البلاد، وتهديد طمأنينتها، مما حدا بالفاطميين إلى أن

(١) الخطط، ١س ١٥١س ٢٨ ، ١٥٢.

كنت انا لم اعمل ذنباً إنما زكيت شخصاً يتعين له
على ذلك. فكتبت له أربع نسخ واحدة للاساقفة
وواحدة للقسوس واخرى للاراخنة واخرى للرهبان
وبعد ذلك كتبنا اخرى للاسكندرانيين. وسير
الشيخ نش الخلافة القس مرقس بن رجال الى
الوجه البحرى ومعه تزكية للاساقفة والرهبان
فحضر ومعه اثنا عشر اسقفاً من أساقفة الوجه
البحرى بعد ان كتبوا خطوطهم فى التزكية منهم
ثلاثة ممن قدمنا ذكره منهم [انبا مرقص] اسقف

يتخلصوا من بعضهم؛ حينما انتفض المغرب عليهم ؛ فأرسلوهم إليه فى أعداد كبيرة حيث نعرف من السجلات المستنصرية وكتب المؤرخين ؛ أسماء بعض قبائل العرب التى أرسلت ، مثل: رباح وزغبة والأثبج (الأسيج) وعدى وصعصعة وسليم. ومع ذلك؛ فإنه غلب على غزوة العرب للمغرب اسم الغزوة الهلالية؛ ربما بسبب أن أغلب هذه القبائل السابقة من أحياء بنى هلال؛ وإن كان يبدو أنه لم يذهب أغلبهم بدليل بقاء بعض الهلالية فى مصر إلى أيام المماليك. ولقد كان غزو العرب للمغرب عاملاً على تغيير جذرى فى أصول سكانه، كما خلدته قصص أبى زيد الهلالى نسبة إلى بنى هلال ، والزناتى خليفة نسبه إلى قبيلة بربرية هى زناتة.

ومن ناحية أخرى ، كانت بعض قبائل عربية أخرى فى مصر تقاوم الحكم الفاطمى نفسه ؛ على الخصوص بنوقرة(١) ، من قيس ، التى سيطرت فى إقليم البحيرة، وفى نواحى الإسكندرية ، واشتدت وطأتهم على الولاة الفاطميين؛ فضلاً عن تعاونهم مع أعداد الفاطميين ؛ مثل أبى ركوة المغربى، لاسيما الاتفاق مع عرب الشام فى فتنهم، ومضايقة الفلاحين فى قراهم ؛حتى أن الحاكم بأمر بالله حاربهم بعساكره، وحبس جماعه من أعيانهم، وقتل بعضهم كما اضطر اليازورى فى زمن المستنصر ، إلى أستدعاء قبيلة عربية أخرى من فلسطين، هى

---

(١) الخطط، ٤ص ٦٩ ؛ إغاثة الأمة، ط ٢ ، س ٢٤ س ٦.

لقانه واخوه الكبير [انبا مهنا] واسقف طلخا [انبا ميخاييل]. وكان اسقف طمبدى(*) انبا بطرس قد وصل فصاروا ثلثة عشر اسقفاً وكتب الاخر خطه فى التزكية واحضرت تزكية الرهبان وقد كتب فيها زها اربعين راهباً وكتب فى تزكية القسوس جماعة من قسا القاهرة والوجه البحرى واما القسا الذين كتبوا فى محضر منعه فلم يكتب له منهم احد اصلا وكتب فى محضر الاراخنة جماعة كبيرة وبقى جماعة ممتنعين فلما رأى الحكيم وجماعة المصريين حضور الاساقفة وما جرى خافوا

(*) طمبدى: وهى من قرى غرب النيل فى صعيد مصر من أعمال البهنسا. والي جوارها تقع قرية إشنى (إشنين النصارى). وتسمى هى واشنى العروسين لحسنهما.

بنوسنبس (١)، لعلهم أيضاً من قيس، وأقطعهم البحيرة مكان بنى قرة؛ فنزلوا ديارهم وعلاشأنهم؛ وسرعان ما أصبحوا أيضاً عناصر قلق، فسعى الفاطميون لتأديبهم ؛ بحيث أنهم فى أواخر دولتهم قتلوا منهم مالايحصى ؛ وإن بقى مع ذلك كثيرون إلى وقت المماليك؛ وحتى قبيلة لواته(٢)، التى ربما كانت من أصل مغربى، تقيم فى برقة وإفريقية ، على أيام الغزوات الأولى ، وتبيع أبناءها فى الجزية ،ولانعرف متى انتقلوا إلى مصر، وربما كان أغلبهم فى مصر نتيجة لهذا البيع؛ إذ بلغ عددهم فيها نحو خمسين ألفاً أو أربعين ألفاً سوى أتباعهم - ربما الرقيق - فعمد بدر الجمالى وزير المستنصر القوى- على حسب قول السجلات ، وهى الأوراق الرسمية - إلى القضاء عليهم باستئصالهم ؛ حيث شبههم بالوحوش، وأنهم ليسوا من البشر؛ فبسبب غاراتهم خربت البلاد وتوقفت الزراعة ،كما كانوا يهاجمون الرهبان فى أديرتهم بالصحارى.

وعلى ما يظهر بقى من العربان فى مصر أعداد كبيرة مع ذلك ؛ فالمؤرخون يذكرون اشتراكهم فى مصر ضد الصليبيين ؛ بحيث كانوا يتخطفون الفرنجة ،ويبيعونهم لسلاطين الأيوبيين ثم إن المقريزى يذكر أنه فى أيام المماليك، كانت توجد منهم فى مصر جميع فروع شجرة النسب العربى، حتى أنهم كانوا فى كل مكان ،ولاسيما فى الفيوم. وبنواحى

(١) الخطط ، ٢س ١٣٩ ؛ البيان والإعراب ، ط. wust ،ص ٩ .

(٢) معجم البلدان ، ٧ص ٣. وربما كانت من أصل عربى. فتوح البلدان ، ص ٢٥٥ .

ان يتم الامر واغتاظ الحكيم غيظاً كثيراً فاجتمعت جماعة كبيرة من النصارى ووقفوا للسلطان الملك الكامل وتضرروا من تقدمة هذا القس عليهم وذكروا انهم لا يرضونه وانه مخالف لاعتقادهم ورأيهم فقال لهم: طيبوا قلوبكم ما يقدم عليكم الا من تريدون. وبقى الشيخ نش الخلافة متردد الى الحكيم بوشاكر ليلا يسأل عنه ولا يقول له شيئاً بل ان الرسايل كانت بينه وبينه. وكان الحكيم لا يرضى بهذا القس والشيخ نش الخلافة لا ينزل عن اختياره والشغب واقع بين الشعب. وبعد ذلك ندب

الإسكندرية ،وأمتدو إلى الصعيد فى أعماقه. حتى أسوان .كما أصبحوا لهم حب فى الترحال، بعضهم يرحل من البحيرة حتى يصل القيروان. وآخرون فى الجنوب ما يلى قوص، يغزون فى السودان، ويأتون بالسبايا ويكتب لمشايخهم تقليد بأمرة العربان، ولهم مكاتبات رسمية [١]؛ مماكان سبباً فى تغيير جنسى جذرى لسكان السودان، امتد حتى وسط أفريقيا.

فكان موقف هؤلاء العرب فى مصر من المماليك.مثل موقفهم من الفاطميين ، فاعتبروا أنفسهم أحق منهم باحتلال مصر كلها ؛ بحيث أنه حينما – سلطن أيبك . الملقب بالمعز، وهو أول سلطان مملوكى فى مصر . لم يرضوا أن يحكم المماليك . وثاروا فى البلاد ، وقطعوا الطريق ،وقالوا نحن أولى بالملك منهم [٢]، وقد تزعمهم فى ثورتهم شخص اسمه حصن الدين ثعلبة، وأنضم إليه العربان فى كل مكان، حتى بلغ عددهم مائة ألف ؛ فخرج إليهم السلطان ايبك بمماليكه وقاتلهم،ولكن زعيمهم ثعلبه استطاع الفرار ويبدو أن العربان، وجدوا ألا فائدة من مقاومة المماليك ، فسعوا إلى الاتفاق معهم على اقتسام البلاد؛ حيث أسرع أيبك بوعدهم بالإقطاعات والأمان، ولكن أيبك حينما جاء زعماؤهم للاتفاق معه قتلهم وشنقهم على الأخشاب التى نصبها من بلبيس إلى القاهرة ، وأمر مماليكه بمعاملة العرب بقسوة ، وزاد عليهم الضرائب.

(١) التعريف بالمصطلح الشريف العمرى، مصر ١٣١٢هـ ، ص ٧-٧٧.

(٢) المقريزى، البيان والإعراب.

السلطان اعـز الله نصـره القـاضى الاعـز الوزير
الحضور الى مصر وجمع النصارى وسماع حديثهم
فحضر الى مصر وحضر معه الحكيم بوشاكر
وجلس بدار الوكالة العادلية واحضر جماعة من
وجوه المصريين واستخبرهم فقالوا هذا ما [لا]
نريده اصلا وذكروا فيه اشياء قبيحة لا يليق ذكرها
فقال لهم: فمن تريدون فقالوا عندنا رجل شيخ
جيد، يعنون الشيخ ابا الكرم المقدم ذكره والشيخ
الصنيعة بن السكرى وهذا كان كاتب الخزانة

ومع خضوع العربان للمماليك إلا أنهم استمر وا فى حرق الأخضر واليابس[١]، وإثـارة قلاقل عنيفة،مثلما كانوا يفعلون غالباً ، وساعد على بذلك تغير السلاطين الدائم؛ فكان مشايخهم يشيعون الفساد فى البلاد. فمثلاً: فى سنة ١٣١٣/٧١٣[٢]؛ اضطر السلطان الناصر بن قلاوون. أن يذهب بنفسه إلى الصعيد ليعيد إليه حالة الاستقرار؛ مما جعلهم يرحلون إلى الجبل، وأسر البعض، ووضعهم فى جنازير الحديد، واستخدمهم فى حفر الجسور، بل كانت بعض قلاقلهم تستمر سنوات ، مثلما استمرت من ٨٨١إلى ١٤٧٦/٨٨٣ - ١٤٧٨[٣]؛ وغير ذلك من فتن عديدة ، استمرت طوال حكم دولة سلاطين المماليك فى مصر.ويبدو أنه من كثرة مقاومة السلاطين لهم؛ وبسبب أنهم عناصر اعتادت الإجرام ؛ فانه قد خمدت جمرتهم من كثرة فتنهم، وتبدد شملهم، وكان نتيجة ذلك أن تركوا الريف ودخلوا المدن ؛ فكانوا يقومون بالسرقة.

ولعل السلطان الغورى بالذات ، الذى تولى السلطنة قبل طومان باى كان قد بالغ فى تأديبهم ،وقتل منهم عدداً كبيراً؛ حتى أصبح لايوجد عربى منهم إلا وقتل له واحد من أقـربائه[٤] وأصبح يطالب بثأره،كما أنه سجن عدداً كبيراً ، ووضعهم فى الحديد. بل كان الغورى، قد أرسل طومان باى ضدهم، الذى فاجأهم وقبض على عديد من مشايخهم ،

(١) ابن إياس ، ٣ص ١٤٣.
(٢) نفسه، ١س ١٠٨-١٥٩.
(٣) نفسه، ص ١٦٠ .
(٤) ابن زنبل ، س ٥١.

العادلية وهو من اكابر اهل الاسكندرية والعضو الشريف عنده .وذكروا جماعة من الرهبان منهم حبيس ابيار. واتفق رايهم جميعاً على الرقاع وكتبوا محضر برضاهم بذلك فكتب فيه اكثر الناس واخذه السلطان الملك الكامل عرضه على ابيه وكان الشيخ نش الخلافة قد قال للملك العادل عندما جرى ذكر القرعة يا مولانا هذه سنة الافرنج(*) وليست سنتنا. فلما وقف عليه قال ما تم قرعة ولا صداع تتخيروين واحداً نجعله لهم. ورجع

(*) سُنة القرعة فى اختيار البطرك عند الافرنج تخالف طريقة الاختيار عند القبط.

وساقهم مصفدين فى الأغلال ، وكاد السلطان يشنقهم ؛ لو لاأنه تحت تحريض طومان باى اكتفى بسجنهم.

إلا أن الأحوال السيئة ، التى أحاطت بالدولة المملوكية فى أخريات أيامها؛ نتيجة للغزو العثمانى ؛ جعلت الغورى يتساهل مع العرب؛ حتى أنه قبل أ ن يسافر لحرب العثمانيين ، جمع منهم نحو عشرين ألف فارس ، وزعهم على سائر البلاد المصرية؛ ليحرسوها؛ ذلك على الرغم من تحذير البعض له من هذا التصرف ، الذى لم يجر عليه السلاطين قبله[١] ؛ بحيث أصبح العرب هم الذين يحكمون فى أرجاء مصر، ويجبون ضرائبها، مما مهد لزيادة نفوذهم بشكل لم يعرف قبلاً .وحينما علم العربان بقتل الغورى، هجموا على عسكر المماليك الراجع منهم إلى مصر [٢]؛ كما هاجموا الريف، وقتلوا من الفلاحين ما لايحصى ، ونهبوا بلاداً عديدة ، ولم يقوا فيها مواشى ولابقراً ولاغنماً؛ وأخذوا حلى النساء، وقطعوا جميع الطرقات [٣].

ومع ذلك ؛ فقد أراد طومان باى أن يستعمل العرب، وأن يجعلهم ينسون ما كان من السلاطين السابقين، ولاسيما الغورى؛ فأطلق كثيرين ممن كانوا فى سجون السلاطين ، وخلع على شيوخهم[٤]، لاسيما زعمء قبيلتى غزالة وهو ارة ؛ حيث كانت الأولى تمتد من الجيزة إلى سنهور أى الإسكندرية،[٥] أما الأخرى فكانت فى جرجا [٦].

(١) ابن إياس ،٣ص ,١٥

(٢) نفسه، ٣ص ٧٣ ص ٢٥.

(٣) نفسه، ٣ص ٥٤س ١٨وما بعدها.

(٤) نفسه ، ٣ص ٧ص ٢٥.

(٥) ابن زنبل، ٤١.

(٦) ابن زنبل ، ص ٦٦؛

النصارى وقفوا للسلطان الملك الكامل مرتين اخرتين فى انهم لا يريدون ولم يزل الحال يتراخا الى ان جاءت الجمعة السابعة فخرج الاساقفة الى كراسيهم بعد ان كتب منهم ثمانية خطوطهم بمنع نُفوسهم ان قدموا غيره، وبقى الحال بحاله والشقاق والفتنة باقيان. فلما كان فى الجمعة الكبيرة نقل السلطان الملك العادل الصنيعة ابو غالب بن السكرى المقدم ذكره الى تولى ديوان ثغر الاسكندرية وامره بالخروج اليه واستخدم معه ناظراً

والواقع إن دور العربان فى مصر، كان سبباً فى تدهور أحوالها ؛ بسبب فتنهم التى لم تنقطع ؛ فضلاً عن أنه كان فى قلبهم نحو المماليك الشئ الكبير؛ بحيث أنهم كانوا عاملاً أساسياً فى زوال دولة المماليك ؛ حينما أتيحت لهم الظروف بوصول العثمانيين إلى مصر؛ فهؤلاء العربان كانوا السبب فى خراب مصر، وضياع دولة المماليك.

*

يضاف إلى ذلك أن الحالة الإقتصادية قد بلغت هى الأخرى غاية السوء، نتيجة لعوامل متعددة؛ لم تظهر عوارضها إلا فى أواخر حكم دولة المماليك ، وذلك لسوء حظ طومان باى نفسه؛ فكان ذلك على عكس ما نعمت به دولتهم، فى أغلب فترات حكمهم ، التى امتدت زهاء ثلاثة قرون، حتى أصبح بلاطهم ورسومهم لامثيل لها فى أى مكان آخر، كما لاتزال منشآتهم الضخمة من عمائر وتحف[1] ، تحتل مكان الصدارة بين مخلفات مصر الإسلامية ؛ حيث عبر بصدق المؤرخ ابن خلدون[2] ، الذى عاش فى عز دولتهم حينما قال:«ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر؛ فهى أم العالم، وإيوان الإسلام ، وينبوع العلم والصنائع».

ومن المؤكد أن أنحسار التجارة العالمية،وما كانت تدره من مال وفير لدولتهم؛ كانت

---

(١) وثائق مملوكية ،مخطوطة برقم ٤٤٣٩ ،ورقة ١٢٩ ؟ تذكر موظفا خاصاً اسمه : شاد العمائر.
(٢) المقدمة ، ص ٤٥٣.

يعرف بالقاضى الاكرم بن نهار فأعطى الشيخ ابو الفتوح التزكية المختصة بالاسكندرانيين للقاضى المذكور لياخذ فيها خط اهل الاسكندرية وخرج المذكور الى الثغر [اسكندرية] وكان هذا اول ما قوى نفس نش الخلافة لان هذا الصنيعة كان مضاهياً له، فلما راح استبد هو بالامر وحده وعيّد الناس مفترقى الآراء كثيرين الضغاين والأحن، وبعد ايام وقع اختيار الشيخ نش الخلافة على سايح بجبال اطرابلس(*) يعرف ببطرس المرشاد

(*) اطرابلس: هى طرابلس الغرب وكانت هى وبرقة تابعتان لمصر.

السبب الرئيسى فى سوء الحالة الإقتصادية. فقد كانت مصر تقوم بنقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب، وهو النشاط التجارى الذى بدأ منذ الفاطميين، وعمل سلاطين المماليك على دعمه. كما يظهر من مراسيم صدرت عن دواتهم بتشجيعها وتنظيمها [١]. فقد كانت مصر تنقل إلى أوربا توابل الهند والصين.التى هى بالنسبة لأهل العصور الوسطى، مثل الشاى والقهوة فى عصرنا؛ فتأخذ أوربا الجنزبيل والقرفة والفلفل والشاى والبهار والشب والعود والسكر والعاج والمنسوجات إلى غير ذلك. ولدينا رسائل متبادلة بين سلاطين المماليك ومعظم ملوك وحكام أوربا ، لاسيما المدن الايطالية، وعلى رأسها البندقية، عن هذا النشاط التجارى العالمى [٢].

وقد ترتب على انتعاش التجارة إلى أوربا عن طريق مصر، أن ظهرت طائفة من التجار؛ تخصصت بتجارات الشرق الأقصى مع الهند والصين ، لاسيما تجارة التوابل، حتى أطلق على دعاة الفاطميين فى هذه النواحى اسم «بوهرا» ؛ لتعنى تاجر البهار؛ أما فى مصر نفسها؛ فكان يطلق عليهم عموماً اسم: الكارم أو الكاريمى أو الأكارم أو الكارمية - جمع كارمى [٣] فكانوا

(١) المقريزى، سلوك، ١س ٧٤٢، ترجمة Quat، س ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) عن ذلك، انظر توفيق اسكندر ، نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية ، مجلة الجمعية التاريخية ، سنة ١٩٥٧.

(٣) صبح ، ٣ص - ٤٦٩، ٤ص ، ٥ص ٢٧٠- ٢٧١.

ووافقه عليه الجماعة ولم يثبت على هذا الراى بل
كان من طريق الامتحان لبعض الناس. واستمر
الحال على ما هو عليه الى ان فرغ الخمسون(*)
فاشار الشيخ نش الخلافة الى الجماعة الموافقين له
وكان اكثرهم كتاباً بأن يقفوا للسلطان الملك
الكامل ويطلبوا منه تقدمة هذا داود فاجتمعوا
ووقفوا له بدار السلطان عند عبوره الى خدمة ابيه
فقال لهم: اين هو هذا الذى اخترتموه احضروه.
وانفصل مجلسهم ذلك على هذا ورجعوا بعد

(*) الخمسون: هى ما بين أحد استير ويوم الاربعاء يحتفل فيه بقيام المسيح.

أشبه بنقابة، لهم رئيس اسمه: رئيس الكارمية أو وكيل لاتجار أو حتى شهبندر التجار؛ حيث كانت هذه الرئاسة فى أسر معينة. ولعل هذا اللفظ «كارم»، قد أتى من اسم «كانم» الواقعة فى جنوب السودان؛ بسبب أن تجاراً من هذا البل عاشوا فى مصر، وتمصروا على مر الأجيال، وتخصصوا بهذه التجارة؛ فكانوا يبعونها للتجار الأجانب ،كما لعل هؤلاء التجار اول ما جاءوا من نواحى المحيط الهندى من عدن؛ إلا أنهم منذ أيام الأيوبيين عاشوا فى مصر، وانتقل عملهم إلى البحر المتوسط. وقد أصبحت «الكارم»، تطلق على أى تاجر يشتغل بتجارة التوابل، بما فيهم اليهود[1] ؛حيث لدينا وثائق جنيزة خاصة باليهود التى تشتمل على أسماء عائلات يهودية عاشت فى مصر، واشتغلت بهذه التجارة.

وفى أول الأمر، فرض المماليك الضرائب الباهظة على هذه التجارة [2]؛ وإن كانوا مالبثوا أن قاموا باحتكارها لأنفسهم عن طريق هؤلاء التجار [3].

(١) عطية القوصى، أضواء جديدة على تجارة الكارم ،من واقع وثائق الجنيزة، المجلة التاريخية المصرية، ٢٢، ١٩٧٥، ص ١٧وما بعدها؛ انظر كذلك، صبحى لبيب، التجارة الكارمية تجارة مصر فى العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، ٢/٤، مايو١٩٥٢، ص ١٢- ١٤.

(٢) كان الموظف الذى يشرف على جباية ضرائب هذه التجارة يسمى: ناظر تجار الكاريمى. أو مستوفى البهار والكارم، ولاهميتها قد تضاف إلى أعمال الوزير نفسه.

(٣) المقريزى، السلوك،مخطوط دار الكتب برقم ٣٣٢٧، ورقة ٥٩٢.

ذلك وقفوا له مرة اخرى فى دار السلطان ايضاً فقال هاتوا المحاضر وعبر الى دار ابيه فسير الشيخ نش الخلافة المحاضر المذكورة اليه الى داخل الدار مع واحد من غلمان السلطان وكان محضر الاسكندرية قد حضر فسيره معهم، ثم خرج الملك الكامل من عند ابيه فوقف له الجماعة وتقاصوه الجواب فقال: جوابكم مع ابى الفتوح. فدخل الشيخ الفتوح الى السلطان الملك العادل وقال: يا مولاناى الملك الكامل قال للنصارى كذا

أو عن طريق مشرفين متخصصين ، يقيمون فى موانى مصر الكبرى مثل : الإسكندرية العظمى ودمياط وعيذاب ، وهذه الأخيرة كانت من أعظم موانى ساحل البحر الأحمر؛ بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع[1] أما، فى الأمبراطورية المملوكية؛ فقد كانت عدن هى المرسى العظيمة من بلاد اليمن ، فظهر لهم فيها موظف اسمه: شاد الكريمى[2] ؛ ولما انحسر نفوذ المماليك فى أخريات دولتهم فيها؛ فإن جدة صارت بالتالى من أعظم مراسى الدنيا لهذه التجارة [3]، وصار للسلطان المملوكى نائب فيها للإشراف عليها.

وقد أصبح لتجارة الكارم أسطول خاص من المراكب ، تسير فى جميع البحار والمحيطات ؛ حيث كان يوجد ما يعرف بمراكب الكارم[4]، التى كانت تتردد على أكثر من عشرين ميناء على ساحل الهند الغربى وجدة؛ فكانت بضائع إحدى سفنهم تقدر بمليون ونصف دينار، الأمر الذى يظهر منه عظم ثروات تجار الكارم ،ولما احتكر المماليك هذه التجارة ، أصبح لهم أيضا أسطول كبير يقوم بنقلها؛ حتى أن الرحالة ابن بطوطة قد ذكر أنه كان لسلطان مصر ٣٦ألف مركب تسير وحدها على النيل، أما ابن شاهين؛ فيقول إنه كان يوجد على ساحل مصر القديمة ما ينيف على ثمانمائة وألف مركب؛ حيث يشرف عليها هيئة من الموظفين،

(١) الخطط ، اص ٣٢٧.
(٢) صبح، ١١ص . ٣٢.
(٣) الخطط ، ١ص ٣٢٧س ٢٤ – ٢٥.
(٤) عطية القوصى، المرجع السابق، ص ٢٠.

وكـذا بماذا يجيبهم (عبدك) المملوك فقال من احضر لى الف دينار قدمته، فخرج وأعلم الجماعة ذلك وكان الحكيم ابو شاكر قد تنجز كتاب السلطان الملك الكامل الى والى الغربية بأن يجمع الاساقفة وينزل حبيس ابيار ويسيره معهم الى ثغر الاسكندرية ليقدموه بطريركاً فلما خرج يومه ذاك من عند ابيه بعد وقوف النصارى له نزل الى مصر ومضى الى منظرته [قصر بحديقة] بالجزيرة وقف له المصريون وقالوا يا مولانا انت كنت انعمت

على رأسهم: شاد المراكب. وخوفاً على الكارم؛ كانت تخصص لحمايته بعض المراكب ، حتى أنه فى أيام الفاطميين خصصت بعض المراكب بعيذاب وسوا كن وما حولها[1]؛ أما فى أيام المماليك فقد كانت بعض قوافل الكارم تقطع بعض الطريق براً ؛ وخصصت لها الجند والخيالة لحمايتها.

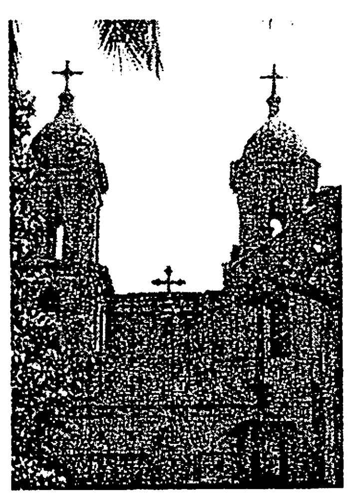
وعلى هذا المنوال ؛ فإن دولة سلاطين المماليك كانت قد نشطت فى التجارة مع ممالك أفريقيا أيضاً؛ عن طريق القوافل مثل: مملكة التكرور ومالى، وسلطنة برنو، ومملكة غانه،ومملكة سنغاى الكبرى، وهذه الأخيرة شملت مناطق واسعة فى حوض نهرى السنغال والنيجر، ووصل نفوذها إلى الحوصا أو الهوسا في وسط القارة ؛ فضلاً عن ممالك النوبة فى جنوب مصر ؛ حيث كانت مصر منفذاً لتجارتها فى القارة. وقد ساعد على ذلك أن ممالك السودان على الخصوص ،كانت على علاقة قوية معهم[2]. فكثير ما أتى إلى مصر ملوك أفريقيا وتجارها؛ كما عثر على العملة المملوكية فى ممالك كثيرة من ممالك السود فى غرب أفريقيا. وقد ترتب على ذلك ان انتعشت مدن فى جنوب الصعيد على الخصوص؛ مثل قوص[3] قرب أسوان، التى أصبحت من أعظم مدن الصعيد ؛ بسبب ورود تجار عدن وأفريقيا إليها.

(١) أنظر. دراج ، عيذاب ،مجلة نهضة أفريقية ، أغسطس ١٩٥٨ .

(٢) انظر حسن محمود . الإسلام فى إفريقية، القاهرة ١٩٥٨ ، ١ص ٢٩١ .

(٣) قوص: يعتبرها ياقوت قصبة صعيد مصر ،وهى مدينة عظيمة ، وأهلها أرباب ثروة واسعة، وهى محط التجار القادمين من عدن. معجم البلدان ، ٧ص ١٨٣ .

علينا ببطرك ونشتهى تمام الانعام. فقال: ما قد قلنا لكم روحوا اعملوا شغلكم. ثم علم لهم على الكتاب واعطاه لهم فاخذه القس أبو المنصور بن القس بو المعانى المرسوم على بيعة القديسين سرجيوس وواخس بقصر الشمع بمصر والاسعد هبة بن صدقة الشماس بكنيسة المعلقة ضامن السمسره بعرصتى الفاكهة بالقاهرة ومصر، وسار بعد ان اخذا معهما بدلة من ثياب البطرك واعطاهما الحكيم بوشاكر شياً برسم نفقة الحبيس



الكنيسة المعلقة بمصر عتيقة.

وقد كانت أهم تجارة المماليك مع ممالك أفريقيا الصناعات الكثيرة التى ازدهرت فى مصر فى وقتهم بشكل لم يعرف من قبل، مثل: تطعيم المعادن والجواهر، أو ما كان يطلق عليه أيضا التزميك أو التكفيت[(١)]، وهو صناعة دقيقة ؛حتى أصبح للقاهرة أسلوب خاص فى صناعة الأوانى النحاسية كالأباريق والمباخر والثريات والطاسات والمسارج، وكذا صناعة السروج التى كان لها سوق خاصة ،وصناعة السجاد، التى بلغت غاية الرقى ، وصناعة الزجاج وإن كان أشهر الصناعات على الإطلاق صناعة الأقمشة، التى كانت تصنع فى مصانع النسيج الحكومية المسماه «طراز» ، أو المصانع الأهلية [(٢)]، التى يملكها الأفراد ، وقد كثرت هذه فى مصر ، وشملت معظم مدنها؛ حتى أن أنواعاً من الأقمشة نسبت إلى مدنها وقراها [(٣)].

وقد كانت الطرق التى يملكها تجار مصر للذهاب إلى أفريقيا ، هى طرق القوافل المعروفة ، مثل : درب الأربعين ، الذى يمر من أسيوط ودرفور، ومنه إلى أواسط القارة وغربها ؛ فقد أصبحت متاجر مصرية كثيرة ، تمر عن هذا الطريق ،كما وجد طريق آخر فى الصحراء الكبرى؛ يمر بواحة سيوة ؛ ويصل مباشر إلى جاو وتمبكت على نهر النيجر ،كما وجد طريق قوافل ساحلى يصل مصر بممالك شمال أفريقيا.

(١) الخطط ، ٣ص ٧١. ، عن هذه الكلمة: انظر، ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) تعرف بطراز العامة، على عكس الطراز الآخر، المسمى طراز الخاصة.

(٣) بتفصيل، انظر. ماجد، نظم المماليك، ٢ص٦٧ ـ ٦٨.

وكان مسيرهما عشية الثلثا فلما اصبح الشيخ ابو الفتوح وبلغه ما جرى قلق وكل من كان موافقه على رايه فعبر الى السلطان الملك العادل واعلمه القضية فكتب السلطان كتابا الى والى الغربية بان لا ينزل الحبيس من مكانه ولا يتغير عن حاله وكتاباً الى والى اسكندريه بان لا يقدم الا من معه كتاباً، وسيّر بهما رسولا جاداً. فلما اتصل بالحكيم الخبر طالع المولى الملك الكامل به فعظم عليه، وكتب كتاباً ثانيا بأن يحضر الحبيس الى القاهرة

وليس أدل على انتعاش الحياة الأقتصادية فى أيام المماليك ،من وجود كلمات كثيرة تدل على ذلك [١]، مثل : دكاكين وحوانيت ومخازن وقياسر وخانات ووكالات وفنادق[٢]، وهذه الأخيرة كانت أكثرها ، تتكون من عدة طوابق، عبارة عن غرف مختلفة ومخازن ،لها فناء داخلى، يحوى على البضائع والدواب، يسكنها غالباً الأجانب ، يرأسهم القناصلة – مفردها قنصل– وهم كبار الفرنج؛ فكانت الفنادق توجد فى كل أنحاه المدن المصرية من الإسكندرية إلى أسوان.

وقد كانت الحرف والتجارات موزعة فى أماكن كثيرة فى الفسطاط والقاهرة ؛ تخصص لها مؤرخون ، آخرهم فى عصر المماليك آق بغا الخاصكى، كاتب السلطان قانصوة الغورى ، الذى ألف كتابه : التحفة الفاخرة فى ذكر رسوم خطط القاهرة[٣]، بعد خمسين سنة من كتاب المقريزى المشهور «الخطط» ، يشتمل على تاريخ: الحارات والخطط ـ أى الأحياء – والأزقة والدروب والخواخ والرحاب – الميادين والأسواق والسويقات والظواهر والأحكار، وهذه الأخيرة هى الميادين المقفولة ، والميادين.

(١) نفسه، ١ ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) هى كلمة أصلها يونانى، دخلت اللغة المصرية، كما دخلت الطليانية باسم: «Fondachi».

(٣) مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس (B.N)، برقم ٢٢٦٥ (بالعربية).

وسيره مع واحد من غلمانه. فأما اولئك فانهم
وصلوا الى المحله فى نهار يوم الخميس واجتمعوا
بالامير فرحب بهم وانزلهم عند كاتبه وللوقت
كتب باحضار الاساقفه. وفى بقية الليلة وصل
كتاب السلطان الملك العادل بالتبطيل. وفى صباح
يوم الجمعة وصل كتاب الملك الكامل باحضاره
فأمر الامير بذلك وسيّر معهم من يساعدهم على
ذلك فلما وصلوا الى الحبيس وكان يوم الجمعة لم
يصلوا إليه [إلا] عشية النهار فانز ل لهم ما ياكلون

كذلك كثرت العملة الأجنبية فى مصر،مثل عمله البندقية المسماة «دوكات»[1] Ducat– نسبة إلى «دوك» – وهو الدوق Doge ، – وعملة بلاد أفرنجة عموماً ،بما فيها فرنسا وايطاليا والأراضى المنخفضة المسماة «الافرنتية»، جمع أفرنتى «Florin» . وقد عرفت العملة الأجنبية فى مصر عموماً باسم «مشخصة» ؛ بسبب صور القديسين وملوك الفرنجة ، المنقوشة على وجهيها . فكان توافر هذه العملة الأجنبية فى مصر[2] ؛ سبباً فى إزدهار نظام الصيرفة فيها ، الذى كان يوجد فى مصر حتى قبل المماليك ؛ بحيث نسمع بكلمة «حوالة»[3]، التى تصرف من قبل السلطان، وتقبض فى يوم معين، أو «صك» ، وهو التعبير الأصطلاحى المتداول فى جميع أنحاء الدنيا إلى الآن؛ ليعنى شيك الصرف «cheque»،.

ولكن الأزدهار الإقتصادى فى عصر المماليك حدثت له نكسة قضت عليه تدريجياً؛منها الغزو المغولى الذى فتح طريق آسيا إلى أوربا مباشرة ، وبخاصة أنه ربط بين الصين والهند بالمسالك البرية إلى البحر الأسود ؛ فانتعشت نتيجة لذلك محطات للقوافل فى آسيا ؛ حتى أن التاجر البندقى المشهور ماركوبولو Marco polo ، عرف طريقاً برياً إلى الصين ووصف غنى النواحى التى مَر بها، مثل مدينة سمرقند، مما شوقّ الأوربيين اليها. وقد أصبحت للمدن

---

(١) انظر. رحلة طافور Pero Tafur ، ترجمة وتقديم حسن حبشى، دار المعارف ١٩٦٨ ، ص٤٢ .
(٢) صبح، ٣ص ٤٤١ ـ ٢ . الدوكات بالطليانية «ducato»، والفلورين «Florino».
(٣) السلوك، ١/٢ ص٤ ١٠٤ ص٤؛ انظر. ماجد، نظم المماليك ، ١ص٨٥.

وهو رجل معروف بكرم وخير فباتوا عنده يروضونه
فلما اصبحوا راودوه على النزول وكان حاضراً
هناك اسقف ابيار فقال له امر السلطان ما يخالف
فقال له يا ابى اكتب لى خطك بأنك أذنت لى
بالنزول وان هذا الحبس [المغارة] لى متى عدت
اليه سكنت به بلا مانع. فكتب له خطه بذلك.
ثم قدس القس بومنصور على الهيكل الذى هناك،
ودفعوا القربان اليه فتقرب على جارى العاده ودلى
قفة من عنده وجلس فيها ونزل باكياً ومن كان

الايطاليه، مثل جنوى والبندقية وحتى بيزنطه، موانى متعددة على هذا البحر، تتاجر فى حاصلات الصين والهند منها مينا كافا «Kaffa» ؛ التى كانت لجنوة، وأطرا بزندة – طرابيزون– التى كانت لبيزنطة[١].

إلا أن الضربة القاضية للازدهار الاقتصادى أتت على الخصوص ؛حينما قامت دول أوربا باستكشافات بحرية كان قصدها البحث عن طريق بحرى إلى الهند والصين غير طريق البحر الأحمر، الذى يقع فى أملاك السلطنة المملوكية ؛فخرج من أبناء أوروبا مغامرون لاستكشاف االبحار ؛ بما فيها المحيطات المجهولة.

ولعل أول من تطلع إلى كشف طريق بحرى جديد للهند ، هم الأسبان فى الجزيرة الأيبيرية ، الذين كانوا قد تخلصوا من سيطرة العرب فى بلادهم وذلك بالتوغل فى المحيط الأطلسى ، الذى تطل عليه بلادهم.

فنذكر من مستكشفى الأسبان الكبار كريستوف كولمبوس «christophe columbus» ، الذى هو إيطالى الأصل من جنوة .

(١) رحلة طافور، ص١٣٠ وما بعدها. عن الأخيرة: معجم البلدان، ١ص ٢٨٣ . يذكر طافور أنه كان يجلب إلى كافا كثيراً من أصناف التجارة كالتوابل والذهب واللالىء والأحجار الكريمة، وبخاصة الرقيق، رحلة، ص١٣٣، ١٧٥ .

حاضراً من اهل البلد متأسفين لاجل فرقته معترفين بأنهم فى بركته فأخذوه وساروا وكان بغير نعل فخلع والى ابيار سرموزته من رجله وسأله ان يلبسها فلم يفعل. وكان غلامى المولى الملك الكامل محتفظاً به مانعاً احداً ان يقربه فوصلوا الى قليوب فى بكرة يوم الاحد فدخلوا الى الكنيسة واجتمع اليهم جمع كبير حتى ان القس بوالمنصور حدثنى انه قدس ذلك اليوم وانه حمل ثلاث عشر قربانه [قربانا] وقرب يسيراً يسيراً وفرح به الناس



(*) فاسكو دى جاما البرتغالى

كذلك شعب البرتغال المجاور للأسبان، المعروف للعرب أيضاً باسم بلاد لشبونة (Lisboa)؛ وقد بدأ هو الآخر يظهر له كيان خاص فى الجزيرة الأيبرية؛ نتيجة لضعف المسلمين فيها.

فلعل أشهر مستكشفيهم هو فاسكودا جاما Vasco de Gama، الذى كان قصده استكشاف طريق للهند، عن طريق أفريقيا، فخرج فى أسطول فى عام ٩٠٢/١٤٩٧ وسافر فى ثلاثة مراكب، هى : سان جبرييل ،وسان روفايل، وسان ،ميجل؛ فاستطاع أن يكشف طريق رأس الرجاء الصالح ،ويذهب إلى موز مبيق وجزيرة مدغشقر.

كذلك أسهم البرتغال بمستكشفين مشهورين آخرين لطريق الهند هما: ماجلان Magellan، الذى أرسل للبحث عن جزائر التوابل، واشترك فى توسيع رقعة البرتغال فى الشرق الأقصى منذ عام ٩١٧/١٥١١ ،وهنرى الملاح Henriمن قبل، الذى قاتل المسلمين فى مراكش فى ٨٦١/١٤٥٦، وكان يأمل أن يتوصل إلى طريق الهند، حتى أنه فى سبيل ذلك أنشأ شبه معهد جغرافى، يستقبل كل من يجوب فى البحار، ويسألهم عن رحلاتهم ،وكان فى رأية أن الاستكشافات يجب أن يتبعها نشر المسيحية.

وقد قدر المماليك فى مصر خطر وصول الأروبيين إلى الهند، حتى أنهم أقنعوا مهراجات فى الهند، بخطر تواجد البرتغاليين فى القارة الهندية؛ فما كان من أحدهم إلا أن حبس فاسكودى جاما وعذبه ،وربما أيضاً بسبب أنه لما وصل البرتغاليون إلى قرب كلكتا أساءوا التصرف بسوء أخلاقهم أمام آلهة الهنود .ولكن لأسباب خفيه أطلق المهراجا سراحه، وعاد فاسكو دى جاما بأسطوله إلى بلاده ،بعد أن حمل سفنه بخيرات الشرق، وما لبث أن عاد مرة

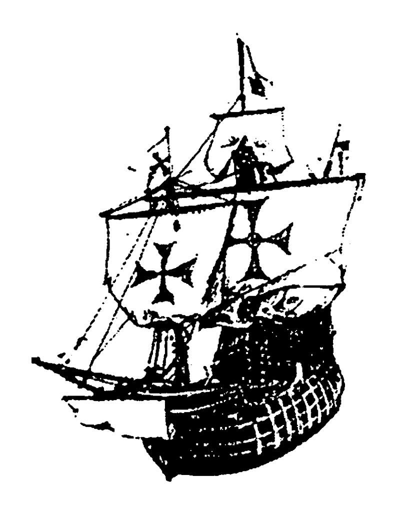
فرحاً عظيما واضافوه فى قليوب ضيافات كثيرة ثم خرجوا الى ان وصلوا الى تحت القلعة فجاء اليهم الامير شمس الدين اخو والى القاهرة فافرد الحبيس منهم وقال لهم: يا نصارى قضيت حاجة السلطان امضوا الى سبيلكم فتركوه ومضوا، وبعد رواحهم اركبه على بغلة وامر الرسول الذى معه ان يعيده على فوره الى مكانه، فاخذه من ساعته ورجع به واعاده وطلع به الى جبّه [مغارته] وسكت الناس وانقطع القول بسبب البطرك مدة.

أخرى إلى الهند بأسطول جديد، مزود بالأغراض الإستعمارية، مما جعل بعض ملوك الهند المسلمين ؛ ينزعجون من وصول البرتغاليين إلى بلادهم؛ حتى أن أحد ملوكهم وهو مظفر شاه، أرسل إلى سلطان مصر الغورى، يطلب منه تقليداً من خليفة مصر فى رمضان ٩١٨/٥١٢ بحيث أصبح عيناً له؛ يخبره بأطماع البرتغاليين . ولدينا مراسلات متبادلة بين المماليك وصاحب دهلى من البلاد الهندية، أو حتى من كان يقال له: صاحب الهند [١]، الذى أصبح له أرشيف فى ديوان الإنشاء.

وبالفعل ؛ فإنه أمام الخطر البرتغالى ؛ كان سلطان مصر الغورى قد اتخذ بعض خطوات عملية ؛ إذا كان يقدر الأطماع الإستعمارية فى الهيمنة على البحار ، بالإضافة إلى المنافسة على تجارة التوابل؛ فسعى إلى تحصين المراكز المتقدمة فى البحر الأحمر،مثل : عيذاب[٢]، وأقيمت الأبراج فى بندر جدة[٣] المينا الهام بتجارة التوابل ،كما سعى إلى إعادة نفوذ المماليك فى اليمن ؛ فحارب الشيخ عامراً متملك عدن[٤].

(١) مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس .B. N، برقم .٤٤٤٠، ورقات ٣٩ب وما بعدها.
(٢) عنها، انظر. معجم البلدان، ٦ص ٢٤٦.
(٣) عنها، انظر. نفسه، ٣ ص ٦٧ ـ ٦٨. كان يوجد فيها موظف اسمه شاد جدة. السخاوى، التبر المسبوك، ص١٧٥ ـ ١٧٦.
(٤) ابن إياس، ٣ ص ١٣١ ص٢١ ـ ٢٢.

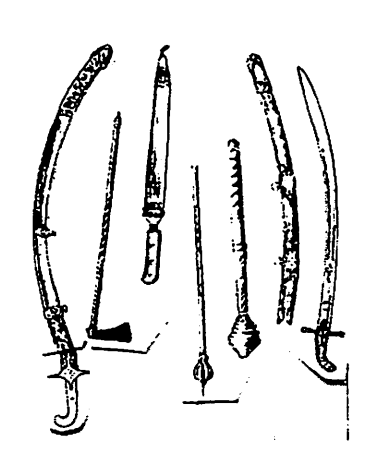
وفى هذه المدة جرت امور منها ان امير من الامرآء يعرف ببها الدين شريحا كان له كاتب يعرف بالسنى ابى المجد بن سنى الدولة وكان هذا الامير قد راح الى اليمن وكانت له هناك جارية محرومة [من الكنيسه] وكان هذا الرجل المسكين يمنعها التطرف الى التبهرج وفعل ما لا يجب فكرهته وعلمها الشيطان ان مضت الى والى القاهرة وذكرت انه راودها عن نفسها فانفد حبسه



(*) أحد سفن الكشوف الاسبانية.

وفى الوقت نفسه : فإن نائب جدة،الأمير حسين الكردى، أرسل الريس سليمان إلى الهند ، الذى كان قد سبق له أن استولى على بعض مراكب الفرنجة، الذين يقطعون مسالك التجارة ، وفتح عدة بلاد فى الهند[١] ، وجاء بأسرى، وغنم مالاً كثيراً.ومع ذلك؛ فابن إياس يذكر رواية ثانيــة[٢] ؛ أن هذا الريس كان قد دخل فى نزاع مع حسين الكردى؛ وربما يكون قتله[٣] ، كما يذكر أن مراكب للمسلمين ؛ كانت قد بنيت فى السويس ؛ وأستعرضها الغورى؛ وقت نزولها ،وشحنت بعسكر الطبقة الخامسة[٤]، أى من المصريين وسودان مصر ، الذين يستخدمون المدافع والبنادق فى القتال ؛ كانت قد غرقت قرب الشاطئ الغربى للهند؛ فلعل غرقها جاء نتيجة لمهاجمة الأسطول البرتغالى لها ؛ وهو ما يعرف باسم معركة ديو البحرية[٥]

(١) نفسه، ٢ ص ١٣١ ص٢٣ وما بعدها.
(٢) نفسه، ٣ص ٧٧ ص١١ وما بعدها.
(٣) نفسه، ٣ص ١٣١ ص١٩.
(٤) عن هذا التعبير الاصطلاحى، انظر: نفسه، ٣ ص١٣١ ص٢٣ ؛ وبعده.
(٥) عن ذلك، انظر: The Commentaries of the Graat Alfonso Albuquerque, translated from the Portuguese, edition of 1774, by Walter de Gray. Birch, Part I, P. XII - XLI, 58-9, PartII, p. IXVII - IXIII؛ انظر كذلك أحمد دراج؛ المماليك والفرنج، فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، القاهرة ١٩٦١ ، ص١٣٧ وهامش ٢٤٩ . ربما كانت هذه المعركة فى ٣ فبراير ١٥٠٩ ، وتقع على الساحل الغربى للهند.



(*)سيوف وبلطه ومقمعتان

وشاور عليه السلطان وجرت عليه شدة وبعد هذا لطف الله به وتخلص وكان صاحبه هذا مسافراً فلما وصل فى هذه المدة خرج اليه فلقيه على حلوان وسار قدامه فلحقه وضربه بالسيف فقطع عمامته وشج راسه وضربه ضربة اخرى فلقيها بيده فانجرحت يده ووكل به من يحضره الى داره ودخل الى القاهرة وهو صحبته واعتقله فى داره وضيق عليه وبقى عنده مدة الى ان عمل له حسابه

(Dia). وبالفعل بعدها ؛ فإن البرتغاليين أخذوا يعيشون فى البحر الأحمر؛ وهاجموا بندر جدة[1] ؛ وخيف أن يملكه الفرنج ؛ سيما لأنه من ناحية مكة.

ولا شك أن أنشغال الغورى ؛ومن بعده طومان باى؛ بحرب العثمانيين؛ ثبت أقدام البرتغاليين فى الهند؛ وحتى فى أماكن إسلامية فى الخليج العربى مثل عمان؛ فكان هذا من شأنه أن يقضى على تجارة المماليك فى الشرق ؛ مما قوض بالتالى دعائم اقتصادياتها فى أخريات أيامها.

*

وفى الوقت ذاته؛ كانت مصر تعيش أسوأ احوالها المعيشية نتيجة للمجاعات المتعددة؛ حيث لايهمل المؤرخون الإسلاميون ذكرها ؛ على أساس أنه لاسبيل إلى إهمال أمرها، لنتائجها المؤثرة ؛ فقد أنهكت المجاعات مصر طوال العصر المملوكى ، وزادت على الخصوص فى أخرياته؛وكان أغلبها يحدث بسبب توقف النيل عن الفيضان ؛ فيتوقف الزراع عن الزراعة ، وتقل الأقوات؛ وترتفع اسعار القوت الضرورى للشعب ؛وعدم استطاعتهم حتى ولو كانوا من الأغنياء شراءها ، بحث تكون النتيجة اختلال كل شئ[2].

(١) ابن إياس، ٣ص١٦٩ ص١٥ وما بعدها. كان فى سنة ٩٢٣/ ١٥١٧.

(٢) انظر. المقريزى، إغاثة الأمة، ط٢.

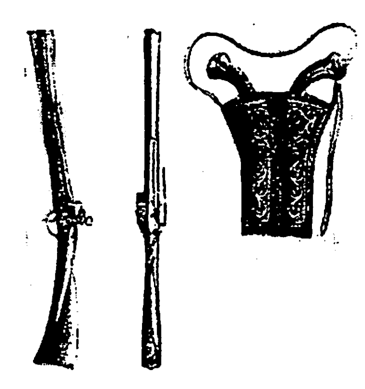
واقتضى منه ما يريده وبعد ذلك منع من كان يتردد اليه من نظره يومين ثلثه، ثم لما كان بعد ذلك جاووا اليه بشى ياكل على جارى العادة وكان غلمان الامير كل يوخذون منهم ذاك ليطلعوا به اليه فلم ياخذوه منهم ذلك اليوم بل قالوا لابنه وغلامه صاحبكم مات من يومين تعالوا خذوه فعادوا بالويل والخراب واجتمع اخوه واولاده وجماعة من النصارى ووقفوا للمولى الملك الكامل


(*) اسلحة نارية اخترعها المصريون وقت سلطنة الغورى ومن قبله ومنها انتقلت إلى اوربا والعثمانيين

وكان يصاحب هذه المجاعات تفشى الأوبئة ،وبخاصة وباء الطاعون، الذى كان أشهر الأوبئة منذ العصور القديمة؛حتى أن بعض الطواعين اشتهرت فى التاريخ ؛ ولعل أقواها تلك التى حدثت فى عصر المماليك بالذات ، وهى تأتى طبعاً من كثرة الفئران؛ بحيث ظهر فى إحدى المدن فى الصعيد فئران كثيرة ، تخرج عن الإحصاء ؛ بحيث قتل منها ما يبلغ ٣١٧أردباً، واعتبر الأردب ٨٤٠٠فأراً[١] . فكان أشهرها الطاعون المعروف بالأسود،الذى لم يكن فى مصر وحدها، وانما انتشر فى العالم كله، وهو الطاعون الذى أفقد انجلترا نصف سكانها، واشتهر فيها باسم «Black Death» ، أما فى مصر ؛ فقد استمر سبع سنوات بداية من عام ١٣٩٤/٧٩٦[٢] ؛ ففى كل يوم كانت فيها صور محزنة وقاسية ؛ فيخرج ما ينوف على عشرين ألف ميت؛ يدفنون بدون غسيل أو كفن ؛ فتحفر لهم حفرة يلقى فيها الموتى من البشر ومعهم القطط والكلاب والخيل والجمال وحتى الطيور وغيرها ؛ إذ امتد الطاعون إليها أيضاً ؛وخلال ذلك لم تزرع الأرض ؛ بسبب موت الفلاحين ؛ حتى أن القرى المصرية التى كان عددها عند غزو العرب عشرة آلاف ؛ فإنها فى عهد المماليك أصبحت «لا تزيد على حوالى ألفى قرية فقط[٣]» .

(١) السلوك، ٢ص١٥٧ .
(٢) ابن إياس، ١ص١٩١ ص٣ وما بعدها. مات تسعمائة ألف إنسان (ص٥).
(٣) الخطط، ١ص ١١٦ ـ ١١٩ .

عند حضوره الى خدمة ابيه عشية الخميس فلم يجيبهم بكلمة فقعدوا عند دار السلطان الى ان خرج فرجعوا وقفوا له فقال: بينكم الشرع فألحوا عليه فقال ادفنوا ميتكم فخرج بعض الجماعة ومن فيه مرؤه ليلا كما هو وحصّل له تابوتاً واحضر الحمالين ومضوا الى الموضع الذى كان فيه فوجدوه المسكين وقد انتفخ ووجهه اسود ولسانه مدلى على صدره ولا شك انه خنق فحملوه بعد



(*) بندقيتان وغدارتان

وكان يزيد من البلاد فى مصر، وقوع الزلازل، التى أصبحت مصر أحد مراكزها فى عصر المماليك،واستمر إلى أوائل العصر العثمانى ؛ فكانت تتساقط البيوت ومآذن المساجد،ويبدو أنه من كثرتها أصبحت موضوعاً للبحث فلدينا رسالة اسمها: تحصين المنازل من هول الزلازل[١]؛ يبينّ فيها المؤلف أسباب وقوع الزلازل، ويرجعها على الخصوص إلى التجاهر بالمعاصى؛ فكان مثل هذا القول هو تدهور للمفهوم العلمى الذى عبر عنه من قبل الفليلسوفين: الكندى أو ابن سينا عن أسباب وقوعها.

وفى أول الأمر، كان سلاطين المماليك يعالجون هذه المصائب بطريقة عملية؛ فيهتمون على الخصوص باستصلاح الأراضى، ويحفرون الخلجان، ويذهبون لذلك هم وجيوشهم للقيام بها[٢]. ولكن بعد ذلك، وجدناهم لا يتدبرون المستقبل، ويكتفون أمام هذه الأهوال بصلاة الاستسقاء، وهى الصلاة التى هى عبارة عن دعاء؛ لكى يزيل الله الكرب عن البلاد؛ فكان

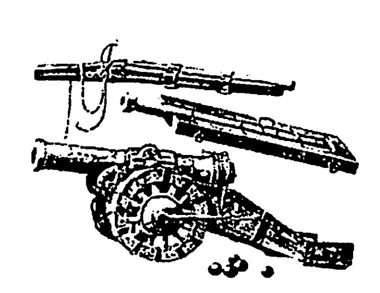
(١) تأليف على بن محمد الجزار (حوالى ٩٨٤/ ١٥٧٦)، انظر:

Traité de la fortification des demeurs contre,: Anwar Tâhir L' horreur des séismes Annales Islamologiques txll., 1947,. P. 131 Sqq.

مثل: ما ظهر من الدليل فى الحوادث والزلازل، توقف فيه إلى عام ٩٩٦/ ١٥٨٨. كذلك لدينا رسالة أخرى من السيوطى بعنوان: كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، استكملت برسائل أخرى. مخطوط بالمكتبة الأهلية. B.N. برقم 4058.

(٢) ابن حبيب، درة الأسلاك فى دولة الأتراك، مخطوط فى .B.N، برقم: ٤٦٨٠.

جهد عظيم وخرجوا على حالهم الى [بركة الحبش ودفنوه وترددوا اهله بعد ذلك الى السلطان وهو لا يخرجهم من الشرع فاحتسبوه فى سبيل الله وشكروا الله المحمود على كل حال وسكتوا فالله لا يخلينا من معونته ولا يدخلنا التجارب.



(*)مدفعيه محمولة على عجل لاستخدامها فى الحصار.

وفى اثنا هذه المدة كان صبى نصرانى صعيدى يعمل فى بعض معاصر الزيت الحار وان انسانا من المسلمين اتهمه بابنه وكان صغير السن وذكر انه

السلطان بنفسه يقوم على رأس المصلين بها، أو يفوض القضاة للقيام بها، كما تخرج فئات الشعب من القبط واليهود بالأناجيل والتوراة لمشاركة المسلمين فى إزالة الكرب، وقد حملوها فوق رءوسهم. ومن الطريف أن نذكر أن ابن إياس لاحظ أنه حينما قام المصريون بصلاة الاستسقاء من الطاعون المشهور، زاد الوباء [١]، كما أن المقريزى يرجع هذه الأهوال التى كانت تحل بالشعب المصرى إلى غفلة الحكام عن صالح الرعية[٢]؛ فالمشكلة ليست دينية؛ وانما بالأولى تعود إلى سوء الإدارة والإهمال، الذى ساد فى البلاد.

* * *

هذه الأحوال السيئة فى مصر ؛ جعلت البلاد والدولة المملوكية ذاتها ؛ فى أشد حالات الإعياء والإنهيار؛ فكان ذلك من سوء حظ طومان باى، الذى تولى السلطنة ؛ عقب تراكم جميع هذه العوامل السيئة.

الصراع بين طومان باى وسليم

والواقع إن موقعة مرج دابق بين المماليك والعثمانيين ؛ قررت مصير الشام قبل مصر، وهى البلاد التى كان المماليك والأيوبيون والفاطميون قبلاً قد جاهدوا فى سبيل وحدتها مع مصر ؛

(١) ابن إياس، ١ص ١٩٢.

(٢) انظر. كتابه: إغاثة الأمة للمقريزى، طـ (٢).

حضر اليه وهو على غير الاستوا وانه ذكر ان الفاعل به هذا الشخص. فاعتقل اياما وعرض عليه الاسلام فأبى فاستفتوا فيه الفقها فافتوا برجمه وان يعمل عليه دايره من الناس ويجعل فيها فرجة فان هو خرج وسلم فلا يعارض وان مات كان بحقه ففعلوا ذلك.

فلم يكن استطاعة للتخلص بل ضربه عبد كان لابى الصبى بحجر خبط به فكه فوقع صريعاً

ولكن ابن عثمان ـ كما يقول المؤرخون – أخذها لقمة سائغة؛ إذ سلمت له أغلب مدنها بالأمان؛مما جر إلى أن يدخل فى صراع مباشر مع طومان باى» الذى كان قد أعلنت سلطنته فى مصر، بعد مقتل قانصوة الغورى ، فى فترة حرجة ، تعتبر من أحرج فترات مصر ، فى تاريخها بين الوسيط والحديث.

* * *

ومع ذلك؛ فلانعرف لأول وهلة حقيقة مقصد سليم، بعد انتصاره على الغورى فى مرج دابق،وهل كان ينوى أن يستمر فى فتح الشام ومصر، أو يكتفى بهذا الانتصار،ويعود بعد ذلك إلى بلاده ، سيما وأن المؤرخ ابن زنبل [(١)]، قد أورد أن سليماً لم يكن يريد أن يستمر فى حرب المماليك ، وينوى العودة إلى بلاده ،مثلما فعل تيمور لنك المغولى من قبل، الذى لم يستمر فى نضاله مع المماليك ،كما أنه كان من رأى سنان باشا ، وزير سليم أن يكتفى العثمانيون بأخذ الشام ،وترك مصر لشأنها [(٢)] ولكن إذا كان سليم قد استمر فى حرب المماليك، فذلك راجع إلى تحريض خاير بك بالذات،الذى كان نائباً للغورى فى حلب، وكانت خيانته من أسباب هزيمته [(٣)].

ولكن مثل هذه الأقوال التى رددها بعض المؤرخين ، لاتنفى حقيقة طموح سليم نفسه فى أخذ بلاد الشام ومصر؛ يظهر ذلك بوضوح فى الرسالة التى أرسلها إلى طومان باى بعد موقعة

(١) ابن زنبل، ص٢٨. (٢) نفسه. (٣) نفسه، ص٢٦.

وتواتر عليه الرجم الى ان مات فحمل ودفن
بالحبش وبعده بهنيهه طلع الصبى [العبد] الى
السطح لبعض شانه فوقع من البادهنج وتعلق
ققفص الكيزان فى اضلاعه فوقع ميتا وذكر ان
ذلك النصرانى كان بريأ وان الفاعل للقبيح العبد
الذى قتله فانه لقى شدة عظيمة وهلك. وسافر
الشيخ السنى بوالمجد بن القسيس بو الفرج الى
قوص لانه كان مستوفيها وهو كان اكبر المضادين

مرج دابق ،مكتوبة بالتركية[١]، فحواها أن الله قد اوحى إليه بأن يملكه البلاد شرقاً وغرباً. كما ملكها الإسكندر ذى القرنين من قبل ،ويعتبر نفسه بسبب انتصاره على الغورى ، سلطاناً فى أملاكه ،ويدعوه؛ أن يكون نائباً له من غزة إلى مصر،وأن تكون له فيها الخطبة وسك العملة ،أما هو فيكون له من الشام إلى الفرات.

وعلى كل حال، كانت الخطوة التالية لسليم، بعد مرج دابق ، أستيلاؤه على حلب ، أكبر مدن الشام؛ فيذكر المؤرخون أنه دخلها بدون ممانعة[٢]، وأنها زينت له، وأوقدت الشموع ليلاً؛وذلك راجع إلى أن خاير بك، لما انسحب من مرج دابق ، عاد إلى حلب، وما لبث أن أظهر حقيقة غدرة؛ خلع زى المماليك ، وتزيابزى العثمانيين ، وأصبح يكتب للأمراء المماليك ويرغبهم فى الدخول تحت طاعة سليم، ويعدهم بأن يبقى كل أمير فى وظيفته، ويحفظ له رزقه[٣]؛ بحيث سماه سليم سخرية «خاين بك[٤]»، بدلاً من خاير بك؛ وبذلك أشبه الوزير ابن العلقمى ، الذى خان خليفة المستعصم آخر خلفاء العباسيين فى العراق ، وملك هولاكو بغداد .كذلك قد يكون سهل لسليم أخذ حلب، أن أهلها كانوا غاضبين من الغورى ومماليكة ؛ بسبب أنهم قبل انتقالهم إلى مرج دابق ، أساءوا معاملة أهلها ؛ وفسقوا بنسائهم وأولادهم[٥].

(١) ابن إياس، ٣ص ٨٢ س١٢وما بعدها.
(٢) نفسه، ٣ص ٤٨ (آخر الصفحة).
(٣) نفسه، ٣ص٨٣ ـ ٨٤.
(٤) نفسه، ٣ ص٥١ س٧ وما بعدها.
(٥) نفسه، ٣ ص ٤٩ س٥ وما بعدها.

للقس داود المجاهدين لسببه. وقبض على القاضى الاعز الوزير وخشب [حُبس فى قيد من الخشب] واعتقل بدار السلطان واخذ بو سعيد بن اخت البطرك المتنيح وادخل على السلطان الملك العادل فقال له اريد منك ارث البطرك لانه حشرى(*) فقال يا مولاى لم يكن له شى وقد اشهد على نفسه قبل موته. قال: ذا هذيان اريد ثلثين الف دينار، وامر باعتقاله فى دار السلطان فخافت

(*) الرجل الحشرى هو عظيم البطن والمقصود هنا أنه كان يجمع أموال كثيرة من الناس على سبيل التبرع والهبة من أجل الكنيسة ورعايتها

وحينما دخل سليم حلب، أظهر منتهى القسوة ؛ فقتل كل من التجأ إليها من المماليك ، وحتى رجال الدين ، سيما رجال الصوفية منهم ، الذين كانوا مع الغورى ، وعلى رأسهم أقطابهم، الذين هربوا إليها براياتهم ، فأمر سليم يقتل كل من وقع بين يديه،واحداً بعد آخر ، ولم يرحم كبيراً لكبرة ،ولاصغيراً لصغره[١] ؛ إذ عرف بحبه لسفك الدماء ، فمن قبل قتل أباه وأخوته لأجل العرش[٢]. ويبدو أن أغلب من قتلهم كانوا من أهل مصر[٣] ؛ حيث أصبح من سياسته فى مصر بعد ذلك، لما استولى عليها، أن يقضى على كل مقوماتها الحضارية .ومع ذلك ؛ فقد أبقو على الخليفة وقضاه المصريين، ليستفيد منهم فى عزوته المقبلة لمصر. وإن أهانهم ووبخهم[٤]، ولم يرع حرمتهم الدينية.

ولقد أسرع سليم إلى استثمار نصره بالاستيلاء على مدن الشام الواحدة بعد الأخرى، وخصوصاً أن معظمها قد سلم له بالأمان ، وساعده على ذلك أن عرب الشام لما تحققوا من موت الغورى وثب بعضهم على بعض، ونهبوا زروع الشام ، واضطربت أحواله[٥]. وحتى دمشق، التى قد بدأت المقاومة على يد ابن الحنش، أمير العربان[٦]، الذى أطلق على جند سليم الماء من أنهر دمشق ،لما اقترب منها ؛ فغرق عدد من فرسان العثمانيين ؛ إلا أن أحوال

(١) ابن زنبل، ص٢٥.
(٢) ابن إياس، ٣ ص١٣٦ س٩.
(٣) نفسه، ٣ص ٨٢ س ٢١.
(٤) نفسه، ٣ص ٤٩ س٢٣ وما بعدها.
(٥) نفسه، ٣ص ٦٠ س ٤ وما بعدها.
(٦) نفسه، ٣ص ٧١ س٤ وما بعدها.

نفوس الناس واستوثق الامر للشيخ نش الخلافه وكتب للقس داود بالتزكية من لم يكن يكتب له ولم يبق من الجماعة من لم يكتب له إلا النزر اليسير قوم يعدون. وبعد ذلك وصل القس نصير الراهب الذى كان البطرك انبا يوحنا(*) سيره الى بلاد الحبشه بكتابه بالوصاه على المسلمين الذين هناك والمترددين، كما كان امره المولى الملك الكامل ومعه رسول حبشي اسقف من بلادهم

(*) تولى بطركا بين سنتى ١١٨٩و١٢١٦م.

دمشق كانت قد فسدت ؛ بعد مقتل سيباى نائب الشام؛ بحيث نهبت أسواقها ، واضطر أهلها إلى الخروج عنها؛ فقتل العثمانيون لما دخلوها عدداً كبيراً من أمرائها المماليك ،ومن كانوا قد لجأوا إليها ،غير الرعية[١].

ومع ذلك، فقد حدثت معركة حقيقية في غزة؛ بحيث اعتبر أنه لم تحدث معركة فى الشام، بعد مرج دابق ، إلا فيها ؛ سيما وأن نائب الغورى فيها ،كان قد طلب من طومان باى أن يدرك بالعسكر[٢]. وبالفعل شرع طومان باى فى إعداد الجند، وجمع منهم عشرة آلاف[٣]، فأرسل إليها بعض المماليك الذين كانوا فى الطباق ـ وهى المدارس الحربية المملوكية ـ ولم يكونوا قد اشتركوا فى القتال بعد[٤]،كما أرسل إليها بعض الذين هربوا من الأمر اء ومماليكهم من مدن الشام الأخرى؛ وإن كانت سمة هؤلاء التباطؤ والتراخى والتقاعس؛ بسبب أن طومان باى لم يجد المال الكافى لينفق عليهم [٥]، وأظهر بعضهم الجين ، وأراد أن يهرب من القاهرة[٦]؛ بحيث اضطر طومان باى، أن يظهر أنه يذهب بنفسه إلى قتال سليم [٧]؛

(١) نفسه، ٣ص ٧٤ س١٠ وما بعدها.
(٢) نفسه، ٣ص ٧٩ س٧.
(٣) ابن زنبل، ص٢٩ ـ ٣٠.
(٤) ابن إياس، ٣ص ٨٠ (فى آخر الصفحة).
(٥) نفسه، ٣ ص٨١ س٥ ـ ٦، ٨٤ س ٩.
(٦) نفسه، ٣ ص٨٠.
(٧) نفسه، ٣ ص ٨١ س٢ ـ ٥.

ورجل من اهل اخميم رفيق الاسقف فى الرسالة يعـرف بابى الفـضل ابن ابى المنصـور وعلى يدهم هدية برسم السلطان [الملك العادل] وهدية اخرى برسم البطرك رحـمـه الله فـامـا هدية السلطان فـاوصلوها وامـا هدية البطرك فلم يعلم مـا كـان منهـا. ونزل المذكورين فى دار على البحـر واقـامـوا مـدة ولم يظفـروا بكثير طايل ولا متـوفير قبـول، وانصرفوا ال بلادهم بعد ان شاهدوا من اختلاف

وليستحثهم طلب منهم القتال عن أعراضهم وأموالهم . كذلك أرسل بعض رماة البنادق من أهل مصر وسودانها فى ثلاثين عجلة تجرها الأبقار، أما رماة المكاحل ـ المدافع ـ فقد أرسلهم على الجـمـال[1] ولما أر اد طومـان باى أن يرسل بعض اللصـوص والقـتلة، الذين كـانوا فى السجـون ؛ فـإن ذلك لم يعـجب الناس فى القـاهرة [2]. فـتوجه هذا الجمع غير المتـحمس للقتال؛ بقيادة الأمير جان بردى الغزالى ؛ ووصل إلى مصر ، بعد هزيمة مرج دابق.

أما العثمانيون؛ فقد هجموا على غزة فى أعداد كبيرة مثل الجراد، لايحصى عددهم[3]، بقـيـادة الوزير سنان باشـا[4]؛ إذ كـان سليم قـد ذهب لزيارة بيت المقـدس[5]. وقـد سلحـوا بالمدافع الكثيرة والبنادق ، التى حملت على عجلات خشـب، تسحبها أبقار وجاموس فى أول العـسكر[6].كذلك كان ضمن أسلحتهم رماح بكلاليب يخطفون بها الفارس عن فرسه[7]؛ حتى أن الجند العثمـانين أسقطت جـان بردى الغزالى عن فـرسه ،وكـادوا يحـزون رأسه، لولا غلمـانه الذين خلصـوه. وقد انتقم العثمـانيـون من أهل غزة بسـبب أنهم سـاعدوا المصـريين ، فقتلوا منهم ألف أنسان من الرجال والنساء والأطفال [8]؛ أمـا الممـاليك الذين نجـوا من هذه

(1) نفسه، ٣ص ٨٠ ـ ٨١.
(2) نفسه، ٣ ص ٨٠ س٦ وما بعدها.
(3) نفسه، ٣ ص ٨٧ س١٥ .
(4) نفسه، ٣ ص٨٦ س١٠ ـ ١١ .
(5) نفسه، ٣ ص ٩١ س ٦ـ٧.
(6) نفسه، ٣ ص ٨٧ س١٦ .
(7) نفسه، ٣ ص ٨٧ س١٢ ـ ١٣ .
(8) نفسه، ٣ ص٨٨.

الشعب وتفرق اراهم ووقوع الفتنة بينهم مالا مزيد عليه. وبلغ النيل فى هذه السنة الى [سته عشر ذراع] ثم دخل فصل الخريف فمرض الناس كلهم وكان فصلا شديدا مثل الفصل الذى كان قبله واشد ودخلت سنة ثلاث وثلثين وتسع مايه للشهدا الاطهار وكان الحكيم (*) أبو شاكر ملازما للقلعة بايتاً بها لاجل مرض من بدار السلطان وكانت له منزلة كبيرة وحرمة عظيمة حتى انه كان يدخل

(*) هذا يعنى ان أبو شاكر كان طبيباً وهذا سبب اقامته فى هذه الفترة بدار السلطان فى القلعة.

المعركة ـ وهم قلة ـ فإنهم عادوا إلى مصر، وهم أسوا حال؛ بعضهم جاءها راكباً الحمير، وقد فقد سلاحه وملابسه، أو حتى حافياً.

* * *

وكانت الأحوال فى مصر هى الأخرى فى غاية الكآبة، لما حدث؛ منذ موقعة مرج دابق ؛حتى صار فى كل حارة وزقاق وشارع فى القاهرة صراخ وبكا[1]، على السلطان الغورى وعسكره الذين قتلوا،كما حصل للناس أسى على فقد الخليفة، وتشاءم الناس بأسره؛ خوفاً من أن تزول الخلافة من مصر ؛ وهى التى أقامها المماليك فى مصر منذ توليهم السلطة فيها؛ بحيث اعتبروا ذلك من الحوادث المهولة.

ومع ذلك؛ فقد كان سريان الأشاعات الكثيرة فى القاهرة ؛ السبب الأول فى اضطراب الأحوال فيها؛ سيما أنه بعد هذه الحوادث الجسام ؛وجد بعض العثمانيين فجأة فى وسط القاهرة[2]؛ مما يدل على أن بعضهم فى القاهرة قد سهل دخلوهم إليها؛وإن ادعى هؤلاء أنهم رسل سليم إلى طومان باى، الذى أسرع بالقبض عليهم، وأصدر أوامر بأن لايأوى أحد عنده غريباً [3]؛وإلا تعرض للشنق ؛كما زاد من القيل والقال إن أمرأة قد حاولت قتل طومان باى نفسه بخنجر[4]؛وإن لم تعرف التفاصيل ؛ فلعلها كانت هى الأخرى من جواسيس العثمانية.

---

(١) نفسه، ٣ ص ٥٢ ـ ٥٣.
(٢) نفسه، ٣ ص ٨٢.
(٣) نفسه ٣ ص ٨٣ س١٩.
(٤) نفسه، ٣ ص٩٥.

من باب القلعة راكباً الى الباب الجوانى ولم يكن
احد يدخله راكباً الا السلطان وحده وكان فى
بعض الاوقات يلقى اخوة السلطان واكبر الامرآء
وقاضى القضاة وجلة الفقها رجاله يمشون وهو
راكب فلا ينزل وكانوا يعذرونه لان الامر خرج اليه
بذلك، واما فى هذه المدة مدة المرض فانه كان
يركب فى صحن القاعة الجوانى ويدور على الحرم
من قاعة الى قاعة فمرض فى القاعة التى افردت

بل كادت القاهرة ذاتها أن تخرب ، حينما خرج مماليك الطباق، وقد غضبوا لمقتل الغورى؛ فعمدوا إلى حرق الأسواق التجارية [1]، التى فيها رعايا أجانب ، سيما أسواق الروم (الاتراك)، الذين كان أغلبهم يسكن سوق خان الخليلى، على أساس أن العثمانية قد استولو على بلادهم ؛وأصبحوا بالتالى حكامهم،مما جعل بعضهم فى مصر عيوناً لهم على المماليك ،وكانوا يكاتبون سليما[2]، ولكن طومان باى أسرع فاحتجز مماليك الطباق ، وطلب من الأغوات ـ وهم أساتذتهم ـ أن يراقبوهم ، ويقول ابن إياس عن ذلك ؛ لولا همة طومان باى فى تلك ؛ لكانت القاهرة قد خربت عن أخرها[3].

وزاد من مشاكل القاهرة ، أنه بعد هزيمة غزة بالذات ، هاجر إلى القاهرة أهالى الشرقية وبلبيس[4]؛ خوفاً من النهب والقتل من العرب، إذا تبع ذلك أن قلت الأقوات ، وارتفعت آسعارها ،وقل الدقيق والخبز ، وتعطلت الطواحين[5]؛ مما جعل طومان باى يغير المحتسب ، وهو الموظف المختص بالسوق والتسعير.

يضاف إلى ذلك أن أحوال طومان باى نفسه فى مصر ، كانت هى الأخرى غير مستقرة؛ بسبب أن أمراء المماليك الذين قدموا من الشام بعد هزيمتهم ، طمعوا فى أن يتولوا السلطنة

---

(١) نفسه، ٣ص ٥٤ ـ ٥٥.
(٢) نفسه ٣ ص ٧٧ س٢٣ ـ ٢٤.
(٣) نفسه، ٣ ص ٥٥ س٢.
(٤) نفسه، ٣ ص ٩٤ ص٢٤.
(٥) نفسه، ٣ ص ٩٦ ص٧.

له بالقلعة واقام ايام وتوفى الى رحمة الله فحمل
على سريره الذى كان عليه الى الخندق وجنز هناك
ودفن ال جانب اخيه ابى سعيد فى كنيسة بالدير
المذكور واشتمل السلطان على ابن اخيه وابن ابنه
وامرهما بالملازمة واحلهما محله لانه كان علمهما
ورجحهما لذلك قبل موته. ثم بقى الحال على ما
هو عليه الى طوبه(*) فاستدعانى الشيخ نش
الخلافه وقال نريد رقعة للسلطان بسبب البطرك،

(*) طوبه: اواخر ديسمبر أوائل يناير [بحسب التقويم الجولياني].

من دونه ، مثل الأمير سودون رئيس نوبة النواب،الذين كان على رأس حرس الغورى[١]، وحتى جان بردى الغزالى الذى كان نائب حماة فى الشام ؛ فإنه سعى هو الأخر إلى أن يتسلطن فى دمشق قبل قدومه إلى مصر؛ لولا رفض الأمر اء[٢]، ولكن لما وجد هذان الأميران وغيرهما أن طومان باى قد تسلطن بالفعل ، بمساعى المصريين بالذات ؛ ووزع منصب الدولة؛ فأنهم قبلوا له الأرض .وحلفوا له[٣].

ومع ذلك، فإن طومان باى اضطر أن يسجن بعض الأمراء المماليك القادمين من الشام، سيما الذين سلموا قلاعهم بدون قتال ،مثل قانصوه الأشرفى نائب قلعة حلب، الذى سلمها من غير حرب وهرب ، على الرغم من أنها كانت تحتوى على ذخائر مصر ومالها ، فوبخه ثم سجنه[٤]، ولكن تمكن بعضهم مع ذلك من أن يهرب إلى سليم ،كما حاول جماعة منهم مثل قاسم بك[٥]، الصبى الصغير من أسرة سليم ، الذى كان قد لجأ إلى مصر،وكانت هناك إشاعة أن غالب عسكر العثمانين كانوا يميلون له؛ ما جعل طومان باى يسكنه معه فى القلعة.

(١) نفسه ، ٣ص٧٠، ٧١ يسمى أيضاً رأس نوبة الأمراء؛ ولمكانته فى البلاط سمى بالأخ أو الجناب الكبير؛ ويبدو أن كلمة نوبة مشتقة من النوبات التى تعنى من يؤدون عملهم فى نوبات معينة.

(٢) ابن زنبل، ص٢٢. (٣)، نفسه، ص٢٥.

(٤) ابن إياس، ص٥٧ س٤.

(٥) نفسه، ٣ ص ٧٧ (فى آخر الصفحة)، وهو ابن أحمد بك أخو سليم، الذى قتل.

فقررنا مسودة رقعة مضمونها ان مولانا قد انعم على كافة الخلق وقوّم كل فاسد وبقى المماليك مختّلي الاحوال بغير بطرك ويسئلون النظر فى حالهم. واخذها فعرضها على السلطان وكان قبل عيد الفطر فقال بعد العيد ننظر فى حالهم، فلما كان في يوم الجمعة الثامن عشر من طوبه(*) الموافق الثالث من شوال تقدم الى السلطان وقال يا مولانا النصارى يطلبون مراحم السلطان بما

(*) ١٣ يناير [١٤ بحسب التقويم الجوليانى]. سنة ١٢٦١م = ٩٣٣ قبطية = ٦١٣هـ .

- -

وحتى المماليك الجلبان ، أثاروا لطومان باى متاعب كثيرة . فبعد موت أستاذهم الغورى ،لم يعد لديهم وازرع لطاعة طومان باى، وسعى بعضهم إلى أن يولى سيدى محمد بن الغورى السلطنة (١)، بعد عودته من الشام. وقد أراد طومان باى أن يضع حداً للانقسام فى صفوفهم؛ بقتل سيدى محمد هذا ؛ إلا أنه لم يستطيع ذلك، وأن أهل دمشق كانوا قد رفضوا سلطنته أيضاً (٢).

حقا وإن كانت بيعة طومان باى للسلطنة شرعية؛ بناء على التوكيل الذى أظهره يعقوب، أبو الخليفة المتوكل على الله، الذى أسره سليم فى مرج دابق؛ إلا أن يعقوب هذا لم يستطع أن يتخذ لقب الخلافة، ولم يلبث المتوكل نفسه أن أصبح بوقاً للسلطان العثمانى، يدعو إلى شرعية حكمة(٣) وبالفعل ؛ كان سليم قد أرسل إلى طومان باى، قبل دخوله مصر؛ أن الخليفة والقضاة قد بايعوه ؛ فضلاً عن أنه ملك إلى عشرين جداً ، بينما طومان باى مملوك يباع ويشترى ،ولاتصح له ولاية(٤).

وحتى عربان مصر، سيما قبيلتى غزالة وهو ارة، الذين كان طومان باى بعد إعلان سلطنته قد خلع على مشايخهم ، وطلب منهم أن يأتوا صحبته جماعة من فرسانهم، حتى ينضوا

---

(١) ابن زنبل، ص٢١.

(٢) نفسه، ص٢٥.

(٣) انظر، بعده.

(٤) ابن إياس، ٣ص ٨٣ س١٦.

وعـدهم به من النظر فى حـالهم. فـقـال: نعم اجمعهم حتى نقرر حالهم. فقال: يا مولانا ومن هو انا، هؤلاء ارباب بيوتات وما يلتفتون الى بل يأمر مولانا وال مـصر ووالى القاهرة ينذرهم ليحضروا بين يدى مولانا فى اليـوم الذى يعينه. وخـرج من عنده فى شغل طلبـه منه فوجد والى مـصر على الباب فعاد اليه: وقال يا مولانا هو ذا والى مصر برا ان كان مولانا يامره بشىء فذاك اليـه، قال: نعم صيحوا به. فاستدعاه وامره ان يجمع النصارى

للعـسكر[1]، «ونزلوا الجيزة بالفعل؛ بمكان اسمه الرملة – إلا ان طومان باى خاف منهم، وعدل عن ذلك ،مع أنه كان قد استعرضهم ؛ بسبب أن سليماً أصبح يكاتب مشايخهم ،مثل أحمد بن بقرشيخ غزالة[2] ،كما أن العربان عموماً بعد انكسار غزة على الخصوص ، لم يعودوا يخافون الجراكسة ، وبدأوا يقدرون أن دولتهم فى طريق الإنقراض[3] ، وأكثر من ذلك ، أنهم عمدوا إلى نهب البلاد حتى اضطر أهالى الشرقية وبلبيس إلى الهجرة إلى القاهرة كما ذكرنا ، هرباً منهم؛ أكثر من خوفهم من العثمانيين الغازين.

وأخيرا ، فإن طومان باى لم يكن يجد المال اللازم للصرف على العسكر والسلاح . فقد كان الغورى أخذ معه كل مال مصر، الذى بلغ مائة مليون – ألف ألف ـ غير التحف[4]، وتركه فى قلعة حلب، تحت أشراف ابنه سيدى محمد ،وحتى أمراء المماليك، الذين ساروا معه، كانوا قد أخذوا معهم معظم أموالهم [5]، وتركوها أيضاً فى حلب ؛ بحيث ان ما حصل عليه سليم لما دخل حلب لايحصر ولاينضبط . وفى أول الأمر ظن طومان بأى أن سيدى محـمد[6] ،كان قد أحضر بعض المال،ولكن تبين له أنه ترك كل شئ؛ وجاء إلى مصر فاراً

(١) نفسه، ٣ ص٨٨.
(٢) نفسه، ٣ ص ٩١ س٢٠.
(٣) نفسه، ٣ ص٨٨.
(٤) نفسه، ٣ ص٥٠ س ٩؛ ابن زنبل؛ ص٢١.
(٥) نفسه، ٣ ص ٥٠ س ١٥ ـ ١٦.
(٦) نفسه، ابن زنبل، ص٢٤.

(*) ١٦ يناير [١٧ يناير بحـــسب التقويم الجوليانى].

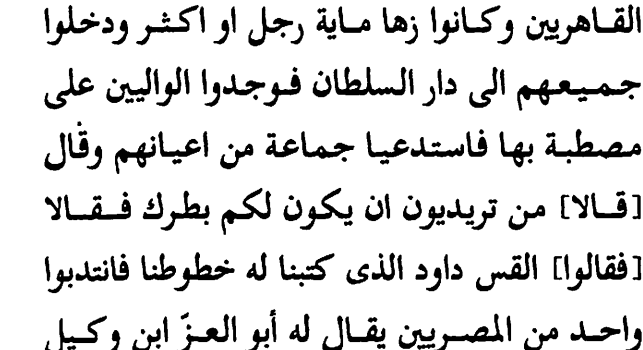
ويحضرهم صحبته يوم الاثنين الحادى والعشرين من طوبه(*) ليتفقوا على البطرك الذى يقيمه لهم، واحضر والى القاهرة وامره بمثل ذلك فأشعروا الناس ليلة السبت وليلة الاحد وليلة الاثنين وعلموا قسيس كل كنيسة ان يعلم جماعته وياخذهم ويحضر فى صبيحة يوم الاثنين. واما والى مصر فسيّر كاتبه وحاجبه الى المميزين [الوجهاء] من اهل مصر يعلمهم بذلك فاجتمع المصريون الى دار امين الدين والى مصر والقاهريون الى باب دار

يجلده . لذلك لم يجد طومان باى لادرهماً ولاديناراً فى الخزائن [١]؛ وحتى المال الذى كان بقى فيها ، قبل خروج الغورى إلى الشام ؛ ربما سرق[٢].

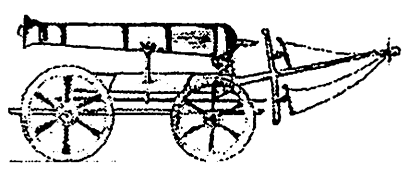
* * *

وعلى كل حال ، يبدو أن طومان باى قد أصبح يقدر أهمية البارود وأسلحته ، سيما و أنه قد سمع بمدفعية النفوط المرعبة ،كما يسميها ابن إياس[٣]– التى كانت السبب فى نصر العثمانيين، فى موقعتى مرج دابق وغزة. فيقول النص ؛ إنه حتى وهو أمير غيبة ، نائباً عن الغورى ،كان قد أظهر همة فى صنع البارود وآلاته[٤]. فلما ولى السلطنة ، بعد مقتل الغورى ، زاد عزمه – فى سبك المكاحل وعمل البنادق [٥]، وربما سعى أيضا إلى جلب بعضها من

(١) ابن إياس، ٣ ص٦٩ س١١ ـ ١٢. (٢) نفسه، ٣ ص ٨٨ (فى آخر الصفحة).
(٣) نفسه، ٣ ص ١٣٣ س٧.
(٤) نفسه، ٣ ص٥٥ س٣. يقول النص عمل طوارق خشب وكفيات وبنادق وغير ذلك. فعن الطوارق؛ فان Dozy (انظر Suppl, 2, P. 40 _ 41)؛ يرى أن هذه اللفظة من الصعب تحديد معناها؛ فقد أتعبت المستشرقين قبله. وفى رأينا؛ فانها أسلحة؛ بدليل أنه كان لها فى أيام الفاطمين فرقة خاصة، تقيم فى معسكر خاص فى القاهرة؛ اسمه حارة الطوارق.
بتفصل، انظر ماجد، نظم الفاطميين، ط٣، ١ ص٢٠٤ وهامش.
أما الكفيات، فهى آلات لقذف. النيران والحجارة.
(٥) نفسه، ٣ ص ٩٣ س٦ ـ ٧.



السلطان. وطلع والى مصر بالمصريين واجتمعوا مع القاهريين وكانوا زهاماية رجل او اكثر ودخلوا جميعهم الى دار السلطان فوجدوا الواليين على مصطبة بها فاستدعيا جماعة من اعيانهم وقال [قالا] من تريديون ان يكون لكم بطرك فقالا [فقالوا] القس داود الذى كتبنا له خطوطنا فانتدبوا واحد من المصريين يقال له أبو العزّ ابن وكيل الجناح وهو شماس من شماسة [الكنيسة] المعلقة



(*) مدفعية ثقيلة تجر بالدواب

صاحب رودس ، الذى أحس هو الآخر بخطر العثمانيين عليه،حتى سرى نبأ بأنه قد أرسل أليه ألف رام من أهل رودس ،وعدة مراكب محملة بالبارود ، وأنها دخلت إلى ثغر دمياط ؛ إلا أنه قد تبين فيما بعد أنها مجرد أشاعة[1] ، وأن هذا النبأ غير صحيح؛مما يدعونا إلى الجزم بأن ما اعتمد عليه طومان باى بالنسبة للأسلحة النارية على ما كان يصنع من مكاحل ، بعضها من النحاس[2] ،صرف عليها جملة من المال؛ حيث عرض بعضها أمامه؛ فكان عددها مائة ،محملة على عجل من خشب ، يسحب كلا منها زوج أبقار،كما عرض مائتى جمل باروداً ورصاصاً ،محملة ألفاً وخمسائة طارقة- جمعها طوارق ـ لعلها أسلحة نارية أيضاً . كذلك جمع مالا يحصى من الرماة بالأسلحة النارية ؛حيث كان جلهم من المصريين والسودانيين كما ذكرنا ؛ الذين يرمون بالمكاحل والبنادق[3] ؛ فكانوا دائمى التمرين : حتى أن القاهرة كانت ترتج لقذائفهم[4] .

وكان من رأى طومان باى أن يهاجم سليماً فى وسط الطريق ؛ولايتركه حتى يأتى إلى القاهرة ؛ على أساس أن صحراء شرقى مصر وقسوتها ؛من الممكن أن تنهك جيشه[5] ، سيما

(١) نفسه، ٣ص ٩٢ س٢٤ وما بعدها. (٢) نفسه، ٣ ص٨٩ س١٠ وما بعدها.
(٣) نفسه، ٣ص ٩٢ س٧. يقول إن بعض المغاربة من سكان مصر ضموا للرماة أيضاً. نفسه، ٣ ص ٩١ س١٣ وما بعدها.
(٤) نفسه، ٣ ص ٦٩ س٦. (٥) ابن إياس؛ ٣ ص٩٤ س١٤ وما بعدها.

وقال: يا مولانا نحن ما نرضى. ووازره [أيده] اخر يعرف بابى الرضا قسيس كنيسة ابى شنوده بالساحل(*) وشعثا. ولم يتكلم غيرهما فنفد الشيخ نش الخلافة الى ابى العز احضره اليه الى الخزانة المعمورة ولاطفه فامسك وبقى بو الرضا على حاله فدخل الواليان على السلطان وعرّفاه اختلاف الجماعة. فقال: احضروا لى جماعة من هولاء وجماعة من هولاء حتى اسمع كلامهم.

(*) أى ساحل مصر القديمة وكانت تطل على النيل مباشرة قبل تراجعه نحو الغرب.

وأنه لم يأت عن طريق الساحل ،مثلما حدث فى غزوات سابقة،ولكن تحت الحاح أمراء المماليك ؛فانه اضطر أن يطرح استراتيجية المعركة ،كما يريدها ،جانبا ،وأجبر على انتظار مجئ العثمانيين .ولذلك لم يجد هؤلاء أى مقاومة فى زحفهم على مصر ،إلا من بعض العربان، الذين كانوا يميلون بطبعهم إلى النهب والسلب، فكانوا يقطعون بعض رؤوس العثمانين ، ويرسلونها إلى القاهرة ؛ لقبض الثمن [1]. ومع ذلك ؛ فإن طومان باى قد أمر بحرق بعض الشون التى تقع خارج القاهرة[2] ؛ حتى لاتقع فى أيدى العثمانيين.

وعلى كل حال؛ استعد طومان باى لمقابلة العثمانيين بجوار القاهرة ـ فى المطرية ـ فى مكان اسمه الريدانية [3]، يقع خارج أسوارها ،من ناحية باب النصر،ويمتد حتى جبل المقطم، عبارة عن بعض البساتين والأسواق ، إلا أنه فى أواخر عهد المماليك ،خرب معظمه ،وأصبح أرضاً جرداء ،خالياً من السكان. فكانت المدافع تنقل من ماسبكها إلتى يجرها ثلاثون أو أربعون من الخيل ،على الجبل الأحمر، وهو جزء من جبل المقطم فى هذا المكان ؛ بينما صغار المدافع،وكان يجرها أربعة من الخيل، قد رضت من الريدانية إلى الخانقاه ؛ إحدى زوايا الصوفيه. فأحيطت هذه الأخيرة وهى ثابتة على الأرض بالحوائط والخنادق ؛ لإخفائها عن

(١) نفسه، ٣ ص ٩٤ س٢٥، ٩٥. (٢) نفسه، ٣ ص٩٥.

(٣) الخطط ١، ٣ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦. نسبة لريدان الصقلى؛ من خدام العزيز، الذى قتل فى أيام الحاكم بأمر الله، فى ٩٣٣/ ١٠٠٣؛ وإن قيل إن الريدانية تعنى الريح لينة الهبوب.

فقال جماعة الذين لا يريدون القس داود: بقى من اصحابنا شيخ وهو كبيرنا قس بحارة الروم القاهرة وهو يسمى يوسف فامر والى القاهرة باحضاره فاحضر وادخل الى السلطان وكان ارشيبابا(*) القسوس بالقاهرة. والقس بركات ارشيبابا القسوس بمصر [القديمة] وجماعة من القسوس وغيرهم فكرر كلا منهم قدام السلطان كلامه وزاد ونقص فزجرهم، واستقر اخر حديثهم ان رضى المصريون بالقس بركات والقاهريون

(*) ارشيبابا القسوس: كبير القساوسة.

العيون ؛ حتى ان السلطان نفسه،كان يحمل مع عمال البناء الحجارة على كتفه لهذا الغرض[1] ؛ ففعلت المماليك مثله .كذلك أمر طومان باى أرباب البضائع أن يحولوا بضائعهم إلى المعسكر[2]، الذى هو فى منطقة نائية من القاهرة ؛ حتى تتوفر الأقوات فيه.

إلا أن المتاعب ما لبثت أن ظهرت من المماليك أنفسهم ، على الرغم من أن طومان باى، كان قد أصدر أمره للذين تجمعوا منهم فى الريدانية، من بقايا المنهزمين فى غزة ، أومنهم فى القاهرة أو غيرها؛ حتى تجمع منهم لدية أكثر مما تجمع للغورى من قبل[3] ؛ بأن يكونوا فى الميدان بكامل اللباس من آلة السلاح؛ إلا أن أغلبهم رفضوا أن يتساموا فى المعكسر؛ فكانوا يرجعون إلى بيوتهم فى المساء.

وحتى الأسلحة النارية المصرية، التى كان من المنتظر أن تلعب دوراً حاسما فى المعركة، لم تقم فيها بأى دور ؛ بسبب أن المدافع كانت قليلة، لم تتعد المائة كما ذكرنا؛ بينما العثمانية زحفت بستمائة مدفع[4]، منها مائة والخمسون مدفعاً كبيراً، وبينما هذه كانت سهلة الحركة، تتحرك على عربات، فى أى تجاه؛ فإن المدفعية المصرية ، وضعت على قواعد ثابتة، وأصبحت غير قابلة للحركة، وزاد الطين بلة، أنها طمرت فى الرمال عمداً زيادة فى إخفائها، وهى

(١) ابن إياس، ٣ ص ٩٣ (فى آخر الصفحة).
(٢) نفسه، ٣ ص ٩٢ س١٤ ـ ١٥.
(٣) نفسه، ٣ ص ٩٢ س ٥ ـ ٦.
(٤) نفسه، ٣ ص٩٣ س١٨ ـ ٢٠.

بالقس يوسف واعترفا بانهما مقدماهما فامسك السلطان القسّين وامر باقى الجماعة بالخروج فخرجوا والتفت الى القسّين فقال لهما: كم يحصل للبطرك كل سنة. فقالا: اربعماية دينار فى السنة. قال فما يفعل بها قالا: ينفقها على نفسه ويتصدق بها. قال: فاى شى كان قبل بطركيته(*). قالا تاجراً. قال: فمن خلف من الورثة قالا: اخته. قال: فكم لها من الميراث. قالا: النصف. وغلطا فى هذا [لانهما كان ضعيفين فى علم البيعة لان

(*) المقصود هنا البطرك يوحنا ٦ المتولى بين سنتى ١١٨٩ – ١٢١٦م.

معمرة[1] حيث قيل إن الذى أمر بوضعها هكذا، هو الأمير جان بردى الغزالى[2] الذى هزم فى موقعة غزة ؛ فيقول ابن زنبل عنه: إنه كان يوجد اتفاق باطنى بينه وبين خاير بك[3]، الذى خان الغورى من قبل. ويبدو أن طومان باى قد تنبه إلى خيانه الغزالى، فى آخر لحظة ؛ فأراد قتله، لولا أن الأ مراء منعوه[4] ؛ لوصول العثمانية إلى الريدانية فى يوم الخميس ٢٩ من ذى الحجة سنة ٩٢٣/٢٢ يناير ١٥١٧ . لذلك لما تدفقت العثمانية من تحت الجبل الأحمر بأعداد هائلة بلغت ٢٠٠ ألف أو أكثر ؛ بقصد الإلتفاف حول المدافع المصرية ، بالتواجد من وراء فوهتها ،ولم توجد فرصة لهذه المدافع لمواجهة العثمانيين ، فلم تنطلق إلا واحدة[5] ؛مما أرعب العثمانيين، الذين ما لبثوا أن أدركوا عجز مدافع المصريين ؛مما جعلهم ينهبون بارودها.

حينئذ لم ينتظر طومان باى، وقصد ومعه شجعان فرسان المماليك إلى معسكر سليم، الذى أقيم فى أول الريدانية ، فوقعت موقعة مهولة[6]، أعظم من الواقعة التى كانت فى مرج دابق،

(٥) نفسه؛ ٣ ص ٩٣ س١١.

(٦) ابن زنبل، ص٣٠، ٥٠.

(٣) ابن زنبل، ص٦٠.

(٤) نفسه، ص٣٠.

(٥) ابن إياس، ٣ص ٩٧ ص٢.

(٦) بتفصيل: أحمد فريدون، ورقات ٦٣٠ ـ ٦٤١ ؛ روزنامه حيدر جيلبى؛ سلطان سليمان إبران سفردينه دائر مخابرات (مخطوط تركى) فى طوب قابى سراى برقم R, 1955 ورقات ١٤٣ ـ ٦٠ ؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، القسم الثانى؛ تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦٤.

شريعة النصرانية توجب للأخت جميع الميراث اذا
لم يخلف غيرها وهما عملا على شرع المسلمين]
فقال: فالنصف الاخر لمن؟ قالا لك يا مولانا. قال:
فانا اطلب منكما نصيبي لانكما مقدما الجماعة.
قالا: نحن ما كنا نكاتره ولا نعلم شياً مما كان فيه.
فقال: هذا شي ما اعرفه. وتشدد عليهما فقالا: لا
يا مولاى اولاد اخته أولى بهذا منّا. فقال: كان له
جماعة اولاد اخت؟ ما نعرف الا واحداً الذى هو
عندنا. قالا: يا مولاى بقى اخر يسما مكارم وهو

إذ اقتحمه بشجاعة نادرة؛ حتى أن المؤرخ ابن زنبل يقول عنه[1]: فقتل عدد لايحصى من أمراء العثمانية وعسكرها، ومعظم الموجودين فى خيمة سليم نفسها، بما فيهم سنان باشا الخادم، الصدر الأعظم؛ الذى بارزه طومان باى وقتله بيده بأن رفعه إلى أعلى رأسه، ثم ألقاه على الأرض بعنف، فطبق أضلاعه بين جنبيه، ثم حز رأسه؛ ربما ظناً منه أنه هو السلطان سليم نفسه[2]؛ وإن كان سليم لم يكن موجوداً فيها وقتذاك.

وقد حزن سليم على وزيره الكبير حزناً كبيراً، واعتبره خسارة كبرى، وفكر في الانتقام وقال: استولينا على مصر، ولكننا فقدنا سنان باشا، خسارتنا فيه لايمكن أن تعدلها دولة. فكانت الجند العثمانية تنتهك حرمة المساجد بدخول الخيل فيها[3]، وطلعت المآذن وصاروا يرمون بالبندق الرصاص؛ بحيث أن معظم قتلى المماليك كانت من رش البندق[4]، حتى قال ابن زنبل عن ذلك: قاتل الله أول من أصطنعها، وقاتل من رمى بها[5]؛ بحيث تمكن العثمانيون من قتل عشرة آلاف من المماليك؛ وبقى طو مان باى فى قليل من المماليك والرماة

---

(١) ابن زنبل؛ ص٣٢.

(٢) انظر: منجم باشا أحمد دره، صحايف الأخبار فى وقائع الأمصار «مخطوط عربى» طوب قابى سراى، برقم ١٩٥٤، ورقة ١١٨٤.

(٣) ابن زنبل، ص٣١.

(٤) نفسه، ص٢٩ ـ ٣٠.

(٥) نفسه، ص٣١.

مقيم بمصر. فالتفت الى الوالى وقال: يحضر الساعة. فاحضر لوقته وترك عند اخيه فى الموضع الذى كان معتقلا به بدار السلطان. ثم التفت اليهما [السلطان] وقال: من تريدان ان يكون لكم بطركا. قالا: يا مولانا نحن لنا عادة ان نعمل قرعة ونكتب ثلثة اسمآء فمن طلع لنا عملناه. قال: فهذا صاحب المحاضر. وكان السلطان قد سير احضر المحاضر. فقالا: يا مولاى ما يجوز عندنا تقديمه لانه ممنوع من مقدمنا. قال: فمن الثلثة

العبيد[1]؛ الذين دافعوا عنه ببنادقهم. فلما تكاثرت العسكر العثمانية عليه ، انسحب إلى طرا[2]، قرية فى نواحى الفسطاط المجاورة ،من كثرة البندق.

* * *

وأول من أخبر سليماً بالنصر فى الريدانية كان خاير بك؛ الأمير المملوكى الخائن، الذى صاحبه فى زحفه على مصر، وأصبح من أقرب أعوانه ، سيما بعد قتل وزيره سنان باشا الخادم. ويبدو أن خاير بك دخل القاهرة قبل سليم ؛ ليستولى على القلعة[3]، التى أخذها بدون مقاومة ؛ إذ لم يكن بها أحد. فلما لحقه سليم، لم ينزلها ، وإن أخذ مفاتيحها ،وفضل أن ينزل بناحية المقياس فى الروضة ،على شط النيل؛ وإن طلب وصفها؛ فقد كانت القلعة مركز الحكم فى عهد الأيوبيين والمماليك، وعرفت فى عهد هؤلاء بالبذخ والترف، بحيث فاقت ما كان معروفاً فى أى بلاط إسلامى آخر.

وبمجرد دخول طلائع العثمانيين القاهرة، شرعوا فى تعقب الجراكسة فى كل مكان،وحتى فى البيوت والمقابر؛فمن كان يقع منهم تضرب عنقه فوراً،وساعدهم فى ذلك العربان؛ بحيث أنه قتل منهم فى يوم واحد ثلثمائه وثلاثون رأساً[4]؛ مما جعل كثيراً من المماليك يتخفون فى

(١) ابن إياس، ٣ ص ٩٧ س١٣.
(٢) ابن زنبل، ص٣٤ . عنها. معجم البلدان، ٦ ص٣٣.
(٣) ابن زنبل، ص٣٥.
(٤) ابن إياس، ٣ ص ٩٩ س١٢.

الذى تعينون عليهم. قالا: الصنيعة اى غالب بن السكرى. قال: ذلك كاتبنا ما لكم معه حديث فمن غيره. قالا: الشيخ بو الكرم رجل من مصر شيخ عالم. قال: ومن؟ قالا: الحبيس الذى بابيار. قال: فاكتبوا اسماهم بخطكم فكتبا. فقال: ومن الثالث. قالا: صاحب هذه المحاضر. قال: فالساعة نفيتموه وقلتم ما يجب. قالا: يا مولاى هذه الرقاع نحن نعتقد انه لا يطلع فيها الا من يختاره الله فما نبالي من كتبنا ونحن نعمل هذا قطعاً للشر لئلا

زى الفلاحين[1]، أو يلبسون ملابس حرافيش القاهرة،وهم صعاليكها أو فقراؤها. كذلك عمد العثمانيون إلى قتل المصريين بوحشية لانظير لها، سيما أن سليماً وهو فى الشام، كان قد هدد إذا ما دخل، أن يحرق بيوتها قاطبة ،واللعب فى أهلها بالسيف[2].

وفى الوقت نفسه، ساد النهب فى القاهرة ؛ بحجة البحث عن الجراكسة؛ بحيث صار الجند العثمانيون ينهبون مايلوح لهم[3]؛ فلم يتركوا خيلاً ولابغالاً؛ ولاأقمشة ،ولاقليلاً ولاكثيراً.ولم يمنع النهب ؛ إلا بعد ثلاثة أيام متوالية، عندها أمر سليم الإنكشارية ـ وهم العسكر الخاص ـ بالخروج من القاهرة ؛ والوقوف على أبوابها[4]. كذلك نادى الخليفة وقضاة القضاة؛ وكانوا قد عادوا إلى مصر مع السلطان سليم ؛ بالأمن والإطمئنان؛ والبيع والشراء[5]؛ كما أن سيدى محمد ؛ ابن السلطان الغورى؛ قابل سليماً، وحلف له؛ وأعطى ورقة الأمان، وأسكنه مدرسة[6].

وقد دخل سليم القاهرة فى يوم الأثنين ٣من المحرم سنة ٢٦/٩٢٣ يناير ١٥١٧، فى موكب حافل، وقد فرشت له على الأرض شقق الحرير تحت حافر فرسه، وكان قدامه الخليفة والقضاة

---

(١) نفسه، ٣ ص ١٠٠.

(٢) نفسه، ٣ص ١٠٠ ـ ١٧.

(٣) ابن إياس، ٣ ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٤) نفسه، ٣ ص ٩٩.

(٥) نفسه، ٣ ص ٩٨، ابن زنبل، ص٦٧.

(٦) نفسه، ٣ ص ٩٩؛ نفسه، ص٦٧.

يبقى فى قلب احد من الجماعة شىء. فالتفت الى الواليين وقال: احضرا الى خمسة من وجوه المصريين وخمسة من وجوه القاهريين. فخرج الواليين فاختارا خمسة من كل فئة كنت انا من خير المصريين. فعبر الجماعة الى قدامه وجلسوا فى الجانبين بين يديه فرفع راسه اليهم وقال: هاذان مقدما كما؟ قالوا: هاذان مقدما كنايسنا. قال: أفلستم راضين بما قرراه. قالوا: حتى نعلم ما هو.

، وقد أحاطت به العسكر بين مشاة وفرسان، حتى ضاقت بهم الشوارع، وقد ـ حملت راياتها الحمراء ـ شعار الدولة العثمانية ـ التى كتب فى بعضها [1]: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً؛ وفى بعضها الآخر: نصر من الله وفتح قريب . كذلك ، أمر الاهالى بتعليق الثريات معمرة بالقناديل الموقدة بطول القاهرة ؛ وأوقدت الشموع على الدكاكين، المسماة الشموع الموكبيات ـ اى الكبيرة ـ وإطلاق مجامر العود العود؛ ومر شاة الماورد.

وكان قد خطب من على منابر القاهرة فى يوم الجمعة ؛ باسم السلطان سليم شاة؛ بدلاً من الخطبة لطومان باى . فلما وصفه الخطيب بقوله: إنه مالك مكة والمدينة؛ ساءه ذلك، وأمره أن يخطب خادماً لهاتين المدينتين، لامالكا لهما، ومنذئذ أطلق هذا اللقب على سلاطين العثمانية فكان يخطب له بالآتى: أنصر اللهم السلطان ابن السلطان ،ملك البرين والبحرين،وكاسر الجيشين ؛ وسلطان العراقين ،وخادم الحرمين الشريفين ،الملك المظفر ، سليم شاه، اللهم أنصره عزيزاً ، وافتح له فتحاً مبيناً؛ يامالك الدنيا والآخرة ، يارب العالمين.

وقد أخاف السلطان سليم بشكله أهل القاهرة؛ إذ أن لدنيا وصفه؛ مما نقله المؤرخون المصريون المعاصرون له مثل ابن إياس[2]، ومن الرحاله الأوربيين مثل باولوا

(١) ابن زنبل، ص٨٣.
(٢) ابن إياس، ٣ ص٩٨.

قال: قد ذكرا اسمآء ليعملا عليهما القرعة. قالوا: ومن هم الاسماء. قال السلطان للقسيسين: تعرفاهم؟ قالا: اخترنا الشيخ ابا الكرم. قالت الجماعة: يا مولانا رجل شيخ فانى لا يقوم بهذا الامر. قال السلطان: فأين هو؟ قالوا: بمصر. قالت الجماعة: يا قسيسين من غير ابى الكرم؟ قالا: حبيس ابيار. قالوا لهما: فانتما تعرفاه حتى تزكياه. قالا: الملك الكامل يعرفه وهو الذى اختاره. فقال

جيوفيو paolo Giovio[1]، الذى وصفه وصفاً دقيقاً،كما لدينا له تصويرات وتماثيل[2]؛ بعضها بزيه الحربى الكامل. فهو يوصف[3]، بأن له من العمر نحو أربعين سنة أو دون ذلك؛ وأنه مربوع القامة ، واسع العينين ، وأنفه كبير وافر، وله لحية سوداء ،حلقت حتى الذقن، وشنبه بارز؛ وله عنق قصير «أقنص العنق»، ومكرفس الأكتاف ،وعلى رأسه عمامة صغيرة وقد وجد فيه المصريون خفة ظاهرة ؛ إذ كان فى أثناء ركوبه كثير التلفت.

وقد أثار دخول العثمانيين فزعاً كبيراً بين أهل مصر؛وشبه دخولهم القاهرة ؛ بدخول هولاكو بغداد؛ وأن ما جرى فى مصر بسبب ذلك، لم يحدث مثله ؛منذ أن دخلها البابليون فى الزمن القديم [4]؛ حتى عبر أحد الشعراء عن ذلك بقوله[5]:

نبكى علـى مصر وسكانهـا	قـد خربـت أركانهـا العامرة
وأصبـحت بالـذل مقهـورة	من بعد ماكانت هى القاهرة

---

(١) انـظـر:- Le Mythe Turc et son declin, : Kefé. E. dans les relations de Voyage des Européens de la Renais

(٢) صورته وتماثيله موجودة فى متحفى: طوب قابى "Topkapi"، والمتحف الحربى.

(٣) ابن إياس، ٣ ص ٤٩ (فى أسفل الصفحة)، ٣ ص ١٠٠.

(٤) نفسه، ٣ ص ١٣٣ س٢٣.

(٥) نفسه ٣ ص ٩٨. شعر الشيخ بدر الدين الزيتونى.

السلطان: الملك الكامل مـا يدخلى بينكم دعـوه عنكم. وكثر العياط(*) فامرهم السلطان بالسكوت ثم قـال: هاتوا المحاضـر. فاحـضـرت، فـقـال لوالى القاهرة: اعطها لهم. فاخذ يدفعها للقاهريين فقال السلطان: لا ادفعـها لهـولاء الذين يخـالفـون. يعنى المصـريين. ولم يكن احـد ممن دخل اليـه فى هذه المرة يخالف فى القس داود بل كلهم كانوا كتبوا له وانما السلطان كان ييث فى نفسه ان المصريين

(*) ضوضاء الكلام بصوت عال.

نهاية طومان باى

لايعنى دخول العثمانيين القاهرة ؛ أن طومان باى قد انتهى ؛ فقد استمر يقاومهم بشدة وضراوة ؛ على الرغم من أن سليماً كان يملك سلاح البارود المتفوق ؛ الذى كفل له النصر فى جميع معاركه السابقة فى الغرب والشرق؛ ما جعله لفترة يتردد فى أن يستمر فى حربه ، أو يعود إلى بلاده؛ محتجاً بأن الكفار يحيطون بها (١).

وبالفعل قـرر طومـان باى الرجـوع إلى القـاهرة(٢)، ولم تمض خـمسـة أيام على انتـصـار العثمانيين عليه. ففى ليلة الأربعاء ؛ الخامس من المحرم / ٢٨يناير ١٥١٧ ، بعد صلاة العشاء ، تمكن من تسريب أتباعه فى حاراتها ،حتى وصلوا إلى معسكر سليم. حينئذ أطلق فيه جمالاً مـحـملة بمواد مـشـتـعله، مما جـعل مـعـسكر سليم يشـتـعل بالنار، وظن سليم أنه مـأخـوذ لامحالة.ومالبث العامة من أحياء القاهرة ، لاسيما من حى بولاق ؛ أن انضموا إليه؛ فكانوا يرجمون المعسكر العثمانى بالمقاليع وفيها الحجارة،كما أن بعض رماة البندق من المصريين قد اشتـركوا فى القـتـال أيضـاً ؛حيث كـان المماليك يسـمـون هذه الجماعات من أهل مصـر

(١) ابن زنبل، ص٤٣.

(٢) ابن إياس، ٣ ص١٠٢ س ٣ وما بعدها؛ انظر: روزنامه حيدر جلبى، سلطان سليمان إيران سفرينة دائر مخابرات؛ مخطوط تركى برقم R. Iq55؛ ورقات ١٤٣ ـ ١٦٠ ؛ منجم باشا أحمد دده؛ ورقة ١٨٨٥ أ؛ أحمد فريدون، ورقات ٦٣٠ ـ ٤٦٣.

كلهم كانوا مخالفين لما كان يجرى من اجتماع
اكثرهم ووقفهم للملك الكامل فاخذنا المحاضر.
فقال: ما تقولون فى هذه. قلنا: نحن راضون بهذا
الرجل وهذه خطوطنا. قال: ما هو خطكم
وحدكم بل وخط الاساقفة والرهابنه. قلنا: نعم يا
مولانا. فالتفت الى القاهريين وقال: فانتم ما
تقولون. قالوا: راضون بهذا الرجل. فقال القسيسين
[للقسيسين]: فانتم ما تقولان؟ فسكت القس
بركات فقال القس يوسف: اذا رضى هولآء وهولا

بالعبيد[1]؛ حتى لاتكون لهم صفة الجندية مثلهم كما ذكرنا. فلاشك أن هذه أول مرة؛ يشترك فيها المصريون فى مقاومة العثمانيين ؛ إذ أنهم بحسهم الوطنى قدروا أبعاد الكارثة ، التى حلت بهم نتيجة مجئ العثمانين مصر. فلم يكن من الممكن إذن أن يقفوا سلبيين على طول الخط لاسيما وأن أهل القاهرة كان لهم دور إيجابى من قبل فى إختيار طومان باى. فاستمرت مقاومة المماليك ومعهم المصريون أربعة أيام وليالى ؛إلى يوم السبت، حيث ظهروا فيها على العثمانيين ؛حتى صاروا يكبسون أماكن تجمعهم أيضاً .وبسبب انتصار طومان باى؛ فإنه خطب له فى القاهرة فى يوم الجمعة ، مع أنه فى يوم الجمعة الماضية ،كان قد دعى لسليم.

ويبدو أن حرب الحارات التى أكره عليها العثمانيون لم تعد تلاءم العثمانيين؛ مما جعلهم يلجأون إلى تكتيكهم السابق بالحرب بالبارود وحده، الذى كانوا يعتمدون عليه فى كل حرب ناجحة ؛ لتفوقهم فيه. فطلعت الإنكشارية من رماة البندق «اليكنجرية» إلى المآذن ؛ وصاروا يرمون فى كل اتجاه بالبندق الرصاص ؛ مما أجبر المماليك والأهالى على وقف المقاومة ؛ لاسيما وأنهم قد تعبوا من القتال ؛ بما فيهم المماليك ؛ بحيث لم يبق إلا طومان باى وحوله رماة البندق المصريين ؛وبعض خاصة مماليكه ـ مماليك سلطانية ـ واضطر طومان باى هو الآخر إلى أن ينسحب إلى خارج القاهرة.

(١) ابن إياس، ٣ ص١٠٣ س٢٦.

اى شي نقول نحن. فقال السلطان اخرجوا واتفقوا مع اصحابكم الذى برّا وقدموا بطرككم، ووحيات رأسي وتربة السلطان(*) ان لم تتفقوا ما قدمت لكم بطركا ابدا. فقاموا خرجوا وارتفعت الضجة بناء على ان القس داود قد اثبت امره وانخزا الذين يضادونه وعاد اكثرهم الى الرضى، ودخل الناس الى الشيخ نش الخلافة يهنئونه، وخرجوا من عنده إلى دار القس داوود يخدمونه ويهنئونه حتى لم

(*) تربة السلطان صلاح الدين الايوبى فى دمشق.

وقد انتقم العثمانيون من المصريين بحرق بيوتهم ؛ وتدنيس مساجدهم ومشاهد أوليائهم؛ بما فيها مقام الإمام الشافعى؛ وقتلوا منهم فوق عشرة آلاف[1] ؛ وتركوا جثثهم مرمية فى الطرقات تنهشها الكلاب؛ حتى كاد يفنى اهل القاهرة؛ نتيجة لذلك. كذلك قتل العثمانيون كل من وقع فى أيديهم من المماليك،الذين تخفوا فى بيوتهم أو فى أماكن أخرى ؛بلغ عددهم نحو ثمانمائة[2]، من الأمراء والمماليك العادين ، بما فيهم كرنباس والى مصر ـ الفسطاط ـ الذى هتف وهو يموت بحياة طومان باى فى نصرة الله[3]. وقد اعتبرت هذه المحاولة الفاشلة من قبل طومان باى؛ الكسرة الرابعة للماليك على أيدى العثمانيين؛ بعد مرج دابق وغزة والريدانية ؛ مما يبين أهمية انتصار العثمانيين فيها. وبالفعل ؛ فإنه بعد أن استتبت الأمور للعثمانيين فى القاهرة ؛ طلع سلم القلعة لأول مرة، فى موكب حافل، ارتجت له القاهرة[4] ؛ وذلك فى يوم الثلاثاء ١١ المحرم (٣فبراير).

وقد لجأ طومان باى إلى البهنسا[5]، وهى غربى النيل فى جنوب القاهرة ؛ فأقام فيها متخذاً النيل كخط دفاعى له؛ بأمل أن يعاود الهجوم فى الوقت المناسب. فانضمت إليه فلول

(١) نفسه، ٣ ص ١٠٤ س١٥، يقال ستين ألفاً. ابن طولون، مفاكهة الخلان، القسم الثانى، ص ٤٣.

(٢) نفسه، ٣ ص ١٠٤ س٢٠. (٣) ابن زنبل، ص٣٩.

(٤) ابن إياس، ٣ ص ١٠٧ س١٩.

(٥) نفسه، ٣ ص١٠٦ س٢٣. عنها: معجم البلدان، ٢ ص ٣١٦.

تسعهم الدار. وكان ناس يروحون واخرون يجيون
ومـا شك احـد فى انه البطرك وانه يكرز فى يوم
الاحد الذى بين الرفاعين(*) وهو السابع والعشرين
من طوبـه(*). ونفذ الشيخ نش الخلافة لاحضار
الاساقفة واجتمع بى القس وقال: تريد كتب
التقليد. فقلت: يا مولاى هذه وظيفة فخر الدولة
ابى سعيد كاتب القلايه [البطركيه]. وكان قريبا
لى وصديقاً ونسيباً ولم يكن طيب القلب بهذه

(*) الرفاعين : وبينهما مدة ١٣ يوم تقع بين يوم الاحد السابق لعيد Jonah والاحد السابق Lent والذى يبدأ يوم الاثنين.
(*) ٢٢ يناير [٢٣ يناير بحسب التقويم الجوليانى] .سنة ١٢١٧م.

المماليك ؛ وبعض أهالى مصر فى الصعيد ؛ بلغ عددهم أكثر من عشرين ألفا(١). والملاحظ أن بعض الأمراء المماليك، الذين انضموا إليه ؛ كانوا قلة ، إلا أنهم كانوا فى غاية الفروسية والإقدام ؛ يملكون مثله إرادة النضال. فكان على رأس هؤلاء الأمراء ، الأمير شربك – يسميه ابن إياس شـادبك(٢) ـ الذى كان مسجوناً فى أيام الغورى، وأطلق طومان باى سراحه، وأشركه فى حروبه ضد العثمانيين . وقد اشتهر الأمير شربك بالأعور ، مع أنه لم يكن كذلك، أو حتى به حول؛ بسبب أنه كان إذا مال بعينه إلى جانب،كان بياضها أكثر من سوادها فعينه طومان باى دو ادارً له ، أى كاتم سره ،وأصبح يقيمة مقام نفسه ، فى جميع أموره ؛ حتى أنه اشترط على نفسه إن انتصر أن يجعله ولى السلطنة من بعده(٣). ولدينا وصف الأمير شربك هذا ؛ مما يدل على أنه بحكم تكوينه الجسمانى كان فارسا من الطراز الأول؛ فهو ليس طويلاً ولاقصيراً. ولا سميناً ولارفيعاً، أعرض ما فيه صدره وأكتافه وذراعاه(٤)، وكان له من القوة أن يمسك الفحل من قرنه فيجذبه ؛ فيعلقه من مكانه ، ويلوى قرونه بيديه ؛ فيقلبه على جنبه.

وفى أول الأمر ؛ قرر سليم أن يطال طومان باى ، بمحاربته بالمماليك من جنسه ، ولاسيما الأمراء منهم، الذين خانوا دولتهم . وانحازوا له؛ حتى من أيام الغورى؛ وذلك دون أن يحاربه بنفسه. فيرسل ضده فى الصعيد جانم السيفى ،من أتباع خاير بك، الذى كان فى الأصل

(١) نفسه، ٣ ص ١٠٩ س١٨.
(٢) نفسه، ٣ ص١٠٣ س٢٧ ، أو يشبك.
(٣) ابن زنبل، ص٦٢.
(٤) نفسه، ص٦٦.

القضية. فقال فخر الدولة: الساعة ما اليه سبيل وربما لا يفعل. فقلت: انا افعل هذا على حكم النيابة عنه بشرط ان الاب [داوود] لا يغير عليه شياً. قال [داوود]: سمعاً وطاعة. فقررت نسخة التقليد عربياً واسميته انبا كيرلس وبيضتها ونقلوها الى القبطى، وحررت نسخه القبطى عليها، وفصلت الثياب والفقافير(*) واحضر كرسى كان من مقدم الزمان برسم البطاركه وجلى واحضرت

(*) الفقافير: هو تاج البطرك، ومشتملاته، الذى يلبسه أول مرة عند تنصيبه. ويرتديه بعد ذلك فى الاحتفالات الكبرى.

كاشفاً للفيوم ـ أى من يجبى مالها ـ مع رماة البندق الكثيرين ، عددهم عشرون ألفا؛ وكان زحفهم فى المراكب فلما التقى بطومان باى ،طلب مبارزته ، فخرج له ،وتمكن من جرحه[1]، وبعدها أطبق طومان باى وأتباعه على من كانوا فى المراكب وسحقوهم ؛ وغنموا ما لديهم من البندق وآلات الحرب[2]؛ ولم ينج جانم نفسه إلا بصعوبة.

كذلك أرسل سليم ضده جان بردى الغزالى ، أخا زوجه طومان باى نفسه ، وكان من قبل من أسباب هزيمة كل من الغورى ومن بعده طومان باى فى معاركهما مع العثمانيين؛ وإن لم يعرف هل كان ذلك عن خيانة ؛كما يؤكد أغلب المؤرخين المعاصرين؛ بما فيهم ابن إياس ؛ أو ربما لطموح فى نفسه لم يعلن عنه إلى وقتئذ ؛كما فيما بعد[3]. وكان الغزالى قد طلب الأمان من سليم بعد الكسرة الأخيرة فى القاهرة ، فظهر ومعه نحو أربعمائه مملوك، دقت أعناقهم جميعهم[4]، ربما ثمن الأمان لشخصه . فأرسله سليم ومعه وزيره يونس باشا وقوة من خمسائة من رماء البندق[5]؛ فكان الغزالى فى تحركه نحو طومان باى ؛ يبالغ فى إرهاب الأهالى لاسيما العرب منهم بحرق بيوتهم ،وسبى الحريم والأولاد ، ويبيعهم كما يباع الرقيق[6]؛ مما أغضب يونس باشا الذى تركه وحده يعيث فساداً .فلماً لحق الغزالى بطومان

(١) نفسه، ص٤٣. (٢) نفسه، ص٤٤ (٣) انظر بعده.
(٤) ابن إياس، ٣ ص ١٠٦ س٢٠ وما بعدها، ١٠٧ س ٥ ـ ٦؛ ابن زنبل، مخطوط، ورقات ٢٠ ـ ٢٨.
(٥) ابن زنبل، ص٦١. (٦) نفسه، ص ٩٢.

العكاكيز واشتريت الدواب وتجهز القس واصحابه للرّواح الى ثغر الاسكندريه بعد القمصيّة. وفى اثناء هذا خرج السلطان الى خصوص(*) عين شمس متوجها الى ثغر الاسكندرية. وكان الناس يظنون ان الشيخ ابا الفتوح قد استخرج(*) امره بتقدمة القس داود. ووصل اسقف لقانه الذى كان يتلوا الارشيابسقوبو واخبر ان اخاه الكبير مريض. ووصل معه بعده ثلثة اساقفه اخر وهما [هم]

(*) الاملاك الخاصة به فى عين شمس.
(*) استخرج : استبعد.

باى ، تمكن من قتل عشرة من فرسانه[1] ، ودفعه غروره أن يطلب مبازته ، فخرج له طومان باى وقلبه عن ظهر فرسه ، ووضع السيف فى نحره[2] ، وأراد أن يقتله ، لولا أنه استرحمه بحكم القرابة، وحلف له أنه لايحاربه أبداً».

وفى الوقت نفسه؛ لجأ سليم إلى الحيلة مع طومان باى ؛ فأرسل إليه أماناً مع قضاة مصر[3] ، يصحبهم مندوب عن الخليفة ، يعينه فيه على بلاده مدى الحياة، ويرضى منه أن تكون له الخطبة والسكة وحمل الخراج إليه، كما أرسل إلى صديقه شربك الأعور أماناً مماثلاً؛ يعلن فيه أنه لاحاجة له فى مصر، وأنه يرحل عنها .وربما كان سليم مضطراً إلى ذلك؛ حيث كان قد قوى بكثرة من أتاه من العسكر، وما توافر له من مدد ومؤن وصلته من الإسكندرية بالذات ، حتى أشاع أنه زاحف إلى الجيزة .وعلى كل حال، فإنه لما عقد طومان باى مشورة ، فإن الأمراء المماليك ،وعلى رأسهم شربك الأعور؛ رفضوا بشدة الصلح ،وهاجموا رسل سليم وقتلوهم ،بما فيهم القضاة.

ويبدو أن سليماً وجد أن لاسبيل له مع طومان باى إلا أن يخوض بنفسه ضده معركة حاسمة جديدة ؛ وقبل أن يحاربه ،قتل جميع الأمراء المماليك المحبوسين فى القلعة ،وكانوا

(١) نفسه، ص٨٦.
(٢) نفسه، ص٨٩.
(٣) ابن زنبل، ص٤٨ ـ ٤٩؛ ابن إياس، ٣ ص ١٠٩ ـ ١٠١.

اسـقف اشـمـوم (*) واسـقف مليج واسـقف شطنوف. وتحـقق الناس انه قـد تم امـره. وبقى المضادون له يقولون نحن نفعل ونصنع اشياء ما كانوا يقدرون عليها لو خرج الامر. فلما كان فى عشية السبت ليلة الاحد المقدم ذكره اجتمعت الاسقافة والجماعة واجروا الحديث فقالوا نحن غدا فى مصر. قال لهم: فماذا. قالوا: كيف أما نكرز البطرك؟ قال: لا ما له فى غد تكريز لاننا ما شاورنا

(*) أشـمـوم: هى أشـمـون وتعنى مركز عبادة الثامون الفرعونى المقدس. والاسم مأخوذ من الرقم ثمانيه المصرى. وردت فى معجم البلدان لياقوت باسم أشموم وهى أشموم الجريسات من أعمال المنوفية. وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ورد اسمها أشمون جريس لمجاورتها لناحية جريس وتمييزاً لها عن أشمون الرمان التى بمركز دكرنس.

شطانوف: وردت فى «نزهة المشـتـاق» شطنوف مدينة واقعة على رأس الخليج (أى فرع النيل) الذى ينزل إلى دمياط، عندما ينقسم النيل إلى قسمين (فرعين) ينزلان إلى أسـفل الأرض ويتـصـلان بالبـحـر، ومن هذا يتـبين أن شطانوف

نحواً من الأربعين أو أكثر[١]؛ مع أنهم نالوا أمانة بعد معركة القاهرة الأخيرة؛ فكان منهم من هو مقدّم مائة أو أربعين أو عشرة من أمراء الجيش الجركسى،أو من كان يتولى وظائف أخرى كبيرة فى جهاز الحكم المملوكى السابق،مثل نائب القلعة، وحاجب الحجاب، والزردكاش، وأمير سلاح، والخازندار، ورأس نوبة، وكأنه بذلك قرر أن ينهى التركيب المملوكى فى مصر إلى الأبد.

وبعد ذلك ؛ وضع سليم مدفعيته على شواطئ النيل ؛ لقذف قوات طومان باى ؛فتمكنت قواته من أن تعبر النيل ؛ لتقابل طومان باى، وقد حملت البنادق والأعلام ،التى كانت قد دخل بها القاهرة ؛مكتوباً على بعضها: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» ، وفى بعضها الآخر «نصر من الله وفتح قريب»[٢]، وفى صحبته ابن الغورى سيدى محمد؛ ليناوئ به طومان باى[٣]. ومع عدم تكافؤ قوة هذا الأخير مع قوة سليم ؛ إلا أنه قرر أن يخوض المعركة ؛ فكانت بالنسبة له ولزملائه أمراء المماليك ملحمة من ملاحم الفروسية النادرة ؛ حتى أن شربك الأعور طلب من سليم النزال[٤]، ونعته بالجبان، وشبه جنده بالبهائم[٥]. وقد رمى سليم فى المعركة برماة

(١) ابن إياس، ٣ ص ١٠٦ س ١٠ وما بعدها. يقول ابن زنبل كانوا نحواً من الستين ابن زنبل، ص٥٠ ـ ٥١. أو حتى أربع وخمسون. نفسه، ٣ ص١١١ س١١.

(٢) نفسه، ص٨٣.

(٣) نفسه، ص٦٧.

(٤) نفسه، ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٥) نفسه، ص٧٨.

السلطان بعد ولا اخذنا كتاباً الى والى الاسكندرية. فسكتوا واصبح المصريون طلعوا الى القاهرة ليجئوا صحبته فاعلموا ذلك فرجعوا وبقى الاساقفة بالقاهرة. ولما كان نهار يوم الثلثا من جمعة الرفاع(*) اجتمعت جماعة من قسوس المصريين واهل الصفا [الصفوة] وقوم ممن كان لا يريد القس داود وخرجوا يبتغون السلطان ليعلموه انهم لا يريدون داود. وفي يوم الاربعا اتبع الشيخ نش

كانت واقعة على رأس الدلتا في ذلك الوقت (وذلك عند منتصف القرن السادس عشر). وقال عنها ياقوت في معجم البلدان: شطنوف وهي بلد بمصر على بعد فرسخين من القاهرة. وردت برسمها الحالي وهو شطانوف في تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ. وقد اتصلت بجزيرة دوره في جنوبها فأصبح رأس الدلتا عند القناطر الخيرية، وفي سنة ١٩١٠ اتصلت جزيرة الشعير بوسط النيل من جهتها البحرية بأرض دوره، فأصبح رأس الدلتا واقعاً جنوبي القناطر الخيرية.

(*) الاسبوع السابق للرفاع.

البندق والمدافع ؛ بحيث زلزلت الصحارى من حولهما؛ وكانت نتيجة المعركة أن قتل معظم من كان مع طومان باى من الأمراء والجند(١). وبدلا من أن يساعده الأعراب من قبيلة غزالة،كما وعدوه؛ فإنهم جروا خلفه بعد هزيمته، إلا أنه تمكن من أن يتغلب عليهم فى الجيزة، مع القليل الذى بقى معه.

ويذكر ابن زنبل شيئاً عجيباً عن طومان باى لم نصادفه لأى سلطان مملوكى آخر من سلاطين المماليك فى مصر؛ إلا أن له دلالة كبيرة ؛ تبين بحق أن طومان ؛ كان يعتبر نفسه مصرياً؛ يقاتل فى سبيل مصريته؛ فيذكر أن طومان باى وهو عند أهرام الجيزة ـ كأنها الكعبة الشريفة بالنسبة له ـ قرض قصيدة طويلة من الشعر، بلغت مائة بيت ، كتبها له شربك بيتاً بيتاً،وعلقها عند الأهرام ؛كأنه يعلقها فى أر كان الكعبة المقدسة ، تتضمن النوا ئب التى حلت به وبدولته ، وأنه بحكم المسؤلية يقبل قدره، وأنه فعل كل ذلك من أجل مكانة مصر التى شهدت مولد الزمان .مولد الحضارة.

* * *

بعد هذه المعركة ا لخاسرة ، انسحب طومان باى إلى سخا، وهى مركز بإقليم الغربية ؛ حيث كان ينتشر فيها عرب قبيلة غزالة، وربما كان طومان باى منهوك القوى؛ لايقوى على

(١) نفسه، ص٧٠.

الخلافه جماعة ممن كان معه ليقفوا له [للسلطان] ويقولوا انهم يريدونه. وخرج هولآء وهولاء وكان السلطان قد رحل فاما جماعة المصريين فانهم تموا فى طلب السلطان واما اصحاب الشيخ ابى الفتوح فانهم لقيوا فى طريقهم الاسقف المعروف بهديه فى قليوب جايئاً لتكريز البطرك فعرفوه القضية فرجع معهم وكان معه جماعة فصاروا عدة وساروا فوافوا السلطان على معديه دجوه فى

الإنسحاب إلى مكان آخر ؛ أبعد من ذلك ؛ ولأن عرب عزاله قد أصبحوا فى طريقه ؛ وإن كان سرعان ما تركها ، بسبب أن عرب غزالة كانوا قد انضموا إلى سليم فى قتاله، واتجه إلى إقليم البحيرة، أو لأنه كانت له علاقة ودية سابقة مع عربها من قبيلة محارب ـ وهم غير قبيلة غزالة ـ أو ما كانوا يسمون أولاد مرعى؛ حيث كان طومان باى هو الذى أطلق شيخها حسن بن مرعى من حبس الغورى، لما تولى السلطنة.

وبالفعل ، فإن حسن بن مرعى وأخاه شكر ، قد أحسنا استقبال طومان باى ومن معه؛ حتى أن حسن بن مرعى قبل يدى طومان باى، وحلف له بإيمان الطاعة هو وعشيرته. وقد أراد حسن بن مرعى أن ينزل طومان باى فى منزله مبالغة فى الضيافة ؛ إلا أن طومان باى فضل أن يلجأ ومن معه إلى أحد الأودية المجاورة فى قرية تروجة، من إقليم البحيرة من ناحية الإسكندرية ؛ وهى نفس المكان الذى كان قد خرج منه وفد من المصريين ؛ لاستقبال جوهر الصقلى ـ قائد الفاطميين ـ لما قدم من شمال أفريقيا. وعلى كل حال ،سرعان ماتشاءم طومان ،لما هاجمته الكلاب ،وطار سيفه من يده ، وهو يردها عن نفسه.

ولكن سليما عن طريق جان بردى الغزالى ـ قريب طومان باى ـ اتصل بعربان أولاد مرعى؛ ووعد حسن بن مرعى ؛ إن سلمه طومان باى ؛ فإنه يقدمه على جميع مشايخ العربان فى مصر؛ ويجعل أرضه التى فيها إقطاعاً له؛ ولايأخذ منه دراهم[1] ؛ وقد استجاب حسن بن

(١) ابن زنبل، ص٩٧.

نهارا يوم الخميس وكان مطر فوقفوا له فقال ما تريدون واحضر الاسقف.

فقال [الاسقف]: يا مولانا كنت انعمت علينا بتقدمة البطرك ولما وصلت لم اجد معهم خط مولانا ولم ينعمل لنا شي بغير خط وانا اسال من انعام مولانا ان يكتب لنا خطه. قال: نعم تعالوا الى المنزله نقضى حاجتكم. وسار فلقيه تلك الجماعة، فقال: ما لهولاء؟ فقالوا: يا مولانا انت امرت ان

مرعى لطلب سليم؛ اذ مالبث أن جاءت الخيل العثمانية ؛ لأخذ طومان باى . فقاوم الأمراء القليلون من حول طومان باى على غير جدوى ؛ وان استطاع الأمير شربك وحده الافلات. أما طومان باى، الذى كان يعرف أنه مأخوذ، لم يبد أى مقاومة ،حينما أحاطت به العسكر العثمانية ؛ وهى تقدر أنها قد وقعت على فريسة عظيمة[1]. ولذلك،جعلوا طومان باى يضع يده اليمنى فوق اليسرى،وربطوهما من قدام وأوثقوهما، وقدموا له بغل وأركبوه عليها ،وقيدوه من تحت بطنها.

وحينما وصلت سليم البشرى بالقبض على طومان باى : وأنه فى الطريق إليه ؛ أبدى ارتياحه العظيم، وقال الآن : «ملكنا ملك مصر[2]، وأمر بالزينة فى القاهرة ومصر ـ الفسطاط ـ وجعل الطبول والكوسات ـ نوع من الطبول ـ تدق فى أرجائهما. فزين الناس مضطرين جميع البيوت والدكاكين ،والناس لاتعلم سبب الزينة[3] ؛ وسرعان ما علمت بعد ذلك ،وهى لاتكاد تصدق أن طومان باى قد أمكسوه.

ولما وصل طومان باى أمام سليم ؛ استقلبه وقد أحاط به خاير بك والغزالى وحسن بن مرعى والوزير يونس باشا؛ وقد وقفت العساكر العثمانية ، على حسب مراتبها ، وأسلحتها من البنادق فى أيديها فسلم طومان باى سلام الملوك ، فرد عليه سليم كما يحب ؛ ولم ينقص

---

(١) نفسه، ص١٠١ وما بعدها.

(٢) نفسه، ص١٠٢.

(٣) نفسه، ص١٠٨.

نتفق ونحن فما رضينا بهذا الرجل. فقال: من احضر عشرة الف دينار جعلناه بطركا. ووقفوا له مرة اخرى واخرى وهو لا يخرجهم عن ذلك. فرجعوا وبقى اوليك سايرين مع السلطان منتظرين ما وعدهم به. وكان الشيخ نش الخلافه بعد [ما زال] بالقاهرة لم يخرج منها فلما كان يوم الاحد الرفاع تقرب هو والاساقفة بكنيسة الفخّارين بالقاهرة، وبعد القربان اخذ الاساقفة معه ومضى الى دار القاضى الاشرف بن القاضى الفاضل

مكانه فى سلامه ؛ وقد استمر طومان باى واقفاً؛ إلى أن أمره سليم بالجلوس ، فجلس .فنظر إليه سليم وتأمله ، فوجد فيه ـ كما يقول المؤرخ ابن زنبل[١] ـ كل شئ يشهد بالشجاعة والفروسية وكمال العقل ؛ فقال له معتباً بشدة: ياطومان باى ،كم نهيناك عن القتال ،وسفك دماء المسلمين ،وانى أرسلت لك من الشام أن تجعل السكة والخطبة باسمى وأنت مقيم على مصر، فأبيت ذلك، وقتلت رسولى، والرسول لايقتل ،بل قتلت قضاة بلادك ،ولم تقبل الصلح .كذلك أشار إليه ؛ أنه واجب الطاعة لأنه سلطان بن سلطان . بينما طومان باى من المماليك ، الذين لايعرفون حتى آباهم ،وربما كانوا من أولاد النصارى[٢] .

فيناقش طومان باى سليماً وهو فى الأسر، على أساس أنه سلطان مصر، ومعتزاً بالمثل العليا، فلا يتخاذل أو يطلب الرحمة ؛ فيرد : بأنه لم يكن شئ مماجرى من قتل الرسل أو القضاة ؛ قد مر بخاطره ، ولا بأمره أبداً ، ولابرأيه ؛ وعلى العكس ، أنه لما أرسل اليه من الشام الرسل أكرمهم ،ولكن الأمراء هم الذين عملوا على قتلهم[٣] . ثم استطرد يقول: إن دولتكم هى التى أقبلت ، ودولتى أدبرت ،هذا شئ كتبه الله تعالى ، وانى ما أخذت السلطنة برغبة منى، وانما قومى وعسكرى اختارونى ورغبوا فى أن أكون أنا السلطان عليهم ، لما علموا من زهدى فى ذلك ، فلما تقلدت عليهم ،وجب على أن أرد عنهم. ثم أشار إلى سليم أنه مثله قد

(١) نفسه، ص١٠٣.
(٢) نفسه، ص١٠٥.
(٣) نفسه، ص١٠٤.

وادخلهم عليه. فقال لهم: ما بالكم؟ قالوا: يا
مولانا قد فسدت احوالنا بغير بطرك ونحن فقد
[قد] رضينا هذا الرجل. فقال: طيبوا قلوبكم انا
اخرج الى السلطان واعلمه ما سمعت منكم وانجز
لكم القضية. فدعوا له وانفصلوا من عنده وخرج
هو والشيخ نش الخلافة فى بقية النهار وسار
للسلطان وتلك الجماعة معه وقد انضم اليهم
اساقفة اخرون هم يقفون له فى الوقت بعد الوقت
ولا يخرجهم عن المواعيد [أى يستقبلهم] الى ان

تربت نفسه فى العز ، ولاتقبل الذل،وقال:وهل لو أرسلت لك أنا وامرتك أن تكون تحت إمرتى، هل كنت ترضى بذلك ، وهل سمعت أن الأسد يخضع للذئب، لا أنتم افرس منا ،ولا أشجع منا ،ولكن أنت كنت تستحل قتل المسلمين وترمى عليهم بهذه المدافع والنيران ؛ فكيف بك؛ إذا وقفت بين يدى رب العالمين ، وما من ملك وإن تعاظم ملكه ؛ إلا هو لله عبد أصغر ، فما أنا وأنت إلا بجمله العبيد.

ولاشك أن سليماً قد قرر قتل طومان باى منذ أسره له؛ وإن استقباه نحو أسبوع ـ وربما ١٧ يوماً[١] ـ تشفياً ، فحب سليم لسفك الدماء كان كبيراً ، ولايتوقف عن قتل أحد[٢]. ومع ذلك فقد قيل إن سليما لم يكن يقصد قتله؛ وينوى أن يطلقه ، أو يأخذه معه إلى بلاده[٣]، أو حتى يرسلة إلى مكة[٤]. ولكنه لما سمع أن الناس لاتصدق بمسكه، حنق من ذلك وتحت نصيحة أمراء المماليك أنفسهم ، الذين انحاز وا إليه ،مثل خاير بك والغزالى[٥]، فإنه قرر قتله.

ولدينا صورة قتل طومان باى من شهود عيان : فقد أتوا له ببغلة، وأخرجوه من الجيزة عليها ، وأنزلوه على مركب ،وعبروا به إلى بولاق .فلما وصلوا به إلى باب زويلة[٦]– أحد أبواب

---

(١) ابن إياس، ٣ ص١١٥ ص٣.
(٢) ابن زنبل، ص١١٥.
(٣) نفسه، ص١١١.
(٤) ابن إياس، ٣ ص١١٥ س٣.
(٥) ابن زنبل، ص١٠٩ ـ ١١٠.
(٦) انظر. بعده.

وصلوا الى ثغـر الاسكندريه ووصل الشـيخ نش الخلافه واجتمعوا هناك ولم يزالوا كذلك الى ان هم السلطان بالخروج من الثغر فى اخر الجمعة السادسة من الصّوم وكان عازماً على المضى إلى ثغر دمياط فتقدم اليه الشيخ نش الخلافه وقال: يا مولانا هولآء النصارى قد طالت مدتهم ومولانا أولى من قضى حاجتهم. فامر السلطان ان يكتب لهم كتاب بتقدمته عليهم فكتب ولم يبق الا العلامة [التوقيع] فسمع رجل من كتاب السلطان

القاهرة المشهور وأهمها ـ وجدوا حبل الشنق معداً له فأسرعوا به وأنزلوا عن البغلة ، بقصد شنقه من غير مهلة فتقدم طومان باى نحو الحبال بقلب جسور ، وحوله جنود العثمانية مسلولة السيوف فطلب طومان باى من الناس قراءة الفاتحة له ثلاث مرات؛ فقرأت الناس معه ؛ ثم قال للجلاد ـ المشاعلى ـ اعمل شغلك [١]. فكان الحبل يقطع به مرتين، وفى كل مرة يعلقوه من جديد، وشنق إلى أن مات ، وقد بقى معلقاً ثلاثة أيام، ثم بعد ذلك أنزلوه لما فاحت رائحة جسده ، ووضعوه فى تابوت ، وغسله القاضى ،وكفنه من ثياب أرسلها سليم ثم صلب عليه ودفن فى فسقية قبة السلطان الغورى، كما أرسل سليم ثلاثة أكياس من الفضة ، تصدقوا بها عليه فكان شنقه فى يوم الأحد ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٥/٩٢٢ سبتمبر ١٥١٧.

وفى الوقت ذاته ، أحضر الأمير شربك، زميل طومان باى المخلص فى نضالة للعثمانيين، وكان هو الآخر قد قبض عليه بالخديعة [٢]، بعد إفلاته من الوادى المذكور. فقد قصد هو الآخر أحد أصدقائه العربان ، وأسمه أحمد بن بقر، شيخ عرب الشرقية فلما دخل لينام؛ كانت له عدة أيام لم ينم ، دخل عليه ابن بقر وأعوانه، وضربه بالنبوت فى رأسه ، ووقع عليه الباقى وكتفوه وقد ذهب الغزالى إلى ابن بقر وأحضر شربك، وهو مقيد ، وأركبوه على بغل ، وقيدوه عليه من تحت بطنه.

(١) ابن إياس، ٣ ص١١٥ ـ ١١٦؛ ابن زنبل، ص١١١.

(٢) ابن زنبل، ص١٠٦ وما بعدها.

يعرف بالرضى ابى الرضا بن دراق فكتب رقعة الى السلطان بان هذا الرجل [داود] ما يصلح وان كل من كتب له انما كتب له خوفا والاساقفة هو الذى يكلفهم ما جرى من غير رغبة منهم. ودخل بها يقصد من يعرضها على السلطان فاذا السلطان على باب القاعة منفرداً فقال: ما لك يا ابا الرضى؟ فناوله الرقعة فقراها ثم امر بتبطيل الكتاب. وقال: نحن نروح الى مصر نكشف عن حاله [داود]. واما ما كان من حديث ابنى اخت

فلما وصل شربك أمام سليم ، تأمله ـ كما يقول ابن زنبل[1]، فوجده من أكمل الرجال. وهيبته ظاهرة عليه، وشجاعته واضحة ذو استكانة ووقار وهيبه، وضخامة وحشمة وأراد أن يختبر كلامه، حتى ينظر عقله. فقال له: لم قاتلتنى». فقال له: قاتلت عن مالى وعيالى وعرضى وأولادى وكتاب الله. فأمر سليم بضرب عنقه، فقطعوا رأسه ، وجاءت عياله وغلامه، فاستأذنوا فى أخذه فأذن لهم، فأخذوه وغسلوه، وصلوا عليه، ودفنوه فى مسجد المدرسة البيبر سية ؛ فكان قتله يوم قتل طومان باى.

كذلك قبض على قاسم بك فيما بعد [2]، وهو ابن أخ السلطان سليم نفسه ، الذى كان مع الغورى فى موقعة مرج دابق ،ومع طومان باى فى موقعة الريدانية ،ثم هرب إلى الصعيد وربما وجه إلى البحيرة عند العربان ،ثم اختفى بعد شنق طومان ، ولم يعلم له خبر مدة طويلة فلما قبض عليه ، أخذ إلى القلعة؛ حيث خنقوة فيها ، فاعتبر مسكه وقتله. أعظم من مسك طومان باى وقتله ؛حتى كتب فى مصر محضر بذلك ؛ بسبب منافسته لسليم على السلطة ، ووجود انصار له بين العثمانية حتى فى مصر ؛ لذلك سر سليم بقتله وأرسل الخلع لمن أوقعوا به.

* * *

(١) نفسه، ص١٠٧.

(٢) ابن إياس، ٣ ص ١٥٢ ـ ١٥٣، ١٥٥ ص١٥، هو قاسم بك بن أحمد بك ابن أبى يزيد بن محمد بن عثمان.

البطرك [يوحنا] فان السلطان كان قبل خروجه سلمهما للصمصام مشد الدواوين فعصرهما (*) وتهددهما وعاقبهما ولم يزل معهما حتى قطعا على انفسهما ثلثة الف دينار وضمن عليهما بها واخرجهما فقاما بها. ثم ان السلطان خرج من اسكندريه ورجع رايه عن الرواح الى دمياط فجاء الى القاهرة ودخل اليها فى نهار يوم الجمعة من الجمعة (*) السابعة من الصوم المقدس ودخل الشيخ نش الخلافة معه والجماعة. وفى نهار يوم

(*) العصر : وسيله من وسائل التعذيب فى هذا العصر.

(*) الجمعة السابعة من الصوم المقدس:تحتفل كل من الكنيسه اليونانيه (الشرقية) و الكنيسه القبطية بيوم السبت السابق لأحد السعف بعيد القديس العازر يقرأ فيه سفر قيام العازر.

وقد كان صدى شنق طومان باى أقوى ما يكون فى مصر ؛ بحيث يقول المؤرخ ابن زنبل[1]، كانت له رجة هائلة، وكأن الدنيا قد انقلبت بسبب موته؛ واعتبر يوم شنقه أشأم الآيام، وارتفع الناس بالضجيج والبكاء والصياح فى كل مكان، ويقول ابن إياس [2]: صرخت عليه الناس صرخة عظيمة ،وكثرت عليه الحزن والأسف . فكان المصريون من غيظهم يقولون الزجل، وكثرت المرثيات عليه، ومعظمها من قرض الزجالين والشعراء المصريين[3].

وبسبب شنق طومان باى على باب زويلة؛ فإن هذا الباب عرف بباب المتولى أو بوابة المتولي أو بوابة المتولى[4]؛ لعله بسبب أنه كان لقب لطومان باى قبل السلطنة؛ إذ أن لقب

(١) أبن زنبل، ص١٠٩.

(٢) ابن إياس، ٣ ص١١٥ ص١٤.

(٣) ابن زنبل، ص١١٣ مثل:

لهفى على سلطان، كيف قد ولى وزال، كأنه لن يذكرا

شنقوه ظلماً، فوق باب زويلة، ولقد أذاقوه الوبال الأكبرا

يارب، فاعف عن عظائم جرمه، واجعل جنات الخلد له قرا (مقرا).

والزجل فن من فنون الشعر ظهر وقتذاك يعرف بالبديعيات؛ وإن ظهر نوع من الشعر العامى كالموال. نجيب المصرى، فى الأدب الإسلامى، ص١٥٩.

(٤) انظر. محمد وصفى، باب زويلة، مجلة كلية الآثار، العدد (١)، ١٩٧٦، ص٨٧. زويلة اسم لبابين، الأول بناه جوهر وقد هدم، أما الثانى فقد بناه بدر الجمالى، وهو الذى بقى، ويعتبر أحد أبواب ثلاثة، =

السبت الذى هو سبت العازر (*) احضر الشيخ نش الخلافه الاساقفه الى بين يدى السلطان [العادل] وكانوا سبعة، الاربعة المقيمون بالقاهرة فى دار الشيخ نش الخلافة عند القس داود، وثلثه الذين كانوا يسيروا ورآء السلطان من موضع الى موضع فاستخبرهم عن القس داود فقالوا نحن راضيون به ولا نخرج عما كتبنا به خطوطنا له. فقال لهم: اخرجوا واشهدوا عليكم بذلك. فخرجوا الى الديوان وكتبوا عليهم شهادة برضاهم

(*) وهى الجمعة السابقة لأحد السعف وعيد القديس يوحنا وهرقل.

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

«متولى»،كان يضاف إلى الوظائف المملوكية المختلفة. وقد اعتاد كل من يمر تحته أن يتلو صلاة قصيرة على روحه،كما أن رجال الصوفية وأتقياء الناس أصبحوا يسكنونه، واصبح له شهرة خاصة.كذلك قيل إن بهذا الباب قطعة من الحبل متصلة بخطاف؛ هى التى شنق بها طومان باى، وذكرها أحد الرحاله الأوربيين[١]؛ وعلى كل حال ، فإنه منذ قيام الدولة المملوكية، كان يشنق على هذا الباب أعداء الدولة وحتى المجرمون العتاة ؛ لاسيما رسل هو لاكو الذين كانوا قد شنقوا عليه، فى أوائل حكم هذه الدولة.

أحوال مصر بعد طومان باى

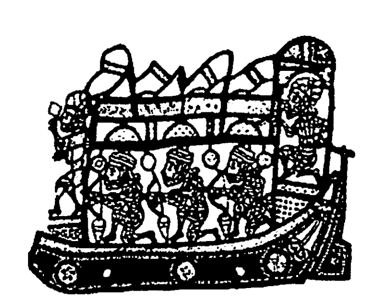
وقد بقى سليم فى مصر بعد شنق طومان باى حوالى ثمانية أشهر [٢]؛ بعدها غادرها إلى القسطنطينية (أو اسطنبول). وفى خلال إقامته فى مصر؛ أخذ فى زيارة معالمها المشهورة فزار

= بناها هذا الوزير؛ فكان هذا الباب، وباب النصر، وباب الفتوح، يعتبر من أروع الأمثلة الهندسية والحربية فى مصر، أثار إعجاب الرحالة: فهو باب عظيم، ذو قوس، يرتكز على برجين عظيمين، على كل منهما منارة؛ عليها نقش عليه عقيدة الشيعة الفاطمية: «لا إله إلا الله؛ محمد رسول الله؛ على ولى الله؛ لأن هذا الباب قد أنشى فى أيام الفاطميين الشيعة.

(١) ذكر ذلك الرحالة البريطانى Pocoke سنة ١٧٣٥م.

(٢) ابن إياس، ٣ ص ١٣٣ ـ ١٣٤. ثمانية أشهر إلا أياماً قلائل.

بالقس داود واستصلاحهم له ان يكون بطريركا. وسيرها الشيخ نش الخلافة الى السلطان فخرجت علامته [توقيعه أو خاتمه] عليها للوقت فاخذ الشيخ الخط وسيره الى والى مصر عشاء لكى ينذر الناس بان يخرجوا باكر للقاء بطركهم وليوقدوا كنيسة المعلقة ويزينوها. فنفذ الى كهنة المعلقة وتقدم اليهم بذلك فشاعت القضية وخرج الاسعد هبة الله بن صدقة المذكور اولا وهو الذى كان يولب [يؤلب] الناس على الوقوف للسلطان بتلك



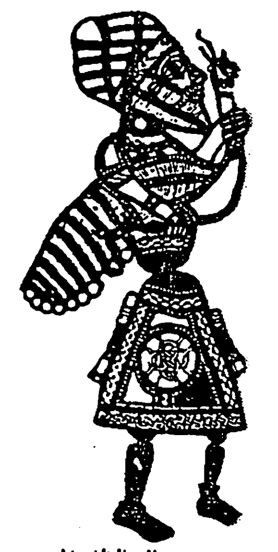
(*) من رسوم خيال الظل المصرى.

الأهرام؛ وأعجب بالمقياس الذى بناه الفاطميون ؛ لقياس فيض النيل وأقام فيه وقتا[1] ؛ ودخل إحدى الحمامات الكبيرة؛ التى امتازت بها القاهرة فى العصور الوسطى ؛ فكان إحدها يخدم فيه أكثر من مائه شخص، وأعجب بها [2].

كذلك صلى سليم فى الجامع الأزهر[3]، الذى كان بنى فى أيام الفاطميين، وأصبح من وقتهم، جامعة إسلامية كبرى؛ ومنبراً للعرفان فى دنيا المسلمين، وحضر الاحتفال الذى كان يحصل بمصرسنوياً لفتح الخليج عند بلوغ النيل الدرجة الكافى لرىّ الأراضى المصرية، كما شاهد سفر المحمل الشريف وقافلة الحجاج إلى الأراضى الحجازية، وأرسل الصرة المعتاد إرسالها إلى الحرمين الشريفين ، بقصد توزيعها على الفقراء ، لاسيما وأن أشراف مكة كانوا قد قدموا التهنئة له؛ لما انتصر على المماليك.

بل اشتاق سليم إلى رؤية البحر؛ فذهب إلى الإسكندرية[4]، وأمضى بها ثلاثة أيام، وقال عنها إنها إقليم لانظير له، وكانت رحلته فى الذهاب والإياب قد أخذت خمسة عشر يوماً ذهاباً وإياباً ، وأتاه العربان من حولها يقدمون له الولاء ، وإن كانت زيارته للإسكندرية؛ بسبب وصول الأسطول العثمانى إليها، فى يوم الثلاء ٢٨ ربيع الآخر ١٩/٩٢٣ مايو ١٥١٧ ، حيث

(١) نفسه، ٣ ص ١١٨ س ١٢.
(٢) نفسه، ٣ ص ١١٦ س ٢١ وما بعدها.
(٣) نفسه، ٣ ص ١١٦ س٢٠.
(٤) نفسه، ٣ ص ١٢١ ص ١٠.



(*) من رسوم خيال الظل المصرى.

المرار ويجـمـعـهم وصـار يدخل من كنيســة الى كنيسة الى ان اجتمع معه خلق فطلعوا الى القاهرة لوقتهم ومعهم جميع أقسا [قساوسة] الكنايس ما خلا قسـيس كنيسـة بومر قوره، وأوقـدوا الشـمع وقـصـدوا القلعـة ليـلا فلبـوا وغـوّثوا وصـرخـوا واستغاثوا الى ان سمعهم الملك الكامل، ثم عادوا ليدخلوا القاهرة فوجدوا باب زويله قد اغلق فرقدوا على البـاب. وبطلت فى تلك الليلة جميع كنايس مـصـر من الابصلمـديّة ومن تدوير الزيتـونه. فلمـا

كان مقرراً أن يشترك فى فتح شواطئ مصر لوطالت الحرب مع المماليك ؛ فقام بزيارة قطعة البالغ عددها ٣٠١وحدة ، وأطلقت المدافع من السفن لتحيته.

وفى أثناء إقامته الطويلة فى القاهرة ؛ أصبح يتسلى برؤية خيال الظل ، الذى كان أول ظهوره فى مصر فى أيام الفاطميين على ما يبدو، ثم انتشر بعدهم فى أيام المماليك؛وهو أشبة بدار الخياله الساذجة، أو ظل الخيال؛ أو طيف الخيال(١)، أو حتى مسرح الدمى؛ مما يدل على دور مصر الحضارى الرائد دائماً. فكانت تقص الشخوص اللازمة لتمثيلياتها من جلود البقر أ و الجاموس ، ويعالجونها حتى تصبح شفافة ، ويصبغونها بالألوان، ويتركون فتحات فى مفاصلها لتحريكها. وكان العرض يتم فى المساء؛ حيث يجلس الجمهور أمام الستار ، وقد يعمد من يقدمونها إلى إنشاد المدائح التمهيدية ، وفى النهاية يعاد التسبيح وطلب الغفران.

فيذكر ابن إياس فى تاريخه عن حوادث عام ١٥١٦/٩٢٢(٢)؛ أن السلطان سليماً، لما كان بالمقياس ، أحضر فى بعض الليالى «خيال الظل». فلما جلس لفرجة ، قيل إن المخايل

(١) ابن دانيال، خيال الظل، حققه حمادة ١٩٦٣ ؛ انظر: أحمد تيمور، خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص١٧ وما بعدها؛ رشدى الصالح، مسرح خيال الظل فى العالم الإسلامى، المجلة، عدد ٣٣، سبتمبر ١٩٥٩ ، ٢٥ وما بعدها؛ بولس، خيال الظل، المكتبة الثقافية، عددها ١٣٨ ، أغسطس ١٩٦٥ .

(٢) ابن إياس، ٣ص ١٢٥ ص١٨ وما بعدها.

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

اصبحوا قصدوا دار القاضى الاشرف بن الفاضل قبل ركوبه ثم مضوا الى دار السلطان فمنهم من عبر ومنهم من بقى برا يغوث ويصيح ودخل من هذه الجماعة قوم الى القاضى عماد الدين بن اخى العلم صاحب الديوان وذكروا له ان البطرك مات وله [مال] فى جهة الاساقفة ديارته(*) سنة، وهذه سنة بعد موته والسلطان وارثه، فاطلبها منهم وهى الفان ومايتا دينار. فنفذ اليهم ووكل بهم وكانوا عازمين الى النزول الى مصر لتقديم البطرك، وكتب

(*) ديارية: مخصصات مالية ترسلها الكنايس والاديرة للبطرك سنويا.

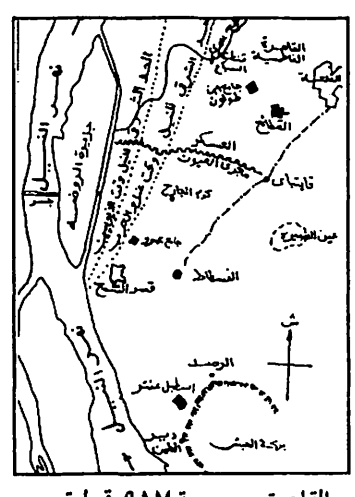
صنع له صفة باب زويله ، وصفة السلطان طومان باى لما شنق عليه ، وقطع به الحبل مرتين، فانشرح سليم لذلك ، وأنعم على الخايل فى تلك الليلة بثمانين ديناراً، وخلع عليه قفطاناً مخملاً مذهباً، وقال له: إذا سافرنا إلى إسطنبول، فامض معنا، حتى يتفرج ابنى عليه، يعنى ولده سليمان الذى عرف بالقانونى فيما بعد : فلعله هو الريس فتات العنبر [١]، الذى كان أستاذاً فى صنعه الخيال، وفاق على بريوه فى هذا الفن. ومن الغريب إنه بعد سفر سليم إلى إسطنبول نودى بأن لا أحد من الناس يصنع خيال الظل [٢]، ربما لأنه كان من أهداف خيال الظل الأساسية أنه تعبير عما يحس به الشعب المصرى من آمال وآلام ، ويؤكد ذلك أن سليماً استقدم من هؤلاء الخيالين ستمائه شخص أخذهم معه بعد مغادرته مصر؛ للبقاء فى تركيا.

أما تصرفه الشخصى فى خلال إقامته فى مصر؛ فهو أنه طولها لم ينصف مظلوماً ولو مرة، وكان مشغولاً بالسكر، وتبجحه مع الصبيان المرد[٣]، ولايظهر للجمهور إلا عند سفك دماء الجراكسة ، ويصفه المؤرخون المصريون بأنه كان من طبعه أن لايثبت على قول،وكلامه ناقض ومنقوض، وأنه ما كان له أمان إذا اعطاه لأحد .

أما عساكره؛ فكانوا على شا كلته، ليس لهم نظام يعرف، لاهم ولا أمراؤهم، وهم فى رأى المصريين كالبهائم[٤]، يلبسون الطراطير والقفاطين

(١) نفسه، ص ٢٢١ ص ١٠ ـ ١١.
(٢) نفسه، ٣ ص ١٨٣ ص٢٦.
(٣) ابن إياس، ٣ ص ١٣٤ س٥.
(٤) نفسه، ٣ ص ١٣٤ س١٤.

رقعة للسلطان [العادل] بانه جرى كذا وكذا فقال السلطان: ان تعرض اليهم احد ضربت رقبته، هذا هذيان، اى شئ اسكتهم عنهم هذا الزمان كله فقد رفع التوكيل عنهم. وركبوا مطمأنين وركب معهم القس واجتمع معهم من الخلق ما لا يحصى عدده وكان يوماً مشهوداً وجآت الرهجية [المبلغين] فاعطوهم شيئا وصرفوهم وتبادرت الاخبار الى مصر بان الامر انبت [أنتهى] فصارت الاسواق لا تنشق [لا يمكن السير فيها]. فاما


القاهرة حتى سنة ٩١٧ قبطية = ١٢٠٠م = ٥٩٧ هـ .

الحرير[١]، وجميعاً عيونهم دنيه ، ونفوسهم قذرة ، يأكلون وهم راكبون على خيولهم فى الأسواق ،ويتجاهرون بشرب الخمر بين الناس،ولما جاء شهر رمضان كان غالبهم لايصوم ولايصلى فى الجامع ، ولا صلاة الجمعة إلا قليلاً منهم، ولم يكن عندهم أدب ولاخشية ؛ حيث كان جند الإنكشارية يعتدون على الأموال والأعراض بشكل ظاهر؛ ويقومون بطرد السكان من دورهم والسكنى فيها[٢].

* * *

وبالفعل؛ فإن العثمانيين الذين كانوا صفر اليدين من كل حضارة، اندهشوا مما وجدوه فى مصر من مظاهرها، وصمموا على أن تكون لهم وحدهم، على أن يحرموا منها مصر فى نفس الوقت؛ ولم تكن هذه طريقتهم مع مصر فقط، وأنما فعلوا ذلك من قبل مع الصفويين؛ ولكن ليس بالشكل الذى حدث فى مصر،وذلك لأنهم استولوا عليها كلها؛ فكان العثمانيون يأخذون كل ما وجدوه فى مصر، وهى التى تملأ متاحفهم فى وقتنا.

فقد سعى العثمانيون إلى إفقار مصر مالياً بكل الوسائل؛ بما فيها النهب فبالإضافة إلى أنهم غنموا كل ما كان حمله الغورى معه من مال وتحف ؛ فإنهم لما دخلوا مصر عملوا على

---

(١) نفسه، ٣ ص١٢٢ س١.　　(٢) نفسه، ٣ ص ١١٨ س ١٠ ـ ١١.

[الكنيسة] المعلقة فلم يكن لأحد فيها وطأة قدم من كثرة الخلق فطلعوا برزمة فيها ثيابه [داود] ومعها عكازه الى كنيسة المعلقة وكان [هناك] والى القاهرة فلما غوث النصارى تلك الليلة نفذ استدعاه وحمله رسالة الى ابيه وكان القس [داود] والجماعة قد خرجوا من باب الخوخه(*) قاصدين مصر فوصلوا الى الميمونة ومعهم نايب والى القاهرة وتلقاهم[أ] بن والى مصر هناك واذا رسل قد جآءوا عدواً استردوا الاساقفة وقالوا السلطان

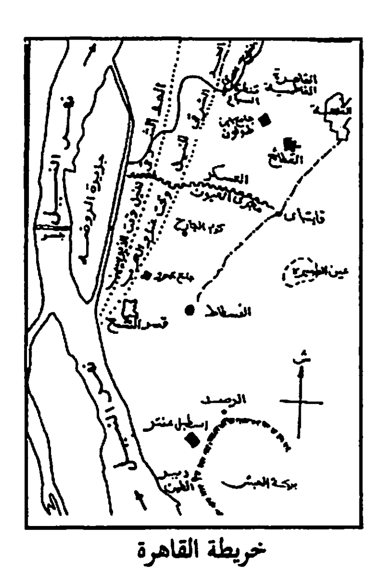
(*) باب الخوخه: كان فى السور الغربى للقاهرة الفاطمية، وهى الجهة المطلة على الخليج الكبير (الخليج المصرى). وكان إلى جواره بابان، «باب سعادة» و «باب القنطرة ويظن المقريزى أن باب الخوخة مستحدث فى هذا المكان. ويجاوره حارة زويله حيث كانت دار الوزير «يعقوب بن كلس» وهى المعروفة بدار الديباج، كان قبالة هذا الباب على الخليج جامع بناه المأمون وجعل عليه تحصينات عسكرية.

مصادرة أموال كبار الدولة المملوكية، وحتى مال الستات أيضاً[1]، بما فيهن زوجه طومان باى ووالدتها ؛ فأخذوا ما لديها من جواهر وذهب وأوانى فضيه ونحاس مكفت «مطعم». وحتى يسود الفقر المصريين جميعاً، فأنهم منعوا تداول العملة المملوكية السائدة، وأصدروا بدلها عملة خفيفة[2]، لايدخل فيها الذهب والفضة إلا قليلاً، منها عملة ذهبية أو فضية اسمها : الأشرفى[3]، كما أباحوا الزغل وهو الزيف[4]؛ فكانت الإنكشارية تدخل الأسواق وترمى فضة مغشوشة، ومن رفض قبولها تنهب تجارته أو حتى يشنق[5] ولعل سليماً جمع جميع الذهب والفضة من مصر؛ فحينما خرج منها خرج ومعه ألف جمل محملة ما بين ذهب وفضة[6]. كذلك ألغى العثمانيون دور سك العملة من مصر، وكانت منتشرة فى مصر والشام، بل إن سليماً قد أخذ معه عند عودته إلى أسطنبول معلم سك العملة فى القاهرة[7].

ويتبين مما أورده ابن أياس من إحصائيات للمال فى مصر منذ أيام الفراعنة إلى وقت العثمانيين هبوط دخل مصر فى أيام العثمانيين[8]، بشكل لم يحدث قبلاً سيما وأن مال مصر أصبح يحمل مباشر من مصادره إلى إسطنبول، مثل المال الذى يرد إلى ثغور الاسكندرية

(١) نفسه ، ٣ ص ١١٨.
(٢) نفسه، ص ١١٧ س١٦.
(٣) نفسه، ٣ ص ٢٢١ س ٨ ـ ٩.
(٤) نفسه، ٣ ص ٢٩٠.
(٥) نفسه، ٣ ص ٢٧١.
(٦) نفسه، ٣ ص ١٣٣ س ٢٢.
(٧) نفسه، ٣ ص ٢٨٩.
(٨) نفسه، ٣ ص ٢٦٦.

طلبهم، وفى الحال جآء سهم الدين والى القاهر يركض فاستعاد الخط الذى كان فيه علامة السلطان واخذ الاساقفة معه وعاد، فلما وصل الى باب دار السلطان كاد الناس يرجمون الاساقفة فحماهم سهم الدين وقال: والله ان تعرض اليهم احد قطعت يده. فكفت عنهم الايدى بل تناولوهم بالالسن فشتموهم وسبوهم وعيروهم. وعبروا الى دار السلطان فعيقوا بها. واما القس وبعض الجماعة



خريطة القاهرة

ودمياط والبرلس[1]؛وحصيلة خراج الأرض ١٫٣٠٠,٠٠٠ ، غير العينى من القمح والشعير والفول.

ومما جعل المعاناة المالية تسود فى أعماق القرى المصرية أيضاً، أن العثمانيين جعلوا مقاييس جديدة للأرض، ليست من مقاييس مصر التى تعودت عليها، ومن لم يكن يعمل بها يشنق من غير معاودة[2]، منها ذراع من الحديد تسمى العثمانية تزيد على الزراع الهاشمى، الذى كان يتعامل به أهل مصر منذ أيام العباسيين ، وحتى فى الموازين أرسلت صنج من نحاس وأرطال على طريق اسطنبول . وأرسلت الأوامر بابطال ما فى مصر من صنج.

وفى الوقت ذاته ، رسمت سياسة عامة؛ لنهب كل ما هو قيم فى مصر، وحمله إلى اسطنبول بالطريق البرى على آلاف الجمال،وفى أعداد لاتحص من المراكب. فكان أكثر ما نهب من القلعة أو قلعة الجبل - جبل المقطم- التى كانت مقر سلاطين المماليك بالقاهرة، وجمعت فيها تحف عديدة على مدى ثلاثة قرون ، فيما عرف بالبيوت أو الخانات أو الدور ، وهى الأماكن الواسعة التى استخدمت إما فى خزن البضائع أو فى صنع الأشياء ،ولم تكن للسلطان وحده، وانما للخواص من أمرائه؛ حيث تعددت فى أيام المماليك بشكل لم يعرف قبلاً، وتمثل درجة كبيرة من الغنى؛ بحيث أصبح غناها الفاحش منبعاً للخيال فى قصص ألف

(١) نفسه، ٣ ص ٢٦٧ ص ١٠.

(٢) نفسه، ٣ ص ٢٧١ ص وما بعدها، ٢٩٠.

فدخلوا الى كنيسة حارة الروم الحمرا(*) وبعضهم بقى برا على الطريق وبعضهم بل اكثرهم تغللوا وبقى من بقى منتظرين لم ينقطع رجاهم. واما اوليك فكانوا مقيمين على باب دار السلطان لما دخل الملك الكامل الى خدمة ابيه وقفوا له وراهم ولما خرج وقفوا له ودعوا له. وطالت الحال وجآت [الساعة] التاسعة. وكنت انا فى جميع ما جرى فى هذا النهار مقيما بكنيسة ابو سرجه، فلما قيل لى قد وصل [القس داو]الى الميمونه قلت اقوم

(*) كنيسة حارة الروم الحمرا (كنيسة بومنا): فيما يذكرها المقريزى أنه فى سنة ثمان عشره وسبعمايه (١٠٣٤ قبطية = ١٣١٨م)، رفع النصارى (القبط) قصة باعادة ما تهدم بها، فرسم لهم بذلك فأعادوها أحسن ما كانت. وشق ذلك على المسلمين، فوقفوا للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وشكوا أمر الكنيسة وأنه جدد إلى جانبها بناء لم يكن بها. فأمر الخازن والى القاهرة بهدم ما جدده النصارى، فلم يكن بأسرع من هدمه واقامة محراب فيه. وتجمع المسلمون فأذنوا به ووصلوا وقرأوا القرآن، فأنكر النصارى ذلك

ليله وليلة، منها[١]: الشر ابخاناه التى احتوت على أدوات الشراب النفسية، وأنواع الصينى الفاخر، والطشتخاناه التى احتوت على أدوات غسل الملابس الخاصة بالسلطان والساكنين بالقلعة، والفراش خاناه، وفيها أنواع الخيام والسجاجيد، والسلاح خاناه أو حواصل الذخيرة وفيها كل أنواع السلاح، حتى تلك التى تستخدم فى حفلات السلطان وكلها مطعمة بالذهب والفضة والجواهر ؛ إذ كانت توصف بأنها عجيبة من العجائب، بها من جميع آلات السلاح ،حتى من المدافع النحاس، والركبخاناه حيث يوجد فيها كل ما يتعلق من معدات ركوب الخيل، والطبلخاناه وفيها أنواع الآلات الموسيقية والآعلام ،والشكار خاناه وفيها كل ما يتعلق بالطيور وبخاصة تلك التى تستخدم فى الصيد ،هذا غير ما يوجد فى القلعة من خزائن المال والكتب ،وحواصل وأهراء وهى مخازن، واسطبلات للخيل ،ومناخات للجمال، ومطابخ إلى غير ذلك.

فلم يترك سليم فى القلعة شيئاً لم يأخذه منها؛حتى وأعمدتها ، لاسيما تلك التى فى الإيوان ، وهى قاعة الاستقبال الرسمية ، التى كان من يراها يقر لسلاطين مصر بعلو وسعة الإنفاق والكرم؛ حيث كانت تعلوه قبة خضراء عالية جداً.وهو الإيوان الكبير، أشهر إيوانات قلعة الجبل، فى القصر المعروف بالكبير والمعظم[٢]، وكانت حوائطه مغطاة بالرخام

(١) انظر: عبدالمنعم ماجد. نظم المماليك ورسومهم فى مصر، الجزء الثانى.

(٢) ابن إياس، ٢ ص٢، ٣ ص١١٧؛ الخطط، ٣ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١. بنى فى ٧١٤/ ١٣١٤.

القاه على راس الدرب فقمت ركبت وانا اقول هنا القاه هنا القاه الى ان قيل لى الجماعة قد نزلوا عند الحمرا فتعجبت واسرعت لعلم الخبر فجيت وجدت اصحابنا قعوداً فاعلموني القضية فقعدت معهم فلما فاتت التاسعة قلت اليوم عظيم [عيد الشعانين حد السعف]، وما يجب ان يفوتنا فيه القربان، وكان هناك قس من اهل دميره يسمى بانوب فاخذته معى وجماعة من اصحابنا المكابرين

من فعلهم وشكوا مصابهم إلى كريم الدين ناظر الخاص، (قتله الملك الناصر بعد ذلك فى عام ١٠٤٠ قبطية = ١٣٢٣م = ٧٢٤ هـ.)، فتعصب لهم عند السلطان حتى أمر بهدم المحراب، فهدم وبقى مكانه كوم تراب (انظر مسودة المواعظ والاعتبار. تحقيق: د. ايمن فؤاد سيد. ص. ٤١).

والفصوص المذهبة والمشجرة بالصوف وأنواع الملونات، وأرضها مفروشة بالرخام من مختلف أقطار الأرض مما لايوجد مثيله ، فكان سليم يأمر بوضع الرخام فى صناديق خشبية ؛ ليشحنه إلى اسطنبول.

يضاف إلى ذلك أن سليماً شحن إلى بلاده ما أخذه من بيوت الأمراء قاطبة والأعيان، بل نقل إلى بلاده أعمدة عظيمة من الصعيد (أعمدة فرعونية) ومسلات، وأبواباً مسوكة من حديد بصناعة بديعة[1] ، وحتى آثار النبى ومفاتيح الكعبة وأبوابها التى كانت بمصر ؛ هذا غير الخيول والنجائب وكل ما هو ناطق.

ولاشك أن سياسة استغلال جميع موارد مصر على يد العثمانين تلك التى بدأت بسليم،كانت من العوامل التى جعلت مصر يعمها الخراب وتكره هذا الاحتلال الفظيع.

* * *

وفى سبيل القضاء على مقومات مصر الحضارية، سعى سليم إلى أن يفرغها من كل ناحية فيها؛فسحب منها رجالها الحاذقين فى المهن والحياة الحضارية؛ ليحملهم معه إلى إسطنبول ، بقصد أن يسخرهم فى تعمير بلاده. ولذلك لم يقابل أهل مصر منذ قديم الزمان أعظم من هذه الشدة، ولاسمع بمثلها من قبل فى التواريخ القديمة.

(١) نفسه، ٣ ص ٣٣٥.

[الموافقين] لى وجينا الى كنيسة غبريال(*) وكانوا قدسوا فيه قبل ذلك فطلبنا قربانة فاحضرت واحضر كسوة وانيه فقدسنا وتقربنا. وعدت انا الى كنيسة بو سرجه التى كنت مقيم(*) بها فى الصوم وبقى بعض اصحابنا منتظراً على حاله فاما اوليك المصرون [المصممون] فبقوا على باب دار السلطان الى العشا الى ان اخرجت الاساقفة واكثرهم باتوا بالقاهرة. واما القس داود فاقام بكنيسة حارة الروم الحمرا الى عشية النهار ثم عاد

(*) كنيسة غبريال: هى كنيسة الملاك غبريال بحارة السقايين، تم هدمها بعد ذلك تم اعيد بناؤها سنة ١٨٩٠م.

(*) كان كاتب السيرة مقيماً بكنيسه ابو سرجه.

فيذكر المؤرخ ابن إياس أسماء هؤلاء التعساء، الذين تقرر سفرهم من مصر إلى اسطنبول؛ حيث خصص فصلاً فى كتابه لمن توجه منهم إلى القسطنطينية على حد قوله(١) وهم من جميع نواحى مصر،من المسلمين والقبط واليهود على السواء (٢)،منهم : أصحاب الحرف والصناعات(٣)، كالمهندسين والبنائين والنجارين والحدادين والسباكين والفعلة؛ حيث أخذ سليم من هؤلاء جماعة كبيرة جداً، لايمكن حصر أعدادهم(٤)كذلك أخذ سليم الحذاق من صناع الزردخانه، أى السلاح(٥)، أو الذين يشتغلون بصناعة النسيج ؛ وهم من الصناع الذين كانوا يوجدون فى مصر بكثرة كما أخذ جماعة من التجار . لاسيما تجار الخليلى(٦)، وحتى تجار الشراب «العصير» ؛ حيث لاتزال توجد فى بلاد الأتراك للآن .ومن رجال الحكم أخذ رؤساء الديار المصرية،ومشاهير الناس، وكتاب الدواوين (٧)، والمعلمين فى المدارس الحربية «الطباق» والقضاة والشهود؛وأخذ الفلاحين والعوام والسوقة كعبيد وعمال.

ولعل الذى يؤيد قصد العثمانيين إفقار مصر من أهلها سيما من الحذاق هو أخذهم المعلم عبد الرحمن بن طبيلة، الذى كان علامة عصره فى أنتاج الفروج أو معامل الدجاج والأوز؛

(١) نفسه، ٣ ص ١٤٧.
(٢) نفسه، ٣ ص ١١٦ ـ ١١٧ ، ١٤٩ س١٢.
(٣) نفسه، ٣ ص ١٢٢ س ٢٢.
(٤) نفسه، ٣ ص ١٤٩ س ٩ ـ ١٠.
(٥) نفسه، ٣ ص ١٤٨ س٢٤.
(٦) نفسه، ٣ ص ١١٩ س ٤ ـ ٥.
(٧) نفسه، ٣ ص ١٢٢.

الى بيته وبطلت كنايس مصر فى هذا النهار من القداس وهو يوم الشعانين واصبحوا الناس يوم الاثنين الذى هو اول يوم البصخه (*) وكان عيد الاضحى، اجتمعوا ووقفوا للسلطان بالاناجيل والمجامر والصلبان يدعون له وخرجوا الاساقفة فى ذلك النهار كل منهم الى كرسيه ورجع الناس الى كنايسهم واستقروا بها وعيدوا والقال والقيل بينهم يحتبك. واما ما جرى على البيعة فى هذه الايام فان وكيل السلطان جآء الى قصر الشمع

(*) البصخه : قربان بيرام

حيث اشتهرت مصر بتفريخهم[1]؛ فكانت معامل التنانير، التى كان يعمل فيها البيض ، ويوقد عليها بالنار؛ فتحاكى نار الطبيعة فى حضانة الدجاج ؛ فتخرج الفراريخ ، ولايعمل هذا فى بلد غير مصر[2]؛ كما يقول ابن إياس.

فكان ترحيلهم إلى إسطنبول فيه إذلال كبير لهم، وقسوة بالغة؛ فهم قد فصلوا عن أهاليهم ؛حتى جرت الدموع فى مصر بسبب ذلك أنهاراً، وأحزن نساءهم غاية الحزن، حتى قاموا لنعيهم كأنهم مفقودون ،ودقوا عليهم بالطارات[3].وكانت تكتب أسماء المرحلين فى قوائم[4]،ومن لم يحضر منهم أخذ بدله ضامن من أهله ،ولايطلق سبيله إلا إذا حضر. وحينئذ يربطونهم بالحبال فى رقابهم، ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم، ولو كانوا من أعيان الناس[5].بل أحياناً يطلب من بعض كبار الموظفين السفر إلى إسطنبول،ويقولون لهم أكتبوا وصاياكم،مما جعل أحوالهم تضطرب[6]. فيوضعون فى السجون أو الابر اج أو الخانات وهى المخازن[7]؛ إلى أن يتم ترحيلهم فى المراكب عن طريق البحر إلى إسطنبول، ومن يرفض منهم النزول فى المركب يضرب، وينزلها رغم أنفه[8].

(١) نفسه، ٣ ص ٢٥٥.
(٢) نفسه، ١ ص ٥.
(٣) نفسه، ٣ ص ١٧٩.
(٤) نفسه، ٣ ص ١٤٩ س١٤.
(٥) نفسه، ٣ ص ١٢٤، ١٣٢.
(٦) نفسه، ٣ ص ١٧٩.
(٧) نفسه، ٣ ص ١٢١ ص ٣.
(٨) نفسه، ٣ ص ١١٩ س ٧.

وصقعه(*) جميعه واخذ الناس بأن يقوموا عن كل دار بشى على حكم الحكر واخذ من كثير منهم، وحدد عليهم الحكر مضاعفاً وقطع على اوقاف الكنايس التى للذمه من كل دار خمسة دنانير ووقع للناس من ذلك فى شدة عظيمة. وكان التوكيل على القسوس فى كل حين بهذا السبب وقاموا ببعض المبلغ فغرمت كنيستا المعلقة وبوسرجه زهاء خمسون دينار، ولما وصل السلطان وقفوا عن الطلب. وبعد ذلك وردت الاخبار بغلا

(*) صقعه: أى طاف بكل نواحيه وقيّمه ماليًا.

ولانعرف ما حدث لهؤلاء المنفيين أو حتى أعدادهم(١)، بعد أن فارقوا أوطانهم، لأول مرة؛ وإن عرفنا أن بعضهم قد غرق فى الطريق ؛ فقد ذكر أن مركباً قد غرقت وهى فى طريقها إلى إسطنبول ؛كانت تحمل أربعمائه شخص، منهم جماعة من الأعيان ، الذين خرجوا من مصر(٢)، وأنه فى عام ١٥١٧/٩٢٣(٣)،وصلت أنباء من إسطنبول تفيد وفاة جماعة كبيرة من أهل مصر ممن توجه إليها، وإن كثيراً منهم لم يعلم خبره. ولعل بعض هؤلاء المنفيين ، على الأقل أعيان مصر منهم،كان قد راودهم أمل أن يفرج عنهم، إلا أنه لم يلتفت إليهم. لذلك بذلت بعض المحاولات منهم للهرب إلى مصر؛ إلا أنهم كانوا يعاد وضعهم فى الحديد عن طريق الصوباشية ـ القائمين بأعمال الشرطة ـ ويعرضون فى شوارع اسطنبول أمام أهلها ، وقد قاسوا من الهوان الكثير، بينما منهم الأعيان والقضاة(٤) ومع أنه قد سمح لبعضهم بالزيارة فى مصر؛ إلى أنهم سرعان ما يعادون إلى اسطنبول ، وبوضعهم فى الحديد، وتكتيفهم بالحبال إلى أن ينزلوا فى المراكب (٥)؛ وقد لوحظ أن أكثرهم لما وصل إلى مصر كان قد حصل لهم ذهول(٦).

ولا نشك فى أن هؤلاء المنفيين فى اسطنبول وغيرها،هم الذين بنوا للعثمانيين أجمل

(١) قيل ١٨٠٠ إنسان.
(٢) ابن إياس، ٣ ص ١٤٠ س ٦ ـ ٧.
(٣) نفسه، ٣ ص ١٧٦ س٩.
(٤) نفسه، ٣ ص ٢٢٤.
(٥) نفسه، ٣ ص ٢٥٥.
(٦) نفسه، ٣ ص ٢٦٣ س٦.

الغلة فى الشام وخصوصاً ارض القدس والساحل [ساحل الشام] حتى انهم ذكروا ان الماء عدم بها وان عين سلوان نزحت حتى صارت طريقا، ولم يسمع بمثل هذا . وتحركت الاسعار بمصر الى خمسة وثلثين دينار المابة اردب القمح ثم انحطت الى سبعة وعشرين دينار. وعمل جسر مراكب من الجزيرة [الروضه] الى الجيزه وكان مبتداه من قدام الصناعة [ترسانة بناء السفن] المستجده وعدة

عمائرهم وأرواعها، التى يفخرون بها للآن، سيما جوامعهم ومنائرهم وبازاراتهم وغير ذلك،وهى التى تعتبر من أروع المبانى العثمانية. ولعل لفظة «جى» التى انتقلت إلى لغة المصريين [1]؛ لتعنى حذق حرفة؛ قد تدل على ما قام به المصريون من نشر للحرف والصناعات التى كانوا على دراية بها وتفوق ، وعلى العكس ؛ فقد لاحظ المؤرخ ابن إياس، أنه بسبب ترحيل أصحاب الحرف والصناعات من مصر إلى بلاد العثمانيين؛ فانه قد بطل من مصر نحو من خمسين صنعة،مما يبين أن مظاهر حضارة مصر وتفوقها قد انتقلا على يدهم إلى إسطنبول وغيرها[2].

يضاف إلى ذلك ، أن سليماً قد قضى على الزعامة الروحية التى استمرت طوال حكم دولة سلاطين المماليك، بنقل منصب الخلافة إلى اسطنبول؛وإن كان يبدو أنه قد فعل ذلك تدريجياً [3]. فبعد موقعة مرج دابق ،ربما كان سليم قد وعد الخليفة بأن يسيره إلى بغداد؛ ليعيد إليها مركز الخلافة؛ مثلما كان الحال قبل انتقالها على يد المماليك إلى مصر، بعد أن

(١) انظر. نجيب المصرى، التركية فى العامية المصرية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٣، ١٩٧٦، ص١٥٦.

(٢) ابن إياس، ٣ ص ١٣٣ ص٢٨.

(٣) لا يذكر مؤرخون ترك معاصرون شيئاً عن نقل الخلافة إلى سليم. انظر ابن كمال، وحيد جلبى، ومترنجى نصوح، وجلال زاد قوجه نشانجى. ملاحظة متولى، المرجع السابق، ص ٢٣٤.

المراكب التى فيه ثلثة وخمسين مركبا، وكان كماله فى نهار يوم الخميس التاسع من ابيب سنة ثلاث وثلثين وتسع ماية [٩٣٣ قبطية = ١٢١٧م] وأبيح للناس [عبوره] بغير حق يطلب عنه. واستخدم السلطان برسمه رجال لاصلاح ما يفسد منه ولفتح الابواب للمراكب المصعده والمنحدره لانهم عملوا فيه مواضع لاجل ذلك يفتح للمراكب وتعاد على حالها وصار الناس رايحين الى


اقدم خريطة مصورة للقاهرة قبل عام ١٤٨٠م

استولى المغول على بغداد . كذلك لاحظ المؤرخ ابن إياس أن الخليفة المتوكل كان صاحب الحل والعقد فى أول أيام فتح العثمانيين لمصر،وأنه فى مقام سلطان مصر(١)، فى نفوذ الكلمة وظهور العظمة ،حتى كانت زوجة طومان باى فى بيته.

وبعد أن استفاد سليم من الخليفة المتوكل فى تثبيت فتحه لمصر؛ تغير خاطره عليه،وأصدر له الأمر بالرحيل إلى أسطنبول ،مع بعض أولاد عمه(٢)؛ ربما ليقطع جذور أسرته من مصر نهائياً. فلما وصلوا إلى أسطنبول ، فرق سليم بين الخليفة وأبناء عمه، وأدعى عليه ادعاءات كثيرة .منها أنه كان أخفى عن السلطان ما كان عنده من ودائع الأمراء الذين قتلوا، وأنه أساء إلى زوجة طومان باى وأمها، بأخذه أموالها، ووصل به إلى أن حط من قدره بالاعتداء عليه بالسباب والضرب ،ثم نفاه إلى خارج اسطنبولى لتسهل مراقبته،وحتى لايتمكن من الهروب،مثلما فعل ببعض المصريين ، الذين رحلوا إلى بلاد العثمانيين ، وربما لم يعد الخليفة إلى مصر بعد ذلك أبداً.

ولانعرف على وجه التدقيق ماحدث بالنسبة لانتقال منصب الخلافة إلى سليم ،الذى وضحت نياته منذ البداية فى الاستحواذ عليها ، بدليل أنه لم يدع للتوكل بالخلافة فى

(١) نفسه، ٣ س ١٠٥ ص ١٣ ـ ١٤.
(٢) نفسه، ٣ ص ١١٩ ص ٢١ وما بعده.

الجيزه وجايين ركابا ورجالة [على اقدامهم] وفرحوا بذلك فرحاً عظيما ودعوا للسلطان بسببه وعمل عليه درابزين خشب من الجانبين احترازا من ان يسقط احد الى البحر فى [أىّ] وقت.

ووجد الناس به راحة عظيمة ووصل الماء فى هذه السنة الى اثنين وعشرين اصبعاً من سبع عشر ذراعاً ثم انحط، وتحركت اسعار الغلة الى ان بلغ القمح خمسين دينار المابة اردب ثم انحط الى

اسطنبول ،وربما حصلت هناك مبايعة منه إلى سليم أو أنه لم يتم التنازل فى عهده؛ وإنما حدث فى عهد خلفه.ومع ذلك فإننا نرجح انتقال الخلافة إلى سليم نفسه ؛ بسبب أنه كان له لقب الخليفة ، فيذكر ابن زنبل من ألقابه : السلطان الأعظم، الخاقان المعظم ،مالك رقاب الأمم، صاحب السيف والقلم ،خليفة الله فى الأرض (١) ،كما أن سليماً نفسه قد أخذ عند عودته إلى اسطنبول شارات الخلافة كالبردة،حيث سميت «خرقة شريف» ،والسيف وغيرهما.



كانت آثار مصر وخيراتها نهباً للعديد من القوى الاستعمارية منذ الرومان والفرس والعرب والترك والأوروبيين من مختلف الجنسيات والامريكان.. الخ.

(١) ابن زنبل، س٢.

خمسة وعشرين دينار. ورجعوا كرروا الطلب على القسوس فى طلب قيمة ما قطعوه على الاوقاف، ولم يزالوا مجتهدين الى ان غلقوه بعد جهد وشدة ورهبان [رهبة] اجحفت بالكنيسة. وفى هذه السنة خرج السلطان الملك العادل من القاهرة الى البركة المعروفة ببركة الحبش(*) طالبا للدار الشامية لما بلغه من اخبار الفرنج وكثرتهم واقام بها مدة ثم انتقل الى بلبيس(*) دخلت سنة اربع وثلثين وتسع مايه

(*) بركة الحبش: تقع للجنوب من القاهرة الفاطمية ومدينة الفسطاط فيما بين النيل وجبل المقطم. وهي ليست بركة بالمعنى الدارج الآن ولكنها كانت غيطان وبساتين تغمرها المياه وقت فيضان النيل. وكان يقع إلى شمالها الرصد الفاطمي الذى بناه الوزير الفاطمى الأفضل ابن بدر الجمالى ومحله الآن اسطبل عنتر بالبساتين. وكان يقع عليه دير للأحباش ولعل هذا سبب تسميتها ببركة الحبش.

(*) وبلبيس من مدن محافظة الشرقية، كانت تقع على الطريق من الفسطاط إلى الرملة بفلسطين،

- -

ولاشك أن السلطان العثمانى قد وضع قبل سفره الخطوط الرئيسية لكيفية حكم مصر، بعد أن هزم المماليك هزيمة مطلقة، بشنق طومان باى آخر سلاطينهم؛ إلا أنه قد قرر فجأة وعلى غير انتظار أن تعود مصر للجراكسة،ولكن تحت سيطرته؛وهو نمط الحكم الذى استمر فى مصر؛ إلى أن سعى الفرنسيون بمجئ نابليون للقضاء عليه؛ وإن تم القضاء عليه نهائياً بتولية محمد على الكبير؛ حتى أصبحنا نميز بين عصرين فى حكم المماليك لمصر، حكم السلاطين الذى انتهى بشنق طومان باى ، وحكم أمراء المماليك الذى استمر إلى العصر الحديث،وربما سليماً قد وجد ذلك أيسر من حكمها حكماً مباشراً،وخصوصاً أنه لم يعد يخشى الجراكسة، الذين لم تكن لهم حيلة أمام تفوق العثمانيين الحربى،مادام قد ترك فى مصر حامية من جنده، ومزودة بالسلاح الحاسم،الذى كان السبب فى نصر سليم على طول الخط فى جميع حروبه فى الغرب والشرق، وهو البارود وآلاته المتطورة، سيما المدفع والبندقية.

ولاشك أيضا أن تفكير سليم فى حكم مصر بهذا الشكل ،كان على عكس ما فعله نابليون فيما بعد،الذى أراد أن يقضى على حكم المماليك لصالح المصريين،كذلك لانشك فى أن سليماً من ناحيته،لم يكن يحب المصريين بتاتاً أو يميل إليهم ؛ حتى يدعوهم إلى المشاركة فى الحكم،ربما لأن سليماً نفسه كان يخشى من شعب مصر أن يعيد حكم دولة سلاطين المماليك. حقاً إن الجراكسة قد بقوا فى مصر، إلا أن الذين استعان سليم بهم لم يكونوا فى

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

ثم توجه الى الشام ونزل ببيسان(*) يجمع عساكره وجنوده واقام بها مدة طويلة وكان قد وصل الى الافرنج ملك من ورا البحر [المتوسط] يعرف بملك الهنكر(*)وقيل انهم اجتمعوا فى اربعة الف راكب ومااية الف راجل وقصدوا عسكر الاسلام ببيسان فلم يثبت قدامهم [عسكر الاسلام] بل انهزموا وتبعتهم الافرنج اربعة خمسة ايام الى ان ابعدوهم عن الساحل ونهبوا من الغلال والاسلحة وقتلوا واسروا خلقاً عظيماً. ثم عادوا نزلوا على

ولذلك عُرفت بمحطة رحال الدرب الشامى، ولأهميتها العسكرية كان بها والى الحرب، ويمر بها نهر النيل وقت الفيضان.

(*) أما بيسان فهى من شمال فلسطين قرب نهر الاردن.

(*) الهنكر: المجر وهو غالباً الملك اندرو الثانى.

خدمة مصر وسياستها ،وإنما فى خدمة العثمانيين،أو بمعنى آخر من الخونة الجراكسة ،الذين تعاو نوا معه.

وربما قد فكر سليم لوقت قصير جداً، أن يحكم مصر حكماً مباشراً، بتولية أعظم وزرائه يونس باشا، نائباً عنه فيها، لاسيما وأن يونس باشا كان السبب فى ولايته السلطنة من دون أخوته [1] فى اسطنبول، فقرره فى النيابه فى حكم مصر[2]. ولكننا لانعرف السبب الحقيقى الذى من أجله عدل سليم عن ذلك ، وربما قدحدثت مؤامرة لقتله على يد الإنكشارية [3]، فى أثناء عرضه لعسكره قبل عودته ؛ وكان ليونس باشا يد فى ذلك، أو لأن يونس باشا لم يعد على وفاق معه؛ فكان يعارض تصرفاته؛ بحيث أن سليماً نفسه لم يلبث أن قتله ؛ فقطع رأسه[4]؛ وهو فى طريقه إلى اسطنبول؛ وإن كان ابنه قد هرب إلى مصر، وقبض عليه فيها.

وعلى كل حال؛ فإن سليماً قبل مغادرته مصر اختار نائباً فيها من المماليك الجراكسة،هو خاير بك، الذى كان السبب فى انتصاره بخيانته للسلطان الغورى؛ فقد ورد فى كتاب توليته الذى صدر فى يوم الاثنين ١٣من شعبان ٣١/٩٢٣أغسطس ١٥١٧[5]: أعطيك هذه المملكة

(١) ابن إياس، ٣ ص ١٣٦ س ٦ ـ ٧.

(٢) نفسه، ٣ ص ١٢١ س ١٤.

(٣) نفسه، ٣ ص ١٣١.

(٤) نفسه، ٣ ص ١٢٦ س ٢.

(٥) رزونامه جلبى، ورقات ١٤٣ ـ ١٦٠ ؛ أحمد فريدون، ورقات ٦٣٠ ـ ٦٤١؛ ابن إياس، ٣ ص ١٣١ س ٢٥.

طبـريه(*) اياما ثم رجعوا الى عكا(*) اقاموا بها يعملون آلات الحصار ثم خرجوا نازلوا الطور [قلعة طابـور(*)] وهى قلعة عظيمة استنجد بها الملك العادل قريبة من عكا وقاتلوها عشرة ايام وقتلوا مقدمها ثم رحلوا منها بغير سبب علم وعادوا الى عكا. وكان قبل عيد الميلاد المقدس. وفى هذه الايام امر السلطان عز نصره بعرض المسجونين فعرضوا عليه فكان فيهم رجل يسمى اسداً وكان حايكاً وكان قد تخاصم مع امرأته فحملته الى

(*) عكا: من مدن الساحل الفلسطينى الشمالى، وميناء هام. فى العصور الوسطى، كما كانت لها صله بمحاولات بونابرت الاستيلاء على الشام وقت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م.
أما طبريه فهى بحيرة فى شمال فلسطين ينبع منها نهر الاردن.

(*) قلعة طابور: من القلاع الحصينة التى تقع خلف قلعة عكا. ويعتقد اقباط مصر أن يسوع المسيح تجلى على طور طابور. ويحتفل بهذه الذكرى فى ١٣ مسرى. انظر السنكسار جـ ٢ ص ٣٦٦.

إقطاعاً لك إلى أن تموت .ونحن لانعرف كثيراً عن خاير بك،غير أنه جركسى، أبوه اسمه يلباى [(١)]، وأنه ترقى فى أيام قايتباى ،كما صبح فى أيام الغورى من أكبر مساعديه، حتى أنه كان أرسله فى سفارة إلى اسطنبول فى أيام بايزيد الثانى فى ١٥٤٧/٩٠٣، وظل يترقى فى الوظائف المملوكية ؛ إلى أن أصبح نائباً على حلب؛ وإن وصف بأنه كثير الحيل والخداع ؛ منها أنه كان دائم الأتصال بسليم ؛يظهر ذلك بوضوح من الوثائق التركية الرسمية ذاتها مما جعل سيباى نائب الغورى بالشام بتهمه بالخيانة، وأراد قتله؛ إلا أن الغورى لم يوافقه [(٢)].

كذلك سمح سليم لنائبه خاير بك أن يستعين فى حكم مصر ببنى جنسه من الجراكسه، وقبل سفره كتب إلى الدواوين فى مصر المعارضة لجميع أصحاب الإقطاعات والأرزاق من المماليك [(٣)]؛ بل جعلهم يعو دون بالفعل إلى حكم مصر من جديد ؛ فقسم البلاد من الناحية الإدارية إلى مديريات ، عددها أربع وعشرون مديرية ؛على رأس كل منها أمير مملوكى؛ تكون مهمتهم فيها جمع المال له [(٤)]، وبذلك لايتغير الوضوح الذى كان سائداً من قبل؛ وفى الوقت ذاته قسم مصر من الناحية السياسية إلى ثلاثة أقسام كبيرة ، جعل على كل قسم رئيساً من المماليك أيضاً لمعاونة خاير بك فى حكم البلاد؛ على أن يتبع هؤلاء الثلاثة الديوان ـ أى الوزارة ـ فى اسطنبول [(٥)].

---

(١) ابن إياس، ٣ ص ٣١٥ ـ ٣١٦.
(٢) انظر. قبله.
(٣) ابن زنبل، ص ١١٣.
(٤) أوردها فريد. انظر. الدولة العلية، ص ٧٧.
(٥) نفسه، ص ٧٦.

الشـرع فـجـرت منه لقطه [لفظة] شـهـد عليـه بالاسـلام وانكره فاعتقل وبقى فى الاعتـقال مدة سنة الى هذا الاوان فـاحـضـره السلطان ورغـبـه ووعـده بمال وكـسـوة ان هو بقى على الاسـلام فـامتنع وقـال: مـا انا الا نصـرانى وعلى نصـرانيتى امـوت. فـقـال له: ويلك تلفظ بالشـهـادة قـدامى واينمـا اردت امـضى، أفتـضل بنفسك؟. قـال: لا. كان هذا ابدا. ولم يزل الحال يتردد بينهم وبينه الى

ومع ذلك؛ فإن سليماً لم يكن يثق فى خايربك أو ا لجراكسة ثقة مطلقة ؛ بدليل أنه أخذ معه عند مغادرته مصر ابن خاير بك نفسه رهينة [1] .كذلك قرر سليم مع خاير بك؛ خير الدين باشا؛ احد أمراء العثمانيين ، وجعله يقيم فيها ، ولا ينزل إلى المدينة [2]، بينما خاير بك أصبح يقيم أساساً فى المدينة. وقد جعل سليم تحت حكم هذا الأمير العثمانى «أوجاقات» وهى فرق من الجيش العثمانى مكونة من خمسة آلاف فارس«سباهى» ،ومن الرماة بالبندق (توفتكجيان) نحو خمسائة رام ، وقيل عشرون ألف عسكرى من المشاة ـ الإنكشارية ـ واثنا عشر ألفا من الفرسان [3](السباهية) .فكان رؤساؤهم أو ضباطهم يعتمد عليهم الأمير العثمانى، بما فيهم « الأغا» ، أى رئيس الفرقة أو نائبه ويسمى «الكخيا أو الكتخدا» . وربما يكون سليم قد أتاح مع خاير بك شخص اسمه، جانم الحمزاوى[4]، الذى وصف بأنه من أعيان أبناء الناس ـ لعله من المصريين ـ بعض السلطة؛ فأصبح صاحب الحل والعقد فى البلاد؛ وإن كنا لانظن أنه قد استمر له نفوذ كبير لمدة طويلة مع وجود خاير بك. وأخيراً؛ فإن سليماً قد طلب من ابن الغورى ، سيدى محمد [5]؛ أن يغادر مصر معه؛ حتى لايوجد أى مطالب بحق السلطنة المملوكية، لاسيما وأن طومان باى لم يترك أولاداً ذكوراً.

(١) ابن إياس، ٣ ص ٢٣٥ س ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) نفسه، ٣ ص ١٣٣ س ١٤ ـ ١٥.
(٣) ابن زنبل، ص ١١٧. (٤) ابن إياس، ٣ ص ٢٢٨.
(٥) نفسه، ٣ ص ١٣٤ س ١٥؛ ابن زنبل، ص ١١٧.

يوم الغطاس الجيد فامر بضرب رقبته فاحضره والى القاهرة عند باب زويله واحضر الشهود وعرض عليه الاسلام قدامهم فامتنع وقال: انجزونى [انحرونى] بالله عليكم ولا تردونى الى الحبس. فتقدم اليه احد مماليكه فنخسه بالسيف الى ان غاب منه فيه اربع اصابع فقال له: كمل. فقال له المملوك :مد عنقك. فمده فضربه ضربة طارت بها رأسه عن جسده وعلق بدنه على باب زويله.

ولما اطمأن سليم إلى أن قبضته أصبحت قوية فى مصر، ووجد أنه لم يعد لبقائه فيها لزوم؛ غادرها فى ٢٠ رمضان ٩٢٣/ أوائل سبتمبر ١٥١٧، وقيل إن سبب مغادرته لمصر أنه قد سمع أخباراً سيئة من بلاده؛ فاستعجل العودة إليها؛وهو على كل حال لم يعد لمصر بعد ذلك. وقد غادر سليم مصر عن الطريق البرى، فى موكب كبير.

ولقد قام خاير بك بتنفيذ سياسة سليم فى مصر؛ فاعتمد فى حكمه على المماليك الجراكسة مثلما كان سليم يريد؛ وكبداية لذلك أطلق جماعة كثيرة منهم ممن كانوا فى الاعتقال [(١)]؛ وذلك بناء على أمر سليم نفسه؛ مما جعل الكثير منهم يظهر؛ بعد أن كان معظمهم قد أختفوا فى زى الفلاحين، وبلغوا غاية الذل والفقر والعرى[(٢)].

أما العربان، الذين أسهموا فى احتلال العثمانيين مصر ، فقد استمروا مقطعين فيها، ترسل لهم المراسيم لكل واحد منهم على انفراد ،كما ترسل الخلع وهى القفاطين الحرير، التى بلغت فى مرة سبعة قفاطين؛ لدينا مثل على ذلك فى القائمة المشتملة على أسماء شيوخ هوارة فى جرجا؛ فكان شيخهم يحضر إلى القاهرة فى حضرة ملك الأمراء خاير بك.ومع ذلك؛ فإن العربان فى أول حكم خاير بك؛ بعد مغادرة سليم؛ربما طمعوا فى حكم البلاد من دونه؛ وما

---

(١) ابن إياس، ٣ ص ١٣٣ ص٢٢ وما بعدها؛ وثيقة بطوب قبوسراى برقم E5594.
(٢) نفسه، ٣ ص ١٤٢ س ٥ وما بعدها.

ومجد الناس الله على صبر هذا الرجل وحسن ايمانه وبقى معلقاً ثلثة ايام وبعد ذلك حطوه واخرجوه خارج المدينة واخذوا ان يحرقوه ولم يلق عليه من الوقود ما يفى باحراقه فبقى جسده سالماً، واجتمعت جماعة من النصارى المباركين وسالوا الوالى فيه فاعطاهم اياه فاخذوه ودفنوه فى كنيسة الملكية التى بحارة الروم الحمرا وشكروا الله الذى يثبت قديسيه على الايمان باسمه الى اخر نفس.

لبثوا أن صاروا عنصر اضطراب فيها؛ فخربوا فيها، وقطعوا طريق القوافل الواردة من الشام؛ حتى أن بعضهم من عرب السوالم وصلوا إلى القاهرة، بعد أن كانوا فى الشرقية [1]، فى أعداد كبير ة بلغت أكثر من عشرين ألفا، يتزعمهم أحمد بن بقر وابنه عبد الدايم؛ فحاربهم خاير بك بالإنكشارية والجراكسة[2]؛حيث اشترك من هؤلاء فى قتالهم خسمة آلاف مملوك؛وقد استخدم خاير بك فى قتالهم المدافع النحاس[3]التى تجر على عجل؛ فهزم العربان هزيمة منكرة، وعلق «رءوس قتلاهم فى القاهرة وأماكن شتى[4]، كما سلخ بعضهم وحشاهم تبناً نكاية فيهم[5].

وبذلك فعل خاير بك، ما كان يفعله سلاطين المماليك من قبل؛ مما جعل العربان تخضع للأمر الواقع.

وقد كان حكم خاير بك فى مصر يتمثل فى تنفيذ أوامر السلطان العثمانى ـ أو ما كان يسمى أيضاً بالخنكار ـ واستقبال القصاد من قبله؛ حيث كانت تزين القاهرة له فى كل مرة، ويكلف الناس كثيراً فى ذلك، وتمشى النصارى بالشموع الموقدة[6]، وتطلق النساء الغناء

(١) ابن إياس، ٣ ص١٤٢ ـ ٤٣١
(٢) نفسه، ٣ ص ١٦٦.
(٣) نفسه، ٣ ص١٨٠ س١٩.
(٤) نفسه، ٣ ص ١٤٥.
(٥) نفسه، ٣ ص ٢١١.
(٦) نفسه، ٣ ص ٢٨٢ (قبل آخر الصفحة بسطرين).

وفى هذا الوقت امر السلطان ابقاه الله ان يعمل على مصر سور من جانب البحر [النيل] وان يمد مع طول الخليج الى القاهرة وشرعوا فى ذلك وابتدوا به من عند دار الملك وحفروا الاساس وشرعوا فى العمارة. وفى هذه الايام خرج امر الملك الكامل الى القاهرة ومصر بان يخرجوا كل ليلة ويتشالقوا(*) ففعلوا ذلك وصارت تقع بينهم القتلى والجرحى والمعطوبون من الحجارة وصار كل

(*) التشالق: يقصد به هنا تقاذف جانبين من الناس بالحجارة لمعرفة قدرة كل منهما على إصابة اكبر عدد من الطرف الآخر. وهى بذلك كانت من الألعاب الهمجية التى ابتدعها الحكام من أجل إلهاء الناس.

والزغاريد، وينثر الحلوى والفضة، ومجامر البخور والعود، والطبول والزمور[١]؛ فيشق القاهرة محاطاً بالعسكر ،الذين يطلقوا النفوط.

كذلك أصبح همة ان يرسل إلى اسطنبول جميع مال مصر، سيما المال الذى كان يجبى على الزرع، وهو الخراج [٢]؛ مصحوباً بالجزية وبالهدايا الكثيرة من خيرات مصر،مثل الخيول والأقمشة والسكر والعصفر والحناء والمربى؛ وفى سبيل ذلك سلط خاير بك على المصريين جابيا ليأخذ أموالهم ، وإتلاف عملتهم الذهبية والفضية والفلوس، بإدخال الزيف فيها، كما جعل شخصاً تركياً متحدثا على الدواوين ،وهى الإدارات الحكومية.

وحتى النساء لم يسلمن منه، فكان يقصد هتك حريم مصر؛مما جعله يحارب النساء ايضاً ،وأمر بألا يخرج إلى الأسواق إلا العجائز [٣] ،وكل من خالف من النساء تضرب وتربط من شعرها ؛ مما جعل النساء تتضرر بل أراد أن يمشى نساء مصر على قاعدة نساء إسطنبول ، بألا يقر الرجل لهن نفقة إذا طلق ؛ وأن يطعمها ما يختار ،وأنها ترد نصف المهر بعد زواجها [٤]، ومنعهن من ركوب الحمير .

ولما توفى سليم فى يوم الخميس ٩شوال ٢٢/٩٢٦ سبتمبر ١٥٢٠[٥]؛ أظهر خاير بك

(١) نفسه، ٣ ص ٢٨٣ ص ٣ ـ ٤.
(٢) نفسه، ٣ ص ٣٢٠ س ٢٢.
(٣) نفسه، ٣ ص ٣٠١ س ١٧ ـ ١٨.
(٤) نفسه، ٣ص ٣٠١ س ٤ وما بعدها.
(٥) نفسه ٣ ص ٢٣٤ س ٧ ـ ٨.

من فى البلدين بايديهم المقاليع وبطلوا اهل مصر وبقى اهل القاهرة على الحال وهم فى كل وقت متزايدين.

وبعد ذلك دخل الصوم المقدس فجعل الاراخنة اصحاب القس داود ياخذونه فى كل احد الى كنيسة ويقدس بها ويفرحون معه لانه كان كاهناً حسناً وعالماً خبيراً ومحبوباً ممن يخاف الله، فاما من كان تعانده فما كان تعانده الا لوجوه شتى

والعثمانية الحزن ،ونودى فى القاهرة بموته بالتركية والعربية. وعلى العكس ؛ فإن الجراكسة أظهروا الفرح والسرور لموته[1]، بسبب أنه كان قد قتل أغلبهم، كما أظهر المصريون الشماته ، لاسيما وأن موته كان بطيئاً بسبب مرضه ؛ فقد أصيب بحمرة كانت سبب عذابه ، ثم موته، ويقول ابن إياس عن ذلك؛ إن الله قد أخذه بالعقاب. على ما كان يفعله فى الناس، وتخريب ديارهم ، وهتك حريم مصر.

وبعد سليم؛ فإن ابنه سليمان ، الذى عرف مثله بالخنكار [2] ـ وهو من ألقابهم منذ أيام دولة سلاطين المماليك ـ فإنه جعل هو الآخر خاير بك نائبا عنه فى مصر ، فولاه بما عرف بخلعة الاستمرار [3]، وهى زى مذهب ، كان يصله فى كل سنة ؛ وإن كان قد تأخر وصولها حتى المحرم ٩٢٧/يناير ١٥٢١ ؛ مما جعل مركزه يضطرب فى البلاد [4]، لاسيما من قبل جند الحامية العسكرية.وتظهر شخصية السلطان العثمانى الجديد ؛من أنه حينما كان يوجه لخاير بك أوامره ؛فإنه يذكر اسمه قبل البسمله ؛ فيكتب :أنه من سليمان ، وأنه بسم الله الرحمن الرحيم..

(١) نفسه، ٣ ص ٢٣٦.

(٢) نفسه، ٣ ص ٢٣٧ س ١٩ ـ ٢٠.

(٣) نفسه، ٣ ص ٢٥٠ س١١.

(٤) نفسه، ٥ ص ٣٩٦ .

اغـراض، منهم من كـان يحسـده ومنهـم من كـان
يخاف من تقدمته لاجل اشياء هو مرتكبها أو من
مكروه قد اسداه اليه فيخاف معاقبته عليه، ومنهم
من لا يدرى فيظن لاجل كـثـرة الشناعـة ان الامـر
صحيح وانه غير مستحق فيضادد فى امره ديناً.
فلما كـان فى الاحـد الثـالث [من الصـوم الكبيـر]
خلف عليـه بعض الجـمـاعـة الى كنيسـة القـديس
بوسرجه بمصـر باتفـاق من قس البـيـعـة المذكـورة

أسباب النزاع بين العثمانيين والمماليك(*)

يتشابه تاريخ كل من دولة المماليك والدولة العثمانية فى وجوه كثيرة. ففى الدولتين سادت العلاقات التى تميّز بها الإقطاع الشرقى، وكلتاهما مثّلتا ثيوقراطية(١) عسكرية عملت تحت راية الإسلام السنى المؤمن) وعلى مدى فترة زمنية طويلة لم تنشأ بينهما أى خلافات سياسية أو

(*) الفتح العثمانى للاقطار العربية ١٥١٦/ ١٥٧٤ نيقولاس ايفانوف، ترجمة: يوسف عطا الله، دار الفرابى ١٩٨٨ بيروت.

(١) اصطلاح «ثيوقراطية» لا ينبغى أبداً أن يؤخذ بمفهومه التقليدى الثابت الذى انتشر فى الآونة الأخيرة، بل باعتباره شكلاً من أشكال الإدارة البيروقراطية التى تعود فيها السلطة إلى رجل الدين أو للمؤسسة الدينية. صحيح أنه لا وجود للاكليروس فى الإسلام لكن الدولة الإسلامية وحدها دون غيرها تجسد المدلول المباشر لهذا الاصطلاح تماماً وبدقة، وسعى إلى تطبيق «إرادة الله على الأرض»، فالسلطة الشرعية الوحيدة فى الإسلام هى السلطة التى تقوم على أساس تعاليم القرآن ووصايا النبى محمد، أى انطلاقاً من السلطة الإلهية مباشرة، وتنص الشريعة أن الله هو المصدر الوحيد للسلطة العليا التى عليه تطبيق تعاليمه بدقة، ولأن الإسلام لا يفصل بين السلطة المدنية والسلطة الدينية كان الحاكم المسلم يمارس الحكم على أساس تطبيق الشريعة، الأمر الذى اتخذ طابعاً دينياً واتخذ رأس الدولة طابع الزعيم الدينى الأعلى.
ف. إيفانوف: حول الخصائص البنيوية للاقطاع العربى العثمانى، مجلة «شعوب آسيا وأفريقيا» العدد الثالث ١٩٧٨، انظر ص٥٤ ـ ٦٦.

فحضر وحضرت معه جماعة من الاراخنة وشعب
كثير وضرب له قسيس الكنيسة المطاونه فقدس،
فلما وصلوا الى الابسطلس واذا برجل يعرف بابن
صدقه المقدم ذكره قد دخل ومعه غلمان الوالى
وشغب وصاح وافترى على قس البيعة ورام تبطيل
القداس بعد ان حمل القربان. واجتمع من الناس
على باب الكنيسة خلق لينظروا ما يكون وجرت
مفاوضات كثيرة اخرها ان القس داود يكمل
القداس ووالى مصر قاعد له فى وسط الكنيسة

عقائدية ولا حتى تنافس تجارى أو اقتصادى أو غيره، وحتى سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣، كان الحكام العثمانيون يعترفون بالأولوية الدينية والسياسية للمماليك كزعماء لدار الإسلام، بينما خصصوا لأنفسهم دوراً متواضعاً هو دور «البكوات حماة الأطراف» الذين يدافعون عن الحدود العامة لدار الإسلام. أما المماليك، من ناحيتهم فقد ظلوا ينظرون إلى تحركات العثمانيين كجزء من المسألة الاسلامية العامة. كما أن القاهرة اعتبرت الاستيلاء على القسطنطينية نصراً للمسلمين قاطبة.

بيد أن الوضع تغير جذرياً بعد عام ١٤٥٣. وكان تبادل البعثات والاحتفالات التى أقيمت بمناسبة الاستيلاء على القسطنطينية آخر مظهر من مظاهر الوفاق العثمانى ـ المملوكى. فقد لاحظ حكام القاهرة بقلق شديد، أن دولة إسلامية قوية وديناميـة أخذت تنمو على حدودهم وتشق طريقها الخاص بها. ثم تزايد قلقهم عندما نشطت فى اسطمبول (القسطنطينية)، العاصمة الجديدة للسلطنة العثمانية، المساعى لتغيير كل نظام العلاقات الذى أوجده الإسلام وكان له فيه دور القائد الموجه. ويؤكد مؤرخو المماليك أن «البكوات حماة الحدود»، وللمرة الأولى بدأوا يتكنّون بألقاب «الملوك» أو «السلاطين»[1] بعد أن كانوا يكتفون بلقب «غازى» الذى يعنى المكافح فى سبيل العقيدة. على أن سلاطين المماليك كانوا فى رسائلهم يطلقون عليهم ألقاب «أمير» أو «خوند كار».

(١) ابن أياس، القاهرة ١٩٦١ / ١٩٦٢، المجلد الخامس، ص٣٦٥.

على دكة ليحفظ القس داود ممن يتعرض اليه لان ابن صدقه واصحابه راموا رجمه وهو على الهيكل. وكمل قداس كيرلس على ما جرت به عادته لم يتغير شئ من كهنوته المعروف منه. ثم خرج وركب ووالى مصر راكب معه فى خدمته الى ان اوصله الى قريب القاهرة ومضى الى بيته سالم. واجتمع الصعيدون بياعون الزيت الحار والاشنان(*) الذين هم يعتقدون ان هذا الذى

(*) الاشنان: المقصود هنا غالباً زيت بذر الكتان.

ويؤكد ابن أياس ان محمداً الثانى كان أول زعيم فى بنى عثمان اتخذ لنفسه لقب «سلطان»[١] وبدأ على الأقل يدّعى بمساواة نفسه بحكام مصر.

كان اتخاذ الألقاب السلطانية يرمز إلى تحول العثمانيين إلى سياسة الدولة العظمى. وكان المقصود بذلك تأكيد الدوّر العالمى الجديد للسلطنة العثمانية. فقدّم مناصرو فكرة الدولة العظمى السلطان محمد الثانى على انه الحاكم المسلم الأعظم بعد الخلفاء الراشدين الأربعة، أما هو فقد اعتبر نفسه وريث ملوك الروم البيزنطيين. وقد سمّاه أحد مادحيه من اليونانيين ويدعى جيورجى ترابيزونتس «أمبراطور الروم».سعى محمد الثانى، كما يذكر المؤرخ التركى المعاصر خليل ايناجيك إلى الجمع بين التقاليد الإسلامية والتركية والبيزنطية فى الزعامة الدنيوية وجعل اسطمبول العاصمة الجديدة للسلطنة ذات الامتداد الواسع[٢].

أدت سياسة الدولة العظمى التى انتهجها محمد الثانى إلى تدهور حاد فى العلاقات العثمانية المملوكية. وأصبح الصراع على الهيمنة وبالدرجة الأولى على الأولوية فى زعامة العالم الإسلامى، السبب الأساسى والرئيسى للنزاع العثمانى ـ المملوكى. وتفاقمت العلاقات أكثر فأكثر إثر شائعات تقول إن بنى عثمان من أصل عربى، من قبيلة حجازية كانت تقطن

(١) المرجع ذاته، ص٣٦٤.

(2)H. Inslcik. "The Ottoman emplre: the Classical Age..., pp. 56 _ 57.

يعملونه دين لغرارتهم وجهلهم ورباطهم وطلعوا الى تحت القلعة ثانى يوم وقصدوا الوقوف للسلطان وكتبوا رقاعاً ولم يخرج لهم جواب بل رجعوا خايبين، وهذه امور لله فيها سر ومشيئة وهو العالم بالمصلحة فى كل شئ وبقى الناس على ماهم عليه.

ولما كان يوم الثلثا الرابع (*) من بوونه من السنة المذكورة وصلوا الفرنج الى ثغر دمياط فى عدة عظيمه ونزلوا على بر الجيزة [بدمياط]

(*) ٢٩ مايو بحسب التقويم الجوليان.

وادى الصفرا، وبسب انتشار محبة العثمانيين على نطاق واسع، تَهَدَدَ بناء المجتمع المملوكى بأسره. فقدم العثمانيون بديلاً موضوعياً للأزمة التى عصفت بالمنطقة فى القرن الخامس عشر.

وفى ظروف غياب خلافات أساسية ذات طبيعة قومية أو عرقية أو دينية متزمتة، اتخذت القضايا الثانوية المتنوعة بما فى ذلك عادات الناس وتقاليدهم وأذواقهم، أهمية كبيرة كرموز للأطراف المتصارعة. ويكاد مؤرخو العصر المملوكى يجمعون على اتهام «أباطرة الروم» بالافراط فى الصبر حيال مختلف أنواع بدَع الهرطقة. فقد حمى العثمانيون، فى الواقع الدراويش الصوفيين، وحوَّلوا طرق الدراويش إلى نظام عام فى الحياة الدينية. لكن المماليك أنفسهم، أظهروا تسامحاً حيال الفرق الصوفية. فقد سمحوا، تحت ضغط الفئات الشعبية لجموعات الدراويش بممارسة شعائرهم، وتقديم الاحترام لزعماء الفرق الصوفية لكن المماليك لم يتخلوا، بعض الأحيان، عن تصلبهم فى بعض الأمور، فقد منعوا، حتى النهاية، تداول مؤلفات محى الدين بن العربى (١١٦٤ ـ ١٢٤٠) وهو الصوفى الذى كان له تأثير كبير على نشوء الفكر الاجتماعي العثمانى وتطوره. فاذا كانت مؤلفاته قد أحرقت فى القاهرة أو أغرقت فى المياه، فقد حُفظَت فى أسطمبول وقونيه بإجلال وأعيد نسخها[1] وتمثل أول اختبار سافر للتنافس العثمانى ـ المملوكى بفضيحة ديبلوماسية عام ١٤٦٣ عندما رفض السفير العثمانى الانحناء لحاكم مصر. وفى عام ١٤٦٤ أدّى الصراع على السلطة فى قونيه

(١) أ. شميدت. «عبدالوهاب الشعرانى وكتاب الدر المنثور»، سان بطرسبرج ١٩١٤ ص ٢٠ ـ ٢١.

وضربوا خيامهم وتقدمهم الى برج السلسلة فصبوا عليه منجنيقات وقاتلوه وعبروا بشخاتير وحراريق حربية الى البحر الحلو [النيل] وصاروا قبلى السلسلة وانقطعت الميرة(*) عن دمياط فى البحر وما صار ينقل اليها شئ الا فى البر على الجمال.واشتد بالناس الامر واخلت الدميرتان (*) والمحله وسنهور وسخا واكثر البلاد البحريه وانتقل اهل مصر [عتيقه] الى القاهرة. ووصلت العساكر

(*) الميرة: هى الامدادات والتموين.
(*) حملة الفرنج وهى حملة جان دى برين
(*)الدميرتان: بالقرب من دمياط أحداهما تقابل الأخرى. وفى قوانين ابن مماتى وردتا منفصلتين باسم دميرة البحرية (وهى اكبرهما) ودميرة القبلية التى عرفت بعد ذلك باسم كفر دميره. وورد فى «نزهة المشتاق» أنه يعمل بها الثياب الشروب الحسنة يتجهز بها إلى دمياط حيث تصدر لكثير من البلاد خارج مصر.

وقضية ميراث قرمان إلى أول صدام سياسى كبير. كما حدد الاستيلاء على قونيه وضم قرمان فى عام ١٤٦٨ إلى الممتلكات العثمانية بداية لمواجهة واسعة. وتحولت الدول الإسلامية الفاصلة بين الفريقين، كدولة الرمضانين الذين حكموا كيليكيا (آسيا الصغرى) ودولة القادريين الذين حكموا كابدوكيا (قيساريه)، إلى ساحة رئيسية للصراع بين الدولتين، فدعَمتْ كل منهما المناصرين لها وأمدتهم بالمال والسلاح وأحياناً بالقوات المسلحة.

تحولت القاهرة واسطمبول إلى ملجأ سياسى لكل زعيم يفر من غضبة سلطات بلاده. وحصل عدد كبير من الزعماء اللاجئين على مساعدات للعمل ضد حكوماتهم، فتمكن العثمانيون من التحكّم بالطرق التجارية وعلى مصادر المواد الخام الاستراتيجية البالغة الحيوية بالنسبة إلى المماليك، كأخشاب السفن مثلاً، فبذلوا جميع المحاولات لتقويض طاقة مصر العسكرية، ووضعوا العراقيل على طريق شراء المماليك الفتيان من أسواق البحر الأسود لنقلهم إلى مصر. وقد اعتبر د. كانتيمير ذلك أحد الأسباب الرئيسية للنشاط العثمانى فى شبه جزيرة القرم والقفقاس بما فى ذلك حملة العثمانيين على تشيركاسيا فى عام ١٤٨٤ التى دُمِّرت خلالها كل المراكز الأساسية التى كانت تؤمّن الإمدادات البشرية للمماليك(١).

ثم أدت الصدامات المسلحة (١٤٨٣ ـ ١٤٨٥) التى نشبت مع حاكم كابدوكيا علاء الدولة القادرى الذى طلب مساعدة الجيوش العثمانية، فى أول حرب عثمانية ـ مملوكية

(1) D. Cantimitr "Histoire de L' empire Ottoman, Paris. 1743. op. cit. T. 2. p. 95.

من الشام الى دمياط وخرج من مصر والقاهرة خلق عظيم للجهاد فمنهم من انفق فيهم السلطان ومنهم من انفق فيهم وجوه المدينتين [القاهرة ومصر] ومنهم من خرج من ذات نفسه ديناً وصارت الاخبار تزيد وتنقص واتخذ الناس فى بيوتهم الطواحين وخزنوا القمح والدقيق والكعك والارز وغيره من الات

أما المحلة المقصودة هنا فهى ليست المحلة الكبرى ولكنها غالبًا المحلة الواقعة على الطريق البرى إلى دمياط بين سخا وسنهور وهى من المدن التى كان يقيم بها مقسم للماء (أى مهندس للرى).

وسنهور من مدن مصر القديمة تقع قرب شواطئ بحيرة المنزلة. أما سخا فهى من مدن مصر القديمة كذلك وفى عهد الدولة الأيوبية كانت قاعدة لأقليم الغربية ومحل مقام الوالى.

(١٤٨٦ ـ ١٤٩١)، فاستطاع المماليك إلحاق الهزيمة بالعثمانيين ثلاث مرات، إلا انهم لم يتمكنوا من إحراز نصر حاسم. وفى عام ١٤٩١، ونتيجة لوساطة تونس، عقدت اتفاقية سلام بينهما، وتخلّى العثمانيون عن مطالبهم فى كابادوكيا وكيليكيا، اللتين تقرر اعتبارهما مشمولتين بحماية الحرمين الشريفين مكة والمدينة المقدستين، أى اعتبارهما فى الواقع تحت حماية المماليك.

ظلت اتفاقية عام ١٤٩١ هشة للغاية، وتحت ستار علاقات السلام والإخلاص الظاهرى استمر الصراع بين الدولتين دون انقطاع من ناحية، ومن ناحية أخرى اثار اتساع التعاطف مع العثمانيين وتدعيم الطاقة العسكرية، «للدولة التى يحرسها الله»، كما سمّيت السلطنة العثمانية رسمياً، وتنامى هيبتها كحامية لجميع المسلمين السنة، كل ذلك أثار قلقاً استثنائياً لدى المماليك. أما بلاغات البعثات العثمانية عن الانتصارات فاعتبرت فى القاهرة ابرازاً لقوة الباب العالى المتعاظمة. وخلافاً للماليك، طبق العثمانيون سياسة نشطة فى أوروبا، فأخذوا يوسعون تدخلهم فى الشؤون الأوروبية. ففى عام ١٤٨٠ استولوا على اوترانو مؤقتاً، ثم شجّعوا نابولى وميلانو فى مقاومتهما لفرنسا والبندقية التى كانت على علاقة تحالف وثيق مع مصر المملوكية. وفى أواخر القرن الخامس عشر بنى العثمانيون أسطولاً قوياً. وفى حرب ١٤٩٩ ـ ١٥٠٢ ضد البندقية، أظهر هذا الأسطول مزايا عسكرية لا بأس بها، وكفاءة عالية فى مجابهة أفضل الأساطيل الأوروبية. فأخذت الطوائف الاسلامية السنية الواحدة تلو الأخرى تلتمس المساعدة والحماية لدى العثمانيين. وفى عام ١٤٨٥ وصلت إلى اسطمبول بعثة من غرناطة،

الحصار وخرج الملك الكامل بنفسه الى الثغر(*) واقام على شارمساح(*)ونصب الافرنج على دمياط وعلى برج السلسلة(*)الذى مقابلها ثمانية منجنيقات وكانت حجارتها تصل الى وسط المدينه وكانت نشابهم لا تفتر ليلا ولا نهاراً مع المنجنيقات على الاستمرار وكانت القتلى والجرحى كثيرة جدا. ولما كان فى نهار يوم الجمعة الثامن

(*) ثغر دمياط.

(*)شارمساح: شرمساح تقع على الضفة الشرقية بفرع دمياط، بينها وبين بورة (كفر البطيخ بمركز شربين) أربعة فراسخ، وبينها وبين دمياط خمسة فراسخ.

(*) أما برج السلسلة فهى القرية التى كانت تسمى البرلس وسميت بها بحيرة البرلس التى كانت تسمى فى السابق ببحيرة نسترو، نسبة إلى مدينة نسترو التى كانت بين البحيرة والبحر المتوسط، وكان صلاح الدين الايوبى قد أقام بها البرج ويقابله على الضفة الأخرى من فرع دمياط برج آخر

وطلب المغاربة الإسبان من بايزيد الثانى «تقديم المساعة لهم بوصفه حامياً للدين الإسلامى»[1]. فقرر الباب العالى تلبية الطلب. وفى صيف عام ١٤٨٦ أرسل الأسطول العثمانى إلى غرب البحر المتوسط، واجتاح البحارة العثمانيون بقيادة كمال على باشا، وهو كمال ريّس الشهير، شواطىء إسبانيا وإيطاليا ومالطا. ومنذ ذلك التاريخ خاضت السفن الحربية العثمانية وبعض السفن التجارية حرباً متواصلة ضد القوات البحرية للدول الأوروبية المسيحية.

كان كل انتصار جديد للعثمانيين يعنى هزيمة قاسية للمماليك، ويؤدى قبل كل شيء إلى الانتقاص من هيبتهم بصفتهم «سلاطين المسلمين». إلى ذلك، فإن عدواً مشتركاً لم يخفف مطلقاً من التناقضات بين الدولتين السنّيتين «الشقيقتين» اللتين كانت كل منهما تتصرف بمعزل عن الأخرى. فلم يقدم المماليك ولم يسعوا إلى تقديم أى مساعدة للعثمانيين فى أوروبا وفى البحر المتوسط. وقابلهم العثمانيون بالمثل. لكن بايزيد الثانى قدّم للقاهرة فى عام ١٥١١، أى بعد معركة ديو المشؤومة بسنتين، كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر الحربية قدرت بثلاثماية بندقية، وباروداً ونبالاً وألفى مجداف وحبالاً ومراسى وغيرها لإعادة بناء أسطول البحر الأحمر المصرى.

اتخذت علاقات الدولتين فى الشرق الأدنى شكلاً أكثر غرابة. فقد رفض المماليك بعناد، بدءاً من عام ١٥٠٢، أى تعاون مع العثمانيين لمقاتلة الصفويين الشيعة، حكام إيران، رغم

(1) Ibid. p. 96.

والعشرين من بوونه(*) ركبوا فى زهاء سبعين [أو] ثمانين مركباً بعد ان لبدوها وستروها(*) وزحفوا بها على البلد وقاتلوا قتالا عظيما وكان يوماً شديداً ثم رجعوا الى منزلتهم والحال على ما هو عليه من ضرب المنجنيقات ورمى النشاب الى يوم الاحد السابع من ابيب(*) فعملوا على اربع بطس اربعة ابراج وزحفوا بثلثة منها الى البرج وواحدة الى الثغر وقاتلوا وجدوا فى القتال واشرفوا على

يربط بينهما سلسلة ضخمة. ومن هذا الوقت عرفت مدينة البرلس باسم البرج

(*) ٢٢ يونيو حسب التقويم الجوليانى. سنة ٩٣٤ قبطية = ٦١٥ هـ. = ١٢١٨م.

(*) المقصود بأنهم لبدوها أى وضعوا على اخشابها من الخارج لبود مغطاة بالقطران حتى لا تشتعل بفعل النيران التى تطلق عليها لحرقها.

(*) أول يوليو بحسب التقويم الجوليانى.

عداوتهم لهم. كان العثمانيون في وضع أكثر حرجاً من المماليك وكان بإمكان هؤلاء أن يقدموا لهم مساعدة أكثر فاعلية. لكنهم، وفى تلك الفترة بالذات، قرروا تلقين حكام اسطمبول درساً لا ينسى. كان قانصوه الغورى. كزعيم للمسلمين السنّة، ملزماً أن يشن حملة ضد باشوات قيزيل. غير انه فضل اتخاذ موقف المراقب من بعيد وترك «الدولة التى يحرسها الله» وحيدة فى مواجهة الصفويين.

ودون تبصر بنتائج ما يقوم به اسماعيل الصفوى من أعمال عدوانية متزايدة وعلاقات وطيدة مع البرتغاليين أراد المماليك تدبير استفزاز لإثارة صدام بين ايران وبين تركيا، لكى يتحطّم أحد العدوين بيد العدو الآخر، ثم يتقدم المماليك للقيام بدور منقذ الإسلام السنّة وربما بدور وريث السلطنة العثمانية. وتدل مدونات ابن اياس أنه لم يكن يساورهم أى شك فى قوتهم العسكرية الذاتية، وأن العثمانيين لن يتمكنوا من التغلب على الصفويين. فتحولت مسألة النزاع مع المتطرفين الشيعة إلى حجر عثرة بين الدولتين السنيتين. وتبيّن ان هذه المسألة هى القشة التى قصمت ظهر البعير فى النزاعات العثمانية ـ المملوكية.

لقد اعتبرت سياسة المماليك تجاه اسطمبول مظهراً من مظاهر العداوة السافرة التى أضعفت مواقع المماليك فى مصر، وقوّت المشاعر المعادية لهم فى الأوساط العثمانية الحاكمة فأخذ الحكام العثمانيون يميلون تدريجيا إلى اعتبار المماليك عدوهم الرئيسى والأشد خطراً. هذه القوى بالذات وفى مقدمتها القوى الانكشارية، هى التى أوصلت إلى الحكم السلطان سليم الأول، الملقب بالرهيب، الذى اعتلى عرش السلطنة العثمانية فى ٢٤ ابريل ١٥١٢.

البـرج ونصبـوا سـلالم للطلوع اليـه ولم يبق فى
اخـذه شئ ومـالوا كلهم الى صـوب البـرج وكـانوا
مثقلين بالحديد فانقسم الصارى ووقع كل من كان
على السلالم الى البحر بزردياتهم وعددهـم فغرقوا
كلهم وفـرح المسلمون بذلك فـرحاً عظيمـا وزينت
المدينتان ورجع من سلم منهم الى منزلتهم والحال
على مـاهو عليـه من ضـرب المنجنيـقـات ورمى
النشـاب. وبعـد ايام وصلت الاخـبـار بان احد اولاد
السلطان دخل الى بلاد عكا واخـذ منهـا برجـاً

- -

حملة سليم الأول لضم سوريا وفلسطين

بدأ سليم الأول يستعد للحرب مباشرة بعد طرح مسألة من يستطيع، بل من ينبغى أن يكون الخليفة الحقيقى وزعيم دار الإسلام السنى.

خـلال فتـرة قـصـيـرة تمكن سليم الأول من إنجاز الإصلاح العسكرى، وقـمع تحركـات باشاوات قيزيل داخل البلاد، وتجهيز جيش جرّار. وفى مايو ١٥١٤ بدأ هذا الجيش حملة ضد الصفويين الشيعة. ووصلت فى الوقت ذاته إلى القاهرة بعثة عثمانية كررت اقتراحها بعقد تحالف بين العثمانيين والمماليك لمحاربة اسماعيل الصفوى. لكن المماليك رفضوا الاقتراح، وتمسكوا بسياستهم مع تفضيل اتخاذ موقف الانتظار. وفى العاشر من يونيو١٥١٤، قرر المجلس العسكرى فى القاهرة إرسال قوة مراقبة عسكرية إلى حلب، التى أثارت غضب الطرفين المتحاربين لكنها لم تلعب أى دور فى تطور الأحداث.

نتيجة حياد مصر المراوغ، وفشل الحملة الصليبية الأوروبية التى أجهضتها انتفاضة الفلاحين عام ١٥١٤ فى هنغاريا، نشأت ظروف مناسبة تماماً لتحقيق مخططات سليم الأول. وبفضل تفوق العثمانيين الملموس فى مجال تنظيم الجيوش وتجهيزها التقنى تقرر مصير الحملة سلفاً. فى ٢٣ اغسطس ١٥١٤ نشبت معركة تشالديران، فتكبّد جيش الصفويين هزيمة ساحقة ودخل سليم الأول تبريز عاصمة إيران الشيعية فى ٥ سبتمبر من ذلك العام.

يسمى دهوق كان فيه ثلثون نفساً وضربت ايضاً البشاير بالقاهرة وعملت بالقاهرة ومصر سلسلة عظيمة لتقوى بهاتيك السلسلة وزنها ماية وثلثون قنطارا بالمصرى، واستمر الحال على الرمى بالنشاب والضرب بالمنجنيقات، وركب من الفرنج خيل وغاروا الى بعض الدنجاويه(*) واخذوا منها غلة وتبنا وعادوا وقتلوا من لقيوه فى الطريق وسير السلطان احرق(*) البلاد المجاورة للموضع الذى وصلوا اليه وصارت الغارات مستمرة فى البر

(*) الدنجاويه: كانت تابعة لمركز شربين، وهى قرب دمياط وينطقها أهلها دنجيه.

(*) من المدن الكبرى التى دمرها الملك الكامل بن الملك العادل فى هذه الفترة مدينة تنيس. انظر قصة تدميرها فى هامش ص ٤٠٢ الجزء الثالث وكذلك الهامش عن الحروب الصليبية ص ٣٤٦ وما بعدها.

كانت هزيمة باشوات قيزيل الذين فقدوا قرابة الـ(٥٠) ألف رجل[١] فى مرج تشالديران، مفاجأة غير منتظرة بالنسبة إلى المماليك على حد قول ابن اياس. وقد اهتزت القاهرة لهزيمة الصفويين ولم يستطع حكام مصر إخفاء خيبة أملهم. وأمام دهشة العالم الاسلامى كله، لم يبتهج المماليك لانتصار العثمانيين عل باشاوات قيزيل.

كانت لمعركة تشالديران نتائج حاسمة على مصير المعركة المرتقبة مع المماليك. ففى ربيع عام ١٥١٥ وصلت إلى القاهرة تباشير الأنباء عن استعدادات العثمانيين العسكرية. فقد كان الجيش والأسطول العثمانيين يستعدان لشن حملة على مصر. وسيطر على اسطمبول جو محموم للحرب التى صورها العثمانيون ضد المماليك كما لو كانت واجباً مقدسًا على كل مسلم خوضها. كما أصدر علماء السلطنة العثمانية ثلاث فتاوى تضفى على الحرب طابع الجهاد الدينى. فقد ورد فى إحدى هذه الفتاوى أن المماليك خانوا الإسلام وأنهم يساعدون الكفّار. وأعلن مفتى اسطمبول الأكبر: «أن من يساعد أعداء الله هو عدو الله أيضاً»[٢]. أما الهدف المعلن للحملة فهو تحرير المضطهدين وحماية المسلمين من العدو الخارجى.

كانت الجيوش العثمانية جيدة التسليح والتجهيز. ومنذ منتصف القرن الخامس عشر أخذت

(١) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص٣٦١.

(٢) بارتولد «الخليفة والسلطان» مقالات. المجلد السادس. موسكو ١٩٦٦، ص٦٠.

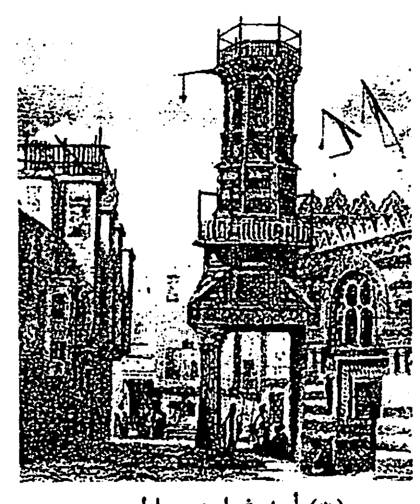
والبحر والقتال لا يفتر وكان مقابلهم فى [برج]
العرب جماعة كبيرة من العربان تناهز ثلاثة الف
فارس ومعهم اميرين من اكابر العرب فركب من
الفرنج الفا فارس وكان بينهم وبينهم مسافة يوم
واحد فساقوا ركضاً الى ان وصلوهم فلما
صدموهم انهزموا قدامهم وقتل منهم خلق كثير
واسر وحصل بيد الفرنج من الخيول العربية مالا
يدرى وتموا عليهم الى ان تعدوا خيامهم واخذوها
واخذوا كلما فيها واخذوا الازواد التى كانت

تطبق الأساليب التكتيكية التى أثبتت فعاليتها خلال حروب الهوسيين(*) على يد القائد التشيكى يان جيجكا (١٣٧٨ ـ ١٤٢٤). لجأت الجيوش العثمانية إلى تدعيم مواقعها بواسطة «قلاع» متحركة تشكلت من عربات مربوطة بعضها بالبعض الآخر على غرار ما يفعل الغجر فى مخيماتهم. وامتازت المعدّات المقاومة للخيالة كالشوكات الحديدية والخطّافات الحديدية (الكلاليب) المربوطة بالحبال، بأهمية كبيرة فى محاربة المماليك، إذ كان الجنود العثمانيون يطلقون هذه الأدوات عل فرسان المماليك المدججين بالسلاح ويلقونهم أرضاً. كان العثمانيون كذلك يمتلكون أفضل مدفعية فى العالم آنذاك فقد استخدمت جيوش سليم الأول أحدث المدافع النحاسية المركبة على عجلات يجر الواحد منها زوج من الثيران. ورغم أن جنود الجيش العثمانى كانوا ينتمون إلى مختلف القوميات والطوائف الدينية، فقد عرف هذا الجيش بانضباطيته الجيّدة وتماسكه المعنوى. فقد كان الجيش العثمانى يضم إلى جانب المسلمين عدداً كبيراً من المسيحيين ولا سيما من دول البلقان. كما أن الحديث باللغات السلافية، كما قال ب. جوفيو كان يتردد فى معظم قطعات الجيش العثمانى[1] الذى ضم أيضاً عدداً كبيراً من

(*) حروب الهوسيين (١٤١٩ـ١٤٣٤) حرب تحررية وطنية بارزة فلاحية بشكل رئيسى، معادية للاقطاع والكاثوليكية فى تشيكوسلوفاكيا، بدأت بعد إعدام يوحنا هوس أحد زعماء انتفاضة الحرفين فى براغ عام ١٤١٩.

(١) بارتولد «الخليفة والسلطان»، ص٦١.

عندهم والجمال ورجعوا الى منزلهم فاما العرب الذين انهزموا فمنهم من كان من الفيوم ومنهم من كان من الصعيد فتموا على شوطهم نهبوا من كان بقى فى الغربيه وتفرقوا الى بلادهم. وفى اثنا ذلك هدم الملك المعظم سلطان الشام قلعة الطور [طابور] التى كان الافرنج نازلوها ونقل جميع ما كان فيها الى القدس الشريف. واستمروا الحال بالزحف بين كل يومين ثلثة والرمى بالمنجنيقات العظيمة الهايله التى وزن حجر احدها فكان


(*) أحد شوارع دمياط

الجنود الأرمن واليونانيين. لكن السمة الأكثر أهمية التى جمعت بين هؤلاء تكمن فى منشئهم الفلاحى(١).

فى شباط فبراير ١٥١٥، شن العثمانيون هجوماً على كابادوكيا فقضوا على جيوشها قبل حلول شهر مايو، وقبضوا على حاكمها علاء الدولة القادرى المشمول بحماية المماليك، فقطعوا رأسه وأرسلوه إلى القاهرة فى يوليو ١٥١٥. كان ذلك تحدياً سافراً لكنه فى الواقع كان إعلاناً للحرب. بيد أن المماليك لم يستجيبوا للتحدّى وعملوا ما بوسعهم لتسوية النزاع «بطريق المفاوضات». ومن الملفت للنظر أن مجلس المماليك الذى اعتاد الانعقاد عند ورود أى خبر جديد عن استفزازات سليم الأول، لم يتفق على إصدار أى قرار.

عكست الخلافات المستشرية فى أوساط زعماء المماليك الحالة السياسية والنفسية العصيبة التى عصفت بالجيش والسلطة. فى ابريل ١٥١٥، بدأ قانصوه الغورى يستعد للحرب، وفى ٣ أكتوبر أعلن التعبئة العامة. وحاول المماليك، على غرار العثمانيين، إضفاء الطابع الدينى على الحرب، ووصموا «ملك الروم» كما لقبوا سليم الأول ـ بالارتداد عن الدين الحنيف والسنة، سيّما وأنه يحلق ذقنه ويرتدى القفطان والعمامة الكبيرة، بدلاً من الملابس الإسلامية التقليدية.

(1) G. Stripling.The Ottoman Turks and Arabs. 1942 op. cit. 45.

ثلثماية وخمسين رطلا بالمصرى والنشاب العظيم
الكبير الذى هو اصناف وانواع، واهتموا بمراكب
يسمونها المرمه وهى بطستان قربوهما واوثقوهما
بالاخشاب والمسمار الى ان بقيت الاثنتان مثل
واحدة وعملوا حوله سوراً مثل سور المدن بشراريف
وعملوا اسقاله عظيمة بحبال وبكر ترخى وترفع
وتقدموا الى البرج [برج السلسلة] فى نهار يوم
الجمعة اول النسى من سنة اربع وثلثين وتسع

لكن تلك الاتهامات لم تؤد إلى إثارة أى نعرات مذهبية وسط اتساع التعاطف مع العثمانيين. ولم يقتنع الجيش والشعب بوجود مبرّر للصراع ولم يرغبا بالحرب. وكانت النقمة على المماليك تنتظرهم فى كل قرية ومدينة. وفى ربيع عام ١٥١٦، أخذ فلاحوا قرى بكاملها فى مصر يفرّون من البلاد مخلفين وراءهم محاصيل الحقول التى لم يجمعوها. وفى القاهرة أقفل الخياطون حوانيتهم وصانعو الأسلحة مراكزهم الحرفية. وفى الشوارع تعالت التهديدات والشتائم الموجهة ضد السلطان المملوكى[١]. أما فى سوريا فكان الوضع أشد سوءاً، حيث إن الفلاحين هناك لم يكتفوا بتقويض تدابير التعبئة العامة، بل انخرطوا أيضاً فى أعمال معادية للحكومة بصورة مباشرة. وخرجت قرى كثيرة ومناطق بأسرها عن طاعة السلطات المملوكية. وفى ٧ اغسطس، أى بعد احتلال كابادويكا مباشرة قام الأمراء بإبلاغ قانصوه الغورى وخاطبوه قائلين، «أيها السلطان، أرض حلب أفلتت من أيدينا وانتقلت إلى أيدى ابن عثمان، فاسمه يذكر هناك فى خطبة الجمعة وينقش على النقود». ويذكر ابن اياس كيف انه بسبب تعسف نواب السلطان واستبدادهم تحولت أكثر مناطق حلب وغيرها من الأراضى إلى تأييد ابن عثمان[٢]. وبعد أن انتشرت المشاعر المعادية للحكومة فى أوساط الشعب، انتقلت إلى صفوف

(١) ابن أياس «بدائع الزهور...»، المجلد الخامس. ص ص ٢٨ و٣١.
(٢) المصدر نفسه، المجلد الرابع. ص٤٦٣.

مايه(*) وكان به ثلثماية مقاتل من المسلمين فارخوا الاسقاله على البرج ونزلوا اليه وملكوا الطبقة الفوقانية وقتلوا من كان فيها فاما الذين فى الطبقة الوسطا فصاحوا الامان فاسروهم . وكان الجسر [الذى يوصلهم إلى البر] قد انقطع فلم يفلت منهم احد الا من رمى بنفسه الى البحر [النيل] وكان يوما عظيما ونصبوا على البرج الاعلام والصلبان وسدوا بابه الذى من جانب دمياط وفتحوا الباب الذى من براهم [ناحية النيل

(*) ١٢١٨م = ٦١٥هـ. وفى هذه السنة توفى الملك الكامل ابن الملك العادل، الذى كان بمرج صفر بالشام، والذى أرسل عسكره إلى دمياط. وقد كتم الملك المعظم عيسى موته حتى ادخله دمشق ودفنه بقلعتها وعمره: ٧٥ سنة، وملك مصر ١٩ سنة ودمشق ٢٣ سنة وفى هذه السنة قاسى قبط مصر اضطهاداً شديداً حتى صار هدم الكنيسة الكبيرة بالاسكندرية المسماة باسم القديس مرقس (القمحا) بقرب باب القبارى بأمر السلطان، وقد جعلت بعد ذلك جامعاً

الجيش، فانخفضت درجة الإنضباط بصورة خطيرة، وارتفعت أصوات الجنود تطالب بالمال والمكافآت واللحوم، وأخذوا يتمردون ويعيثون فى الشوارع العامة فساداً. وفى شهر ديسمبر ١٥١٥ ، صرخ المماليك المتمردون فى وجه السلطان: «لماذا لا تسير على طريق الملوك الغابرين، ولماذا لا تضع حداً لهذا الظلم؟»[١].

من الواضح أن غالبية الجنود لم تكن ترغب فى الحرب. فقد رفض قرابة ألف مغربى كانوا نواة رجال مدفعية المماليك الاشتراك فى القتال عموماً وأعلنوا: «لن نقاتل إلاّ الفرنجة! لن نقاتل المسلمين!»[٢] ولعل هذا كان عائداً إلى ولاء سلاطين المغرب للعثمانيين.

أدّت تلك المشاعر التى اجتاحت البلاد وفى صفوف الجيش إلى تفسّخ الأوساط الحاكمة. فأعدم عدد كبير من أمراء المماليك بتهمة الخيانة. وبدأ كثير من القادة العسكريين وعلى رأسهم خير بك عامل حلب يتعامل مع العثمانيين، ومنهم من أقام علاقات سرية معهم، وأكدت الوثائق ان بين المستشارين الشخصيين للسلطان وبخاصة بين من كانوا موضع ثقته الكبرى، حظى سليم الأول بأنصار يزودونه بالمعلومات عن أوضاع مصر[٣].

فى ذلك الوضع المتفاقم حاول قانصوه الغورى تأخير اندلاع العمليات العسكرية بكل الوسائل حتى بعد بداية حملته العسكرية فى مايو ١٥١٦ لم يفقد الأمل بالمفاوضات السلمية.

(١) المصدر نفسه، المجلد الرابع. ص٤٨٥ .
(٢) المصدر نفسه، المجلد الرابع. ص١٣٧ .
(٣) ابن أياس، المجلد الخامس. ص٧٦.

حيث الاسطول] ونصبوا جسرهم من عندهم اليه واخذوا فيه من الاسلحة والنفط والازواد ما لا يحصى وفرحوا فرحاً عظيما وكثرت الادلة على نظر سيدنا [المسيح] لهذا الدين ورضاه عن اهله. فمنه ما حدثني به القسيس بانوب وهو رجل فاضل مسيحى صادق قال قدست فى هذه السنة بكنيسة سمر من اعمال الغربيه فى يوم عيد الثلثة الفتيه(*) وهو عشرة ايام فى بشنس، فلما كان وقت الاسبسمس (*) الذى هو الصلح [الصباح] ظهر

(*) عيد الثلاث فتية: وهم حنانيا وعزاريا وميصائيل، تنيحوا فى عهد الملك نبوخذ نصر البابلى بنى لهم البطرك ٢٣ تاوفيلس كنيسة بمدينة دركنه بالصعيد.
(*) الاسبسمس: هو وقت رش المذبح والكهنة والمصلين بالماء المقدس قبل قداس الأحد.

وعملت الديبلوماسية العثمانية ما فى وسعها لترسيخ هذا الوهم فى ذهن قانصوه الغورى، مستغلة ذلك لإرباك العدو وإبقاء المبادرة فى يد سليم الأول الذى ظل حتى اللحظة الأخيرة يحتفظ بإمكانية تحديد مكان وزمان توجيه الضربة الحاسمة. فى يوليو ١٥١٦ عشية بدء الهجوم العثمانى استقبل قانصوه الغورى بعثة عثمانية جديدة اقترحت عليه استئناف التجارة، وعرضت شراء شحنة كبيرة من السكّر المصرى. ومن فرط سروره أصدر السلطان قانصوه الغورى أمراً إلى شيخ الإسلام الشافعى بإلقاء موعظة تبرز حسنات السلام[١].

فى الخامس من اغسطس ١٥١٦ عبرت الجيوش العثمانية الحدود. فنسى قانصوه الغورى تجارة السكر وخرج بجيش قوامه ٦٠ ألف رجل (بينهم ١٣ ـ ١٥ ألفاً من المماليك)، رابطوا شمال حلب فى مواقع تبعد عن المدينة مسيرة يوم واحد[٢]. وفى مرج دابق نشبت فى ٢٤ اغسطس ١٥١٦ إحدى أكبر معارك التاريخ العالمى.

كان سليم الأول يخشى أكثر ما يخشى فرسان المماليك. فوزّع قواته ومدفعيته بحيث تستطيع الاختباء فى أى لحظة خلف سلاسل من العربات المتصلة بعضها ببعض وخلف حواجز من الأشجار والأخشاب لمقاتلة العدو من هناك. تمكّن المماليك فى بداية المعركة، دون

(١) المصدر ذاته، المجلد الخامس. ص٦٢.

(2) G. Stripling. op. cit. p. 46.

فوق قبة الهيكل شخص جالس على كرسي وقدامه شخص واقف بين يديه وفي يده مجمره وهو يبخر ولهيب النار صاعد من المجمره ثم ظهر بداير القبة كلها خياله ركاب على خيل مثل صور القديسين التى فى الكنايس وكانوا يدورون حول القبة وأذناب خيلهم تتحرك وكلهم [اعنى الناس] يشاهدونها فاذا وصلوا الى الكرسى صقعوا وعبروا ولم يزالوا كذلك إلى وقت القربان انصرفوا وظهر مثل ذلك فى كنيسة حانوت(*) من مدة طويله

(*) حانوت : هناك قريه بهذا الاسم فى الشرقية واخرى بالغربية.

عناء كبير، من صدّ هجمات فرسان العثمانيين وقتلوا منهم قرابة عشرة آلاف رجل[1]، لكنهم لم يتمكنوا من تجاوز الحواجز الخشبية وسلاسل العربات، بل وقعوا هدفاً لنيران الانكشارية عندئذ دبت البلبلة فى صفوفهم وبدأوا بالتراجع.

ولما علم الجنود ان خواص مماليك السلطان ظلوا إلى جانب القوات الإحتياطية ولم يشاركوا فى المعركة استاؤوا وتمردوا فغادر الجناح الأيمن مواقعه. وحذا قائد الجناح الأيسر خير بك حذوه فسحب قواته. فسارع العثمانيون إلى الهجوم. وبحلول فترة الظهيرة بدا ان المماليك مهددون بالحصار فجفلت عساكرهم ولاذوا بالفرار دون انتظام. وانتحر السلطان قانصوه الغورى. وقد روى ابن اياس: كيف ان السلطان عندما تأكدمن الهزيمة تناول السُم من الخاتم الذى يحمله بصورة مستمرة، وعندما انساب السمّ إلى جوفه، فقد وعيه وسقط عن الحصان ومات على الفور[2].

كان نبأ هزيمة المماليك مؤشراً لاندلاع انتفاضة فى حلب، فهاجم المواطنون الحامية المملوكية وقضوا عليها ثم أقفلوا بوابة المدينة. وحذت مدينة عينتاب وغيرها من المدن الشمالية حذو حلب، واستسلم عدد من الأمراء وكبار الزعماء والخليفة المتوكل وثلاثة من شيوخ الإسلام المصريين المرافقين للجيش. أما شيخ الإسلام الحنفى فقد حاول الفرار، لكنه تعرض

(١) ابن أياس، المجلد الخامس، ص٦٩.
(٢) المصدر ذاته، المجلد الخامس. ص٧٠.

وشاع وايضاً فى كنيسة شباس(*) وفى كنيسة السيدة بظاهر منية عمرو فى كنيسة الشهيد ابو يحنس بشبرا الخيمة، وكل ذلك يشهد به المسلمون اهل البلاد. وحدثنى هذا القس ايضاً انه رأى فى منامه كانه واقف بكنيسة يصلى وكأن صليباً قد ظهر من المشرق قدر دراع فى مثله وكأنه كله نار يتقد وفى وسطه صورة السيد [المسيح] وكأنه سجد له وارتاع وأعلن بكيرياليصون (*) ورفع رأسه فرأى الصليب قد امتد من اربع الجهات الى

(*) شباس الشهدا بالمنوفيه وهناك شباس الملح وشباس عميد.

(*) كيرياليصون: معناها أرحم يارب.

للسّلب فى الطريق على يد البدو. وعمّت الفوضى بين المماليك، فانتقل قسم منهم بقيادة خير بك إلى جانب العثمانيين فى شهر سبتمبر ١٥١٦، ولاذ الباقون بالفرار. كما أن الكثيرين منهم سرّحوا خيولهم وألقوا سلاحهم. وظهر المماليك أمام أهل دمشق فى ثياب رثّة وأحياناً عراة تماماً، بعضهم يسير على قدميه وآخرون على الحمير والجمال(١). وفى دمشق كانت تنتظرهم خيبة أمل جديدة. فقد انتشرت الفَوضَى فى المدينة لانعدام وجود السلطة فيها. وأخذ المماليك يشقون طريقهم إلى مصر فرادى أو جماعات صغيرة. ولم يعد لجيش المماليك وجود فعلى.

فى ٢٨اغسطس ١٥١٦، دخل سليم الأول مدينة حلب. وفى اليوم التالى، وأثناء خطبة الجمعة، نودى بسليم الأول «خادماً للحرمين الشريفين»(٢). وبذلك اتخذ لنفسه اللقب الذى كان يحمله حكام مصر منذ صلاح الدين، وكرّس نفسه زعيماً روحياً ومدنياً لدار الإسلام السنّى، وبدأ يطلق على نفسه لقب «سلطان المسلمين» أو «بادى شاهى إسلام» كما فعل المماليك. هكذا حقق سليم الأول، خلال أسبوع واحد، أهداف الحرب بكاملها: إلحاق الهزيمة بالمماليك وبسط الهيمنة العثمانية.

قوبل تسنُّم العثمانيين للسلطة العليا فى الاسلام باعتراف فورى فى العالمين الإسلامى السنّى

(١) المصدر نفسه، المجلد الخامس. ص٧٣.
(٢) بارتولد «الخليفة والسلطان». ص٦٨.

ان ملأ الافق وعم الارض فانتبه عند ذلك. وحدثنا ايضا انه رأى فى ليلة اخرى كأن الفتنة قد ثارت والناس قد خافوا وكأنه هو فى كنيسة وكأن رجلا جآء اليه فقال له كلم الهنكر فحضر بين يديه فقال له: امض الى اخوتنا النصارى طمن قلوبهم وهدهم واعلمهم اننا ما جينا الا ننتقم من اعدايهم ما جينا لنوذيهم وانهم باقون فى كنايسهم وعلى سنتهم. وعند ذلك استفاق من منامه.

والمسيحى الاوربى[١]. والأهم من ذلك كله أنه حظى باعتراف السادة في الحرمين الشريفين مكة والمدينة. في سبتمبر ١٥١٦ أصدر سليم الأول، بصفته حامي الحج، أمراً باستئناف تأدية فريضة الحج. وفي عام ١٥١٧، ولأول مرة فى تاريخ العالم الإسلامى، وصل المحمَل محروساً من العثمانيين وعليه الكسوة المصرية غطاء الكعبة المقدس.

بعد أن استأثر سليم الأول بحقوق سلاطين المماليك وصلاحياتهم احتفظ بألقاب الخلافة كلها بعد أن أضفى عليها بريقاً جديداً. ففى رسائله إلى رؤساء الدول الإسلامية الأخرى أطلق على نفسه لقب «ظل الله على الأرض»[٢]. وعلى هذا الأساس طلب من جميع الزعماء إقامة الدليل على إخلاصهم وتقديم الولاء له، كما كان الأمر فى عهد خلافة بغداد.

كان سليم الأول يؤمن برأى واحد للعالم الإسلامي وبخليفة واحد. لكن وجود خليفة آخر موال له لم يكن يثير لديه مشكلة جدّية. ثم إن سليل العباسيين الخليفة المتوكل رحّب بحرارة بدخول سليم الأول إلى حلب ورأى فيه على الفور حامياً جديداً للإسلام واعترافاً منه بالجميل قدّم المتوكل لسليم الأول الذخيرة المقدسة للبيت العباسى وتضم عباءة وبضع شعرات من

---

(١) المرجع نفسه، صفحات ٦٩ ـ ٧٢.

(٢) ابن أياس «بدائع الزهور...»، المجلد الخامس، ص١٣٥.

Voir aussi M. Ohsson op.cit. T. I. P. 127 et Arnold Wilson T. i. "The Presian Guif. an Historical Sketch. Oxford 1928. T. 4. p. 59.

وتاخـر وفـاء النيل فى هذه السنة الى السـادس من توت فخلق [فغلق) المقياس وكسر الخليج فيه ونودى على الماء فى ثانيه اربعة اصابع من سبعة عشر ذراعاً ودخلت سنة خمس وثلثين وتسع مايه للشهداء الاطهار. وبعد ذلك وردت الاخبار بموت الملك العـادل ابى بكر مـحـمـد بن ايوب وكـان السلطان الكبير والملك العظيم وكانت مملكته من اليمن الى خلاط [شرق الشام] وجعل كل واحد من اولاده فى مملكه فالملك الكامل وهو ولى عهده

لحية النبى مع سيف الخليفة عمر. كان سليم الأول فى غاية السرور والرضى، فغمر المتوكل بعطفه وأذن له بالجلوس إلى جانبه وأغدق عليه المال، ثم نزع عن كتفيه رداءَة وقدمه له. وبلغ به الأمر أن وعده باستعادة بغداد(١).

ورغم أن لقاء الخليفتين مر على خير ما يرام، إلاّ أن وجود خليفة آخر للمسلمين لم يكن يتفق مع مخططات سليم الأول. فى هذا الصدد يقول بارتولد: «يبدو أنه قرر عدم الاكتراث بوجـود ذلك الرجل»(٢). ومهما يكن من أمره، فإن فئات الشعب الواسعة لم تكن تعلم شيئاً عنه. ثم رافق سليم الأول فى حملته على مصر وبقى إلى جانبه فى القاهرة، لكنه لم يكن يتصرّف بصفته شخصية دينية. وخلافاً للمماليك لم يكن العثمانيين بحاجة إلى «اسمه» ولم يعهدوا اليه بأى مسؤوليات رسمية.

بعد انتصاره فى مرج دابق أصبح أمير المؤمنين الجديد سيداً على سوريا كلها. واذا استثنينا الغزوات المرحلية التى كان يشنها البدو، فإن أحداً لم يعد يبدى أى مقاومة، بل إن سكان سوريا استقبلوا سليماً الأول كمنقذ لهم من ظلم المماليك، وساعدوا الجيوش العثمانية بكل الوسائل. اندلعت الإنتفاضة فى طول البلاد وعرضها. وقام سكان طرابلس وصفد وغيرهما من

(١) ابن أياس، المرجع السابق، المجلد الخامس. ص٧٤.
(٢) بارتولد «الخليفة والسلطان». ص٦٣.

بمصر وهو الذى فتح اليمن واقام به ولداً له بنعت بالملك المسعود، وفى الشام الملك المعظم، وفى المشرق وخلاط الملك الاشرف، وفى الرها شهاب الدين غازى، وفى قلعة جعبر الملك الحافظ وفى قلعة [بصرى] واعمالها الملك الصالح ، وفى قلاع بنين وهو نين والشقيق وبانياس الملك العزيز. وحلف الناس للملك الكامل انه السلطان من بعده وخطب له على المنبر وضربت السكة باسمه وهو مقابل الافرنج على دمياط. وانتهى النيل فى هذه

مدن جنوب سوريا ولبنان وفلسطين بالقضاء على الحاميات المملوكية، والاستيلاء على القلاع واسقاط السلطات المملوكية. وبدأت فى الأرياف حملة مطاردة حقيقية للمم+اليك. وأظهر السوريون على المماليك نقمة شديدة وقسوة أكبر من العثمانيين أنفسهم[1]. فعند اقتراب الجيوش العثمانية فتحوا لهم بوابات القلاع والمدن. ففى ٢٠ سبتمبر ١٥١٦، دخل سليم الأول مدينة حماة، وفى ٢٢ سبتمبر دخل حمص وقامت انتفاضة فى دمشق، حيث استولى مسلموا المدينة على السلطة ونهبوا منازل الفرنجة واليهود ولم تسلم بيوت العلماء والأثرياء. فغادر بعض أعيان دمشق نسائهم وأولادهم المدينة مع المماليك[2].

وفى ٩ اكتوبر ١٥١٦، دخل سليم الأول دمشق وسار فى شوارعها المفروشة بالحرير وسط احتفالات مهيبة. واستقبل سليم الأول فيها وفود طرابلس وبيروت وصيدا وغيرها من المدن السورية التى سارعت إلى تقديم ولائها له. ووصل إلى دمشق أمراء دروز جبل لبنان الذين انحازوا إلى جانب العثمانيين. ومقابل الاعتراف الشكلى بالتبعية للعثمانيين احتفظوا لأنفسهم بالحكم الذاتى الداخلى. وفى ٣٠ نوفمبر ١٥١٦، وصل العثمانيون إلى غزه، فأكملوا بذلك احتلال سوريا وفلسطين.

---

(1) G. Stripling. op. cit.p. 51.

(٢) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص٨٤ و١٠٦.

السنة الى سبعة اصابع من سبعة عشر ذراعاً وهى سنة خمس وثلثين وتسع مايه القبطية(*) وانحط بسرعة وشرق اكثر الديار المصرية وتحرك سعر الغلة واجتمع على الناس فى هذه السنة ثلثة اشياء موت السلطان ونزول العدو على البلاد وشحة النيل والكنيسة خالية من البطرك. ثم ان المسلمين اجتمع رأيهم على ان يقصدوا الافرنج ويزحفوا اليهم فعدا من خيالتهم مقدار اربعة الف فارس ومن الرجاله مثلها ورتبوا [مابين] خمسين [و]

(*)٩٣٥ق = ١٢١٨م.

- -

عقب دخول سليم الأول إلى دمشق ببضعة أيام دعا إلى مؤتمر لممثلى مختلف المدن والمناطق عُقد قرب أسوار المدينة. واستمع سليم الأول إلى المندوبين بكل انتباه وحلّ الخلافات وبَتّ الشكاوى. ثم عُيِّنَ مسؤولى أهم الوظائف الحكومية مع الاحتفاظ بهيكلية الادارة المملوكية السابقة بشكل عام(١)، وبناء على رغبة السوريين، أعاد النظر فى قوانين قايتباى ووضع تفسيرا دقيقاً لها، كما أدخل قسماً منها فقط فى أساس التنظيم الإدارى والضرائبى العثمانى. وعمد سليم إلى تخفيض الضرائب والرسوم الجمركية من ٢٠ بالمائة إلى ٥ بالمائة، والأهم من ذلك، أنه أعاد توزيع الأرض بشكل جذرى، فشكلت اللجان التى باشرت سن القوانين الجديدة وتقسيم الأرض وتسجيلها وفقاً لمبادىء نظام استغلال الأراضى العثمانى. وفى أكثر الأحيان كانت اللجان تستمر فى مهمتها لسنتين أو ثلاث سنوات. وفى عام ١٥١٨، كان الدفتر المفصل (قانون نامه) لمدينة حلب جاهزا. اما الدفاتر المفصّلة لطرابلس وبعض المناطق الأخرى، فقد انجزت عام ١٥١٩(٢) وفى الوقت عينه ألغى سليم الأول القيود المذلة المفروضة على السكان المسيحين واليهود وتجار البندقية، وأذنَ لهم بممارسة طقوسهم الدينية بحرية(٣).

(1) G. Stripling. op. cit. p. 50.

(1) Bernard Lewis, "The Ottoman Archives as a Source the History of the Arab Lands" In "Journal of the Royal Asiatic Society" 1951. Octoer. pp. 149 - 155.

(2) G. Stripling. op. cit. p. 51.

ستين مركباً شواني وحراريق تزحف في البحر [النيل] فاما الخياله فكان زحفهم من القبله [الجنوب] فوصلوا الى خندق الافرنج فوجدوه منيعاً وخلفه حمية من المقاتله فلم يتعدوه واما الرجاله فانهم زحفوا من جانب البحر [النيل] من شرقى منزلة الافرنج فاخلوا لهم الفرنج اطراف الخيم واندفعوا قدامهم واوجدوهم [تظاهروا] الضعف والقلة الى ان توسطوا [عسكر المسلمين] خيامهم

أظهر سليم الأول اهتماماً كبيراً بالأولياء ورفات القديسيين وأمكنة العبادة التى يقدّسها الشعب. وانتشرت أسطورة تقول: الفاتح الرهيب وقف فى مسجد بنى أميّة ذليلاً أمام درويش رث الثياب، ولم يجرؤ على مبادرته بالكلام[1]. وبناء على رغبة مستشاريه قام بالحج إلى القدس لمدة ثلاثة أيام. بيد أن أكبر دوى كان ذاك الذى أحدثته زيارته لقبر ابن العربى فى ضاحية دمشق حيث أمر ببناء ضريح رائع له.

ولم ينس سليم الأول دوره كنصير للشريعة والعدالة. فكان يوزع الصدقات ويلجأ إلى كل الوسائل لاظهار عنايته بالفقراء والأرامل واليتامى ومنع السرقة والاغتصاب. فكسب إلى جانبه جماهير الناس البسطاء. وقد أجمعت كل المصادر عملياً، على أن سليم الأول لقى فى سوريا استقبالاً ترحيبياً غير عادى لا سيما من قبل المزارعين والتجار والحرفيين. ولم يستقبل السلطة الجديدة بالعداء الا البدو، والمماليك ، وأعيان المدن.

مصر والحجاز تحت سلطة العثمانيين

مكث سليم الأول فى دمشق حتى منتصف شهر ديسمبر ١٥١٦ . كان مصير الحرب قد تقرر عملياً ولم تبق إلا مسألة تسوية العلاقات مع المماليك. لم يكن السلطان العثمانى يعارض

(1) M. Ohsson. op. cit. T. I. p. 312.

ثم قاطعوا عليهم من الجنوب فقتلوا اكثرهم ولم يفلت منهم الا من رمى بنفسه الى البحر [النيل] [من عسكر المسلمين] واكثر الذين رموا نفوسهم الى البحر غرقوا لان منهم من لا كان يعرف يعوم من رجالة الشام ومنهم من يعرف العوم فاعجل [فلم يتمكن] عن نزع لباسه فوقع به الى البحر فغرقه. واما الذين فى المراكب فلما رأوا ما كان من الرجاله بقوا مكانهم ولم يرجعوا [لم يتقدموا] وكانت وقعة عظيمة فى نهار يوم الثلثا

عقد اتفاق سلام مع المماليك شرط ان يعترفوا به كخليفة للمسلمين السنّة وخادم للحرمين الشريفين فى ١٦ ديسمبر ١٥١٦، وصلت بعثة عثمانية إلى القاهرة، واقترحت على المماليك تقديم الولاء إلى السلطان العثمانى. وفى حال استجابتهم للاقتراح يُعهد إليهم بادارة مصر نيابة عن سليم الأول، ويُحفَر اسمه على النقود المصرية، ويدعى له فى خطبة الجمعة، ويدفع المماليك الضريبة التى كانوا يدفعونها «أيام الخلفاء العباسيين»[(١)].

لم يتقبل المماليك فكرة الهزيمة ولا دفع الضريبة، واعتبروا من العار عليهم الانحناء وتقديم الولاء إلى أخلاف من عالة الناس كما كانوا ينعتون الحكام العثمانيين. وفى ١١ ديسمبر ١٥١٦ انتخب المماليك طومان باى سلطاناً عليهم، وكان فى الثامنة والثلاثين من عمره.

كان طومان باى مقاتلاً مقداماً تتجسّدُ فيه أفضل مزايا الفارس المملوكى، ولايفكر إلا بالثأر من الهزيمة وتحقيق نصر على العثمانيين، فكان من الطبيعى أن يرفض اقتراح عقد اتفاق سلام معهم. أما المبعوثون العثمانيون الذين تصرفوا بتحدٍّ فاق كل تصور فكان مصيرهم القتل.

هكذا أصبح استئناف الحرب أمراً حتمياً. فى فترة قصيرة تمكن طومان باى من جمع فصائل المماليك وتجهيزها. وشكل فصائل من المرتزقة، كما ضمن لنفسه تأييد شيوخ البدو،

---

(١) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص١٢٥.

الحادى عشرى من بابه(*). ورجع السلطان امر العسكر الذى كان تعدى بالرجوع الى بر دمياط وشرع فى الحشد والجمع ولما كان فى نهار يوم الجمعة السابع والعشرين من بابه(*) زحفت الافرنج الى عسكر المسلمين الذى كان عدى الى بر الغرب وكانوا زهاء الف فارس لانهم كانوا حلقة [الجند الخاص] الملك الكامل بكمالها ومن انضاف اليهم من [البدو] العرب والمغاربه فكسروهم جميعهم واوصلوهم الى البحر واخذوا

(*) ٨ اكتوبر بحسب التقويم الجوليانى سنة ١٢١٨م = ٩٣٤ق.=٦١٥ هـ.

(*) ٢٤ اكتوبر بحسب التقويم الجوليانى.

وحاول اقتباس أحدث المنجزات العسكرية التكتيكية التى يستخدمها العثمانيون بما فى ذلك المدفعية المثبتة على عربات، بدأ انتاجها فى ديسمبر ١٥١٦[١]. راهن طومان باى على حرب طويلة وعنيفة. وكان على ما يبدو ينوى انهاك العثمانيين فى معارك صغيرة تمتد حتى الربيع وللشروع بالحرب قرر قطع كل اتصال له بآسيا الصغرى[٢]. ولهذه الغاية أرسل إلى فلسطين جيشاً من عشرة آلاف مملوك بقيادة عامل دمشق السابق جان بردى الغزالى الذى شارك فى معركة مرج دابق. غير أن الجيوش العثمانية بقيادة سنان يوسف باشا، أحد أفضل القادة العسكريين عند سليم الأول، تمكنت من إلحاق هزيمة منكرة بالمماليك فى معركة قرب بيسان فى فلسطين فى ٢٥ديسمبر ١٥١٦. كان المقاتلون العثمانيون يلقون الخطاطيف المربوطة بالحبال على المماليك فيسحبون فرسانهم من على ظهور الخيل ويقتلونهم بالفأس أو اليطقان (خنجر محدب ذو حدين).

كانت القوات الرئيسية للجيش العثمانى غادرت دمشق فى ١٦ديسمبر ١٥١٦، وخلال عشرة أيام عبرت صحراء سيناء ووصلت إلى دلتا النيل فى منتصف يناير ١٥١٧. وفى بلبيس أصدر سليم الأول نداء إلى مصر وشعبها فوعدهم بالعفو العام وضمن الحصانة للأفراد

(١) المصدر نفسه، ص١٣٤.

(2) G. Strlping. op. cit. pp. 52 - 53.

خيولهم وعددهم وقتلوا جماعة من ابطالهم ولم يسلم منهم الا العدد القليل من رمى بنفسه الى البحر وكان خبيرا بالعوم. واشتد الرعب وخافت نفوس الناس وعظمت مهابة الافرنج وانحلت العزايم عن لقايهم وتمادى الحال على ذلك ودخل الشتا وشتى الافرنج على البلاد ولما كان فى اوايل كيهك(*) جآء نو عظيم ورياح عاصفه وطلعت [مياه] البحيره [المنزلة] مما تحامل عليها

(*) ما بين ٢٧ نوفمبر و٢٧ ديسمبر بحسب التقويم الجولياني.

والممتلكات وأعلن أنه جاء ليقاتل المماليك وحدهم(١). وأعلن الأهلون فى كل مكان رفضهم لدفع الضرائب مهللين لسليم الأول(٢). كما قدموا المساعدة لجنوده فى القبض على المماليك المتوارين عن الأنظار. ولم يبق إلى جانب طومان باى إلاّ الأعيان الذين ظلّوا أوفياء للمماليك حتى النهاية، وبعض البدو الذين كان طومان باى يدفع لهم ذهباً عن كل قتيل عثمانى.

فى مواجهة الوضع الناشىء، فضّل طومان باى سحب قواته إلى القاهرة. وبالقرب من الريدانية، الضاحية الشمالية لعاصمة المماليك، حُفرت الخنادق وأقيمت الأسوار والُدشم لمائة مدفع، وزرعت الخنادق بالحواجز المضادة للخيول، وشكلت العربات سداً يحمى قطع المدفعية المنصوبة هناك، كما رفعت أمامها سواتر ترابية لحمايتها. لقد فعل المماليك فى الريدانية ما فعله العثمانيون فى مرج دابق تماماً، لكن كان ينقصهم القادة العسكريون المحنكون والجنود المدربون. وجنّد طومان باى فى جيشه قرابه الستة آلاف ووزع السلاح على الأغنياء الذين تشكلت منهم وحدات شبه عسكرية. هكذا بلغ مجموع المجندين قرابة أربعين ألفاً بمن فيهم عشرون ألف فارس من المماليك والبدو(٣).

(١) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص١٤١.
(٢) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص ص ١٣٣ و١٤١.
(3) D. Cantimir. op. cit. T. 2. p. 200.

من البحر المالح [المتوسط] ففرقت [فغرقت] خيام العسكر من دمياط الى العادلية وهى القرية التى استجدت فى بر دمياط مقابل بورة بعد اخذ الفرنج لبوره. وهلك فى هذه النوبه من المسلمين خلق عظيم ومن الدواب وضاع من الاموال الامتعة والاسلحة ما لا يقع عليه الحصر، وكان البحر قد طما والامطار والبرد يقع والريح يكاد يزعزع الجبال، وكانت شدة عظيمة لم يشاهد

كان جيش طومان باى غير متجانس ويفتقر إلى روح قتالية عالية. فقد رفض رجال المدفعية المغاربة اتخاذ مواقع قتالية لهم. وبين المماليك أنفسهم كان هناك أنصار مستترون للعثمانيين. فعشية المعركة سلَّمَ جان بردى الغزالى إلى سليم الأول معلومات مفصلة عن تنظيم الجيش المصرى ولا سيما بالنسبة لمواقع قطع المدفعية.

بدأت معركة الريدانية فى ٢٢ يناير ١٥١٧. واصطفت الجيوش فى تشكيلات قتالية من المطرية حتى الجبل الأحمر. ودارت معركة بالمدفعية تمكّن العثمانيون بنتيجتها من إسكات مدفعية المماليك دون عناء، ودمّروا جزءاً كبيراً من قطع المدفعية المصرية. وبفضل التفوق العددى تمكّن سليم الأول من تنفيذ مناورة التفاف حول المقطّم، فحاصر جيش طومان باى. ولم تسفر هجمات الفرسان المماليك والبدو عن أية نتيجة. فمن كل حدب وصوب كان الجنود العثمانيون «كالجراد الذى لا يحصى»[١]، يتحركون باتجاه مواقع المصريين. وأبدى طومان باى ومماليكه معجزة خارقة من البسالة والإقدام لاختراق صفوف العدو والتوغل فى عمقها. بل قيل إن طومان باى قتل بيده فى ذلك اليوم أكثر من ألف رجل بمن فيهم الوزير الأكبر سنان يوسف باشا[٢]، إلا أنه مع ذلك لم يتمكّن من قهر الجيش العثمانى. فتراجع

(١) ابن أياس المصدر السابق، المجلد الخامس. ص١٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٥.

مثلها. وحمل البحر مسرمة(*) كـان الافـرنج عملوها على ست بطس كبار وعملوا فيها من السلالم والابراج والازقة ما لا يحصيه الوصف فرماها في بر المسلمين وكان فيها ستة عشر رجلا منهم اربعة عشر قاتلوا حتى قتلوا واثنان رموا نفوسهم الى البحر وعادا الى البر الاخر فاخذهما الملك وشنقهما كيف لم يقتلا ويصبرا للحرب مثل البقية. وتكاثر المسلمون على هذه المرمه

(*) مسرمة: قلعة عائمة أو برج كبير من الخشب.

الجيش المصرى دون انتظام مخلفاً وراءه قرابة ٢٥ ألف جثة[١]، ثم انفرط عقده وتفرّق، فاحتلت الجيوش العثمانية عاصمة السلطنة المملوكية.

فى ليل ٢٩ يناير ١٥١٧، اندفع طومان باى على رأس مجموعة من المماليك فجأة إلى القاهرة الغارقة فى النوم، وأشعل انتفاضة فيها. واندلعت المعارك فى شوارع المدينة واستمرت الاشتباكات ثلاثة أيام بلياليها فى الشوارع وعلى سطوح المبانى[٢]. حتى النساء والأطفال شاركوا فى إلقاء الحجارة وقطع القرميد. وكان الجنود العثمانيون يطلقون النار على نوافذ مبانى القاهرة ويحطمون أبوابها الضخمة بالمدفعية، فاحترقت مبان كثيرة، وقارب عدد القتلى الخمسين ألفاً من السكان[٣]، وفى نهاية حرب الشوارع هذه، أصدر سليم الأول نداءً أعلن فيه الأمان، وتمكّن من إلقاء القبض على أكثر من ثمانمائة فارس من المماليك كان مصيرهم الإعدام العلنى.

بعد إخضاع القاهرة، أخذت الاسكندرية وغيرها من مدن مصر السفلى تطارد حاميات المماليك، وأخذ سكانها يوجهون المندوبين إلى سليم الأول للإعراب عن ولائهم. أما طومان

(1) M. Digeon. "Nouveaux contes turcs ct Arabes". 2 tomes. Paris 1781. T. I. p. 50.

(2) Joseph Hammer "Histoiredel'Empireottoman. Depuis son origine jusqu' ános jours". Paris 1836. T. 4 p. 306.

(3) J. d Hammer. op. cit. T. 4. p. 308.

فنظروا ان ليس لهم بها طاقة وانهم لا يحسنون
تدبيرها ولا يامنون من ان تتكاثر الافرنج عليهم
فياخذونها منهم فاحرقوها وكانت شياً عجيبا لا
يوصف وكانت للفرنج مراكب في البحر جائيه من
عكا وغيرها لانهم منذ نزلوا هذه المنزلة لم تنقطع
المراكب عنهم فتكسرت كلها واسندت الى البر
فاخذ منها شئ في غزه والعريش وغيرهما. وكانوا
قد حفروا بحراً كان يعرف بخليج الزعفران ليعبروا

باى فقد عاود نشاطه فى مصر الوسطى. وبدعم من قبائل الهوّارة البدوية والمماليك الوافدين من مناطق مصر العليا البعيدة، تابع تنظيم المقاومة ضد العثمانيين. لكن ميزان القوى لم يكن متعادلاً، كما أن البدو نشطوا فى أعمال سلب الفلاحين وكانوا يفرّون ويتشتتون أمام أول طلقةٍ من مدفعية العثمانيين. ثم دبّ الخلاف بين البدو والمماليك، إذ اعتبر شيوخ البدو أن لا جدوى من مواصلة القتال، فأعربوا عن رغبتهم بعقد اتفاق مع العثمانيين. وفى مارس ١٥١٧ وخلال إحدى المعارك التى نشبت فى منطقة الأهرام، حصلت مشادة بين البدو والمماليك. فحاول البدو ابّان المعركة الانضمام إلى العدو، لكنهم أبيدوا بنيران مدفعية العثمانيين(١).

اندفع طومان باى إلى الشمال بعد انفصال البدو عنه فوصل إلى منطقة البحيرة. وفى ٢ نيسان أبريل ١٥١٧، خاض معركته الأخيرة فى منطقة الوردان التى تبعد ٥٠ كيلو متراً إلى الشمال من القاهرة. لكن المعركة انتهت بهزيمته، ففرّ والتجأ إلى صديقه الشخصى حسن بن مرعى شيخ قبيلة محارب فى قرية بوطة. ورغم قواعد الضيافة البدوية المزعومة، حنث بن مرعى بقَسَمه على القرآن وسلّم صديقه المملوكى إلى العثمانيين. وبعد بضعة أيام قام بدو الشرقية شيوخ بنى بكر بتسليم شريك إلى العثمانيين وهو آخر أمير مملوكى رفض إلقاء السلاح أمام الانكشارية.

---

(1) Ibid. p. 315.2

مـراكـبـهم منه لان السلطان كـان قـد وعـر مـا بين البـرجين [أقـام مـتـاريس] خـشـيـه من عـبـورهم بمراكـبـهم الكبـار فلمـا جـات الامطار وطلع البـحـر الكبير [المتوسط] ملا الخليج الذى حفروه وكانوا قد قربوا الحفر من البحر فصاروا يحملون مراكبهم على الحمير ويطرحونها فى ذلك البحر فصار لهم فيه جملة مراكب واستمر الحال على ذلك الى مـدة فـرجع السلطان غـرق مـراكب قـدام الموضع

وضعت الحرب أوزارها. وفى ٩ أبريل ١٥١٧ أنزل نقد جديد إلى سوق التعامل فى القاهرة يحمل اسم سليم الأول، سيد مصر الجديد. واختفت دولة فرسان المماليك الجبارة. وفى ١٣ أبريل وتحت قنطرة بوابة القاهرة ـ باب زويلة، شُنِقَ آخر سلاطين المماليك طومان باى كمجرم عادى. وكتب كانتيمير فى ذلك أن هذا المشهد أرعب المصريين[1]. فى شهر مايو ١٥١٧ دعا سليم الأول إلى ما يشبه المؤتمر العام فى القاهرة. وإضافة إلى القادة العسكريين العثمانيين ، حضر المؤتمر القضاة المصريون وممثلون عن التجار والمهنيين ومختلف فئات السكان بمن فيهم ممثلو الطائفة اليهودية[2]، وخّص سليم الأول مبادىء السياسة الجديدة وأعلن عن تعيين الموظفين فى مراكز الدولة، فلم يطرأ على هيكلية الإدارة أى تغيير جوهرى، فى مصر العليا أبقيت السلطة فى أيدى شيوخ البدو، أما فى مصر السفلى والوسطى فقد بقيت السلطة فى أيدى المماليك الذين انحازوا إلى جانب سليم الأول.

لكن تغييرات أساسية طرأت على الحياة الاجتماعية، فقد تمت إعادة توزيع جذرى للأراضى. وأبطل العثمانيون كل أشكال ملكية الأرض الإقطاعية المملوكية.ورفضوا الإعتراف بأى حقوق للمماليك على الأراضى والأملاك، كما لم يعترفوا لهم بما يحملون من صكوك

(1) D. Cantimir. op. cit. T. 2. p. 205.

(٢) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص١٧٨.

الذى طلعوا اليه وجعلها ثلاث صفوف وركب فيها صوارى [متاريس] وسمر عليها صوارى اخر بالعرض فلما كان فى يوم السبت الذى بين الرفاعين(*) هيأت الافرنج مراكبهم وطلعوا اليها بآلاتهم وخيامهم وعددهم واسلحتهم وطاب لهم الريح وكان هذا اليوم الثامن من امشير(*) فاقلعوا يدا واحده والمسلمون كلهم مطلبون على البر راجلهم وفارسهم ومعتقدين انهم يصلون الى تلك

(*)الرفاعين: الرفاع الاول يقام يوم الاحد قبل عيد Jonah والثانى يقام يوم الاحد والمدة بينهما ٣٠ يوم

(*)٨ أمشير = ٢ فبراير بحسب التقويم الجوليانى.

الإقطاع والأرزاق(١). وفى صيف عام ١٥١٧ تم إجراء أول مسح عثمانى تفصيلى فى مصر السفلى، فألحقت كل الأملاك الاقطاعية المملوكية بالخزينة(٢). علاوة على ذلك أخذ الجباة يتطاولون على حصانة الأوقاف، وبدأوا يتقاضون الضرائب من أملاك المماليك الوقفية. وفى عام ١٥١٨ وبعد «التدقيق» بالوثائق، انتقلت أكثرية الأوقاف وأرزاق المماليك رسمياً إلى ملكية *الحكومة العثمانية.* وفى يونيو ١٥٢٢ *طبقت تدابير مماثلة فى مصر العليا*(٣). ومُنع المماليك بتاتاً من تأسيس أوقاف جديدة. ولم تعتبر قانونية إلاّ الأوقاف والأرزاق التى تُنفَق مداخيلها لغايات دينية محضة. هكذا أصبحت أراضى مصر كلها بإستثناء الأوقاف «الشرعية» ملكية عمومية تحت إشراف الخزينة العثمانية. وأُلغيت كذلك كل الامتيازات الضريبية والحصانات التى كانت قائمة فى عهد المماليك(٤).

فى يونيو ١٥١٧ حوّل سليم الممتلكات السكنية والعقارات البلدية فى مصر إلى ممتلكات عامة. وكانت فى مقدمة الأملاك المصادرة المنازل والأموال غير المنقولة الأخرى العائدة للماليك بما فيها تلك التى يملكونها زوراً باسم الأوقاف(٥). أما مالكو المنازل السكنية الأخرى فقد

(١) المصدر نفسه، ص١٦٢.

(٢) المصدر نفسه، صفحات ١٨٩، و١٩٤ و ١٩٤ و٢٤٧ و ٢٩٢.

(٣) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص٤٦٥.

(4) M. Digeon. cit. T. 2. p. 241.

(5) Ibid. p. 273.

الصوارى فيقفون [تصدهم وتمنعهم] فلما وصلوا الى تلك الصوارى [المتاريس] جعلها الله لهم مثل الحشيش فقصفوها [كسروها] جميعاً وتموا طالعين الى الموضع الذى ارادوه وهو مضيق البحر فتعجب المسلمون من ذلك وكان عليهم يوماً شديداً. واقاموا جميعا الافرنج والمسلمون يوم السبت والاحد والاثنين ملبسين رابطين بعضهم بعضا فلما كان فى ليلة الثلثا الحادى عشر من امشير(*) جرى

(*) ١١ أمشير = ٥ فبراير بحسب التقويم الجوليانى.

طُلب إليهم إبراز وثائق تؤكد شرعية امتلاكهم، أو إدارتهم للأوقاف. فإذا تبيّن أن الوثائق صحيحة يتسلّم المالك إفراجاً، أى أمراً يجيز له استعمال الملك بعد دفع الرسوم للدولة. وإذا كانت الوثائق باطلة يُصادر الملك ويصبح من ممتلكات الدولة ويمكن تأجيره «للمستأجرين الشرفاء»(١).

فى أغسطس ١٥١٧، وقبل أن يغادر سليم الأول القاهرة، أذاع نداء دعائيا أعلن فيه أنه لا يُسمح لأى كان، من الآن فصاعداً، أن يضطهد فلاحاً أو إنساناً من عامة الشعب(٢). وفرض على القضاة والمسؤولين جعل حاجات الفلاحين ومطالبهم فى مقدمة اهتماماتهم. وقد ورد فى قانون ـ نامه مصر(٣)، أن القضية الأولى فى جدول أعمال كل جلسة يعقدها الديوان المصرى ينبغى أن تكون قضية أحوال الرعيّة(٤). وقد اعتبر أى اعتداء على ممتلكات الفلاحين، بل أى محاولة بسيطة للكسب على حساب الفلاحين، وفقاً لقانون ـ نامه مصر، بمثابة جريمة خطيرة يعاقب عليها فى أكثر الأحيان بالموت، وكُلّف القضاة بدراسة شكاوى الفلاحين بكل عناية لا سيما فيما يتعلق بمصالحهم المادية، وكل مماطلة فى دراسة الشكاوى أو أى قرار يصدر دون وجه حق لمصلحة الملاكين الأغنياء يعرّض القاضى للسجن(٥).

(1) Ibid. p. 274.

(٢) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص٣٠٥.

(3) O. Barkan. op. cit. pp. 355 - 387.

(4) Ibid. p.378. et M.. Digeon. op. cit. T. 2 p. 247.

(5) M. Digeon. op. cit. T. 2. p. 262.

بين السلطان وواحد من اكابر الامرا يعرف بابن المشطوب(*) بخلف معماهم فيه من الارتباك والشدة فقضى ذلك برحيلهم جميعهم ليلا وتركهم لخيامهم وجميع عددهم والاتهم واصبح الافرنج متعجبين معتقدين انها مكيدة لانهم كانوا يودون لو هلك اكثرهم حتى يتملكوا شطرا من بر الشرق لا غير فاتفق لهم ان ملكوه منعماً من الخيرات والنعم التى لا توصف ولا تحد [و] لا

(*) تمرد أحمد بن المشطوب على الملك الكامل فاخرجه اخوه الملك عيسى صاحب دمشق، الذى كان حضر لنجدة أخيه الكامل.

وألغى سليم الأول «الضرائب» و«المغارم» المفروضة [1] بصورة غير قانونية، وحدَّ من الغرامات النقدية المفروضة على الفلاحين، ومنع تقديم الهدايا المالية والعينية للموظفين والمسؤولين الذين يجوبون القرى[2]. وفى يونيو ١٥١٩، ووسط ابتهاج الجماهير الشعبية، كما كتب ابن أياس، تمّ تحديد أسعار البضائع تحديداً صارماً[3].

أولت السلطات كذلك اهتماماً كبيراً بإعادة إسكان القرى المهجورة وحماية الفلاحين من البدو. وقد ورد فى قانون ـ نامة مصر، أنه يحق لكل من يأتى برأس بدوى نهّاب أن يأخذ حصانه وسلاحه وثيابه[4]. ويقدّم ابن أياس أمثلة كثيرة على مطاردة البدو. وعقاباً للبدو على انتهاك القوانين العثمانية، كانت تصادَر جمالهم وخيولهم وسباياهم وأسلحتهم وأقمشتهم وحلاهم، أما نساؤهم فيُبعن فى سوق العبيد، ويتعرض رجالهم للقتل وأبشع صنوف التعذيب الوحشى. فى ٣١ يناير ١٥٢٠، طاف بعض العثمانيين فى شوارع القاهرة وهم يحملون اثنى عشر رأساً مقطوعاً وستة مومياءات محنطة لشيوخ البدو من قبيلة السوالم بعد أن سُلخت

(١) الجبرتى «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» المجلد الأول، ص٢٠ القاهرة ١٨٧٩.
(2) O. Barkan. op. cit. pp. 361 et 373 - 374 et M.Digeon. op. cit. T. 2. pp 199 et 233 - 234.
(٣) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص ٣٠٤.

(4) M. Digeon. op. T. 2. p. 202.

تحصى قيمتها فطلعوا الى البر المذكور فى يوم الثلثا
المقدم ذكره وتسلموا الخيام بجميع ما فيها
والابراج والمنجنيقات والعدد والزرد التى لا تحصى
كثره وقتلوا كل من وجدوه متخلفا فى المنزله لان
الناس كانوا يظنون ان طلوعهم اليها يتراخى فبقوا
بها طمعاً فيما يشيلونه من قماشهم وكانوا زهاء
ثلاثة الف نفس واحاطوا بدمياط من كل ناحية
ونصبوا عليها المنجنيقات وجدوا فى القتال عليها

جلودهم وحُشيّت بالقش وأُلبست ملابس بدوية وطافوا بهم فى المدينة لكى يكونوا عبرة لمن يعتبر[١].

واتخذت تدابير لا تقل صرامة وقساوة لتطبيق الفرائض الإسلامية. ففى عام ١٥١٩، أُقفلت فى جميع أنحاء مصر الخمّارات وحانات شرب الخمر والحشيش وبيوت البغاء. ووضعت البغايا فى أكياس أُلقى بها فى النيل[٢] بعد إحكام اقفالها عليهن. وأعلن حظر العادات الذميمة ورقص المجون الذى كان ابن خلدون معجباً به أيّما اعجاب. ونص قانون ـ نامة مصر، على فرض غرامات باهظة على «ظهور العروس بمظهر غير لائق». فقد كانت العروس أثناء احتفالات العرس، وفقاً للعادات القديمة، تخرج سبع مرات على الضيوف مكشوفة الوجه فى «ثياب غير محتشمة» تبدلها سبع مرات[٣].

أين عظمة الماضى وأبهته؟ وكيف غربت شمس تلك الأيام الرائعة؟ هكذا يتساءل ابن أياس. كان المماليك والأعيان الباقون على قيد الحياة يكرهون سليم الأول الذى وصفه ابن أياس أنه «قاتل أبطال مصر، ومُيتم أطفالها ومُستعبد رجالها»، ذلك لم يحدث من قبل منذ عهد نبوخذ نصّر. يقول: «مصر أجمل دول العالم قاطبة»[٤] فقدت استقلالها ودمّرت

(١) ابن أياس، المجلد الخامس. ص٣٢٥. (٢) المصدر نفسه، ص٣٠٥.

(3) M. Digeon. op. cit. T. 2. p 251.

(٤) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص٢٠٦.

واما السلطان فانه غرس سنجقه [رايته ومحل معسكره] باشموم وكل من راه من الامرا الاكابر وقف حوله فاما المغاربه والطواشين فانهم ساحوا فى البلاد واكثرهم عبروا الى القاهرة وبقى الناس متخبطين فعاقت نفوسهم جدا وكثرت الشناعات على النصارى واشتد بعض القوم فيهم. وكان فى اثناء هذه الحال اجمع [الولاة] المسلمون وقرروا تصقيع الاملاك بمصر والقاهرة واخذ اجرتها

واستُبيحت». ويضيف ابن أياس: «يقولون إن ابن عثمان عندما غادر مصر أخذ معه ألف جمل محملاً ذهباً وفضة، بالاضافة إلى غنائم السلاح والخزف والبرونز والخيول والبغال والجمال وغيرها، فضلاً عن بلاط الرخام الرائع. من كل ذلك أخذ سليم الأول أفضله مما لم ير آباؤه وأجداده مثيلاً له فى حياتهم»[1]. وعاش المماليك فى فقر مدقع، إذ لم تعد لديهم خيول ولا ملابس لائقة ولا سلاح ولا حتى حجر يسندون إليه رؤوسهم ولم يعد لديهم خدم ولا حشم. كان العثمانيون يطوفون البلاد على الخيول، وهم (أى المماليك) يجوبون الأسواق على أقدامهم. لكن سليماً الأول، ما لبث أن أعلن «العفو» عن المماليك بعد فترة قصيرة، وبدأ يشكّل منهم وحدات خاصة فى الجيش العثمانى هى «جماعة الشراكسة». فأعيد إليهم السلاح وخصصت لهم رواتب مالية ضئيلة. غير أن المماليك مع ذلك أجبروا على التخلى عن بزة الفرسان الأنيقة وارتداء القفطان التركى والقبعة الشتوية (القلبق) والحذاء العالى (الجزمة). ولم يبق لهم من كل مظاهر عظمة الماضى إلاّ اللحية التى كانوا يتميزون بها عن الفرسان العثمانيين الذين يحلقون ذقونهم باتقان. وبصفته خليفة المسلمين الشرعى والعادل حصّل سليم الأول على جميع حقوق سلاطين المماليك والتزاماتهم فى مضمار العلاقات الخارجية. وورث السيادة على المناطق التابعة لهم فى أفريقيا وشبه الجزيرة العربية. وأخذ حكام هذه البلدان، الواحد تلو الآخر، يبعثون بالسعاة والرسل إلى سليم الأول للإعراب عن الولاء

(١) المصدر السابق، ص٢٠٧.

شهرين ومساعدة السلطان بها وصقعوا مصر ولم
يستخرجوا منها شيا وبطل ذلك ثم عادوا جبوا من
المسلمين على قدر احوالهم طريقين حتى انتهوا الى
ان اخذوا من الخمسة دراهم الى ما فوق ولم
يجد ذلك نفعاً ولا حصل منه طايل. وبعد هذه
الكسرة المقدم ذكرها بيومين ثلاثه وصل الملك
المعظم [عيسى] سلطان الشام الى اخيه الملك
الكامل الى اشموم واتفق رايهما وقبضوا على ابن

والاستعداد لإستئناف العلاقات التى كانت قائمة بينهم وبين سلاطين المماليك[1]. على أن وصول مبعوثى شريف مكة محمد أبو البركات الهاشمى حاكم الحجاز إلى القاهرة. اتسم بأهمية بالغة. كان شرفاء مكة من بين أوائل المعترفين بسليم الأول زعيماً جديداً للإسلام وحامياً للحرمين. وكانوا فى طليعة الذين سارعوا إلى الترحيب بانتصاره.

وصلت بعثة أبو البركات برئاسة ولده ولى عهده أبو نمى محمد فى الخامس من يونيو ١٥١٧[2]. فقدمت التهانى والهدايا إلى سليم الأول وسلّمته مفاتيح الكعبة مؤكدة بذلك اعترافها بسلطنة خليفة المسلمين وأمير المؤمنين[3].

حافظ سليم الأول على استقلال الحجاز الذاتى كاملاً، واعترف بوضعها الخاص وبالحقوق الموروثة للأسرة الهاشمية. وكرّس محمد أبو البركات أميراً على البلاد، وأرسل إليه القفطان والخلعة. ومنذ عام ١٥١٧ بدأ مبعوثو السلطان الخاصون يزورون مكة كل عام حيث يقومون بتوزيع الأموال والهدايا، كما كانوا يجمعون الفقراء خارج المدينة على غرار العادة التى اتبعها سليم الأول، ويوزعون عليهم أموالاً بالنقد الذهبى. أما البناء الداخلى والإدارة فى الحجاز فلم يتعرضا لأى تغييرات جوهرية، ولم يتدخل الأتراك فى صلاحيات أشراف مكة الذين استمروا فى ممارسة العادات والتقاليد القديمة. واكتفى العثمانيون بتولى حراسة الشواطىء البحرية

(1) G. Strlpllng. cit. p. 56.

(٢) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص١٨٩.

(3) M. Ohsson. op. cit. T. 3. pp. 202 - 203.

المشطوب الذى هو اكبر الامراء الذى ذكر انه كان سبب الكسرة وقيدوه وسيروه الى قلعة الكرك موثقا ثم ذكر انه نفى [إلى] دمياط وقوما قالوا ما قتل الا ا لاسرى لانهم وجدوهم قد بقوا وراموا الخروج الى اصحابهم. واما اهل منية بنى سلسيل(*) فان اهلها ثاروا على النصارى(*) واهلكوا منهم جماعة وكان الزمن كلما مر اشتد والفتنة كلما مرت عظمت ثم رسم بتصقيع املاك

(*) منية بنى سلسيل: ينطقها أهلها ميت سلسيل، وهى من القرى القديمة بين أشمون الرمان ومنزلة ابن حسون. تابعة لمركز المنزلة بشمال الدلتا.

(*) اضطهاد الاقباط المصريين بسبب الحروب الصليبية.

وحماية الحجاج وقوافل المؤن والمواد الغذائية للمدن المقدسة. وتولت السلطات العثمانية مراقبة أموال المساجد فى مكة باهتمام بالغ، والاعتناء بحال الطرق وإهراءات الحبوب وخزانات المياه. أما الإشراف على الوضع فى البلاد فقد كُلف به الوالى العثمانى فى مصر، كما أنيطت به مسؤولية الدفاع عن الحجاز على اعتبار أنه من وجهة النظر العسكرية والسياسية يعتبر ضمن دائرة اختصاصه ومجال سلطته[١]. وكانت الحاميات العثمانية المرابطة فى البلاد تأتمر بأمره وفى طليعتها حامية جدة التى تحولت إلى قلعة حصينة للسيطرة العثمانية على البحر الأحمر. وفيها أقام الباشا العثمانى قائد القوات المسلحة التابعة للباب العالى. وبفضل اعتماده على هذه القوات كان الباشا يتمتع بنفوذ كبير فى البلاد، بل يشعر انه سيد الوضع. فجعل من جدة عاصمة عسكرية وسياسية وتجارية أصلية للحجاز. هكذا دخلت مكة والإمارات التابعة للهاشميين فى ظل الحكم العثمانى. لم يكن العثمانيون يتدخلون فى شؤون الهاشميين الداخلية ولا فى حياة المدينة، ولا سيما فى مسألة وراثة العرش. بيد أنهم اعتادوا تقديم الدعم إلى من يطالب به، فإذا خرج منتصراً فى الصراعات الداخلية، عندئذ تُرسل له خلعة التعيين على الفور مع التعويضات والهدايا المناسبة[٢].

(1) A. Lybyer "The Government of the ottoman Empire in the time of Suleiman the Magnificent" Cambridge. 1913. pp. 258 - 260.

(2) M. Ohsson. op. T. 3. P. 278.

الناس بمصـر والقـاهرة وان يجـبى منهـم اجـرة
شهرين واخذ اكابر مصر ان يجبوا من اهلها شياً
على قـدر احـوالهم ويسـيـروه مسـاعـدة للسلطان
والمسلمين فـحـصلوا فى جبـايتين زهآء ثلثـة الف
دينار. ولما وصل الملك المعظم ملك الشـام واجتـمع
باخـيـه اتفق رايهم على ان يعـدوا الى بر الغـرب
[برج العـرب]لأن صليبـه الفرنج كانت فيه فعدوا
بالعسـاكر والجنود وامروا بعمارة سور من مصـر الى

بعد انحياز أبو البركات إلى العثمانيين أقام خلفاؤه تعاوناً وثيقاً مع الباب العالى، فدعموا نفوذ السلطان وحموا طريق الحج، كما ضمنوا طاعة قبـائل البدو الرحّل. وفى عام ١٥١٧، أقيم احتفال أدّى فيه شريف مكة يمين الولاء للسلطان وأقسم معه زعماء كل القبائل الرئيسية فى الحجاز وسوريا. ووفقاً لمدونات كانتيمير خضع زعماء قبائل البدو الرحل، الذين ينتقلون فى الصحارى بين مكة والقاهرة ودمشق طوعاً للسلطان سليم الأول، ووقعوا وثائق ولائهم المطلق وسلموا المحتجزين لديهم من الرهائن من المماليك وغيرهم(١).

إلغاء الحكم الذاتى فى سوريا ومصر

بعد هزيمة المماليك، احتفظت سوريا ومصر بقدر كبير من الحكم الذاتى الداخلى، ولم تترافق «العثمنة» الاجتماعية لهذين البلدين فى المرحلة الأولى مع تطبيق كامل للنظامين العسكرى والإدارى العثمانى. فقد وُضع هذان البلدان التابعان سابقاً للدولة المملوكية تحت إشراف دائم من جانب القادة العسكريين المماليك الذين انحازوا إلى جانب السلطان سليم الأول. فعيّن جان بردى الغزالى حاكماً على سوريا وسيف الدين خير بك على مصر. وبعد أن أكمل العثمانيون احتلال المدن والقلاع الاستراتيجية المهمة منحوا هذين الحاكمين استقلالاً داخلياً شبه تام. حتى أن خير بك أُعفى من دفع الضرائب للباب العالى، وكان كل من

(1) D. Cantimir. op. cit. T.2. p. 208.

القاهرة من [قصر] اللؤلؤه وجعلوا اساسه الحجر وباقيه بالتراب عمل المغاربة. ثم أستأدوا جوالى الذمه لسنة ست عشر وستمايه (*) في يوم الاثنين الثامن عشر من ذى الحجه سنة خمسة عشر وستمايه، ثم رجع رأيهم عن عمل السور بالتراب فهدموا ماكانت المغاربة عملته وشرعوا فى البنايه باللبن، ثم ورد الامر باستخراج اجر الاملاك من الناس كافة بالقاهرة ومصر وشرع فى استخراجها.

(*) ٦١٦ هـ + ١٢٢٠م الملك المعظم عيسى يقبض جزية القبط المصريين لسنة قادمة أى قبل أن يأتى موعد دفعها.

الحاكمين يملك قواته العسكرية الخاصة، وجهازه الادارى الذى لم يطرأ عليه عملياً أى تغيير جدى.

عُيِّن جان بردى الغزالى حاكماً على سوريا فى ١٦ فبراير ١٥١٨. وفى بداية عهده طبق السياسة العثمانية بحذافيرها فقمع حركات تمرد البدو وانتفاضاتهم دون رحمة، وبخاصةً فى عام ١٥١٩ عندما سحق انتفاضة الشيخ البدوى ابن الحنش قرب بعلبك الذى حاول فرض سيطرته على وادى البقاع وشن حملتين لغزو حوران. وساد البلاد هدوءٌ تام حتى أن «الذئب والحمل استطاعا السير معاً»[1] على حد تعبير ابن أياس. وإلى جانب الجيوش العثمانية، شكل الغزالى جيشاً خاصاً به قوامه البدو والمماليك بمن فيهم فيلق الفرسان أو الخيالة.

بيد أن أبناء الطبقات المميزّة القديمة الذين أحاطوا بالغزالى بعد أن وضعوا أنفسهم فى خدمة السلطان سليم الأول، كانوا يكرهون النظم العثمانية ويشدهم الحنين إلى الماضى لإستعادة السلطات والامتيازات. فى ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٥٢٠ توفى سليم الأول، فانتهز أعيان البدو المماليك فى سوريا موته ليعلنوا تمردهم، ورفضوا أداء يمين الولاء للسلطان الجديد سليمان العظيم الملقب بالقانونى (حكم ما بين ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) وحاولوا احياء دولة المماليك الغابرة.

(١) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص٣٨٢.

واما ما كان من امر العسكر فى تعديته الى بر الغرب فانهم وصلوا الى قرب منزلة الافرنج فى يوم الاحد السابع من برمهات(*) فارسل الله ريحاً عاصفة وامطاراً وهاج البحر وطلع اليهم ولو لم يتلافوا بالرجوع كان غرقهم فرجعوا ولم ينالوا قصداً وعدوا الى بر الشرق ونزلوا على فارسكور(*) وما والاها. وكانت فى هذه السنة شتوة ما شوهد مثلها فى الديار المصريه حتى انه

(*) ٧ برمهات = ٢ ابرايل بحسب التقويم الجوليانى.

(*) فارسكور: قرب دمياط والى جنوبها.

تزعم التمرد جان بردى الغزالى نفسه وراهن على البلبلة فى عاصمة السلطنة وعلى مساعدة المماليك المصريين، فأعلن انفصال سوريا عن السلطنة العثمانية. وفى ٣١ أكتوبر ١٥٢٠، اتخذ لنفسه لقباً مملوكياً هو «الملك الأشرف»(١) وأمر بالدعاء له فى خطبة الجمعة، ونقش اسمه على النقود السورية. وقضى على حامية دمشق العثمانية، وطرد العثمانيين من بيروت وطرابلس وحماه وغيرها من المدن. لكن التمرد لم يحظ بتأييد شعبى واسع، ولم يكن المماليك المصريون على مستوى ما عُلق عليهم من آمال. ولم يبدِ فلاحو سوريا والأهالى فيها أى اهتمام، بل اتخذوا موقفاً عدائياً من الغزالى. كما أن التمرد كان مفاجئاً للسكان، إذ «أدهش البلاد بأسرها»(٢). ولم يلتحق بالغزالى غير الدروز وبدو جبل نابلس وبعض القبائل، كما أن فرسان يوحنا أرسلوا له بعض قطع المدفعية من جزيرة رودس(٣). فى مطلع شهر نوفمبر عام ١٥٢٠، جمع الغزالى ٢٣ ألف مقاتل وشن حملة على حلب التى لم تعترف بسلطته. ورغم القصف المدفعى العنيف الذى تعرضت له المدينة، فإنها تمكنت من الصمود حتى وصول الجيوش العثمانية من الأناضول. وفى ٢٢ ديسمبر بدأ الغزالى بالتقهقر، وفرّ عملاؤه من طرابلس وبيروت وغيرهما من المدن فور وصول طلائع العثمانيين. وفى ٢٧ يناير

(١) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس. ص٣٧٠.

(2) D. Cantimir. op. cit. T. 2. P. 283.

(٣) بارتولد «الخليفة والسلطان»، ص ٦٣.

حدث بها من الثامن برمهات الى الخامس عشر(*) منه من الرياح والامطار والبرد الشديد مالم يشاهد قط مثله. وكانت احوال هذه السنة كلها عجيبة غريبة. وبعد ذلك ورد امر السلطان باخراج نصف اهل مصر والقاهرة الى القتال اختيارا واضطرارا وخرج اكثر الناس وصار المميزون [الأغنياء] الذى لا يليق بهم الخروج يفدون انفسهم بما يقومون به من الذهب كل منهم على قدر حاله. فاما النصارى

(*) ١٥ برمهات = ١٠ ابريل بحسب التقويم الجوليانى.

عام ١٥٢١، نشبت معركة المصطبة قرب دمشق وانتهت بهزيمة قوات الغزالى[1] الذى تنكّر فى زى درويش وحاول الهرب، غير أنه وقع فى الأسر وأعدم فى ٦ فبراير ١٥٢١. ودخل العثمانيون دمشق وألغى الحكم الذاتى فى سوريا، وقُسمت البلاد إلى ثلاث ولايات مراكزها فى دمشق وحلب وطرابلس، ووضعت منذ ذلك الحين تحت إدارة الباشاوات العثمانيين وخضعت للباب العالى مباشرة. أما المماليك فقد تشتتوا وانصهر بعضهم فى الطبقة العثمانية الحاكمة. وظلت أسماؤهم خلال القرن السادس عشر تلاحظ بكثرة ضمن قوائم أصحاب الأملاك الاقطاعية فى سوريا[2].

أما سيف الدين خير بك الذى حكم مصر منذ العاشر من أيلول (سبتمبر) عام ١٥١٧، فقد حافظ أثناء تمرد الغزالى على ولائه للباب العالى، ووجّه قواته لمحاربة الغزالى. وخلافاً للمعتمدين العثمانيين الآخرين خلع على نفسه لقب «ملك الأمراء»، وكان ذلك أرفع من لقب بكلربك (أمير الأمراء) لكنه دون لقب سلطان. كان يصبو إلى أن يكون هذا اللقب رمزاً لوضع مصر الخاص كخليفة للباب العالى تتميز عن باقى ولايات السلطنة الأخرى. كان لخير بك جيشه الخاص وحاشيته مع بروتوكول مملوكى مثالى، كما أنه تمتع باستقلال تام فى شؤونه الداخلية، واحتفظ كذلك بالتنظيمين الدينى والإدارى السابقين فى البلاد، وحافظ على

(1) J. de Hammer. op. cit. T. 5. p. 13.

(2) B. Lewls "The Ottoman Archives...". p. 149.

الذين بالقـاهرة انهم جبـوا منهم مع اصحـاب المعايش كل من كان متمعشاً مع اهل معيشة ولم يجحف بهم ولا باحد من اهل القاهرة، وفى الاخر جبوا من الكتاب المقيمين بها وراعوا البعض وتركوا البعض. فاما مصر فان واليها كان منقاداً بالفقها فاحضر قسا [قسسا] الكنايس التى للقبط والملكيـة(*) وقال لهم تخرجون، وتهددهم وقال انتم تخرجون مع المسلمين وما تصلون معهم الى باب المدينة حتى يقتلوكم وما يقدر احد يقول لهم

(*) الارتودكس الشرقين (اليونان).

التقاليد المحلية فى حياة الدولة. كان انكشارية مصر، خلافاً لانكشارية اسطمبول وغيرها من المدن العثمانية يتقاضون راتباً شهرياً على غرار «مماليك الخندكار»[1].

أصبح المماليك المصريون وشيوخ البدو الركيزة الأساسية لخير بك، الذى استمالهم إلى جانبه وعيّنهم فى المراكز العسكرية والإدارية. وخلافاً لفرق الخيّالة والانكشارية العثمانيين الذين تحوّلوا إلى حاميات فى كبريات مدن مصر الذين كانوا يتبدلون بصورة دورية، ظل المماليك المصريون يرابطون فى البلاد على نحو دائم ويمارسون السلطة فى مناطقهم. واستمر النظام التقليدى فى شراء المماليك وتعليمهم وترقيتهم على حاله دون تغيير. ومنذ عام ١٥١٩، عاد المماليك إلى تقاضى الرواتب واستلام مخصصات اللحوم والحبوب. وفى عام ١٥٢٠ أعيدت إليهم بزتهم القديمة، لكن دون أراضيهم وأملاكهم.

فى عهد سليمان العظيم بدأت فى مصر «عثمنة» الادارة تدريجياً. ففى شهر مايو ١٥٣٢ أمر السلطان بتعديلات فى النظام القضائى. فعوضاً عن نظام القضاة الأربعة الكبار (قضاة الشرع) استحدث منصب قاضى القضاة فى القاهرة، فأخذ يصدر أحكامه وفقاً للمذاهب الأربعـــة[2]. وفى الوقت نفسه، تمّ حل الجهاز الضخم من المساعدين والأمناء الذين كانوا

(١) ابن أياس، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ص ٣٦٧ و٤٠٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٥٣.

فى هذا الوقت شيأ. وكان الميل فى القول بالاكثر على الملكية لانهم كانوا يشنعون عليهم بانهم يحبون الافرنج وانهم على سنتهم فى تربية الشعر وترك الختان وما شابهه فعمل فيهم الخوف واستعجل واحد منهم وقال عندنا الف دينار فقالوا مبارك قوموا جيبوا بالف دينار، وقالوا للحاضرين من قسوس القبط هولاء منكم بالقيراط نحن نجعلهم بالعشر (*) اعطونا عشرة الف دينار. واخر الحال انهم قرروا عليهم ثلثة الف دينار وخرج

(*) أى عليكم أن تدفعوا عشرة امثالهم.

يعاونون القضاة وقد بلغ عددهم مئات عدة، وأعيدَ تنظيم إدارة الأوقاف وأملاك الخزينة لكى تتفق والنمط العثمانى.

الخطوة التالية التى اتخذت على طريق «عثمنة» مصر تمثّلت بإنهاء الملكية المملوكية. ففى ٥ أكتوبر ١٥٢٢، توفى ملك الأمراء سيف الدين خير بك، وفى ٢٧ أكتوبر عُين الوزير الأكبر مصطفى باشا والياً جديداً على مصر، فقام هذا بإعادة تنظيم شاملة لإدارة البلاد، أبقى مصطفى باشا على التقسيمين السياسى والإدارى السابقين بما يتلاءم ومتطلبات السلطة الجديدة. فأصبحت مصر ولاية عثمانية جديدة يحكمها بكلربك (أمير أمراء)، وخضع له المماليك وشيوخ البدو وقادة الحاميات المحلية. وتم تسريح الحرس المملوكى وقوات المرتزقة التابعة للمماليك من المغاربة وغيرهم... أو ألحقوا بقوات السبعة أوجاقات (أورطة) الجيش العثمانى فى مصر. أما التنظيم الداخلى ودفع رواتب الانكشارية فكات يتم وفق القوانين العثمانية العامة. وفى مناطق الريف عُهد بمسؤولية المحافظة على النظام إلى شيوخ البدو والمماليك الذين حافظوا على تنظيمهم الطائفى. وقد تبين فى هذا المضمار أن نظام ملكية الإقطاع الصغير ليس ضرورياً وبالتالى لم ينتشر فى وادى النيل. وبدأت مصر تدفع ضريبة سنوية للباب العالى بلغت ١٠٠ ألف دينار مع إرسال جنودها لوضعهم فى تصرُّف الحكومة المركزية. وعيّن على المماليك وشيوخ البدو ان يتشبهوا فى عملهم ببكوات السناجق

(*) سلبه: المقصود هنا بالسلبه غالبًا فلكه من الخشب والحبال يربط فيها رجلى رافع الغرامة أو الجزية ليسهل جلده على رجليه.

جميعهم بالترسيم وعلقت سلبه(*) فى كنيسة المعلقة وسلبه فى كنيسة المكليه وسلبة فى كنيسة اليهود لان الأخر كانوا وزنوا فى المرة الأوله وقت ما طلب من النصارى شئ خمس ماية دينار وقرروا عليهم فى هذه النوبة ستماية دينار. وصار الضرب فى الناس والتعليق والترسيم والهوان وكان القسا [القسسا] هم الذين يخرجون اسماء الناس ويقطعون عليهم القطايع. وكانت ايام الصوم المقدس وكانت اياما صعبة شديدة واضطهاد

العثمانيين. ودّونت التعليمات المتعلقة بذلك فى قانون ـ نامه مصر، الذى نشر فى ١٨ سبتمبر ١٥٢٣[١]. لسن هذا القانون، استفاد مصطفى باشا بشكل واسع من نظم (قوانين) السلطان المملوكى قايتباى التى جسدت التقاليد القديمة لحياة الريف والإدارة فى مصر. جرى التدقيق فى تلك القوانين وأعيد النظر فيها كى تتفق ومقتضيات الحياة الحكومية والاجتماعية العثمانية.

أثار حل السلطنة المملوكية استياء جديًا فى أوساط المماليك والبدو، فدبّروا مؤامرة تزعمها جانم الصيفى وهو مؤيد متحمس لخير بك. فى عام ١٥٢٣، قام المملوكان جانم وإينال بانتفاضة فقضيا على خونة «السلطة المملوكية»، ثم تحركا إلى الشرقية حيث التقيا ووحدا قواتهما هناك، ووقفا ينتظران وصول متآمرين آخرين. فسارع والى مصر مصطفى باشا إلى تحريك القوات العثمانية لمواجهتهما، وكانت تناهز الخمسة الاف انكشارى وتوفكجى (فرنسان). وتمكنت القوات العثمانية من سحق قوات المماليك وقُتل جانم فى المعركة فى حين فرّ إينال. ورغم فشل التمرد، بقى الوضع فى مصر على حاله من التوتر الشديد. وفى ٢٠ أغسطس ١٥٢٣، استدعى مصطفى باشا إلى اسطمبول وخَلَفَهُ قاسم باشا الذى أبلغ الباب العالى بعد فترة قصيرة أن ليس بمقدوره ضبط الأوضاع فى مصر[٢]. عندئذٍ عَيّن أحمد باشا

(١) فى منشورات برقان ورد أن قانون ـ نامه مصر مؤرخ فى ١٥٢٤، وقد يكون ذلك تاريخ تسجيل أو تثبيت قانون – نامه فى اسطمبول.

M. Digeon "Nouveaux Contes...", T. 2. p. 278.

(2) M. Digeon. op. cit. T. I. p. 95.

عظيم. فاما الملكية فانهم جبوا من شعبهم الذى قدروا عليه وبقيت عليهم جملة فاخرجوا الانية الفضة الذى لهم ورهنوها عند واحد من المسلمين فقيه، يقال له الفقيه نصر، على مايتى دينار بمايتى وخمسين. ان [ولا] احداً بقى بلا غرامة الا النادر القليل. وكان جملة ما حصل لهم الف وماية دينار وكان بعضهم يرافع بعضاً [يفتن] وصار كل من يريد ان يخفف عن نفسه دخل فى القضية وصار مستخرجاً فاجتمعوا بالوالى ودخلوا فى كل مدخل

بكلربك مصر وهو من أصل جيورجى، وقد أطلق عليه فى التاريخ العثمانى اسم «الخاين». كان هذا القائد قد هزم فرسان رودس فى عام ١٥٢٣، وكان يصبو إلى منصب الصدر الأعظم. غير أن سليمان باشا القانونى عيّن ابراهيم باشا المقرّب منه فى منصب الصدر الأعظم. وعرض مصر على أحمد باشا، (فشعر) هذا بالمهانة لكنه مع ذلك قبل منصب بكلربك مصر. وفى ديسمبر ١٥٢٣، وصل إلى القاهرة وتمكّن على الفور من التفاهم مع المماليك المعارضين وشيوخ البدو. لكن التعطش إلى الانتقام الذى استبدّ بأحمد باشا لم يبق على ما يبدو خافياً على السلطان. وتشير المصادر العثمانية إلى أن أحمد باشا عند توجهه إلى مصر أتبعَ برسول يحمل إلى قائد انكشارية القاهرة «قارا موسى» أن يتسلّم زمام الأمور فى مصر وأن يعدم أحمد باشا[1].

بيد أن الكتاب السرى وقع بيد أحمد باشا وكان سبباً لتمرد جديد. فألقى القبض على قارا موسى وبعض قادة الانكشارية الكبار وأعدمهم. ثم حصل على تأييد سريع من بعض المماليك والبدو الذين لعبوا دوراً حاسماً فى حركته. وفى يناير ١٥٢٤، وصلت إلى القاهرة فصائل البدو المسلحة التابعة للأمير أحمد بن بقر من الشرقية والأمير بن عمر من الصعيد أو مصر العليا[2]. وبالاستناد إلى هذه القوات نادى أحمد باشا بنفسه سلطاناً على مصر وأعلن

---

(1) Ibid. pp. 69 et 96.

(2) J. de Hammer. op. cit. T. S. p. 52. Note numero 1.

الى ان جعلوها الفاً ومايتى دينار. ورجعوا الى الذى بقى فقضوه على الكنايس كل كنيسة على قدرها حتى نفدوا الى الديارات البرانية مثل دير طموه(*) ودير الشمع وغيرها واخذوا منها القطيعه(*) وطلعوا الى القاهرة يسترفدون(*) اهلها فلم يعطيهم احداً منها شياً فعادوا خايبين لانهم كانوا الذين وقفوا فى امر القسيس داود فى معنى البطركية. وما زالوا الى ان وفوا المبلغ المذكور ولم يبيعوا انية ولا ريعاً ولا رهنوا بل انها كانت اياما

(*) ديرطموه: أو طامية بالفيوم. أما دير الشمع فهو داخل القاهرة.
(*) القطيعة: الغرامات المقدرة عليها.
(*)يسترفدون يطالبون بغرامات وتبرعات.

انفصاله عن الباب العالى وأحيا دولة المماليك. ثم عَزَل قاضى قضاة مصر وأعاد العمل بنظام قضاة الشرع الأربعة. وفى مراسم تنصيب السلطان الجديد روعيت أدق التفاصيل التى كانت نافذة فى البلاط المملوكى القديم. إضافة إلى قضاة الشرع الأربعة اشترك فى مراسم التنصيب الخليفة العباسى المتوكل الذى عاد إلى مصر بعد وفاة السلطان سليم الأول(١).

بعد استيلاء أحمد باشا على السلطة، عزل كل الموظفين العثمانيين وسرّح الانكشارية وبدأ باعادة تنظيم جيش المماليك. وأعيد تحويل الأملاك السلطانية وبدأ توزيعها على المماليك والبدو(٢). وأخذ يفتش له عن حلفاء خارجيين، فحاول إقامة علاقة مع نبلاء روما وقائد فرسان القديس يوحنا الكبير، وملك الصفويين اسماعيل. لذا أطلق عليه العثمانيون لقب «الخاين».

أثار قلب السلطة العثمانية وإبراز دور زعماء البدو استياء عاماً فى البلاد. فرفض الفلاحون دفع الضرائب، واندلعت الاضطرابات فى المدن. وبسبب مصادرة الأملاك والقروض الإلزامية والحكم بالموت على الأعيان، تحول كبار الأعيان والتجار وزعماء الطوائف الدينية إلى أعداء لأحمد باشا. من جراء ذلك اتخذ التمرد ملامح انقلاب منذ البداية، ولم يحظ بأى تأييد جدى فى مصر.

(١) بارتولد «الخليفة والسلطان...»، ص٦٧.
(2) Stanford Shaw. "History of the Ottoman Empire and Modern Turkey. Vol. 1. Emplre of the Gazis: The Rise and Decline of the Ottomen Empire. 1280 - 1808". Cambridge, 1977. p. 89.

شديدة. وكثير من الكنايس اغلقت اياما كثيرة
بسبب هذه القطيعه. وكان قد استخدم من القاهرة
ومصر عشرة الف راجل وسيروا وكان اكثرهم
مغاربة فهدموا كل كنيسة وجدوها فى طريقهم الى
ان وصلوا الى المعسكر. وكان الزحف قد ترتب ان
يكون يوم الزيتونه فزحفوا الى الفرنج فقتل اكثر
اوليك الرجاله الذين هدموا الكنايس والذى سلم
من القتل هرب. ووصلت منهم جماعة الى القاهرة
ومصر [فى] مراكب مملوه ثم زحفوا زحفة اخرى

وسرعان ما أرسل سليمان القانونى قوات عثمانية لإخماد التمرد. ولم تكد تتحرك حتى تلقت أمراً بالعودة، إذ فشل التمرد فى ٢٣فبراير ١٥٢٤، بعد أن انتفض سكان القاهرة وقلبوا «الطاغية الوغد»، أخذ أحمد باشا على حين غرّة، فقد كان فى الحمام ووجد صعوبة بالغة فى الخروج منه للوصول إلى القلعة، وفى اليوم التالى فرّ من القاهرة[1] وراح يجوب البلاد بحثاً عن ملجأ له، لكنه وقع فى الأسر وأعدم فى ٦ مارس ١٥٢٤[2].

وبهدف إقرار الهدوء والأمن نهائياً فى البلاد، أرسل سليمان العظيم إلى مصر الصدر الأعظم ابراهيم باشا الذى وصل إلى القاهرة فى ٢٤مارس ١٥٢٥. وخلال ثلاثة أشهر من وصوله أعاد الشرعية العثمانية إلى مصر وأعدم الشيوخ الذين شاركوا فى التمرد بحماس، وطرد المماليك المشتبه باشتراكهم بأحداث ١٥٢٣ ـ ١٥٢٤. واستخدم ابراهيم باشا كل الوسائل التى تؤكد عزم الباب العالى على الحزم فى الإدارة. ودُفعت التعويضات السخية إلى كل من تعرض للظلم فى عهد أحمد باشا، ونشط العمل لإعادة بناء أنظمة الرى ومنشآته، واعمار القُرى وتحضير سجلات الريف وغيرها. وأطلق سراح الفقراء المسجونين بسبب الديون، وصدر أمر بإعالة اليتامى على حساب الدولة وإصلاح المساجد والمآوى وغيرها من المؤسسات

(1) M. Digeon. op. cit. pp. 103 - 104.
(2) P. Hotl. "Egypt and the Fertille Crescent 1516 - 1922. A pollitical History". New york. p. 50.

ولم ينالوا غرضاً لان الفرنج كانوا عملوا عليهم خندقاً من البرين وجسرين فى البحر وعملوا على الخندق ابراجاً وبتاتى [تحصينات] مثل سور المدينة وجعلوا خلفه الرماه والمقاتلة فصاروا لا يقدر احد يدنوا منهم. ثم اجمع راى المسلمين على سد بحر الشرق من عند زفيتا(*) وان يتحامل الماء جميعه الى بحر الغرب وشرعوا فى ذلك وأخذوا له المراكب والعدد والالآت وتكامل سده فى نهار

(*) زفيتا: هى مدينة زفتى الحالية فى الغالب، وهى من المدن القديمة. وهى على الضفة الغربية لفرع دمياط يقابلها على الضفة الشرقية ميت غمر.

الإسلامية. وطاف المنادون فى الشوارع يدعون كل من له شكوى ان يتقدم بها إلى الصدر الأعظم مباشرة(١).

جمع ابراهيم باشا بين «محبة الشعب» للطريقة العثمانية النموذجية وأقسى صنوف الاضطهاد والتنكيل. فتمكّن بذلك من إقرار الأمن والهدوء فى البلاد خلال فترة قصيرة. وفى ١٤ يونيو ١٥٢٥، عاد إلى اسطمبول. ومنذ ذلك التاريخ حتى عام ١٥٨٧ لم تشهد مصر أى اضطرابات سياسية جدّية. ولم تتسبب هذه البلاد بأى متاعب للحكومة المركزية العثمانية وعلى مدى جيلين ظلت مصر تتمتع بالهدوء والسكينة. فيضانات النيل، وحفلات استقبال الباشاوات وتوديعهم، إرسال فصائل المقاتلين فى الحملات العسكرية، ووصول القوافل والحجاج، والزلازل والحرائق هى تقريباً كل ما دونت كتب التاريخ من أحداث فى حياة الولاية الهادئة ذات الزراعة الخيّرة تلك كانت مصر فى عهد البكاوات العثمانيين الأوائل.

ضم العراق وشرق شبه الجزيرة العربية إلى السلطنة العثمانية

قامت السلطة العثمانية فى العراق، كنتيجة غير مباشر لحرب العثمانيين مع إيران الصفوية

(1) J. de Hammer. op. cit. T. 5. pp. 57 - 59. Et S. Shaw. op. cit. pp. 89 - 90.

(*) ١٠ مايو حسب التقويم الجولياني.

الجمعه الخامس عشر من بشنس(*) سنة خمس وثلثين وتسع مايه [٩٣٥ = ١٢١٩م] بعد كلفة عظيمة وغرامة كثيرة الا انه صار طريقاً ولم ترجع المراكب تصعد فيه ولا تنحدر. وانقطع [هدم] فى ليلته وضاع كلما غرم عليه و ذكر انه كان غرم عليه سبعة عشر الف دينار وتحامل [جرفه] الماء موضعه ويئس من سده ثانية فترك بحاله. وهدم [السلطان اسوار] القدس الشريف فى برموده من

والبرتغال. ومع ان جانباً كبيراً من تاريخ تلك الحقبة الزمنية لا يزال غامضاً، نستطع التأكيد ان الطوائف المسيحية ولا سيما الأشوريين، والمسلمين السُّنة رأوا فى الباب العالى منقذاً من الصفويين فقد ترافق فتح الشاه اسماعيل الصفوى للعراق تنكيل جماعى لكل فكر مناهض حكمه، ولم تسلم بعض الأماكن السُّنية المقدسة من الضرر.

وقد شهدت بغداد وغيرها من المدن العراقية موجات من الفرس، وانتشرت فيها اللغة الفارسية، وأغدقت الهبات على الأماكن المقدسة الشيعية فى النجف وكربلاء وسامراء. وبأمر من الشاه اسماعيل، بدأ بناء ضريح ضخم على قبر الإمام الشيعى السابع موسى الكاظم الذى يعتبر الأب الروحى للصفويين. وحصلت قبائل القِزِل باشى على أفضل الأراضى والمراعى، وأصبح خاناتهم (جمع خان) حكاماً من ذوى السلطة المطلقة فى العراق.

لذا استقبلت أخبار انتصار سليم الأول فى مرج تشالديران فى عام ١٥١٤ بمظاهر الابتهاج فى أوساط جميع طوائف العراق باستثناء الشيعة، وذلك فى مناطق ما بين النهرين السفلى والعليا، أى فى العراق والجزيرة[١]. كان الأكراد أول من انتفض عام ١٥١٤ وأعلنوا انضمامهم إلى السلطان.

---

(١) الجزيرة هى القسم الذى يضم ما بين نهرى دجلة والفرات يبدأ من خط تكريت ـ عانه فى الجنوب حتى سلسلة جبالى طوروس الأرمنية الشرقية فى الشمال، وهى أراضى مملكة الأشوريين القديمة تقريباً.

السنة المقدم ذكرها بعد ان اخلى من اهله ولم يبق به سوى [كنيسة] القيامة المقدسة وبرج داود ومسجد الصخرة والجامع المعروف بالاقصى وهدم باقية اسواره ودوره وفنادقه ووقع على الناس بسبب هدمه خوف عظيم وقلق للشام من اجله وعلا السعر فيه. فاما ديار مصر فكان السعر فيها رخيصاً في طول هذه الايام. ثم ان الافرنج هيأوا مرمات عظيمة وابراجاً كباراً وزحفوا الى دمياط براً وبحراً

---

١. ذكر تولية الأمير خيربك الجراكسى(*)(١)

وهو أول من تولى مصر من الباشات، وأصله من أمراء السلطان الغورى(٢) وكان السلطان سليم(٣) أوعده أن ملك، ليعطيه مصر من غير خراج. فلما ملك مصر. أعطاه ما وعده، فمكث فى مصر باشه، خمسة أعوام وثلاثة أشهر. وكان قد تولاها سنة ٩٢٣. وتوفى سنة ٩٢٨(٤)، فأعرض المصريون خبر وفاته الى الديار الرومية، لحضرة السلطان سليمان خان(٥)، فورد عليهم أخبار مصطفى باشا بعد خمسة وأربعين يوما.

(*) النص التالى حتى تولية مصطفى باشا أمير ياخ خور المتولى بمصر رقم ٩٦ مأخوذ بتصرف من «أوضح الإشارات فيمن ولى مصر القاهرة من الوزرا والباشات» الملقب بالتاريخ العينى. تأليف: أحمد شلبى بن عبد الغنى الحنفى المصرى. تحقيق: د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. القاهرة ١٩٧٨. مكتبة الخانجى بمصر.

(١) كتب بالهامش عنوان جانبى «اعرف أول البشاوات بمصر».

(٢) ولى السلطان الغورى امور البلاد فى الفترة ٩٠٦/ ٩٢٢هـ ١٥٠١/ ١٥١٦م.

(٣) ولى السلطنة: ٩١٨/ ٩٢٧هـ ـ ١٥١٢/ ١٥٢٠م.

(٤) مدة ولايته: ٩٢٣/ ٩٢٨هـ ـ ١٥١٧/ ١٥٢٢م، بالأصل تولاها ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، وهذا خطأ حيث أن السلطان سليم دخل القاهرة ٣ محرم ٩٢٣هـ/ ٢٦ يناير ١٥١٧م، انظر: أحمد بن محمد بن أياس، بدايع الزهور، جـ٥، ص٣٥٢، ٤٠٧.

(٥) تولى السلطنة ٩٢٧/ ٩٧٤ ـ ١٥٢٠/ ١٥٦٦م.

سبعة ايام متوالية فى العشر الاوسط من ابيب(*) وزحفت المسلمون اليهم وبقوا فى القتال ليلا ونهاراً ثم ان الافرنج اخروا الاتهم عن دمياط فرجع المسلمون الى منزلهم وبقى الامر على ما هو عليه وقد كانوا قبل ذلك شغبوا بكنيسة القديس مرقس التى بظاهر الاسكندريه المعروفة بالقمحا(*) وتقدم الامر بهدمها فبذل النصارى فى ابقايها الفى ديناراً ولم تقبل وقيل لا بد من هدمها فان هذه اذية على الثغر لانها ترصع [ترصد] برجاً عليه ويقاتل العدو

(*) يمتد شهر ابيب ما بين ٢٥ يونيو إلى ٢٤ يوليو بحسب التقويم الجوليانى. لاحظ هنا تعبير الاواسط الذى يعود إلى طبيعة المصريين فى تقسيم الشهر إلى ٣ أقسام كل قسم عشرة ايام كما كانت عادة المصريين الفراعنه.

(*) انظر فى خصوص كنيسة القمحا الهامش الجانبى ص١٣١.

وخير بك من المآثر جامعه(١) الذى بباب الوزير وبه مدفنه المشهور. وحكايته مشهورة فى تاريخ ابن زنبل، وغيره، والله أعلم.

٢. ذكر تولية مصطفى باشا، الشهير بابلق عفى عنه

قدم الى مصر ثالث عشر الحجة الحرام سنة ٩٢٨(٢). ولما قدم الى مصر، ضم اليه طايفة خير بك واحسن اليهم. وفى زمنه عصى جانم السيفى كاشف الجيزة(٣)، ....

(١) انشأ خير بيك هذا الجامع ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م، ويوجد بعطفة الخيربكية، داخل حارة ابراهيم باشا يكن بدرب القزازين، ولا تزال شعائره مقامه، وكانت عليه اوقاف تتبع وزارة الأوقاف، على مبارك الخطط التوفيقية، جـ٢، ص١٠٣، جـ٤، ص١١٠.

(٢) مدة ولايته: ١٣ ذو الحجة ٩٢٨/ ٤ شوال ٩٢٩هـ ـ ٣ نوفمبر ١٥٢٢/ ١٦ اغسطس ١٥٢٣م.

(٣) بالأصل «الجيزه»، وجانم السيفى: هذا كما تذكر جميع المصادر، شغل فى عهد السلطنة المملوكية وعهد خايربيك، منصب كاشف البهنسا ومنفلوط والفيوم، وتولى امارة الحاج فى سنوات ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م، وهذا بخلاف ما يذكره أحمد شلبى بأنه كان كاشف الجيزة. وكان جانم من الفريق الناقم على السلطة العثمانية، فاتفق مع اينال الطويل على اعلان العصيان، وكانت نتيجة عصيانهم الفشل، وقتل جانم نفسه، وارسل راسه الى السلطان سليمان، لمزيد من التفصيل انظر: دكتور عبدالكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى إلى حملة بونابرت. دمشق. دون تاريخ. ص١٣١،=

الثغر منها اذا نزل عليه فهدم منها اكثرها بامر السلطنة حتى لم يبق منها سوى قامة واحدة. فلما كان في يوم الجمعة الذى يتلو هدمها صلا المسلمون صلاة الجمعة وخرجوا اليها فهدموا باقيها الى الارض وكان حزناً عظيماً على الطايفة وكآبة متواتره وشدة متظاهرة وكان ذلك فى اوايل ابيب . ثم ان الماء تأخر فى هذه السنة حتى جآء اخر ابيب وهو فى ستة اذرع. وتزيد سعر القمح الى ان بلغ ستين دينار الماية اردب. ثم ان النيل بقى متوقفا والسعر ياخذ ويعطى. ولما كان فى يوم الخميس

واينال الطويل[1] كاشف الغربية، وقر قماش[2]، كاشف البهنسا، وجمعوا جموعا من المفسدين، بقية من بقى من الجراكسة، وبعض عربان. وانتهى امرهم الى الوزير مصطفى باشا، عين عليهم تجريده، جعل سردارها قرأ موسى اغات مستحفظان وآغا التفكجية[3] فاجتمعوا فى ولاية الشرقية. ووقع بينهم حرب الى ان (قتل)[4] جانم السيفى وعدم اينال وقرقماش،

= ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، أحمد بن زنبل الرمال، «اخرة المماليك» تحقيق عبدالمنعم عامر، ص ١٦٦ ـ ١٦٨، دكتور أحمد فؤاد متولى، المصدر السابق ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

(١) اينال الطويل: هو اينال السيفى طراباى، عين كاشفا احيانا على الغربية، واحيانا على الشرقية وكان من الفريق الناقم على السلطة العثمانية، فوحد جهوده مع جانم السيفى على اعلان العصيان ففشل عصيانهم، وقتل جانم، وهرب اينال الى غزة، وتذكر بعض المصادر ومن بينها مصدرنا هذا انه لم يعرف له مصير، انظر: نفس المصادر السابقة، ونفس الصفحات.

(٢) قرقماش: ينفرد مصدرنا هذا بذكر قرقماش، ولم نعثر له على ترجمة فى المصادر المعاصرة، والمصادر التى اعتمد عليها المؤلف، وبينما يذكر أحمد شلبى انه كان كاشف البهنسا، فان كل المصادر المعاصرة لتلك الفترة تذكر أن جانم السيفى كان كاشف البهنسا ومنفلوط والفيوم فى ذات الوقت الذى يذكر أحمد شلبى، ان جانم السيفى كان كاشف الجيزة، وربما كان ذلك خلط من المؤلف حول تاريخ الفترة التى لم يعاصرها. انظر التحفة، ص١٦٤، ابن أياس، المصدر السابق، جـ٥، ص٣٥١ ـ ٣٥٢، ٤٠٧، ٤٣٢، ٤٣٣.

(٣) بالأصل «الكيفكجية».

(٤) الاضافة لتوضيح المعنى، من التحفة، ص١٦٤.

سادس النسى(*) لانها كانت سنة كبيس زحفت الافرنج الى المسلمين برا وبحراً فانكسروا قدامهم وكـان الفـرنج تظن ان الماء الذى فى خندق المسلمين حلو. فلما وصلوا الى الخندق المذكور من جانب الرمل وهو موضع بعيد من البحر ذاقوا المآء فوجدوه مالحاً فرجعوا على اثرهم من ذاتهم من غير ان يكسرهم احد فلما راهم المسلمون قد رجعوا تبعوهم وطمعوا فيهم فصارت عليهم [على الافرنج] كسرة عظيمة فاخذ من خيالتهم زهآ اربع مايه فارس منهم جماعة اكناد [قواد كبار]

(*) هو يوم ٢٩ أغسطس بحسب التقويم الجولياني.

ولم يعلم لهما خبر. ثم ان مصطفى باشا جهز راس جانم الى الديار الرومية، وارسل يطلب العزل. فورد الخبر فى رابع شوال بتولية احمد باشا. وكانت مدة مصطفى باشا، تسعة اشهر وعشرين يوما.

٣.ذكر تولية أحمد باشا المعروف بخاين عفى عنه

قدم الى مصر سنة ٩٣٠، فى ثامن عشر شوال(١) ولما استقر فى مصر، شرع فى قتل جماعة من أعيانها. ثم انه نزع يده من الطاعة واظهر العصيان، وجمع جمعا عظيما من أشقياء العرب والفلاحين وتحارب مع طايفة من الينجشرية(٢)، وقتل منهم طايفة كثيرة. وبعد ذلك اجتمع عسكر المنصورة(٣)، وقتلوا احمد باشا، وارسلوا راسه الى الأعتاب العلية.

---

(١) مدة ولايته: ١٨ شوال ٩٣٠/ ربيع أول ٩٣١هـ ـ أغسطس ١٥٢٤/ ديسمبر ١٥٢٤م.

(٢) بالأصل «البحيرة»، وهذا تصحيف، والتصويب من التحفة ص١٦٤، حيث كتبها «اليكجرية» وهى احدى الصور التى كتبت بها فى سجلات المحكمة الشرعية، وصحتها الينجشرية أما «البحيرة» فهذا خطأ، لأنه لم توجد طائفة من الجند فى ذلك العصر، تسمى «طائفة البحيرة».

(٣) يقصد عسكر الدولة العثمانية، والمنصورة هنا تعنى الدولة العثمانية.. ويذكر صاحب التحفة «اجتمعت العساكر المنصورة» ص١٦٤.

ومقدمون وقتل من الرجال والاطراف ما مقدره الفا نفس ووردت البطايق بذلك وطيرت الطيور وزينت القاهرة ومصر وفرح المسلمون بذلك فرحاً عظيما..

ودخلت سنة ست وثلثين وتسع ماية(*) للشهدآء وكان النيل مقصراً وغاية ما انتهى اليه خمسة عشر دراعاً ولم يثبت عليها بل نقص وتواتر نقصه وفتح خليج القاهرة المحروسة فى يوم الخميس الرابع عشر من توت(*) ونشف فى يوم

(*)٩٣٦ش = ١٢١٩م.

(*) ١٤ توت = ١١ سبتمبر بحسب التقويم الجوليان.

وكانت مدته ستة أشهر. ثم تولى على مصر جوزلجه قاسم باشا، وجعل قايم مقامه[١] على بيك الازمرلى.

٤. ذكر تولية جوزلجه قاسم باشا
عفى الله تعالى عنه

قدم الى مصر فى غرة جماد آخر سنة ٩٣١[٢]، فأقام فى الولاية شهر واحد، ثم عزل. وكان رجلا عظيما. وسبب عزلانه، أنه طلب الى السلطنة العلية.

(١) قيامة مقام: وظيفة قيامة مقام، كان يشغلها الشخص الذى يتول عمل الباشا، فى فترة خلو منصب الباشوية، سواء بعزل الباشا، أو وفاته. وفى بداية العصر العثمانى، كان منصب القائمقام يسند الى قاضى القضاة أو الدفتردار، ولكن عندما ازداد نفوذ الأمراء المماليك، وتسلطوا على شئون مصر الادارية أصبح هذا المنصب يسند الى احد البكوات المماليك، انظر: دكتورة ليلى عبداللطيف، ادارة مصر فى العصر العثمانى، ص١١٨ ـ ١٢٠.

(٢) مدة ولايته غرة جماد آخر ٩٣١/ ٢٦ مارس ١٥٢٥: يذكر الاسحاقى ان قاسم باشا تولى أمور مصر قبل أحمد باشا الخائن حيث ذكر «فكان دخوله سنة تسع وعشرين وتسعماية، وخروجه من مصر فى أوائل سنة ثلاثين وتسعماية وكانت مدة ولايته شهر واحد والله تعالى اعلم ثم تولى أحمد باشا الخائن» وهذا خلاف ما تذكره كل المصادر فى ترتيب الولاة، انظر. لطائف اخبار الأول، طبعة مكتبة المليجى، ص١٣٥.

الخميس الذى يتلوه ومشى الناس فى وسطه وفتح بحر ابى المنجا(*) يوم الاحد الذى هو عيد الصليب المقدس(*) فنقص المآء يومئذ ذراعاً كاملا ولم ينتفع به ولا روى فى بركة الحبش الا خلجان واما ارض الطباله (*) فلم يشرب اصلا ولم يرو من البلاد فى هذه السنة الا القليل مثل الفيوم وكورة البوصيريه والدنجاويه والبشمور وما جرى مجراها من بلاد الغربيه. وحمل اكثر الاسرى

(*) بحر ابو المنجا: هى الترعة الكبرى التى اقيمت عليها قناطر أبو المنجا أيام الظاهر بيبرس سنة ١٢٦٧م = ٦٦٥هـ = ٩٨٤ق. غرب قرية ميت نما بمركز قليوب. ولقد تركت هذه القناطر بدون استخدام بعد أن تغيير مجرى أبى المنجا عند هذه القناطر فطمست عيونها وأصبحت قائمة وسط الأراضى الزراعية.

(*) ١٤ سبتمبر بحسب التقويم الجوليانى.

(*) الطبالة : شرق القاهرة.

٥.ذكر تولية ابراهيم باشا الشهير بالاسكندرلى عفى عنه

قدم الى مصر فى أواخر سنة ٩٣١[١]، واحضر صحبته أحمد اغا اغات مستحفظان من القسطنطينية. وكان قدومه من البر[٢]. وجدد بمصر وجاق التفكجية[٣] وعمر القلتين[٤] اللتين بباب مستحفظان بمصر، وأحدث وجاق الجوالى[٥]، وجعله مرتبا على العلماء والفقراء

(١) مدة ولايته أواخر ٩٣١/ غرة شعبان ٩٣١ ـ أوائل ١٥٢٥/ ٢٤ مايو ١٥٢٥م.

(٢) كان الباشوات يصلون الى مصر، اما بطريق البر عن طريق بلاد الشام حتى مصر، أو بحرا الى الاسكندرية أو دمياط أو رشيد، حيث يركبون النيل الى بولاق.

(٣) وجاق التفكجية: افراده من الفرسان الذين يتسلحون بالبنادق، وكانت المهمة المنوطة بافراد هذا الوجاق مشاركة رجال الكوملية بحراسة الاقاليم وحفظ الامن بها وحمايتها من اغارات البدو، وحراسة الجسور وحسن توزيع المياه على الاراضى الزراعية، انظر: عراقى يوسف، الاوجاقات العثمانية فى مصر. رسالة ماجستير. كلية اداب جامعة عين شمس ١٩٧٨م. ص٦٧.

(٤) بالأصل «القلعتين»، والتصويب من التحفة، ص١٦٤، وباب مستحفظان احد ابواب القلعة الرئيسية، وسمى بهذا الاسم نسبة لطائفة مستحفظان التى كان منوطا بها حفظ البلاد وحمايتها.

(٥) وجاق الجوالى: الجوالى، مفردها «جالية» تطلق على اهل الذمة، ثم اصبح هذا المصطلح يطلق على الجزية التى تحصل من اهل الذمة، وفى العصر العثمانى، اصبحت هذه الضريبة مقاطعة قائمة بذاتها اطلق عليها وجاق الجوالى، أو مقاطعة الجوالى، وقد حدد أحمد شلبى فى النص أوجه صرفها، انظر بشأن الجوالى، دكتور قاسم عبده قاسم. أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، ص٦٨ ـ ٧١.

الذين اخذوا فى هذه الكسرة الى القاهرة المحروسة وشقت المدينة بهم وابقى منهم المقدمون بالعسكر ليتحدثوا فى الصلح، فمشوا فيه حتى كاد يتقرر على ان ياخدوا القدس بعد ان يعمر لهم وجميع ما كان فى ايديهم مما فتحه الملك الناصر. وبقى الامر مترددا بينهم وارتفع سعر الغلة حتى بيع القمح بدينارين ونصف الاردب وكان لا يقدر عليه الا بالغاية. ثم وردت الاخبار بان النجدات قد وصلت الى الافرنج وان الصلح قد انتقض وجآ امر

(*) أهم أحداث سنة ٩٣٥ ق. = ١٢١٩م. ٦١٦هـ.

(*) فيها اشتد الغلاء بدمياط لشدة محاصرة الفرنج لها، الذين هجموا عليها واستولوا علهيا فى ٢٥ شعبان، بعد محاصرة ١٦ شهرا و٢٢ يومًا، وقد قتلوا وأسروا من بها، وجعلوا الجامع كنيسة، فحينئذ بنى الملك الكامل المنصورة ونزلها بعساكره.

(*) وفيها كان ظهور التتر وفتكهم بالمسلمين وتملكهم فى مدة قريبة أكثر بلاد الإسلام.

والايتام، والارامل. وقتل الامير على بن عمر[1]، والامير أحمد أولاد بقر[2] من امراء العرب، لما بلغه منهم ظلم الرعية وجدد القوانين المصرية. وخلد ما فى الدفاتر السلطانية. واستصحب معه الأمير جانم الحمزاوى، الى الديار الرومية، للسؤال عن أحوال مصر وفوض ولاية[3] مصر الى الوزير سليمان باشا الذى كان صارى عسكر العثمنلى الى مصر. فجاءه الحظ بتوليته مصر، لما رجع من الهند[4]. وكان غيابه فى الهند سنتين. وتوجه هو وقاسم باشا الى الأعتاب

(١) على بن عمر: هو الامير على بن عمر زعيم قبيلة الهوارة التى الت اليها امارة الصعيد منذ العصر المملوكى، وكان قد قدم خضوعه للسلطان سليم، فأخلع عليه امرة الصعيد، وجعل مركزه جرجا.

(٢) أحمد بن بقر: زعيم بدو الشرقية، اخلع عليه السلطان سليم وأبقاه فى منصبه، واعترف خاير بيك بأمرة أحمد بن بقر بعد ان التزم بأحوال منطقته، وعفى عن ابنه عبدالدايم الذى كان عاصيا. ولكن عربان الشرقية عادوا الى العصيان، حتى تمكن ابراهيم باشا ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م. من اخضاعهم.

(٣) بالاصل «ولايات»، والتصويب من التحفة، ص١٦٥.

(٤) حملة سليمان باشا: اهتم السلطان سليم بعد عودته من مصر بالصراع البحرى الذى كان دائرا فى البحر الاحمر ين البرتغاليين والقوى الإسلامية، ولذا عمل على بناء قوة بحرية عثمانية ولكنه توفى قبل تحقيق آماله، فقام ابنه السلطان سليمان باتمام هذا العمل، وعمل جاهدا على صد الخطر البرتغالى والقضاء على المراكز البرتغالية فكانت حملة سليمان باشا هذه وهى حملته الأولى، ولكنها لم تحقق الآمال العثمانية فى القضاء على الخطر البرتغالى، ولذا فان السلطان سليمان امر سليمان باشا اثناء ولايته مصر «ببناء ثمانين سفينة من مختلف الأنواع والأحجام، كما ارسل اليه من استانبول المهمات والاخشاب اللازمة لبناء هذه السفن» استعدادا لحملة اخرى، وقبل ان يتم بناء هذا الاسطول صدرت الاوامر =

السلطان باخرج كل من بالقاهرة ومصر للغزاه وضربت الاجراس بذلك وخرج اكثر الناس على وجوههم واغلق البلدان ورجع سعر القمح انحل لاجل اشتغال الناس بنفوسهم حتى بلغ دينار واحد ونصف كل اردب ودينار وربع ولم يجد من يشتريه وكان شدة عظيمة وضايقة شديدة الا ان الذمه لم يكونوا تعرضوا لهم فى الاول فلما كان بعد ذلك امسك والى القاهرة النصارى وعلقهم على ابواب دورهم وادارهم فى الطواحين وقال لهم اريد منكم

(*) [١توت سنة ٩٣٦ = ٣٠ أغسطس ١٢١٩ = الجمعة ١٧ جماد الثانى سنة ٦١٦].

(*) وفيها حلف الملك المنصور، صاحب حماه، الناس لولده الملك المظفر، وجعله ولى عهده وجرد معه عسكرا والطواشى مرشدا المنصورى نجدة للكامل بمصر، فأكرمه الكامل وأنزله فى الميمنة منزلة أبيه وجده.

(*) [الأربع ١ يناير سنة ١٢٢٠ = ٥ طوبه سنة ٩٣٦ = ٢٣ شوال سنة ٦١٦].

السلطانية. وكانت مدته سبعة أشهر. ووجهت الوزارة لسليمان باشا[1] فى غرة شعبان سنة٩٣١.

٦.ذكر تولية سليمان باشا

المنفصل عن صارى عسكر الهند

فتولى على مصر فى رمضان سنة ٩٣١[2]، وهو أول من أرسل الخزينة[3] وفى ايامه عين المساحات لضبط الاقاليم جميعا، وحررها بدفتر يأتى ليومنا هذا باالخزينة العامرة المصرية، وهو

= لسليمان باشا ٩٤١هـ/ ١٥٣٥م بأن يقوم بحملته الثانية. ج. ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخى، جـ١، الترجمة العربية، الطبعة المعدلة والمنقحة، ص١٦، دكتور سيد مصطفى سالم، الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥، ص ١٥٤.

(١) بالأصل «لأحمد باشا» والتصويب من التحفة، ص١٦٥.

(٢) مدة ولايته: ٩٣١/ ٩٤١هـ ـ ١٥٢٥/ ١٥٣٥م.

(٣) الخزينة أو الخزنة: كانت تعنى فى ذلك العصر، المقدار المتبقى من ايراديات مصر، الذى يجب ارساله الى القسطنطينية، بعد انفاق ما يقرر السلطان انفاقه على الادارة ومختلف شئون الصرف التى يقرها. ولم يكن مقدارها ثابتا، بل كان يتغير من عام لآخر لعوامل كثيرة يقرها السلطان. كما كانت تصدر احيانا خطوط شريفة من السلطان بشأن القيام ببعض الاعمال على ان تخصم تكلفتها من الخزينة، وسوف نقابل امثلة كثيرة لهذه الحالات فى النص، وكان يصحب الخزينة صنجق، يسمى صنجق الخزينة، انظر، محمد شفيق غربال، مصر عند مفرق الطرق (١٧٩٨ ـ ١٨٠١م)، ص١٥.

(*) وفيها كان تتويج الأمبراطور فريدريك الثانى فى رومه.
(*) الحاكة: الخياطين

المال واخذ منهم ما يطيقون وما لا يطيقون حتى انهم يذكرون الحاكه(*) وحدهم من النصارى بالقاهرة قاموا بالف وثلثماية ديناراً. واشتد الامر على الناس. فاما والى مصر [القديمه (الفسطاط)] فلما راى ما فعله والى القاهرة احضر قسا [قسسا] النصارى وقال لهم انتم قد سمعتم ما عمله والى القاهرة وانا اشير عليكم ان تجمعوا مع بعضكم بعض وتجمعوا بينكم الف دينار وتحضروها والا انا استخرجها وما اخذها الا خمسة الف فشكوا اليه

المعروف بدفتر التربيع[١]، والعمل على ذلك الدفتر، فأقام واليا بها عشر سنوات، ثم جاءه العزلان من الاعتاب العلية. والتوجه الى الهند، ثاني مرة، وله من الآثار التى فعلها بمصر، مقام سيدى ساريه[٢] بباب مستحفظان، ومسجد وتكيته التى بقوصون والتكية ومسجده الزينى ببولاق[٣]، المعروفين بالسليمانية، وأوقف عليهم أوقافا كثيرة من جملتها سوق الكتان الذى ببولاق ورشيد. ثم تولى سرو باشا[٤].

(١) يبدو من فحص وثائق، دار الوثائق القومية أنه خصص لكل ولاية من ولايات مصر دفتر خاص بها من دفاتر الترابيع هذه، حيث يوجد بالدار الدفتر الخاص بولاية البهنساوية، وكتب على الصفحة الأولى منه «دفتر بيان مساحة نواحى ولاية البهنساوية، المحررة بمعرفة قاضيها محمد بن نسيبة، ومأمور المساحة سليمان شلبى، فى ١٥ جماد الثانية ٩٣٤هـ»/ ٧ مارس ١٥٢٨م، وطبعا هذا التاريخ هو تاريخ الانتهاء من عملية المسح والتسجيل التى بدأت ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م، وقد سجلت فى هذا الدفتر، مساحة كل ناحية بالفدان والقيراط والسهم، وأرقامه مكتوبة برموز خط القرمة، ويتضح مما هو مكتوب على هذا السجل، ان عملية المسح هذه كانت تتم فى كل ولاية بمعرفة قاضيها، ومأمور المساحة، وهذا السجل يحفظ الآن بمتحف دار الوثائق بالقلعة.

(٢) أنشأ المسجد والمقام، فخر الدين أبو منصور ٥٣٥هـ/ ١١٤١م، فى الزاوية البحرية الشرقية من القلعة، وجدده سليمان باشا ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م، ويعرف الآن بجامع سليمان باشا. على مبارك، المصدر السابق، جـ٥، ص١٤.

(٣) مسجد الزينى، ويعرف بجامع السليمانية ببولاق القاهرة، له باب على شارع الجزارين، وباب من الجهة الغربية، أنشأه سليمان باشا ٩٣١هـ/ ١٥٢٥ «وعمر بجواره وكائل وأسواقا وربوعا وغير ذلك، انظر: على مبارك، المصدر السابق، جـ٥ ص١٨.

(٤) خسروا باشا: بالأصل «خسرق»، ويذكره صاحب التحفة «خسرد» ص١٦٥، ويذكره ابن ابى السرور=

وتضرروا فقررها ثمانماية دينار وخرجوا قعدوا فى الكنايس وشرعوا فى الاستخراج وكانت ايام صعبه على العالم اجمع. ومن جملة ما جرى فيها ان السلطان كان فى اثناء ما ذكرناه قد زحف الى الافرنج ونزل على كنف خندقهم من بر الغرب ونزل الملك الفايز على كنف خندقهم من بر الشرق وضايقوهم من البرين وسير السلطان الى المدينتين(*) يطلب الجرار الفرغ وكل اوانى الفخار الفارغة ليملاها رملا و يردم بها الخندق ونودى فى

(*) القاهرة والفسطاط (مصر عتيقه).

---

٧. ذكر تولية خسرو باشا
عفى الله عنه

قدم الى مصر يوم الاثنين حادى عشرين شعبان سنة ٩٤١، الى ان عزل فى سادس جماد الثانى سنة ٩٤٣(١). وكانت مدته سنتين. ومن أثاره السبيل والمكتب الذى فوقه بالصاغة، وكانت مصر فى أيامه فى غاية الأمن من اللصوص والقطاع وكان فى زمنه غاية الرخا، بحيث ان اللحم الضانى رطلين ونصف، بنصف فضة(٢). والجاموسى أربعة ارطال، بنصف. والخبز ثلاثة عشر رطل، بنصف فضة. والعسل الجر، كل جرة، بنصفين، والجرة: عشرة ارطال، والأرز بنصفين. والربع والشمسى بخمسة انصاف، العشرة. وفى زمنه فشت القهوة والقهاوى،

= فى «اللطائف الربانية على المنح الرحمانية»، ص١٨، باسم «خسرف»، وكلها تصحيفات، وصحتها «خسرو». كما ذكر الاسحاقى، المصدر السابق، ص١٣٦.

(١) مدة ولايته: ٢١ شعبان ٩٤١/ ٦ جماد ثانى ٩٤٣ هـ ـ ٢٥ فبراير ١٥٣٥/ ٢٠ نوفمبر ١٥٣٦م، يذكر صاحب التحفة انه قدم فى ٢١ شعبان ٩٤٠هـ/ ٧ فبراير ١٥٣٤م.

(٢) نصف فضة: اصغر عملة نقدية تركية، تساوى ١/٤ من القرش، واطلق عليها اسم «بارة» وترد كثيرا فى سجلات المحكمة الشرعية بالاسمين «نصف فضة، بارة»، وواضح مما يذكره أحمد شلبى ان أقدم اشارة اليها ١٥٣٥/ ١٥٣٦م، وليس ١٥٨٣م، كما ذكر الدكتور عبدالرحمن فهمى، انظر عبدالرحمن فهمى «النقود المتداولة ايام الجبرتى»، ضمن ابحاث ندوة الجبرتى، ص٥٧٣، سجلات محكمتى الباب العالى، والقسمة العسكرية.

مصر بذلك واجتمع على ساحل البحر من الجرار والقدور الاف لا تحصى وأحضر معظمها الى المعسكر، فرجعوا تحدثوا فى الصلح فاذعن اليه الافرنج بعض الاذعان حتى رجع الملكان عن خندقهما من البرين، ثم عادوا هم وسعوا الخنادق وقووا الابراج فامتنعوا من الصلح فاغتاظ الملك وسير اخاه الملك الفايز الى الشرق يطلب النجدات وألبسه الحداد وسفره على التخت. وانقسم عسكر الافرنج قسمين قسم يزحف الى دمياط بالنوبه ليلا ونهارا وقسم يحفظ جهة الخندق مقابل عسكر



(*) حملة لويس التاسع تتوجه إلى دمياط.

وكان الرطل البن، بأربعة انصاف. وكان الريال الحجر[١] بثلاثين نصف. والكلب[٢] بأربعة وعشرين نصف. وكان الشريفى الجديد[٣]، بخمسة وخمسين نصف فضة. وكان البندقى[٤]، بخمسة وستين فضة. وكانت الفضة، كل ثلاثة، درهم.

فلما ورد ركاب سليمان باشا من سفرة الهند، انعم عليه مولانا السلطان بباشوية مصر ثانيا، فكان كذلك.

(١) الريال الحجر: نوع من العملة التى انتشرت فى مصر، وتذكره وثائق المحكمة الشرعية أحيانا باسم الريال الحجر، أو أبو طاقة أو بطاقة، وواضح من النص ومن سجلات محكمتى الباب العالى والقسمة العسكرية انه كان منتشرا فى مصر منذ الثلث الأول من القرن السادس عشر، وليس كما ذكر عبدالرحمن فهمى منذ القرن السابع عشر، المصدر السابق، ص٥٧٨.

(٢) الكلب: او بوكلب، كما تكتبه وثائق المحكمة الشرعية، هو الريال الهولندى وكان اقل قيمة من الريال الحجر، وكانت كلها تقدر بقيمة العملة التركية النصف الفضة الديوانى» كما يرد ذلك فى سجلات محكمتى القسمة العسكرية، والباب العالى.

(٣) الشريفى الجديد: نوع من العملة التركية، وكانت أعلى قيمة من الريال الحجر، والريال الكلب كما هو واضح من النص، وان اختلفت قيمة هذه العملة من فترة لأخرى.

(٤) البندقى: نقد ذهبى أجنبى انتشر فى مصر، وسمى كذلك نسبة «الى مدينة البندقية التى بدأت فى ضربه حوالى ١٢٥٢م»، وقد أقبلت كل بلاد الشرق على التعامل به، وأصبح نموذجا لعلو القيمة والنقاوة، فأصبح يضرب به المثل فيقال «دهب بندقى»، دكتور عبدالرحمن فهمى المصدر السابق، ص٥٧٧،

المسلمون. ولم يزل الحال على ذلك ياخذ ويعطى والاخبار تتواتر بان الثغر قد ضعف ومات اكثر من فيه. فرتب السلطان سبع ماية راجل مقاتله وانفق فيهم وقرر معهم ان يهجموا هجمة واحدة ليلا ويدخلوا حميه الى الثغر ففعلوا ذلك فقتل اكثرهم والقليل منهم سلموا وعبروا فما كان بعد عبورهم الا بليلة او ليلتين حتى فتح الافرنج ثغر دمياط(*) فى ليلة يسفر صباحها عن نهار يوم الثلثا الثامن من هتور (*) سنة ست وثلثين وتسع مايه المقدم ذكرها الموافق للخامس والعشرين من شعبان سنة

(*) استيلاء الفرنجه على دمياط بعد حصارها مدة ١٦ شهراً، وذلك فى شهر ماتور سنة ٩٣٦ ق وفى اعقاب ذلك بنى الملك الكامل المنصورة ونزلها بعسا كره. وفى نفس هذه السنة كان هجوم التتار على الشام.

(*) ٨ هاتور ٩٣٦ = ٢٥ شعبان، ٦١٦هـ = ٤ نوفمبر. ١٢١٩م.

* اهم احداث سنة ٩٣٦ق. =١٢٢٠م. = ٦١٧هـ.

* فيها كانت الافرنج مالكة لدمياط، والملك الكامل مرابط لهم

---

٨. ذكر تولية سليمان باشا مصر (ثانيا)

عفى الله عنه

قدم الى مصر حادى عشر رجب سنة ٩٤٣، فتولى سنة وخمسة اشهر، الى ان عزل فى حادى عشر محرم الحرام سنة ٩٤٥(١).

٩. ذكر تولية داود باشا الخانم

عفى عنه الله

قدم الى مصر فى سابع عشر محرم الحرام سنة ٩٤٥، فأقام واليا بها احد عشر سنة وشهرين، الى ان مات فى ربيع الاول سنة ٩٥٦(٢)، وكان حاكما مهابا، سفاكا للدماء، وقد نقل المؤرخون انه قتل فى زمن ولايته، ستة آلاف نفس من المفسدين، ومن مآثره، الجامع(٣)

(١) مدة ولايته: ١١ رجب ٩٤٣/ ١١ محرم ٩٤٥هـ ـ ٢٤ ديسمبر ١٥٣٦/ ١٠ يونية ١٥٣٨م.

(٢) مدة ولايته: ١٧ محرم ٩٤٥/ ربيع الأول ٩٥٦ ـ ١٦ يونية ١٥٣٨/ ابريل ١٥٤٩م، بالاصل تاريخ موته (٩٤٦) وهذا خطأ كما هو واضح من سياق الكلام.

(٣) جامع داود باشا بسويقة اللالا، كان اول مرة مدرسة انشأها داود باشا، وأوقف لها أوقافا كثيرة منقوش على بابه فى الرخام.

اتم بناه داود صديق
وفى سبيل الهدى قد جد سيرا =

ست عشره وستماية وكانت ليلة عظيمة يوما مشهوداً. ولم يشعر المسلمون بذلك حتى راوا اعلام الافرنج والصلبان على الابراج والمراقب، فعند ذلك علموا ان الثغر قد اخذ فرحل ملوك المسلمين لوقتهم وتركوا التجار والعوام فى المنزله، فصار الانسان منهم ما همه الا ان ينجوا بنفسه وتركوا كل اموالهم وبضايعهم فضاع فى هذه النوبة ايضاً من الاموال مالا يحصى. وجآء

بالمنصورة، والملك الأشرف فى حران، وقد أقطع عماد الدين أحمد بن المشطوب رأس عين، فجمع ابن امشطوب جمعا وخرج على الأشرف، وحسن لصاحب سنجار الخروج عن طاعة الأشرف، فحصره بدر الدين لؤلؤ بتل أعفر فقبض عليه وسجن.

* [١ توت ٩٣٧ = ٢٩ اغسطس ١٢٢٠ = السبت ٢٧ جماد الثاني سنة ٦١٧].

* وفيها توفى الملك المنصور، صاحب حماة، فى شهر ذى القعدة، واستولى الملك الناصر عليها بناء على ما أتاه الوزير زين الدين من الاتفاق

الذى بسويقة اللاله، بقرب سيدنا ومولانا محمد بن محمود الحنفى، نفعنا الله ببركته وهو الذى بنى قلعة المويلح(١)، وقلعة الازلم(٢)، لاستراحة الحاج الشريف لأنه لم يكن قبل ذلك خلاف العقبة شيء. ومما اتفق، فى ايام ولايته، ان رجلا لقش على ولد امرد من اولاد المتعممين. وكان جميلا. وكان يتيم الأب. فضرب الرجل، فمات الرجل. فمسكه اهل المقتول، وأعرضوه على حضرة الباشا. فلما رآه الوزير، شفق عليه لأجل والدته فارضى الوراثة بثلاثماية دينار دية المقتول، وحلما على الغلام، لأجل والدته. ثم ان الوزير قال للغلام هل تحفظ القرآن، فقال الغلام: نعم فقال: اقرأ ما تيسر، فاستفتح الغلام بقوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾(٣) الآيات، فقال الوزير: صدق الله العظيم.

= حمدناه فأرخنا بناه
حوى حمدا جزاه الله خيرا
على مبارك، المصدر السابق، جـ٤، ص١١١.

(١) قلعة المويلح: على الساحل الشرقى للبحر الأحمر، على طريق الحج المصرى بالحجاز، انشأها داود باشا لخدمة محل الحج المصرى، وكان يرابط بها جماعة من الانكشارية (مستحفظان)، لحمايتها وحراسة طريق الحاج، عراقى يوسف، المصدر السابق، ص١٠٠.

(٢) قلعة الأزلم: احدى محطات الحج المصرى، تقع الى الجنوب من العقبة، وكانت ترسل اليها قافلة لمقابلة موكب الحج عند العودة وتزويده بالمؤمن اللازمة وحمايته من اعتداءات العربان، عراقى يوسف، المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٣) سورة ص رقم ٣٨، آية ٢٦، وما بعدها.

السلطان فنزل مقابل طلخا(*) على راس بحر اشموم(*) من القبلة [الجنوب] واما الملك المعظم صاحب الشام فتوجه الى بلاده ونزل على غزه. واختلف القول فى فتح الثغر فقوم قالوا ما فتح الامخامره من أهلها لما وقعوا فيه من الشدة . وقوم قالوا ما فتح الا بالسيف عنوه وقيل انهم وجدوا فيه من الاموال الذهب والفضه قناطير مقنطره فاما الاسلحه والزرد هى من الملوك والامرا والاجناد

مع الكبراء وعلى ما تهد به الملك الناصر لخاله الملك المعظم، صاحب دمشق من دفع مبلغ سنوى بما أن العهد بالسلطنة بعد الملك المنصور كان لولده الملك المظفر.

* [١ يناير سنة ١٢٢١ = ٦ طوبه سة ٩٣٧ = الجمعة ٥ ذو القعدة سنة ٦١٧].

(*) طلخا: على الضفة الغربية لفرع دمياط بجوار جوجر.

(*)اشموم: واسمها المصرى شمون بمعنى ثمانية حيث كانت مركز لعبادة الثامون المقدس. وبعد احتلال العرب سميت أشموم طناح،

ثم امر بقتل الغلام، فقتلوه، وانزلوه مقتولا الى والدته وارسل الى والدته مايتى ذهب. وهذا لم يحكم به الشرع، بعد رضى الورثة بعدم القتل، وهذا جهل من الوزير، ثم انه مرض وامر ان يدفن بجوار قبر الامام الليث بن سعد[1] رضى الله عنه. فكان كذلك. ثم ان العسكر المنصور، اجتمع امرهم ان يجعلوا مصطفى بك قايم مقام الى ان يجىء الجواب من الديار الرومية، وارسلوا عرضا بموتة. فورد عليهم الخبر (بعد خمسة وخمسين يوما)[2] بتولية على باشا.

١٠.ذكر تولية على باشا الوزير

عفى الله عنه

قدم الى مصر خامس عشر شوال سنة ٩٥٦، فأقام بها واليا أربع سنين ونصف وعزل فى ٢٥ من محرم سنة ٩٦١(*) وكان حاكما عادلا، صالحا، محبا للفقراء، والعلماء محسنا لهم.

(١) الليث بن سعد (٩٤/ ١٧٥هـ - ٧١٣/ ٧٩١م): هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمى، امام اهل مصر فى عصره، حديثا وفقها، اصله من خراسان، ومولده فى قلقشندة، ووفاته فى القاهرة انظر: الاعلام، جـ٦، ص١١٥.

(٢) كتبت هذه العبارة على هامش الصفحة ووضعت علامة ادخالها فى موضعها من النص.

(*) مدة ولايته: ١٠ شوال ٩٥٦/ ٢٥ محرم ٩٦١هـ - ١ نوفمبر ١٥٤٩/ ٣١ ديسمبر ١٥٥٣م.

وهى كذلك قرب دمباط. وفى وقت الاحتلال العثمانى أعيد إليها اسمها المصرى وهو شمون أرمان محرقا إلى اشمـون الرمـان. وعندمـا جـعلت المنصـورة سنة ٩٣٣هـ قاعـدة لولاية الدقهلية، ومنذ ذلك الوقت اضمحلت أشمون الرمان وزال ما كان فيها من آثار المدنية والعمران فاصحبت قرية عادية من قرى مركز دكرنس.

كان قد جعل كلما يعز عليه فيها اعنى دمياط لانها كانت حصينة جداً وما ظن احد انها توخذ، وقيل انهم وجدوا بها ستة الف رجل وقيل احد عشر الفاً الا انهم اسروا كل من وجدوه بها ما خلا النصارى. واما المسلمون فكانوا يقولون انه لم يبق بها سوى ستماية نفس ولم يصح ذلك. وذكر المحققون ان باب الثغر اغلق على ستة واربعين الف رجل خارجاً عن النسا والصغار. واستوطن الافرنج

ومن مآثره الحميدة، انه عمر مقام السيدة زينب، بنت الامام على رضى الله عنه، المعروف بقناطر السباع، وعمر قلعة العريش[1]. وعزل فى سنته.

١١.ذكر تولية محمد باشا الشهير بدوقه لى[2] عفى الله عنه

قدم الى مصر فى غرة صفر سنة ٩٦١، فأقام بها واليا سنتين وتسعة عشر يوما الى أن عزل فى حادى عشر ربيع آخر سنة ٩٦٣[3]، كان احب ما اليه اللهو والطرب والخروج الى المفترجات حتى انه كان يركب فى المراكب ويمر فى الخليج فى ايام النيل، ويضرب على الطنبور ويغنى باللغة التركية ولا يبالى بمن عدل أو لام. وكان يهوى الجمال. فلما وصلت اخباره الى الاعتاب العلية ارسلوا عزلانه، فأقام قايم مقام يوسف بيك. الى ان ورد ركاب الوزير

(١) قلعة العريش: تقع على الساحل الشمالى لشبه جزيرة سيناء، كان يرابط بها جماعتان من العسكر، من الفرسان والمشاة، وهم يعرفون باسم (عساكر محافظين).
عراقى يوسف، المصدر السابق، ص٩٩.

(٢) يذكر صاحب التحفة، ص ١٦٧ ان اسمه «محمد باشا الشهير بدوقه لين»، بينما يذكر الاسحاقى، ص١٣٦ ان اسمه «محمد باشا الشهير بدوفتر كين زاده».

(٣) مدة ولايته: غرة صفر ٩٦١/ ١١ ربيع آخر ٩٦٣هـ ـ ٦ يناير ١٥٥٤/ ٢٣ فبراير ١٥٥٦م.

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

الثغر واستقرت قاعدتهم. فيه فلما كان بعد رواح الملك المعظم سير السلطان استدعى الصاحب صفى الدين عبد الله بن على الذى كان وزير ابيه وقلده تدبير مملكته فنفذ هذا بالحوطه على جماعة من الكتاب مسلمين ونصارى ويهود وبسط عليهم العقوبات وطالبهم بالاموال أمتلت الحبوس منهم ومنهم من خرج من مذهبه من الشدة والعقوبة ومنهم من عطبت بعض اعضايه. وكانت ايام


(*) الحملة الصليبية (الخامسة) تحتل دمياط.

اسكندر. واتفق فى زمن محمد باشا غلاء عظيم. الى ان عدمت الحنطة، والشعير والفول وصارت الناس يقتاتون بالبذور[1] والترمس. وصار اصحاب الأموال يجيبون الحنطة من بلاد الشام وغيرها من البلاد، حتى هلكت الفقرا.

١٢. ذكر تولية اسكندر باشا

رحمه الله تعالى

قدم مصر خامس عشر ربيع آخر سنة ٩٦٣. فأقام واليا بها ثلاث سنوات وشهرين وعزل فى رجب سنة ٩٦٦[2]. وله من المآثر الحميدة المسجد والتكية اللذان بباب الخرق[3]. وأوفى البحر فى ٣١ أبيب وزاد زيادة كثيرة وانحلت الأسعار. وكانت الرعايا تحبه محبة شديدة. ولما عزل اقام قايم مقام محله على بك الخازندار المنصورى.

---

(١) بالأصل «البزور».

(٢) مدة ولايته: ١٥ ربيع آخر ٩٦٣ ـ رجب ٩٦٦هـ، ٢٧ فبراير ١٥٥٦ ـ ابريل ١٥٥٩م.

(٣) مسجد اسكندر باشا وتكيته: انشأ اسكندر باشا هذا المسجد بشارع باب الخرق (الخلق) ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م وانشأ تجاهه تكية ومكتبا وسبيلا، وأوقف عليها جميعا أوقافا، وشرط النظر عليها لمن يكون واليا على مصر، وازيل الجامع والتكية وما جاورهما من الدور، فى القرن التاسع عشر، حينما بدأ تنظيم القاهرة وعملت الشوارع والميادين، وفتح الشارع المعروف بشارع، محمد على (القلعة حاليا) انظر على مبارك، الخطط، جـ ٤ ص٥٦.

صعبه جدا. وفى اثناء ذلك صقعوا رباع الناس واملاكهم بالقاهرة ومصر واستادوا [أخذوا] اجرتها الشهرين وكانت ايام شديدة على الناس ولا يخرجون من شى حتى يدخلون فما هو اشد منه وبطلوا دور الوكالات جميعاً وكل الفنادق التى تباع فيها البضايع مثل الكتان وغيره، ورسم ان لا يباع شى الا بدار وكالة السلطان التى بدار الملك وان تكون السمسرة للسلطان ونظروا فى اوراق

---

١٣. ذكر تولية على باشا الخادم

عفى الله عنه

قدم الى مصر يوم الخميس غرة صفر سنة ٩٦٦ . فأقام بها واليا سنة واحدة، ثم توفى، ثالث الحجة سنة ٩٦٧[١]، ودفن بجوار القاضى بكار بن قتيبة[٢]، بالقرافة وكان وزيرا حاكما، محبا للعلماء، محسنا، بحيث انه لم يوجد فى خزانته سوى سبع دنانير ومن اللباس والتجملات شىء قليل. وكان كل شىء جاء له يفرقه على الفقراء وكان ينزل الى مصر متخفيا ويتصدق بالعشرة دنانير والماية، واكثر من ذلك. واتفق تاريخه عند مليك مقتدر، واقامت اهل مصر نائبا عنه القاضى قادرى افندى. قاضى مصر، الى ان يحضر الجواب من

(١) مدة ولايته: غرة صفر ٩٦٦/ ٣ ذو الحجة ٩٦٧ ـ ١٣ نوفمبر ١٥٥٩/ ٢٥ اغسطس ١٥٦٠م، يذكر الاسحاقى ص١٣٦، انه تولى امور مصر ١٧ شعبان ٩٦٦/ ٢٥ مايو ١٥٥٩م وهو الاصوب حيث ان اسكندر باشا عزل فى رجب ٩٦٦ باتفاق المصادر، فكيف يكون على باشا تولى ولاية مصر قبل عزل اسكندر باشا، وهذا الخطأ وقع فيه كل من أحمد شلبى، وصاحب التحفة، والصواب ما ذكره الاسحاقى.

(٢) بكار بن قتيبة (١٨٢/ ٢٧٠هـ ٧٩٨/ ٨٨٤م) هو بكار ابن قتيبة بن اسد ابو بكرة، من بنى الحارث بن كلدة الثقفى، قاض فقيه محدث، ولى القضاء بمصر للمتوكل العباس ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م، اعتقله أحمد ابن طولون لامتناعه بخلع الموفق من ولاية العهد، فأقام بالسجن يقصده الناس ويروون عنه الحديث ويفتيهم، وهو باق على القضاء الى ان توفى فى سجنه بمصر. له كتب منها «الوثائق والعهود» فى الفقه، انظر الاعلام، جـ٢، ص٣٤.

الناس وفيما بايديهم. وضاق الوقت على العالم ولو مكنوا من الخروج لم يبق فى البلاد احد. واما الافرنج فكانت ترد اخبارهم من العدل والرافة وحسن المعاملة مالا يوصف وبلغت الدراهم السودا(*) عندهمماية درهم بدينار لكثرة ما وجدوه منها بالثغر وكونهم لا يتعاملون بها. ولما كان فى نهار يوم الثلثا السادس عشر من امشير(*) فى الجمعة الثانية من الصوم المقدس حدثت امطار

(*) الدراهم السوداء: دراهم من الفضة.

(*) ١١ فبراير بحسب التقويم الجولياني.

الديار الرومية. فبعد خمسين يوما ورد الخبر بتولية مصطفى باشا الشهير بشاهين. فأرسل مسلمة على العادة.

١٤. ذكر تولية مصطفى باشا الشهير بشاهين
عفى عنه

قدم الى مصر فى غرة ربيع اول سنة ٩٦٨. فأقام واليا بها ثلاث سنوات واربعة اشهر غايتها سنة ٩٧١[١]. وله من المآثر الحميدة بالقاهرة، الحمام الذى بسوق السلاح[٢] والدكاكين والبيت الذى اخذه يوسف كتخدا عزبان وعمله وكالة سنة ٩٧١. وكان جبارا ظالما سفاكا للدماء. ولما وردت أخباره بالظلم والجور للرعية أرسل السلطان له العزلان.

(١) مدة ولايته: غرة ربيع أول ٩٦٨/ ٩٧١ ـ ٢٠ نوفمبر ١٥٦٠/ ١٥٦٣، يذكر صاحب التحفة انه استمر ٢٠ جماد الآخر ٩٧١/ ٤ فبراير ١٥٦٤م، بينما يذكر الاسحاقى انه استمر الى غاية جماد الأخر ٩٧١هـ/ ١٣ فبراير ١٥٦٤م.

(٢) حمام مصطفى باشا الشهير بشاهين: اصبح هذا الحمام فى القرن التاسع عشر، يعرف بحمام سوق السلاح للرجال، وكان يؤمه الرجال والنساء، واصبح فى القرن التاسع عشر «جار فى ملك يوسف أصيل، ومحمود بيك العطار والشيخ مصطفى عرفات» على مبارك المصدر السابق، جـ٢ ص١٠٦.

عظيمه واستمرت ليلة الاربعا ويوم الاربعا ونصف
ليلة الخميس وفى النصف الثانى خرجت ريح
عظيمة ولم يزل الى الظهر من يوم الخميس
وهدمت مواضع كثيرة وكثيرون ماتوا تحت الردم
وكانت حادثة عجيبة لم يشاهد مثلها. ثم بعد
ذلك خرج الامر بجبايه الدياريه التى كان البطرك
يستأديها من الكراسى والكنايس وندب فى كل
عمل واحد لذلك. وكتب الى والى مصر والقاهرة

---

١٥. ذكر تولية الوزير على باشا الصوفى

المعروف بكيلون

قدم الى مصر فى سنة ٩٧١. وعزل فى سنة ٩٧٣[١]. وكانت مدته سنتين. وهو اول من أوقع الفساد فى المعاملة، لانه امر دار الضرب[٢] بالمقاطعة تحت خلط النحاس الزايد على القانون. وصار امنا دار الضرب يخلطون فى الماية درهم ثلاثة درهما نحاسا، فثقل الامر، وقامت الرعايا، وكثرت اللصوص والمفسدون. فلما وصل خبره الى الديار الرومية أتى الأمر بعزلاته.

١٦. ذكر ولاية محمود باشا المقتول

قدم الى مصر فى غرة شوال سنة ٩٧٣، فاستمر واليا بها الى ان قتل فى عشرين جماد آخر سنة ٩٧٤[٣]، وكانت مدة ولايته سنة وسبعة أشهر وأربعة عشر يوما، وكان مقداما،

---

(١) مدة ولايته: ٩٧١/ ٩٧٣هـ ـ ١٥٦٤/ ١٥٦٦م يذكر صاحب التحفة، ص١٦٨، انه قدم فى غرة رجب ٩٧١/ سلخ رمضان ٩٧٣هـ ـ ١٤ فبراير ١٥٦٤/ ٢٠ ابريل ١٥٥٦م. ويتفق معه فى ذلك الاسحاقى، ص١٣٦.

(٢) بالأصل «الدرب» وهذا الخطأ فى كل الكتاب عدا مرة واحدة كتبت فيها هذه الكلمة «الضرب» وسوف اشير اليها فى موضعها، اما فيما عدا ذلك فسوف اكتب هذه الكلمة بصورتها الصحيحة دون الاشارة.

(٣) مدة ولايته: غرة شوال ٩٧٣/ ٢٠ جماد آخر ٩٧٤هـ ١٠ مايو ١٥٦٦/ ٢ يناير ١٥٦٧م.

بجباية ما يخصهما فاحضر والى مصر قسا [قسسا] الكنايس وقال لهم اعطونا ما كان ياخذه البطرك منكم فقالوا ما جرت عادة القاهرة ومصر ان يوخذ منها شى قال فاكتبوا لنا حججا بانكم ما قمتم قط للبطرك بشى فابتدر واحد منهم وقال يا مولاى نحضر تعليق البطرك ومن يضمن باسمه شياً قام به. قال واين تعليق البطرك قالوا هو عند بن صدقه، يعنون المقدم ذكره فاحضره وقال اريد


(*) عاصفه قوية تهدم البيوت وتقتل الناس وتفسد الزروع

شجاعا، ظالما، محبا لجميع الأموال. وكان لا يلبس هو وجماعته الا الديباج. وجميع اوانيه من الفضة والذهب[1]، وفى زمنه عين الباشا ابراهيم بيك لعمارة العين التى بجبل عرفات. والسبب فى قتله، ان فى يوم الأربع عشرين جماد آخر سنة ٩٧٤[2] ركب فى موكب عظيم لقطع جسر أبى المنجا[3] فلما وصل الى المحل المعروف بقصر البدوية، فى الغيط الذى بطريق بولاق أتته رصاصة من داخل الغيط فى كتفه الشمال، فوقع من على الجواد، فاحتملته جماعته، ووضعوه فى التخت ودخلوا الغيط يفتشون فوجدوا أربع[4] رصاصات وبندقية، ولم يروا احدا فى القصر، وسالوا الخدمة عن الضارب، فلم يقروا على احد، فقتلوا منهم اثنين ظلما.

ثم انهم غسلوه وكفنوه ودفنوه فى جامعة الذى بالرميله، الذى كان انشأه قبل موته بسنة

(١) بالأصل الذهب والفضة، ووضعت عليها علامة التقديم والتأخير، سنشير بعد ذلك لمثل هذه العبارة بكلمتى «قدم واخر».
(٢) ٢ يناير ١٥٦٧م.
(٣) جسر أبى المنجا: المقصود فتح قناطر أبى المنجا التى انشأها الظاهر بيبرس على بحر أبى المنجا سنة ٦٦٥هـ - ١٢٦٦/ ١٢٦٧م، وتقع غربى ناحية ميت نما بمركز قليوب حاليا، وهى الآن تحت ادارة حفظ الآثار العربية، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص١٤٨، هامش ٤٨.
(٤) بالأصل «اربعة».

تعليق البطرك فاحضره لوقته وكان تعليقاً قديماً وفيه اشيا عتيقة قبل الغلا واشياً ما كان البطرك يستأديها بل كان ذكرها فى التعليق حفظاً لمبلغها. فنقلوه كهيئته وسيروا نسخته الى السلطان فخرج امره الى الولاه باستيدا ما تضمنه فصار كل منهم يقصد الاستظهار والتبرير على الاخر فيستخرج المبلغ مضاعفاً. وكانت هذه الايام كلها ما روى فى العمر اصعب منها. وندب لا ستخراج مال الدياريه

واحدة، المعروف بالمحمودية[1] وعملوا تاريخ موته: قبل أرخ لقتله. قلت: تاريخه عظة ٩٧٥[2]. ثم ان الجند اجتمعوا على من يولوه محله نيابة الى حين يعود الخبر من الديار الرومية. فولوا شيخي افندى.، ومحمد بيك دفتردار فضبط الولاية خمسين يوما الى ان ورد عليهم الخبر بتولية الديار المصرية ومحافظتها الى سنان باشا، الشهير نسبه الكريم، بقجاسنان.

١٧. ذكر تولية قجا[3] سنان باشا

قدم الى مصر فى رابع عشرين شوال سنة ٩٧٥، وهو اول نياب السلطان سليم ابن السلطان سليمان[4]. فاستمر واليا الى ان جاءه العزلان سنة ٩٧٦[5]. فكانت مدته تسعة أشهر. ثم ورد عليه خبر الأمر الشريف بالتوجيه الى فتح اليمن، فاستصحب معه من مصر

---

(١) جامع المحمودية: يقع فى الشارع الذى سمى باسمه، والذى يبتدىء فى بنهاية شارع المحجر بجوار زاوية الشيخ حسن الرومى وينتهى الى المنشية، وبه قبر منشئه محمود باشا، وتعلوه قبة مرتفعة انظر: على مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص١٠٤.

(٢) ١٥٦٧م.

(٣) قجا، قوجه: تعنى العظيم.

(٤) تول السلطنة: ١٥٦٦/ ١٥٧٤م.

(٥) مدة ولايته: ٢٤ شوال ٩٧٥/ ٩٧٦هـ ـ ٢٣ ابريل ١٥٦٧/ ١٥٦٨م، يذكر صاحب التحفة انه تولى مصر ٢٤ شعبان ٩٧٥/ ٤ جماد اول ٩٧٦هـ ـ ٢٣ فبراير ١٥٦٧/ ٢٥ اكتوبر ١٥٦٨م.

والتصقيع وسدس ثمن تمرة البساتين بالوجه القبلى لانهم كانوا اوجبوا ذلك فى جميع ديار مصر ونقط [ضريبة] النخل ايضا عن كل نخله خمسة دراهم خارجا عن الخراج الجارى به العادة. وكان امير يقال له المكرم بن اللمطى وكان رجلا مغربياً وابغض ما اليه النصارى، فوصل الى مصر وامسك بها جماعة ممن هو منهم بحبال من النصارى واليهود وعلق عليهم العقوبة والهوان الى

حمزة[1] بيك ومامای بيك، وابن الخبير، وغيرهم من اكابر مصر. وكانوا اربعة وعشرين سنجقا[2] واثنين وعشرين الفا من العساكر واصرف جميع جوامكهم[3] من خزنته، وجميع مصارفهم ثلاثة شهور، ولم يحسبه على السلطنة ولا الدرهم الفرد. واصرف عليهم الجوامك والمركوب وما احتاجوه اليه من زاد وسلاح. واوكب من مصر فى رابع شوال سنة ٩٧٦[4]. وسار[5] الجيش برا وبحرا الى اليمن، وملك القلاع، والمدن والقرى. وعاد منصورا مؤيدا الى الديار الرومية، والعسكر الى مصر بالسلامة.

١٨. ذكر تولية اسكندر باشا جركس عفى عنه

قدم الى مصر[6] فى يوم الخميس رابع عشر جمادى آخر سنة ٩٧٦، فاستمر واليا الى ان

---

(١) بالاصل «عزا بيك» والتصويب من التحفة، ص١٧٠.

(٢) صنجق: لفظ تركى، صحة كتابته سنجاق، وتعنى العلم، ثم اطلق اللفظ على القسم الادارى كما اصبح يطلق على حاكم هذا القسم، ثم اصبحت السنجقية، رتبة عسكرية عليا، يتقلدها كبار الامراء المماليك، شفيق غربال، المصدر السابق، ص١٤، عبدالقادر طليمات، المصدر السابق،ص٣٤٧.

(٣) جوامك: مفردها جامكية، وتعنى الراتب.

(٤) ٢٢ مارس ١٥٦٩م.

(٥) بالاصل «وصار».

(٦) بالأصل يوجد حرف «فى» بعد الى.

ان اخذ خطوطهم بما مبلغه احد عشر الف دينار
كل منهم على قدر ما قطع عليه وسيرها على
كتابه ا لى السلطان فاكبر ذلك وانكره ورسم بان
تعاد الخطوط على اربابها وكانت هذه نادره لم يجر
مثلها فى هذه الايام فاعيدت الخطوط وتوجه ابن
اللمطى الى الصعيد لجباية التصقيع والدياريه
وسدس ثمن الثمار ونقط النخل عن كل نخله
قايمة خمسة دراهم وكان ذلك فى جميع الديار

عزل فى ٢٠ محرم سنة ٩٧٩[١]. وكانت مدة ولايته سنتين ونصف، واحد عشر يوما. وكان ظالما جبارا، عارض الفقرا فى ارزاقهم واموالهم، ووظايفهم[٢]، وما فى ايديهم، وزاد ظلمه وجوره. فاتصلت اخباره الى الدولة العلية، فارسل مولانا السلطان بعزلاته، فدعوا عله فى الجامع الازهر فوق المواذن، والله اعلم.

١٩. ذكر تولية سنان باشا قجا

التولية الثانية

قدم الى مصر من الديار الرومية بعد رجوعه من سفرة اليمن، فى رابع عشر جماد الآخر سنة ٩٧٩، فاستمر واليا بها الى ان عزل فى شهر جماد آخر سنة ٩٨٠[٣]، وكانت مدة

(١) مدة ولايته: ١٤ جماد آخر ٩٧٦/ ٢٠ محرم ٩٧٩هـ ٤ ديسمبر ١٥٦٨/ ١٤ يونية ١٥٧١م.
(٢) بالأصل «ووضايفهم».
(٣) مدة ولايته: ١٤ جماد آخر ٩٧٩/ جماد آخر ٩٨٠هـ ـ ٣ نوفمبر ١٥٧١/ اكتوبر ١٥٧٢م، يذكر صاحب التحفة انه تولى مصر ١٠ مصر ٩٧٩/ غاية الحجة سنة ٩٨٠هـ ـ يونية ١٥٧١/ ٢ مايو ١٥٧٣م.

المصرية واستمر الحال على ذلك وزادت الشدة على الناس حتى ان جماعة شنقوا انفسهم (*) وجماعة خرجوا من الايمان ولم يفدهم ذلك.

(*) انتحار الناس بسبب المعيشة الصعبة.

ثم لما كان فى جمعة الفصح المقدس وكان ذلك اخر برمهات(*) ورد على الارض من الجراد شئ لم يرقط فى الديار المصرية مثله حتى انه ملآ الفضاء وستر السماء ورعى [أكل] كل خضرا وخاف الناس من ذلك وعلموا انها ضربة من الله

(*) يمتد برمهات مابين ٧ مارس و٥ ابريل بحسب التقويم الجولياني.

ولايته سنة واحدة وايام. وله من المآثر الحميدة الجامع الذى ببولاق(١) والحمام والمدرسة التى بالجامع الأزهر التى بالصنادقية والسوق الذى بسكندرية. وله العمارة فى الشام وغيرها، تكايا ومساجد وحمامين، والبنايات العامرة واخباره معلومة بالخيرات. وكان ايام ولايته رخا وسخا. وكان الأردب الحنطة بعشرة انصاف، وجميع القوت رخيص، والله اعلم.

٢٠. ذكر تولية حسين باشا

عفى الله عنه

قدم الى مصر يوم الاثنين غرة محرم الحرام سنة ٩٨١، فأقام بها واليا الى رمضان سنة ٩٨٢(٢) . فكانت مدة ولايته سنة وتسعة أشهر، فلما توفى السلطان سليم بن سليمان، وتولى اخوه السلطان مراد(٣) وهو الثالث عشر من آل عثمان عزل حسين باشا وفوض ولاية مصر الى مسيح باشا.

(١) جامع سنان باشا: يوجد هذا الجامع ببولاق قرب شاطىء النيل، وعين له خطيبا واماما، وستة مؤذنين وبوابا، وفراشا، ووقادا، ومسبلا وغيرهم وجعل للجميع مرتبات شهرية، انظر، على مبارك المصدر السابق، جـ٥، ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) مدة ولايته: غرة محرم ٩٨١/ رمضان ٩٨٢هـ ـ ٣ مايو ١٥٧٣/ ديسمبر ١٥٧٤م.

(٣) تولى السلطنة: ١٥٧٤/ ١٥٩٥م.

لتواتر الظلم. واغلى كل شئ حتى كاد يعدم. وفى ليلة الاثنين الذى هو صبيحة حد الحدود الموافق للحادى عشر من برموده(*) جات ريح سوداً ظن الناس انها القيامة قد قامت وظنوا انه لا يبقى على الارض جدار قايم ووقع من النخل شى كثير وظهرت نيران فى الجو وكانت ليلة عظيمة لم ينم احد فيها ولما اصبحوا سكن ذلك الهيج والاضطراب ووجدوا بعض المواضع وقعت وبعضها

(*) ١١ برموده = ٦ أبريل (جوليانى).

---

٢١. ذكر تولية مسيح باشا

عفى الله عنه

قدم الى مصرى فى سنة ٩٨٢، فاقام بها واليا خمس سنوات، الى ان عزل فى خامس عشر جمادى اول سنة ٩٨٨[١]. وكان حاكما عالما بأحيوال السياسة سفاكا للدماء، لا يقبل الرشوة ولا يعفو عن المفسدين، كل من وقع فى يده من المفسدين قتله، ولا يقبل فيه شفاعة احد، ولو يعطوه الف دينار. وله من المآثر الحميدة مسجدة[٢] الذى بباب القرافة والصهريج والكتاب، واشترط النظر (فى ذلك)[٣] الى البدر القرافى[٤] وذريته الى ان يرث الله الارض ومن عليها، وهو خير الوارثين، وهو باقى الى يومنا هذا على حكم الشرط. ثم عزل وتولى بعده حسن باشا.

---

(١) مدة ولايته: ٩٨٢ ـ ١٥ جماد اول ٩٨٨هـ/ ١٥٧٥/ ٢٨ يونية ١٥٨٠م.

(٢) مسجد مسيح: يعرف بجامع المسيحية بعرب يسار، ولا يزال مقام الشعائر.

(٣) الاضافة من التحفة ص١٧١، لتوضيح المعنى.

(٤) بالاصل يوجد «عليه» حذفتها ليستقيم المعنى.

البدر القرافى: يذكر على مبارك ان اسمه نور الدين القرافى، وكان احد علماء عصره وكان مسيح باشا يعتقد فيه اعتقادا زائد، واختص بصحبته، وعمر له الجامع، وجعل نظر اوقافه له ثم لذريته من بعده.

سـالمه. وبقى الطلب والمصـادره على حـالهـا والاساقفة فى التوكيل والضرب ونصارى البلاد كـذلك. ودخلت سنة سـبع وثلاثين وتسع مـايه وانتهى النيل فى هذه السنة المباركة الى اصبعين من سبعة عشر ذراعا وهى سنة سبع وثلاثين(*) وتسع مايه الموافقه لسنة سبع عشره وستمايه للهجرة الاسلاميـه(*) وبقيت الاسعار على حالها تاخذ وتعطى [و] القمح العال الغايه بماية وخمسين

(*)٩٣٧ش = ٩٣٧ق = ٦١٧هـ = ١٢٢٠م.

(*) من الملاحظ هنا استخدام التاريخ الهجرى إلى جانب التاريخ القبطى.

---

٢٢. ذكر تولية حسن باشا الخادم(١) عفى الله عنه

قدم الى مصر فى عاشر جماد آخر سنة ٩٨٨ . وكان حاكما محبا للرشوة. فاستمر واليا بها الى سنة ٩٩٠(٢) . وكانت مدة ولايته سنة وعشرة أشهر. وفى زمنه البس اليهود الطراطير الحمر، والبس النصارى البرانيط السود. وفى ايامه نزل السيل ببدر وحنين، فأغرق خلقا كثيرا من الحجاج، وما نجا الا من طال عمره، وقلع الزرع والبساتين ثم جاءه العزلان، وتولية ابراهيم باشا.

٢٣. ذكر تولية الوزير ابراهيم باشا فاتح قلعة قنجة(٣)

قدم الى مصر سنة ٩٩١ ، فاستمر واليا الى عاشر شوال سنة ٩٣٢(٤)، وكانت مدة ولايته

(١) بالاصل «حسين باشا الخادم» وهذا تصحيف من الناسخ، حيث ذكره بعد ذلك «حسن» وهو الصحيح، انظر كذلك، التحفة ص١٧١ ، الاسحاقى، المصدر السابق، ص١٣٨ .

(٢) مدة ولايته: ١٠ جماد آخر ٩٨٨/ ٩٩٠ ـ ٢٣ يولية ١٥٨٠/ ١٥٨٢م.

(٣) بالاصل يمكن قراءتها «طنجة» وهذا خطأ، وصحتها «قنجة» وقنديا وهى قلعة جزيرة كريت.

(٤) مدة ولايته: ٩٩١/ ١٠ شوال ٩٩٣ ـ ١٥٨٣/ ٥ اكتوبر ٥ ١٥٨م.

دينار المایة اردب، والشعير والفول بماية دينار الماية
اردب واما الحمص فكان قليلا بدينارين الاردب.
وروى فى البلاد اكثر مما روى فى العام الماضى
وكانت التقاوى قد نفذت لاجل حاجة الناس
وخوفهم فامر بان يوخذ غلال التجار ويقوى بها
البلاد ويكتب على الاجناد ونوابهم حجج بالثمن
الى زمن الميسور، ففعلوا ذلك فى القاهرة ومصر
وجميع الديار المصرية حتى صاروا يدخلون الى

سنة وخمسة اشهر وثمانية عشر يوما. ولما قدم مصر عمل حساب حسن باشا وما تأداه من المسلمين، فطلع[١] عليه من الغلال ماية الف واثنان واربعون أردبا، خلاف النقود. فعرض الى الأعتاب العلية فى شأن ذلك. ثم ان ابراهيم باشا سافر الى الصعيد، ووصل الى معدن (مناجم) الزمرد، واستخرج منه شيئا كثيرا، ولما رجع من الصعيد، صعد الى جبل الجيوشى، وفتح كنزا بمعرفة منجم ماهر، فأراد الدخول، فلما دخل الكنز، رأى المنجم فى العسكر عين الغدر، فزعق على الباشا: أخرج والا انقفل الكنز عليك. فخرج مسرعا، وبيده دينارين فقط، وهو متعجب من تلك الدنانير، ومن حمرة ذهبهم، وكبرهم، ثم انه طلب المنجم فلم يجده. ثم انه اوقد عليه النار، فلم يفده شيئا، ولم يتيسر له فتح ذلك، ورجع خايبا. ثم إنه طلب لنفسه العزلان، وطلب لسنان أفندى، دفتردار مصر سابقا، ولاية مصر. فأرسل حضرة مولانا السلطان له العزلان، ولسنان افندى باشوية مصر وان سنان افندى هذا كان دفتدار مصر، لأن الدفتدارية[٢] كانت تأتى من الديار العلية. وكان يأتى بها اغا تحت الباشوية والله اعلم.

(١) بالأصل «قطع» وصحتها فطلع، التحفة، ص١٧٢.

(٢) الدفتدارية: كان صاحب هذه الوظيفة له الاشراف العام على مالية مصر، وقد حلت وظيفة الدفتدارية محل وظيفة ناظر الأموال. وكان الدفتدار فى بداية العصر العثمانى، يعين من بين الشخصيات العثمانية، ولما ازداد نفوذ الامراء المماليك، وسيطروا على أجهزة الادارة، اصبحت هذه الوظيفة تشغل من بين صفوفهم، وكان يصدر مرسوم سلطانى (خط شريف)، بتعيين صاحب هذا المنصب.
ـ دكتورة ليلى عبداللطيف، المصدر السابق، ص٢٩٨ ـ ٣٠١.

بيت الواحد يجدون فيه قمحا ولو ويبه فياخذونه ويتركونه بلا شي. ولما زرعوا ارسل الله فى اواخر بابه(*) وهتور(*) جرادا لم ير قط فى الديار المصريه مثله من كثرته وعظمه وكان احمر وقد كان الذى جا فى السنة الخارجة [الخراجية] اصفر فرعى اكثر ما زرع وطلع وخصوصا المواضع التى حول المدينتين [القاهرة ومصر عتيقة] والفيوم ثم ان السعر تحرك فى طوبه(*) فبلغ القمح ماية درهم

(*) بابه: من ٨ اكتوبر إلى ٦ نوفمبر بحسب التقويم الجوليانى.
(*) هتور= من ٧ نوفمبر إلى ٦ ديسمبر.
(*)طوبه: من ٦ يناير إلى ٤ فبراير بحسب التقويم الجوليانى.

---

٢٤. ذكر تولية سنان باشا دفتدار مصر سابقا

قدم الى مصر من العادلية، فى ثالث عشر شوال سنة ٩٩٣، واستمر واليا بها سنة وستة اشهر وعشرين يوما. ثم عزل فى رابع عشر ربيع آخر سنة ٩٩٤[١]. ثم ورد التفتيش على الأموال السلطانية. وقدرها خزنتان ونصف خزينة، والذى كان اخذها سنان باشا لما توجه الى اليمن، وارسل صورة دفتر يتضمن، ان خزينة مصر فقد منها مايتا الف دينار، ولم يعرف لهم محل. ثم ان اكابر مصر، لما سمعوا هذا الخبر قتلوا من جماعته بعض ناس، ونزلوه فى بيت صالح بيك الذى بقرب سوق السلاح فلما ورد ركاب أويسى باشا الى الديار المصرية، ارسل سنان باشا الى الديار الرومية مع جماعة من العربان، فأعرض اهل مصر الى الاعتاب العلية[٢] بذلك، فلم يجدوه فى الديار الرومية.

٢٥. ذكر تولية أويس باشا
عفى الله عنه

قدم الى مصر فى ثانى عشر جماد الثانى سنة ٩٩٤، واستمر واليا بها خمس سنوات وخمسة اشهر، الى ان توفى فى رجب سنة ٩٩٩[٣]، ودفن بجوار امام الليث بن سعد.

(١) مدة ولايته: ١٣ شوال ٩٩٣/ ١٤ ربيع آخر ٩٩٤هـ ـ ٨ اكتوبر ١٥٨٥/ ٤ ابريل ١٥٨٦م.
(٢) كررت «العلية» بالأصل.
(٣) مدة ولايته: ١٢ جماد اخر ٩٤٤/ رجب ٩٩٩هـ ـ ٣١ مايو ١٥٨٦/ ابريل ١٥٩١م.

الاردب والشعير والفول ستين درهم الاردب وقلت الغله من ايدى الناس وكثر القحط وازداد الفقرا من الناس والمساكين والسايلون على الابواب. واما امر العدو فى طول هذه المدة فكان على حال واحد تارة يخرج اسطول المسلمين فى البحر فتصادف لهم مراكب زاد ونجده [للصليبيين] فياخذها وتارة يخرجون هم الى بعض الثغور والاطراف المصرية او الشامية فينهبون وياسرون

واول فتنة حلت فى مصر من الاسباهية[1] كانت فى زمنه. فانهم هجموا عليه، وهو فى الديوان. ففر هاربا ودخل الى الحريم. فنهبوا ما وجدوه، ثم خرجوا. فقتلوا كاتخدا الجاوشيه. وطلبوا من قاضى العسكر[2] ان يحضر لهم القاضى على بن الفارقى، والقاضى على شمس الدين، شهود الديوان[3] فأحضرهما، فلما حضر، قتلوهما. وسبب ذلك ان أويس باشا قد

(١) الأسباهية: كانت الأسباهية فى ذلك العصر، تتكون من ثلاثة اوجاقات (فرق)، من اوجاقات الحامية العثمانية هى: اوجاق جمليان، اوجاق تفكجيان، اوجاق الجراكسة. وكانت مهمة جند السباهية الاساسية، حفظ الامن فى الريف وحماية الطرق، ولكنهم استغلوا نفوذهم فى الريف وفرضوا لانفسهم كثيرا من الامتيازات والضرائب غير الشرعية التى أرهقت السكان. دكتور عبدالرحيم عبدالرحمن، الريف المصرى، ص٥٣ ـ ٦٣.

(٢) قاضى العسكر: كان يعرف باسم «قاضى عكسر افندى» فقد اهتم العثمانيون اهتماما كبيرا بالقضاء، وكان قاضى قضاةمصر يحتل المركز الرابع بين قضاة السلطنة، وكانت مناصب قضاة العسكر فى الدولة العثمانية مناصب علمية، حيث وضعت شروطا قاسية لوصول العالم الى احد هذه المناصب الكبرى، وقد تمتع قاضى العسكر فى مصر بمكانة كبيرة، وكان السلطان يخاطبه فى فرماناته بلقب «اقضى قضاة المسلمين. اولى ولاة الموحدين.. رافع اعلام الشريعة والدين»وغير ذلك من القاب التفخيم والتعظيم، كما تنعته الوثائق بألقاب «شيخ مشايخ الاسلام، ملك العلماء الاعلام...» وكان قاضى عسكر افندى، هو رئيس هيئة القضاء فى مصر كلها. دكتورة ليلى عبداللطيف، المصدر السابق، ص٢٤٨ ـ ٢٥١، دكتور عبدالرحيم عبدالرحمن، القضاء فى مصر العثمانية، ضمن كتاب بحوث فى التاريخ الحديث، طبع جامعة عين شمس ١٩٧٦، ص ١٧١ ـ ١٨٧.

(٣) انظر محمد بن أبى السرور البكرى، كشف الكربة، ص٣١٦، محمد البرلسى، بلوغ الارب ص٢٨٨.

ويرجعون. واشتدت البلية من الغلا والخوف والظلم وبلغ الزيت الطيب ثلثة دراهم الرطل. والكنيسة بلا من يسوسها ولا من يدبرها. ثم تزيد السعر ايضاً الى ان بلغ القمح ثلثة دنانير الاردب ولم يزل كذلك الى عيد الفصح فانحل واستبشر الناس، ولم يزل ينحط إلى أن بلغ دينار واحد والاردب القمح والشعير والفول بنصف دينار الاردب. ووردت الاخبار بخروج ملك من الشرق

كان افرط فى الظلم، فاتهموا هؤلاء المقتولين انهم هم الذين يغرونه. ثم ان العسكر مدوا ايديهم الى اموال الرعايا، واخربوا الاسواق، والحمامات، وهجموا على بعض بيوت أعيان مصر، فنهبوها، وقتلوا اصحابها. فاجتمع قاضى العسكر، والدفتردار، واعيان العسكر، وحذروهم فلم يفد النصح ولا التحذير. وزاد امرهم وحجرهم على الباشا وفى كل يوم يزيدون طغيانا، فلما رأى اويس باشا هذا الأمر وحجرهم عليه أعرض أمره على الاعتاب العلية، فولى حضرة مولانا السلطان، أحمد باشا الحافظ، والله أعلم.

٢٦. ذكر تولية أحمد باشا الحافظ
عفى الله عنه

قدم الى مصر سادس عشرين رمضان سنة ٩٩٩، فاستمر واليا بها أربع سنوات وعزله فى رمضان سنة ١٠٠٣[١]. وكانت أيامه ربيع الفقها والعلماء، والرعايا، لأن فى زمنه استأصل المفسدين من العربان. وعين تجريدة لعربان غزالة[٢]، وقتل منهم فى هذه الواقعة خلق كثير.

(١) مدة ولايته: ٢٦ رمضان ٩٩٩/ رمضان ١٠٠٣هـ ـ ١٢ يولية ١٥٩١/ مايو ١٥٩٥م.

(٢) عربان غزالة: وكانوا يعرفون كذلك باسم عربان خبيرى. وكانت اماكن اقامة هؤلاء العربان فى ذلك العصر ضواحى الجيزة والمناطق القاحلة بجوار الاهرام، وحتى منطقة المعادى، حيث كانت لهم معديات نيلية بين شرق النيل وغربة تربط بين مناطق نفوذهم.

يقال له ملك الصين [چان كيزخان] ومعه خلق من الاتراك القطا [التتار] والقفجق وانه كسر خوارزم شاه ملك الفرس وفتح خوارزم وبخارا والمراغه ومدناً كثيرة من بلاد العجم وسبى اهلها ووصل الى الكرج فكسرهم وجا الى ارض اربل وخافت البلاد منه لانه ذكر ان معه آلافاجملة من الاجناد والخلايقماية الف اويزيدون. ووصل الملك الاشرف بن الملك العادل صاحب خلاط وميا

ونهبت اموالهم، ونساؤهم، وأولادهم، وابيعوا فى الرميلة، حتى بيعت البنت (بدينار)[1] والولد بدينارين الواحد. وله من المآثر الحميدة، السحابة الاحمدية (قافله حمل الماء) التى لحمل الماء، والمنقطعين من الحجاج فى كل سنة على الدوام، واوقف عليها الوكالتين، والدكاكين، والمنازل المشهورة ببولاق. وفى ايامه جاء السيل من باب النصر مثل امواج البحر، فدق الأموات من القبور وهدم البيوت والقصور. ولم يكن السبيل الا لباب الوزير، وكان يوما مشهودا. وهو آخر وزير تولى على مدة السلطان مراد بن محمد. ولما جلس السلطان محمد بن مراد[2] أنعم على قرط باشا بمحافظة مصر القاهرة.

٢٧. ذكر تولية قرط باشا أول نياب السلطان محمد

قدم الى مصر فى ثانى رمضان سنة ١٠٠٣، فاقام واليا بها عشرة اشهر. وعزل فى سابع رجب سنة ١٠٠٤[3]. وكان وزيرا حكيما، كريم الانعام على الامراء، والفقراء. وكان سليم الصدر. ومما اتفق له، ان فى يوم من بعض الايام كان جالسا فى مجلس، يشرف على عرب

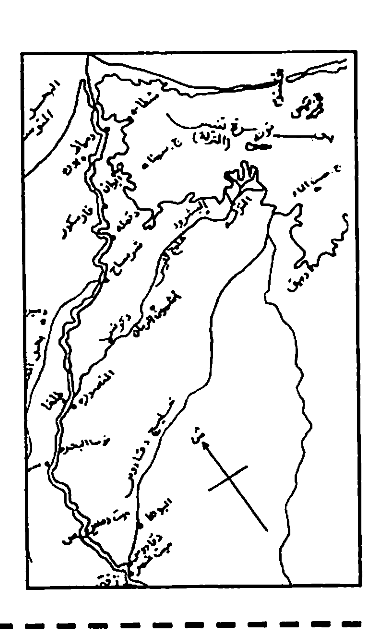
(١) بالأصل «حتى بيت البنت» ولفظ بدينار» اضيف لتوضيح المعنى.
(٢) تولى السلطنة: ١٥٩٥/ ١٦٠٣م.
(٣) مدة ولايته: ١١ مايو ١٥٩٥/ ٨ مارس ١٥٩٦م.

فـارقين وحـران وسنجـار ومـا مع ذلك الى ارض الموصل. وقصد العدو المذكور [چان كيزخان] هو [و] صاحب اربل فوجدوه قد وصل الى شهرزور فلم يلقهم بل رجع على اثره من غير قتال ولا كسرة. فرجع الملك الاشرف الى حران وسار اليه اخوه الملك المعظم صاحب الشام واجتمعا هناك وجمعا العساكر وجيشا الجيوش وقصدا مصر لنصرة اخيهما الملك الكامل على عدوه الذين هم

اليسار[1]، رأى رجلا ينكح حمارة فى خربة، فأمر بعض الجوخدارية[2] ان يتلطف به، ويحضره، فأحضره الجوخدار، بحيث انه لم يزعجه، ولم يخبره بما رأى الوزير. فلما رآه الوزير، قال له: انت أعزب ام متزوج. فقال: بل اعزب يا مولانا الوزير. فقال له الوزير: لم لا تتزوج؟ فقال: ليس لى من المال ما اتزوج به. فقال له الوزير، فلأى شيء تنكح. فعرف الرجل القضية، فقال بقلب اقوى من الحجر، يا مولانا الوزير، غلبت على الشهوة، والحرارة، وخفت على نفسى ان يغلبى الشيطان، فأتعاطى شيئا يوجب الحد، فاطفأتها فى الحمارة. فضحك الوزير، وقال، اذا أنا زوجتك تتوب الى الله عن نكح الحمير، فقال: نعم أيها الوزير. فأمر الوزير اغا الحريم[3] أن يأتى[4] له بجارية. فأحضر الجارية، وعتقها، وكتب له عليها، وأمر له ببيت، وفرشه مما يعتاز الأمر اليه، وجعل له علوفة[5] تكفيه. وقال: هل بقيت تنكح الحمير بعد اليوم. فقال: ما شاء الله، يا مولانا الأمير، بل الوزير، وهل توكل الميتة الا عند الاضطرار. فضحك منه. وجاءه العزلان بعد ذلك.

(١) منطقة عرب اليسار هى المنطقة الواقعة الى الجنوب الشرقى من القلعة.
(٢) الجوخدارية: اعضاء من أوجاق الانكشارية كانوا يقومون بما يشبه أعمال الجاسوسية على النزعات الاجرامية لدى السكان، انظر، المجتمع الاسلامي والغرب، الترجمة العربية، جـ٢، ص١٨٨.
(٣) اغا الحريم: الشخص المسئول عن جناح الحريم بقصر الباشا.
(٤) بالأصل «يأتيه».
(٥) علوفة: راتب نقدى يصرف من الخزينة، أو ما يعرف ببدل تعيين سواء للأشخاص، أو الخيول.

الافرنج ملاك دمياط. وكانت الافرنج قد وصلت اليهم ايضا نجده من داخل البحر فجمعوا وحشدوا وخرجوا من دمياط براً وبحراً متمهلين متنقلين من منزلة الى منزلة الى ان وصلوا قبالة منزلة المسلمين على رأس بحر اشموم من الشمال وبقى البحر فاصلا بينهم، وانزعجت البلاد لخروجهم وسير السلطان بسفر المسلمين للخروج للقايهم فجمعهم الولاه وقرروا على كل سوق جماعة من الرجال



٢٨. ذكر تولية محمد باشا الشريف

عفى الله عنه

قدم الى مصر ثاني شوال سنة ١٠٠٤، فاستمر واليا بها الى ان عزل سنة ١٠٠٦(١) وكانت مدة ولايته سنتين وشهرا. ولما(٢) ورد الى مصر كانت العساكر فى طغيانهم الاول، فلم يقع للوزير المذكور راحة مدة ولايته فمما اتفق فى زمنه، انه كان يوما فى البرسيم بالجيزة(٣)، ينظر الى خيله، ولما رجع(٤) الى مصر القاهرة، قامت عليه الاسباهية فى باب الوزير. وضربوا عليه بالمكاحل، فتفرقت أتباعه، وبقى الوزير وحده. فجعل يلاطف العسكر، ويقول لهم: ما مرادكم. فقالوا له: مرادنا تقتل لنا محمد كتخدا الشاويشية، ووالى مصر(٥)، ومـراد بيك،

(١) مدة ولايته: ٣٠ مايو ١٥٩٦/ يولية ١٥٩٨م.

(٢) بالأصل حرف «ان» وعليه شطب.

(٣) برسيم الجيزة: هى الأراضى التى كانت تعرف باسم «اوتلاق» وتزرع برسيما لعلف خيول الباشا، وكانت ضمن اراضى ولاية الجيزة.

(٤) كرر اللفظ بالأصل.

(٥) والى مصر: الشخص المسؤل آنذاك عن الأمن بالقاهرة، وقد قسمت العاصمة فى ذلك العصر الى ثلاث مناطق (القاهرة، بولاق، مصر عتيقة)، عين لكل منها «والى» (صوباشى) وقسمت كل منطقةالى عدة ادراك، يقوم بحراسة كل درك منها جماعة من الخفراء الذين يتبعون والى المنطقة، وكانت المهمة الموكولة بالوالى وأتباعه القبض على المجرمين، وقاطعى الطرق وتسليمهم لعساكر الجاويشية لايداعهم بسجن الوالى، لحين صدور الأحكام بشأنهم، وكان لوالى القاهرة الرياسة والزعامة على زميليه، والى بولاق ووالى مصر عتيقة، عراقى يوسف المصدر السابق، ص٢٠٢ ـ ٢٠٤.

ينفقون فيهم ويخرجونهم، وجبوا اكثر ذلك وسيروا عدة لها كثرة ومبغة(*). وفى اثنا ذلك سير السلطان الامير حسام الدين يونس والى الاسكندرية الى القاهرة ومصر لاخراج من بهما قاطبة [للقتال] وسير الى كل عمل [أقليم] اميراً يفعل فيه كذلك وخرج عامة الناس واكثرهم حتى لم يبق الا شيخ فان او صبى لم يبلغ الحلم واغلقت المدينتان فى نهار يوم الاحد الثامن

(*) مبغة: المقصود هنا ما يتغيه ويحتاجه الجند من تموين وعتاد وسلاح إلخ.

وخضر كاشف المنصورة، ومحمد بيك بن الطباخ فقال لهم: اعطونى[1] مهلة ثلاثة ايام فقاموا عليه، وقالوا له: شرع الله، نحن وإياك. واستمر واقفا مقدار ساعة. ثم ان الله سبحانه وتعالى ارسل ريحا عاصفا اظلم منه الجو، فصاروا لا يرون احدا، وصارت الدنيا ككحل، فاغتنم الوزير الفرصة وفر من بينهم، الى ان دخل القلعة وقفل ابوابها. ثم ان العسكر توجهوا الى بيت محمد كتخدا الجاوشية الدالى، وصادفوا محمد بيك بن الطباخ فى طريقهم بخط الصليبة[2]، فهجموا عليه وقطعوه بالسيوف، ثم توجهوا الى بيت محمد كتخدا الدالى بقناطر السباع[3]. فتحاربت معهم طايفته ثم انهزموا منهم، فهجموا المنزل وقطعوا رأسه ونهبوا جميع ما كان فى المنزل. وأما خضر كاشف المنصورة، ووالى القاهرة، ومراد بيك. فانهم اختفوا وتوجهوا الى الديار الرومية. فمن ذلك الوقت بطلت أحكام الوزير المذكور وصار الحل والربط لطايفة الاسباهية[4]. وهو الذى البس الاشراف العمايم الخضر بعد ان كانت علامة

(١) بالأصل «اطعيونى» والتصويب من التحفة، ص١٧٦.
(٢) خط الصليبة: المنطقة الممتدة من جامع السلطان حسن حتى جامع أحمد بن طولون، الواقعة حاليا ضمن دائرة قسم الخليفة بمحافظة القاهرة.
(٣) قناطر السباع: منطقة السيدة زينب محافظة القاهرة.
(٤) كتب عنوان جانبى «اعرف أبطال أحكام الوزراء بمصر وتغلب طايفة الاسباهية».

عشر(*) من جمادى الاخره سنة ثمانى عشرة وستماية الموافق للخامس عشر من مسرى(*) واصبحت يوم الاثنين باقية مغلقة حتى لم يوجد شي يوكل ولا تتعامل الناس فى هذين اليومين. الا الاجراس تضرب(*) فى البلدين. [و] معاشر المسلمين كافة من بات فى هذه الليلة فى المدينة شنق. والولاه ركاب يهجمون على الناس [فى] بيوتهم ويخرجونهم منها ومن وجدوه لم يسافر غرز [وضع فى غرارة] واحرق به حتى لم يبق الا

(*) ١٨ جماد آخر ٦١٨هـ = ١٥ مسرى ٩٣٧ق = ٩٣٧ش = ١٢٢١م.
(*) ١٥ سرى = ٨ أغسطس بحسب التقويم الجولياني.
(*) كانت نواقيس الكنائس فى تلك العهود تضرب ولا تقرع.
(*) أهم أحداث سنة ٩٣٧ق = ١٢٢١م. = ٦١٨هـ.
(*) فيها أتت النجدات للملك الكامل من الشام والشرق مع الملك الأشرف والملك المعظم عيسى فانزلهم عند المنصورة فى ٧ يونيو ١٢٢١م، ولما تم مجيء الملوك والنجدات وتم

فقط[1]. ودار بالمقام الخليلى يوم الكسوة، وهو لابس العمامة[2] الخضرة، والاشراف حوله وامامه بالعمايم الخضر، تعظيما للكسوة. وهو الذى البس اليهود الطراطير السود[3]، بعد الحمر، ميزة لهم. ومن مآثره الحميدة انه عمر مقام الامام الحسين بن الامام على رضى الله تعالى عنهما، وعمر الجامع الأزهر، والقبلة التى هى موجودة الى يومنا هذا وتعرف بقبلة الباشة. وأوقف شربة العدس على المجاورين، ورمه مرمة عظيمة. ثم ان أخبار الاسباهية[4] وصلت الى الديار الرومية، فجاءه العزلان، وفوضت ولاية مصر الى خضر باشا.

٢٩. ذكر تولية خضر باشا
عفى الله عنه

قدم الى مصر فى سابع عشر الحجة سنة ١٠٠٦، فاستمر واليا بها الى سنة ١٠١٠[5]،

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف لبس الأشراف العمايم الخضر».
(٢) قدم واخر.
(٣) كتب عنوان جانبى «اعرف لبس اليهود الطراطير السود».
(٤) بالأصل «الاخبار الإسلامية» والواضح من سياق الكلام، ومما ورد فى التحفة، ص١٧٦، انها «الاسباهية» حيث ذكر صاحب التحفة. «ولما اتصلت احوال العسكر الى الديار الرومية».
(٥) مدة ولايته: ١٧ الحجة ١٠٠٦/ ١٢ محرم الحرام ١٠١٠هـ ـ ٢١ يولية ١٥٩٨/ يولية ١٦٠١م، لم يذكر يوم وشهر العزلان والتكملة من التحفة ص١٧٦.

النساء. وكانت اياما ما شوهد مثلها من الخوف والضنك والهجاج على الناس قاطبة. وكانت ايام [فيضان] النيل الا انه لم يعنى به احد ولا يطلع اليه. ثم وصل الملك المعظم سلطان الشام والملك الاشرف سلطان الشرق ومن معهما من الملوك مثل صاحب حمص وصاحب حماه والعساكر والجيوش وعدوا من اشموم وقاطعوا على الافرنج وصاروا بينهم وبين دمياط براً وخرج اسطول المسلمين من

عنده أربعين ألف فارس حاربوا الصليبين بحرا وبرا حتى تضعضع أمرهم، فخاطبهم الملك الكامل ليخرجهم من بلاده، وأراد أن يعطيهم عدة بلاد نظير دمياط فأبوا، فحصرت المسلمون الأفرنج بأن قطعوا علهيم قطعا من ترعة المحلة أغرق جميع الزراضى التى تفصل الصليبيين عن دمياط، وباتوا يشكون الجوع والغرق، ولذا ندموا على رفض المعاهدة وطلبوا أن ينسحبوا من القطر بدون مقابل، فالملك الكامل قبل فى ١٧ رجب أن يعطى كل من الفريقين رهاين مكان ذلك، وسارت الافرنج إلى دمياط

وعزل فى ثانى عشر محرم. وكانت مدته ثلاث سنوات واثنى عشر يوما. وفى آخر مدته ظهر الدخان فى مصر وارخوه دخان نار الصهبة[1] وهو الذى قامت الاسباهية عليه وقتلوا كيخيتة وكتخدا الجاوشية والترجمان، وقطعوا رءوسهم، واشهروهم فى البلد، ثم علقوهم فى باب زويله، على الخشبة التى صلبو طومان باى عليها فلما اتصلت الأخبار الى الاعتاب العلية ارسلوا له العزلان. وجاء مسلم على باشا.

٣٠. ذكر تولية على باشا السلحدار المكرم عفى الله عنه

قدم الى مصر فى عاشر صفر سنة ١٠١٠، فاستمر واليا بها الى سادس ربيع الثانى سنة ١٠١٣[2]. وكانت مدة ولايته سنتين وشهرين وعشرين يوما. وكان سمينا، شجاعا كريما، سفاكا لدماء المفسدين. وكان فى زمنه الغلاء العظيم. وسبب ذلك قلة وفاء النيل. بحيث ان أمين الحسبة[3] أوقف ناسا على الأفران، يمنعون الناس من خطف العجين من المواجير، والخبز

(١) الصهبة: الاسم الذى تطلقه العامة على الجلسة التى يتعاطى فيها متعودوا التدخين شرب الدخان بصورة جماعية، وكتب عنوان جانبى «اعرف ظهور الدخان بمصر».

(٢) مدة ولايته: ١٠ صفر ١٠١٠/ ٦ ربيع الثانى ١٠١٣ ـ ١٠ أغسطس ١٦٠١/ ١ سبتمبر ١٦٠٣م.

(٣) أمين الحسبة: هو الشخص المسئول عن الأشراف على طوائف الحرف القائمة على صنع المأكولات. للتأكد من صحتها وخلوها من الغش، ومراقبة الأوزان والمقاييس والمكاييل، ومعرفة الأسعار، ومعاقبة=

من سنة ١٢١٦ إلى ١٢٣٥م.

فم بحر المحله البحرى وقطع بين مراكب الافرنج وبين الثغر فصاروا لا يصل اليهم ميره لا براً ولا بحراً ولا يجيهم خبر عن دمياط ولا يجيها عنهم خبرا، واستمروا على ذلك اياما والمسلمون كلما مروا [مرت الايام] فى قوه وهم كلما مروا فى ضعف. وفرغت ازوادهم وعاينوا الهلاك فاجمعوا امرهم فى ليلة صبيحتها الجمعه رابع النسى على

وسلموها إلى رجال الملك الكامل فى ١٩ رجب من هذه السنة = ٩ سبتمبر، ثم دخل الملك الكامل دمياط بأخوته وعساكره، ثم عاد إلى المنصورة، وعاد المعظم عيسى إلى دمشق وبقية الملوك إلى بلادهم، كذا رجع الملك الكامل إلى القاهرة وانتقل من دار الوزارة وسكن قلعة الجبل.

(*) [١ توت سنة ٩٣٨ = ٢٩ أغسطس ١٢٢١ = الأحد ٩ رجب سنة ٦١٨].

(*) ١ يناير ١٢٢٢ = ٦ طوبه ٩٣٨ = السبت ١٦ ذو القعدة سنة ١٦ ذو القعدة سنة ٦١٨].

من الأسواق. ثم أنه شرع فى بيع قمح العنبر الشريف[١] الى الأفرنج، فى الجلود على هيئة البهار، فعند ذلك قامت العسكرى عليه، وقالوا له: كيف تبيع القمح للأفرنج بستين فضة، وقد أكلت الناس بعضها بعضا من الغلاء. والقمح يباع بستة وثلاثين نصف فضة، وتطمع فى أربعة وعشرين نصفا[٢] زيادة فى كل ويبة[٣]. فبطل بيع القمح للأفرنج.

وجاء النيل بزيادة وعملوا المقياس بحسب العادة. وسرق نحاس الباشا ليلة الجبر[٤] من المقياس. ثم أعقبه الفنا الذى لم ير مثله ولم يسمع به. وأمر الوزير ان لا يكشف على أحد من الموتى ولا يستأذن عليه. وكفن الوزير من الموتى ما لا يحصى عنده الا الله تعالى. وصلى على الأموات فى الجامع الأزهر على ألف[٥] فى كل يوم [لمدة] ٣٥ يوما. وله من المآثر الحميدة

= كل مخالف لها. والتشهير به، وكان يقوم هو ورجاله بعدة حملات تفتيشية على الأسواق المنتشرة فى القاهرة، وبولاق، ومصر عتيقة، وكان دائما يختار من بين رجال أوجاق الجاويشية.

(١) قمح العنبر الشريف: وهى كميات القمح الميرى التى كانت تجبى من ولايات الوجه القبلى،وتصرف منها الجرايات والعليق لكل من يستحقها، واذا توفرت الغلال بعد ذلك، تطرح فى أسواق القاهرة والاسكندرية ورشيد، لتوفير القوت للأهالى أولا، فاذا تبقى فائضا بعدئذ، فيجوز لأمين الشونة بيعه للتجار الأجانب (الأفرنج)، القادمين للثغور، بعد موافقة الباشا، والدفتردار، وواضح من النص، أن الباشا تصرف تصرفا مخالفا للقواعد المتبعة، انظر. عراقى يوسف، المصدر السابق، ص١٨٧ ـ ١٨٨.

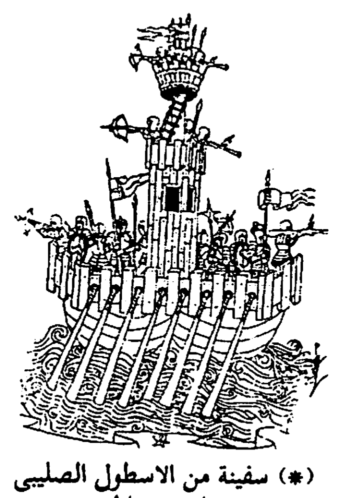
(٢) قدم وأخر.

(٣) سدس أردب.

(٤) بالأصل «الجيزة».

(٥) كررت كلمة «الف» بالأصل وشطبت.

ان يوقدوا النيران ويتركوا بعض الخيام التى لاحاجة لهم بها ويرحلوا ويصدموا العسكر الذى بينهم وبين دمياط فانه لا تقوى بهم ويتلاقوا بالثغر ويحفظوا الجدار فانهم اذا حفظوه لم ينتفعوا. فوشيت بهم الى السلطان فى ليلتهم فركب وركبت العساكر وكان زمان [فيضان] النيل وهم اغرارا [جاهلون] بالبلاد فامر السلطان بفتح الترع الذى فى طرقهم وكسر الجسور وبحريتها من كل



(*) سفينة من الاسطول الصليبى تهاجم دمياط.

بالقاهرة، السبيل الذى بقرب الامام الشافعى المعروف بسبيل على باشا، وجدد قلعة خان يونس[1]، وعين لخان يونس أربعين راكبا، وعشرين راجلا، وعين لهم جرايات وجواميك، وما يكفيهم. ثم ان الوزير عزم على التوجه صحبة الخزينة العامرة، لما بلغه ان فى طريق الخزينة جماعة من الباشوات عصاة خوارج، يريدون أخذها. فكتب معه من العساكر المصرية ما يحتاج اليه الأمر، من آلة الحرب والمدافع. ونصب خيامه بالعادلية، وعمل ديوانا عظيما، واقام مقامه برى بيك أمير الحاج قايم مقام وأخذ معه خزنتين كاملتين، وتوجه بها الى الديار الرومية. ثم أن الأمير بيرى بيك توفى الى رحمة الله خامس عشر شعبان سنة ١٠١٢[2]. ثم ان الصناجق اجتمعوا، وولوا عثمان بيك الخطاط: وعثمان بيك هذا صاحب تسبيح البردة التى أولها «الله يعلم ما بالقلب من ألم» وكانت[3] بيرديات على باشا يعمل بها من يوم خروجه من مصر، الى حين ورد الى قورط قلاغى (لفظ تركية معناها بالعربى ودن الديب)، أتته الوزارة العظمى[4]، الى ان وصل الى تونية، اتته بجلوس السلطان أحمد[5] فاجتهد فى السير الى ان وصل الى دار السعادة. تلقته اكابر الدولة السلطانية، فاجتمع بالسلطان احمد فقلده الوزارة

(١) قلعة خان يونس: تقع على الحدود الشمالية لشبه جزيرة سيناء، وكان يعسكر بها جماعتان من جند الفرسان والمشاة، عراقى يوسف، المصدر السابق، ص٩٩.
(٢) ١٨ يناير ١٦٠٤م. (٣) بالأصل «وكان». (٤) بالأصل «العظمة».
(٥) هو السلطان أحمد الأول، وتولى السلطنة ١٦٠٣/ ١٦١٧م.

جانب وهم يتحاملون الى ان وصلوا البرمون(*) فرأوا انفسهم فى وسط الطوفان لا مسلك لهم فاجتمعوا فى موضع واحد واشتد القتال بقية ليلة الجمعة ويوم الجمعة وليلة السبت الى ان تضحى نهار السبت والرسل تتردد والسلطان يضرب الراى مع الجماعة ويعرفهم ان هذه الجماعة من الافرنج هالكة الا انها لا تهلك حتى تهلك مثلها من المسلمين ثم لا يسلم دمياط ابدا لانه كان بها تسعون الف مقاتل خارجاً عمن خرج وقد عملوا

(*) البرمون: من البلدان القديمة قرب المنصورة. وفى تاريخ سنة ١٢٣٠هـ قسمت إلى ناحيتين إحداهما البرامون وهذه هى التى كانت تعرف بالبرامون القبلى بالنسبة لموقعها من البرامون البحرى وهو كفر البرامون.

العظمى. فكان عل باشا آخر من ولاه السلطان محمد ابن مراد، وكان اول من ولى على مصر فى دولة السلطان أحمد، ابراهيم باشا الوزير.

٣١. ذكر تولية ابراهيم باشا
اول نياب السلطان أحمد

قدم الى مصر من طريق البحر رابع عشر ذى الحجة ختام سنة ١٠١٣، فاستمر واليها بها إلى ان قتل فى ثالث عشر ربيع آخر سنة تاريخه[١]. فكانت مدة ولايته أربعة اشهر وعشرة ايام. ولما وصل الى بولاق استقبلته العساكر على حكم العادة، وطلبوا منه التراقى[٢] الذى جرت به العادة، فامتنع عن ذلك، وأغلظ عليهم فى الجواب. فقاموا عليه جميعا قومة واحدة، أهدموا عليه الوطاق واخذوا منه التراقى بالقهر والغلبة عليه. ولما دخل الى مصر، اراد ان ينتقم منهم، فشرع فى قتل العسكر بأدنى سبب، وشنق من الاسباهية رجلا بسرواله فى باب زويله على سبيل الدهيشة، الذى مقاصد باب زويله. ولما كان زمن النيل ركب وتوجه الى بولاق،

(١) مدة ولايته: ١٤ الحجة ١٠١٣/ ١٣ ربيع آخر ١٠١٣هـ - ١٤ مايو ١٦٠٤/ ٨ سبتمبر ١٦٠٤م ذكر كل من المؤلف، وصاحب التحفة ص١٧٨، ان تاريخ قتله ربيع آخر ١٠١٢، وهو خطأ، حيث انه ولى شئون مصرر فى ١٤ ذى الحجة ١٠١٢هـ - ١٤ مايو ١٦٠٤ واستمر واليا أربعة أشهر، فيكون تاريخ قتله ١٣ ربيع آخر ١٠١٣/ ٨ سبتمبر ١٦٠٤.
(٢) التراقى: المكافآت المالية التى كان يقدمها الباشا من الخزينة ساعة قدومه الى كبار رجال الاوجاقات.

عليها سبعة خنادق ويضعف الناس عن نظرها فضلا عن النزول عليها لانهم لا يفنون هذه الشريذمة(*) حتى تفنى اضعافها فاجتمع رايهم على الصلح وترددت الرسل بينهم وتقرر الصلح على ان يسلموا دمياط وترد كل فئة ما عندها من اسرى الاخرى من قديم الزمان والى الان وتقرر الصلح ثمان سنين. ونزل الملك [ملك الفرنجه] والملكان والمقدمين عند السلطان الى ان تسلموا دمياط. واخذوا الفرنج عندهم رهاين عليهم خشية من ان يغدرو بهم الملك الصالح ابن السلطان

(*) الشريذمة: تصغير شرذمه بمعنى الفئة القليلة العدد.

لأجل قطع جسر أبي المنجا فلما نزل بناحية شبرا، فى الكشك، ومعه قاضى العسكر عرب زادة وابن خسرو[1]، هجم عليه طايفة الاسباهية وضربوه بالسيوف وقطعوا رأسه فأراد ابن خسرو ان يمنعهم عنه فقتلوه، وقطعوا رأسه، وحملوها على رمحين وشقوا بهما القاهرة من أولها الى آخرها، ثم انهم علقوهما محل ما علق الاسباهى. ثم اجمع رأيهم على أن يجعلوا عثمان بيك الخطاط قايم مقام فأبى، فجعلوا عرب زادة قاضى العسكر قايم مقام. ثم أعرضوا الى الديار الرومية، فبعد خمسين يوما جاء، مسلم محمد باشا الجرجى الى مصر القاهرة.

٣٢. ذكر تولية جرجى محمد باشا الوزير عفى الله عنه

قدم الى مصر من طريق بحر دمياط فى خمسة وعشرين رجب ١٠١٣، فاستمر واليا بها سبعة أشهر واثنى عشر يوما. وعزل فى أواخر صفر سنة ١٠١٤[2](١٥٩).

ولما استقر فى مصر ورد عليه خط شريف أن يتقيد بالطايفة (الذين)[3] كانوا السبب فى قتل ابراهيم باشا، فلما قرء الخط بالديوان، اجابوا بالسمع والطاعة. وكتبوا له دفترا بأسمائهم

---

(١) بالأصل «حرف» والتصويب من كشف الكربة، ص٣٢٥، «بلوغ الأرب»، ص٢٩٦.
(٢) مدة ولايته: ٢٥ رجب ١٠١٣ ـ أواخر صفر ١٠١٤هـ ١٨ ديسمبر ١٦٠٤ ـ اوائل يولية ١٦٠٥م.
(٣) اضيف الاسم الموصول لايضاح المعنى.

وقطب الدين اخاه وشمس الدين بن اخته وجماعة من اكابر الامراء فتركوهم فى مركب برا البحر المالح [المتوسط] واحسن السلطان الى الملك والذين معه احساناً ما روى مثله وقام لهم بكلما يحتاجونه واكرمهم كرامة عظيمة وامر بأن يحمل الى معسكرهم من الخبز والرمان والبطيخ ما لا يحصى، وامر الناس ان يعبروا الى وطاقهم ويبايعوهم ويشاروهم فصار مخيمهم كانه سوق من اسواق المسلمين وباعوا واشتروا. وفرح السلطان والمسلمون فرحاً عظيماً لانهم كانوا



(*) دار ابن لقمان حيث سجن الملك لويس التاسع بعد اسره فى المنصورة

جميعا. فاجتهد فى قتلهم وتحصيلهم، الى ان قتل منهم ثلاثماية نفر[1] خارجا عل ما نفاه، ولو طالت مدته لقتلهم جميعا، ولكنه عزل لأجل الوزارة العظمى، وتول بدله لمحافظة مصر حسن باشا.

٣٣. ذكر تولية حسن باشا الوزير
عفى الله عنه

قدم الى مصر فى غرة ربيع اول سنة ١٠١٤، فاستمر واليا بها الى ان عزل فى آخر صفر سنة ١٠١٦[2]، وكانت مدته سنتين. وكان قدومه من اليمن وكان واليا بها. وكان معه هدية اهداها الى السلطان أحمد، وهى سرج من ياقوت احمر، وركاب من الزمرد الأخضر. وكان ذلك لحسان ملك التبع[3]. وكان حليما، عادلا، صافى السيرة، مايلا لفعل الخير. وهو الذى عمر صحن الجامع الازهر وفرشه ببلاط، واحدث رواق اليمن، وعمر الخزاين الخشب لحفظ كتبهم وأسبابهم[4]. وفى أيامه سكنت الفتنة بمصر، وبطل القيل والقال.

(١) بالأصل «نفرا».
(٢) مدة ولايته: غرة ربيع أول ١٠١٤/ آخر صفر ١٠١٦هـ ــ ١٧ يولية ١٦٠٥/ ٢٨ مايو ١٦٠٧م.
(٣) كتب عنوان جانبى «اعر ف هذه الهدية من بقايا تحف حسان ملك تبع الخ».
(٤) كتب عنوان جانبى «اعرف من فرش الجامع الأزهر بالبلاط وأحدث رواق اليمن».

مترقبين انهم مغلوبون وان البلاد قد خرجت من ايديهم وقد كانوا اعطوا القدس والساحل وقطيعة اخرى فداء لدمياط فما فعل الافرنج واعطوها هكذى فكان موضع السرور والغبطه لهم.

ودخلت سنة ثمان وثلثين وتسع مايه [١٢٢١م]وفى اثنا هذا وصلت خمسة واربعين شينيا من عسكر الانبرور [الامبراطور] وهو هنا فردريك الثانى. الذى كان جانبا [جائيا] فى النجده الى دمياط فلما سمعوا ماجرى من الهدنه

وفى أيامه كان دخول ابن جنبلاط الخارجى الى الشام، ثم عزل وتولى على مصر القاهرة محمد باشا المعروف بقول قران.

٣٤.ذكر تولية محمد باشا المعروف بقول قران

قدم الى مصر فى سابع صفر سنة ١٠١٦، وعزل فى غرة جماد اول سنة ١٠٢٠[١] وكانت مدة ولايته أربع سنوات وأربعة اشهر. واول ديوان جلس فيه أبرز خطا شريفا[٢] بالتفتيش على من قتل ابراهيم باشا، وقتلهم عن آخرهم. فلما قرى الأمر بحضرة الصناجق والاغوات سكتوا ولم يجيبوا بحرف واحد. فسألهم عن القاتلين، فلم يجيبوا، فسألهم ثانيا وثالثا، فكان من جواب اختيار الجاوشية والمتفرقة، بعد السؤال الثالث من الوزير[٣] ما قتله الاسباهية الا بمعرفة الصناجق فعندذلك رفع الوزير صنجقيتهم. وهم الذين كانوا السبب فى قتل الباشا. وكانوا ثلاثة عشر صنجقا فنفاهم الى أبريم[٤]. وأبرز خطا

---

(١) مدة ولايته: ٧ صفر ١٠١٦ ـ غرة جماد أول ١٠٢٠/ ٤ يونية ١٦٠٧ ـ ١٢ يولية ١٦١١م.

(٢) بالأصل «خط شريف».

(٣) اضيف حرف «من» لايضاح المعنى.

(٤) ابريم: احدى قرى مركز عنيبة محافظة أسوان، وهى من القرى القديمة، وسميت فى فترة باسم «القبض» لأنها كانت مركزا لاقامة القابض أى الصراف، المعين لتحصيل الأموال الأميرية المقررة على اراضى بلاد مركز الدر، كما اشتهرت بأنها منفى للأمراء المماليك وقت الاحتلال العثمانى.

وان الملوك رهاين رجعوا. واخذ السلطان يجهز الافرنج للرواح فمنهم من راح فى البحر فاعطاهم الازواد والاقامات وجهز معهم اخاه صاحب قلعة جعبر(*) حتى سيرهم. ومنهم من مد لهم الجسور الى بر الغرب حتى عبروا سايرين الى دمياط لان بر الشرق ما كان يحق لهم والمرمه العظيمه التى لهم ومراكبهم حولها محاذيه لهم فى البحر وما زالوا اياما حتى وصلوا وسافر اكثرهم وخرج من

(*)جعبر : قلعة على نهر الفرات.

شريفا[1] بابطال الطلبة[2] وهى مظلمة كانت الاسباهية تأخذها[3] من رعايا مصر القاطنين بقراها. فلمات بطلت الطلبة تحركت الاسباهية وشرعوا فى الفساد، وهجموا على كاشف الغربية[4] وكان حسن كاشف الحلوجى، فخاف منهم فنزل «من»[5] مركب الى مركب الى ان غرق فى بحر النيل. فلما بلغ الوزير نزل الى قراميدان[6] وطلب أعوان الاسباهية وقتل من انفارهم طايفة. ولم يزالوا على عنادهم، وارسلوا جمعوا انفارهم ومضوا الى ناحية الخانقة[7] فلما بلغ الخبر الى الوزير عين عسكرا، وجعل صارى عسكرهم، قجة[8] مصطفى بيك وخرجت معه الصناجق والأغوات والنفر، ومعهم المدافع، ووصلوا يوم السبت الى الخانقاة،

(١) بالأصل «خط شريف». (٢) بالأصل «الطلعة». (٣) بالأصل «اخذها».
(٤) بالأصل «البحيرة» والتصويب من التحفة ص١٨٠، كشف الكربة، ص٣١٤، «بلوغ الأرب» ص٣١٦.
(٥) بالاصل «ف».
(٦) قراميدان: هو الميدان الممتد اسفل سور القلعة، وكان يطلق عليه احيانا ميدان الرميلة ومكانه الحالى، منطقة المنشية وميدان صلاح الدين، اسفل القلعة، بقسم الخليفة.
(٧) الخانقة: هى خانقاه سرياقوس، حيث أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون فى ٧٢٣/ ١٣٢٣م خانقاه اى دارا للصوفية وبنى بجوارها مسجدا وحماما، وعمر قصورا وبيوتا وتمت هذه العمارة ٧٢٥هـ ١٣٢٥م ثم اقبل الناس على البناء والسكنى حولها حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس، وظلت تابعة لسرياقوس حتى فصلت عنها فى تربيع ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م وأصبحت ناحية قائمة بذاتها. محمد رمزى، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٢.
(٨) فى التحفة، ص١٨٠ «قوجه» بمعنى العظيم.

بقى بدمياط الـــى اجرمها(*) وسلمت دمياط فى العشر الاول(*) من توت وسار السلطان اليها هو والعساكر وبقى بها الى ان سافر بقية الافرنج وودع الملوك الافرنجيه من البحر وعاد الى اشموم وبقى بها الى ان ودع اخوته وعساكر الشام والشرق وعاد الى القاهرة فعبراليها فى نهار يوم الجمعه الثامن من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وستمايه وكان عبوره يوماً ما شهد [مشهود] وزينت المدينتان زينة ما روى مثلها وفرح الناس وامنوا

(*) الاجرام: هي السفن. وكان هذا الخروج من ٢٩ اغسطس إلى ٧ سبتمبر بحسب التقويم الجولياني.

(*) العشر الاول: الشهر ثلاث اقسام كل قسم ١٠ أيام بحسب التقويم المصرى.

(*) أهم أحداث سنة ٩٣٨ق. = ١٢٢٢م. = ٦١٨هـ.

* فيها استقل بدرالدين لؤلؤ بملك الموصل، وتسمى لؤلؤ بالملك الرحيم.

وفيها سار الأشرف وأقام عند أخيه بمصر متنزها.

وفيها قصد المعظم، صاحب دمشق، حماه، لأن صاحبها الناصر،

فلما رأى العصاة كثرة العسكر التى اتت من مصر، نزل الرعب فى قلوبهم واستسلموا، وأتوا طايعين. فوضعوا فى رقابهم الحديد. وكانوا ثلاثة عشر جربجيا[1] وماية من النفر وخمسة من اكابرهم المغامرين الذين (حقروا الدولة)[2]. ونفى نحو الاربعماية من النفر الى اليمن. وكانت الواقعة فى الحجة سنة ١٠١٧[3] ووافق قتلهم «تاريخ بظلمهم» وابطل الوزير الطلبة، وجعل للكشاف قانونا لا يتعدونه، وجعل المشاق مالا مقررا، وعوايد المال الصيفى والشتوى. وكانت قبل ذلك ليس لها قانون، بل كانوا يتجاوزون الحدود فى طريقهم. وكانوا يصرفون الجامكية فى ثامن عشرين فى الشهر. وفى سنة ١٠١٨ توقف النيل الى ايام النسيء، فحصل الغلاء الشديد. وفى سنة ١٠١٩ او فى النيل آخر يوم من أبيب[4] فعاد الرخا المفرط. ثم جعل مكانه حاجى افندى قايم مقام، وتوجه الى الديار الرومية، ولما طلع من مصر، طلع بمال عظيم. وتولى مكانه على مصر محمد باشا.

---

(١) جربجي: رتبة عسكرية تعادل فى الرتب الحالية رتبة «نقيب» ويذكر صاحب التحفة، ص١٨٠، انهم ثمانية عشر جربجيا.

(٢) بالأصل «حقوا الدولتين» وصحتها ما أثبتناه.

(٣) الحجة ١٠١٧هـ/ مارس ١٦٠٨م.

(٤) ايب هو الشهر الخامس من شهور السنة القبطية، وآخر ايب فى السنة المذكورة (آخر ايب ١٣٢٧ قبطية) ٣ أغسطس ١٦١٠م.

وبلغ النيل فى هذه السنة الى [سبعة عشر ذراع].

وصارت بين السلطان وبين ملك عكا [جان دى برين] صداقة عظيمة اكيده والهدايا تحمل من هذا الى هذا وتزاحمت الظنون فقوماً قالوا انه كان مخامراً وانه الذى فعل بالفرنج هذه الفعله وقوم قالوا ما كان عن رضاه وانما اللكات (*) الذى اشار بالخروج وما امكنه ان يخالفه ليلا ينسبه الى المخامره ولقد قال له [اللكات:] ينبغى ان لا نخرج

الذى اغتالها بخديعة الوزير زين الدين والكبراء، لم يف للملك المعظم بما التزمه من المال، وجرى بينهما قتال شديد، ثم رحل المعظم فاستولى على سلمية وحواصلها.

* [١ توت ٩٣٩ = ٢٩ أغسطس ١٢٢٢ = الاثنين ١٩ رجب سنة ٦١٩].

* فيها حصلت زلازل عظيمة فى المانيا.

* [١ يناير ١٢٢٣ = ٦ طوبه ٩٣٩ = الأحد ٢٦ ذو القعدة سنة ٦١٩].

(*) اللكات : ملك عكا .

---

٣٥. ذكر تولية محمد باشا الصوفى عفى الله عنه

قدم الى مصر من طريق البحر سنة ١٠٢٠، فاستمر واليا بها الى ان عزل فى ثامن ربيع الأول سنة ١٠٢٤. وكانت مدة ولايته ثلاث سنوات ونصف(١) وكان محبا لأهل العلم، صالحا، ولم يحب الظلم للرعايا. وانما كان له رجل(٢) يقال له يوسف أغا، وكان شهر حوالته(٣)، وكان قد القى الله محبة ذلك الأغا فى قلب الوزير. وكان يدلس عليه. وكان كل شيء شرع فيه الوزير يخالفه فيه، ويدخل عليه بأمور لم يسع الوزير مخالفته. وكانت جميع الامور مقاليدها بيده. ان قال له افعل هكذا فعله، وان لم يقل لم يفعل. ووقع له فى ايام ولايته ان طايفة من القابى قول(٤) الذين فى الديار الرومية. وقع منهم طغيان فاحش وفساد كبير. وكانوا ماية نفر غير اتباعهم. فجهزوهم الى مصر. فلما ورد الى مصر اعقبهم خط شريف بنفيهم الى بلاد اليمن، فلما امرهم الوزير بالتوجه الى اليمن، امتنعوا واظهروا العصيان،

(١) مدة ولايته: ١٦١١/ ٧ أبريل ١٦١٥م. (٢) بالأصل «رجلا».

(٣) شهر حوالته: الحوالة هو الشخص المخول بجمع الأموال الأميرية من العمال المكلفين بتحصيلها، وسمى شهر حواله لقيامه بجمع الأقساط الشهرية، قانون نامة عن مصر، مادة ٢٤، ص٣٩.

(٤) القابى قول: نوع من جند الانكشارية، كانوا يدربون تدريبا خاصا، ويستخدمون فى قصر السلطان حيث يرتقون حسب كفاءتهم الى اعلى المراتب فى الدولة كالوزارة العظمى، أو حكومة الولايات ثم اصبح هذا الاصطلاح يطلق على جند الانكشارية عامة بعد ان انتسب المسلمون الأحرار الى الانكشارية، دكتور عبدالكريم رافق، المصدر السابق، ص٧٣ ـ ٧٤.



* الملك فردريك.

من بلدنا هذا [يعنى دمياط] حتى يأتى تحدثنا [نجدتنا] الامبرور [الامبراطور] فردريك الثانى: ويحق اذا بقينا ورا خنادقنا الف سنه ما نلتفت لاحد ولوجآء عدد الرمل [عساكر] وهذه العساكر التى تسمع بها فما يثبتوا عندنا لان ما فيهم الا وراه شغل وله عدو فغايتهم ان ينزلوا علينا شهراً اثنين ثلاثة فلا ينالون منا طايلا فيرجع كل واحد الى موضعه فنقوى نحن وتقوى عزايمنا ويقل عدونا وتضعف نفسه. واذا ملكنا مصر فى عشرين سنة نكون قد استعجلنا. فما قبل منه بل قال :

وقطعوا الطريق التى لباب النصر، وسدوا طريق الركن[1] وبنوا حايطا وتحصنوا من ورايه. فعين الوزير لهم عسكرا فتوجهوا اليهم وكلموهم بالمعروف فابوا الا العصيان. فلما بلغ الوزير ذلك، جهز لهم عسكرا وصناجقا وامرهم بمحاربتهم. فضربوا عليهم المدافع ثلاثة ايام، فقتل من البغاة ثلاثة انفار ففتحوا باب النصر وهربوا. فمسكوهم عن آخرهم، ولم يعدم منهم الا الثلاثة انفار الذين هلكوا. فاحضروهم بين يدى الوزير، وامروا لهم بالعلوفة والذخيرة سلمت اليهم. وفى ثانى يوم توجهوا الى العادلية، ومنها الى السويس وسافروا الى جدة وكفى الله المؤمنين شرهم. ومن مآثره الحميدة، التكية التى بالحطية تكية الشيخ نظام الدين، فانه عمرها وجعل لها وقف يكفى ارباب شعايرها ومجاوريها، وهى معمورة الى يومنا هذا. ثم بعد ذلك اتاه العزلان، وفوضت محافظة مصر[2] لأحمد باشا.

٣٦. ذكر تولية أحمد باشا الوزير

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى عاشر ربيع الثانى سنة ١٠٢٤، فاستمر واليا بها الى ان عزل فى ثانى

(١) فى التحفة، ص١٨١ «وسدوا طريق الركن المخلق (باب الخلق) الذى بقرب بيت القاضى»، تاريخ ملوك ال عثمان، ورقة ١٢٠.
(٢) بالأصل «مخاطفة».

انت مخامر. قال : انا اخرج معك وارادة الرب تكون. فخرجوا حتى [جاوا] شهر مساح فقال له: ينبغي ان تقيم ها هنا هذه السنة ونحفر علينا خندقا ونزرع من هنا الى دمياط ومراكبنا تجينا والطير ما يقدر يطير بيننا وبين دمياط فاذا انفض هذا الجمع وجات نجدتنا كانت مصر قدامنا فى يومين بلا مانع. فقال: انت مخامر ما اخذ مصر الا فى هذه الايام. فصاروا حتى بلغوا مقابل فم بحر المحله الذى قدام البرمون الذى خرجت منه مراكب



* جنود فردريك

عشر صفر سنة ١٠٢٧[١] فكانت مدة ولايته سنتين ونصف واثنى عشر يوما، ودخل الى مصر فى موكب عظيم لم يسبق لغيره. ولما مر بالسوق المعروف بالباسطية قرب باب زويلة سقط عليه حجر من ربع هناك فكسر الريشتين اللتين على الطلخان[٢]. فلما استقر بالديوان امر زعيم مصر[٣] ان يتوجه الى سوق الباسطية ويأتيه بألرجل الذى القى الحجر عليه. فتوجه الوالى وقبض على الرجل. واحضره بين يدى الوزير. فسأله الوزير عن سبب القاء الحجر فأقر الرجل انه وقع غصبا عنه. فشهدت عليه جيرانه بأنه لم يرمه الا قصدا. فكتب عليه حجة، وامر الوالى ان يصلبه فى محل القى الحجر، فكان كذلك، وفى زول سنة من ولايته، ورد الى مصر اربعة خطوط شريفة بتجهيز اربع سفرات: واحدة للعجم، والثانية لليمن، والثالثة للحبشة، والرابعة لاوجله[٤]، فجهزها فى ستين يوما، ولم يحصل للرعايا ضرر من العسكر لا

(١) مدة ولايته: ١٠ ربيع الثانى ١٠٢٤/ ١٢ صفر ١٠٢٧هـ - مايو ١٦١٥/ ٢٩ يناير ١٦١٨م.
(٢) بتحفة الاحباب، ص١٨٢ «فكسروى الريشتين اللتين فى تاجه».
(٣) زعيم مصر: هو نفسه والى القاهرة، وكان يعرف كذلك باسم «الصوباشى»، وكان يشارك اغا الانكشارية فى حفظ الأمن فى القاهرة، وله سلطة اعلى من زميليه، زعيم بولاق، وزعيم مصر القديمة.
(٤) اوجلة: واحة فى طرابلس الغرب، تشتهر بالنخيل، وقد وجدت بالقاهرة فى العصر العثمانيى، جالية أوجلية، تشتغل بالتجارة فى القاهرة، حيث نعثر فى سجلات محكمة القسمة العسكرية على بعض المغاربة الذين ينتسبون الى هذه الواحة وهذا يؤكد أن كلمة مغاربة لا تطلق على أهل المغرب الحالى فقط، انظر، سجلات القسمة العسكرية، سجل رقم (١٤٠)، مادة (١٤٦)، ص١٠٩.

المسلمين، فقال له هذا البحر ما علينا اضر منه اعطنى هذه المركب الكبير الذى معك نحطه فى فم هذا البحر ونجعل معه عشر شوانى تمنع الهواء يعبر من هنا ونأمن شره. فقال : وحق دينى ما احط هذه الصلبان التى على رأس هذا الصارى الا على سور القاهرة. قال له : سر وسوف نرى ما يجرى. وانه لو لم يكن فعل ذلك كان الافرنج قد اهلكته. ثم خرج السلطان الى ابيار اقام بها مدة الصيف ثم انحدر الى دمياط وامر بان يعمل جسراً

فى عرض ولا فى مال، وبعد ان صرف علوفاتهم وجراياتهم على حكم العادة، أعطى لكل واحد من النفر احسانا على قدر مراتبهم، من عشرة دنانير الى ثلاثين دينارا. فخرجوا من عنده داعين له بالبقاء. وكان يتقيد فى القصص [القصاص] والدعاوى، وكان ينظر فى أحوال الرعايا، ويتقيد بهم، ويعتنى بها، ويعلم على العرض بيده، ويأمر المعين[1] ان يتقيد بخدمته على وجه الحق وان «كان»[2] خصمه صنجقا. ويجرى الأحكام على الشريعة المطهرة، وجاء فى أيامه غلاء فبيع الأردب القمح بتسعين نصفا فضة، فنادى ان لا يباع بأكثر من أربعين فضة، وارسل الوالى الى مخازن القمح كسرها، ثم سار الى الخانكة والى بلبيس وصحبته الوالى والمحتسب خفية، واخرج القمح المخزون واوثقه على الجمال والحمير واوصله الى مصر، واوقع القتل فى أصحاب الخزاين، وارسل أكثرهم الى المقداف [أى العمل فى الاسطول سخرة] فبعد ذلك انحط السعر الى ثلاثين نصفى[3] الأردب.

وحصل فى ايام توليته ان الريح ارسل مركبا من مراكب الافرنج العصاة الى ثغر دمياط فانكسرت وغرق البعض وأسر البعض الذى سلم. وكانوا ثمانين نفسا، فاسلموا خوفا من القتل، مكيدة وخبثا، فزفهم الباشا فى مصر على الخيل ثم ختنهم ثم بعد ذلك اختفوا وفروا

(١) المعين: الرسول المكلف بتنفيذ الأوامر التى تصدر من الادارة.

(٢) أضيف الفعل «كان» لايضاح المعنى.. (٣) بالأصل «نصف».

على بر البحيرة من بوره(*) الى البحر المالح [المتوسط] يمنع ماء البحر ان يفيض على البحيره ووظف على الامرا والاجناد كل صاحب الف دينار حراقتين ففعلوا ذلك وفرغ الجسر ثم شرع فى عمارة بر الجيزة قلعة حوالى النيل وجعل فيها عشر برجاً وطرح الابراج على الامرا على قدر قوتهم فمنهم من طرح عليه برجاً بمفرده ومنهم اثنان فى برج واخرون ثلثه وأربعة فى برج. ودخلت سنة تسع وثلثين وتسع مايه للشهدا الاطهار(*) وانتهى

(*) بوره: على مدخل بحيرة البرلس المطل على البحر المتوسط.

(*) ٩٣٩ش = ١٢٢٣م

الى ارضهم وبلادهم. فلما تولى السلطان مصطفى خان(*) انعم على مصطفى باشا بمحافظة مصر.

٣٧. ذكر تولية كفكلى مصطفى باشا
عفى الله عنه

قدم الى مصر فى غرة جماد اول سنة ١٠٢٧، فأقام واليا بها الى سنة ١٠٢٨(١) فكانت مدتة تسعة أشهر ونصف. وكان عاقلا، صالحا، ومن عادة اهل مصر [من العسكر أنهم] لا يحبون العاقل، فتحركت العسكر فى زمانه، وتساوى الكبير بالصغير منهم، فصاروا يولون المناصب بمعرفتهم، ويعزلون بمعرفتهم، ثم صاروا يتغلبون عل الملتزمين، ويأخذون كل قرية اعجبتهم، من يد ملتزمها بالقهر عليه والغلبة. فلما زاد بغيهم اجتمعت العسكر وفتشوا على سبب ذلك ومن فتح هذا الباب، فوجدوه من كاتب ديوان الوزير، واحمد اغا اغت الجملية، ومحمد جاويش الخزندار، ويوسف اغا الترجمان، فاحضروهم وقتلوهم. فلما اتصلت اخبارهم الى الديار الرومية، عزلوا مصطفى باشا كفكلى، وولوا مكانه جعفر باشا. وذلك سنة تولية السلطان عثمان(٢).

(*) هو مصطفى الأول، تولى السلطنة: ١٦١٧/ ١٦٢٣م.

(١) مدة ولايته: ٢٦ ابريل ١٦١٨/ ١٦١٩م.

(٢) هو عثمان الثانى، تولى السلطنة ١٨/ ١٦٢٢م.

النيل فى هذه السنة الى سبعة اصابع من ثمانية عشر ذراعاً ورخصت الاسعار وطابت الديار. وفى هذه السنة وصل الملك الاشرف سلطان الشرق الى ديار مصر على سبيل الفرجه والخدمة لاخيه السلطان الملك الكامل وتلقوه بالضيافات والاقامات من الرمل [رملة ميناء بولاق] وعبر الى القاهرة فى يوم الخميس العاشر من طوبه(*) من هذه السنة وقد زينت زينة ما روى مثلها وكان هذا اليوم من ايامها العظيمة المشهوده وتردد الملك

(*) ٥ يناير بحسب التقويم الجولياني.

---

٣٨. ذكر تولية جعفر باشا الوزير

أول نياب السلطان عثمان خان

قدم الى مصر تاسع ربيع اول سنة ١٠٢٨، وكان اول نياب السلطان عثمان فاقام واليا بها سبعة أشهر ونصف، وعزل سنة ١٠٢٨[١] وكان وزيرا عاقلا كثير الاحسان للفقراء، حدث فى زمانه الطاعون العظيم «الذى»[٢] عم اقاليم مصر[٣]، وهو الذى يسمونه بفصل جعفر[٤] وحصل منه الضرر الشديد الذى لم عليه مزيد. وقيل انهم صلوا فى الجامع الأزهر فى اليوم على تسعماية وخمسة وثلاثين. ومكث الطاعون ثمانين يوما. وابيعت النارنجية بخمسة عشر نصف فضة. لمن جعل الناس بعد الطاعون كتفاح، فاذا اعلق النارنج حصل له الشفا. ثم عزل، وفوضت محافظة مصر الى مصطفى باشا.

٣٩. ذكر تولية مصطفى باشا

عفى الله عنه

قدم الى مصر سابع عشرين رمضان سنة ١٠٣٨، فأقام واليا بها سنة وسبعة ايام وعزل فى

---

(١) مدة ولايته: ٩ ربيع أول ١٠٢٨/ ١٤ شعبان ١٠٢٨هـ ـ ٢٤ فبراير ١٦١٩/ ٢٧ يولية ١٦١٩م، تحديد تاريخ العزل من التحفة، ص١٨٤.

(٢) الاضافة لايضاح المعنى.

(٣) بالأصل «اقليم» والتصويب من التحفة، ص١٨٤، ٢٧ رمضان ١٠٢٨/ ٧ سبتمبر ١٦١٩م.

(٤) كتب عنوان جانبى «اعرف الطاعون فى مصر ١٠٢٨».

الاشـــرف فى الديار المصـــرية من القـــاهرة الى الخرقـانيه(*) الى اشمـوم الى ابيـار(*) الى جـزيرة مصر [الروضة] وكان نزوله بالجزيره فى ايام النيل المبارك وكانت النيران توقد فى كل ليلة بحمله من الشمع والزيت. وكان اهتماما ما شوهد مثله. فأما ليلة خلوق المقياس فزادوا على وقود الزيت وقيد اطواف خشب وجدروها [ثبتوها] فى البحر ووقود العشـاريه(*) والحراريق وبفرشها فى وسط البحر

(*) الخرقانية: من القرى القديمة تتبع مركز قليوب، وتقع بين باسوس و بين شلقان.

(*) ابيـار: من القـرى القـديمة كذلك تابعه لمركز كفر الزيات، عند طرف جـزيرة بنى نصـر، ويعـمل بهـا القمـاش الإبيـارى والعبـايات الغاليـة الثمن.

(*) العشـارية: هى سفـينة الاحتفال بوفاء النيل.

رمضان سنة ١٠٢٩[1] وفى زمنه قتل مصطفى بيك وفرحت الناس لهلاكه، لأنه كان جبارا، عنيدا. وانشوا فى زمنه مركبا كبيرة فى بولاق، الى ان تمت، وبعد تمامها عملوا لها عجلا وركبوها على ذلك العجل، وسحبوا العجل على الجمال الى السويس بماية وخمسين جملا، ثم ان الوزير حصل منه ظلم لطايفة التجار، ثم اتصلت اخباره الى الديار الرومية بظلمه الزايد لتجار مصر، فارسل له العزلان.

٤٠. ذكر تولية قرا حسين باشا
عفى الله عنه

قدم الى مصر عشرين رمضان سنة ١٩٢٩، فأقام واليا بها سنة وسبعة اشهر، وعزل فى تاسع ربيع اول سنة ١٠٣١[2]. ثم حصل له مرض، فأقام مريضا مدة شهرين، لم ينظر فى أحوال الرعايا[3] والعسكر، ثم شفى، فشرع فى تحصيل الاموال الديوانية، والنظر فى احوال الرعايا والعسكر، وصنع[4] ختانا لأولاده، وزينت له البلد ثمانية أيام. وجاءه من الهدايا شىء

(١) مدة ولايته: ٢٧ رمضان ١٠٢٨/ رمضان ١٠٢٩هـ ـ ٧ سبتمبر ١٦١٩/ اغسطس ١٦٢٠م.

(٢) مدة ولايته: ٢٠ رمضان ١٠٢٩/ ٩ ربيع أول ١٠٣١هـ ـ ١٩ أغسطس ١٦٢٠/ ٢٢ يناير ١٦٢٢م.

(٣) بالأصل «الرعاية».

(٤) بالأصل «ووضع» والتصويب من التحفة، ص١٨٤.

وكانت ايام كلها اعياد. ورخصت الاسعار الى الغايه حتى بيع القمح بثلثين دينار الماية اردب. والشعير والفول بعشرين دينار الماية اردب، والخبز عشرة ارطال بدرهم، واللحم بنصف وثمن درهم الرطل، والفراريج بخمسة دراهم العشره. ولم يكن شيا غالى وكان البرسيم ايام زيادة النيل بخمسة وعشرين درهما الاردب ولما نقص النيل بيع

(*) أهم أحداث سنة ٩٣٩ق = ١٢٢٣م. = ٦٢٠هـ.
* فيها رحل المعظم عن سلمية بامر الملك الكامل، صاحب مصر، والأشرف، ورجعت المعرة وسلمية للناصر.
* وفيها اتفق الكامل والأشرف وسلما سلمية إلى أخيه المظفر محمود أبن الملك المنصور، فأرسل المظفر إليها نائبا من قبله وهو حسام الدين.
* وفيها قام الأشرف فى مصر إلى حلب، ومعه خلعة وسناجق سلطانية من الملك الكامل، وأركب الملك العزيز فى دست السلطنة وعمره عشر

كثير. وزاد النيل زيادة مفرطة، ولم يهبط فى عادته واستمر الى عشرة بابه فايست الناس من عدم هبوطه. وارتفعت الأسعار، فخرج الباشا والعلماء والاشراف وأولاد المكاتب الى سبيل على باشا ودعوا الله، فهبط النيل، وابيع القمح بثلاثين نصف فضة الويبة، والصابون بعشرة انصاف الرطل. ثم اعقبه طاعون، فمكث من شهر الحجة الى غاية جماد اول[1]، الى ان بلغت الصلاة على الاموات فى الجامع الأزهر فى اليوم ستماية نفس. ثم عزل، وتولى بعده، محمد باشا البستنجى.

٤١. ذكر تولية محمد باشا البستنجى
عفى الله عنه

قدم على مصر رابع جماد آخر سنة ١٠٣١، فأقام واليا بها شهرين ونصف[2]، ثم خُلع السلطان عثمان وتولى السلطان مصطفى ثانى مرة[3]، فعزل محمد باشا المذكور وتولى ابراهيم باشا السلحدار.

(١) أى من: اكتوبر ١٦٢٠/ ٢٢ ابريل ١٦٢١م.
(٢) مدة ولايته: ٤ جماد آخر ١٠٣١/ رمضان ١٠٣١هـ ـ ١٦ ابريل ١٦٢٢/ يولية ١٦٢٢م، فى التحفة انه قدم الى مصر فى ١٤ جماد آخر ١٠٣١هـ/ ١٦ ابريل ١٦٢٢م.
(٣) تولى السلطنة للمرة الثانية ١٦٢٢/ ١٦٢٣م.

[الفـول] البـعلى بسـتـة وسـتين درهمـا الاردب والحـراتى بأربعة وخمسين درهما الاردب وهو شى عجيب لان النيل ما كان بالعالى الا انها امور بيد الله تعالى. وتحدث بعض الاراخنه مع الصاحب الوزير فى اقامة البطرك فرسم بان يطلب الحبيس الذى بابيار وان يقام عنه بخمس مـاية دينار لبيت المال وشرعوا فى طلب المبلغ المذكور وتقسيطه

سنين، وأرسل الأشرف منها عسكرا هدموا قلعة اللاذقية إلى الأرض.
* [١ تـوت ٩٤٠ = ٣٠ اغسطس ١٢٢٣ = الأربع غرة شعبان سنة ٦٢٠].
* فيها كانت وفاة فيليب أوجست، وتولية لويز الثامن.
* [١ يناير سنة ١٢٢٤ = ٥ طوبه سنة ٩٤٠ = الاثنين ٧ ذو الحجة سنة ٦٢٠].
(*) أهم أحداث سنة ٩٤٠ق. = ١٢٢٢٤م. = ٦٢١هـ.
* فيها حسن المعظم لأخيه المظفر، صاحب خلاط، العصيان على الأشرف، فعصى، وكان قد اتفق مع المعظم والمظفر غازى وصاحب اربل

---

٤٢. ذكر تولية ابراهيم باشا السلحدار عفى الله عنه

قدم الى مصر سابع رمضان سنة ١٠٣١، واقام واليا بها سنة واحدة وعزل فى سابع عشر رمضان سنة ١٠٣٢(١)، وكان حليما وجيها، ولكن حصل فى زمانه قحط عظيم، استمر مدة ولايته، ثم عزل، وتولى مصطفى باشا، ونظر فى حسابه ودفع ما كان عليه، وتوجه الى ثغر سكندرية.

٤٣. ذكر تولية باشا جنى مصطفى باشا عفى الله عنه

قدم الى مصر فى ثامن عشرين رمضان سنة ١٠٣٢، فأقام واليا بها سنتين واحد عشر شهرا، وعزل فى سنة ١٠٣٥(٢). ولما دخل مصر اقام بها احدى وسبعين يوما، وتولى السلطان مراد(٣) فأرسل له العزلان، وأولى محافظة مصر الى على باشا النشنجى، فلما بلغ أهل مصر

---

(١) مدة ولايته: ٧ رمضان ١٠٣١/ ١٧ رمضان ١٠٣٢هـ ـ ١٦ يولية ١٦٢٢/ ١٥ يولية ١٦٢٣م.
(٢) مدة ولايته: ٢٨ رمضان ١٠٣٢/ شعبان ١٠٣٥هـ ـ ٢٦ يولية ١٦٢٣/ مايو / يونية ١٦٢٦م، تحديد تاريخ العزل من التحفة، ص١٨٥، وفيها ايضا انه قدم الى مصر فى ٢٢ رمضان ١٠٣٢هـ/ ٢٠ يولية ١٦٢٣م.
(٣) هو السلطان مراد الرابع، وتولى السلطة ١٦٢٣/ ١٦٤٠م.

على الكنايس فلم يقدر عليه ولا مشى فيه حال فوقفت القضية وانقطع الحديث. وسافر الملك الاشرف من مناظر [حدائق] سيف الاسلام التى على بركة الفيل فى نهار السبت الحادى عشر من شعبان سنة عشرين وستمايه الموافق الحادى عشر من توت وخرج السلطان الملك الكامل لوداعه وكانت المصادرات على حالها والحبوس

مظفر الدين، وكان بدر الدين لؤلؤ منتميا إلى الأشرف فحصر مظفر الدين صاحب اربل، صاحب الموصل عشرة أيام ليشتغل الأشرف عن قصد أخيه بخلاط،ثم رحل عن الموصل لحصانتها، ولذا لم يلتفت الأشرف إلى محاصرتها، بل سار وحصر المظفر فسلمت إليه مدينة خلاط، وانحصر المظفر بقلعتها، ونزل ليلاً إلى أخيه الأشرف معتذراً فقبل عذره وعفا عنه.

* وفى رجب امره على ميافارقين واستعاد البلاد منه.

* [١ توت سنة ٩٤١ = ٢٩ اغسطس ١٢٢٤ = الخميس ١٢ شعبان سنة ٦٢١].

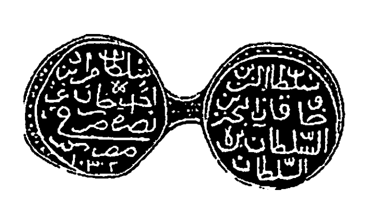
تكدر عيشهم. واجتمعوا مع بعضهم البعض فى أمر ذلك الوزير، وقالوا: كل سبعين يوما باشا. فهذا مضر بالعسكر والرعية والتقادم[١]، وهذا لا نقدر عليه، ونبقى حادثة، فى كل سبعين يوما وزيرا، فتخرب البلاد من العوايد الزايدة، ومصاريف زايدة، فيصير ضررا على الخزينة. والرأى اننا نبقى مصطفى باشا، ونعرض فى الشفاعة فيه. ونمنع على باشا من الدخول الى بلدنا. فكتبوا عرضا وجهزوه للاعتاب العلية، وعينوا من كل بلك رجلا، فلما وصل العرض الى الديار الرومية، أعرضوا[٢] على شيخ الاسلام، فعرف مضمونه. فلما عرض الأمر على حضرة السلطان مراد، كان شيخ الاسلام بمجلس مولانا السلطان، فأخذ يستحسن فعال أهل مصر، ويقول نعم ما فعلت عسكر مصر بامتهم، فانهم قدموا نفع الدولة الشريفة على نفعهم، فانه فى نفس الأمر يكون اجحافا[٣] بالخزينة فحصل للسلطان مراد سرور، واستصوب ذلك الأمر منهم، فانعم على مصطفى بالمقرر والتمكين بالمنصب. فلما وصل الخبر الى المصريين، حصل لهم غاية السرور، وكل أحد هادى بما يليق به. وأما على باشا، لما ورد الى سكندرية، وسمعوا به، كتبوا له مكتوبا، لانقبلك، واننا راضين على حاكمنا، وأنا أرسلنا عرضنا، وجاء لحاكمنا المقرر، وأما أنت فانك تتوجه الى الديار الرومية بالسلامة، وأرسلوا المكتوب صحبة يوسف بيك الغطاس[٤] وابن سويدان القبطان. فلما وصلوا الى الباشا، وأعرضوا عليه المكتوب، توقف فى

(١) التقادم: هى الهدايا التى يقدمها الأمراء وكبار رجال الدولة للباشا، ساعة وصوله، أحمد كتخدا عزبان، الدرة المنصانة فى أخبار الكنانة.

(٢) بالأصل «أعرضواه». (٣) بالأصل «احجافاه». (٤) بالأصل «العطاس».

* ١ يناير ١٢٢٥ = ٦ طوبه سنة ٩٤١ = الأربع ١٩ ذو الحجة سنة ٦٢١].

[السجون] ملأى من الكتاب واصحاب الدواوين والوزير لا يعرف الا شيا يحصله للسلطان من كل وجه. ودخلت سنة اربعين وتسع مايه وبلغ النيل في هذه السنة الى اثنا عشر اصبعا من سبعة عشر ذراعاً. وكانت الاسعار رخيصه والاشيا كثيرة موجوده والدنيا هاديه من الفتن ولم يكن شيا غاليا الا الذهب والشمع فان الصرف بلغ ثلثه واربعين درهماً بدينار والشمع ثمانية دراهم ونصف الرطل.



* نقود السلطان مراد الرابع ١٦٢٣/١٦٤٠م.

الرجوع، وغضب على ابن سويدان، وأمر بحبسه ووضع الحديد فى رجليه. فلما رأى يوسف بيك هذه الفعلة التى فعلت فى القبطان، جمع عسكر سكندرية على عسكره وهجم على الباشا، وخلص ابن سويدان منه وهدم صيوانه على رأسه. وأنزلوه فى المراكب الذى جاء فيها، ولم يبيتوه تلك الليلة الا على ظهر البحر. واستمر الوزير فى أهنى عيش مع أهل مصر، الى أن جاء مسلم بيرم باشا، وعمل يوسف بيك الغطاس قايم مقام، على حسب العادة، وانزلوا مصطفى باشا الى بيت السعيد بن الظاهر بسوق السلاح على ميمنة السالك الى الرميلة.

٤٤- ذكر تولية بيرم باشا

أول نياب السلطان مراد

قدم الى مصر تاسع شعبان سنة ١٠٣٥، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى سنة ١٠٣٨[(١)]، فكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر، وكان وزيرا كبيرا، عاقلا محبا للعلماء. وكان له ميل الى التجارة، وهو الذى نادى على البطيخ، خمسة أرطال بنصف، وفى زمنه جاء

(١) مدة ولايته: ٩ شعبان ١٠٣٥/ ٩ محرم ١٠٣٨هـ ـ ٦ مايو ١٦٢٦/ ٨ سبتمبر ١٦٢٨م، تحديد تاريخ العزل من التحفة، ص١٨٧، وتاريخ ملوك بنى عثمان ورقة ١٢٤، ويذكر كل من هذين المصدرين انه قدم الى مصر فى ١٩ شعبان ١٠٣٥هـ ـ ١٦ مايو ١٦٢٦م.

وبقى الحال على ما هو عليه. وفى اخر كيهك(*) فى هذه السنه وردت الاخبار ان الملك المسعود صاحب اليمن ابن السلطان الملك الكامل واصل الى الديار المصريه وانه بلغ [ميناء] عيذاب(*) فاخرج السلطان ابنه الملك الصالح وابن اخيه الملك المظفر تقى الدين وابن اخيه شمس الملوك ابن الملك الاعز أبن صلاح الدين ومن معهم من الامرا والاجناد لتلقيه فلقوه قريبا من قوص(*) ثم

(*) انتهى كيهك فى هذه السنة فى ٢٦ ديسمبر بحسب التقويم الجولياني.

(*) عيذاب: ميناء مصرى على البحر الاحمر، كانت ميناء الحج المصرى على البحر الأحمر فى العصور الوسطى وذلك بسبب انقطاع طرق الحج عبر سيناء أثناء الحروب الصليبية، فكان الحجاج ينزلون فى النيل حتى مدينة قوص بمحافظة قنا، وعند عيذاب يجتازون البحر الأحمر إلى جدة ومنها إلى مكه

(*) قوص: بمحافظة قنا. اسمها المصرى هات هور، اى قصر الإله

الفصل الكبير الذى سموه فصل بيرم باشا. وضبط الذى وجدوه فى دفتر بيت الما، من الموتى ثلاثماية ألف. ومنعوا النساء من الصياح وراء الأموات. وفى زمنه عز الصابون، فأمر قاضى العسكر ألا يباع الصابون الا تحت قصره وأن لا يعطى الا بورقة من قاضى العسكر. وبلغ الرطل الصابون خمسة عشر نصفا فضة، وكان اذ ذاك ابراهيم أفندى هو الذى رتب الالتزام على المحاكم، وفى هذا العام عصيت أهل اليمن، وامتنع أهل اليمن من الحجاج، ومنع المحمل اليمنى عن الكعبة. وجاء قفطان لقانصوه بيك من السلطان بالباشاوية، ثم تبعه قفطان آخر وسيف مجوهر، وأن يكون باشا العسكر الى اليمن، وبعد فتحها يكون (هو)[1] باشا بها، وان العسكر التى خرجت معه من مصر وهم ثلاثة آلاف، يكونوا رعايا باليمن. وارسل السلطان مراد ألفى عسكرى من الديار الرومية، تكون عسكرا عوضا عن[2]، عسكر مصر الذين صاروا رعايا. ولما ورد الالفان، ودخلوا مصر، مكثوا فيها ثلاثين يوما، وتوجهوا الى اليمن خلف قانصوه بيك، فى عاشر الحجة ختام سنة ١٠٣٨[3]. وكان قانصوه بيك سافر صحبة الحج ٢٧ شوال سنة ١٠٣٨[4]. وهو الذى عمر الغيط (الذى)[5]. بقراميدان، وعمل السواقى،

(١) الاضافة للتوضيح.
(٢) قدم وأخر والاضافة لتوضيح المعنى.
(٣) ٣١ يولية ١٦٢٩.
(٤) ١٩ يونية ١٦٢٩م.
(٥) الاضافة لتوضيح المعنى.

وصل الى القاهرة فى امشير(*) من السنة المذكورة بتجمل عظيم وهدايا كثيرة واموال جمه ومن جمله ما وصل معه من العجايب ثلثة افيال منهم اثنان لم يرقط اعظم منهما مثل الجزاير العظام وذكر ان عمر كل منهما دون العشرين سنة واخر صغير عمره ثمان سنين وذكر المشايخ وارباب التواريخ انه لم يرد قط الى البلاد اعظم منهم وكان عبوره يوماً مشهودا. وقد كان سير قبل ذلك

حور. وردت فى كشف الأسقفيات قوص وروير، كانت مركز تجارى هام بين مصر والبلاد المطلة على البحر الاحمر.

(*) يبدأ فى ٢٦ يناير. وينتهى فى ٢٤ فبراير بحسب التقويم الجولياني.

وله الكشك الذى بالديوان، ويعرف بكشك بيرم باشا، والحوض والسبيل والزاوية، ولما عزل، نزل الى قراميدان، وقعد فيه الى ان توجه الى الديار الرومية. وجاء مسلم طبان محمد باشا.

٤٥ـ ذكر تولية محمد باشا طبان

عفى الله عنه

قدم الى مصر رابع عشر صفر سنة ١٠٣٨ ، فاستمر واليا بها الى ان عزل فى آخر ربيع آخر سنة ١٠٤٠[1]، وكانت مدة ولايته سنة و احد عشر شهرا. وكان وزيرا كريما، شجاعا أحيا ناموس السلطنة بالديار المصرية. وفى زمنه دخل السيل الى مكة المشرفة حتى هدم البيت الشريف، ولم يبق الا الركن اليمانى، فأرسل الشريف مسعود، شريف مكة، عرضا الى مصر، قرى بالديوان، فاهتم الباشا لذلك الأمر ثم ان الباشا أرسل المهندسين، والبنايين والأخشاب، وجهز الباشا من ماله ستة آلاف شريفى لعمارته. وفى أيامه توقف النيل الى أيام النسىء، ولم يزد عن ستة عشر ذراعا، فغلت الأسعار، وأبيع الأردب الحنطة بثمانية قروش، ومع ذلك مضت أيام الغلا، ولم يشعر أحد بها من كثرة المكاسب والحظ والبحبة ثم جاءه العزلان من السلطنة العلية، وورد مسلم موسى باشا.

(١) مدة ولايته: ١٣ اكتوبر ١٦٢٨/ ٥ ديسمبر ١٦٣٠م، فى التحفة ص١٨٧ ان الوزير طبانى يعنى محمد باشا قدم الى مصر ٤ صفر ١٠٣٨هـ ـ ٣ اكتوبر ١٦٢٨م.

عسكر الى خدمته الى الحجاز مع ابن عمه الملك الجواد مظفر الدين ابن مودور فخالفهم فى الطريق فمضى اوليك الى الينبع(*) وهى قلعة منيعة من بلاد الحجاز وكانت ممتنعة على الملك المسعود قد اجتمع بها جماعة وقد عصت عليه ففتحوها بالسيف وسبوا كل من بها وتركوا بها خليفة لهم ورجعوا وبقى الملك المسعود بالقاهرة نازلا بالقصر والاحوال مستقرة على ما هى عليه والصاحب صفى الدين الامر كله فى يديه والاسعار بحالها فى

(*) الينبع: ميناء يقع على الساحل الشرقى للبحر الأحمر على نفس خط عرض اسوان تقريبًا، كما كان يقع على الطريق البرى للحاج المصرى.

٤٦ـ ذكر تولية موسى باشا

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى جماد الآخر سنة ١٠٤٠، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى سنته[١]، فكانت مدة ولايته سبعة أشهر من السنة المذكورة. وفى أيامه بطل تراقى القدوم، وفى يوم عرفة قتل قيطازبيك الكبير، لقصة يطول شرحها، ولكن اقتصرنا. ثم أنه لما قتله الباشا اجتمعت العساكر بالرميلة، وحضر قاضى العسكر، ونقيب الاشراف، والشيخ البكرى والسادات، والعلماء، وجلسوا بمدرسة السلطان حسن[٢]، وقالوا نطلب قاتل قيطاز بيك لفقوده فيه، فأرسل الباشا يقول: أنا الذى قتلته بموجب هذا الخط، وأبرز خطا شريفا، فقروه، ثم قالوا: لابد من عزلان الباشا، والا تصير عادة لقتل أمرايِنا، فعزلوه، وجعلوا حسن بيك قايم مقام. ثم أعرضوا الى الاعتاب العلية، فقبل (العرض)[٣]، وولوا على مصر خليل باشا.

---

(١) مدة ولايته: جماد آخر ١٠٤٠/ ذى الحجة ١٠٤٠هـ ـ يناير ١٦٣١/ يوليه ١٦٣١م، تحديد تاريخ العزل من التحفة ص١٨٧، وفيها انه قدم الى مصر فى ٣ جماد اول ١٠٤٠هـ ـ ٨ ديسمبر ١٦٣٠م.

(٢) مدرسة السلطان حسن: مقرها جامع السلطان حسن تجاه قلعة الجبل، كان يوجد بها، لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا الى جانب الطلبة والمدرسين، وكان الصرف عليها يتم من ريع الأوقاف الكثيرة الموقوفة على الجامع والمدرسة، على مبارك، الخطط، جـ٤، ص٨٣ ـ ٨٧.

(٣) الاضافة لتوضيح المعنى، من التحفة، ص ١٨٨.

(*) أهم أحداث سنة ٩٤١ق. = ١٢٢٥م. = ٦٢١هـ.
* فيها توفى الملك الأفضل، وعمره سبعة وخمسون سنة.
* ١ توت سنة ٩٤٢ = ٢٩ اغسطس ١٢٢٥ = الجمعة ٢٢ شعبان سنة ٦٢٢.
* فى أول شوال توفى الإمام الناصر لدين الله، وخلافته سبع وأربعون سنة، وبويع ابنه الظافر بأمر الله أبو نصر محمد.
* [١ يناير سنة ١٢٢٦ = ٦ طوبه ٩٤٢ = الخميس ٢٩ ذو الحجة سنة ٦٢٢].

طول السنة وزاد رخص الاشيا وبلغ النيل فى هذه السنة الى اربع اصابع من ثمانى عشر ذراعاً ثم دخلت سنة احدى واربعين وتسع(*) مايه والسلطان الملك الكامل مقيم بقلعته المعمورة بالقاهرة، والملك المسعود مقيم ايضاً. والصاحب ابن شكر الحاكم فى الامور مستقلا، والبيعة بغير بطرك، والاسعار بحالها. فلما كان فى اثناء السنة بلغ السلطان من بعض الناس عن بعض الامور أمر توهم منه فاعتقل بعضهم ونفى بعضهم واحتاط

٤٧- ذكر ولاية خليل باشا المنفصل عن الوزارة
عفى الله عنه

قدم الى مصر فى سابع ربيع الأول سنة ١٠٤١، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى اثنين وعشرين رمضان سنة ١٠٤٢[١]، فكانت مدة ولايته سنة وأربعة أشهر. وفى أيامه عصى شريف من أشراف مكة يقال له الشريف نامى فجمع جموعا من المفسدين، من أهل اليمن، ومن أهل الحجاز وهجم مكة، فطلعت له الاشراف، وأمير جدة، مصطفى بيك، صحبة شريف مكة. فتقاتلوا قتالا عظيما أدى الى قتل شريف مكة، ومصطفى بيك نايب جدة، وجماعة من أشراف مكة. ونهبوا مكة وأسواقها، وجعلوا الشريف نامى شريفا على مكة[٢] فلما تم هذا الأمر، أرسلت أشراف مكة عرضا الى مصر فقرى بالديوان. فلما سمعت عسكر مصر ما فى العرض، انتصب قاسم بيك وقال: أنا أتوجه إلى هؤلاء البغاة، فألبسه خليل باشا قفطانا وجعله صارى عسكر، وعين معه رضوان بيك الشواربى أمير الحاج، وعابدين بيك، وعلى بيك، وطايفة من الجراكسة وغيرهم وجهزهم وأرسل الباشا قفطانا الى زيد بشرافة مكة[٣]. فوصلت اليه

(١) مدة ولايته: ٧ ربيع اول ١٠٤١/ ٢٢ رمضان ١٠٤٢هـ - ٣ اكتوبر ١٦٣١/ ٢ ابريل ١٦٣٣م.
(٢) الشريف نامى: هو نامى بن عبدالمطلب، تولى الشرافة مائة يوم، انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد فى تاريخ نجد، جـ١، ص٥١.
(٣) الشريف زيد: هو زيد بن محسن، انظر عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص٥١.

على موجودهم واقطع اخبازهم [رواتبهم] وطالب بعضهم بمال. وفى الصوم المبارك تقدم المستوفيون الى الصاحب [ابن شكر] وقالوا له: انك قد اصلحت كل شى الا امر النصارى فانهم بغير بطرك وقد استضروا وانحلت نواميسهم. فقال لهم: لا بد من شى [مال] للسلطان. فقرروا معه خمسماية دينار فكتب الى السلطان واستاذنه فجاء جوابه بان يختاروا فاختار المستوفيون وجماعة

الخلعة وهو فى بدر، فهرعت اليه الاشراف، والعربان، وسافرت العسكر من مصر، فى ثامن عشر شوال سنة ١٠٤١[١]. وكان خروج رضوان بيك أمير الحاج فى عشرين شوال. فجعل يوسف بيك الشهير بافرنج سردارا على خمسماية نفر، وأرسلهم الى البحر، صحبة محمد بيك بن سويدان القبطان ـ وتوجهوا الى بركة الحاج واجتمعوا هناك ثلاثة أيام، وعملوا شنكا، ثم توجهوا الى السويس. فلما سافروا، ودخلوا الينبع استقبلهم الشريف زيد واخلع عليهم، وعلى رضوان بيك، وقاسم بيك، وعلى بيك، وساروا الى أن وصلوا الى وادى فاطمة. رضى الله عنها[٢]، فاستقبلهم شيخ الحرم وصحبته جماعة من البغاة ليسألون قاسم بيك أن يجعلهم محافظين بمكة، فابى قاسم بيك، وقال: ما بيننا الا السيف وكان كبير البغاة يقال له محمود، مستخفيا من وراء الجبال، فلما رأى العسكر رجع الى مكة، وأخذ جماعته، وهرب الى قلعة تربة[٣]. فلما دخل العسكر الى مكة لم يجدوا بها أحدا من البغاة. ثم اتفق أمرهم أنهم يذهبون الى قتال البغاة بعد أداء الحاج، فلما قضوا نسكهم، ساروا الى البغاة وحاصروهم، ثم قطعوا عنهم الماء الذى كان يدخل اليهم. فلما اشتد بهم العطش، وضعفت قوتهم، وقعدوا عن القتال خرجوا من القلعة فأخذتهم السيوف من كل مكان، وقبضوا على نحو ألف رجل

---

(١) ٨ مايو ١٦٣٢م.

(٢) وادى فاطمة: احد الوديان الشهيرة ببلاد الحجاز.

(٣) قلعة تربة: بالأصل «ظربة» وهى احدى القلاع الحصينة، تقع على مسافة جنوب شرق مكة.

الرعـاع راهبـاً يقـال له بولس البـوشي، وكـان في ذلك الزمان قد حضـر من ديره ليتداوى لانه كان بحـمى الكبـد، ووازرهم على ذلك الصـاحب [ابن شكر] واخـتـار بعض الناس القس داود بن يوحنا المعـروف بابن لقلق. ولم يكونوا يجـسـرون ان يظهـروا ذلك لان القـسيس المذكـور مشـهوراً بانه صاحب الشيخ نش الخلافه بن المنقاط، والشيخ المذكور فهو [كان] عدو للصاحب لا يصل له الى

منهم، وصاروا يقتلون فى كل منزلة طايفة منهم، الى أن دخلوا مكة، ومعهم نحو الثلاثماية رجل. فلما دخلوا مكة أشهروا محمود على جمل بالشاميات. ثم كبلوه من يديه ورجليه بالكلاليب فبقى فى الكلاليب ثلاثة أيام. ورموا رقاب الثلاثماية فى جميع شوارع مكة. وأما الشريف نامى، فانهم اثبتوا عليه قتل شريف مكة، ومصطفى بيك أمين جدة، فشنقوه فى المعلى وزينت مكة ثلاثة أيام. وخرج العسكر من مكة فى غرة صفر سنة ١٠٤٢[(١)]. ودخلوا مصر منصورين مؤيدين. وزينت مصر ثلاثة أيام بلياليها. ثم أن خليل باشا أقام إلى (أن) جاء مسلم جرجى أحمد باشا[(٢)]، وعمل قاسم بيك قايم مقام.

٤٨. ذكر تولية جرجى أحمد باشا رامى النحاس
عفى الله عنه

قدم الى مصر سنة ١٠٤٣، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى خامس عشر جماد الأول سنة ١٠٤٥[(٣)]، فكانت مدة ولايته سنتين ونصف. وكان قدومه من طريق البحر من اسكندرية. وفى أيامه عين سفرة على ابن معن بجبل الدروز، بألفين نفر، جعل سردارهم حسين بيك

(١) ٧ اغسطس ١٦٣٣م.
(٢) الاضافة لتوضيح المعنى، بالاصل «محمد باشا» والتصويب اكتوبر ١٦٣٥م.
(٣)مدة ولايته : ١٠٤٢ / ١٥ جماد أول ١٠٤٥ هـ ــ ١٦٣٣ / ٢٧ أكتوبر ١٦٣٥ م.

دار بالضد [بالعند] من كل من فى البلاد. وكل من سمع انه يسلم عليه [على نش الخلافة] فى الطريق عمل فى اهلاكه لا سيما من يكون صديقه وصاحبه. فكان كل من يريد القس داود يخفى ذلك و لا يظهره خوفا من الصاحب. [و] تعذر الحال لبولس البوشي وأنبرم (*) وجات الاساقفة وكتبوا له محضراً كتب فيه اكثر الناس بالرضى به لاجل نفس الصاحب، الى ان وقف للسلطان قوم

(*) انبرم: اعتذر

الفقارى، فتوجهوا الى الشام، وأخذوا من الشام عساكر، وركبوا جبال معن، وملكوهم، وقتلوا ابن معن، ونهبوا جبال ابن معن عن آخرهم. وفى أيامه ورد من الديار الرومية أقراص النحاس لتباع فى مصر، فجمع الباشا العسكر، واستشارهم فى أمر النحاس، فأشار بعضهم برميه على التجار، وبعضهم أشار برميه على الأوقاف. وكان مراد الوزير (أن)[1] يرسله الى بلاد السودان والتكرور، ويدفع الثمن [من] عنده الى السلطنة، فما أراد الله، وحصل للناس ضرر عظيم بسببه. وعين الباشا لرمى النحاس، مصطفى بيك، وألبسه قفطان، فنزل الى حوش اقبردى، وصار يرمى النحاس فى سادس الحجة ختام سنة ١٠٤٣[2] فمكث سنة وهو يرميه على الناس كل قنطار ٢٤٠٠ نصف. وكان آخر الرمى فى أواخر ربيع آخر سنة ١٠٤٤[3]، فرموه على أرباب الحرف، وعلى أهل الأوقاف وتحصل ثمنه فى غاية شعبان وفى أيامه ورد أمر شريف بطلب ثلاثة آلاف وأن يكون صارى عسكرهم دليور بيك الذى بيته قريب من بيت حسن آغا بلفيه من جهة جامع المردانى[4]. وكان سفرهم من مصر الى بغداد يوم الخميس ثالث عشر

---

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.

(٢) ١٦ يونيه ١٦٣٥م. (٣) اواخر اكتوبر ١٦٣٤م.

(٤) جامع المردانى: موقعه بجوار خط التبانة، خارج باب زويلة، انشاه الأمير الكبير طنبغا الماردانى ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م، وهو جامع مرتفع البناء، وذا اتساع عظيم، وكانت عليه أوقاف تحت نظر ديوان الأوقاف، والآن معطل الشعائر، انظر: على مبارك، المصدر السابق جـ٥، ص٩٨ ـ ٩٩.

لا يعنى بهم وقالوا: يا مولانا نحن ما نرضى بهذا البوشى وعندنا من يصلح سواه. فقال: ومن هو قالوا: داود ابن لقلق ونشتهى من مولانا ان يحضر الاثنين الى بين يديه ويسمع حديثهما وعلمهما ومن رجحه فقد رضيناه لان مولانا نايب الله فى ارضه. فقرر احضارهما وقد كان الشيخ نش الخلافه تحدث مع السلطان فى ذلك وقرر القاعده وانتهى الحال فيما بين اصحاب الاثنين الى ان

الحجة ختام سنة ١٠٤٤[١]. ولما طلع العسكر الى سفرة بغداد، جاءه العزلان، وورد مسلم حسين باشا الدالى.

٤٩. ذكر تولية حسين باشا الدالى
عفى الله عنه

قدم الى مصر فى خامس عشر رجب الفرد سنة ١٠٤٥، وعزل فى ١٥ جماد أخرى سنة ١٠٤٧[٢]، فكانت مدة ولايته سنتين. وكان سمينا، شجاعا، فارسا، الا أنه كان سوداوى. وكان يركب فى مصر متخفيا ويطوف بالليل[٣] فمن لقيه يقتله. فمن جملة ما قتل فى ليلة واحدة خمسين نفسا. واتفق له يوما أنه كان متوجها الى مصر القديمة فرأى الخلق مجتمعين[٤] فى خضرة البطيخ، فهجم عليهم وقتل منهم ثلاثة عشر نفسا، فسموه بالمجنون. ولما عزل عن مصر عمل حسابه فطلع عليه ألف ومايتان اثنان وأربعون كيسا. ولما طولب بها لبس سلاحه هو واتباعه، وعزم على السفر، فاجتمع العسكر وقالوا له: أين تروح من غير دفع المال الذى عليك، قال: ان أنا لم أدفع ما أنتم صانعون؟ قالوا: نحبسك فى كشك يوسف صلاح الدين. ثم أنه طلب الجواد فركبه وتوجه الى قصر يوسف وحبس نفسه من قبل أن

---

(١) ١٠٤٤هـ = ١٦٣٥م.

(٢) مدة ولايته: ١٥ رجب ١٠٤٥/ ١٥ جماد آخر ١٠٤٧هـ ـ ٢٥ ديسمبر ١٦٣٥/ ٦ سبتمبر ١٦٣٧م.

(٣) بالأصل «باليل».

(٤) بالأصل كتبت «حلقة» وشطبت.

جعلوا المبلغ الف دينار فاما اصحاب داود [ابن لقلق] فكانوا يقولون انهم يقترضونها ويدبرونها ولا يكلفون احداً شيا فاما اصحاب بولس [البوشى] فكانوا قد قرروا مع الصاحب انهم يجبونها من النصارى بالوجهين القبلى والبحرى والناس كافة. فاعتمد السلطان على احضارهما فى يوم معين لانهما كانا فى حيز مصر وان يحضر بطرك الملكية معهما فحضروا جميعاً واحضر السلطان الفقها

يطالبه أحد بذلك، ولم يدفع من الذى عليه شيئا، وعينوا لمحافظته خيدر بيك، ورضوان بيك الفقارى، ووالى بيك[1]. ثم ورد مسلم محمد باشا.

٥٠.ذكر تولية محمد باشا زلعة السم عفى الله عنه

قدم الى مصر ثانى رجب سنة ١٠٤٧، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى ثانى عشر جماد أول سنة ١٠٥٠[2]. وكانت مدة ولايته ثلاث سنوات وتسعة أيام وكان ابن أخت السلطان سليم الثانى. وفى سنة ١٠٤٨[3] توفى الشيخ إبراهيم اللقانى بالعقبة، وهو راجع من الحج، رحمه الله تعالى، وعملوا تاريخا لموته (الجبر على الطروس رقياه). وفى أيام هذا الوزير ورد فرمان شريف بطلب ثانى سفرة ـ ألف وخمسماية ـ الى بغداد، وأن سنجقها رضوان بيك الشواربى فبمجرد ما ترى الأمر ألبس الوزير قفطان السفرة الى رضوان بيك، وشرع فى كتابة جماعة من الأكابر والأعيان. وخرجوا من مصر فى أواخر محرم سنة ١٠٤٨[4]، ولم يحصل

---

(١) هكذا بالأصل، وفى التحفة ص ١٩٢ «ولى بيك».

(٢) مدة ولايته: ٢ رجب ١٠٤٧/ ١٢ جماد اول ١٠٥٠هـ ـ ٢٠ نوفمبر ١٦٣٧/ ٣٠ اغسطس ١٦٤٠م، وفى التحفة ص١٩٢ انه قدم الى مصر ٨ رجب ١٠٤٧ ـ ٢٦ نوفمبر ١٦٣٧م، وعزل فى ١٢ جماد آخر ١٠٥٠هـ ٣٠ سبتمبر ١٦٤٠م.

(٣) ١٦٣٩م.

(٤) اوائل يونيه ١٦٣٨م.

واجلا الناس، وعبر مع داود اثنان من اصحابه واما
بولس [البوشى] فلم يتركوا احداً يعبر معه. وخرج
داود مرجحاً الا ان الحال واقف لاجل ما قاله فخر
الدين عثمان للسلطان لاجل عرض الصاحب
وصار الناس فيتين [فئتين] ورجعوا الى ما كانوا
عليه من البغضة والتعادى وعمل المحاضر المزوره
فى حق القس داود وايصالها الى السلطان، ا لى
ان اوقفوا خاطره فى القضية وضاق الوقت

لأهل مصر منهم شيء. وكانوا فى العدد ألف وخمسماية، وكانوا بخدمهم، وأتباعهم نحو الخمسة آلاف. وبعد سفر الحاج أرسل الباشا الى حسين باشا يطلب منه المال، فدفع لهم أربعماية كيس، وسألهم أن يكتبوا عليه حجة ويرسلوا الى الأعتاب العليا. فاتفقوا على أنهم يكتبوا حجة بالباقى الذى عليه، ويرسلوا الى السلطان ثم أن الوزير أخرجه من الحبس، فبمجرد خروجه من الحبس، ركب جواده، وتوجه الى الديار الرومية. ثم أن الوزير أرسل بعد توجهه، عرضين: واحد: من جهة حسين باشا، والثانى: من جهة أمير الحاج، رضوان بيك، بأن يعزله ويجعله باشة[1] الحبش. فبعد مضى خمسين يوما، ورد جواب العرضين، واحد بالعفو عن حسين باشا الدالى، والثانى بعزلان رضوان بيك الفقارى من امارة الحاج، وتوليته باشا بالحبش. فلما ورد الخط الشريف، ألبس الوزير الى ترك بيك قفطان امارة الحاج، واعطاه الخط وبيرلدى، وأرسله ليتسلم المحمل الشريف. فلما وصل الى بندر العقبة. وتلاقيا برضوان بيك، وأعرض عليه صورة الخط والبيردى بتسليم المحمل الشريف، أجاب بالسمع والطاعة، وأن يتوجه الى الحبشة باشا عليها، فامتثل الأمر، وسلم المحمل، وركب هجينا وصحبته خمسة أنفار من خدمة، وتوجه الى الديار الرومية. فاجتمع بالسلطان مراد خان، فأمر بحبسه، وبيع جميع ما تملك يده بمصر، ويرسلوا جميع ما تحصل من أثمانهم. فضبطوا جميع ما يملك من أمتعة وبلاد وغيرها، فجمع خمسماية كيس، وأرسلها الباشا الى القسطنطنية، خلاف ما أخذه الباشا

(١) بالأصل «باشت» بالتاء المفتوحة، وقد كتبتها كلما وردت بصورتها الصحيحة.

وتدحرجت الايام وجاء العيد والحال على ما هى عليه. وفى اخر هذه السنة توفى الصاحب [ابن شكر] الوزير ودفن بالقاهرة فى موضع قريب من داره عمره لنفسه وكان له خروج عظيم وجنازه عظيمة شهدها كل من حضر من المدينتين [القاهرة ومصر عتيقه] وسير السلطان اولاده واقاربه صلوا عليه. ثم دخلت سنة اثنين واربعين وتسع مايه(*) فى شعبان سنة اثنين وعشرين وستمايه والنيل لم يوف ولا وصل

(*)٩٤٢ش = ٦٢٢هـ= ١٢٢٦م.

لنفسه. فاستمر رضوان بيك محبوسا الى ان توفى السلطان مراد، وتولى السلطان إبراهيم[١]، فأطلق رضوان بيك وأنعم عليه. بجميع ما أخذ منه، واخلع عليه قفطان امارة الحاج، فخلد الى الممات. فلما ورد الى مصر، استرجع جميع ما كان أبيع وأكثر منه. وفى مدة الباشا المذكور وقف النيل على الزيادة الى آخر مسرى القبطى، ثم لما جلس السلطان ابراهيم، أرسل عزل الباشا، وورد مسلم مصطفى باشا.

٥١.ذكر تولية مصطفى باشا البستنجى

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى عاشر جماد آخر سنة ١٠٥٠ ، فأقام بها الى أن عزل فى يوم الجمعة سابع عشر رجب سنة ١٠٥٢[٢]، فكانت مدة ولايته سنتين وشهرا واحدا. وفى سنته جاء الشراقى فى اقليم مصر، واستمر الى آخر، مسرى، كما تقدم، ثم أخذ فى الهبوط، فجبروه، ولم يوف خمسة عشر ذراعا، وحصل للباشا كرب عظيم، الى أن أبيعت الوبية الحنطة بثلاثين نصفا فضة، وفى أيامه كثرت المناسر[٣]، لكونهم لم يجدوا الخبز. ونزل الباشا الى المقياس.

---

(١) تولى السلطنة: ١٦٤٠/ ١٦٤٨م.
(٢) مدة ولايته: ١٠ جماد آخر ١٠٥٠/١٧ رجب ١٠٥٢هـ ٢٧ سبتمبر ١٦٤٠/١١ أكتوبر ١٦٤٢م.
(٣) بالاصل «المناصر» وصحتها المناسر، والمقصود بها قطاع الطرق.

المقـــرر(*) والاسـعـار قد تحركت وفى ليلة الاربعاء السـادس من توت(*) كسر الخليج من قبل الوفا سراً ولم يعلم به احداً وشاط(*) سعر الغلة وطلبها الناس فمنع السلطان احداً ان يبيع منها شيا اصلا. ثم وصل المقرر فى النهار المذكور فاهتدى الناس واملوا ان المآء يزيد فتمادى الحال ونقص الماء. وكانت الغلة فى هذه السنة كثيرة فاستقر سعر القمح العالى الغاية على عشرين درهم الاردب

(*) أى لم يرتفع إلى الحد الذى تحدد عليه الخراج.
(*) توت = ٣ سبتمبر حسب التقويم الجوليانى.
(*) شاط: ارتفع وزاد.

ومكث فيه احدى عشر يوما، فلم يوف، ولما زعل، أمر بجبره فجبر، فلم يتعدى من قناطر السباع، وكانت سنة شديدة على الغنى والفقير. ودخلت اللصوص الى الأسواق، وصاروا يأخذون فى كل ليلة محلات. واستمر ذلك الى أن رحلت الناس من المحلات المطرفة. ودخلت اللصوص الى سوق ابن طولون. واخذوا منه ثمانية وأربعين دكانا فى ليلة واحدة، من سوق المغاربة. وطلعت طايفة من المغاربة الى الباشا، واعرضوا عليه الأمر، فأمر الوالى أن يأخذ بخاطرهم. فتصالح واياهم على كيسين دراهم. وكل ذلك لعجز الباشا، وضعف أحكامه، لأن الوالى كان اذا مسك أحدا وأحضره بين يديه ممن يستحق القتل، يقول له الباشا، استتوبه، واطلقه، فينزل الوالى ويأخذ بلصته ويطلقه. فزاد الكرب، واستمرت اللصوص (فى الدخول الى الأسواق وأخذها الدكاكين)[١]. الى أن عزل، وتولى مقصود باشا.

٥٢. ذكر تولية مقصود باشا

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى ثامن شعبان سنة ١٠٥٢، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى ثالث عشر صفر سنة ١٠٥٤[٢]، فكانت مدة ولايته سنة ونصفا، وارخوا قدومه: مقصود بخير. وفى أيام

(١) الاضافة لتوضيح المعنى، كما يفهم من سياق الكلام السابق بسطور.
(٢) مدة ولايته: ٨ شعبان ١٠٥٢/ ١٣ صفر ١٠٥٤ ـ ١ نوفمبر ١٦٤٢/٣ مايو ١٦٤٣م، فى التحفة انه عزل ١١ صفر ١٠٥٤هـ ـ ١ مايو ١٦٤٣م.

والشعير ثلثة عشر درهما والفول عشرة دراهم والجميع من هذه النسبة ولم يغل شي لا لحم ولا غيره. وغاية ما انتهى اليه [الفيضان] فى هذه السنه ستة عشر اصبعا من ستة عشر ذراعاً ولم يوف ولا خلق [خلق أى بلغ حد فرض الخراج] المقياس فى هذه السنة ولا نودى عليه. ثم ان السلطان كثر تخيله [خوفه] من الأمرا فاعتقل جماعة اخرى ثم قبض على اولاد الصاحب

(*) أهم أحداث سنة ٩٤٢ق. = ١٢٢٦م. = ٦٢٣هـ.
* فيها نازل الملك المعظم عيسى، صاحب دمشق، حمص، ثم رحل عنها لكثرة موت الخيل، وورد عليه الأشرف طالبا للصح فأكرمه ظاهراً وأسره باطنا.
* فيها كان استيلاء لويز الثامن على أفينون.
* كذا فيها كان وفاته، وتولية لويز التاسع.
* في ١٤ رجب توفى الخليفة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر، وولى

ولايته حصل الطاعون بمصر الذى ما عليه من مزيد ولم يسمع بمثله فى زمن جعفر باشا وعلى باشا بحيث أن الجنايز صارت تمر فى الأسواق مثل قطارة الجمال. ومكث سبعة أشهر، ثم أخذ فى التراجع. وكان قبله الغلاء الشديد فحصل للناس ضعف وفقر. وفى زمنه ورد أمر شريف ببيع جميع ما يملك مصطفى باشا فى نظير ما تحرر عليه من الحساب والبواقي، وقدره ألف وسبعماية كيس، وأن يباع جميع أسباب كتخداه وكاتب ديوانه واتباعه، فباعوا جميع ذلك، فتحصلت منه أربعماية كيس، ولم وجدوا له جهة يتحصل منها شيء، فاعرضوا الى الديار الرومية. فعاد الجواب بأن يكتب عليه حجة، وترسل صحبة الاغا. فكتبوا عليه حجة وأرسلوها صحبة الاغا المعين. وكان مقصود باشا حاكما عالما بمواقع أحكام السياسة. وفى أيامه أبطل كثيرا من المظالم والموازين والذراع، وما يؤخذ من المغانى وغيرهم. وتقيد بالفحص عن السراق واللصوص الذين كانوا ظهروا فى مدة مصطفى باشا فقتل منهم طايفة عظيمة. وفى أيامه أمر الوزير أن يقطع الخليج الحاكمى (فقطع من أرضه ستة أذرع ونصف)[1] والناصرى[2] ذراع ونصف أسلانبولى. فى أيامه وهو ربيع الآخر سنة ١٠٥٣[3] أمر الوالى أن يمسك الناس الى المقداف، فانقطع الجالب عن مصر، وانقطع اهل القرى الذين كانوا ياتون بالمواشي والغلال، فغلت الأسعار، ووصل الأردب القمح ثمانية قروش، واشتد الكرب، وأبطل

(١) الاضافة لتوضيح المعنى من التحفة، ص١٩٥.
(٢) بالأصل «الناصره».
(٣) يونيه ١٦٤٣م.

وغلمانه وعاقبهم وطالبهم بالاموال. وكان هذا الوقت وقتا صعبا لان السلطان طالب الناس بالبواقى [من الخراج] وامر بتخريج الاخلاف (*) والمطالبة بالاموال وهو مقيم بالقلعة المحروسه وابنه صاحب اليمن عنده بالقاهرة وجميع العساكر بعد ان خرجوا فى اواخر السنة الخارجة [الخراجية] الى ظاهر القاهرة وخيموا اياما ولبسوا كلهم العدد والتشاهير (*) وعرضوا كل امير ولا يزالوا [ولا ينزلوا] بالقاهرة لا صغير منهم ولا كبير. وكان

الخلافة بعده ولده الأكبر المستنصر بالله أبو جعفر المنصور.
* [١ توت سنة ٩٤٣ = ٢٩ اغسطس ١٢٢٦ = السبت ٤ رمضان سنة ٦٢٣].
(*) تخريج الاخلاف: أى: جمع الخراج المقرر على الاراضى التى يتولاها الخلفاء (الكاشف) من رجال الدولة.
(*)التشاهير: الاسلحة.

القرض الذى كان يؤخذ فى أيام الخزينة، وابطل أربعين قلما من المظالم. وفى ايامه وقعت واقعة فى ثغر اسكندرية، ان قبطانا عمر مركبا فى البحر، وأراد أن ينزلها البحر، فجمع النصارى الذين فى المراكب، وحلوا جميع قيودهم لتنزيل الغليون[1] الى البحر، وكانوا نحو الستماية نفر، فخلوا الناس وهم فى صلاة الجمعة فانفرد منهم ثلاثماية نفس، وكسروا باب الترسخانة واخذوا السلاح الذى فيها، وفردوا قلاعهم وتوجهوا بعد أن نهبوا أسواق البلد[2]، الى ظهر البحر المالح. ولما طلعت الناس من صلاة الجمعة، فما وجدوا أحدا. واستمر الباشا نافذ الكلمة الى أن قامت العسكر عليه، وعزلوه، وجعلوا شعبان بيكى قايم مقام. وأعرضوا الى الاعتاب العلية، فوجهوا محافظة مصر الى أيوب باشا الوزير، وأنزلوا مقصود باشا الى البيت الذى فى الصليبة.

٥٣. ذكر تولية الوزير أيوب باشا

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى ثامن ربيع أول سنة ١٠٥٤، فأقام واليا بها الى أن عزل فى غرة ربيع

(١) الغليون: ضرب من المراكب الشراعية الاسبانية، يمتاز بعظم المقدم والمؤخر وقد برز هذا النوع كمركب حربى منذ أواخر القرن الخامس عشر الى أوائل القرن السابع عشر. انظر: درويش النخيلى، السفن الاسلامية، ص١١٢ ـ ١١٤، دكتوره سعاد ماهر، البحرية فى مصر الاسلامية ص٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٢) بالأصل «وتوجهوا» حذفت ليتسق المعنى.

الذهب فى طول هذه الايام لا يقدر عليه حتى ان الصرف بلغ الى اربعة واربعين درهماً ونصف بدينار واستمر كذلك. ورسم السلطان ان يفتح دار ضرب بالقلعة(*). ودار اخرى بمصر مع الدار التى بالقاهرة ففتحت الدار التى بالقلعة وضربت بها دراهم مدوره. وغلا الذهب بالكليه الى ان كاد يعدم. وبيعت الدراهم خمسين درهماً بدينار واقله سبعة واربعين درهما بدينار. ثم خرجت الدراهم المذكورة

(*) أصل تأسيس دار الضرب بالقلعة.

أول سنة ١٠٥٦[١]. فكان مدة ولايته سنتين واثنين وخمسين يوما. وفى أيامه جدد ما كان ابطله مقصود باشا من المظالم والمكس، ولكن حصل فى أيامه الرخاء الزايد، الى أن أبيع الأردب القمح بعشرين نصف فضة، والأردب الشعير بثمانية انصاف. وفى زمنه طلب الى قلعة جريدة[٢] سبعماية نفر، ثم عزل، وجاءت قيامة مقام الى قانصوه بيك.

٥٤.ذكر تولية محمد باشا الشهير بحيدر زاده عفى الله عنه

قدم الى مصر فى يوم الخميس سادس جماد أول سنة ١٠٥٦، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى غرة القعدة الحرام سنة ١٠٥٧[٣]، فكانت مدة ولايته سنة وسبعة أشهر. وفى أيامه تحركت الفتنة، وسبب ذلك أن الباشا جعل الحل والربط لقانصوه بيك، وماميه بيك القاسمى. واراد أن يحط بشهامة رضوان بيك الفقارى، لأن الباشا كان يميل الى طرف[٤] ولا يصدر من الباشا أمر من الأمور الا بمعرفة قانصوه بيك، لكون أنه كان قايم مقام. فحصل عند عسكر مصر غيرة من قانصوه، بيك، فحسده طايفة الفقارية. وقامت النار بينهم فارشوا الباشا، وقتلوا

(١) مدة ولايته: ٨ ربيع أول ١٠٥٤/غرة ربيع أول ١٠٥٦هـ ـ ١٥ مايو ١٦٤٤/١٧ ابريل ١٦٤٦م.
(٢) جريد = كريت.
(٣) مدة ولايته: ٦ جماد أول ١٠٥٦/ غرة القعدة ١٠٥٧هـ ـ ٢٠ يونيه ١٦٤٦/٢٨ نوفمبر ١٦٤٧م.
(٤) بالاصل «طرق».

وامر ببيعها سبعة وثلثين درهماً بدينار وان يكون العتق(*) اثنين واربعين درهما بدينار. وكان الناس في هذا الزمان في ضيق عظيم وتخبيط، والسلطان يطلب الاموال ويجمعها من كل وجه، واولاد الصاحب وغلمانه في العصر [التعذيب] والعقوبة وهم يبيعون ويوردون . ثم ان الماء كان قد انتهى الى ما تقدم ذكره ولم يغلق [المقياس] وانحط الى ثلاثة عشر ذراعا ثم رجع زاد في اواخر بابه(*) الى ان بلغ الى اصابع من خمسة عشر ذراعاً ثم نقص

(*) العتق = الدراهم القديمة. تلاعب السلاطين بالعملة.

(*)يبدأ شهر بابه في ٢٨ سبتمبر وينتهي في ٢٧ اكتوبر بحسب التقويم الجوالياني.

قانصوه بيك، ومامية بيك، ومحمد بيك بن المكسح، وسبعة عشر من أعيان القاسمية، ما بين أغا وأمير. ونفوا البعض، وهرب البعض. وختموا على منازلهم، وضبطوا جميع موجوداتهم. وكان سبب تلك الفتنة أن جماعة قالت لرضوان بيك الفقارى، أمير الحاج، أن قانصوه بيك يسعى في امارة الحاج لمامية بيك الفقارى، وانه اعرض الى الديار الرومية في حقك وفي حق على بيك، صنجق الصعيد. وأنه أرسل يطلب صنجقية الصعيد لمحمد بيك ابن المكسح. وحلفوا لرضوان بيك انهم ختموا على العرض الذى توجه الى الديار الرومية، مع جملة من ختم عليه. ومن يسمع يخل. وكانوا أعيان من أصحاب الحل والعقد. فصدقهم أمير الحاج، رضوان بيك، وأرسل يعرف على بيك بواقعة الحال بهجان ويأمره بالحضور. فحضر بعسكره جميعا فراى (٣٦) الفتنة همدت بقتل الجماعة وهرب الباقي. وفي أيام ولايته ألبس الباشا قفطان السنجقية ليزبك جلبي بن رضوان بيك أبو الشوارب، لما جآءه خبر موت أبيه. ثم قامت العسكر على الباشا بعد قتل الجماعة المذكورين، وأنزلوه من القلعة. وجعلوا حسين بيك صهر؟؟ باشا، قايم مقام. ثم اعرضوا الى الأعتاب العلية، فولوا محمد باشا الشريف.

٥٥.ذكر تولية محمد باشا الشريف عفى الله عنه

قدم الى مصر في يوم الخميس غرة صفر بسنة ١٠٥٨ ، فاستمر واليا بها الى أن عزل في

الى ان عاد الى ثلثة عشر ذراعاً ثم عاد زاد الى ان بلغ ما كان عليه في الاول وغرق كل ما كان قد زرعه الناس. وعاد [الفيضان] عبر الخليج وعبرت فيه المراكب في النصف من هتور(*) بعدما كان قد جف ومشى الناس فيه وتعجب من هذا الامر كل احد.

(*) يبدأ من ٢٨ اكتوبر الى ٢٦ نوفمبر.

وفي هذه الايام اسلم راهب من رهبان دير ابو مقار ووشى بالرهبان عند السلطان وذكر ان فيهم من يحتمي بالرهبنه عن وزن الجالية(*) وان

(*) الجزية. أى ان هناك من يدخل سلك الرهبنه هرباً من الجزية.

صفر سنة ١٠٥٩[١]، فكانت مدة ولايته سنة وسبعة عشر يوما. ولما استقر فى مصر، عمل حساب محمد باشا، فقطع عليه تسعماية كيس، وذلك من مال الذين قتلوا، وهربوا. وفى أثناء ذلك ورد خط شريف بالافراج عن محمد باشا، فاخرج من الحبس، وتوجه الى الديار الرومية. وفى سابع صفر[٢]، ورد الخبر بعزلان محمد باشا الشريف، وتولية أحمد باشا ارنوط، وهو أول نياب السلطان محمد بن السلطان ابراهيم خان[٣].

٥٦. ذكر تولية أحمد باشا أرنوط أول نياب السلطان محمد عفى الله عنه

قدم الى مصر فى آخرة ربيع أول سنة ١٠٥٩. فأقام واليا بها الى أن عزل فى غرة صفر سنة ١٠٦١[٤] فكانت مدة ولايته سنة واحدة واحد عشر شهرا. وكان فى أيامه قيطاز بيك متولى ببندر جدة، فتولى حسن باشا ببندر جدة، وعزل قيطاز بيك. فلما ورد الباشا حدثت فتنة بين زيد شريف مكة، وبين واحد شريف، وآل أمرها الى المحاربة فاقتصر قيطاز بيك الى طرف

(١) مدة ولايته: غرة صفر ١٠٥٨/ صفر ١٠٥٩هـ - ٢٦ فبراير ١٦٤٨/ فبراير ١٦٤٩م.
(٢) ٢٠ فبراير ١٦٤٩م.
(٣) هو السلطان محمد الرابع وتولى السلطنة: ١٦٤٨/ ١٦٨٧م.
(٤) مدة ولايته: غرة ربيع أول ١٠٥٩/ غرة صفر ١٠٦١هـ - ١٥ مارس ١٦٤٩/ ٢٤ يناير ١٦٥٠م.

عندهم حقوقاً ومواريث الديوان. ورسم السلطان
ان يخرج معه امير من الامرا للكشف عنهم
فخرج معه امير يعرف بابن سيروين وصار الى
الدياره [الاديرة] بوادى هبيب [وادى النطرون] فلم
يجعله كشفا بل امسك الرهبان وضربهم وعلقهم
وعاقبهم الى ان قطع عليهم ستماية دينار
واستخرج منها اربع ماية دينار واحضرها صحبته
وقرر معهم ان يحصلوا المايتى الاخرى حتى يعود
ياخذها منهم. وحمل المبلغ المذكور الى السلطان

حسن باشا، وانضم اليه، وحاربوا، وضربوا المدافع على بيت زيد، وعلى الحرم المكى، وجرت أهوال عظيمة، تقشعر منها جلود المؤمنين. وكان سبب ذلك ان قيطاز بيك كان أوعد رجلا من الأشراف أن يأخذ له شرافة مكة بمعرفة حسن باشا. فبلغ ذلك الى زيد، فكان ذلك سبب الفتنة. ثم أن علماء مكة وأعيانها كتبوا عرضا فى حق قيطاز بيك بما حصل منه من الاهانة، وانتهاك حرمة البيت الشريف، وأرسلوه الى الديار الرومية. فورد خط بقتل قيطاز بيك، فأخفاه أحمد باشا. وفى أثناء هذه القضية، ورد خط شريف بطلب خمسماية نفر (٣٧) الى قلعة جريد للمحافظة. فولوا حسين جاويش مستحفظان، سرداراً، وسافرت العسكر من بولاق، فى سادس ربيع أول سنة ١٠٦١[١] ثم بعد ذلك ورد عزلان أحمد باشا، فعمل الباشا حسابا مع أهل مصر، وأخذ الرزنمجى دفتر الحساب[٢]، وخطه، بعلم المتأخر عليه. ولما جاء مسلم عبدالرحمن باشا، نزل أحمد باشا فى بيت ابن خضركتخدا عزبان الذى بطولون. ثم مكث أربعين يوما، ودفع ما كان عليه من المال، من غير ان يسأله أحد ولما أراد التوجه الى الروم منعوه من ذلك، وقالوا له أن عليك بقايا من الأموال، وكان نازلا بخيامه برا[٣] العادلية، فلم يلتفت اليهم، ولبس هو وعسكره آلة الحرب، وسافر على حمية، وأى حمية.

(١) ٢٧ فبراير ١٦٥٠م.
(٢) بالاصل «وأخذ دفتر الحساب الرزمنجي». (٣) برا بمعنى خارج.

وهو اربع ماية دينار وقال له انى مضيت الى الدياره
وقلت للرهبان احلفوا انه ليس للسلطان عندكم
حق فاشتروا يمينهم بستماية دينار وقد احضرت
منها اربع ماية دينار والبقية انا احضرها وما
انفصلت منهم الا وهم على تحصيلها. وحضر من
مشايخ الرهبان جماعة ووقفوا للسلطان اعز الله
نصره وشكوا له قضيتهم فلما وقف على امرهم
امر بان يعاد ماحمل من جهتهم عليهم فاخذوه
وجعلوه فى صينيه واوقدوا الشمع وداروا به القاهرة

---

٥٧. ذكر تولية عبد الرحمن باشا الخادم
عفى الله عنه

قدم الى مصر فى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع أول سنة ١٠٦١، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى خامس شوال سنة ١٠٦٢م[١]، فكانت مدة ولايته سنة وسبعة أشهر. ولم يحصل فى مدته قيل ولا قال، ولا نزاع. وكانت أيامه أحسن الأيام. ثم عزل وتولى بعده على مصر القاهرة محمد باشا أبو النور.

٥٨. ذكر تولية محمد باشا أبو النور
عفى الله عنه

قدم الى مصر فى عشرين جماد أول سنة ١٠٦٣، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى ثامن شعبان سنة ١٠٦٦[٢]، فكانت مدة ولايته ثلاث سنوات وتسعة أشهر. ولما استقر فى مصر زار القرافة، وزار مقام سيدى عقبة بن عامر الجهينى، الصحابى[٣]، رضى الله تعالى عنه، فأمر

---

(١) مدة ولايته: ١٢ ربيع أول ١٠٦١/ ٥ شوال ١٠٦٢هـ. ٥ مارس ١٦٥٠/ ٩ سبتمبر ١٦٥٢م.
(٢) مدة ولايته: ٢ جماد أول ١٠٦٣/ ٨ شعبان ١٠٦٦هـ ـ ١٨ ابريل ١٦٥٣/ ١ يونيه ١٦٥٦م.
(٣) عقبة بن عامر الجهنى: سكن مصر، وكان واليا بها من قبل معاوية، وكان قارئا وفقيها وشاعرا، توفى ٥٨هـ ـ ٦٨٧م ودفن بمصر فى قرافتها خارج المقطم، على مبارك، المصدر السابق، جـ٥، ص٥٦.

كلها وكانت قضية تعجب منها كل احد
وعجيبة ظهرت من اباء الديارات.

ثم امر [السلطان] بان لا يتعاملوا بالدراهم العتق
اصلا بل من كان معه منها شي يمضي به الى
الصيرفي وياخذ به ذهباً على حساب خمسة
واربعين درهماً [عتيقا] بدينار، ويرجع يصرف
الذهب بدراهم جدد على حساب سبعه وثلثين
بدينار. كان هذا بالاسم لان الذهب النقى ما كان

بنايه، فبنى، وجعل فيه مسجدا ومدرسة لقراءة الحديث الشريف. وبنا ضريحا، ومكتبا للأطفال، ورتب فيه عشرة أنفار يقرءون القرآن فيه كل ليلة اثنين[1]، وجعل لأرباب الشعاير والفقراء مرتبا من الخبز والشربة. وجعل لهم علوفة تصرف فى كل شهر. واشترط فى وقفه النظر لمن يكون أغاة الينجشرية بقلعة مصر. وهو الى الآن على ما كان عليه فى زمانه، جارى الشعاير والخيرات. جزاه الله خيرا، ورحمه رحمة واسعة، وأمر فى أيامه لنظار الجوامع أن يبيضوا الجوامع والزوايات والرباطات[2]، والمشاهد فبيضوها جميعا، فبسبب ذلك سمى أبو النور. وفى زمنه (٣٨) ظهر خارجى بارض الحبشة يقال له درويش جمع طايفة من المفسدين فقتل نايب الحبشة، وتولى درويش المذكور نيابة الحبشة، بالقهر والغلبة. فلما ورد الخبر الى مصر، أعرض فى شأن ذلك الى الاعتاب العلية. فورد الخبر بتعيين عسكر الى بلاد الحبشة. فعين من العساكر المصرية ألفا وخمسماية، وجعل سردارهم أحمد بيك بشناق. فسافروا من مصر خامس شوال

(١) لمزيد من التفصيل حول هذه المنشآت، والأوقاف المرصودة عليها، انظر: على مبارك، المصدر السابق، جـ٥، ص٥١ ـ ٥٨.

(٢) الربط: دور أعدت لاقامة الصوفية، وخصص بعضها للنساء المنقطعات، أو المهجورات أو المطلقات أو العجائز الأرامل من العابدات، وكان لها الجرايات، والمقامات المشهورة من مجالس الوعظ.
ـ دكتور توفيق الطويل، التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى، ص٣٨، على مبارك، المصدر السابق، جـ١، ص٨٩.

يقدر [الحصول] عليه. وكل من كان معه شى ما كان يقربه [يصرفه]، وانما هو اسم حتى تحل معاملتهم على مقتضى دينهم لانهم يقولوا [المسلمين] ان بيع الفضة بالفضة لا تحل بل حرام وكذلك الذهب بالذهب وكل شى بمثله. وكان الناس يتعاملون بها ولكن فى السر كل عشرة دراهم عتق يحسبوها بثمانية دراهم وربع جدداً، وكل درهم ينقصونه ثلاثة خرايب [خروبات](*)

(*) كانت حبوب الخروب معيار للوزن عند الصاغة، وهى هنا عملة صغيرة جداً وقد استفاد السلطان مبالغ كبيرة من فروق أسعار العملة هذه.

سنة ١٠٦٥(١)، فلما وصلوا حاربوا درويش المذكور. فظفروا به وقتلوه. وقتلوا جميع جنده، ونصرهم الله. وولوا ابن النايب الأول، نيابة الحبشة، عوضا عن والده. لأن أهل الحبشة طلبوه يكون نايبا عوضا عن والده. وعادوا الى مصر بالتأييد والظفر وفى تلك السنة حصل فى مصر طاعون(٢)، الى أن عافت الدنيا بالموتى. وسماه أهل مصر بفصل الحبش. ومات بهذا الفصل من العلماء، الشيخ أحمد السويدى، والشيخ على الاجهورى، وختم الفصل بموت هذين العالمين رضوان الله عليهم أجمعين. ولما ورد أحمد بيك بشناق إلى مصر زينت مصر ثلاثة أيام بلياليها. وفى آخر جماد الثانى سنة ١٠٦٦(٣) توفى رضوان بيك الفقارى وأمير الحاج الشريف سامحه الله تعالى. فألبس الباشا امارة الحاج لأحمد بيك بشناق. فلما حصل ذلك الأمر، اجتمع الصناجق الفقارية جميعهم وقالوا: كيف يأخذ امارة الحاج رجل أجنبى واحنا فينا الكفاية وهذا لا يمكن ابدا. فباتوا على ذلك وأصبحوا ملأوا(٤) الرميلة. وأنزلوا الباشا بالقهر والغلبة. ونفوا أحمد بيك بشناق خال، إبراهيم بيك أبو الشنب. وكان ابراهيم أبو الشنب خازندار. وكان أيامها خالى العذار وجعلوا حسن بيك الفقارى، سيد أبن الفقار الكبير أمير

(١) ٨ أغسطس ١٦٥٥م.
(٢) كتب عنوان جانبى «اعرف حلول الطاعون بمصر».
(٣) ٢٤ ابريل ١٦٥٦م.
(٤) بالاصل «مليوا».

والدراهم التى تجمع عند الصير فى تحمل الى القلعه وهى بعينها التى تضرب وتعمل هذا الدراهم المدورة بلا زيادة ولا نقصان وكانت فايدة للسلطان فيها كل الف دينار ماية وخمسة وسبعين دينار. وكانت الدار تعمل فى كل يوم ماية الف درهم فايدتها كل يوم بالتقريب خمس ماية دينار واستمر الحال على ذلك وتوسوس الناس وانضروا واستغاثوا الى الله تعالى فلم يغثهم. وعدم الذهب بالكلية

الحاج، وأعرضوا الى الديار الرومية فوجهت محافظة مصر الى الوزير مصطفى باشا. وأرسل قيامة مقام الى حسن بيك.

٥٩. ذكر تولية مصطفى باشا الوزير عفى الله عنه

قدم الى مصر يوم الاثنين المبارك خامس عشر شوال سنة ١٠٦٦م فأقام واليا بها الى أن عزل فى ثامن رمضان سنة ١٠٦٧[1]، وكانت مدة ولايته سنة واحدة. ولما قدم الى مصر عمل الى أكابر مصر، ضيافة فى قراميدان. واصلح بين الفقارية (٣٩) وبين أحمد بيك بشناق القاسمى، المتقدم ذكره، وفى تلك السنة أخرجوا أولاد العرب والشام من السبع وجاقات، وذلك بفرمان سلطانى[2]. وسببه عرض من أهل مصر. ثم وقعت فتنة بين السبع وجاقات عظيمة من عزل وتولية ونفى وقتل وغير ذلك. ثم ورد خبر بعزلان الباشا وتولية غازى باشا العجمى.

---

(١) مدة ولايته: ١٥ شوال ١٠٦٦/ ٨ رمضان ١٠٦٧هـ، فى التحفة عزل ١٨ رمضان ١٦٥٦/١٦٥٧م.

(٢) كان الانتماء الى الوجاقات للتمتع بامتيازاتها، أصبح سهلا ميسورا، مما جعل السكان يشكون من ظلم المنتمين الى الوجاقات، فكان صدور ذلك الفرمان، وان ثبت من استقراء الأحداث فى الفترات التالية ان مثل هذه الفرمانات، لم تنفذ بجدية وحزم، وظل باب الانتماء إلى الوجاقات مفتوحا.

حتى صار الدينار يدفع فيه خمسين درهما عتقاً فلا يقبل صاحبه يبيعه، ولم يوجد من يقربه وانضر الناس فى هذا اضراراً بيناً لان كل درهم كان مع الناس رجع إلى النصف والربع ونقص [نصف] الربع او انشف [أقل] لا محاله. وضربوا بعد ذلك فلوساً وباعوها كل اربعة فلوس بربع درهم واستبشر الناس بها اكثر من الدراهم الجدد وبقى الناس على هذه الحال مذبذبين. وجات رسل

---

٦٠. ذكر تولية غازى محمد باشا بن شاه سوار العجمى

الشهيد عفى الله عنه

قدم الى مصر فى ذى القعدة سنة ١٠٦٧، فاستمر واليا بها الى أن قتلوه فى شوال سنة ١٠٧٠[١]، فكانت مدة ولايته ثلاث سنوات. وفى مدته حصلت فتنة بين محمد بيك آلت الى قتل محمد بيك حاكم جرجه، بعد أن خرج الباشا والعسكر بسببه وتوجهوا الى الصعيد، فى خامس جماد آخر سنة ١٠٦٩[٢]، ثم رجعوا بعد أن قتلوا محمد بيك وتابعه أيوب بيك، ورجعوا بروسهم من منفلوط، وأن الباشا لم رضيت العسكر بتوجهه صحبتهم، ودخلت العسكر الى مصر براس محمد بيك وأيوب بيك، فى ثامن عشر رجب سنة ١٠٦٩[٣]. ثم أن الباشا مكث شيئا قليلا بعد قتلة[٤]» محمد بيك، وأرسلوا أعرضوا فيه، من جهة السرج الزمرد، والركاب الزمرد وكان محمد بيك قد حاز شيئا من الزمرد لم يحزه أحد. وكانت قتلة محمد بيك حسدا على كثرة ماله. لأنه ملك من الزمرد شيئا لم يحزه غيره. من قبض خناجر

(١) مدة ولايته: غرة ذى القعدة ١٠٦٧/ غرة شوال ١٠٧٠هـ ـ ٩ سبتمبر ١٦٥٧/ ١٠ يونيه ١٦٦٠م، تحديد تاريخ القدوم والعزل، من التحفة، ص٢٠١.

(٢) ٢٨ فبراير ١٦٥٩م.

(٣) ١١ أبريل ١٦٥٩م.

(٤) بالأصل «قتلت».

خـوارزم شـاه ملك الفـرس ومـا علم فى اى شى جاءوا.

وفى الصوم المقدس من هذه السنه تحرك اصحاب القـسـيس داود [ابن لقلق] لطلب البطركـيـه له واجتمعوا بانسان رومى تاجر يتردد الى البلاد من عكا وغيرها وكان اسمه مفرجاً وكان قريباً من السلطان اعز الله نصره ومن الامير فخر الدين استاذ الدار وجعلوا للسلطان خلد الله ملكه الفى

وسيوف، وسكاكين، ثم ان السلطان (أمر)[1] بقتل غازى باشا وضبط جميع ما تملك يده. ثم أنهم حبسوه فى قصر يوسف، واذا بأغا جاء فى طلب السرج الزمرد، والركاب الزمرد، والغدارة، وجميع ما كان عنده فخنقوه يوم الخميس ٧ شوال سنة ١٠٧٠[٢]. ثم أنهم لما جروه على دكة المغسل، وجدوا فى جيب قفطانه ورقة مكتوب فيها الأبيات المشهورة، وهى التى خمستها الشعراء، وهى التى أولها:

أمورا للاعادى أنتجتها يد الأقدار حتى أحكمتها

بنار فى فؤادى أضرمتها تجنـوا ذنوبـا مـاجنتـهـا

يداى ولا أمرت ولا نهيت

وهى أربعة أبيات مشهورة، خمستها الشعراء تخميسا نفيسا، رحمه الله تعالى. ودفن بجوار الشباك الذى للأمام الشافعى ابن ادريس[٣].

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) ١٦ يونية ١٦٦٠م.
(٣) الامام الشافعى: هو أبو عبدالله محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب القرشى ولد ١٥٠هـ/٧٦٧م. قرأ الموطأ على مالك بالمدينة، رحل الى بغداد مرتين، ثم خرج الى مصر وأقام بها الى أن توفى سلخ رجب ٢٠٤هـ/ ٨١٩م، ودفن بالقرافة فى القبة المشهورة، على مبارك، المصدر السابق، جـ٥ ص٢٥ ـ ٢٧.

دينار عن تقدمه داود فطلب منهم الفا معجلة
والالف الاخراه حتى تنجز حال القسمه فاجتمع
سبعة انفس من اصحابه ومضوا الى انسان تاجر
يقال له الحلى فادانوا [استدانوا] منه الف دينار
بالف ومايتى دينار الى شهرين وسلموها الى
مفرج. وتطاول الحال وسمع اضداد داود بهذا
فتجمعوا وتحزبوا وكتبوا الى السلطان بانهم غير
راضين وتفاقم الامربينهم على جارى العاده واقتبلوا

---

٦١. ذكر تولية مصطفى الباشا الوزير
ثانيا رحمه الله تعالى

قدم الى مصر غرة شوال سنة ١٠٧٠، فاقام واليا بها الى أن عزل فى شوال سنة ١٠٧١[١]. فكانت مدة ولايته سنة واحدة. ولما استقر فى مصر أمر بخنق غازى باشا، وضبط جميع ما كان أخذه من محمد بيك. فعدم الركاب الزمرد، فعاقبوا خازنداره، وكاتب ديوانه، فلم أقر أحد منهم بشىء. لأن السلطان محمد أرسل ينبه على جميع ما كان أخذه غازى باشا من الزمرد، الذى كان استخرجه محمد بيك من الصعيد، كأنه كان حاضرا فى استخراج محمد بيك لذلك الزمرد، وكان سبب استخراج الزمرد، أنه لما تولى محمد بيك جرجه، سال عن جبل الزمرد، فاخبروه بأن محل استخراجه صعب، لقلة الماء. فركب وسار، وهو وجماعته، الى الجبل، وصار فى كل يوم تطلع خلفهماية جمل محملة من الماء العذب، الى أن صار فى كل يوم، يدخل عليه الماء والذخيرة، الى أن بلغ الجبل، وبلغ ما بلغ من استخراج الزمرد، وكان من أمره ما كان. وعدم الذى عدم، وعوقب الخازندار والكاتب، ولم يقر منهم أحد. ثم أن الباشا مصطفى أرسلهما الى الاعتاب العلية. ولنذكر ما وقع فى زمانه من الوقايع وهو أن منارة (جامع)[٢] السلطان حسن سقطت فى الرميلة، ولم يحصل

(١) مدة ولايته: غرة شوال ١٠٧٠/ شوال ١٠٧١هـ - ١٠ يونيه ١٦٦٠/ يونيه ١٦٦١م.
(٢) الاضافة لايضاح المعنى، من التحفة، ص٢٠٢.

بالالفى دينار وقسطوها على الكنايس والنصارى
على ان داود [ابن لقلق] لا يذكر. ورفعوا الامر الى
السلطان فلم يقبل بل قال لهم اتفقوا مع
اصحابكم ولم يزل الحال كذلك ورقعة الالف دينار
مع مفرج والسلطان لا يردها ولا ياخذها لانه
ينتظر اتفاقهم . وفى اثنا هذا قبض على بعض
المستوفيين الذين كانوا يعاندون داود [ابن القلق]
وكان اخر ما تقرر ان تكتب اربعة رقاع من

لأحد أذية من سقوطها، الا رجل وامرأة، وكان ذلك فى يوم الجمعة، والناس فى صلاة الجمعة فى ١٥ محرم الحرام سنة ١٠٧١[١] . وفى عاشر صفر الخير منها[٢]، ثارت فتنة الفقارية[٣] وهى التى قطعتهم. وكان سبب ذلك قتل خمسة أنفار من العزب، فى بلد عثمان بيك الوالى. وكان عنده سيمانية بعلوفة[٤]، فغضب عليهم لأمر منهم، فقتلهم. ثم لما وصل الخبر لباب عزبان، عينوا له أغا، وطلبوه، فجاء، وترافعوا فى الديوان العالى على يد شيخ الإسلام، بحضور الوزير فثبتوا عليه القتل، فقتلوه، وطلع بيرم أوضباشا، والصناجق الفقارية، محاميين لعثمان بيك الوالى. فقتلت العزب، بيرم أوضباشا. وكانت القاسمية محاميين للعزب. وطلعت الصناجق الفقارية هاربة الى نحو الصعيد، ثم عادوا نحو الجيزة. فتهيا الباشا للسفر خلفهم. فحضر أحمد بشناق والتزم بالسفر خلفهم هو وجماعته فقط وانه يحضرهم بين يديه. فألبسه قفطانا، وتجهز خلفهم، فادركهم فى الطريق، وقتلهم فى الطرانة[٥]، وعاد الى مصر برءوسهم،

(١) ٢٠ سبتمبر ١٦٦٠م.

(٢) ؟؟

(٣) فتنة الفقارية: لمزيد من التفصيل عن هذه الفتنة، انظر: «تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق» تأليف، إبراهيم الصوالحى العوفى، تحقيق: د. عبد الرحيم عبد الرحمان. المعهد الفرنسى. القاهرة. بدون تاريخ.

(٤) سيمانية بعلوفة: أى مماليك، لهم مرتبات شهرية.

(٥) الطرانة: احدى قرى مركز كوم حمادة، محافظة البحيرة، وهى من القرى المصرية القديمة، محمد رمزى، القاموس الجغرافى، القسم الثانى، جـ٢، ص٣٢١ ـ ٣٣٢.

جملتهم داود ويرفع على الهيكل فمن طلع اسمه قدم الا ان اصحاب داود [ابن لقلق] لم يرضوا بالقرعة لانهم كانوا يقولون ما عندنا الا صاحبنا ومن هو مثله حتى نقرنه به ونقارع بينهما. وكان التناحر والاحتيال والمنازعة قويا جدا وكان زمانا صعبا على الناس وخصوصاً الكتاب. ولما امسك هولاء المستوفيون اشتغل كل احد بنفسه ووقف حديث البطركيه فمنهم من اخذ خطه بعشرة الف

وطلع الى الديوان فى موكب عظيم. ثم سافر أحمد بيك برءوسهم الى الديار الرومية، والعرض فى ربيع أول سنة ١٠٧١[1]. ثم عزل مصطفى باشا المذكور وتولى عوضه ابراهيم باشا.

٦٢. ذكر تولية ابراهيم باشا الشيطان
ويعرف بملك[2]

قدم الى مصر من طريق البحر، وصحبته أحمد بيك بشناق. الذى كان سافر برءوس الفقارية، فى غرة جماد آخر سنة ١٠٧١. ثم عزل فى رابع شوال سنة ١٠٧٤[3]، فكانت مدة ولايته ثلاث سنوات الا شيء. ومن جملة ما معه خط شريف باخراج أولاد عرب من البلوكات، وتبطيل أولاد وعيال والمرتبات التى بمكة والمدينة، وأسامى[4] كثيرة. وأن يرفع من أسامى النسوان ما زاد على سبعة عثامنة. وجعل على الملتزمين مالا، وسماه المضاف، على كل

(١) فى التحفة ص٢٠٢، أن سفر احمد بيك بالرءوس والعرض كان فى صفر ١٠٧١هـ - أكتوبر ١٦٦٠م.

(٢) فى التحفة ص٢٠٢، أنه «كان يعرف بشيطان إبراهيم، وفى استنبول بملك إبراهيم باشا».

(٣) مدة ولايته: غرة جماد آخر ١٠٧١/ ٤ شوال ١٠٧٤هـ - ١ فبراير ١٦٦١/ ٣٠ أبريل ١٦٦٤م، وفى التحفة أنه قدم فى ١٦ شوال ١٠٧١هـ - ١٤ يونية ١٦٦١م.

(٤) كذا بالأصل.

دينار ومنهم من اخذ خطه بخمسة الف دينار واقلهم ثلثة الف دينار وكان الوقت على الناس كلهم صعباً شديداً وان كان الرخص الا من قبل [بالرغم من] قساوة قلب السلطان عليهم. وفى هذه المدة وصل رسول امير المومنين ابى نصر الظاهر بامر الله القايم بعد ابيه الناصر لانه توفى فى هذه السنة فى بغداد ومعه خلع سنيه سود مذهبه وحل [حُلل] منها ما هو مفصل بذهب برسم

كيس خمسة آلاف نصف فضة[1]، وفى تاسع الحجة سنة ١٠٧٣[2]، طلع أحمد بيك بشناق يعيد على حضرة الباشا حكم ما جرت به العادة، يهنون الوزير بيوم عرفة، فسلم على الوزير وأراد الذهاب، فهو فى دهليز السرايا، واذا بجماعة الوزير لقته فضربته بالخناجر فقتلوه. ثم أنهم أخذوه برجله ورموه فى حوش الديوان هو وكيخيته مصطفى كيخية. ثم أنهم جابوا تابوتين ووضعوهما فيهما، وأنزلوهما الى منزلها. ثم جاء العزلان الى ابراهيم باشا، وحوسب، فطلع عليه تسعماية كيس. فحبسوه الى حين يقدم عمر باشا، ثم ورد مسلم عمر باشا فى شعبان.

٦٣. ذكر تولية عمر باشا قاتل العرب

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى يوم الخميس ذى الحجة سنة ١٠٧٤ فاستمر واليا بها الى غاية رمضان

(١) المضاف: ضريبة أضافية كانت تفرضها الروزنامة فى بعض السنوات لاكمال العجز الذى يحدث فى الخزينة، وقد سجلت دفاتر الالتزام، نوعين من المضافات، مضاف مؤقت يفرض لظروف طارئة تستدعى فرضة ثم يلغى بزوال هذه الظروف، ومضاف ثابت، يضاف الى المال الميرى ويصبح جزءا منه، انظر: دكتور عبدالرحيم عبدالرحمن، الريف المصرى، ص١٠٨ ـ ١١٠.

(٢)

ركوب السلطان الكبير. ولبس السلطان واولاده الخلع بالعمايم والبس اكابره واكابر الامرا خلعاً دونها. من [فمن] كان منهم يلبس العمامه اعطاه عمامه ومن كان منهم يلبس شربوشا اعطاه شربوشا وكل ذلك مما جا من بغداد وكان ذلك يوماً مشهودا. ووصل بعد ذلك رسول ملك الروم صاحب قونيه واقصرا ورسول الكرج [الكرد] ورسل كثيرة من كل جهة. وارجف بعد ذلك بان

سنة ١٠٧٧[١]. فكانت مدة ولايته سنتين وسبعة أشهر. وفى سنة ١٠٧٥[٢] قامت طايفة مستحفظان على مراد كتخدا، ودرويش كتخدا، وقتلوهما فى القلعة خنقا. وفى تاسع عشر ربيع الثانى[٣] اتفقت الينجشرية والعزب وادعوا على أويس[٤] بيك الدفتردار بأنه قتل نفرا من أنفارهم، وأثبتوا عليه القتل، فاقر بأنه مملوكه، فلم يفده شيئا وقتلوه فيه. وفى السنة المذكورة طلع في السماء نجم له ذنب طويل، وحصل فى تلك السنة زلزلة عظيمة ثلاث مرات[٥]، بحيث أنها أرمت النخيل، والجميز، والأشجار العالية، وهدمت البيوت. وكانت زلزلة هايلة، لم يسمع بمثلها. وفى ذلك الشهر ورد خط شريف من الديار الرومية، بطلب زين الفقار بيك، ومصطفى بيك أفندى بن سهراب الرزنمجى، فسافروا، ورجعوا منصورين مويدين. وكان ورودهم فى رجب سنة ١٠٧٥[٦]، بعد قتلة مراد كتخدا، ودرويش كتخدا، وبعد مجيء[٧] ابن سهراب. وهو فى أواخر رجب سنة ١٠٧٥[٨]، اجتمعت العسكر بالديوان، وطلبوا من

(١) مدة ولايته: ٥ ذى الحجة ١٠٧٤/ غاية رمضان ١٠٧٧هـ - ٢٩ يونية ١٦٦٤/ ٢٦ مارس ١٦٦٧م، فى التحفة أنه عزل ١٥ رمضان ١٠٧٧هـ - ١١ مارس ١٦٦٧م.

(٢) ١٦٦٤/١٦٦٥م.

(٣) ٩ نوفمبر ١٦٦٤م.

(٤) بالأصل «عويس» والتصويب من التحفة، ص٢٠٤.

(٥) بالأصل «مرار» والتصويب من التحفة، ص٢٠٤.

(٦) يناير/ فبراير ١٦٦٥م.

(٧) بالأصل «مجتىء».

(٨) فبراير ١٦٦٥م حيث أن سفر ابن سهراب كان فى شهر ربيع الثانى ١٠٧٥ - أكتوبر/ نوفمبر =

خوارزم شاه قد كسر عسكر الكرج وفتح تفليس
وايجارا [سنجار] وشاعت بذلك الاخبار. وبعد هذا
طال على اصحاب القسيس داود المطال وطالبهم
صاحب الالف دينار بها وبربحها لانهم كانوا
اخذوها منه الى شهرين بالف ومايتي دينار فلما
تجاوزت الشهرين اعطوه فايدة اخرى فشاوروا
السلطان واستعادوا الالف دينار المذكورة واعادوها
الى صاحبها مع ربحها وسكنت الدهما وانقطع

الوزير خمسين نفرا من جماعته تنزل تفتش على السلاح الذى عند الرعايا وأهل القرى جميعا، ويمنعون الرعايا من شيل السلاح. فعينوا سياويش[1] أغا، أغة الجملية، وجماعة الاسباهية. فنزلوا وفتشوا جميع الوكايل وجميع قرى الاقاليم. وعادوا بسلاح لا يكاد يوصف، ففرقوه على السبع أوجقات وأحدث سياويش أغا مظلمة[2] على جميع البلاد، وسماها الطلبة[3]، وهى باقية الى زماننا هذا. وتسمى بطلبة سياويش أغا، وهى كانت فى نظير خدمته. وفى عاشر جماد الثانى سنة ١٠٧٦[4] توفى شيخ الاسلام السلطان، سلطان المزاحى شيخ الجامع الأزهر[5]، وبعد موت الشيخ سلطان، ظهرت

= ١٦٦٤، وعودته فى أواخر رجب ١٠٧٥هـ ـ فبراير ١٦٦٥م والضمير «وهو» يعود على «المجىء».

(١) بالأصل «سواويش» والتصويب من النص ذاته حيث كتبها بعد ذلك «سياويش» ومن التحفة، ص٢٠٤.

(٢) كرر بالأصل لفظ «مظلمة».

(٣) بالنسبة لمظلمة «الطلبة» انظر، كشف الكربة، لمحمد بن أبى السرور البكرى، «وبلوغ الأرب» للبرلسى السعدى، مصادر سبق ذكرها.

(٤) ١٨ ديسمبر ١٦٦٥م.

(٥) الشيخ سلطان المزاحى: هو أبو العزايم سلطان بن أحمد ابن سلامة المزاحى الشافعى، وحديث المؤلف عنه، على أنه شيخ الجامع الأزهر، يدل على أن منصب مشيخة الأزهر، كان سابقا على عهد محمد ابن عبدالله الخرشى المالكى، لمزيد من التفصيل حول هذه القضية، انظر: دكتور عبدالجواد صابر اسماعيل، مجتمع علماء الأزهر فى مصر ابان الحكم العثمانى، رسالة دكتوراه، غير منشورة، أجيزت بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ص٥٥٩ ـ ٥٨١.

القال والقيل. ثم جآ النيل فمد مداً لطيفاً ثم نقص من السادس عشر من ابيب(*) الى العشرين منه مقدار عشرة اصابع ثم رد النقص وزاد الزيادة المعهوده. وفى هذه الايام وردت الاخبار بان الملك المعظم سلطان الشام قد خرج من دمشق طالبا الى حماه وانه قد حرك [أبعد] خوارزم شاه على ارض خلاط وهى ملك الملك الاشرف صاحب الشرق والسلطان صاحب مصر من قبله فامر العساكر المصرية ان يخرجوا الى ارض القدس والساحل وما

(*) ١٦ أبيب = ١٠ يوليو حسب التقويم الجولياني.

الظرب[١] فى مصرنا. وكان رأسهم محمد بيك حاكم جرجة الثاني. وكانوا خمسة انفارا من الينجشرية، وهم قرا فضلي وفضلي[٢] اليماني، ويوسف الحريرى وأصلان، ودرويش علي. واجتمع عليهم من اوجاقهم طايفة ضالة آذوا المسلمين، واستباحوا أموال الخلق، وزاد الظلم، وابتهلت الخلق بالدعاء الى الخالق. فطلع محمد بيك الى الديوان منفردا عن أعوانه، فأمر الوزير بقتله، فقتلوه وهو خارج من عند الباشا. ثم قطعت رأسه وأراح الله المسلمين من شره وظلمه. ولما بلغ الخبر الى أعوانه الفجرة، قامت قيامتهم، فاجتمعوا، ودخلوا جامع المؤيد[٣]، وتحصنوا فيه. وكان يوما مشهودا، ولكن تداركه الله باللطف فأمر الباشا الصناجق، والاغوات، والامرا، أن يتوجهوا اليهم ويحاربوهم وان ادى الى هدم الجامع هدموه، فلما احتاطوا بالجامع، ورموا عليهم بالمدافع والبندق، نادوا: الأمان، الأمان، واستسلموا وخرجوا من الباب الذى ناحية الماطيين: الباب الصغير، يريدون الفرار من القتل والحرق، فتخطفتهم أيدى الرعايا، وسقاهم

(١) الظرب، أو الزرب: جمع زربة Zarba التركية، وتعنى العصاة من العساكر، وقاسى السكان الشيء الكثير من اذاهم، دكتور عبدالكريم رافق، المصدر السابق، ص٢٨٢.
(٢) بالأصل «قراقطلي وقطلي اليماني» والتصويب من التحفة، ص٢٠٤.
(٣) جامع المؤيد: موقعه بجوار باب زويلة، أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى ٤ جماد آخر ١٧/٨١٨ ربيع أول ٨٩هـ ـ ١٢ أغسطس ١٤١٥ ـ ١٥ مايو ١٤١٦م، ووقف عليه عدة مواضع بمصر وبلاد الشام، على مبارك، المصدر السابق، جـ ٥، ص١٢٤ ـ ١٢٨.

يتاخم دمشق ونهبوا وحرقوا وسبوا. فجهزوا لذلك. والناس بعد ذلك فى ضايقة وشدة من النقود واختلافها وقول السلطان لا يتعامل بالنقد العتيق وهو كثير بايدى الناس وايضاً فلبغضهم فى النقد الجديد لانهم كانوا يخسرون فيه الربع من اموالهم لانهم كانوا يحضرون الى الصيارف او الى دار الضرب خمسة واربعين درهماً عتيقاً فيعطون بها سبعة وثلثين درهما جديد والقيمة القيمة والعيار العيار فيكون غرامتهم فيه الربع او دونه والنداء

الباشا كاس المنايا، وضربت رقابهم فى باب زويلة. لهم وأتباعهم وكان فى ذلك اليوم لأمر يريده الله تعالى، تحت الدكك سرداب الجره بتاع الصالح، فرموهم على السرداب: ولم يهرب منهم الا القليل. ومن جملة من هرب، يوسف الحريرى، فاستجار بجار له يقال له الميمونى. وكان من أعز اصدقايه فلما استخبا عنده، واذا بالمنادى ينادى: كل من دل على يوسف الحريرى، له ثمانين عثمانى، وكيس فلوس خمسة وعشرين ألف فضة، وان وجد عند أحد، ولم يدل عليه، يقتل وتخرب داره. فدل عليه الميمونى. فأخذوه، ورموا رقبته على التراب، ولم يعطوا الميمونى شيئا. وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا. وفى شهر ربيع أول سنة ١٠٧٧[(١)] ورد خط شريف بطلب ألفين عسكرى[(٢)] الى محافظة قلعة جريد، وأن يكون سردارها رمضان بيك. فلما سافر من اسكندرية، طلعت عليهم أنفار، بعدة غلايين، فمكثوا ثلاثة أيام يقاتلوا، الى ان فرغ الرصاص والجلل، فصار رمضان بيك يرمى باكياس الريالات، الى ان لم يبق شيء من الريالات، وأسروه وجميع من كان فى ذلك الغليون جميعا. وفى خامس عشر ربيع أول سنة ١٠٧٧[(٣)]، أرسل السلطان محمد خطأ شريفا[(٤)]، بطلب مصطفى أفندى بن سهراب. وهى السفرة الثانية، لاجل سؤال ورد جواب، من جهة الخزينة

(١) سبتمبر ١٦٦٦م.
(٢) كذا بالأصل وصحتها «الفى عسكرى».
(٣) ١٥ سبتمبر ١٦٦٦م.
(٤) بالأصل «خط شريف».

مستمر بأنه من تعامل بها احل ماله ودمه ومن وجدت معه احرق به ونكل، والذهب قليل جدا. ورسم السلطان ان يكون صرف الدينار بالجديد اربعين درهما بدينار واذا جا الانسان الى الصيرفى يطلب منه دينارا بدراهم ولا ياخذ منه الا ثلثه واربعين درهما ونصف جديده والا انكر ان ما عنده ذهبا اصلا. وكان الناس من هذا الوجه فى شدة شديدة الا ان الاسعار كانت رخيصه والاشياء موجوده وسببه استيلا الفقر والضعف على الناس.

العامرة. فامره الوزير عمر باشا بأن يكتب دفترا بالايراد والمصرف على التحرير[1]، بمعرفة أعيان مصر. وجهزة مع ابن اسهراب أفندى صحبة الاغا، وكان ابن سهراب أفندى هذا عارفا بعلم الرمل، والزايرجه (٣٤٩)، والروحانى، والنجم، والميقات، والكيمياء. ومن أعجب ما وقع له، أن رجلا من ذوى البيوت والأعراض، صار لا يملك شيئا، وركب عليه ألف شريف محمدى. ثم أنه ذهب الى ابن سهراب، وشكا له حاله، وكان يعرفه فى حال غناه، فرق له، ثم انه فتح الدولاب الذى خلف ظهره، فى المقعد بمنزله الذى هو الآن سكن حسين كتخدا الدمياطى، بالقرب من سوق السلاح، وأخرج له من الدولاب فنجانا، وقال له: خذ هذا الفنجان وضعه فى دولابك على فمه، وفى كل يوم بعد أن تصلى الصبح، افتح الدولاب، وخذ ما تحت الفنجان، الى أن توفى دينك، وتكفى روحك هاتة وتعالى، فكان كذلك. فأخذه، ووضعه كما قال، ثم انه أصبح صلى الصبح، وفتح الدولاب، وشال الفنجان، فرأى تحته ماية بندقى. ثم انه بعد الأربعة أشهر رده الى ابن سهراب. وكان عنده رجل جالس. فاعطاه (له)[2] وامره ان يفعل كما أمر الرجل، والله أعلم. ثم أنه ضرب لنفسه تخت رمل، لينظر ما يحصل له من السلطان محمد، فرأى أنه يحصل له رقى، الى أن يدخل مصر على أعناق الرجال. ثم سافر وجاء العزلان إلى عمر باشا، وتولية ابراهيم باشا، والله أعلم.

(١) بالأصل «التجريد» والتصويب من التحفة، ص٢٠٥.
(٢) الاضافة لايضاح المعنى.

واستوديت الجزيه فى هذه السنة من الذمه دينارين كل راس، صرف ثمانيه واربعين درهما عتق [قديمة] بدينار. تقع [تجمع] ماية درهم الجزيه فى القاهرة ومصر، فأما البلاد البرانيه فتقع الجزيه ماية وعشرين درهما. وندب من المقام السلطانى قوم يقال لهم الصقعون(*) والكشاف خرجوا الى الاعمال القبليه والبحريه واحدثوا على الناس حوادث منها انهم طلبوا منهم حق الجبانات والمقابر وثمن الطوب والحجارة التى بنوا بها بيوتهم وادعوا

(*) الصقاعون والكشاف يجمعون مختلف الغرامات والأموال من المصريين دون وجه حق.

٦٤.ذكر تولية ابراهيم البستنجى
عفى الله عنه

قدم الى مصر فى يوم الاثنين عشرين شوال سنة ١٠٧٧، فأقام واليا بها الى أن توفى فى سبعة عشر رجب سنة ١٠٧٨[١]. وكانت مدة ولايته سنة واحدة وثمانية أشهر. وكان وزيرا[٢] عاقلا، محسنا، وجيها، صالحا غير أن[٣]. كيخيته كان خبيثا لئيما، فسلم الوزير مقاليد الحكم اليه، فصار لايتم أمر الا بمعرفة كيخيته. وفى زمنه توفى الشريف زيد، وتولى شرافة مكة من بعده ولده سعد الاشرم[٤] وفى تلك السنة ورد مصطفى أفندى بن سهراب من الديار الرومية، وصحبته[٥] خط شريف بأنه مفوض الأمور جميعها فى أموال مصر، مصرفها وايرادها ولما بلغ ابراهيم باشا ذلك الأمر، دس عليه السم فى سماط عمله له فى الخانقاه بقرب سرياقوس[٦]. وكان قد أرسل اثقاله[٧] الى منزله، وبات فى الخانقاه، ولأجله أكل السماط.

(١) مدة ولايته: ٢٠ شوال ١٧/١٠٧٧ رجب ١٠٧٨هـ - ١٥ أبريل ١٦٦٧/ ٢ يناير ١٦٦٨م، وفى التحفة ص٢٠٥ أنه توفى ١٠٧٩هـ - ١٦٦٨/ ١٦٦٩م.

(٢) بالأصل «وزير».

(٣) بالأصل «أنه».

(٤) بالأصل «الاثرم».

(٥) بالأصل «وصحبة».

(٦) سرياقوس: من القرى القديمة بمركز شبين القناطر، محافظة القليوبية، محمد رمزى، المصدر السابق، القسم الثانى، جـ١، ص٣٥.

(٧) بالأصل «ثقله» والتصويب من التحفة، ص٢٠٦.

ملكية الدور وطالبوهم بالاثبات وقالوا البلاد كلها
ملك السلطان وانتم من اين ملكتم هذه اثبتوا
بالشرع والا الكل ملك السلطان وقوموا بالاجرة
منذ سكنتم والى الان. واعادوا عليهم المساحات
فى الراتب وغيره وزيدوها عليهم وكثر الرفاعون
[المساحون] وانفتحت لهم الابواب وحصل من
هذه الجهة جملة كبيره افقرت الناس جميعهم.
وكان بمصر رجل يقال له عبد القادر وكان قد
ضمن [التزام] مكوس الذمه بالقاهرة ومصر وكان

وكان السم فى طاسة مسلوقة، فبمجرد ما أكل من المرقة لوى عليه قلبه، ومات من وقته. فحمل على أعناق الرجال الى منزله. وصح ما كان قاله قبل رواحه الى الديار الرومية، بأنه لا يدخل مصر الا محمولا على أعناق الرجال الى منزله، لما ضرب التخت الرمل، ولم يخيل بباله الموت، وانما خيل بباله الرقى والرفعة، ولكن اذا جاء القضا عمى البصر. وبعد موت ابن سهراب وقع فى مصر طاعون لا يكاد يوصف. وسمى ذلك الفصل أهل مصر، الموت الأصفر، لأن الرجل أو المرأة اذا انضرب، أصفر وجهه وجلده. الى أن يصير مثل الليمون الأصفر. وفى هذه السنة سافر يزبك بيك[1] بالحج الى مكة المشرفة فلما دخل مكة اجتمع برجل من الأشراف الحسنية، يقال له حمود[2]، فاتفق معه انه اذا دخل مصر يأخذ له قفطانا بشرافة مكة، والتزم له بذلك. ثم أنه أصطحب معه ابن الشريف حمود الى مصر، فلما اخبروا الباشا، لم يرض بذلك. وقبض على ابن حمود، وحبسه عند نقيب الاشراف بمصر. فلما بلغ حمود هذا الأمر، أظهر العصيان والفساد والتعب لاهل مكة، وقطع الطريق. ولما بلغ الوزير ذلك الأمر لبس[3] يوسف بيك قفطانا، على مشيخة الحرم، ومحافظة بندر جدة. وعين له خمسماية نفر

(١) بالأصل «يذر» والتصويب من التحفة، ص٢٠٦.
(٢) بالأصل «حمودة»والتصويب» من النص ذاته حيث كتبه بعد ذلك «حمود» والتحفة ص٢٠٦، عثمان بن بشر، عنوان المجد بتاريخ نجد، جـ١، ص٧٢.
(٣) بالأصل «ليس الأمر»، ووضعت علامة التقديم والتأخير.

عليهم منه ضر عظيم وكان يظلمهم ظلماً فاحشاً ويقطع مصانفاتهم [مصانعاتهم = اتباعهم وعمالهم] وياخذ جواريهم ومماليكهم باليد ويودعهم الحجز ويقول هولاء مسلمون وانتم سمحتهم فيهم وغلبهم عليهم فاما نبالغهم واما يقطع مصانعتهم عليهم. وكان ارباب الدوله يساعدونه على ذلك لعلمهم بنفس الاصل. وفى هذه السنة فتح خليج الدكر الذى من قنطرة المقس وخرق الى خليج القاهرة المعروف بالحاكمى

صحبته وتوجه على العادة، فى أواخر جماد آخر. فلما وصل الى بندر الينبع، أرسل حمود يعرف يوسف بيك ويحذره، ويقول له ارجع الى مصر بالسلامة. وكرر عليه القول أولا وثانيا. فقال يوسف بيك: هذا لا يمكن ايش جرى علينا حتى نرجع من غير قتال. فما اتم هذا القول، حتى احاط به حمود بعسكره، وأنزل بهم القتل. ولم يمكث يوسف بيك الا أقل من ساعة حتى قتلت طايفته، وأسر يوسف بيك، ومن بقى. ثم أن حمود أرسل أربعة أنفار يوردوا الخبر الى الباشا بمصر، فلما قرا الوزير الكتاب، جهز ثلاثة صناجق وهم محمد بيك أبو قورة[1]. ويوسف بيك صهر النقيب، وحسن بيك طبال، وعشرة من الجراكسة. وفى سادس شوال[2] برز محمد بيك أبو قورة، سردار العسكر ومحافظ جدة، ومن عين معهم، وتوجهوا من البر والبحر، وسافر يزبك بيك خلفهم بالحاج، فى رابع عشر شوال[3]. ولما وصلوا الى ينبع البر وراى حمود هذه العساكر الذى سدت القفار، وهم ينوفون عن خمسة آلاف، وأتباعهم، لان العساكر المكتوبة ثلاثة آلاف[4]، غير اتباع الصناجق. فالقى الله الرعب فى قلبه، وأخذ جميع ما يعز عيه وهرب ليلا، ولما طلع النهار، صارت العسكر تنظر الى خيام حمود، فلم يروا فيها احدا، فهجموا عليها ونهبوها[5] جميعها. ثم ساروا مع الحاج، ووقفوا بعرفات، وعادوا صحبة الحاج الشريف. فلما بلغ الوزير مجيهم بغير اذنه، احتد الوزير، وأراد أن يمنعهم من الدخول

(١) بالأصل «أبو قدوة»، والتصويب من التحفة، ص٢٠٧، ومن النص ذاته.

(٢) ٢٠ مارس ١٦١٨م. (٣) ٢٩ مارس ١٦٦٨م. (٤) بالأصل «ثلاث آلاف».

(٥) بالأصل «نهبوا» والتصويب من التحفة، ص٢٠٧.

وعمل على فمه سد مضافا الى السد الجارى به العاده. وفى هذه السنة التقى البحران [النيل والخليج المصرى ٦٢٣هـ= ١٢٢٧م = ٩٤٢ قبطية]. فى نهار الجمعه السابع من مسرى الموافق للرابع من شعبان سنة ثلاث وعشرين وستمايةوكان السعر رخيصاً والاشيا موجودة الا ان الرزق مقتر قليل. ثم ان السلطان اعز الله نصره عزم على التوجه الى الشام لخلف وقع بينه وبين اخيه صاحب دمشق ورسم للامراء والاجناد بتجهيز

الى مصر. فاجتمع به أعيان الأكابر، وعرفوه أن منعهم الدخول الى منازلهم يحصل منه فتنة، فأرسل لهم فرمانا(١) بالدخول. فطلعوا الى الديوان، ولبسوا القفاطين على حكم العادة. وفى خامس عشر رمضان سنة ١٠٧٨(٢) ظهر فى الجو عمود احمر ين المغرب والعشا، ومكث طول ليلته. وفى ثامن شوال(٣)، امطرت السماء بردا، كل واحدة قدر النارينجة، وبقيت أياما على وجه الأرض. وفى ثامن الحجة(٤) أتى نجاب من مكة المشرفة بموت يوسف بيك محافظ جدة، وأنه ترك ولدين لصلبه، كانا فى صحبته(٥)، لما توجه الى حمود. ثم ان الباشا ختم على موجوداته. وفى شوال(٦). ورد خط شريف بطلب الرزنمجى. وكتبة الديوان والأوقاف والدشايش(٧) الى الأعتاب العلية. فجهزوهم، وسافروا فى غرة محرم الحرام سنة ١٠٧٩(٨) صحبة مصطفى أغا. فقضوا أمر السلطان وأدوا ما كان مطلوبا من السؤال والجواب ورجعوا صحبة مصلى اغا الى مصر منصورين مؤيدين، فى سابع جماد الثانى سنة ١٠٧٩(٩)، وفى يوم ورودهم الى مصر، توفى ابراهيم باشا، ودفنوه بالقرافة، وعملوا يوسف بيك قايم مقام،

---

(١) بالأصل «فرمان».
(٢) ٢٨ فبراير ١٦٦٨م.
(٣) ٢٢ مارس ١٦٦٨م.
(٤) ٢٠ مايو ١٦٦٨م.
(٥) بالأصل «كانوا».
(٦) مارس/ أبريل ١٦٦٨م.
(٧) الدشايش: هى اوقاف الدشيشة الكبرى، وأوقاف الدشيشة الصغرى، وهى الحبوب المطحونة التى كانت ترسل الى كل من مكة والمدينة.
(٨) ١١ يونية ١٦٦٨م.
(٩) ١٢ نوفمبر ١٦٦٨م.

اشغالهم وقويت الحركة فى ذلك وتجهز الناس بما يقدرون عليه وخرجوا الى البركه [بركة الحبش] وفى يوم الاربعا السادس والعشرين من مسرى(*) [٩٤٢ قبطيه] الموافق للثالث والعشرين من شعبان سنة ثلاث وعشرين وستمايه وصل المفرد من الصعيد واخبر بان النيل وفى به وكان النيل اذ ذاك فى مصر على اصبع من ستة عشر واصبح فى السابع والعشرين من مسرى(*) زاد ثلاثة اصابع وفى الثامن والعشرين ثلاثة اصابع وفى التاسع

(*)٢٦ مسرى = ١٩ أغسطس.

(*) ٢٧ مسرى= ٢٠ اغسطس.

وأعرضوا الأمر الى الأعتاب العلية، فلما وصل العرض فوضوا محافظة مصر الى قراقاش على باشا. وفى غرة رمضان[1]. حبسوا أحمد كيخية الوزير، وحسين أفندى، شهر حواله. وفى ثالث عشر رمضان، ورد خط شريف بطلب الف نفر الى محافظة جريد، فعينوا قانصوه بيك القربينى، وسافر العسكر، وفتح الله عليهم بفتح القلعة. وفى شعبان ورد مسلم على باشا قراقاش الوزير.

٦٥. ذكر تولية الوزير على باشا قراقاش

عفى الله عنه

قدم الى مصر يوم السبت ٣ القعدة سنة ١٠٧٩، فاستمر واليا بها الى أن عزل فى غرة الحجة سنة ١٠٨٠[2]. فكانت مدة ولايته سنة واحدة. لما استقر بالقلعة احضر أحمد كتخدا الوزير. وطالبه بما كان على سيده. فأجاب للوزير جوابا لا فايدة فيه، فتغير الوزير منه، ورده الى السجن. وفى تاسع ربيع الأول[3] كان وفا النيل، فأمر على باشا بأن المراكب تزين على

(١) ٢ فبراير ١٦٦٩م.

(٢) مدة ولايته: ٣ ذى القعدة ١٠٧٩/ غرة الحة ١٠٨٠هـ ـ ٤ أبريل ٢٢/١٦٦٩ أبريل ١٦٧٠م، فى التحفة، ص٢٠٩ أن قدومه كان فى ١٣ القعدة ١٠٧٩هـ ـ ١٤ أبريل ١٦٦٩م.

(٣) بالأصل «تاسع الأول» ٧ أغسطس ١٦٦٩م والتصوب من التحفة، ص٢٠٩، ويذكر أنه فى «ثانى ربيع الأول ـ ٣١ يولية ١٦٦٩م».

والعشـرين [زاد] اصبع واحد فصار على ثمان اصابع من ستة عشر ذراعاً ثم وقف اخر مسرى(*) واول النسى(*) وربما اضطرب. وفى هذا النهار ورد الخبر بموت الامام الظاهر ابى نصر محمد الخليفة الجديدة وما له اكثر من ستة اشهر وعملت ضحيته ببركة الحب [الحبش] فى اليوم المذكور وهو يوم الاثنين اول النسى والسلطان راحل يريد الشـام والاسعار رخيصة والاشيا موجوده الا ان الناس ضعاف الى الغاية والدولة فيها عنف. ثم دخلت

(*) أخر مسرى = ٢٣ أغسطس

(*) اول انسى = ٢٤أغسطس.

حسب العادة القديمة. وركب الباشا من بولاق. هو والصناجق. والأغوات. وشيخ الاسلام الى المقياس. على الحكم القديم. وكان عادة مصر على هذا الحكم. وكانوا قد أبطلوه قبل هذا التاريخ بسنوات. وكانوا محتجين بطلوع العسكر الى محاصرة جريد. وأن هذا اللهو لا معنى له فى هذه الأيام. وفى ذلك الشهر ورد خط شريف بطلب ألف ومايتى كيس من أحمد أغا كتخدا الوزير المسجون، لأنه كان أعرض بطلب باشوية مصر. والتزم بدفع ذلك القدر، فلما قرى الأمر، طلب أحمد أغا من السجن. فلما حضر طولب بما فى الخط، فانكر، فرجع فى السجن وضيق عليه. فصبحوا لم وجدوه. فلما بلغ الوزير هروبه، أطلق منباديا ينادى، ان كل من آتى به فله ماية عثمانى. فلم يقفوا له على خبر. ثم بعد برهة ورد خبر أن شيخ العرب شاهين قبض عليه فى وادى العقبة، وهو هارب. وسبب ذلك ان شيخ العرب كان له أربعين عثمانى، فى بلك المتفرقة، فقطعها أحمد كيخية المذكور، فلما ظفر به، قبض عليه، واتى به الى الوزير، فأنعم عليه الوزير بالماية عثمانى. وفى ذلك الشهر، نزلت صاعقة من السماء لها دوى كالمدافع الكبار، وتبعها ريح غربية أظلم منه الجو، وقلعت الأشجار، وارمت المواذن وفى يوم الخميس ثامن ربيع الثانى[1]، ظهر فى السماء نجم له ذوايب، وكان ظهوره بعد صلاة المغرب. وفى غرة جماد الثانى[2]، ورد مصلى أغا ومعه فرمان بزينة لفتح قلعة جريد [كريت]

(١) ٥ سبتمبر ١٦٦٩م.

(٢) ٢٧ أكتوبر ١٦٦٩م.

سنة ثلاث واربعين وتسع مايه للشهداء(*) والمـاء متوقف ثم زاد وفتح سد بحر [أبو] المنجا الاول في يوم الثلثا رابع توت(*) وخلق[غلق: اى بلغ حدود فرض الخراج] المقياس في يوم الاربعا خامسه وفتح الخليج الجارى به العادة فى يوم الخميس سادسه. فاما الخليج المستجد من المقس المعروف بخليج الدكر فانه فتح من مده ثم رد عليه الخليج الحاكمى فعمل له سد عند باب

(*) ٩٤٣ش= ١٢٢٧م

(*) ٤ توت = أول سبتمبر.

المعروفة بقندية(١) وكان ابتداء محاصرتها سنة ١٠٥٩ وحصل الفتح سنة ١٠٨٠(٢)، وكانت مدة المحاصرة ستة وعشرين سنة وهذا شيء لم يسمع بمثله، ثم ان على باشا مرض، فأرسل خلف الصناجق والأغوات واحضرهم وشاورهم فى عمايل كنعان بيك، قايم مقام، فرضوا بذلك. وجعله قيما محله، ثم ألبسه قطانا(٣)، وتوفى فى شعبان سنة ١٠٨٠(٤). وصلى عليه الشيخ الشبرملسى. ودفن(٥) بالقرافة بجوار الامام الشافعى، بالقرب من غازى باشا، وانزلوا ابنه واسكنوه فى بيت حسين أغا بيك زاده، المطل على بركة الفيل(٦)، وارسلوا خبر وفاته الى الديار الرومية فى غرة رمضان سنة ١٠٨٠(٧)، ثم ورد الخبر ان العسكر الذى كانوا فى محافظة جريد صحبة اسماعيل بيك بأنهم لما وردوا على سكندرية، وارموا المراسى،

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف فتح قلعة قندية».
(٢) قلعة قندية: القلعة الرئيسية بجزيرة كريت، وكانت تسمى بالحصن الكبير، وقد استغرق فتحها من العثمانيين مدة امتدت ١٠٥٩/ ١٠٨٠هـ ـ ١٦٤٩/١٦٦٩م، لاحظ: إضطراب التواريخ والمدة. أنظر: دكتورة زينب عصمت راشد، كريت تحت الحكم المصرى، ص٣٧ ـ ٤٨.
(٣) بالأصل «قفطان».
(٤) ٢ يناير ١٦٧٠م.
(٥) بالأصل «ودفع».
(٦) بركة الفيل: كانت انذاك بركة كبيرة الى جنوب غرب القاهرة، وكانت تمثل منطقة منفصلة لسكنى الأرستقراطيين الذين بداوا ينشئون مساكنهم حول هذه البركة ثم بركة الأزبكية. دكتور عبدالرحمن زكى، خطط القاهرة أيام الجبرتى، ضمن أبحاث ندوة الجبرتى، ص٤٨٠ ـ ٤٨١.
(٧) ٢٣ يناير ١٦٧٠م.

القنطرة من جانب الميدان الذى هناك. وتتابعت زيادة النيل الى الرابع عشر من بابه(*) وبلغ اثنا عشر اصبعاً من ثمانية عشر ذراعاً وكان من عجايب الدنيا، لانه ما روى بل توقف توقفه وجا مجيه ثم انه نزل نزولا مهتدياً من اصبعين ومن ثلثة ورخصت جميع الاشيا واتفق [تصالح] الملك المعظم صاحب الشام مع الملك الاشرف صاحب الشرق اخوه السلطان الملك الكامل اعز الله نصره

(*) ١٤ بابه= ١١اكتوبر.

قامت عليهم ريح عظيمة شديدة قطعت الحبال، وكسرت المراكب وفرقتهم من بعضهم البعض، فأصبحوا لم يجدوا المراكب، ووجدوا العسكر جميعهم موتى جانب البر البعض، والبعض فوق البر، وجميع المينة ملانة بالغرقى واسماعيل بيك من جملتهم، والذى نفاهم الريح الى البركة [بحيرة مريوط]، وكان عمره طويل، عرته العرب، والذى ركبوا الجزيمات[1] الى رشيد، غرقوا جميعا. فورد الخبر الى مصر، وحضر البعض من الذين عرتهم العرب. فعين كنعان بيك قايم مقام تجريدة وجعل يزبك بيك سردارها، وقيطاز آغا آغاة الجملية، فتوجهوا فى ١٧ رمضان، فكسروا العرب، ثم عادوا منصورين مويدين. ثم ورد الخبر الى مصر بتولية ابراهيم باشا كتخدا الوزير، وهو الذى كان محافظا فى قلعة قندية.

٦٦. ذكر تولية ابراهيم باشا الوزير عفى الله عنه

قدم الى مصر من طريق البحر ثالث عشر محرم الحرام سنة ١٠٨١[2]. وفى هذا التاريخ ورد آغا وصحبته فرمان بطلب الروزنامجى، ويوسف بيك صهر النقيب، وكنعان بيك قايم مقام على باشا. فتوجهوا صحبة الاغا الى الديار الرومية وفى هذا التاريخ حرقت الدفاتر

(١) الجزيمات: نوع من المراكب الشراعية.
(٢) مدة ولايته: ١٣ محرم ١٠٨١/ آخرجماد أول ١٠٨٣هـ ـ ٢ يونية ١٦٧٠/ ٢٣ سبتمبر ١٦٧٣م.

وزال الشنان الذى بينهم وعاد مولانا الملك الكامل بعسكره من العباسه الى القاهرة المحروسة واستقر الحال بمملكته الشريفة وبسط العدل على الرعية وبذل لهم الاحسان وكانت ايام رخية وخيرات كثيرة. ثم وردت الاخبار بخلافة الامام المستنصر ابى جعفر المنصور ودعى له وضربت السكة باسمه وهو ولد الامام الطاهر ابى نصر محمد المتوفى. وفى هذه الايام تجهز المولى الملك المسعود صاحب اليمن للرواح الى بلاده وسير اكبر قماشه [متاعه]

(*) أهم أحداث سنة ٩٤٣ق. = ١٢٢٧م. = ٦٢٤هـ.
* ١ يناير سنة ١٢٢٧ = ٦ طوبه ٩٤٣ = الجمعة ١١ محرم سنة ٦٢٤.
* فيها خرجت التتار تحت قيادة جنكيزخان، من شمالى اسيا. وفيها كانت وفاته.
* ١ توت ٩٤٤ = ٣٠ أغسطس ١٢٢٧ = الاثنين ١٦ رمضان سنة ٦٢٤.
* فى ذى القعدة توفى الملك المعظم

الديوانية[١]. وفى ثالث شوال حرق سوق البارودية، الذى بقرب باب زويلة، وانهدمت الحوانيت والبيوت، وانحرق خلق كثير ومن جملة من انحرق بيت يوسف بيك، وجواره، وجميع من كان فيه. وأعقب هذا الحريق طاعون عم أقطار[٢] مصر وجميع قراها. وسموه بفصل الحريق وبعد فراغ الفصل عمل الباشا تفتيش على بلك الأيتام والجوالى والمتقاعدين، واخرج من يستحق السفر. وأقام الطاعون من غرة شوال، إلى، الحجة ختام سنة ١٠٨١[٣]. فحصل للباشا شيء كثير من المحاليل[٤]، وابيع بعض البلاد فى الديون ثلاث مرات[٥] وفى

(١) حرق الدفاتر الديوانية: ربما يلقى هذا النص الضوء على سر غياب دفاتر الديوان العالى الخاصة بهذه الفترة من المحفوظات المصرية، ويجعلنا نرجح احراقها فى هذا الحريق، لغيابها غيبة تامة خاصة، مع وجود مجموعة دافتر الروزنامة كاملة.

(٢) بالأصل «عم أقطار السكك وعم مصر» والتعبير بهذه الصورة غير مستقيم والتصحيح من التحفة، ص٢١١.
ـ كتب عنوان جانبى «اعرف حلول الطاعون بمصر».

(٣) بالأصل «الجمعة ختام سنة ١٠٨١» والمقصود الحجة أى أن الطاعون استمر من فبراير الى أبريل ١٦٧١م.

(٤) المحاليل: أى الالتزامات التى توفى ملتزموها، وعرضت فى المزاد، وكان الباشا يأخذ عليها ما يعرف بالحلوان. انظر: دكتورة ليلى عبد اللطيف: المصدر السابق، ص٩٨.

(٥) بالأصل «مرار».

في البحر [الاحمر] وكان هو ايضا عازماً على الرواح في البحر ثم رجع رايه عن ذلك فاخرج خيمته الى البركه وقوى عزمه على السفر في البر ثم ان السلطان اعز الله نصره صار يتعهد النزول الى مناظر البركه [بركة الفيل] المعروفه بمناظر سيف الاسلام ويأمر السكان بها بوقودها في الليالي التى.. نزلها ورمى في البركه السماريه(*) والحراريق وصار يركب فيها كل ليلة ويدور تحت دورها ويعطى الناس ويهبهم الدنانير والدراهم

عيسى ابن الملك العادل، بقلعة دمشق، وعمره: ٤٩ سنة، وملكه لدمشق تسع سنين وشهور، ثم قام بأعمال بعده في مملكة ولده الملك الناصر صلاح الدين داود.

(*) السمارية: مراكب خفيفة للنزهة والسمر في النيل.

أيامه تغيرت معاملة مصر. وسبب ذلك ان ابراهيم باشا استصحب معه جانب من الفضة الصفرى[١] معاملة جريد، فقطعها في مصر، وجعلها معاملة، فما مكثت شيء قليل حتى صارت صفرا، وامتنعت الناس من المعاملة بها. وهو الذى ربط الخزينة من توت الى توت[٢]. ثم أنه عين الخزينة صحبة الروزنمجى ويوسف بيك وكتبة الديون جميعا، والأوقاف جميعا، حتى أنها صارت قافلة صغيرة، لكون انهم طلبوا. فلما وصلوا الى الأعتاب العلية حاسبوا يوسف بيك، وكنعان بيك، على الذين تأدوه[٣] في حالة قيامة مقام فطلع جهتهم نحو[٣]. المايتى كيس. فحبسهم السلطان، وعين حسين آغا ابن جنبلاط ببيع جميع جهاتهم واملاكهم وبلادهم، فأبيعت وسلمت اثمانهم له. ثم ان الباشا عمل حساب الدشيشة، والأوقاف، والحرمين فطلع عليهم نحو المايتى كيس. فأرسل الوزير الخبر الى الاعتاب العلية بالواقع، وتسليم نظارة الدشيشة، فورد الخبر بتسليم المبلغ الى حسين اغا، مستحفظان، والحرمين لكل من يكن باش جاويش مستحفظان. والخاسكية لكل من يكن كتخدا عزبان. وأن يحاسبوا

(١) هذا يوضح ان العملة في كريت، كانت تضرب من معدن أصفر، ونعتقد أنه ليس الفضة، وانما نوع من النحاس الأصفر، لأنه لا توجد فضة «صفراء» كانت تطلى بالفضة.

(٢) ربط الخزينة من توت الى توت: من سبتمبر الى سبتمبر، وتوت هو بداية السنة الخراجية بالنسبة للسنة القبطية.

(٣) بالأصل «تحت» والتصويب من التحفة ص٢١٢.

والمطعوم والمشروب والفاكهة وغيرها ويقرب من الناس وعادتهم. وكانوا الناس يتفننون فيما يعملونه من الوقيد [المشاعل والصواريخ والزينات] وغيره. وكانت هذه الايام ايام نزه ولهو وطيبة ورخا وامن والسلطان خلد الله ملكه يتردد من البركة [بركة الفيل] الى الجزيرة ومن الجزيرة الى البركة وكانت ليالى البركة عجيبة مبدعة الى الغاية. وجد الملك المسعود على المسير الى اليمن ورد بثقله [احماله

النظار، وان يستخلصوا ما دخل جهتهم، ويرسلوا ذلك صحبة حسين أغا (المعين) فحاسبهم وتادوا ما كان دخل جهتهم، وجهزوه خزينة مستقلة، وسافر بها حسين اغا بن جنبلاط. ولما أحضر ما كان على يوسف بيك، وكنعان بيك من الأموال، افرجوا عنهم[1] من الحبس وآذنوا لهم بالعود الى مصر. فأما كنعان بيك فانه توفى بعد افراجه من الحبس بثلاثة أيام، وأما يوسف بيك فانه لما رجع الى مصر، توارى فى منزله عن الخلق، فانه صار لا يملك شيئا. فما مكث الا أياما قليلة وتوفى الى رحمة الله تعالى ـ ثم ورد أمر شريف بعد ذلك بتجهيز ثلاثة آلاف الى محافظة مكة، وتعمير مركبين بالسويس، لخبر ورد، ان أمام اليمن، مراده الركوب على مكة واستيلايها من يد العثمانى. فلما تموا المراكب. وجهزوا العسكر، ورد أمر من الاعتاب العلية، ان ما كان نقل عن امام اليمن، كذب لا اصل له، وانكم تبيعون المركبين، والعسكر ترسلوهم الى قلعة قمانيصة[2]، فكان كذلك. ثم أن العسكر سافر الى قمانيصة سنة ١٠٨٣[3]. وركب السلطان، فسهل الله له الفتح والنصر، ففتحها فى السنة المذكورة. وأراد فتح غيرها، فصالحوه الكفرة على ثلاثماية وعشرين ألف بندقى، فى هذه السنة[4]، وفى كل سنة. ثم ان

(١) بالأصل «يملهم» والتصويب من التحفة، ص٢١٣.

(٢) قلعة قمانيصة: قلعة كانت تتبع آنذاك بولندا، وقد نجح العثمانيون فى الاستيلاء عليها، بعد حصارها مدة قصيرة ـ تم على أثره ـ كما هو واضح من النص عقد صلح بين الطرفين لم يستمر كثيراً، كتب عنوان جانبى «أعرف صلح السلطان واعطاء النصارى للدولة».

(٣) ١٦٧٢م.

(٤) الاضافة لتوضيح المعنى.

ومتاعه] واخذ له من جميع الصناع [المصريين] من يسافر معه الى بلاده وتجهز فى البر والبحر وسافر الى اليمن(*) على مكة فى البر. ثم ان الزراعات نجبت والخيرات كثرت والاسعار رخصت والامور سكنت والدنيا بظل السلطان آمنة. وسير الملك المسعود فى هذه السنة رجلا من اهل الهند صورته صورة الادمين وعلى وجهه وجسمه جميعه شعر وصوف يشبه صوف الدب حتى ان لحيته لا تتميز من شعر وجهه ومعه ترجمان يكلمه بالهندى

(*) جلب الصناع من مصر إلى اليمن

السلطان جاء الى أدرنه[1] وزينت جميع ممالك العثمانى ثلاثة أيام. وفى سادس عشر ربيع الثانى[2]، أو فى النيل، ونزل الباشا من بولاق، هو والصناجق، والاغوات، والامراء، وشيخ الاسلام، على حكم الجبر القديم، وهو آخر جبر مصر. وفى آخر جماد أول[3]، ورد مسلم حسين باشا ابن جانبلاط، الذى كان معينا[4] فى حساب الاوقاف، بقيامة مقام، الى عوض بيك، ونزل ابراهيم باشا من القلعة بالاى من وسط القاهرة الى العادلية، فأقام بها عشرة أيام. وعملواحسابه، فطلع عليه شىء قليل، بالجبر ثم أنه اعطاه لهم، واعطى كل وجاق خمسماية محمدى، بقشيش وشال من العادلية، ثالث رجب سنة ١٠٨٣[5]، وكانت مدة ولايته ثلاث سنوات وخمسة أشهر. وطلع من مصر بسبعة عشر خزينة، والله أعلم.

٦٧. ذكر تولية حسين باشا جنبلاط

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى يوم الخميس عشرين شوال سنة ١٠٨٤[6]، ولما ورد الى الصالحية. طرد محمد آغا، كتخدا الجاوشية. وابقاه فى الصالحية، منفيا، واكد على حبسه. ولما ورد الى مصر،

(١) ادرنة: احدى المدن التركية، وكانت عاصمة للدولة العثمانية بعد بروسة.

(٢) ١١ يولية ١٦٧٢م. (٣) ٢٣ سبتمبر ١٦٧٢م.

(٤) بالأصل «معين». (٥) ٢٥ أكتوبر ١٦٧٢م.

(٦) مدة ولايته: ٢٠ شوال ١٠٨٤/ غرة رجب ١٠٨٦هـ ـ ٢٨ يناير ١٦٧٤/ ٢١ سبتمبر ١٦٧٥م.

وذكر انه من اهل بيت كلهم هكذا الرجال منهم والنسوان وانزله السلطان واكرمه ورتب له راتب يقوم به وزيادة. وجاء الصيام المبارك فلم يجر حديث في امر البطركية ولا غيرها. واتفق فيها اتفاق ردى وهو ان واحدا من الكتاب يعرف بالاسعد بن الكردوش كان يخدم كاتبا ببيت المال المعمور فاحضر من ثغر الاسكندريه متاع على جارى العادة وكان قد امسى عليهم المساء عن ان يفسروه فتركوه [فى بيت المال] فى الصناديق

تشفعوا فيه [١]، فرده الى منزله معزولا. وفى تلك السنة، ورد آغا يطلب عسكر، ثلاثة آلاف، الى قمانيصة أيضا. وجعل[٢] سردارها سليمان بيك بشناق. وعين فيها عشرين رجلا من أكابر الجراكسة اصحاب الربط والحل. وأمر الباشا أحمد افندى ابن البواب، بان يكون سردارا على بلك المتفرقة، فتعلل بوجع مفاصله، فامر بخنقه . ثم شرع فى كتابة العسكر، وصرف لهم الجوامك، وسافروا خامس عشر القعدة سنة ١٠٨٤[٣]. وقتل الباشا عبد الرحمن أفندى، بخيانة ظهرت عليه. وفى خامس ربيع أول[٤]. ورد خط شريف، بطلب ثلثماية كيس قروش كلاب من الخزينة بتاع [سنة]خمسة وثمانين وألف[٥]، وكل كلب بثلاثين نصف فضة، فنزلوا سعر الكلب الى ثلاثين فضة، وكان باربعين. وكان الريال باثنين وأربعين، والشريفى المحمدى بخمسة وثمانين، والبندقى بخمسة وتسعين[٦] واتفق الأمر على ذلك. وأن الملتزمين يقبضوا الكلب بثلاثين، والريال بثلاثة وثلاثين، والمحمدى بثمانين، والبندقى بستين. فتوقفت البلد، وعدمت الانصاف . ثم ان الباشا آمر اغا مستحفظان أن ينزل يشق البلد، فى كل أسبوع يوم. ثم ورد مسلم أحمد باشا الدفتردار فى غرة رجب سنة ١٠٨٦ [٦] وعملوا قانصوه

(١) الاضافة لتوضيح المعنى، من التحفة، ص٢١٤.
(٢) بالأصل «وجعله» والتصويب من التحفة ص٢١٤.
(٣) ٢٤ فبراير ١٦٧٤م. (٤) ١٩ يونية ١٦٧٤م.
(٥) كتب عنوان جانبى «اعرف اسعار المعاملة من ذهب وفضة».
(٦) ٢١ سبتمبر ١٦٧٥م.

البرانية واصبحوا قابلوا [راجعوا] بالرسالة على المتاع فوجدوه قد عدمت منه سوسيه(*). فقالوا : من كان فى بيت المال البارحة عند وضع القماش فيه فذكروا جماعة منهم هذا الاسعد الكاتب فكتب بن رمضان صاحب الديوان الى السلطان بصورة ماجرى فامر السلطان بمسك جميعهم وايقاع الحوطه بينهم، فأمسك جميعهم واحتيط على نسايهم، وكان المقصود منهم الاسعد المذكور فأمسك ولده وعوقب فأقر على ابيه انه اخذها. ثم

(*) أقمشة تصنع فى مدينة سوسة.

بيك قايم مقام ، فكانت مدته سنتين. وكان قانصوه سردارا [١] فى جريد، فجعله قايم مقام.

٦٨. ذكر تولية أحمد باشا الدفتردار

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى سادس شوال سنة ١٠٨٦[٢]، ولما جلس فى الديوان أبطل اليهود الصرافين بالديوان، وجعل محلهم ابراهيم جاويش دلال البلاد[٣]، فى مقام صراف باشا[٤]، واشترك معه صالح أفندى كاتب الحولات[٥]، وأقاموا لهم صيارف من تحت أيديهم من المسلمين. وفى ذلك الشهر، ورد أمر شريف بطلب الفين نفر الى قمانيصة، فالبس الباشا قفطان السفر الى ايواظ بيك، وكذلك قيطاز آغا، آغاة الجراكسة، جعلوه سردار الجراكسة،و

(١) بالأصل «سرادر».

(٢) مدة ولايته: ٦ شوال ١٠٨٦/ ٣ ذى الحجة ١٠٨٦ ـ ٢٤ ديسمبر ١٦٧٥/١٨ فبراير ١٦٧٦م، سقط من النص ذكر السنة والتصويب من التحفة ص٢١٥.

(٣) دلال البلاد: الموظف المسئول عن ارشاد كل شخص عن أرض أثره، أو مساحته، وحدودها الصحيحة قانونا، دكتور عبدالرحيم عبدالرحمن، الريف المصرى، ص٣٠.

(٤) صراف باشا: رئيس الصرافين.

(٥) كاتب الحولات: اى الموظف المسئول عن قيد أسماء الملتزمين، وقدر الميرى الذى عليهم والأقساط المطلوبة منهم، وارسال الحوالات أى الأشخاص الذين يطالبونهم بهذه الاقساط.

ظهرت السوسيه بعد ذلك من عند شخص عدل [من الشهود] فى بيت المال ذكر ان امرأة رمتها لاجل بنيه ومعها رقعة وتركتهم وهربت وانهم اطلعوا على انها من بيت الاسعد بن الكردوش ان الرقعة من عندهم. وفيها استروا ما ستر الله وارحموا ترحموا وشى من هذا، فاحضرها من ساعته الى السلطان معما تقدم من اقرار ولده عليه فامر السلطان ان تقطع يده اليمنى وشفع فيه كل

طلعوا بموكب عظيم سنة ١٠٨٦ (١). وفى ثالث ذى الحجة سنة ١٠٨٦، اشاعوا ان الباشا مراده يحدث مظالم على البيوت والخانات، والطواحين، ويجعلها حكم الشام، ويفتش على الجوامك وغيرها. فنهوه عن ذلك فأبى، وقال: لابد من ذلك، فان هذا الأمر ليس من عندى، وانما هذا من صاحب البلد. ثم أن العسكر اجتمعت بالرميلة، واجتمع أمرهم على نزوله وإذا بعبد الفتاح المقاطعجى نازل من عند الباشا فقاموا عليه وقتلوه، لأنهم زعموا ان هذا الأمر منه، لأنه كان سافر الى الديار الرومية صحبة الكتبة وان الكتبة جاءوا، وهو تعقب، الى ان أتى صحبة هذا الباشا، فزعموا أن هذا الأمر منه، فقطعوه بالرميلة. وفى الجملة (٢) محل الشبهة. ولما نزل أهل الديوان والصناجق من الديوان قامت العسكر عليهم. وقالوا: لا نريد هذا الباشا مطلقا، وان لم ينزل طوعا، نزلناه كرها. فاعرضوا القول على الباشا، فأبى، فكرروه ثانيا وثالثا، والعسكر مجتمعة بالرميلة، الى قرب العصر، حتى أنزلوه بالقهر عليه، واسكنوه فى بيت محمد باشا حاجى، الذى بالصليبة. وجعلوا رمضان (بيك) (٣) قايم مقام، واعرضوا بذلك الى الديار الرومية. وعينوا صحبة العرض محمد بيك الجندى، وسليمان آغا، الذى كان أغت البنات سابقا، واصحبوا معهم من البلوكات أنفارا. فتوجهوا فى عاشر محرم سنة ١٠٨٧ (٤)،

(١) ١٦٧٥م.
(٢) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٣) الاضافة من التحفة ص٢١٦.
(٤) ٢٤ مارس ١٦٧٦م.

امير فى الدولة فما قبل فقطعت يده يوم الاحد
وتوفى فى يوم الاحد الاخر وكان صابراً محتسباً
شاكراً لله تعالى ولم يقر قط بشى وجرى على
الطايفة شدة وامتهان اياما عده وخصوصا الكتاب.
ثم ادركت الغلات ورخصت الاسعار حتى بيع
القمح فى بلاد الصعيد باربعة دراهم ونصف
الاردب والشعير بثلاثة دراهم الاردب وكذلك
الجلبان والترمس اما السلجم وبذر الكتان فانهما

ولما وصل العسكر الى الديار الرومية نفوا محمد بيك الجندى، وسليمان آغا، الى جزيرة لمية[1]، ورجع النفر الذى كانوا معهم الى مصر. ولم يزل رمضان بيك قايم مقام الى أن ورد مسلم عبد الرحمن باشا فى سابع عشر صفر، فكانت مدة ولايته بالعزلان سنة.

٦٩. ذكر تولية عبد الرحمن باشا

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى سادس ربيع الثانى سنة ١٠٨٧ ،فاستمر واليا بها الى ان عزل فى غاية شعبان ١٠٩١[2]، فكانت مدة ولايته أربع سنوات. ولما استقر به الجلوس،عمل حساب أحمد باشا، ووجهه الى الديار الرومية. وفى عشرين جماد آخر، ظهر كشك محمد، فاوقع فى طايفة الينجشرية القتل والنفى، والبس محمد كتخدا الحبشلى،قفطان السنجقية. وكذلك مصطفى كتخدا شنار، البسه قفطان السنجقية. وبعد مدة عفى عن الحبشلى. وارجع له كيخاويته، واظهر زين الفقار،والبسه قفطان السنجقية.وامارة الحاج معا،فى سنة ١٠٨٧[3]. واما مصطفى بيك استمر صنجقا الى أن توفى فى جدة، ثم حصل بعد ذلك غلا، الى أن بيع الأردب[4]

(١) بالأصل «المنية» والتصويب من التحفة ص٢١٦، ولمية، هى احدى الجزر اليونانية.
(٢) مدة ولايته: ٦ ربيع الثانى ١٠٨٧/ غاية شعبان ١٠٩١هـ ـ ١٨ يونية ٢٥/١٦٧٦ سبتمبر ١٦٨٠م، وفى التحفة ص ٢١٦ أنه قدم ٦ جمادى آخر ١٠٨٧هـ ـ ١٦ أغسطس ١٦٧٦م.
(٣) ١٦٧٦م.
(٤) بالأصل «الأرنب» وهذا خطأ.

بيعا بثمانية دراهم الاردب وهو شئ ما سمع بمثله
والزيت الحار بثلاثين درهم القلة والبطيخ بدرهم
القنطار والعنب بسبعة دراهم القنطار وكل
الماكولات من هذه النسبة وكانت خيرات ما روى
مثلها من سنين عديدة. الا ان الارزاق كانت قليلة
والمكاسب كانت ضعيفة والناس يشكون من
وقوف احوالهم حتى ان جماعة من البذارين تركوا
دكاكينهم وقاموا من الاسواق لاجل البوار. وانحط
صرف الذهب الى ان بلغ احد واربعين درهما

الحنطة بثمانية قروش، والشعير بماية وعشرين، وبيع الحمل التبن بماية وخمسين فضة. ونهبت الرقعة التي بجوار مدرسة السلطان حسن، وحرقوها. وزينت مصر ثلاثة أيام. ووقع في زمنه ان امراة ولدت سبعة أولاد، في بطن واحد. ثم انهم اعرضوا الأولاد وامهم على الوزير، فلما رءاهم عبدالرحمن باشا، انعم على امهم بسبعة عثامنة، ولكل ولد من الأولاد بسبعة عثامنة. وكان السبعة ذكورا وأعطى أمهم أيضا ثلاثة آلاف فضة بيضة[١]. ثم ان خدم الوزير اخفوا ولدا من سبعة، فولولت وبكت على ولدها، ثم أن الخدم أعطوه لها، فسبحان من جعل شفقة الوالدين على الاولاد من أكبر المهمات. وفي ثاني عشر ربيع أول[٢] قتلوا الشريف مصطفى، باش جاويش مستحفظان. وفي غرة جماد آخر سنة ١٠٨٩[٣] قطعوا رأس زين الفقار كتخدا، مستحفظان بطندا[٤]. ومحرم جاويش مستحفظان بجرجة. وفي سنة ١٠٨٩ انشوا مركبا في الخاسكية. وفي سنة ١٠٨٩، أيضا، ثاني رجب، قامت الينجشرية على كوجك محمد وأرادوا قتله[٥] فالتجى الى وجاق العزب، واصطلح الفريقان على نفيه الى بلاد الروم،

(١) كتب عنوان جانبي «اعرف أن امرأة ولدت سبعة أولاد في بطن واحدة».
(٢) ٤ مايو ١٦٧٨م. (٣) ٢١ يولية ١٦٧٨م.
(٤) هي طنطا الحالية، وكانت تكتب طنتا، أو طندا كما في الأصل.
(٥) بالأصل «كشف محمد» والتصويب من التحفة ص٢١٧، ويذكر أن ذلك حدث في ١٢ رجب ١٠٩١هـ ـ ٨ أغسطس ١٦٨٠م.

ونـصـف بديــنـار. وجــاء اوان النــيل المبــارك فتوقف اولا ثـم اندفع ثم وقف ايام فى مـسرى(*) ونقــص اصـبــعــا او اصــبــعين ثم ردها وزاد ثـم دخلت سنة اربع واربعين وتسع ماية والماء لم يوقف ثم اسـتـمـرت زيادته ووفــى فــى يوم الخـمـيس الرابع من توت(*) وزاد الى ان بلغ عشر اصـابع من سبع عشر ذراعاً فى الثامن عشر من توت(*) ونقص من التـاسع عـشـر منة نقـصـا فـاحـشـا وخرجت الاراضى [وضع عليها الخراج] وتحركت

(*) يقع مسرى بين ٢٥ يوليو و ٣٠ اغسطس ٩٤٤ ش = ١٢٢٨م.

(*) ٤ توت = أول سبتمبر.

(*) ١٨ توت= ١٥ سبتمبر

فنفوه. ولم يزل عبدالرحمن صاحب الربط والحل فى مصر الى أن ورد مسلم عثمان باشا، فى عاشر شعبان سنة ١٠٩١ [١]. وعمل قيطاز بيك بتاع قناطر السباع، قايم مقام، وانتهت رياسة مصر الى زين الفقار. (لفقارى)، وقيطاز بيك، القاسمى. وصارت مصر فى أمان، وسخا، ورخا.

٧٠. ذكر تولية عثمان باشا

رحمة الله تعالى عليه

قدم الى مصر فى ثانى عشر رمضان سنة ١٠٩١، فأقام واليا بها الى ان عزل فى ثانى عشر رمـضـان سنة ١٠٩٤ [٢]، فكانت مدة ولايته ثلاث سنوات. وفى ثانى عشر الحجة ختام سنة ١٠٩١ [٣] جاء سيل بمكة المشرفة فاقتلع شجرة الجميز الكبيرة التى كانت بمولده صلى الله عليـه وسلم، وألقاها السيل الى تحت جدار البيت. وغـرق بالحرم ناس كثيـر. وفى جماد آخــر [٤]. شالوا صنجقية عمر بيك الأعور، والحقوه بباشوية غزة. وفى سنة ١٠٩٢، عملوا

---

(١) ٥ سبتمبر ١٦٨٠م.

(٢) مدة ولايته: ١٢ رمضان ١٠٩١/ ١٢ رمضان ١٠٩٤هـ ــ ٧ أكتوبر ١٦٨٠/ ٤ سبتمبر ١٦٨٣م، وفى التحفة ص٢١٧، أنه قدم ٢ رمضان ١٠٩١هـ ــ ٢٨ سبتمبر ١٦٨٠م.

(٣) ٣ يناير ١٦٨١م.

(٤) جماد آخر ١٠٩٢/ يونية/ يولية ١٦٨١م.

الاسعار شيا يسيراً ثم انحطت الى حدها. ورسم السلطان للامرا والاجناد بان يخرجوا الى ظاهر القاهرة ويلبسوا ويطلبوا(*) حتى يخرج يعرضهم على الخيل فى الجبل ففعلوا ذلك وخرجوا كلهم مع من اجتمع معهم من العربان والاصحاب والرحالة وكان جمعاً عظيماً ويوماً مشهوداً وتزينوا اطلابا اطلابا(*) ميمنة وميسره وقلباً من باب القاهرة [باب زويله] الى بركة الحب [الحبش]

(*) يطلبوا: أى ينقسموا إلى فرق.

(*) الأطلاب = الفرق العسكرية.

ابراهيم جلبى بن أخت أحمد بيك بوشناق الشهير بابو شنب، ومراد أغا، صناجق فى يوم واحد. فى ثانى عشر جماد آخر عينوا تجريدة الى أهل هلبا سويد. وفى غرة محرم سنة ١٠٩٤ [١]، سافر ابراهيم كتخدا العزب سابقا بثلاثة آلاف عسكرى الى سفرة ألّيْس [٢]. وفى ثانى عشر رمضان ورد مسلم حمزة باشا. وعمل زين الفقار بيك أمير الحاج، قايم مقام، والله أعلم.

٧١. ذكر تولية حمزة باشا

عفى الله عنه

قدم الى مصر فى تاسع شوال سنة ١٠٩٤، فأقام بها واليا الى أن عزل فى عشرين القعدة سنة ١٠٩٨ [٣]، فكانت مدة ولايته أربع سنوات، فلما أستقر به الجلوس واذا باغا معين بخط شريف، بطلب [٤] ثلاثة آلاف نفر الى محافظة مكة المشرفة ، قرى (الخط) [٥] بالديوان، فى

(١) ٣١ ديسمبر ١٦٨٢م. و«هلباسويد» من المدن التى خربت فترة الاحتلال العثمانى.

(٢) يذكرها صاحب «تاريخ ملوك ال عثمان ونوابهم» ورقة ١٣٦، باسم «البج» ولعل صحتها كما ذكرت إعلاه ألّيْس على نهر الفرات.

(٣) مدة ولايته: ٩ شوال ١٠٩٤/ ٢٠ القعدة ١٠٩٨هـ ـ ١ أكتوبر ١٦٨٣/ ٢٧ سبتمبر ١٦٨٧م.

(٤) بالأصل «تطلب». (٥) الاضافة لايضاح المعنى.

وعبرالسلطان عليهم راكباً يمر يطلب طلب ينمر [يحصى] جميعهم وعددهم وتركهم ويجوز من واحد الى اخر فى يوم الثلثا الرابع عشر من شوال سنة اربع وعشرين وستماية(*) وامرهم ان يعودوا من الجبل ويبيت كل امير وجماعته فى منزلته بغير خيام ويصبحون يعبرون عليه فما بقى لكل امير فى وطاقه الاخيمة واحدة برسمه لا غير وباتوا واصبحوا عبروا على الخيمة التى ضربها السلطان على تل قريب من باب النصر وبدايرها شبابيك

(*) أهم احداث سنة ٩٤٥ ق. = ١٢٢٨م. = ٦٢٥هـ.
* ١ يناير ١٢٢٨ = ٥ طوبه ٩٤٤ = السبت ٢١ محرم سنة ٦٢٥.
* فيها قدم الامبراطور فريدريك، صاحب جزيرة صقلية وغيرها، إلى عكا بناء على دعوة الملك الكامل للاستعانة به على أخيه

- -

غرة صفر سنة ١٠٩٤[١]. ثم أن الباشا احضر عبدالله بيك والبسه قفطان السفرة، وسافر فى غـرة ربيع أول سنة ١٠٩٥[٢]. ثم جاءت الاخبار من الطور بموت شيخ الاسلام يحيى المغربى[٣]، وتوجه ولده سيدى عيسى الى الطور، وجابه الى مصر، وصلى عليه سيدى أحمد بن ناصر المغربى[٤]، القطب، الذى هو آخر السبعة الذى كل من رأى وجهه دخل الجنة. وكان اذا رأى وجهه انسان يقول له ، أشهد لى أنى رأيت وجهك. فيقول: شهدت لك. وكانت هذه البشاير لسابع جد له من المصطفى صلى الله عليه وسلم. وكان سيدى أحمد بن ناصر سابع ولد، وهو آخرهم ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم، وكان أخبر جده الأعلى وقال له، كل من رأى وجهك، ورأى وجه أولادك، وأولاد أولادك، الى سابع بطن من ولدك، وولد ولدك. ولم يعقب بعده أحد. وجاء الى مصر مرتين، مرة سنة ١٠٩٥[٥]، وحضر الصلاة على الشيخ يحيى المغربى، والمرة الثانية سنة ١١٠٥[٦]. وجعلوا تاريخ موته «الشيخ يحيى أصبغا» ودفن بجوار السادات المالكية، والله أعلم. وفى ثانى عشر ربيع أول سنة ١٠٩٦[٧]، ألبس الباشا لاسماعيل بيك قفطان السنجقية، وأزوجه حسن أغا بلفية أبنته، التى محمد بيك الدفتردار

(١) يناير ١٦٨٣م. (٢) ١٧ فبراير ١٦٨٤م.
(٣) كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة الشيخ يحى الشاوى المغربى».
(٤) كتب عنوان جانبى «اعرف كرامة سيدى أحمد بن ناصر الذرعى» وربما يقصد المغربى كما فى النص.
(٥) ١٦٨٤م. (٦) ١٦٩٣/ ١٦٩٤م. (٧) ١٦ فبراير ١٦٨٥م.

الملك المعظم، الذى كان قد مات قبل وصول الأمبراطور.

* [١ توت ٩٤٥ = ٢٩ اغسطس ١٢٢٨ = الثلاث ٢٦ رمضان سنة ٦١٥].

* فى شوال سار الملك الكامل، صاحب مصر إلى الشام ونزل بتل العجول قاصدا محاربه ابن أخيه الملك الناصر، حيث لم يعطه حصن الشوبك، فاحتال على نابلس والقدس من بلاد ابن أخيه.

خشب وقد سمرت سقفها وهو جالس داخل الشبابيك مع خواصه والمعممين من اهل دولته وصار الامرا يعبرون عليه كل امير على ترتيب ما وضع لهم بأوراق بأن فلان بعد فلان وفلان بعد فلان ولا يقدر احد ان يتعدى ذلك. وكان اول من عبر المولى الملك الصالح ولد السلطان لانه كان راس الميمنة وما زال الامرا يعبرون فى يوم الاربعاء الخامس عشر من شوال المقدم ذكره من صلاة

منها. وفى سنة ١٠٩٧ (١) ورد شاطر (٢) باشا بتاع السلطان محمد ، بخط شريف، بطلب الفين من الغربا (٣)، بجوامك من الديوان العالى. وان تكون الالفين من العزب والينجشرية فقط. وان يكون من العزب الف، ومن الينجشرية الف، وان يكون لكل واحد عشرة عثامنة عند كتابتهم، وعند العود من السفر عثمانيين، فيصير كل واحد اثنى عشر عثمانيا على وجه الترقى. وان يكون قيطاز بيك سنجقهم، وان يتوجوا الى قلعة مورة (٤).وأيضاخط شريف ثانى، بأن العسكر التى وصلت صحبة عبدالله بيك ناقصين ستماية نفر. فأنكم تعوضوا ستماية نفر عوضهم ، وتنصبوا لهم سنجقا، وترسلوها الى محافظةقلعة جريد. فجهزوا الألفين صحبة قيطاز بيك، وسافر فى غرة جماد آخر سنة ١٠٩٧ (٥)، وعينوا قانصوه بيك على الستماية، وسافر فى غرة رجب (٦) من السنة المذكورة. وفى ذلك العصر، حصل بمصر

(١) ١٦٨٦م.
(٢) كان شاطر باشا يشغل منصب رئيس سعاة السلطان، تاريخ ملوك آل عثمان، ورقة ١٣١.
(٣) الغربا: نوع من الجند كانت الدولة العثمانية تأمر بتجنيدهم، من البلدان الاسلامية، ليشاركوا فى حروب السلطان، وقد ورد فى المصادر اسم «غرباء» كفرقة من الفرق العسكرية العثمانية، جب وبوون، المجتمع الاسلامى والغرب، ترجمة دكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى، جـ١، ص١٠٠ ـ ١٠١.
(٤) بالأصل «موزا» والتصويب، من تاريخ ملوك آل عثمان ورقة ١٣٦، التحفة ص٢١٨.
(٥) ٢٥ أبريل ١٦٨٦م. (٦) ٢٤ مايو ١٦٨٦م.

الصبح الى موذن العشا طلب بعد طلب بحيث لا ينقطع العبور لحظة واحدة الا اواخر هذا الطلب أوايل الذى بعده الجنايب والهجن والعدد والزرد والتشاهير(*) والاكواس والبوقات حتى ارهجت [أرتجت] الارض وكان عسكراً ما روى مثله . ثم عبر السلطان مساء بعد عبورهم جميعاً ثم رسم لهم بأن يشدوا ويركبوا فى نهار يوم الاحد التاسع عشر من شوال الذى يلى الاربعا المقدم ذكره لاجل

(*) التشاهير: أى السلاح.

طاعون، الى أن عم مصر وأقطارها، من اول شهر صفر الى جماد الثانى سنة ١٠٩٧[١]. ومات فيه خلق كثير، وخلت منه بيوت كثيرة. وفيه توفى والدنا الشيخ عبد الغنى رحمة الله عليه، وعلى من دعا لنا وله بالمغفرة آمين. وسمى بفصل السيل، لأنه أتى قبله سيل لم وجد فى مصر مثله. حتى البرد كل بردة قدر بيض الدجاج والحمام. وفى شوال سنة ١٠٩٧[٢]، ورد ركاب كشك محمد من النفية، وطلع الى باب مستحفظان، وقبلوه وألبسوه الضلمة[٣]، الى أن مات قرا سليمان كتخدا، فخل الضلمة وعمل باش أوضباشية. وخرج من الوجاق ناس كثير بسببه، وما زال كذلك، حتى اجتمعت الناس بباب مستحفظان وأخرجوا كشك محمد، وكور عثمان، من باب مستحفظان، فتوجه كشك محمد الى حسن أغا بلفية، وعمل جربجى فى وجاق الجملية، واستمر مدة. وفى سنة ١٠٩٨[٤]. أرسل [الشيخ] حبيب المشهور، تابعا له، يقال له نصر، فى قارب. فطلع الى بولاق، وأخذ معرف السلطنة فى قاربه، ولما توسط البحر دبحه، وارماه فى البحر، وأهل بولاق ينظرون. ثم أن نصر تابع حبيب أنحدر [عائدا]، وكان الكلب لم يأكل عجين. ومضى دمه هدر. وسبب ذلك، انه عارض مراكب حبيب،

---

(١) ديسمبر ١٦٨٥/ مايو ١٦٨٦م، وكتب عنوان جانبى «اعرف حلول الطاعون بمصر».
(٢) أغسطس/ سبتمبر ١٦٨٦م.
(٣) الضلمة: الزى الرسمى الذى كان يلبسه كبار رجال الأوجاقات، وكبار الأمراء المماليك.
(٤) ١٦٨٦م.

ظهور المولى الملك العادل ولده الاصغر فلبسوا وركبوا وليس كاليومين الاولين الا مختصرين من ذلك وخرجوا الى صوب جامع بن طولون تحت القلعة ولعبوا وكان السماط قد عمل فى الميدان الذى هناك [ميدان الرميله] ونزل السلطان من القلعه راكبا وعبر على الاطلاب ومر بالسماط فامر به فتخاطفه الناس على جارى العادة وطلع الى القلعة المحروسة وظهر ولده وختن معه خلقا من

وكتبهم فى رسالة العنبر. وان حبيب هذا فلاح جميسى بدوى، فى قرية من قرى الوقف، تحت يد كل من يكن أمير الحاج. والقرية تسمى دجوة [1]، على جانب النيل. يقطع البر والبحر، بموالسة أكابر مصر، وصناجقها، وأمراها، وينهب أموال الناس. ورتب على جميع المراكب التى تمر عليه عوايد، لا يختلوا عنها. وطلعت له تجاريد عديدة، ولم يظفروا به. فلما حصل ما حصل، من جهة المعرف، وأخبر الباشا، حلف لابد من نزوله له. ثم جهز الصناجق، والاغوات، والعسكر، وتوجه له فى ثامن رجب [2]، فلم يظفروا به، لموالسة الصناجق له. لأنه كان كل شئ أخذه، يرسل لهم منه، من رز، وحطب، وغنم، وعسل، وجبن، وجمال ، وخيل. ثم أنهم اخربوا دجوة، ورجعوا ولم يقعوا ولا برجل واحد. وعاد الباشا والعسكر جميعا. ثم بعد ذلك أحدث [3] تجريدة عبدالله بن وافى ، وهو رجل مغربى [قرصان] [4]، اجتمعت عليه جماعة من المفسدين، وصار يضرب البر والبحر، ويدور فى البحر بالمدافع والآت الحرب، ويضرب البلاد، والكشاف. فتوجه له العساكر، فلم يظفروا به، فعادوا. وفى سنة ١٠٩٩ [5]. كانت غزوة مورة، فعينوا محمد بيك بالف عسكرى. وفى ثامن عشرين شعبان سنة ١٠٩٩ [6]،

---

(١) دجوة: احدى يقرى مركز طوخ، محافظة القليوبية، تقع على الشاطىء الشرقى لفرع النيل، محمد رمزى، المصدر السابق، قسم ٢، جـ١، ص٤٥.

(٢) ٢٠ مايو ١٦٨٧م.

(٣) بالأصل «أحدثه».

(٤) كتب عنوان جانبى «اعرف عبدالله بن وافى وخبره».

(٥) ١٦٨٨م.

(٦) ٢٨ يونية ١٦٨٨م.

اولاد الصعاليك الذين لا قدرة لهم كسباً لثوابهم.
وجرى الامر فى نزوله الى بركة الفيل وشربه بها واعطايه الناس وهباته وصلاته ووقودالبرين والازر وطرح السماريه والحراريق فيها على ما جرت عليه الحال فى السنة الخالية. وبعد ذلك خرج السلطان اعز الله نصره الى ثغر الاسكندرية لكشف احواله وتدبر اموره لانه وقعت الشناعة بان العدو على حركه. ووردت الاخبار فى ذى الحجة سنة اربع

توفى زين الفقار بيك. وفى ٢٥ رمضان توفى شيخ الاسلام الشيخ عبد الباقى الزرقانى(١) والبسوا ابراهيم جلبى بن زين الفقار بيك الصنجقية، عوضا عن والده. والبس الباشا، اسماعيل بيك، نسيب حسن اغا بلفية قفطان امارة الحاج الشريف. ثم ورد مسلم حسن باشا، وانزلوا حمزا باشا الى بيت يوسف أغا. أغة البنات، الذى بسويقة عصفور(٢)، بالاى عظيم ، ولم يعينوا عليه حرسا(٣)، ثم ورد الخبر بجلوس السلطان سليمان(٤) رحمه الله تعالى.

٧٢. ذكر تولية حسن باشا

أول نياب السلطان سليمان خان

قدم الى مصر فى سابع عشر صفر سنة ١٠٩٩ وتحاسب مع حمزة باشا. وتوجه حمزة باشا فى غرة جماد (الأولى) (٥) سنة ١٠٩٩ (٦). وفى هذا التاريخ ورد آغا بضبط جميع

---

(١) ٢٤ يولية ١٦٨٨م، كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة الشيخ عبدالباقى الزرقانى».
(٢) سويقة عصفور: شارع سويقة عصفور كان يبتدىء من شارع الداودية تجاه شارع الحمزية وينتهى الى حارة عصفور، وطوله مائة وعشرة أمتار، على مبارك، الخطط، جـ٢، ص٦٤.
(٣) بالأصل «حرص».
(٤) هو السلطان سليمان الثانى تولى السلطنة ١٦٨٧/ ١٦٩١م.
(٥) التكملة من التحفة، ص٢٢٠.
(٦) مدة ولايته: ١٧ صفر ١٠٩٩/ غرة جماد الأولى ١٠٩٩هـ ــ ٢٣ ديسمبر ١٦٨٧/٤ مارس ١٦٨٨م.

وعشرين وستمايه بوفاة الملك المعظم سلطان
دمشق والقدس وقعود ولده الملك الناصر بعده في
مملكته واستقر الامر على يده وعمل العزا
بالاسكندريه بحضور السلطان الملك الكامل
وبقيت الاحوال على ماهي عليه والاسعار راخيه
والاشيآء كثيرة والخيرات موجودة الا ان الناس
كانوا يشكون من قلة المعاش وعدم المكسب وقلة
الدرهم والدينار. وفي هذه الايام في اواخر

موجودات يوسف آغا القطردار. وفي زمنه طلع جلبي البيرقدار الى باب مستحفظان وحصل له ما حصل. ومكث حسن باشا سبعين يوما. ثم ورد مسلم حسن باشا السلحدار وعمل أبو شنب قايم مقام.

٧٣. ذكر تولية حسن باشا السلحدار
عفى الله عنه

قدم الى مصر في يوم الخميس ثاني عشر ربيع الثاني سنة ١٠٩٩، فاقام واليا بها الى أن عزل في خامس الحجة سنة ١١٠٠ [١]، فكانت مدة ولايته سنة واحدة وتسعة أشهر. وفي (اليوم) الثاني جلوسه ابرز خطا شريفا قرى بالديوان بالسكة والخطبة باسم السلطان سليمان بن ابراهيم. وخلع على أرباب الديوان قفاطين على جرى العادة .. وفي سادس عشر ربيع الثاني أمر بالزينة، فزينت البلاد ثلاثة أيام بلياليها. وفي ١٣ ربيع الثاني ألبس الباشا قفطان امارة الحاج لابراهيم بيك أبو شنب. وعزل اسماعيل بيك من امارة الحاج، والبسه قفطان الدفتدارية. وفي تاسع شعبان سنة ١٠٩٩ [٢] حل ركاب يوسف أغا القطردار من الديار الرومية، ونزل بيته الذى بسويقة عصفور، لأن أحمد آغا الوكيل، كان قد أخذه من الباشا، لما ذهب مال

(١) مدة ولايته: ١٢ ربيع الثاني ١٠٩٩/ ٥ الحجة ١١٠٠هـ ـ ١٥ فبراير ١٦٨٨/ ٢٠ سبتمبر ١٦٨٩م.
(*) الاضافة للتوضيح.
(٢) ٩ يونية ١٦٨٨م.

كيهك(*) عاد السلطان الملك الكامل من ثغر الاسكندرية وجعل طريقه على الديارات ديارة بو مقار بوادى هبيب [وادى النطرون] ونزل بها واضافه الرهبان وكل من معه واكثروا لهم الخير مما يوجد عند الرهبان وانعم عليهم السلطان ووقع لهم بخمسماية اردب غله ثلثمايه قمحا وشعيرا وماية فولا وماية جلبانا واكرمهم وقربهم منه. ورفع الحجاب دونهم وكتب لهم منشورا بان من ترهب

(*) كان أخر ايام كيهك فى هذا العالم يوافق ٢٧ ديسمبر بحسب التقويم الجوليانى.

الاغا، وضبطه (١) بموجب الخط الذى تقدم ذكره. ولما قدم الاغا اعطاه احمد اغا الوكيل له وفى ثانى عشر شعبان ورد اغا من الديار الرومية، بتسليم الصرة الى امير الحاج المصرى، يوصلها الى مكة، و ابطلوا سفرها من الشام.

وفى خامس عشر شعبان (٢)، سافرت الخزينة من مصر، وصحبتها ما تحصل من موجودات يوسف اغا القطردار، وعلى أغا الخزندار. وفى ثالث عشر الحجة ختام سنة ١٠٩٩ (٣)، كانت وقعة ابراهيم بك أبو شنب الفقارى مع العرب (٤) وراء جبل الجيوشى ، وقتله لهم، هو والصناجق، والاغوات، وجميع عسكر مصر، ودلاة الباشا. فاستمر الحرب بينهم من صلاة الصبح الى قبل العصر. وقتل من العرب نحو الف، ومسكوا بالحياة نحو الخمساية. واتوا بهم الى الوزير، فأمر بحبسهم فى العرقانة، ونهبت العسكر جميع جمالهم واحمالهم، ومتاعهم، لأنهم كانوا عرب عشرين قبيلة، حتى من عرب المدينة وعرب الحجاز، وعرب الطايف، وعرب جاءوا يموتوا، لأن تلك الأرض كان واقع فيها القحط والجدب. ثم انهم اطلقوا العرب المسجونة وأرسلوهم الى قبايلهم، فاعلموا قبايلهم بما جرى لهم. فاتفق رأيهم، أنهم ينهبوا

(١) بالأصل «ضبط».

(٢) ١٥ شعبان ١٠٩٩هـ/ ١٥ يونية ١٦٨٨م. (٣) ٩ أكتوبر ١٦٨٨م.

(٤) بالأصل «العزب» وصححتها «العرب» كما واضح من سياق النص، ومن المصادر المعاصرة، التحفة، ص٢٢٢. أما دلاة الباشا فهم فرقة مرتزقة فى الجيش العثمانى.

لا يلزمه جزيه ولا يطلب بها وان اى راهب مات
كان ميراثه للرهبان ولا للمواريث الجسديه عليه
تعلق ولا للديوان السلطانى عليه اعتراض. وتحدثوا
معه في امر البطرك فقالوا له: يا مولانا نحن بغير
بطرك وقد تلفت احوالنا وكان بهذا الدير نيف
وثمانين قساً ما فيه اليوم الا اربعة لانهم ما وجد
من تقدم عوضهم. فقال لهم: اختاروا من شئتم
وانا اقدمه لكم. قالوا: يامولانا نحن ما معنا مال

الحاج فى تلك السنة، وهى سنة ١١٠٠ [(١)]. ثم أن العرب اجتمعت فى عش الغراب، واذا بقافلة الوش [(٢)] قابلة عليهم فى عش الغراب، فأخذوها عن بكرة أبيها، ولم يبقوا فيها شيئا. ثم ورد نجاب الى مصر، (أخبر) [(*)] أن العرب طلعت على الحاج، وتقاتلوا هم وأياهم فى الشرفة، فقتل خلق كثير، وقتل خليل آغا كيخية الحاج، وأخذوا نحو الف جمل بأحمالها، وأسروا النساء. ومن جملة ما أسروا من النساء، بنت السيد تاج، اخت السيد عبداللطيف الجيزى، كاتب الاشراف، وناظر الكسوة [(٣)] و نسآء كثير، لا تعد ولا تحصى. فعندما بلغ الوزير هذا الخبر، عين خمس صناجق، قيطاز بيك بتاع قناطر السابع، ودرويش بيك، ومراد بيك، واسماعيل بك الدفتدار، ومصطفى بيك الخطاط، وصحبتهم ماية وخمسين نفرا من طايفة الاسباهية ورحلوا من البركة [(٤)]. فى غاية محرم

(١) ١٦٨٩م.
(٢) الوش: وتعرف كذلك «بالوجه» وهى احدى موانى بلاد الحجاز؛ وكانت آنذاك محطة من محطات الحاج.
(*) الاضافة لتوضيح.
(٣) ناظر الكسوة: المشرف على اعداد الكسوة الشريفة. كسوة الكعبة التى كان يحملها أمير الحاج المصرى معه سنويا.
(٤) البركة: هى بركة الحاج من ضواحى القاهرة، احدى نواحى مركز شبين القناطر، بمحافظة القليوبية، محمد رمزى، المصدر السابق، قسم ٢، جـ ١ ص٣١.

والبطرك يطلب عليه المال فقال لهم: اتفقوا على من اردتم وما يطلب احد منكم شيئا. ولم يقر عزمهم على احد. وانفصل السلطان عنهم وهو شاكراً لهم وكذلك ساير العسكر. ثم وصول رسول السلطان الذى كان توجه مع رسول الانبرور [الامبراطور فردريك الثانى حكم ما بين ١١٩٤/ ١٢٥٠م.] الواصل فى السنة الخارجة ووصل معه رسول اخر من جهة الانبرور المذكور الا انه ليس مثل ذاك الرسول فى حرمته بل دونه واحضر معه

الحرام [١]. فلما وصلوا الى نخل [٢] قعدت الصناجق فى نخل، وأما درويش بيك فانه أبى القعاد وسار الى أن وصل العقبة، هو وجميع طايفته فقط. فلما علم ابراهيم بيك بوصول درويش بيك فرح، وفرح الحاج، وأطمان، وحصل لهم غاية السرور. وأما العرب فان الله القى الرعب فى قلوبهم فهربوا جميعا ودخل الحاج الى مصر بالسلامة. ثم أنهم أعرضوا هذا الأمر الى الاعتاب العلية، وأرسلوا العرض صحبة موسى أغا قبجي باشا: المجهز لقبض تعلقات يوسف أغا القطردار، وعلى أغا الخزاندار. وفى رابع ربيع الثانى [٣]، أرسل الباشا كيخيته الى جرجة، وجعله حوالة الحولات على غلال العنبر والحرمين، وأرسل قطع رأسه فى جرجه. وفى شعبان [٤]، نقبت المحابيس العرقانة، وطلعوا منها، فلم يوجد أحد، وهربوا عن بكرة أبيهم. وفى شعبان غلت الحبة، وجميع الأسعار، حتى أن اللحم الضانى بيع بنصف فضة الرطل، والجاموس بخمسة جدد الرطل، ولم يزد على ذلك، وأستمرت الزيادة فى اللحم الى يومنا هذا، ولم ينزل[٥] الى عادته من ذلك اليوم. وفى خامس الحجة وصل مسلم أحمد باشا وعمل قيطاز بيك قايم مقام.

(١) ١٣ فبراير ١٦٨٩م.
(٢) نخل: قرية من قرى شمال الحجاز، وكانت تعتبر محطة من محطات الحاج.
(٣) ٢٥ يناير ١٦٨٩م. (٤) مايو / يونية ١٦٨٩م.
(٥) بالأصل «يزل» وصحتها «ينزل».

هدايا من خيل وقماش ومصاغ وجوارح(*) وانزل علي جاري العاده. وتحرك السلطان عز نصره للسفر الى الشام هو وعساكره وخرج من القاهرة في يوم الاحد التاسع والعشرين من ابيب(*) من السنة المذكورة وسار على فوره ونزل على تل العجول منزله بين الداروم [الدارون] وبين غزه بعد ان ا ستخلف بمصر ولده الملك الصالح وسلطنه بها وانابه فيها. ودخلت سنة خمس واربعين وتسع

(*) صقور صيد.

(*) ٢٩ أبيب = ٢٣ يوليو

---

٧٤. ذكر تولية أحمد باشا الذى بنى المؤيد

بعد أنهدامه

قدم الى مصر فى يوم الاثنين سادس محرم الحرام سنة ١١٠١، فاستمر واليا بها الى ان توفى فى ثانى عشر جمادى الثانى سنة ١١٠٢[١]، فكانت مدة ولايته سنة وخمسة أشهر. وفى ثانى عشر ربيع آخر سنة ١١٠١[٢]، ورد أغا بخط شريف بطلب الفين عسكرى الى الديار الرومية، وصحبتهم سنجق. فبعثوا مصطفى بيك حاكم جرجه. وتوجه فى سادس جماد آخر من السنة المذكورة [٣]. وفى هذا التاريخ كان التجريدة الكبرى الى البحيرة والبهنسة، وأرسلوا صنجقين[٤]، وألفين نفر من السبع وجاقات، وعليهم سردارية من أبوابهم[٥] وأعطوا كل صنجق عشرة اكياس، وكل سردار كيسا[٦]. وكل نفر ثلاثة آلاف «نصف فضة»[٧]

(١) مدة ولايته: ٦ محرم ١١٠١ / ١٢ جماد الثانى ١١٠٢ هـ - ٢٠ اكتوبر ١٦٨٩ / ١٣ مارس ١٦٩١م، وفى التحفة، ص ٢٢٣ أنه قدم ١٦ محرم ١١٠١هـ - ٣٠ أكتوبر ١٦٨٩م.

(٢) ٢٣ يناير ١٦٩٠م. (٣) ١٧ مارس ١٦٩٠م.

(٤) الاضافة من التحفة، ص ٢٢٣.

(٥) بالأصل كتبت العبارة التالية «وكل نفر ثلاثة آلاف، وأرسلوا صنجقين» وواضح أنه خلط من الناسخ فى زيادة هذه العبارة أثناء عملية النسخ.

(٦) بالأصل «كيس». (٧) الاضافة لايضاح المعنى.

مـايه ثم ان السلطان تنقل من تل العـجـول من
منزله الى منزله الى ان وصل الى نابلس فـاقـام بهـا
وامـتـدت جيـوشـه للفور الى قـصـر بن معين الدين
وجـاز القـدس والسـاحل من الداروم الى القـصـر
المذكـور. وفى اثنا ذلك وصل الانبـرور من المغـرب
[أوربا] الى قـبـرص ومن قـبـرص الى عكا وجـات
رسله الى السلطان بهدايا نفيسه وبجمل [ملابس]
عظيم وكـانوا اثنين جليلين احدهمـا صـاحب صيدا

وأرسلوا الى كل ناحية سنجقا وألف نفر، وجمعوا من الاقليمين من البلد الكبير ثلاثة آلاف، ومن البلد الصغير الفين. وتوجهوا فى ثانى عشر جمادالثانى سنة ١١٠١ [١]. ثم أنهم سافروا، فما حملوا غير يوم واحد، وبعثوا يطلبوا امدادا. ثم أن الباشا أرسل فرمانا [٢] الى سـاير الكشاف، أن يتوجهوا له، وأرسل الوزير كتخداه، بثلاثماية نفر من الدلاة. ثم أنهم تلاقوا مع عربان ابن وافى مرارا وهم ينكسروا من العرب. ثم أن الوزير أرسل قيطاز بيك، وأغوات السبع بلوكات، وكتخدا الجاوشية، وفى آخر الأمر، وهى الوقعة الطامة، هزموا العرب، وولوا هاربين نحو الغرق [٣]. ثم أن قيطاز بك، وحسن أغا بولفية، وكتخدا الوزير، صادفوا شرذمة قليلة، فاخذوهم، ونهبوا أموالهم، وجمالهم، وقطعوا رءوسهم، وهم سبعة أنفار منهم. ثم ان الباشا أرسل لهم فرمانا [٤] بالحضور فحضروا ، وطلعوا الى الديوان، ولم يصحبوا معهم من العرب شيئا. وفى ثامن رجب سنة ١١٠١ [٥]، ألبس الباشا قفطان امارة الحاج، ابراهيم بيك بن زين الفقار، بخط شريف. وفى ذلك التاريخ كانت واقعة الشريف ابن غالب بمكة، مع محمد

(١) ٢٣ مارس ١٦٩٠م. (٢) بالأصل «فرمان».
(٣) بالأصل «الفرزدق» وصحتها «الغرق» احدى نواحى الفيوم.
(٤) بالأصل «فرمان»..
(٥) ١٧ أبريل، كتب عنوان جانبى «أعرف ولاية الشريف محسن ابن حسين بن زيد وتغلبه على ولاية مكة المشرفة».

والاخر الكند تماس[الكونت توماس] نايب الملك في عكا. وتلقاهم السلطان ملقا عظيما. وركب العسكر جميعه يوم وصولهم وانزلوا في كرامة كبيرة و ترددت الرسل من السلطان اليهم ومنهم الى السلطان وكان هذا الانبرور رجلا حكيما كريما حسن المقاصد مشكور السيرة وتمادى الحال على ذلك والسلطان اعز الله نصره يمده بالهدايا من الحجورة [الاحجار الكريمة] والبغال والهجن

بيك حاكم جدة، ومحاربته واياه، وحفر المتارسات، وضرب المدافع. ثم بعد ذلك كانت الغلبة على ابن غالب، فولى هاربا، وتولى الشريف محسن بن حسين بن الشريف زيد، ونادوا بالأمان. بعد حروب كثيرة، وزينت مكة ثلاثة أيام. وكان دخوله الى مكة في ثاني عشر رجب من السنة المذكور[1]. وفي سابع عشرين الحجة ختام سنة ١١٠١[2] توفي شيخ الاسلام والمسلمين، عمدة أهل اليقين، قطب دايرة الوجود، الذى كان له في العلوم غاية البطش، سيدى محمد الخرشي[3] أسكنه الله فسبح الجنان، وزاده احسانا فوق احسان، أنه هو الحنان المنان. ثم تولى بعده مشيخة الجامع الأزهر، شيخ الاسلام، الشيخ محمد النشرتي. ومن خيرات أحمد باشا ترميم الجامع المؤيد، وقد كان تداعى الى السقوط، فأرسل كشف عليه، بشيخ الاسلام. ثم شرع في العمارة إلى أن أتمه في أحسن حال، جزاه الله أحسن الجزاء. ثم بعد ذلك مرض، وتوفى الى رحمة الله تعالى، في ثاني عشر جماد الثانى سنة ١١٠٢[4]. ثم جهزوا الباشا ودفنوه بالقرب من على باشا ثم أنهم أعرضوا وفاته إلى الديار الرومية.[5] ثم ورد

(١) ٢١ ابريل ١٦٩٠م.
(٢) ١ اكتوبر ١٦٩٠م، كان يعتقد أن الشيخ محمد الخرشي، هو أول شيخ للأزهر، ولكن ثبت مما سبق ذكره، ان منصب مشيخة الأزهر، سابق، على عهده.
(٣) كتب عنوان جانبى «أعرف وفاة الشيخ محمد الخرشي».
(٤) ١٣ مارس ١٦٩١م.
(٥) بالأصل «الى تأتيه الخبر الى الديار الرومية».

والنجابى والاقمشة وغير ذلك من تحف الملوك
وبعد ذلك رحل السلطان من على نابلس وعاد الى
مجدليا نزل عليها وتنقل فى المنازل الى قريا
بالقرب من عسقلان وهناك وصل اليه اخوه الملك
الاشرف صاحب الشرق يوم عيد الاضحى من سنة
خمس وعشرين وستمايه وكان يوماً مشهوداً ورسل
الانبرور لم تكن تنقطع . وسير السلطان اعز الله
نصره احضر من مصر الفيل الذى كان الملك

الخبر من الاعتاب العلية أن يكون كتخداه، على حكم ما ولاه سيده الى آخر مسرى [١]. ثم ورد مسلم على باشا، بقيامة مقام على ماهو عليه، كتخدا أحمد باشا، الى حين ورودنا، أن شاء الله تعالى.

٧٥. ذكر تولية على باشا قايم مقام

الركاب السلطانى

قدم الى مصر فى يوم الخميس ثانى عشر رمضان سنة ١١٠٣ [٢]، وكان وروده من طريق البحر، وكان بصبته التترخان [مسئول البريد] يريد التوجه إلى الحاج الشريف، فأقام بمصر، إلى أن توجه صحبة الحاج، وعاد من طريق الشام. وفى ثانى عشر القعدة ورد قراسليمان أغا من الديار الرومية، بخط شريف بجلوس السلطان أحمد[٣] بن السلطان ابراهيم. فزينت مصر ثلاثة أيام بلياليها، وفى ثالث عشر صفر الخير سنة ١١٠٣ [٤]، ورد نجاب من مكة المشرفة بتولية سعد الشرافة، عوضا عن الشريف محسن فاعرض [٥] الوزير على باشا الأمر إلى

---

(١) آخر أغسطس ١٦٩١م.

(٢) مدة ولايته: ١٢ رمضان ١١٠٢ / ٨ محرم ١١٠٧ هـ / ٢٨ مايو ١٦٩٢ ـ ١٩ أغسطس ١٦٩٥م.

(٣) هو السلطان أحمد الثانى، تولى السلطنة ١٦٩١ / ١٦٩٥م.

(٤) ٥ نوفمبر ١٦٩١م.

(٥) كرر بالأصل لفظ «فاعرض».

المسعود صاحب اليمن والحجاز احضره صحبته مع جملة الفيلة ولم يكن بقى منهم سواه لانهم ماتوا كلهم وسير الفيل المذكور الى الانبرور ورحل الانبرور من عكا ونزل يافا يعمرها بعد عمارة قيسارية. ووصل نيل مصر فى هذه السنة الى عشرين اصبعاً من سبعة عشر ذراعاً وكانت الاسعار راخية بها جدا والشام بضد ذلك وكان العسكر فى ضايقة وغلا حتى انهم باعوا خيلهم وعددهم.

الاعتاب العلية بواقعة الحال. وفى ثامن عشر ربيع أول(١)، ورد أغا من الديار الرومية، بخط شريف بتولية الحرمين، والدشايش، لأربعة صناجق، فتولى ابراهيم بيك بن زين الفقار الدشيشة الكبرى، عوضا عن كتخدا (٢) مستحفظان. وعبدالله بيك، الخاسكية، عوضا عن كتخدا العزب. فألبسهم على باشا القفاطين. وفى غرة رمضان سنة ١١٠٣(٣) ورد ركاب سعد الاشرم من الديار الرومية بشرافة مكة، وتوجه فى تلك السنة، لأنه لما تولى شرافة مكة، عوضا عن محسن، وجاء الخبر الى مصر، وأعرض الباشا بسبب ذلك، أرسل السلطان أخذه من مكة على خيل البريد، البسه باشوبة حمص، ثم أنعم عليه بشرافة مكة، فورد الخبر إلى مصر كما ذكرنا، ثم سافر. وفى مستقبل شوال سافر على آغا كتخدا أحمد باشا الى الديار الرومية. وفى اواخر شوال سنة ١١٠٣(٤) جاءت الدفتدارية لاسماعيل بيك، عوضا عن مراد بيك. وفى سبعة عشرين من شوال من السنة المذكورة (٥). قتل جلب خليل فى باب مستحفظان، وكان كتخدا الوقت، وتحامت الفتنة، وأصلها من كشك [كچك] محمد، وأخرجوا سليم أفندى، ورجب كتخدا الكبير، من بلكهم، وألبسوهم السنجقية، وادخلوا كشك [كچك] محمد ثالث مرة، وعمل باش الاضباشية مثل اول. فابطل الحمايات، التى كانت بباب مستحفظان، وباب

(١) ٢٩ نوفمبر ١٦٩١م.
(٢) بالأصل «كيخدان».
(٣) ١٧ مايو ١٦٩٢م.
(٤) اوائل يولية ١٦٩٢م.
(٥) ١٢ يولية ١٦٩٢م.

ورحل السلطان نزل تل العجول اقام بها والملك الاشرف معه ورجع الملك الناصر ولد الملك المعظم صاحب دمشق يسلم بلاده من الغور الى غزه ولم يبق بيد السلطان من الشام سوا غزه والداروم ووصل الى السلطان على هذه المنزله الملك المجاهد صاحب حمص اقام عنده مدة ورسل الانبرور مترددة وهو على يافا ورسل السلطان مترددة اليه ايضا. وفى اثناء ذلك رحل الملك الاشرف ورحل

العزب، باتفاق جميع الصناجق، والوجاقات السبعة. ونادوا فى مصر، وبولاق، بيد المنادى، واغا من طرف الوزير، ومن (كل) [1] بلك جاويش واشهروا المنادات بالشوارع والأسواق، وكان يوما مشهوداً [2]. وفى غرة القعدة [3] قبض على باشا، على سليم أفندى بيك، ووضعه فى العرقانة، ثم خنقة، وانزله الى منزله بعد العصر مخنوقا. واما قرا رجب كتخدا مكث فى العرقانة عشر ايام ثم أنه استعفاه من الصنجقية، ونفاه الى المدينة من البحر، وفى أواخر القعدة سنة ١١٠٣ [4]. وفى غرة محرم سنة ١١٠٤ [5]، سافر ابراهيم بيك أبو شنب ، صارى عسكر، على الف نفر، الى محافظة جريد. ثم عاد فى الحجة من سنته [6]، ولم يمكث غايبا عن مصر، الا سنة واحدة. ولما ورد الى بنط [7] بولاق قابلوه جميع شحاتين مصر بحصان، تقدمة له، أخذوه بأربعة آلاف فضة بل بنصف ديوانى، وأنهم لموا ثمنه من بعضهم البعض. وهم ينادون يا أبا الفقراء ما [8] أحد أفتكرنا وأنت غايب ابدا. ثم ان ابراهيم بيك أعطى لشيخ الشحاتين جوخة، ولنقيبهم جوخة، ولكل فقير جبة، وطاقية، وشدا، ولكل امراة قميصا وملاية فيومية تتزر بها واغدق عليهم اغداقات زايدة، وعمل لهم سماطا، ولم ركب الا الجواد

---

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) بالأصل «يوماً مشهوراً».
(٣) ١٥ يولية ١٦٩٢م.
(٤) أوائل أغسطس ١٦٩٢م.
(٥) ١٢ سبتمبر ١٦٩٢م.
(٦) أغسطس ١٦٩٣م.
(٧) بنط بولاق، تعنى ميناء بولاق.
(٨) بالأصل «أماء».

معه صاحب حمص وكان المستامنون من عسكر
دمشق كثيراً يحضرون الى خدمة السلطان
ويرحب بهم ويعطيهم ويخلع عليهم ويقطعهم
وكانوا عدة لا تنحصر واخر من جا منهم عز
الدين ايدمر وكان من اجل امريهم وينزل بمنزلة
استاذ الدار وأوفى واعطاه السلطان من النعم ما لا
يوصف وادناه وقربه ورفع منزلته واعطاه فى جملة
ما اعطاه دار الصاحب ابن شكر بالقاهرة لسكنه
واحسن اليه احسانا كثيرا. وفى هذه المدة تحركت

الذى اهداه له الفقرا. وكان جوادا أدهما يساوى كيسا، الا أنهم أخذوه بأربعة آلاف من خيل سليم بيك الذى خنقه الباشا. لما باعوا موجوداته، اخذه لهم مراد بيك. لما قالوا: احنا رايحين نقدمه لابى شنب. وفى غرة ربيع أول سنة ١١٠٤[١] ورد خط شريف بتزيين القاهرة، ثلاثة أيام، لمولودين توامين، اتيا للسلطان أحمد سمى احدهما سليم، والثانى ابراهيم. وفى ثانى عشر شعبان من السنة[٢]، سافر حسين بيك أبو يدك، بألف نفر محافظا لقلعة خانية بجزيرة جريد[٣].

وفى ثانى عشر رمضان سنة ١١٠٥ [٤]، هبت ريح صفرا شديدة، ورمل أصفر الى أن صارت السماء والأرض والحيطان كلها صفر، ثم قلبت بسواد عظيم اظلم من الكون، وكان يوم الجمعة والناس فى المساجد، وتقطعت السقوف، فخرجت الناس من المساجد هربا (فظنوا)[٥]، أن القيامة قد قامت، ولم يكن شك فى ذلك وحصل للناس رعب زايد ووقعت المركب التى على منارة ابن طولون [العشارية] ووقع نخل واشجار وتهدمت بيوت كثيرة، وفطرت ناس كثيرة فى ذلك اليوم. وأخبرنى رجل مغربى تاجر، أن هذه الريح التى أتت مصر،

(١) ١٠ نوفمبر ١٦٩٢م. (٢) ١٨ أبريل ١٦٩٣م.
(٣) خانية: أحد الأقسام الادارية الثلاثة التى قسم العثمانيون جزيرة كريت اليها، وتشمل الجزء الغربى من الجزيرة، دكتورة زينب عصمت راشد، المصدر السابق، ص ٤١.
(٤) ٧ مايو ١٦٩٣م. (٥) الاضافة لتوضيح المعنى.

الغلة بمصر وبلغ القمح خمسين دينار الماية اردب والشعير مثله او دونه بشي يسير ثم انحط يسيراً فصار القمح بثمانية عشر درهما الاردب والشعير ثلثة عشر درهما. وأشيع بان السلطان عز نصره صالح الانبرور على ان يعطيه القدس الشريف وبلاد من اعماله وهى التى على الطريق من عكا اليه وبيت لحم من جملة ذلك(*) ثم صحت الشناعة وتسلم الانبرور مدينة القدس الشريف وبيت لحم ولد الرمله وما والى ذلك من القدس

(*)الملك الكامل يُسلم القدس وبيت لحم واللد والرملة وماحولهم لفردريك الثانى من باب الصداقة. سنة ١٢٢٩م.

والناس فى صلاة الجمعة، مرت عليهم فى فاس عند طلوع الشمس، فتكون أخذت من فاس الى مصر، فى خمس ساعات، ولم أبقت فى طريقها شيئا. وفى يوم الثلاثاء غرة محرم الحرام سنة ١١٠٦ [١] الموافق السابع عشرين مسرى جبروا البحر وانتظر الناس جريانه، فلم يجرى، لأنهم لما جبروه جاء الى قنطرة الخروبى تانى يوم بعد الظهر مسلولا رقيقا. وكنت يومها فى بيت بباب الشعرية وبت تلك الليلة هناك، وكان ذلك اليوم لايكاد يوصف، فقد نشف ما كان جرى فى الخليج. لعدم الزيادة من فوق. وكانت الحنطة بستين نصف فضة الأردب. وفى يومها فتشت الناس على الخبز فلم يجدوه. فلما رأى كشك [كچك] محمد هذا الحال، ركب الى بولاق، وطلع الى التكية، وارسل احضر الأمناء، والكيالين والرؤساء، وأوصاهم (بانه اذا)(*) زاد القمح على ستين فضة الأردب شنقهم جميعا وحلف لهم أن زاد عم قلت لكم، لا تلومون الا أنفسكم. ثم أن الوكلا بتوع الهوارة والملتزمين، اجتمعوا [٢]، فى بيت خليل افندى باش اختيار الجراكسة، الذى كان ساكنا بدرب القزازين وأرسلوا أحضروا كشك محمد ليأخذوا بخاطره، وجعلوا له خمسة آلاف دينار. ويبيعوا الحنطة بأربعة قروش الأردب ، فحلف بالله العظيم ، ان زاد عن ماهو عليه، ليقتلن الجميع. والمحامين لهم. وان ما أرسلت هوارة، الملتزمين

(١) ٢٢ أغسطس ١٦٩٤م.
(٢) بالأصل «واجتمعوا».
(*) بالأصل «بأن».

* أهم أحـــــداث سنة ٩٤٥ق. = ١٢٢٩م. = ٦٢٦هـ.
* فـيـهـا اتفق الملك الكامل واخـوه الملك الأشـرف على نزع دمـشق من يد الملك الناصر، ولد أخيهم، فـسافـر الأشـرف وحـصـر الناصـر بدمشق.
* [١ يناير ١٢٢٩ = ٦ طوبه ٩٤٥ = الاثنين ٣ صفر سنة ٦٢٦].
* فـيـه تسلم الامـبـراطور فـريدريك القـــدس من الملك الكامل على شـرط بقـاء أسـواره خـرابا وأن لا تعمرها الافـرنج وأن لا يتـعـرضـوا

الى عكا ويافا وكـان فى طول هذه المدة قد عـمـر قيسارية ويافا واستتب الامر بينه وبين السلطان خلد الله ملكه. وعبر الانبرور الى بيت المقدس فى اوايل الصـوم الشريف من هذه السنة وكان يوما عظيـما وتسلمـوا [مـسـجـد] الصـخـرة ثم اقـام الانبـرور بالقدس يومين لا غير وخرج منه الى عكا وبقى بها الى ان فـرغ العيد واستخلف فى البلاد من يثق به وسافـر فى البـحـر الى بلاده. وكان السلطان الملك

القمح ، لتخرب محلاتهم. وانتفض فى المجلس، ثم بات تلك الليلة، وكانت ليلة السبت. وفى يوم السبت توجه الى بولاق فرأى المراكب فارغة، وما فيها قمح، فمسك من الروسا ثلاثة ومن الامنا اثنين وقتلهم. وأكد عليهم (ببيع القمح) [١] بستين فضة. ثم أنه ركب يوم الثلاثا، ثالث عشـر مـحـرم، وهو طالع الى الديوان حكم عـادته، واذا ببندقـيـة طلعت عليـه فى صـدره. من شبـاك الجـامع المطل على السـور [٢] الذى بابه من داخل باب العزب يقـال له مـسجـد المؤيد. وكان القاتل له، عبد أسود «لا يساوى» [٣] ثمن بابوج فى رجله، ولكن القدر ما منه مفر. ثم أن القاتل له رفيق وعمل لكل من يعلم عنه [٤]، ألف محمدى، فتوجه القاتل ليأخذ الألف، فقتلوه، وهرب الثانى الى يومنا هذا، لم أحد يره [٥]، فلما وقع ميتا، فرت رفقاؤه من حوله، ثم أنهم حـملوه الى منزله ، فغـسلوه، وكفنوه، وواروه الى التـراب، رحـمـه الله. ففى ثانى يوم «قـتـله» [٦] تزايد الغـلا وابيع أردب (القـمـح) [٧] بخـمـسـة قروش ومازال الغلا يشتد الى أن وقفت الويبة بشريفى طرلى، وطحينها ١٣ فضة الويبة والفول بأربعة طرلية، والشعير بأربعة

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) بالأصل «الصور».
(٣) الاضافة ليستقيم المعنى، والباجوج تعنى الشبشب.
(٤) بالأصل «وكان من يعلمه الله عمل له» والمعنى بهذا الاسلوب لا يستقيم.
(٥) بالأصل «يراه».
(٦) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٧) الاضافة لتوضيح المعنى.

الاشرف قد اخذ بعض العسكر وتوجه الى دمشق نازلها ولحقه السلطان الكبير الملك الكامل ونزلوا جميعاً عليها واجتمعت اليهم العساكر من الشام والشرق وضايقوها وحاصروها وقاتلوها. وفى اثنا ذلك وردت الاخبار بوفاة الملك المسعود صاحب اليمن والحجاز بمكة لانه كان خرج من اليمن طالبا الى ديار مصر واحضر معه كل موجوده وكل تحفة وجميع ما اقتناه واقتناه من تقدمه فى طول

إلى قبة الصخرة ولا إلى الجامع الأقصى، ويكون الحكم فى الرساتيق إلى والى المسلمين، وأن يكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا إلى القدس.
وبعد ذلك توجه الملك الكامل إلى دمشق وانتزعها والبلاد الشرقية من ابن أخيه لنفسه، وعوضه عنها غيرها.
* [١ توت ٩٤٦ = ٢٩ اغسطس ١٢٢٩ = الأربع ٧ شوال سنة ٦٢٦].
* فيها كان الحاق مقاطعة تولوز بفرانسا.

طرلية (١) والحمل التبن بخمسة قروش، ولم يزل الأمر يزداد وتغلو الأسعار الى تمام سنتين حتى دابت الخلق واستمر يزيد ويغلو فى كل يوم الى ما سنذكره من حوادث سنة ١١٠٧(٢)، فتنبهت الناس لموت كشك محمد، وأن لو أراد الله ولم يقتل، لم يكن يحصل هذا الأمر «من»(٣) هتك الأعراض وبيع الناس أولادهم وهجاجهم الى يومنا هذا. ولكن كل شئ له سبب، وسبب أرتفاع الغلال موت هذا الرجل، لأنه لما اجتمعت أرباب الغلال والوكلا وتعطفوا خاطره، وعملوا له الدراهم التى لها صورة وامتنع وقال لهم هذا امر ما رآه اهل مصر فى وفآء النيل وهروبه فى ليلة واحدة وأكثر أهل بلدنا فقرا، وصناعية. وكان اذا جاء الغلا، لا تغلوا الحنطة الا فى ثانى سنة، عند بدار النيل الثانى، وأنتم لمجرد عدم مجئ النيل فى يوم واحد تبيعوه بأربعة قروش ، فيلزم من هذا أن تبيعوه فى آخر السنة، ببالغ ما بلغ . وهذا أمر لم يمكن، ولم يزد عن ستين فضة، مع وجودى على قيد الحياة. وقام من مجلسهم، وفعل ما فعل بالريسا والامنا فى ثانى يوم، فقالوا هذا أمر لا نبلغه من وجود هذا أبدا. والوكلا لأولاد همام (ريسا) (٤) مصر، اصحاب الحل والربط، ففعلوا بالرجل ما تقدم ذكره. وفى سادس ربيع أول من السنة (٥)، جمع الباشا جميع أكابر البلد، والامرآء والصناجق، وطلب منهم الخراج.

(١) بالأصل كررت عبارة «والشعير بأربعة طرلية».
(٢) ١٦٩٥ / ١٦٩٦م.
(٣) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٤) بالأصل «ريتا».
(٥) ٢٥ أكتوبر ١٦٩٤م.

المدد وسيرها برا وبحرا فتوفى بمكة(*) ووصلت امواله وخزاينه الى القاهرة المحروسة وكان موجوداً عظيما لا يحصر فسبحان الحى الذى لا يموت ووصل نساوه وحشمه وغلمانه بعد ذلك. ورخصت الاسعار بمصر ورجعت الى حدها واستمر الحصار والقتال على دمشق والرسل تتردد بين السلطان وبين ابن اخيه الى ان تقرر انه يسلم دمشق ويقنع بالكرك ونابلس والغور والبلقا وبقية بلاد القدس الشريف فتسلمها السلطان فى الثامن

(*) الملك المسعود: وهو أضسيس المعروف بأقسيس. مرض بعد خروجه من اليمن مرضًا مزمنًا، ومات بمكة فى حياة والده الملك الكامل، وكان ظالمًا جبارًا سفاكًا للدماء، وكان أبوه الملك الكامل يكرهه ويخافه، ورام يحكم اليمن حتى سمع بموت عمه الملك المعظم عيسى، وخرج من اليمن يطمع فى دمشق، فمرض ومات فلما سمع أبوه الملك الكامل بموته سر بذلك واستولى على جميع أمواله ويذكر ابن تغرى بردى أن وفاته كانت سنة ٦٢٦هـ.

فأجابوا بالسمع والطاعة. فكتب عليهم حجة بذلك الأمر. واما كشاف الولايات، حصل منهم توقف فى حط عوايد الكشف. ثم أن الباشا فات لهم الوسية التى كان يأخذها منهم، وتوافقوا على أن الاقليم الذى يأخذوا منه العوايد على الكامل، والذى فيه الرى مصالحة، والذى «لا»(١) يرتوى، لا شئ عليه. ثم أنهم جعلوا لكاشف بنى سويف، والبهنسة ثلاثة وعشرين كيسا، يعطيها للعسكر، والجربجية. وأبطلوا «نزلة»(٢) عسكر المنية، وشرق اطفيح لكونهم شراقى، بكر. وأما اقليم الغربية، والمنوفية، والبحيرة، والشرقية والمنصورية، والجيزة، والقليوبية، فان العسكر نزل لهم لكون غالب أرضهم رى على حكم العادة. واتفقوا على أن مقدمين الولايات المذكورة، بأن يدفعوا من الأموال التى تخصهم من الخدم التى للعسكر المعينين فى الولايات الشراقى، لكل جربجى ألف فضة، ولكل نفر ثلاثماية نصف فضة، واتفقوا على هذا الأمر. وفى ثانى عشر جماد الثانى (٣)، حضر الشريف أحمد بن غالب الى مصر، مطرود من الشريف سعد الاشرم. وفى ثالث رجب سنة ١١٠٦ (٤)، ورد آغا من الديار الرومية بجلوس السلطان مصطفى (٥) بن السلطان محمد وصحبته السكة والأمر بالخطبة باسمه. وفى خامس

(١) بالأصل «والذى فيه الرى مصالحة والذى يرتوى» الاضافة والتصحيح ليستقيم المعنى.
(٢) الاضافة من التحفة، ص ٢٢٨، لتوضيح المعنى.
(٣) ٢٨ يناير ١٦٩٤م. (٤) ١٧ فبراير ١٦٩٤م.
(٥) هو السلطان مصطفى الثانى، وتولى السلطنة ١٦٩٥ /١٧٠٣م.

من شعبان سنة ست وعشرين وستمايه(*) وتقرر ان يعطيه الملك الاشرف دمشق وانتقل منها السلطان الى غيرها. وتوقف النيل فى هذه السنة توقفا عظيما فى مباديه حتى انه جاء الخامس والعشرين من ابيب (*) وهو فى خمسة اذرع ثم مد مداً جيداً من السادس والعشرين منه وكان القمح والغلة كلها قد غلت وبيع القمح بعشرين درهما الاردب خفية لانه كان قد منع بيعه الا على

(*) ٦٢٦هـ ١٢٢٩م

(*) ٢٥ ابيب = ١٩ يونيو.

رجب من السنة المذكورة ورد فرمان بطلب الفين الى دمشوار، (تمسفار، شمال بلغاريا) فألبس الباشا قفطان الغزو الى اسماعيل بيك نسيب بلفية، وأحمد بيك، تابع يوسف آغا القطردار، قبطانا على ألف، إلى محافظة رودس. فطلع أحمد بيك فى عشرين شعبان بالاى، واوكب اسماعيل بيك سابع عشرينه الى بولاق، فمكث ثلاثة أيام وتوجه طالب سكندرية وفى رابع رمضان من السنة المذكورة، ورد آغا من الديار الرومية بضبط أموال نذير آغا، واسماعيل اغا، الطواشية. فسجنوهم فى باب مستحفظان، وضبطوا أموالهم، وختموا على بيوتهم. ويجيبوا جربجى من باب مستحفظان نيابة عن كتخدا الوقت وفى كل جمعة على اختيار من اختيارية باب مستحفظان على حفظ بيوتهم لئلا يختل من البيت شئ أو ينقص. ثم أرسلوا عرضا الى الاعتاب العلية، ماذا يفعل بالمال والأغوات. فورد الخبر بعد مضى خمسين يوما، ببيع جميع مخلفاتهم، وتضبط نقدا، سوى الجواهر، ترد الى السلطنة، ويحبسوا فى قلعة مستحفظان، الى أن يرد له خبرا، أما بالموت، واما بالعفو. فباعوا جميع الموجودات، فجمع ألفا واربعمائة كيس وأرسلوها صحبة سليمان بيك، صنجق الخزينة. وفى خامس شوال [1]، أنهى العلماء، وأصحاب الأوقاف، والمستحقين، أمرهم الى على باشا، على أن الملتزمين امتنعوا عن دفع خراج الأوقاف والرزق المرصدة على المساجد، وان يحصل بسبب عدم دفعهم تعطيل الشعاير.

(١) ١٩ مايو ١٦٩٥م.

المحتاجين من الطحانين بستة عشر درهما الاردب. ثم دفع النيل دفعاً عظيما من السادس والعشرين من ابيب حتى انه كان يزيد فى النهار عشرين اصبعاً وما حولها والتقى البحران النيل والخليج المصرى فى ليلة الخميس التاسع من مسرى(*) وانحطت الاسعار واطمان الناس ووصل المقرر فى نهار الثلثا الحادى والعشرين من مسرى(*) المذكور وزاد الرخص واطمأن الناس من قبل الطعام وما يجرى مجراه. وفى هذه الايام وردت الاخبار بان

(*) ٩ مسرى = ٢أغسطس.

(*) ٢١ مسرى = ١٤ أغسطس.

* أهم أحداث ٩٤٦ق. = ١٢٣٠م. = ٦٢٧هـ.

فأعطاهم الباشا فرمانا[١] بالدفع، وأكد على الملتزمين أن يدفعوا ما عليهم، وقال للمرتزقة كل من لم يدفع شيئا[٢] أعلمونى، وأنا أدفع ليكم، وأفعل بالملتزمين ماهو أهله فلم يبق أحد الا ودفع بمجرد ما يروح له المستحق، لا يخرج من عند الملتزمين حتى يعطيه. وفى ثالث عشر شوال[٣] أرسل الوزير فرمانا[٤] الى مراد بيك الدفتردار، أن يجمع الصناجق، والأغوات، والملتزمين أن يعملوا مشاورة من جهة غلال العنبر والحرمين. فاتفق الأمر، بعد اختلاف كثير، أن البلد الرى تدفع ما عليها والتى لم تكن رويت تبقى غلالها على ملتزمها الى العام القابل.

وأعرضوا التوافق المذكور على الباشا، فرضى بذلك، وكتب عليهم حجة على حكم التوافق، أخذوا وصولاتهم على العادة. وفى عشرين شوال [٥]، ورد خبر من منفلوط، ان الشريف اسماعيل التيلاوى قتل عبدالله بن وافى شيخ عرب المغاربة. وفى غرة محرم الحرام سنة ١١٠٧ [٦]، اجتمعت الفقراء والشحاتين من النساء والرجال والصبيان، وطلعوا الى حوش الديوان، وصاحوا ونادوا: متنا من الجوع، وشدة الغلا. فلم يرد عليهم احد جوابا. فاخذوا الحجارة ورجموا جميع من فى الديوان. فضربهم الوالى جميعا، وطردهم، فنزلوا الى

(١) بالأصل «فرمان».
(٢) بالأصل «شئ».
(٣) ٢٧ مايو ١٦٩٥م.
(٤) بالأصل «فرمان».
(٥) ٣ يونية ١٦٩٥م.
(٦) ١٢ أغسطس ١٦٩٥م.

السلطان جرد عسكرا وسيره من دمشق الى حماه لياخذها ويسلمها الى ابن اخيه الملك المظفر بن الملك المنصور بن تقى الدين لان العهد كان له من ابيه انها له من بعده واتفقت وفاة ابيه وهو عند السلطان الملك الكامل بالديار المصرية فى نوبة الافرنج على دمياط فغلبه على الملك وسبقه اليه اخ له شقيق يقال له الملك الناصر واقام بها مدة وكان الملك المعظم يشذ منه [لا يحبه] فلما توفى

* ١ يناير سنة ١٢٣٠ = ٦ طوبه ٩٤٦ = الثلاث ١٣ صفر سنة ٦٢٧.
* فيها تجمعت الفرنج، من حصن الأكراد، وقصدوا حماه، فخرج إليهم الملك المظفر محمود بن الملك المنصور، صاحب حماة، والتقاهم فى قرية يقال لها افيون، بين حماه وبارين، وكسرهم كسرة عظيمة، ودخل الملك المظفر حماه منصورا.
* وفيها ضرب بالقاهرة نقود ذهبية على أحد وجهيها اسم الملك الكامل وعلى الوجه الآخر اسم الإمام المستنصر.

الرميلة، فنهبوا جميع الغلال التى بالرقعة، وكسروا الحواصل، ونهبوا جميع ما كان فيها، من قمح وفول وشعير، ونهبوا حاصل كتخدا الوزير، وكان ملآن فول وشعير، وكانت هذه الفعلة ابتدا الغلا فى جميع الماكولات جميعا. ثم اخذت الأسعار فى الزيادة من محرم سنة ١١٠٧، واستمر فى الزيادة الى أن ابيع القمح بستماية فضة الأردب، والفول بخمسماية فضة والشعير باربعمائة فضة والعدس لم وجد، والرز بثمانماية فضة واللحم الضانى بخمسة انصاف الرطل، والجاموس الوقيع بثلاثة أنصاف الرطل، والسمن بالف فضة القنطار، والعسل النحل بستماية، والكل ديوانى. وحصل للناس بسبب ذلك الغلا الشديد فى مصر، وأقاليمها [١]، حتى أن غالب أهل الأرياف والبلاد جاءوا مصر، ولكن أكثرهم من البهنسا والفيوم، و أمتلأت أزقة[٢] مصر، وحاراتها، وأسواقها، واشتد الكرب والبلاء[٣]، وأكلت الناس الجيف. ووالله رأيت بعين أم رأسى جمعًا من النساء الفقراء يأخذون جيفة طفل من الدرب الذى بحارة الجودرية [٤]،

(١) بالأصل «واقليمها».
(٢) بالأصل «أرزقة».
(٣) جامع بيبرس الخياط: بالجودرية أنشأة بيبرس الخياط ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م، بشارع الجودرية وكان الصرف عليه يتم من ريع الأوقاف الموقوفة عليه، على مبارك، الخطط، جـ٤، ص٦٩.
(٤) حارة الجودرية: حارة كبيرة بشارع الجودرية، ممتدة من جامع بيبرس الخياط الى درب سعادة، على مبارك، المصدر السابق، جـ٣، ص ٣٩.

الملك المعظم وفتحت دمشق اراد السلطان اعز الله نصـره ان يوصل كل ذى حق الى حـقـه فـامـر العسـاكر فـسارت مع الملك المظفر المذكـور ونزلوا الى حـماه ونازلوها وضـايقـوها الا ان الملك الناصر الذى فيها حصن القلعة وقواها وهى قلعة حصينة منيـعة وحـصل فـيـهـا من الازواد ما يكفى لسنين كـثيـرة وبقيت البلدة مـحاصرة والقتـال عليـهـا. وتوقف النيل بمصـر ونقص اصـابع يسـيـرة بعـد وصول المفرد [المبلغ] وساء ظن الناس به.

* [١ توت ٩٤٧ = ٢٩ اغـسطس ١٢٣٠ = الخـمـيس ١٧ شـوال سنة ٦٢٧].
* فـيـهـا حـصل طاعـون فى بلاد الدينمارك.
* ١ يناير ١٢٣١ = ٦ طوبه ٩٤٧ = الأربع ٢٤ صفر سنة ٦٢٨.
* فـيـهـا تخلى الملك الأشـرف عن البلاد الشرقية التى صارت لأخيه الملك الكامل، واشـتـغل باللهـو والملاذ، ثم سار من دمشق وأقام عند أخيه الملك الكامل بمصر.
* [١ توت ٩٤٨ = ٣٠ أغـسطس ١٢٣١ = السبت ٢٩ شوال سنة ٦٢٨].

وحطوه فى جورة الفرن، ثم صاروا يتقاتلون عليه، وهم يأكلون فيه والدم والصديد وتراب الجورة. يتساقط منه وافتقرت[1] الأغنياء، وتهتكت الاحرار، وهجت الناس جوعا. بحيث ان الأزقة، والحارات والأسواق، امتلأت بالأموات، وهلك أهل القرى، حتى كان المسافر يمر بالقرية فلم يجد بها ألا القليل من أهلها، ويجد بعض الدورمفتحة، ولم يكن فيها أحد وصارت الفقراء يخطفون الخبز من الأسواق، والعجين وهو رايح الفرن. وكل من اراد أن يخبز الخبز، واحد يشيله، واثنان يحرسان ويقولان [2] اوعا العوام، والخبازين الذين يبيعون الخبز. اصطنعوا لهم أقفاص. مثل أقفاص الفراخ. فاذا اشترى انسان خبزا. يأتى الرجل الى الخباز ليأخذ منه. يقول له بكم تأخذ. فيقول: بالشئ الفلانى فيأخذ منه الدراهم ويفتح القفص ويعطيه ويكون العوام حاضر. فيخطف الخبز بالفوطة ويطير. فما أحد يقدر يدركه، لشدة جريه. واذا سرح الخباز يكن معه رجلان: واحد امامه. والثانى خلفه بالعصا. ثم ان الخطافين صاروا يجتمعون ثلاثا أو اربعا، ويأتى واحد فى حذو الخباز، والاخر من خلفه، فالذى من خلف الخباز يدفعه، يكون الذى فى حذوه منحنى قدام الخباز، فيتعتر [3] الخباز يقع، يقوم الثالث بخطف القفص. ويفر هاربا فلم أحد يدركه، والرابع يحوش الناس عنه. ثم انهم يأكلوه، وكل رغيفين

(١) بالأصل «وافترقت».
(٢) بالأصل «يحرصون ويقولوا».
(٣) بالأصل «فيتعطر».

ثم دخلت سنة ست واربعين وتسع مـاية ووفى النيل ستة عشر ذراعاً فى اول توت [٢٩اغسطس ١٢٣٠م] وخلق المقيـاس فى نهـار الخـميس ثانيـه وكسر الخليج فى اليوم المذكور وكان يوماً عظيماً وانحلت الاسـعـار ورخـصت وكـثـرت الخـيـرات والازواد وفتحت حماه سلماً لان صاحبها خرج منها طالبا لخدمة السلطان وان يستعطفه فاوقعت الحوطة به ورأى الذين بقوا بعده فى القلعة انه قد

بنصف فضـة، وكل رغيف وزنه ثلاثة أواق من دقيق الفول، ودقيق الشعير. ثم ان فى يوم الأحد سادس محرم سنة ١١٠٧ (١)، عمل الباشا ديوانا، وأرسل أحضر الرزنمجي، ومراد بيك الدفتردار، وطلب من الرزنمجى علم خبر الاموال الديوانية الباقية على الأمراء فأخبره بما فى الدفتر، بأن باقى عند زيد هذا القدر، وعند عمر هذا القدر، وعند ابراهيم بيك خمسة وثمانين كيس، أورد يوم تاريخه خمسة عشر كيسا والباقى جهته سبعون كيسا، فأمر الباشا بحضوره، فحضر، فطلب منه المال، فقال له مولانا الوزير، ان شاء الله تعالى، قبل نزول الحج أسدهم. تعطينى مهلة لآخر محرم. فما سمع الباشا هذاالكلام، حتى زعق بأعلا صوته: شيلوه الى العرقانة. وتهور تهوراً زايدا. ثم أن مراد بيك الدفتدار، تشفع عند الوزير أن يعفوه من الحبس. فقبل الوزير شفاعته، وحلف برأس السلطان، إن لم يأت (٢) بالسبعين ثانى ديوان، وهو بعد غد. والا ضربت على اسمه حلقه وقتلته. ثم ان ابراهيم بيك أبو شنب، نزل من الديوان بعد الظهر، ولكن الموت بين عينيه. فلما نزل الى منزله، رأى جماعته لا أكلوا الغدا، ولا مدوا السماط، وحار كيف ما يصنع. وكان ذلك العصر ما فيه أحد من المرابين. وانما أحدث الربا فى هذا البلد، ومن رهن البلاد، واستيجارها من صاحب البلد، انما هو محمد دادى الشرايبى [المغربى]، لما ارتكن الخواجة الكبير، محمد الشرايبى. فلما جاء محمد داده قلد له الأمر،

(١) ١٧ أغسطس ١٦٩٥م.

(٢) بالأصل «يأتى».

حيل بينهم وبينه فما كان لهم الا ان راسلوا اخاه الملك المظفر واطلعوه الى القلعة وسلموا اليه المملكة فى مستهل شوال من السنة المذكورة وعاد العسكر المصرى ومقدمه الامير فخر الدين استاذ الدار فنزلوا على بعلبك وحاصروها فما بقوا بها الا اياماً قلايلا حتى اخذوا المدينة وتحامت للقلعة مدة مديدة لان صاحبها كان مدبراً شيخاً فنزل الملك الاشرف على القلعة المذكورة عسكراً

شرع فى أخذ البلاد ورهنها عنده. وأما الخواجة الكبير ما كان عنده ولا قيراط مرهون، ولا ملك، والخربطلية، والعنتبلية، واهل برا هم كلهم الذين احدثوا الربا فى هذه البلدة، نسأل الله العفو. ثم أنه كان شيخ يقال له الشيخ أحمد المالكى، وكان من الرجال المعلومة فأرسل له فجاه فلما رآه على تلك الحالة، رقد على جنبه قدر خمسة أدرج ثم أنه قام وقال له، لا تخشى من شئ. وكان من عادة الشيخ انك اذا سألته عن شئ لا يرد عليك جوابا حتى يرقد هذه الرقدة. واعجب من هذا أنه كان ساكنا بحارة عابدين [١]، ويقرى فى جامع عابدين [٢]، درسا فى فقه مالك قبل الظهر، ودرسا فى النحو بعد العصر. وسبب معرفة ابراهيم أبو شنب به، أنه فى حال خلوه من الصنجقية، «كان»[٣]، مارا على مسجد عابدين بيك، والشيخ خارج من المسجد، فسلم ابراهيم جلبى على الشيخ «فقال له الشيخ وعليك السلام يا ابراهيم بيك، فوقف وقال : يا سيدى تهزوا بى. فقال له الشيخ: «ستكون قايم مقام» [٤] وأمير الحاج، ودفتردار، وكلمة البلد، ولا تموت الا على فراشك فهذا كان سبب المعرفة ثم تفرقا.

(١) حارة عابدين: حارة كبيرة نافذة لشارع عابدين، وبها عدة عطف، على مبارك، المصدر السابق جـ٣، ص ٨٧.
(٢) جامع عابدين: انشأه الأمير عابدين بيك، بشارع عابدين، وكانت شعائرة مقامة من أوقافه، انظر: على مبارك، الخطط، جـ، ص ٤٦.
(٣) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٤) الاضافة ليستقيم المعنى مع سياق الحديث، وتتابع الحوادث كما حدثت.

يحصرها ويمنع من يطلع اليها او ميرة(*) تحمل اليها وتوجه العسكر فى خدمة السلطان الى حران لان السلطان كان قد تقدم وقت نزول العسكر على حماه وكان السلطان قد اخذ من الملك الاشرف حران والرها وسروج والرقة ورأس العين واقام بالبلاد المذكورة يحفظها ويدير احوالها فجا خوارزم شاه وهو ملك الفرس الاعظم نزل على خلاط وحاصرها وقطع عنها الميره واحتاط بها

(*) الميره: هى العتاد والغذاء والماء.

ومن مناقبة أنه كان بجوار منزله حوش وفيه بير ماء عذب ولكن لم أحد يقدر يملأ منها، وكانت البير معمورة بالجان الذين ساكنين بالبير، فشكا امره الى الشيخ أحمد المالكى، فكتب له ثلاث شقافات، وأمره بأن يرمى واحدة بعد واحدة. فلما رمى الأولى، طلع الماء الى ان فاض عن الخرزة، وملا أرض الحوش ولما رمى الثانية، طلع خادمها وعيط وشيط، الى ان حمت الاذان. فرمى الثالثة سكت ما كان فى البير من الغوش، وملأوا من البير من ساعته، وصارت كان لم يكن بها شئ. وله مناقب كثيرة، لو اردنا شرحها لطال الأمر علينا. ولنرجع الى مانحن بصدده، ثم ان الشيخ أحمد صار يسليه، وهو لا يعى طول ليلته، ولم يقعد على حيله، ولم يطلع الحريم، لأنه بايت على القتل، وعارف ان هذه المكيدة من ابراهيم بيك بن زين الفقار. وجاءه الخبر ان الفقارية عملوا للوزيرماية كيس على قتله، وله جميع بلاده، والشيخ احمد يقول له، عند الصباح يأتى لك الفرج. فهم عند اشتقاق الفجر، واذا بالباب يطرق، طرقا مزعجا، فقال ابراهيم بيك، رحت ورب الكعبة، لعلمه أن الحرسية [1] مالين الحارة، خوفا ان يهرب. ولو ملك الهروب لهرب. لأن جماعته. كل ساعة يطلعوا من الشبابيك المطلة على الباب. فيروا الغز مصطفين على الدكاكين، خوفا من هروبه. فلما طرق الباب. طلع الصنجق. وطل من الشباك. رأى رجلا راكبا على جواد. فقال له: من أنت. فقال: افتحوا الباب. مخبر بخبر خير، قال له أيش هو، قال: أفتحوا الباب. ففتحوا الباب. فدخل الى الحوش. رأى جماعة

(١) بالأصل «الحرصية».

وكان فى جيوش لا تحصى وشتا عليها واصحابها متماسكين الى ان فرغ الشتا فتقدم اليها وقاتلها فاخذها بالسيف وقتل فيها جماعة كبيرة من الاجناد واهل البلد ثم رفع السيف عنهم فلما علم السلطان ذلك عاد الى القاهرة المحروسة فى بوونه(*) الموافق لشهر رجب من السنة المذكورة ودخل اليها فى اليوم الثامن عشر منه وكان ولده فى حال غيبته قد جاف على العامة وظلم الرعية

(*) يبدأ بؤنه فى ٢٦ مايو حتى ٢٤ يونيو.

الصنجق كلهم مسلحين على مدخل (١) له، فطلع الى المقعد وسلم على الصنجق، وقال، المسلم فى سبيل علام. وأنت قايم مقام. فما تكلم الرجل بهذه الكلمات، حتى طار عقله، وأرمى كركه الذى عليه، على ظهر المبشر بيده، وباس المبشر بين عينيه وأمر له بماية شريفى، فى الحال، وكان الكرك يساوى عشرة آلاف. ثم أنه أرسل سراجا الى مراد بيك يعلمه بما جاء من الفرج، فبمجرد ما سمع مراد بيك ما أخبره به السراج، أرمى الكرك الذى كان لابسه على ظهر السراج، لأنه كان فى الحريم، ونزل للسراج لما سمع الهرج: ثم أنه (٢) ركب من وقته، وتوجه لابراهيم بيك، رأى المشاعل موقودة والغنم تذبح، والنوبة تضرب، وانقلب ذلك الحزن بالفرج. فما (٣) طلعت الشمس الا والمسلم داخل عليه، فاخذه وطلع الى الديوان، وطوى بساط الباشا. ثم ان الباشا البس المسلم كركا، وابراهيم بيك كركا. وأنزلوا الباشا بعد ثلاثة أيام، واسكنوه فى بيت أحمد كتخدا عزبان، الذى ببركة الفيل.و عين له جميع ما كان له. على ما كان عليه. فكانت مدته أربع سنوات وثلاثة أشهر. وكان ورود المسلم يوم الثامن من محرم سنة ١١٠٧ . وكان بين غضب الباشا وقيامة مقام ابراهيم بيك. يوم وليلة، وهذا من جملة الفرج بعد الشدة. افرج الله على كل متضايق بمنه وكرمه آمين.

---

(١) بالأصل «قدقم» ، وأعتقد أنهن تصحيف من الناسخ.

(٢) بالأصل كرر تعبير « ثم آنه».

(٣) بالأصل «فلما».

وصار يسخرهم فى بستان ومناظر عمرها بغير اجرة فلما علم السلطان ذلك ازاله واخذ من كان حوله مما كان يحسن له ذلك قوماً اعتقلهم وقوماً ضربهم وصادرهم وقوماً نفاهم وعاد الى الدواوين المستخدمين فآخذهم بتغليق الاموال واستخراج بواقى الاعمال فما كان فى شدة سواهم. وطرح الشيخ نش الخلافة ابوالفتوح [فى] الجب دفعة ثانية لانه كان رسم له ان يخرج الى الاسكندريه

---

٧٦. ذكر اسماعيل باشا الوزير

عفى الله عنه

قدم (١) الى مصر، من طريق البر، منفصلاً عن تولية دمشق الشام، عمرها الله بالذكر والتوحيد، مادام التوحيد. وأوكب يوم الخميس سابع عشر صفر سنة ١١٠٧(٢)، فلما استقر به الجلوس، سال عن أحوال مصر. وعن سبب قيام الرعايا فى وجهه، وعياطهم، وغوشهم، من قبة العزب الى أبواب القلعة. فاخبروه بما هم فيه من الغلا، والكرب الشديد، وكثرة الشحاتين، التى امتلأت مصر منهم، لأن جميع الأرض التى لم تكن رويت جاء فقراؤها الى مصر. فلما سمع اسماعيل باشا، أمر بالنداء فى شوارع القاهرة، ان جميع الفقراء والشحاتين، يذهبون(٣) الى قراميدان، فى غد. فلما كان من الغد، نزل الباشا الى قراميدان، فأتت خلق كثير، لا يعلم عددهم الا الله تعالى. فامر الوزير بتوزيعهم على الصناجق، والملتزمين بمصر، كل انسان على قدر حاله، وبحسب مقامه، بحضرتهم جميعا. واخذ لنفسه، ولأعيان دولته، ألف نفس، وعين لهم من الخبز والطعام ما يكفيهم، صباحا ومساء، الى أن أنقضى الغلا. ثم أعقب ذلك الغلا وباء عظيم، مهول لم تر المسنين مثل ذلك الوباء، لا يشبهه مقصود، ولا

(١) بالأصل «طريق» وصحتها «قدم».

(٢) مدة ولايته: ١٧ صفر ١١٠٧ / ١٩ صفر ١١٠٩ هـ ٢٧ سبتمبر ١٦٩٥ / ٦ سبتمبر ١٦٩٧م.

(٣) بالأصل «يذهبوا».

فيكشفها [يكشف على قلاعها] فاعتذر وطلب الاعفا من ذلك فحنق عليه فامر برميه [فى] الجب. وتوقف النيل الى اخر ابيب(*) وتحرك سعر الغلة حتى بلغ عشرين درهما الاردب القمح و الشعير عشرة دراهم ونصف الاردب وارتاح الناس من ذلك. ثم توقف النيل الى ان جا العاشر من مسرى(*) وهو فى اربعة اذرع فطلب القمح ودفع فيه ستة وعشرين وسبعة وعشرين درهما الاردب

(*) يقع أبيب بين ٢٥ يونيو و٣٠ يوليو.

(*) ١٠ مسرى = ٣ أغسطس.

الحريق [١]. فأمر الباشا لبيت مال الخاصة والعامة، أن يغسلوا الفقرا ويكفنوهم. ويتقيدون بهم، حتى يدفنوهم. وبنى لهم تربا [٢] عديدة يدفنون فيها، وتسمى بترب الغربا. فصارت الناس يحملون الموتى من الأسواق، والأزقاق، ويأتون بهم الى مغسل السلطان الذى بالرميلة، الى أن أنقضى الفنا. ولقد أخبرنى الفاضل كاتب بيت المال، أن الذى ضبطه بالقايمة التى عرضت على الوزير، ثمن أكفان، وقطن، خمسة وعشرين كيسا مصرية. هذا خارج عما كفنه الأكابر، والتجار، المتمولين من أهل الخير والاكرام، فانه اضعاف ذلك. وكان ابتداء الفصل من أول رجب الى غاية شوال سنة ١١٠٧ [٣]. وتوفى فى هذا الفصل، سيدنا، ونسل صديق نبينا صلى الله عليه وسلم، زين العابدين البكرى الصديق [٤]، رضى الله عنه، وعن جده، وأمير الأمراء ابراهيم بيك، أمير الحاج، بن زين الفقار بيك، وغيرهم من أعيان البلد، وتجارها، من لو ذكرناهم لطال الشرح، وسمى بفصل الشحاتين، وفصل الهبأ، وفصل الشراقى الكبير. ولم نسمع بفصل له ثلاثة أسماء الا هذا . وقد ورث الوزير أموالا، توارثتها الناس وارثا بعد وارث، لاتكاد تعد ولا تحصى. ثم بعد ذلك شرع فى ختان ولده، ابراهيم بيك، وكان عمره اذ ذاك

(١) المقصود الطاعون الذى حل بالبلاد فى عهد الوالى ٥٢ مقصود باشا ١٠٥٢هـ ـ ١٦٤٢م وفصل الحريق الذى انتشر فى عهد الوالى ٦٦ ابراهيم باشا ١٠٨١هـ ـ ١٦٧٠م، انظرهم.

(٢) بالأصل «طربا».

(٣) ١ يونية ١٦٩٦م.

(٤) كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة الشيخ زين العابدين البكرى رحمه الله».

ثم نودى عليه وسعر بعشرين درهما الاردب والشعير باثنى عشر درهما الاردب وكذلك الفول وجزم السلطان فى ذلك جزما لم ير مثله ثم من الله تعالى ودفع النيل دفعاً عظيماً متواصلا من الحادى عشر من مسرى الى العشرين منه فزاد فى عشرة ايام سبعة اذرع والتقا البحران فى يوم الاربعا الحادى والعشرين من مسرى [١٤ أغسطس] وكان ثالث عيد المسلمين الذى هو الفطر وسر الناس بذلك سروراً عظيما وانحطت الاسعار

عشرة سنوات. ثم نادى فى شوارع القاهرة، من كان له ولد، ويريد ختانه، فعليه بالوزير يختنه، ويكسوه ويعطيه دينارا. فهرعت الناس اليه بأولادهم، فصارت المزينين تختن، والوزير يعطى الكسوة اللايقة به، و يعطيه الشريفى، ويأخذه أهله. فكان جملة من اختتن، ألفين وثلاثماية وخمسة وستين غلاما، من سنتين الى عشرين، من أجل الكسوة والدينار. وبلغ جملة ما صرف على الأولاد، خلاف الفرح أربعماية ألف، وثلاثة وأربعون الفا، وثمانية وستون نصفا فضة ديواني. وهذا ما أخبرنى به وكيل الخرج[١] الذى كان متقيدا بهذا الامر . ومن جملة مآثرة الحميدة الكشك المطل على عرب اليسار، والقاعة التى تجاهه، والمصطبة والبستان الذى داخل السراية. وأنشأ على الباب الذى بجوار ديوان قايتباى مدرسة جعل فيها اثنى عشر قارئا يقرءون القرآن، ورتب كل يوم من الثلاثة أشهر مدرسا. ومقرئا، وعشرة من الطلبة يحضرون قراءة البخارى. ورتب لهم جوامك، وجرايات، يصرف لهم، جزاه الله خيرا، وتقبل منه الصرف والعدل، أنه على ما يشاء قدير، وبالاجابة جدير. وفى شهر ربيع أول[٢] من السنة المذكورة، طلع نجم له ذنب، وعمود فى السماء، من جهة الشرق، فاستمر مدة، ثم غاب. وفى عشرين ربيع أول[٣]، ورد أغا بخط شريف لمحاسبة على باشا، فحوسب، فطلع عليه آخر كل حساب

---

(١) وكيل الخرج: هو آحد مساعدى الروزنامجى، وكان ، من بين مهامه الاشراف على ارسال الصرة الارسالية لأهلى الحرمين، والحاجيات المطلوبة للمطبخ السلطانى.

(٢) أكتوبر ١٦٩٥م. (٣) ٣٠ أكتوبر ١٦٩٥م.

وطابت قلوب الناس واستبشروا بالخير ومد النيل بعد ذلك الى الخامس والعشرين من مسرى وكان يزيد فى كل يوم نصف ذراع ثم تقاصرت زيادته الى يوم الاحد الثانى من النسى [٢٥ أغسطس] وهو الرابع عشر من شوال سنة سبع وعشرين وستمايه فوقف وقد بلغ اصابع من اربعة عشر ذراعاً. وورد الخبر بكسر الخوارزمى(*) فى يوم الثلثا السادس عشر من شوال من السنة المذكورة الموافق

(*) الخوارزمى: هو السلطان جلال الدين ابن خوارزم شاه كان قد أخذ مدينة خلاط بعد حصار

- -

ستماية كيس. فأمر الباشا بالقبض على أربعة انفار من أعيان خدمه، فاودعهم السجن. ثم ان اسماعيل باشا أرسل خلف باش شاويش مستحفظان، وكان حسن النجدلى، فلما حضر أمره، وأمر الدفتردار، والرزنمجى، ان يتوجهوا الى منزل على باشا ويختموه، فكان كذلك. وفى ثانى عشر (ربيع آخر)[١] شرعوا فى بيع أسبابه، فأبيعت، وضبطت أثمانها، وأرسلت صحبة الخزينة العامرة. وفى[٢] أواخر جماد الآخر من السنة (المذكورة) [٣]. ورد أمر بتزيين القاهرة، ثلاثة أيام، بسبب نصرة الاسلام على القوم الليام، وأخذ أهل الاسلام ثمانية قلاع، وصابروا الكفار. وفى غرة رجب سنة ١١٠٧ [٤] ورد أمير اخور بطلب الفين من العسكر، وأن يكون صنجقهم مراد بيك. ففى الحال ألبس مراد بيك قفطان السفر، وألبس السبعة سدادرة، الذين معينين فى الخط. ومن جملتهم خليل أفندى ، سردار الجراكسة. وفى ٧ رجب ألبس الباشا قيطاز بيك قفطان السنجقية، عوضا عن سيده، ابراهيم بيك بن زين الفقار. وتزوج بسيدته، ام ابراهيم بيك، سيده. وفى عشرين رجب ورد ركاب أحمد بيك، تابع القطردار من الغزو. وفى سابع عشرين رجب ألبس الباشا قفطان الصنجقية، وأمارة الحاج، لأيوب بيك. وفى ثامن محرم الحرام سنة ١١٠٨ [٥] ورد ركاب اسماعيل بيك من سفرة دمشوار [تمسفار]، وصحبته آغا

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.

(٢) بالأصل «فى» فقط.

(٣) أواخر يناير ١٦٩٦، والاضافة للتوضيح.

(٤) ٥ فبراير ١٦٩٦م.

(٥) ٧ أغسطس ١٦٩٦م.

للرابع من النسى ودقت البشاير بذلك ثلاثة ايام وخلع على الرسول الواصل من دمشق بهذا الخبر خلعا سنية واعطى فرسا بسخت [برخت اى بسرجه ومشتملاته] وشرفسار [خلعة] ذهب والف دينار فى كيس. وركب بذلك ودار القاهرة ومصر. ودخلت سنة سبع واربعين وتسع مايه للشهداد الأبرار فى نهار الخميس الثانى عشر من شوال سنة سبع وعشرين وستماية الهلالية والنيل

طويل سنة ٦٢٧هـ = ٩٤٦ق. من صاحبها الملك الأشرف. ولكنه هزم على يد ملك الروم بعد أن استجد به الملك الأشرف. و فى السنة التالية طارد التتار السلطان جلال الدين الخوارزمى حتى ديار بكر حيث قتلوه.

سيده [السلطان]، بتزيين القاهرة، ثلاثة أيام، لمولود جاءه، وسماه محمود. وورد الخبر باستشهاد مراد بيك، وخليل أفندى. وفى رمضان قامت العساكر على ياسف اليهودى فقتلوه وحرقوه فى الرميلة، وراح [(١)]. الى لعنة الله، وكان ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة. وكان ياسف هذا ملتزما بدار الضرب [(٢)]. فى دولة على باشا، ثم طلب الى الديار الرومية فاجتمع بالملك وسأله عن أمور مصر فاخبره بالمكر والخداع والتزم له بخزينة مال يحصلها له كل سنة زايدة على خزينته واخذ من الملك خطوط شريفة يريد بها احداث حوادث ومظالم يحدثها فى مصر. من جملتها بأن يجعل للبن مدقا واحدا وكل رطل دقه نصفين، وعلى كل مقطع دمغة بنصفين، ويحدث على الحوانيت والبيوت مظلمة حكم الشام. ولما حضر الملعون الى بولاق، تلقته اليهود وأركبوه جوادا ومشى قدامه اليسفجية واليهود الى الديوان وابرز الخطوط وقريت بالديوان. ومن جملتها سكة الذهب، وهى سكة الطرلى وقريت بين يدى اسماعيل باشا والعسكر حضور ووافقه الباشات على اجرائها والعمل بما فيها. واشهر النداء بالديوان وأن ينزل الى القاهرة وينادى فى شوارعها. فنزل ونادى فى شوارع القاهرة فحصل للناس كرب شديد واجتمعت التجار

(١) بالأصل «واراح».

(٢) دار الضرب. هى دار سك العملة حسب النظام الذى تقرره الدولة، انظر: محمد شفيق غربال، مصر عند مفرق الطرق (٧٩٨ ـ ١٨٠١). ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية، كما شرحه حسين أفندى، أحد أفندية الروزنامه فى عهد الحملة الفرنسية، ص ٤٩.

متـوقف والناس مغتـمون لذلك والقمح مسعر بعشرين درهما الاردب ولا يباع الا على الطحانين بمقدار ما يستعملونه او باطلاق من الوالي. والحبوب قد تحرك سعرها وصار الخبز ثمانية ارطال بدرهم وكسر الخليج من غير وفا في يوم الاربعا السابع من توت(*) الموافق للرابع والعشرين من شوال سنة سبع وعشرين وستمايه واقام الى ثاني يوم حتى وصل الى باب الخرق وبعد ثلثة ايام وصل

(*) ٧توت = ١٤ سبتمبر = ٢٤ شوال ٦٢٧هـ.

وأعيان البلد وعلماؤها وتوجهوا الى الصناجق والأمراء، وقالوا : هذه مظلمة يحصل منها فساد كبير، وسألوهم ابطال هذه المظلمة. فركب اصحاب الحل والربط، وطلعوا الى الباشا، وقالوا له، هذا الأمر يحصل منه تعطيل الأموال السلطانية. وتخرب البلد. وهذا أمر لا يتم بمصرنا. فرد عليهم جوابا لا يرضيهم. فلما سمعوا منه ذلك الجواب. قاموا الكل قومة واحدة. وسألوه ان يسلم لهم اليهودى. فامتنع . فأغلظوا عليه فى الجواب. وصمموا على أخذه. اما كرما واما كظما. فاحضر كتخدا مستحفظان. وكتخدا العزب. واسماعيل بيك ابو الشنب وامرهم أن يودعوه العرقانة: ولا يدعوا أحدا يشوش عليه، حتى ينظرون فى امره ففعلوا ما أمرهم به الوزير فقامت الجند على الصناجق والباشا، وطلبوا ان يسلمهم اليهودى. فامتنع من تسليمه، ومن [١] اعطاء بيردى بقتله. فمضت الجند جميعا الى العرقانة، واخرجوه وقتلوه، وجرته الرعية من رجله الى الرميلة، وجمعوا الحطب الذى فى الرميلة وحرقوه، وفعلوا به كما ذكر [٢]. وفى يوم تاريخه كانت واقعة محمد الزرقانى، أحد شهود المحكمة، وهو أنه كتب وقفية بيت آل إلى بيت مال الوزير، ولم تصادف الوقفية محلا. وثبت تزوير الحجة فأمر الوزير باحضار كاتب الرقعة، فلما حضر، أمر بحلق لحيته، واشهاره على جمل فى اسواق القاهرة، والجلاد ينادى: هذا جزاء من يكتب الحجج المزورة. ثم بعد ذلك أمر بنفيه الى الطينة [١]، وأنه

(١) بالأصل «وأن» والتصويب من التحفة، ص ٢٣٥.

(٢) بالأصل «ذكره».

الى باب الخوخه ووقف هناك وبلغ الماء الى ثلثة وعشرين اصبعا من اربعة عشر ذراعاً. ولم يشرب احد فى هذه السنة من الخليج ولا استقا منه سقا ولا احتيج فيه الى معديه لانه كان يخاض. ونقص من السابع عشر من توت الذى هو عيد الصليب(*) وجا فى توت المذكور من الحر ما لم يعهد مثله . ثم رد بعض النقص فى الرابع والعشرين من توت الى اخره اصابع لم ينتفع بها.

* عيد الصليب = ١٧ توت = ١٤ سبتمبر.

كان بريا، لأنه كاتب الرقعة بالاملاء من رئيس مجلس المحكمة الشرعية،و جعلوا هذا دفعا للبلا عنهم.

وفى ثامن عشر صفر سنة ١١٠٩ (٢)، غيرت سكة ذهب الاشرفى، بسكه عليها طرة، ويسمى بالذهب الطرلى. واحضر الوزيرالصناجق والاغوات بالديوان، واحضر أمين دار الضرب(٣)، وأسلمه السكة، وأمره أن يطبع بها، وأن يكون الذهب اثنين وعشرين قيراطاً، وكل ماية طرلى وزنها ماية وخمسة عشر درهما. وفى شهر تاريخه لبس عبدالرحمن بيك قفطانا، على صنجقية جرجه، وتوجه اليها من جمعته. وفى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع أول(٤). قامت العسكر على الباشا، وطلبوا عزلانه، فابى فراجعوه المرة بعد المرة فى النزول، وهو يمتنع. فلما رأى أمرهم لم ينفك الا بنزوله، فأجاب، ونزل من يومه، الى منزله الذى اشتراه من(٥) عتقا عثمان جربجى، المطل على بركة الفيل، المعروف الآن ببيت شكربرا. وكان سبب ذلك أنه أشيع من جماعته للعسكر أن مراده البطش ببعض الأمراء، وظهر ذلك، وهو ان

(١) الطينة : جزيرة قريبة من دمياط. (٢) ٥ سبتمبر ١٦٩٧م.

(٣) المرة الوحيدة التى كتب فيها «دار الضرب» ثمّ وضع فى الهامش كلمة «الدرب» ووضع اشارة احلالها مكان كلمة «الضرب» والصحيح أنها «الضرب» وليس «الدرب» ، كتب عنوان جانبى «أعرف تغير سكة ذهب الاشرفى».

(٤) ٢٨ سبتمبر ١٦٩٧م.

(٥) بالأصل «عن» والتصويب من التحفة، ص ٢٣٦.

وارتفعت الاسعار ورسم السلطان بالتسعير وان لا يباع القمح الا بعشرين درهما الاردب ووظف على كل شونه شيا معينا برسم الطحانين وامتنع الناس من البيع ومن جلب الغله . وضاق بالناس الامر وصار الخبز لا يصاب بالاسواق وان وجد كان عليه من الضراب ما لا يوصف ثم يكون متغير الطعم والرايحة لان الناس ما يبيعون من القمح الا العتيق المسوس وما يجد الطحانون سواه

رجلا من عتقا ابراهيم بيك زين الفقار، له دراهم عند أيوب بيك أمير الحاج، باقية عليه من ثمن الذخيرة، التى كتبت عليه لما لبس امارة الحاج التى فى بندر الحجاز، فطالبه، فامتنع، فشكى أمره الى الوزير فأحضره وقال له، لم لا تدفع لهذا الرجل حقه، يدفعه للايتام. فقال له: ادفع، ولكن أنا دفعت البعض ، وبقى البعض ، ان شاء الله بعد رجوعى من السرحة ادفعه له. فقال الباشا، ودوة العرقانة. فقال اسماعيل بيك الدفتردار: دولتلى وزير، هذا أمير الحاج لم يحبس ولا على خمسماية كيس. فقال له الوزير: ترادنى فى أحكامى، ولكن أن شاء الله أصبغ لحيتكَ بدمك. فقال اسماعيل بيك، وزير، أنا ما تنصبغ [1] ذقنى حتى يموت ناس كثير . واخذ ايوب من يده، وطلع به من الديوان، ونزل به الى منزله، وصبر الى بعد العشاء حتى انقطعت الرجل، وركب وحده، بقواس وسراج، من غير فانوس، ودخل منزل نسيبه حسن اغا بلفية، وأرسل أحضر مصطفى كتخدا القازدغلى، وتكلموا هم الثلاثة، بكلام، ثم افترقوا، وروح كل واحد الى منزله، ثم أنهم فى ثانى يوم امتلأت الرميلة بخلق لا تعد . هذا كان السبب فى نزوله. ثم أنهم جعلوا مصطفى القطردار قايم مقام، وكتبوا عرضا وأرسلوه الى الأعتاب العلية، صحبة سبعة أنفار من البلكات السبعة. وكانت مدة اسماعيل باشا سنتين. ثم ورد مسلم حسين باشا فى ١٧ رجب سنة ١١٠٩[2].

(١) بالأصل «تنسبغ».
(٢) بالأصل ١٧ فى رجب ١١٠٩ / ٢٩ يناير ١٦٩٨م.

فيعملونه مخبى [سرا] على هذه الحالة والسوس
فما كان يقدر على شرا شي لان الوطف [الأوامر]
للطحانين لا يعطون احداً منه شيئاً . واصحاب
القمح لا تسمح نفوسهم ان يبيعوا شيئاً بهذا
السعر[٢٠ درهم] الاغصباً وبقى هذا الحال الى
اوايل هتور(*) وكاد القمح يعدم. ورسم السلطان
باطلاق السعر فبيع في نهار اطلاقه بستين درهما
الاردب ثم رجع انحط الى اربعين واستمر على
ذلك مدة. واما الزيت الحار فانه بلغ الىماية

(*) يقع هاتور ما بين ٢٨ اكتوبر و٢٦ نوفمبر.

---

٧٧. ذكر تولية حسين باشا ارنوط الشهير بنقرة

قدم الى مصر من طريق البر في يوم الخميس خامس عشرين رجب سنة ١١٠٩ (١) وفى ثاني يوم حضر امير اخور الكبير، بطلب الفين وخمسماية نفر من الغريبات (٢)، ولكل واحد من الغريبات خمس عثامنة: ثلاثة حين السفر، واثنان بعد العود، وأن يكون يوسف بيك المسلماني سردارهم. فأخلع القفاطين على الصنجق وعلى جميع السدادرة. وأما الخمسماية نفر فانهم وزعوهم على السبعة أوجقة، وأعطوا كل نفر الفين فضة من الميرى. وفي تاسع شهر رمضان (٣). أوكب يوسف بيك بالاى عظيم الى بولاق ، وسافر من بولاق ٢٥ رمضان (٤). وفي رابع عشر شوال (٥) ورد عرض من جرجه من عند عبدالرحمن بيك، أن عرب هوارة امتنعوا من دفع المال والغلال، والأمر امركم، فأرسل الوزير جمع جميع الصناجق، والأمراء، والأغوات، اختيارية الوجاقات السبعة، ومر العرض عليهم ومضمون العرض أنى كلما أرسلت لهم أحدا، بطلب الغلال والمال منهم، يقولون: نحن عرب والبعض يقولون: أنا مستحفظان. ثم أن الباشا قال لهم: ايش تقولون، تقعدون بما على العرب من مال وغلال، واكتب عليكم

(١) مدة ولايته : ٢٥ رجب ١١٠٩ / ١٣ ربيع أول ١١١١ هـ - ٦ فبراير ١٦٩٨ / ١٦٩٩م.
(٢) نوع من الجند سبق التعريف به حيث ذكر الجند الغربا أى المرتزقة.
(٣) ٢١ مارس ١٦٩٨م. (٤) ٦ أبريل ١٦٩٨م.
(٥) ٢٥ أبريل ١٦٩٨م.

ودرهمين القله وانحط الى تسعين وما دونها واستمر على ذلك وكان اكثر البضايع فاسدة فى هذه السنة، وكذلك ما يختص به من البزر والسلجم . وفى طوبه(*) من السنة المذكورة رسم بحفر [تطهير] خليج القاهرة وطرح على اصحاب الادر [الدور] والبساتين التى عليه فاعتمد الناس ذلك ونالهم منه غرامة كثيرة وكانت الدار تغرم ثلثين دينار وما دونها على قدر الدار وعرضها

(*) يقع طوبه ما بين ٢٧ ديسمبر و٢٥ يناير.

حجة، والا تخرجوهم من عندكم، فقيل للجميع: ليسوا منا، والعرب لم يكونوا عسكرية. فعند ذلك كتب عليهم ثلاث حجج شرعية، بأنهم لم يكونوا عسكرية، واحدة وضعها فى نوبة خانة الجاوشية [١] والثانية فى باب مستحفظان، والثالثة أرسلها الى عبدالرحمن بيك حاكم جرجة. وفى خامس عشر الحجة سنة ١١٠٩ [٢]. توجه اسماعيل باشا الى العادلية، من غير الاى، بجماعته فقط، بعد أن عمل حسابه حسين باشا، فطلع عليه من غلال العنبر الشريف خمسين ألف أردب، فباع منزله الذى تقدم ذكره، والبلد التى كان أوقفها على السحابة وهى البدرشين، ودفع [٣] ثمن الخمسين الف أردب، خمسين كيسا، كما هو مضمون الخط الشريف ، المحضر عليه، على يد قرا محمد كيخيته. وفى حادى عشرينه توجه من العادلية طالب بغداد، دار ولايته، ومحل حكمه. وفى غرة محرم سنة ١١١٠ [٤]، دفع حسين باشا لأرباب الجرايات ثمن جراياتهم على كل أردب خمسة عشر نصف فى الشعير، وخمسة وعشرين فى الحنطة، وهذا الذى فعلوه فى قبول الدراهم من الوزرا، عوضا عن غلال العنبر، كان أول غم وقع فى العنبر، من بيع الوصلات، وعدم عطيه الغلال وكان منشاها

(١) نوبة خانة الجاوشية ، مقر رياسة وجاق الجاوشية.
(٢) ٢٤ يونية ١٦٩٨م.
(٣) بالأصل خمسين، ربما كانت خطا من الناسخ، والتصويب من التحفة، ص ٢٣٧ .
(٤) ١٠ يولية ١٦٩٨م.

وكذلك رسم فى جميع البلاد ان تحفر خلجها وتقوى جسورها وتفتح لها الترع المستجدة التى تقضى ريها من الانيال [الترع] القليله وكل ذلك على المقطعين واهل البلاد. ثم رسم فى اواخر امشير(*) بان يحفر بحر مصر من جهة دار الملك الى فم خليج القاهرة وجعل ذلك على اصحاب الادر بمصر والجزيرة التى على البحر واجبوا ذلك على الناس وجعلوه قصباً تكون القصبة طول

(*) يقع امشير ما بين ٢٦ يناير و٢٤ فبراير حسب التقويم الجولياني.

اسماعيل باشا، وانما دخلت جهته سنة التراقى، وباع منها الذى باعه، وأطعم الفقرا الذين كان اخذهم لطرفه الذين تقدم ذكرهم، واشيع للناس أنه أطعم الف فقير طول الغلا، وهو من غلال أهل مصر، وغلال فقراهم، لا من غلال أغنياهم، لأن الأغنياء لا يذهب لهم شئ. وكل ذلك ذاهب على الفقراء والله أعلم. وفى أواخر شهر جماد الثانى من السنة المذكور[1]، ظهر رجل من الفيوم، يقال له محمد العليمى، ادعى الولاية، ونزل بالرميلة، فصار على القهوة، التى تجاه سبيل المؤمنين وارتكن بظهره الى القهوة واقف على رجل واحدة. فهرعت اليه رعايا مصر، وعوامها، ونسايهم، ونساء اكابرها، فلما تكاثرت عليه الناس، حفروا له حفرة مثل المنامة، وصارت النقبا التى له يقفون على رأس الحفرة، ومن اراد النزول ينزلوه له، فيجتمع عليه وهو واقف على رجله. وكان يفرد عين وهى اليمنى. ثم أنى توجهت له فرأيته واقفا داخل الحفرة، وسيدى محمد الزرقانى جالساً عنده، يبوس فى يده. فقلت له: يا سيدى ما هذا الحال، فقال لى: يا أحمد أعتقد ولا تنتقد. فقلت له: ياسيدى كذلك. ثم أن النساء كثرت حتى أنها صارت تنام فى سبيل المؤمنين. وصار فى المحل فساد كثير، وصارت الناس الى التربة، ثم الى قراميدان، زحمة بالكتف. فلما رأت العسكر هذا الأمر، طلعت الى الديوان وأخبرت الوزير. فلما سمع الوزير هذا الكلام، أرسل طلبه ، فطلع الى القلعة.فلما دخل الى الديوان، لم

(١) أواخر ديسمبر ١٦٩٨م.

سبعة اذرع في عرض اربعة قصبات او خمس على حسب بعد المكان من البحر وقاربه في عمق خمسة عشر ذراعاً بالعمل فكان ينوب القصبة عشرة دنانير واكثر. وتحرك السعر وبلغ القمح الى ستين درهما الاردب والشعير الى ثلثين درهما وجميع الحبوب من [بنفس] النسبة. واحترق [جفّ] البحر احتراقاً ما روى مثله وظهرت القرابيص (*) التي فيه من امشير وجرفت المراكب

(*) القرابيص: ما أرتفع من باطن النهر مثل الجزر المغمورة بالمياه.

تتمالك العسكر حتى ان هجم أيوب بيك وضربه بالخنجر، فوقعت فيه العسكر ضربا، فمات، فربطوا في رجله حبل وجروه الى الرميلة، وهربت نقباه. ثم أن أهل الخير من المؤمنين غسلوه وكفنوه، وعملوا له مشهدا عظيما، ودفنوه بجوار الست نفيسة، رحمة الله عليه وعلى أموات المسلمين جميعاً [1]. وفي سابع شوال سنة ١١١٠ [2] كانت واقعة المغاربة مع أهل مصر. وذلك أن المغاربة كان من عادتهم انهم يحملون الكسوة الشريفة، التي تعمل كل سنة، ويمرون بها في [3] شوارع القاهرة، وانهم يضربون كل من يروه يشرب الدخان، في وقت مرورهم بالكسوة الشريفة. فاتفق لهم انهم ضربوا رجلا من اتباع مصطفى كتخدا القزدغلي، فشجوا، رأسه. وكانوا اذ ذاك مسلحين، فتشاجروا، ووقع بينهم الضرب بالسلاح، وطالت القضية، واتسعت، فقام عليهم أهل السوق، وضربوهم، فادركهم اوضباشة البوابة، وكان اذ ذاك سراج مصطفى أوضباشا، سراج تابع ابراهيم القرماني، فقبض على أكثرهم، ووداهم القلعة. ثم في ثاني يوم اعرضوهم على الوزير، وعرفوه بحالهم، فأمر بهم الى العرقانة، ولم

(١) لمزيد من التفصيل حول واقعة العليمي، انظر : التحفة، ص ٢٣٠ - ٢٣٩. عبد الرحمن الجبرتي، عجايب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين جـ١، ص ١٤٢ ـ ١٤٣، حيث سجل ما قاله الشيخ حسن الحجازي في هذه الحادثة شعرا.

(٢) ٨ أبريل ١٦٩٩م.

(٣) بالأصل «من» والتصويب من، الجبرتي، المصدر السابق جـ١، ص١٤٣.

الصغار وقيل ان [الماء] الذى فى قاع البحر فى الوقت المذكور ثلثة اذرع ونصف وربع. ولم يزل الحال على ذلك والاسعار غالية والناس فى شدة شديدة لان احوالهم كانت ضعيفة الى الغاية وجاء الخامس والعشرين من بوونه(*) الذى يطالع فيه باحوال النيل وفى القاع ذراع واحد ونصف وربع وهو شى قليل ما روى مثله. وتوقف الماء [فى] ابيب (*) كله ثم زاد فى مسرى(*) وانتهى الى

(*) ٢٥ بؤنه= ١٩ يونيو.
(*) يقع ابيب بين ٢٥ يونيو إلى ٢٤ يوليو.
(*) يقع مسرى ما بين ٢٥ يوليو و ٢٣ اغسطس ٩٤٨ق. = ١٢٣٢م.

يزالوا مسجونين الى أن سافر الحاج، ومات أكثرهم فى العرقانة، فشفعت أرباب الدولة فى الباقى، بواسطة الخواجة محمد الشرايبى [المغربى]، بدراهم عملوها لاسماعيل بيك الدفتردار، فأفرج عنهم الوزير، ومن تلك السنة لم تشل المغاربة فى الكسوة. وفى عاشر شوال وصلت مرضعة السلطان تريد [1] الحج، ونزل الى ملاقاتها حسين باشا، وأنزلها فى الحلى، وهاداها، وهادتها جميع رجال الدولة. ثم انها حجت ورجعت، فلما وصلت الى عجرود، توفت الى رحمه الله تعالى. وفى غرة الحجة سنة ١١١٠ [2] ورد الى بندر السويس مركب الخواجا عبدالغفور، وكان عبدالغفور هذا رجل هندى ناخوذه [تاجر بحرى] وهذه المركب من جملة سبعة عشر مركبا، والجميع خشب ومتجر وخدم، ملكا له، سبحان المنعم المتفضل، فمكثت فى السويس، وحملوا حملها التى بيت محمد جربجى الجودرى، الذى بجوار سر الحسبة، ومكثوا يبيعوا فيها سنة كاملة. ثم سافروا فى محرم سنة ١١١٢ [3]. وفى محرم سنة ١١١١[4]، ورد ركاب سليمان باشا من الديار الرومية، واليا على بندر جدة، وبيده أمر شريف،خطاب الى حسين باشا، أن يدفع له عشرة آلاف طرلى، من مال الخزينة العامرة، برسم عمارة ماتهدم من سور [5] المدينة. فأجاب، ودفع . وفى

(١) بالأصل «يريد» والتصويب من التحفة ، ص ٢٤٢.
(٢) ٣١ مايو ١٦٩٩م.
(٣) يونية / يولية ١٧٠٠م.
(٤) يولية ١٦٩٩م.
(٥) بالأصل «صور».

خمسة عشر ذراعاً ثم وقف [فى] النسى(*) ويئس الناس منه ثم دخلت سنة ثمان واربعين وتسع ماية للشهدا(*) الابرار وكسر مجرى المنجا خشية من نزول الماء وكذلك ساير الابحر الكبار وإذن الله بزيادته فزاد فى توت(*) شيا لم يعهد قط ووفى فى التاسع منه [٧سبتمبر] وانتهت زيادته الى عشرة اصابع من سبع عشر ذراعاً ورويت البلاد كلها لان السلطان كان دبر البلاد تدبير لم يدبره احد واخذ

(*) النسى : مـابين ٢٤، ٢٩ أغسطس وهى آخر أيام السنة المصرية.

(*) توت : يقع ما بين ٣٠ أغسطس و٢٨ سبتمبر.

يـوم[١]. الثلاثا ثالث عشر ربيع أول سنة ١١١١[٢]. ورد مسلم قرا محمد باشا، كتخدا اسماعيل باشا، وجاء الفرمان بقيامة مقام اسماعيل بيك الدفتردار، ونزل حسين باشا ثاني يوم، ووكلوا به الحرس، وكانت مدة ولايته سنتين، والله أعلم.

٧٨.ذكر تولية قرا محمد باشا

عفى الله عنه

قدم الى مصر يوم الاثنين رابع عشر ربيع الثاني سنة ١١١١ فاستمر واليا بها الى سنة ١١١٦[٣]، فكانت مدته خمس سنوات. وفي ثاني عشرين ربيع الثاني[٤]، ورد قابجي باشا[٥]. من الاعتاب العلية ومعه ثلاثة أمور شريفة، مضمونهم أرسال الخزينة على الفور، ومحاسبة حسين باشا على وجه الحق، وبطلب الشريف أحمد بن غالب، والشريف عبدالله والشريف بن بركات، فجهزوهم فى الحال، وارسلوهم الى الديار الرومية، ولما وصلوا الى الأعتاب العلية قابلهم بالاجلال والتعظيم، وأفراد لهم مساكن تليق بهم، ورتب لهم جميع ما

(١) بالأصل «اليوم». (٢) ٨ سبتمبر ١٦٩٩م.
(٣) مدة ولايته : ١٤ ربيع الثانى ١١١١ / غرة رجب ١١١٦هـ ـ ٩ أكتوبر ١٦٩٩ / ٣٠ أكتوبر ١٧٠٤م.
(٤) ١٥ أكتوبر ١٦٩٩م.
(٥) رسول كبير، جب، بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، الترجمة العربية، جـ١، ص ١٢١.

اهل كل عمل لعمل جسورهم وحفر ترعهم وحمل الماء اليها من المواضع البعيده بالجسور التى تعمل عليها فرويت البلاد كلها ولم يشرق منها الا السواحل العوال التى لا يالى بها معما [علماً] انه روى من هذا الماء ما لا كان يروى الا من ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر ذراعاً وكل ذلك بتدبير مولانا السلطان وحسن نظره. وكانت الفلوس قد كثر فيها الزغل [التزييف] والفساد وصار فى

(*) أهم أحداث سنة ٩٤٩ق. = ١٢٣٢م. = ٦٢٩هـ.
* فيها استولت التتر على بلاد العجم كلها.
* ١ يناير سنة ١٢٣٢= ٥ طوبه ٩٤٨ = الخميس ٦ ربيع أول سنة ٦٢٩.
* وفيها سار الملك الكامل والأشرف من مصر إلى البلاد الشرقية، ونزل الملك الكامل ببلاد الشوبك، وأناب عنه فى مصر ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب.

يحتاجون اليه. ومكثوا مدة، ثم أن أحمد بن غالب، وعبدالله ابن هاشم، توفيا الى رحمة الله تعالى. واما يحيى بن بركات فانه استأذن فى العود الى مصر، فا ذن له، فرجع الى مصر واستوطنها، وأفرد له جامكية، فى كل يوم الف وخمسماية فضة. وفى يوم الخميس ١١ جماد توفى شيخ الطريقة والحقيقة، وشيخ القراء، الشيخ محمد البقرى. وفى سنة ١١١٢ [(١)]. عمر محمد باشا مقام الاربعين الذى [(٢)] بقرا ميدان، ونشأ فيه جامعا بخطبة، وتكية لفقرى الخلوتية من الأروام، وأنشا مقابلا لهم مطبخا، ودار ضيافة للفقرى، وفى علوها مكتبا للاطفال يقرءون القرءان فيه، وجعل لهم من الخيرات ما يكفيهم . وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف ببستان الغورى حماما فسيحا. وجدد بستان الغورى وعمره، وأنشأ الأشجار المثمرة، ورم قاعة الغورية التى بجوار البستان، وعمر بجوار الحمام سكن أمير اخور ومسطبة عظيمة، برسم تلبيس القفاطين للمحمل وتسليمه لامير الحاج. وبنا مسطبة لرمى النشاب، وعمر بالقرافة مقام العارف بالله، سيدى عيسى بن القطب الربانى، سيدى عبد القادر الكيلانى، وجعل فيه فقراء مجاورين، ورتب لهم علوفة وجرايات تكفيهم. وعمر صهريجا داخل القلعة بجوار نوبة الجاوشية، ورتب فيه خمسة عشر فقيها يقرءون القرءآن صبيحة كل يوم بعد طلوع

(١) ١٧٠٠ / ١٧٠١م.
(٢) بالأصل «الدين»، ٦ سبتمبر ١٧٠١م. كل هذا من أقوات المصريين للتنابله (الصوفية العثمانية).

* ١ تـوت سـنـة ٩٤٩ = ٢٩ أغسطس ١٢٣٢= الأحد ١١ ذو القعدة سنة ٦٢٩.
* فيها رجع السلطان الملك الكامل من البلاد الشرقية إلى ديار مصر.
* ١ يناير سنة ١٢٣٣ = ٦ طوبه سنة ٩٤٩ = السبت ١٧ ربيع أول سنة ٦٣٠.
* وفيـهـا أسـتـأذن الملك المظفـر محمود، صاحب حماه، الملك الكامل في انتزاع بارين من أخيه قليج أرسلان خيفة أن يسلمها إلى الافرنج لضعفه عن مقاومتهم،

الصعيد من يضربها خارج الدار [دار الضرب] وكثر ذلك وفشا وكان صرفها كل ستة عشر فلساً بدرهم اسود [الفضه] وليس بينها وبين الصرف فى الذهب با لدراهم سوى نصف درهم فى الدنيا ونصف وربع [ثلاثة أربا ع] . وكان الناس طيبين النفوس بها ولا يردها ا حد فامر السلطان بان ينادى ان لا يتعامل الا بالفلوس السلطانيه وما ظهر من غير ذلك يقص ويطرح [يصادر]. واقيم لذلك

الشمس. وفى ثانى ربيع أول سنة ١١١٢ [١] قتل عبدالرحمن المنفصل عن صنجقية جرجة، باتفاق من أصحاب الوجاقات السبعة وركبت نفر السبع وجاقات، وجربجياتها، وبيارقهم، وجردوا عليه المدافع، الى أن أحاطوا بمنزله الذى بباب زويلة، المعروف بمنزل رضوان بيك، وضربوا عليه المدافع، وتسلقوا عليه من الحيطان، وقتلوا أكثر جماعته. ومن جملة من قتل أحمد أضباشا البغدادى، ودالى محمد اوضباشا، تابع الحبشلى، وأسماعيل من أعلا المحل، وضرب عبدالرحمن بيك برصاصة، فخر ميتا. وكان محرما فى صلاة الضحى. ثم هجموا عليه، وجزوا رأسه، وودوها الى الوزير ، فأعطى الذى أتى بها خمسة وعشرين ألف فضة. ونهبوا جميع ما كان فى داره وسبوا عياله، وجواره، وجميع خدمه. ولقد كنت واقفا والنهب واقع، وإسماعيل بيك الدفتردار، وبجانبه أيوب بيك، وبجانب أيوب إبراهيم بيك أبو شنب، وباب الحريم مقفول، والناس واقعين فى النهب للمقعد ، والخيل، والخيام، والأمور المتعلقة بالزجال واذا بايوب بيك يزعق على النهابة. وقال لهم: اكسروا باب الحريم فكسروه.و انزلوا الجوار والخدم. واذا بأربعة من الغز، واحد يقال له بشت عثمان ، جول على، وقبطان ابراهيم، وصارى عبدالله، نازلين بصندوق فيه المال والجواهر التى للصنجق. ثم أن جول على ، عمل كتبخدا مستحفظان، ورميت رأسه فى غيطه. وقبطان ابراهيم مرض بالقصبة الى أن مات ،

(٦) سبتمبر ١٧٠١م.

صيارف وتلف على الناس من ذلك شئ كثير ثم ان صرفها رخص فصار الدينار بخمسة واربعين درهما فلوسا ثم تدرج الى ان بلغ يوم تطيره [تسطير] وهو السادس والعشرين من ابيب(*) الى ثمانين درهما فلوسا بدينار والدراهم السواد كل عشرة دراهم بثمانية عشر درهما فلوس، يكون الدرهم المصرى ثلثين فلساً واما الدراهم النقره فانها تساوى كل ستة دراهم وربع بالفلوس، وما

فأذن الكامل بذلك فسار المظفر من حماه وحاصر بارين وانتزعها من اخيه.

* فيها كان إنشاء وتأسيس المدرسة الكلية فى طولوز.

* ١ توت ٩٥٠ = ٢٩ أغسطس سنة ١٢٣٣ = الاثنين ٢١ ذو القعدة سنة ٦٣٠].

(*) ٢٨ أبيب = ٢٤ اكتوبر (جوليانى).

وصارى عبدالله هلك غريبا، وعثمان هلك فى البقيع، بعد رجوعه من مكة. وسبب قتله عبدالرحمن بيك: أنه نقل عنه كلام الى الفقارية، وكان ينسب الى القاسمية، وأنه لما لبس قفطان جرجة، ونزل الى الولاية، ورجع الى مصر حصل بينه و بين حسن أغابلفية تكلما فى الديوان، وسحب الخنجر عليه، وقال له، دا الوقت، اسبغ دقنك بدمك. ثم أنهم فرقوا بينهم، ونزلوا على غير حال مرضى، وتسببوا فى قتله، وقتلوه، ورحمة الله عليه. وعمل فيه الشيخ مصطفى النحاس تاريخا أرخوه: «جآعدوانا وظلما». وفى يوم السبت ٤ شوال سنة ١١١٤(١)، جرت حادثة هى: أن الفضة النحاس، والحت (٢)، فشت فى القاهرة، وصار النصف المختوم لا يوجد، وان وجد لا يتعامل به، وانما تاخذه اليهود ويقصوه أربعة أنصاف، ويصرف،حتى أن الشريفى المحمدى صار بماية وخمسين، والطرلى بماية وسبعين، والبندقى بمايتين، والريال بسبعين، والكلب بستين، ثم أنها فشت الى أن صارت تباع بالدراهم، وصار أهل الأسباب يبيعون الاسباب، وفى آخر النهار يذهبون الى الصاغة ، ويبيعون ما تحصل معهم من المقاصيص، فضاعت رساميل الخلق، واشتد الحال على الناس، وزاد الكرب. فاجتمع أهل الأسواق، ودخلوا الجامع الازهر، وشكوا امرهم الى العلما، والزموهم بالركوب الى حضرة

(١) ٢١ فبراير ١٧٠٣م.

(٢) أى المقصوصة، انظر : التحفة ، ص ٢٤٥.

بقي بايدى الناس [من المعاملة] سوى الفلوس لان ديوان السلطان مـا كـان ياخـذها فى شى من معاملاته لا فى اجرة املاك ولا ضمان ولا بيع ولا شـرا وبطل عـمل الفلوس بدار ضربهـا وهى كلمـا مرت رخصت . ثم انه جرت فى هذه السنة كاينة عجيبة وذلك ان رجلا قسيساً راهباً خبيرا يعرف بابى سعيـد بن العفيف كانت زوجة اخيه قد ابتاعت جاريه روميه من رجل فرنجى ثم باعتها الى

الوزير، فى شأن ذلك الأمر. فركب الشيخ محمد النشرتى، وركب خلفه جميع العلماء، وتوجهوا الى الديوان، وافهموه على القضية، وضرورة الناس. فجمع السناجق، والاغوات، الامراء، وكان ديوانا حافلا، وتشاوروا فى شأن تلك[1] القضية. فاجتمع امرهم، أنهم يقطعون فضة جديدة ، وتوزع على الصيارف بالقاهرة، وينادى بابطال المقاصيص أصلا، وأن كل من كان معه شئ من المقاصيص، يطلع الى الديوان، ويتبدل وزنها فضة من دار الضرب، أو من الصيارف. وكل من تعامل بالمقصوص يستأهل ما يجرى عليه. وأن الطرلى بماية، والمحمدى بتسعين، والبندقى بماية وعشرين، والريال بخمسة وخمسين، والكلب بثلاث وأربعين، وأنزلوا الأسعار المبتاعة، وجعلوا لكل صنف سعرا لا يباع باكثر منه. واجمعوا ان يركبوا، على أغا مستحفظان، بالعمامة البيرشان، والملازمين قدامه، وحاكم الشرطة، وأوضباشة البوابة، والمحتسب، وجاويش من بيت نقيب الاشراف، وسبع جاوشية. من كل باب واحد، ونايب القاضى، فى مقدمته، والمماليك خلفه بالبندق واليدكات موقرة، واثنان صيارفة واحد عن يمينه، والاخر عن يساره، ويمر فى شوارع القاهرة، ينقدوا الدراهم، ويحرروا الارطال، وينادى على الاسعار المبتاعة. فمن وجده باع شيئا بخلاف المشرط، أو اشترى، سواء، كان ذلك الرجل فلاحا، أو تاجرا، أو قبانيا، يسطحه فى السوق على وجهه، ويضربه بالمساوق الشوم

(١) بالأصل «ذلك».

رجل من التجار المترددين من بلاد الفرنج فلما بلغ مولانا السلطان ذلك انكره غاية الانكار وامر بان يباع القسيس وامراة اخيه واختها ونودى عليهم فى سوق الرقيق وكانت شدة ما سمع بمثلها فاشتراهم رجل مبارك اصله نصرانى من الشام من المارونيه وقد اسلم فابتاعهم بستين دينار وانتحى الناس عنهم وجمعوها لهم وافتكوهم وكان هذا الرجل [الماروني] محسناً اليهم الى الغاية. واما القس فانه خرج الى دير العربة [دير القديس انطون] فاقام به و[واما]المرتان ا حداهما كانت

حتى يتلف أو يموت. وقل من قام من تحت الضرب حيا ومنهم من ودوه الى منزله وعاش يوما أو يومين ومات. فهلك خلق كثير بسبب ذلك، فهج أكثر الناس. وكان رجلا جبارا فاطاعته (الناس)[1]، ودخل فى قلوب الناس الرعب وكان اذا اراد الركوب يشيع خبر ركوبه، فتهرب الناس الى منازلها، ولم يبق فى السكة أحد ولا الكلاب. ولكن ضبط البلاد ضبطا شافيا. وكل شئ نادى عليه لم يكن فيه زيادة أبدا، ويكثر، ولم يعدم، ونزل فى السعر عن مناداته. وانه نادى عن البن بألف ومايتى، وكان بألف وخمسماية، فنزل الى أن ابيع بعشرين ريال، كناية عن الف وماية، وكل شئ هكذا. وفى سنة ١١١٥ [2]. أمر الوزير بقطع الدكاكين لتوسعة الطريق، فقطعوا الدكاكين، وجعلوا مساطبها عشرين قيراطا. ثم نادى بقطع الارض وتمهيدها، فقطعت الناس من الأرض ذراعا اسطنبولى. وهو أول آغة حكم فى القاهرة. وفى ربيع آخر [3] ورد أخبار من الديار الرومية بجلوس السلطان أحمد [4] ابن محمد فى ٢٧ ربيع أول سنة ١١١٥ [5]. وفى يوم الأربع ثانى عشرين جماد آخر [6]. من التاريخ المذكور، انحرقت

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) ١٧٠٣ / ١٧٠٤م.
(٣) أغسطس ١٧٠٣م.
(٤) هو السلطان أحمد الثالث، وتولى السلطنة ١٧٠٣ / ١٧٣٠م.
(٥) ١٠ أغسطس ١٧٠٣م.
(٦) ٣١ أكتوبر ١٧٠٣م.

راهبة وكان كلاهما قديسين واطلق سبيلهما. وسافر السلطان بالعسكر المنصورة فى يوم عيد الفصح من هذه السنة وهو فى جمادى الاخره سنة تسع وعشرين وستمايه الهلاليه [١٢٣٢م] ومضى الى دمشق ومن دمشق الى الشرق لان عدواً كان قد خرج على بلاد الفرس والعراق يعرف بكافر ترك [هولاكو] فى عدة كثيرة لا يحصى عددها وهزم خوارزم شاه واستباح بلاده وأخربها ووصل الى اطراف بلاد بغداد. وسير الخليفة الامام المستنصر ابو جعفر المنصور من

البارودية (١). التى بالباسطية الحرقة الثانية، وأحدثوا عوضها باوردية بالرميلة، التى هى الآن. وفى غرة رجب (٢). ورد ركاب مسلم سليمان باشا من جدة الى اسماعيل بيك الدفتردار، بقيامة مقام، وأنزلوا قرا محمد باشا الى منزل على أغا الخزندار الذى بالمظفر. ثم ان أعيان البلد أبوا أن يكون سليمان باشا واليا عليهم، فأرسلوا عرضا الى الديار الرومية برفعه عنهم، لما يعلموا من تجبره وعناده، قبل العرض. وفوضوا أمر مصر الى الوزير الأعظم رامى محمد باشا. وعمل له تاريخا، الشيخ مصطفى بن فتح الله النحاس الشاعر، قدوم شريف للوزير محمدا. وأن هذا الشيخ مصطفى ألف (٣) له كتابا يشتمل على أحد وعشرين علما، وقدمه له، ومدحه فى الكتاب بثمانية وعشرين قصيدة محبوكة الطرفين على حكم ارتقيات الصفى الحلى. فلما رأى الكتاب حصل له السرور، وكساه كسوة وزراء (٤)، وأعطاهماية طرلى، وسبع عثامنة، بدفترالأيتام. وصار يتوجه له فى كل يوم جمعة، ويذكر لنا محاسن الوزير . ثم أنه باع العثامنة بأحدى عشر ألف فضة ديوانى، وتوجه إلى الحجاز سنة ١١١٦ (٥). فلما ورد مسلمة، أبقى اسماعيل بيك على ماهو عليه، وأرسل مولانا السلطان الى سليمان باشا بالعزلان.

(١) دار صناعة البارود.
(٢) ١٠ نوفمبر ١٧٠٣م.
(٣) بالأصل (اللف).
(٤) بالأصل «وزر».
(٥) بالأصل ١١٦١، و صحتها ١١١٦ هـ / ١٧٠٤م، و التصويب من التحفة، ص ٢٤٧.

بغداد الى السلطان رسولين جليلى القدر احدهما
معمم والاخر مشربش من اخص مماليكه وكانت
لهما حشمة وحرمة لم يعرف لرسول مثلها واهتم
بهما السلطان اهتمام مثله وجعل لهما من الاقامة
والراتب ما يعجز الواصف عن وصفه . وكانا
احضرا معهما خلع الخلافة الشريفة على السلطان
عز نصره وعلى اقاربه وخواصه والعهد [المرسوم]
بسلطنة البلاد والمماليك التى بيد سلطاننا . وكان
وصولهما من دواعى اسباب سفر السلطان عز
نصره وكانت اخبار هذا الخليفة احسن الاخبار من

---

٧٩. ذكر تولية محمد باشا رامى.

عفى الله عنه

قدم الى مصر من طريق البحر يوم الاثنين «سادس شعبان» [١] سنة ١١١٦ [٢] وهو أول نياب السلطان أحمد بن محمد. وفى أول قدومه توفى مصطفى كتخدا القزدغلى. وفى أيامه جاءت آمارة الحاج الشريف الى غيطاز بيك، تابع ابراهيم بن زين الفقار سنة ١١١٧، وفى ايامه توقف النيل عن الزيادة، وهرعت الناس لطلب الدعاء، وامر الوزير العلماء، وأولاد المكاتب، وجميع أهل القاهرة، أن يطلعوا للاستسقا. ثم نادى المنادى بأن أول يوم الى الجيوشى، والثانى فى جامع عمرو، والثالث فى سبيل على باشا، وكان بجانبى رجل شريف فتوفى فى حالة الدعاء. واستجاب الله دعايهم، وأوفى البحر حادى عشر توت القبطى [٣]، وعملوا له تاريخا:

(١) الاضافة من التحفة، ص ٢٤٧ . حيث أنه لا يوجد بالأصل شهر القدوم.

(٢) مدة ولايته: ٦ شعبان ١١١٦ / ٧ شوال ١١١٨ - ٤ ديسمبر ١٧٠٤ / ١٢ يناير ١٧٠٦م، فى التحفة، ص ٢٤٨، أنه عزل ٦ رجب ١١١٨ / ١٤ أكتوبر ١٧٠٦م. وهو الأصوب ، حيث أن «على باشا» التالى له قدم ٢٢ شعبان ١١١٨ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٠٦م.

(٣) ١٩ سبتمبر ١٧٠٥م.

العدل والاحسان وتجنب الظلم والعدوان واعادة ما عطب من سالف الزمان والمساواه فى الفضل على كل انسان حتى ان الذهب كثر فى ايدى الناس وورد منه الى مصر جملة كبيرة لكثرة عطاياه واحسانه الى رعيته كافة واوليائه. ثم ان السلطان الملك الكامل سافر الى الشام المحروس فى برومودة من هذه السنة الموافق لجمادى الاخرة سنة تسع وعشرين وستمايه على ما تقدم ذكره وتوجه الى الشرق وقصد الكافر فاندفع قدامه ولم يقف اصلا وخرج عن البلاد ونزل السلطان عز نصره على

البحر لما تأخر إلى توت حارت النواظر
جادا الآله وتفضل في يوم أحد وعاشر
فقلت فيه مورخ لله جبر الخواطر (سنة ١١١٧)

فرويت بعض البلاد، و هبط سريعا، فحصل الغلاء الشديد، وبلغ القمح مابة وأربعين الاردب، والشعير مابة وخمسين، والفول مابة وثمانين، والارز بأربعمائة فضة، واللحم بثلاثة فضة الرطل والدجاجة بعشرة، و الشمع الشحم بثمانية الرطل، وقس على هذا. وكثرت الشحاتين فى الاسواق والأزقة ولم يأتى تلك البسنة بن من اليمن ولا قماش هندى من بلاد الهند، وغلاء البن، بأن أبيع بأثنين وخمسين ريال حجر القنطار، من بعد ما كان بأحد وعشرين ريال، والشاش الهندى لم يوجد ولبست الناس الخاصة، والاكابر صاروا يقطعون الخاصة، ويشتغلوا له طرفا بالقصب شغل الابرة. وكانت أيامه كلها نحس على مصر. وان فى حال مجيئه لو مات فى اسكندرية، لبنوا له قرارا، من كثرة ما تكلم الناس فيه. وأخبر عنه ناس من الذين راوه متوليا فى القلاع والامصار، أن قدمه هكذا فى كل بلدة تولى بها، حتى انه لما تولى قبرص حصل فيها القحط ونشف بعض أعين من أعين الجزيرة.

وفى سابع شوال [١]، توفى الشيخ محمد الاطفيحى، والشيخ مصطفى الحنفى، وسيدى أحمد بن الفقى. ثم ورد مسلم على باشا الازمرلى، بقيامة مقام لاسماعيل بيك الدفتردار. ثم

(١) ٢٢ يناير ١٧٠٦م.

أميد(*) وحاصرها. ووفى النيل المبارك فى الثانى من النسى (*) بعد توقفه اياماً كثيرة لان المفرد(*) كان وصوله فى السادس عشر من مسرى [٩أغسطس]، وتاخر الوفا بعده الى هذا التاريخ. وكانت الفلوس قد كثرت جدا ورخصت حتى بلغ الدينار الى تسعين درهما فلوس والدرهم النقره الى سبعة دراهم وتأذى الناس من ذلك.

(*) أميد: آمد.
(*)الثانى من النسئ =٢٥ أغسطس.
(*) المفرد: الرسول.

ثم دخلت سنة تسع واربعين وتسع مايه وبلغ

أنهم أنزلوه الى منزل أحمد كتخدا، المطل على بركة الفيل، قريبا من شكر بره. فكانت مدة ولايته سنتين، غفر الله له. وأن من جملة ما حصل أن رجلا من أهل الجامع الأزهر، كتب عرضا وقدمه له، يشكو له حاله وفقره، وأنه يطلب احسانا ليتزوج به، فكتب له على العرض «وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله».

٨٠. ذكر تولية على باشا الأزمرلى عفى الله عنه

قدم الى مصر من طريق البحر، يوم الاثنين ثانى عشرين شعبان سنة ١١١٨ (١) وجاء صحبته ألف نفر من أتباعه، وأتباع أتباعه وكان رجلا وجيها حاكما، فلما جلس للحكم، وحكم بين الناس، عزل وولى ومن جملة من عزله، حسن جاويش جلب، والبسه كرك سمور(٢)،وأن من العادة، اذا عزل باش جاويش، يلبسه قفطان، وانه ألبسه الاكراك، فصارت عادة أحدثها الوزير. ثم أن فى ثانى عشر رمضان (٣) وقعت فتنه بين العزب والمتفرقة. وسببها

(١) مدة ولايته: ٢٢ شعبان ١١١٨ / ٢٢ جماد آخر ١١١٩هـ - ٢٩ نوفمبر ١٧٠٦ / ٢٠ سبتمبر ١٧٠٧م.
(٢) بالأصل «حمود» كتب عنوان جانبى «أعرف أن الوزير أحدث للبيات [البيات جمع بيك] لبس السمور فى ولايتهم، ولم يكن قبل ذلك».
(٣) ١٨ ديسمبر ١٧٠٦م.

النيل الى ان وفى ثمانية عشر ذراعاً وامتدت زيادته الى السابع من بابه [١٤اكتوبر] وزاد فى هذا الشهر زيادة ما عهد مثلها وذلك انه زاد فى ثانيه وثالثه وخامسه اصبعين فى كل يوم وهو ذراع الثمانية عشر وفى سادسه وسابعه وهو اخر زيادته كل يوم ثلثة اصابع ورخصت الاسعار وبيع القمح بعشرين درهما الاردب بالفلوس والشعير بعشرة دراهم الاردب ورخصت الاشيا كلها. الا ان الفلوس

أن رجلا من العزب يسمى محمد افندى، كان كاتب صغير فى باب العزب، ثم عزل، وتولى خليفة المقابلة [١] بالديوان العالى، فحصلت له تهمة، فعزل عنها من المقابلة، ثم عمل سرداراً بثغر أسكندرية، على طايفة العزب، وعمل كتخدا القبطان، وركب فى المراكب، فأشيع انه غرق فى البحر، فحلوا اسمه، وجميع تعلقاته التى فى باب العزب، ثم ظهر خلاف ذلك. وحضر الرجل الى الديوان، وصحح تعلقاته جميعا التى بباب العزب، وعجز عن بعض تعلقات خارجة عن تعلقاته التى بباب العزب، وظهر له من العزب عدم اهتمام له،و مساعدة فى استخلاصها. فلما رأى ذلك منهم توجه الى بلك المتفرقة، والتجأ لهم، وسألهم أن يخرجوه من العزب، ويأخذوه عندهم.و جعل يركب معهم فى كل ديوان، ويمر من باب العزب فبينما هو ذات يوم طالع الى الديوان، واذا بجماعة من العزب قبضوا عليه وحبسوه فى القلعة عندهم. وبلغ الخبر الى المتفرقة وهم فى الديوان. وكان محمد جاويش أمين بيت المال العزب، وكان اذ ذاك وكيلا عن با ش جاويش العزب. لتمرضه، فعاتبته جماعة المتفرقة على ما فعلوا جماعته، فأغلظ عليهم فى الجواب، فمسكوه من أطواقه، وارادوا ضربه، فدخل بينهم المصلحون، وخلصوه من يبن أيديهم، فنزل الى باب العزب. فلما مر أبطال [٢]، وصارى على، واسماعيل بيك، وجاوزوا باب العزب، قامت عليهم طايفة العزب قومة واحدة، وأنزلوا

(١) خليفة المقابلة: الموظف المسئول عن «قيد دفاتر جمكية العساكر، وساليانات الامراء والمشايخ والايتام .. وهو الذى يعطى التمكينات إلى أصحاب المرتبات»، محمد شفيق غربال ، المصدر السابق، ص ٣١.
(٢) يذكره الجبرتى تحت اسم «محمد الابدال».

رخصت بالاكثر وبلغت الىماية وعشرين درهما بدرينار والدرهم النقره بتسعة دراهم فلوساً وضاق الامـــــر علـى النـاس لان ديوان الـسـلـطـان لا يستخرجون من الناس فى ساير معاملاتهم الا ذهباً او دراهم ســـواداً(*) ولـم يبـق بايدى النـاس الا الفلوس وكـانوا فى شـدة عظيـمـة من هذا المعنى [السبب]. ووردت الاخبار بان السلطان عز نصره فتح امد وجميع حصونها وهى اثنين وسبعين حصنا ولم يبق منها سوى حصن واحد يسمى حصن كيفا (*) ومات فى اوايل هذه السنة شمس

(*) الدرهم الاسـود يسـاوى ثلاثة دراهم ناصريه

(*) حصن كيفا: بديار بكر.

أبطال، وصارى على، من على الخيل، وضربوهم الضرب الشديد، وأخذوا جميع ما كان عليهم من القماش، وتمزق صوف اسماعيل بيك، ولم يراعوه، ففر هاربا بالجواد. فلما بلغ المتفرقة والصناجق ، ما فعله العزب ، اجتمعوا فى باب الينجشرية، وأقاموا ثلاثة أيام، الى ان وقع التوافق على نفى أربعة أنفار، الذين كانوا سبب ذلك: أحمد كتخدا العزب، ومحمد (أمـــين)[1] بيت المال، وشريف محمد باشا الأوضباشية ومحمد أفندى قاضى أو غلى. وأنزلوهم فى مركب، ونفوهم الى جرجة، مع جماعة محافظين عليهم. ومكث اسماعيل بيك، لم يطلع من باب العزب مدة، فصالحوه بشئ من حطام الدنيا، وأخذوا خاطره، وعاد يطلع ،كما كان حكم العادة. وفى ثانى عشر الحجة ختام سنة ١١١٨ [٢]. عزل على اغا، وتولى رضوان، وركب فى القاهرة بالشعار المذكور، الذى كان يركب فيه على آغا، وحكم حكما زايدا، حتى أنه أمر أن تدمغ الارطال فى دار الضرب بالدمغة السلطانية، وجعل دمغة كل رطل أو نصف رطل، نصفين فضة، فجمع من هذا الأمر مالا له صورة. وفى سنة ١١١٩[٣]. توفى اسماعيل بيك الدفتردار، وتولى الدفتردارية أيوب بيك.

وفى ثامن عشر صفر[٤] ورد أمر شريف بحبس محمد باشا رامى،وبيع جميع ما تملكه يده، فحبس فى كشك يوسف، ووقع البيع فى جميع امتعته وخيله.فى ثالث عشر صفر[٥] دخل

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) ١٧ مارس ١٧٠٧م.
(٣) ١٧٠٧م.
(٤) ٢١ مايو ١٧٠٧.
(٥) ١٠ سبتمبر ١٧٠٧م.

المملوك بن اخت السلطان والامير فخر الدين عثمان استاذ الدار وجماعة من الامراء الكبار. وكان الغلا عندهم الى حد لا يوصف الخبز بثلاثة دراهم نقرة الرطل، والعلاق الشعير بدرهمين نقره، والتبن باربعين درهما نقره الحمل(*) ولا يقدر عليه[أحد]. ووصل اكثر العسكر رجاله [على اقدامهم] عرايا الى القاهرة المحروسة. ثم ورد الامر السلطانى بتاريخ يوم الاحد اخر كيهك(*) الموافق للثانى عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلثين وستمايه(*) [هلاليه]

(*) [الحمل]: ربطة.

(*) يقع كيهك ما بين ٢٧ نوفمبر و٢٦ ديسمبر.

(*) ٦٣٠هـ ١٢٣٣م.

الحاج الشريف. في ثاني عشر جماد آخر (١) جاء خط شريف بتولية ابراهيم بيك أبو شنب الدفتردارية، وعزلان أيوب بيك، وفيها عزل رضوان أغا، من أغوية الانكشارية، وتولى الاغوية أحمد أغا بن باكير أفندى ، ولكن اين الأخاء والنسب، شتان بين رضوان وغيره، وبين على أغا ولكن الفضل للمتقدم. ثم ورد خط بتبطيل نوبة محمد باشا الرامي، ونفيه الى جزيرة رودس، فنزل من يومه الى بولاق، وسافر من بولاق في خامس عشر جماد آخرسنة ١١١٩(٢).

وفي ثاني عشرين جماد آخر (٣) ورد على أغا بخط شريف بعزلان على باشا، وحبسه في قصر يوسف، واستخلاص ما هو عليه من الديون التي لتجار القسطنطينية، ويكون ابراهيم بيك أبو شنب قايم مقام، الى حين أن يحضر لهم باشا. ثم أنهم شالوه من وقته، وهو في مرتبة حكمه، الى كشك(*) يوسف،وجلس ابراهيم بيك وقته في محله، وكان ذلك في كشك اسماعيل باشا، وكمل ديوان ذلك ابراهيم بيك، فسبحان المعزل المذل.

وفي ثالث رجب(٤)وقعت فتنة في باب الانكشارية، وعزلوا افرنج أحمد،من باش الاوضباشية، وجلبي حسين(٥)، من الميتينه، ونفوهم الى الطينه [بدمياط] في خامس رجب سنة ١١١٩(٦). وفي غرة شعبان سافر يحيي الشريف الى مكة المشرفة من البر، وكنا صحبته

(١) ١٦ مايو ١٧٠٧م.

(٢) ١٣ سبتمبر ١٧٠٧م.

(٣) ٢٠ سبتمبر ١٧٠٧م.

(٤) ٣٠ سبتمبر ١٧٠٧م.

(*) بالأصل «كشف» وصحتها «كشك».

(٥) يذكر الجبرتي ذلك جـ١ ص١٤٩، من مرجع سابق.

(٦) ٢ سبتمبر ١٧٠٧م.

بتبطيل ضرب الفلوس والمعاملة بها. فنودى عليها في يوم الاثنين ثانى النهار المذكور وبيعت من نهارها بالرطل في سوق النحاسين بدرهمين ونصف الرطل ودرهمين وربع وصار المال الى ربعه وتلف على الناس جملة كبيرة ثم بيعت بعد ذلك بدرهم واحد وربع الرطل وتلف على الناس شى كثير وجملة كبيرة الا انهم تباشروا ببطلانها للنظر في العاقبة فيما تقدم. ثم وردت الاخبار بفتح

بحرا، ويوم دخلنا جدة، كان دخوله مكة، وعمل فيها مثل ماعمل على أغا في مصر، من قطع مساطب(*) المسعى، والخرجات الزايدة على قانونه، وركب الشريف عبدالكريم وخلفه القاضي وايواظا بيك، وأخوهم يحيى، وأنهم هدموا جميع الشقايق والمساطب التى بالمسعى والسوق الشامي، ومن جملة ما هدموا الكشك الذى على واجهة بيت البرطلى، قبالة باب القبطي. وهذا كله بواسطة الشريف يحيى. ثم جاءت الاخبار الى مصر بتولية حسن باشا، الذى كان متوليا مصر سنة ١٠٩٩، وكانت مدته سنة واحدة.

٨١. ذكر تولية حسن باشا السلحدار

محافظ مصر سابقا

عفى الله عنه

قدم الى مصر من طريق البحر يوم الاثنين خامس عشرين شعبان سنة ١١١٩ (٢) وصحبته افرنج أحمد، وبشلى حسين، سنجقين، ودخلوا مصرليلا. ثم أن أفرنج احمد توجه الى جاره مصطفى اغا، أغة الجراكسة تابع بلفية، وبشلى حسين التجى الى التفكجية. ثم أن الينجشرية دريت بمجئ أفرنج والبشلي، فطلعوا الى بابهم واجتمعوا جميعا، وطلبوا من الباشا نفى الاثنين، الى الطينة. فلبثت طايفة الجراكسة والتفكجية والجملية، وقالوا: لا سبيل في تسليمهم بوجه

(*) بالآصل «مسابط».

(٢) مدة ولايته ك ٢٥ شعبان ١١١٩ / ٩ رمضان ١١٢١ هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٧٠٧ / ١٢ نوفمبر ١٧٠٩م.

حصن كيفا وتسليم السلطان له ثم انه استناب
عنه فى بلاد الشرق [الشام] وامد واعمالها وحران
وما والاها وسروج وما معها ابنه الملك الصالح
ايوب الذى كان ولى عهده بمصر ووصل الى
القاهرة المحروسة فى جمادى الاخرة سنة ثلثين
وستمايه ووصل بعده فى خدمته الملك المسعود
الذى كان صاحب امد ومعه خواصه واهله وماله
وحرمه واحسن اليه سلطاننا احسانا لم يسبق اليه

من الوجوه. وطلبوا عرض الاثنين، فأبت الينجشرية. ثم أن الثلاث أوجاق جمعت على عدم تسليمهم، وساعدتهم بقية البلوكات.ثم أن جميع العسكر مكثت ثلاثة أيام فى أبوابهم، فلما رأت العلماء، والاشراف، وأرباب السجاجيد، هذا الأمر ، خافوا من تعاطيه وتحكيم الفتنة. فتوجهوا الى الصناجق، وأعيان البلد، وتكلموا فى هذا الأمر، فاجتمع رايهم أن يجعلوه [أفرنج أحمد] صاحب طبلخانة[1]: ولما تم الأمر والتوافق فى بيت أيوب بيك، أعرضوا الامر على الوزير صحبة كتخدا الجاويشية، سليمان أغا، فأمر الوزير له بقفطان الصنجقية وفرمانها صحبة كتخداه، وتوجه كتخدا الوزير الى منزل مصطفى اغا بلفية والصناجق والاغوات معا، الى أن دخلوا عليهم، فلما رءاهم افرنج أحمد وراوه أخبروه بالواقع فأجاب، فقروا عليه فرمان الصنجقية والبسوه القفطان، وتوجه الى منزله، وجميع الصناجق والأغوات قدامه. الى أن دخل منزله، الذى هو قصاد منزل بلفية، وبقى اسمه افرنج أحمد بيك.

وفى خامس عشرين شعبان سنة ١١١٩[2] نزل له الطوخات والعلم على حكم ما جرت به العوايد الصنجقية. وفى غرة شوال[3] ورد كيخية حسن باشا وصحبته أمران: أحدهما أن يقطعوا ذهبا زنجرليا، وأن يقطعوا الزلاطة[4] والفضة و الأخشا، كل ثلاثة بنصف، وجابوا السكة معهم، فامتنع المصريون من ذلك، ووافقوا على قطع الجنزرلى فقط. وفى غاية

---

(١) أى تتقدم موكبه جوقه موسيقية. (٢) ٢١ نوفمبر ١٧٠٧م.
(٣) ٢٦ ديسمبر ١٧٠٧م.
(٤) بالاصل «الطلطاء» والزلاطة عملة تركية قيمتها ثلاثين بارة.

واعطاه من الاموال والكساوى والاوانى مالم يعط احد واقطعه بلاداً تغل اربعين الف دينار فى السنه لخاصه خارجاً عن الغله، واضاف اليه خبز مائتى فارس وانزله فى قطر [قصر] من دار الوزارة وهو المعروف بباب السر، وشكره كل ملك فى الارض على ذلك وعرف حسن عهده وصحة وفايه.

وتحرك جماعة اصحابنا واجتمعوا مع رهبان دير بو مقار لانه كان الصيام واتفقوا على اختيار الشيخ

شـــوال[1]. ورد آغا من الديار الرومية، وصحبته خط شريف ببيع جميع امتاع على باشا، المسجون فى كشك يوسف، فباعوها فى الديوان. وفى ذى الحجة ورد آغا من الديار الرومية بطلب خزندار ابراهيم بيك أبو الشنب، والسبب فى ذلك أن حضرة مولانا السلطان أحمد بن محمد خان انهى له أن بمصر مملوكا يسمى خليل، من جملة مماليك أبو شنب، أتاه رجل بقوس، فأخذه وصار يجربه الى أن لان، وصار فى يده كالماء الجارى، وأن هذا القوس مع الرجل الدلال أكثر من أربعة شهور، ولم يقدر أحد يجربه، الى أن دخل الى بيت أبو شنب، وأخذ خليل القوس وجربه كما تقدم. وكان عنده رجل من اتباع الدولة العلية، فأخذ القوس وأراد أن يجربه فلم يقدر على ضربه، ولا قدر قمحة. فتعجب من قوة خليل، ثم أن خليل أبى أن يأخذ القوس ، ثم أن الرجل اشتراه. ولما توجه الى الروم، استصحبه ليمتحن به صاحب ذلك الفتى. فأخذه أهل دار السلطنة، فلم يقدر أحد على جذبه ، فاتصل خبره الى السلطان، فلما مسكه تعجب منه و من صعوبته. فقال له الرجل، ان بمصر مملوكا لابراهيم بيك أبو شنب جذب هذا القوس، وصار يرمى به، وغير ذلك ان عنده مكحلة ثلاثين درهما، يرمى بها الهدف وهو رامح على ظهر الجواد. فأرسل السلطان طلبه، فهذا كان السبب، فكساه كسوة تليق بخدمة السلطنة، وجهزه فى غاية ذى الحجة ختام سنة ١١١٩[2]. وان خليل هذا مكث عند السلطنة الى ان جاء بعد موت سيده أبو شنب، وكتبوه فى سفرة، ومات بالعجم سنة ١١٣٨[3].

---

(١) ٢٣ يناير ١٧٠٨م. (٢) ٢ مارس ١٧٠٨. (٣) ١٧٢٥م.

يوحنا بن الموتمن بن ابو البدر شماس من كنيسة المعلقة ذو دين ونسك واعمال جميله وكتبوا له محاضر وكتبوا كلهم خطوطهم فيها وقدموها لمولانا السلطان عز نصره ورسم على لسان الامير الصلاح بأنه اذا اتفقوا عليه تقدم لهم، ثم تجادلوا فيما بينهم ولم يعملوا شياً وانحلت القضية وخرج الرهبان الى ديرهم(*) وبقى الحال بحاله الا ان هذه الايام كانت اياما مباركة، الكنايس تعمر

(*) دير ابو مقار

وفى خامس عشرين صفر سنة ١١٣٠(١) ورد الى بنط بولاق قبطان مراكب السلطنة الشريفة جانم خوجه، وطلع الى الديوان راكبا، وخلفه بقية الريسا والاتباع الذين جاءوا صحبته(٢) من سكندرية غلمانا ورجالة كل الجميع مشاة. فلما اجتمع مع حسن باشا، أبرز أمرا شريفا بتجهيز على باشا الى الديار الرومية. ففى ثامن عشرينه(٣) جهز على باشا الى بولاق، وطلع بالاى، ولم يتفق لغيره، وجانم خوجا، والصناجق، والاغوات، وجماعة الباشا ونزل فى تكية بولاق. وفى مستهل ربيع أول(٤). سافر الى الروم.

وفى مستهل جماد (أول)(٥). وردت الجماعة الذين كانوا توجهوا الى مراجعة أبطال العثامنة والزلاطة، وان السلطان قد عفاهم من ذلك. وفى عاشر رجب سنة ١١٣٠(٦)، توفى أحمد كتخدا القيمجى، ويوسف بيك المسلمانى بدمياط.

وفى عشرين رجب سنة ١١٢٠(٧)، اجتمع العسكر بالديوان، واخبروا الوزير بأن محمد بيك حاكم جرجة انزل عرب المغاربة بالوادى، وأن هذا أمر يؤدى الى الفساد. فعزلوه والبسوا

(١) ١٦ مايو ١٧٠٨ كتب عنوان جانبى «اعرف قدوم جانم خوجه قبطان السلطنة الشريفة الى مصر».
(٢) كرر اللفظ بالاصل.
(٣) ١٩ مايو ١٧٠٨م.
(٤) ٢١ مايو ١٧٠٨م.
(٥) الاضافة لتوضيح المعنى، ١٩ يولية ١٧٠٨م.
(٦) ٢٥ سبتمبر ١٧٠٨م.
(٧) ٥ أكتوبر ١٧٠٨م.

بالنهار باذن مولانا السلطان وفتاوى الفقها
والنصارى مكرمون معزوزون ركاب [يركبون]
الخيل والبغال ولا يطالبهم احد بغيار والسلطان
مراع للرهبان منهم محسن اليهم، ووارثهم
بعضهم للبعض لا يدخل بينهم يد حشريه،
وكذلك النصارى واليهود تقبل اقوال مقدميهم فى
انسابهم ومن ذكروا انه اهل لم يتعرض اليه. ثم
جاء النيل المبارك وبدر شيا لم يعرف مثله وذلك

ولاية جرجة[1] الى محمد قايم مقام، تابع قيطار بيك كان بالديوان فألبسوه السنجقية، وولاية جرجة في آن واحد. ونزل الى الصعيد وهو الذى اسمه الآن قطامش. وفي شعبان[2]. ورد ركاب لحسن باشا والى جده الى مصر وصحبته خط شريف بعزلان أيواظ بيك من ولاية جدة، وتولية محسن باشا، فأدخله حسن باشا بموكب عظيم، وأنزله فى الغيط الذى بقرا ميدان، وسافر صحبة الحاج الشريف. ومن حوادث سنة ١١٢٠. أن مملوكا من مماليك رجل من اختيارية الجاوشية يقال له محمد جاويش الحلبى، جاء الى رجل قصاب يشترى منه لحما؛ وكان على دكان القصاب رجل حمار أو ضباشة البوابه، وكان يشترى لحما، وكان أو ضباشة البوابة اذ ذاك، عثمان أو ضباشا تابع شاهين جربجي الجلالى، الذى بباب الوزير، فتشاجر المملوك مع الحمار، فاراح الخبر الى سيده بالبوابة، فأرسل له أربعة توبجية فقبضوا عليه، وجاءوا به الى البوابة، فأمر الاوضباشة بحبس المملوك، فحبس فى سجن الوالى. فلما بلغ محمد اغا الحلبى سجن مملوكه، حضر هو واتباعه وولده على جلبى، لخلاص مملوكه من حبس أوضباشا. فأبا أوضباشا أن يسيبه. فتفاوض الاوضباشا فى الكلام مع على جلبى، وحصل السب والغم الأكبر من على جلبى. فأمر الاضباشا بالقبض على[3] على جلبى ابن محمد أغا، وأودعه السجن عند مملوكه، وتوجه محمد أغا الى كتخدا الجاويشة، وتوجه عثمان أوضباشا الى باش الاضباشية وهو إذ ذاك سليمان أوضباشا. وطلع الى[4] كتخدا الوقت،

(١) بالاصل «جرجره». (٢) أكتوبر ١٧٠٨. (٣) بالاصل «على قبض».
(٤) الاضافة لتوضيح المعنى، الجبرتي، المصدر السابق، جـ١، ص١٥١.

انه التقى البحران(*) تحت جزيرة مصر فى الرابع والعشرين من ابيب(*) ووصل الماء الى سد الخليج فى التاسع والعشرين منه ووصل المفرد فى السادس من مسرى(*) وتوقفت الزيادة ووفى، وخلق المقياس في يوم الجمعة التاسع عشر من مسرى(*) الموافق للثالث من ذى القعده سنة ثلثين وستمايه وكسر الخليج في ثانى اليوم المذكور وكان نيلا ما روى اعجب منه. ومن عجايبه انه زاد فى السادس

(*) البحران: هما النيل والخليج.

(*) ٢٤ ابيب = ١٨ يوليو.

(*) ٦ مسرى = ٣٠ يوليو.

(*) ١٩ مسرى = ١٢ أغسطس = ذو القعدة ٦٣٠هـ.

برمقسيس أحمد كتخدا. وعرض عليه القضية، ورجع الى البوابة، واخرج على جلبى ومملوكة من حبس الشرطة. وفى ثامن يوم اجتمعت الجاويشية، والمتفرقة، والجملية، والجراكسة، والتفجكية، والصناجق، والأغوات، بالديوان وطلبوا نفى عثمان أوضباشا، فامتنعت الينجشرية. ثم انهم طلعوا ثانى ديوان، وطلبوا عثمان أوضباشا للدعوة عليه، فحضر، وأقيمت الدعوة عليه، بحضور حسن باشا، والقاضى، فأمر القاضى بحبسه، كما حبس على جلبى، فلم ترض الأخصام بذلك. وقالوا: لابد من نفيه، فلم توافقهم الينجشرية. فطلبت العسكر من الباشا ان يكتب لهم فرمانا[1]. بنفيه فامتنع الباشا، ونزلت العسكر مغضبة، واجتمعوا بمنزل كتخدا الجاوشية، صالح آغا، أخو أحمد كتخدا أمين البحرين، وأنزلوا مطبخهم من النوبة، الى منزل كتخدا الجاوشية، ومكثوا ثلاثة أيام بلياليها، وامتنعوا من طلوع الديوان. وفى يوم الاربع اجتمعت البلوكات، وتحالفوا على انهم على قلب رجل واحد. واتفقوا على نفى اوضباشا، كرما أو كظما، وأرسلوا اعلموا الصناجق أنهم يكونوا معهم على الينجشرية، وأرسلت الاسباهية الى جميع الأقاليم، أحضروا عسكرهم. فحضرت أنفارهم جميعا. وعزلت الينجشريه عثمان اوضباشا، وانزلوا الى البوابة غيره. وفى يوم الجمعة ثامن عشر الحجة ختام سنة ١١٢٠[2]. أخبرت الينجشرية بان الست بلكات يريدون قتالهم، فارسلت الينجشرية

(١) بالاصل «فرمان».

(٢) ٢٨ فبراير ١٧٠٩م.

والعشرين(*) من مسرى فى ذراع السبعة عشر عشرة اصابع فصار تسعة عشر من سبعة عشر وفى ثانيه سبع اصابع فكمل سبعة عشر ذراعاً ودخلت سنة خمسين وتسعماية للشهداء الابرار ثم زاد فى ذراع الثمانية عشر فى الثانى عشر من توت(*) اربعة اصابع فصار تسعة من ثمانية عشر ذراعاً وزاد فى سادس عشر(*) توت اربعة اصابع صار على سبعة عشر من ثمانية عشر ذراعاً وزاد فى سابع

(*) ٢٦ مسرى = ١٩ أغسطس ٩٥٠ش = ١٢٣٤م.

(*) ١٢ توت = ٩ سبتمبر.

(*) ١٦ توت = ١٣ سبتمبر.

الجبجية الى أنفارهم. فحضروا جميعا الى بابهم بالسلاح. فانزعجت أهل الأسواق، وقفلت دكاكينهم، واستمرت أهل الأسواق فى قيل وقال وجمعيات، وتجتمع الست وجاقات، وتشاوروا فى أبوابهم، وفى بيت محمد أغا الشاطر، وفى منزل أبو شنب دفتر دار مصر حالا، وأما الينجشرية فانهم كانوا مجتمعين[1] بالباشا فقط. وفى رابع عشرين الحجة[2]. ورد ركاب محمد بيك حاكم جرجة فى جند كثير، وعسكر كبير، وطلع الى الديوان على حكم العادة التى تطلع بها حكام الصعيد، حين عزلهم من الولاية، ونزل بمسكنه الذى بالمظفر، قبال الميلاوية[3]. ثم ان الوجاقات الست اجتمع أمرهم على تبطيل الحمايات والمظالم المستجدة بالقاهرة ونواحيها وكتبوا فى شأن ذلك محضرا كبيرا. واتفقوا أيضا أن كل من كان له وظيفة بدار الضرب، أو بالعنبر، أو التعريف (بالبحرين)[4]، أو المذبح السلطانى، لم ينسب الى العسكرية مطلقا، ولم ينسب لبلك من البلوكات، وأن لا يحتمى أحد من أهل الأسواق لوجاق

(١) بالاصل «مجتمعون». (٢) ٧ مارس ١٧٠٩م.

(٣) تكية الميلاوية: بشارع السيوفية، وهى من وقف يوسف سنان، كانت أول امرها الرباط الذى أنشآه الامير شمس الدين سنقر السعدى ١٣١٥/٧١٥م بمدرسته المعروفة بالسعدية، فيها ضريح يقال أنه قبر احد مشايخ التكية. على مبارك، الخطط، جـ٢، ص٤٥.

(٤) بالاصل «التعريق»، واضافة كلمة البحرين، لتوضيح المعنى، والتصويب والاضافة من الجبرتى، المصدر السابق، جـ١، ص١٥٣ والمقصود ارشاد السفن فى البحر على يد البحارة، أو ربان السفن، والمقصود بالبحرين، النيل والخليج.

عشر توت وهو يوم عيد الصليب(*) سبعة اصابع فكمل ثمانية عشر ذراعاً وزاد فى ثامن عشره ستة اصابع فى ذراع التسعة عشر وكانت نهاية زيادته عشراصابع من تسعة عشر ذراعاً وثبت على الارض فى اخر بابه(*) حتى ظن انه ما ينزل ثم نزل فى واحدة وزرع الناس وتباشروا بعد ان غرق بلاداً كثيرة واخرب عمارة عظيمة. وكان نيلا عظيما ورخصت الاسعار وبيع القمح العالى بتسعة

(*) عيد الصليب ١٧ توت = ١٤ سبتمبر.

(*) يقع شهر بابه ما بين ٢٨ سبتمبر و ٢٧ اكتوبر.

من الوجاقات، وأنه ينظر المحتسب فى أمورهم، وأحوالهم وتفويض أمر أهل الأسواق له من أمر موزون، ومدروع [القياس بالدراع] ومكيول، له، لاحد غيره، وتحرير موازنهم، وان يكون نايب القاضى صحبته. وأن لا يتعرض أحدا الى المراكب التى تحمل غلال الحرمين، والعنبر الشريف، وأن المراكب فى البحر الحلو [النيل]، مما جميعها تحمل الغلال السلطانى، ولا أحد يحمى مركبا منهم الى باب من الأبواب، وان كل شىء دخل من الأرياف بسبب الآكل، لا يؤخذ عليه قمرك(١)، ولا يباع شىء من جنس الحبوب، والقهوة، الى جماعة الافرنج، وان لا يباع البن أكثر من سبعة عشر الرطل.

وأرسلوا المحضر الى الوزير، يأخذوا على موجبه فرمان. وينادى به فى شوارع القاهرة. فتوقف الباشا فى اعطاء فرمان. ولما بلغ الينجشرية ما فعلوه الستة وجاقات، اجتمعوا ببابهم، وكتبوا قايمة، نظير القايمة، التى معهم بمظالم الخردة(٢) ومظالم الاقاليم التى للاسباهية فى الارياف وغيرها. وأرسلوا القايمة الى الباشا. فاعرض عليهم القايمة من المظالم.

وفى يوم الاحد ٢٧ الحجة(٣) اجتمعت الاوجاقات الستة، بباب العزب، والصناجق

(١) «جمرك»، وكانت تكتب «كمرك».
(٢) رسوم كانت تفرض على الملاهى والنساء «العوالم» والحواة، ومن على شاكلتهم. محمد شفيق غربال، المصدر السابق ص٢١، ٥٦.
(٣) ٩ مارس ١٧٠٩م.

دراهم الاردب والشعير بخمسة ودونها بدون ذلك، وساير الحبوب من النسبة ولم يكن ثم شي غالياً الا اللحم والدجاج وكان ذلك لانقطاع الطرق لان النيل غشى الارض كلها. وفى هذه السنة تجهز السلطان الملك الكامل عز نصره للخروج الى الشرق وانفق فى العساكر اموالا عظيمة حتى كانت الدراهم تشق القاهرة على اقفاص الحمالين الى ادر [دور] الامراء لكل امير على قدر عدته لانه اذا كان الامير معهماية فارس اعطى المايه الفى

والاغوات، وقاضى العسكر، وحسن افندى، نقيب الاشراف، والعلما، والبكرية، والسادات، وطلعوا الى الديوان، وأرسلوا يعرفوا الباشا أن يكتب لهم فرمانا باجراء ما فى القايمة، والمنادات فى الديوان، وفى شوارع القاهرة، وأن يفعل ذلك وألا أنزلوه، ويعرضوا ذلك الى الاعتاب العلية. فلما تحقق الباشا ذلك منهم أعطاهم فرمانا[١] بجميع ما طلبوا، واعطاهم القاضى حجة على موجب الفرمان، ونادوا به فى شوارع القاهرة، صحبة المحتسب، والوالى والاوضباشا وأغا من طرف الباشا، ونايب القاضى، فى يوم الأحد ٢٧ الحجة سنة ١١٢٠[٢].

وفى ٢٨ الحجة أيضا سنة ١١٢٠ [٣]. توفى شيخ الاسلام والمسلمين، الشيخ النشرتى المالكى، شيخ الجامع الازهر، بعد الشيخ محمد الخرشى، وهرعت اليه الصناجق، والاغوات، والعالم جميعا، وكان يوما مشهودا. وفى غاية الحجة[٤]. كسفت الشمس سبعة عشرة درجة. من الساعة الثانية، ثم انجلت. ولم تزل أهل البلوكات فى تشاور. وجمعيات. الى أن دخلت سنة ١١٢١ فاجتمعت الينجشرية عند أغاتهم. يوم السبت رابع محرم سنة ١١٢١ وحلفوا على المصحف[٥] الشريف، انهم على قلب رجل واحد.

واجتمعت جميع انفارهم. فى غيط حسين كتخدا، الذى يرمى عنده الاخشاب، التى تحمل

(١) بالاصل «فرمان». (٢) ٩ مارس ١٧٠٩م.
(٣) ١٠ مارس ١٧٠٩م. كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة شيخ الأزهر الشيخ محمد النشرتى المالكى».
(٤) ١٢ مارس ١٧٠٩م. (٥) بالاصل «المكرم».

(*) أهم أحداث سنة ٩٥٠ ق. = ١٢٣٤م. = ٦٣١هـ.
* ١يناير سنة ١٢٣٤ = ٦ طوبه سنة ٩٥٠ = الأحد ٢٨ ربيع أول سنة ٦٣١.
* فيها تعرض كيقباذ، صاحب الروم، إلى بلاد خلاط، فقصده الملك الكامل بعساكره من مصر ونزل على حدود بلاد الروم ومعه إخوته الأربعة وملوك أخرى، ولما لم يتمكن الكامل من دخول بلاد الروم أرسل المظفر مع مقدمته إلى خرت برت فحاصرهم كيقباذ،

دينار لكل فارس عشرين دينار والامير الف دينار ولجميعهم من هذه النسبة وفيهم من خصصه بزيادة عن ذلك مثل حلقته الخاص وغيرهم فاما انقص فلا. ولم يبق من لا اخذ هذه النفقه الا المجردون بالحجاز وولاة الاعمال والمتاخرون من السفر لا غير. وخرج [السلطان الكامل] من القاهرة في الحادى عشر من بشنس [١٦ مايو] من هذه السنة وقد كان تقدمه اخوه الملك الاشرف

للسويس. وكان زمن المشمش، وكان صاحب العزومة كور عبدالله اوضباشا، وكنا بصحبتهم، وكانت عسكر وفقرى شيء لا يعد. ولا يحصي. وذبح في ذلك اليوم ما يتى خروف، والبن قنطار، وكانوا الجاويشيه من قبل بيومين تحالفوا أنهم على قلب رجل واحد، ومدوا تلك الأسمطة الفاخرة، لحوم وحلويات، ولم يكن فيه من جنس الخضار، و لا الفتة المحشية، ولا من الشوارب شيء، الابقلاوات، وبوركات، وقمعات، وكباب، كل قطعة ثلاثة أرطال مستوية. ثم أن الصناجق مشت بين الوجاقات السبعة[1] في بيت ابراهيم بيك أبو شنب، وان يكونوا[2] على ما كانوا عليه من المصافات والمحبة، وأن يقروا على جميع ما في القايمة وما نادوا به، ولا يعارضوا في شيء منها. ولم يستمر ذلك الصلح الا سبعة أيام.

وفي يوم حادى عشر المحرم وقعت فتنة بالجامع الأزهر وسبب ذلك أن الشيخ محمد النشرتي لما توفي، انجلت[3] عنه وظيفة التدريس، والمشيخة بالابتغاوية[4] فافترقت

(١) بالاصل «اوجاقات» حذفت ليقيم المعنى.
(٢) بالاصل «يكون» والتصويب في الجبرتي، جـ١ ، ص١٥٤.
(٣) بالاصل «انحل».
(٤) المدرسة الابتغاوية: هى المدرسة الأقبغاوية وهى تجاه المدرسة الطيبرسية، بشارع الجامع الازهر، أنشأها الأمير آقبغا عبدالواحد المالكى الناصرى، بقيت عامرة حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، على مبارك، الخطط، جـ٢، ص٩١. كتب عنوان جانبى «اعرف فتنة الواقعة بالجامع الازهر».

مـوسى، بأيام. ثم رسم بان يكون نائبـا عنه ولده الاصغر الملك العادل فولاه ذلك وركب بالسيوف والسنجق بعد سفره فى يوم الاثنين العشرين من بشنس [٢٥مايو] المقدم ذكره. وقد كانوا الجماعة يحدثوا فى امر البطرك على لسان امير يقال له الصلاح الاربلى وطلب منهم خمسة الف دينار ووعدهم ان يحظهم منها شيا فلم ينهض قواهم بذلك ولا تحرر امر بل قالوا انه وصى ولده الملك العادل بانهم اذا اوردوا المبلغ تقدم لهم من

ولم يتيسر للكامل إعانة المظفر لخامرة من كان معه من الملوك، فانجبر المظفر على تسليم نفسه وخرت برت فاستلمها كيقباذ وأطلق المظفر بعد يومين، وسار من عنده إلى الكامل فى ٢٥ القعدة.

* [١ توت ٩٥١ = ٢٩ اغسطس ١٢٣٤ = الثلاث ٢ ذو الحجة سنة ٦٣١].

المجاورون(١) فرقتين: فرقة تطلب الشيخ أحمد النفراوى، وفرقة تطلب الشيخ عبدالباقى القلينى، وكان الشيخ أحمد النفراوى بموت النشرتى، أخذ حجة من القاضى، وعليها بيوردى شريف من الوزير، بالتدريس والمشيخة. والشيخ عبدالباقى لم يكن حاضرا بالقاهرة. فأرسلت له جماعة النشرتى يستعجلونه فى المجىء. فقبل حضوره، جلس الشيخ أحمد النفراوى للتدريس فمنعه القاطنون بها، ولما حضر الشيخ عبدالباقى، لفت عليه جماعة النشرتى، وتعصبوا له، فلما كان تلك الليلة، التى هى ليلة حادى عشر محرم، جاءت جماعة الشيخ أحمد النفراوى، وكبست الجامع تلك الليلة، وأشهرت فيه السلاح، وضربت فيه البندق، وأخرجت جماعة القلينى، وكسروا باب الابتغاوية واجلسوا النفراوى موضع الشيخ محمد النشرتى. ثم ان فى يومها بعد العصر، اجتمعت جماعة القلينى، كبسوا الجامع، وقفلوا أبواب الجامع الازهر، وتحاربوا مع جماعة النفراوى، فظفروا بجماعة النفراوى، وقتلوا منهم عشرة أنفس، وتجرحت ناس كثير، ونهبت الخزاين التى كانت بالجامع، وكسرت جميع القناديل، وحضر الوالى لاخراج القتلى من الجامع، وتفرقت المجاورون، وخلا الجامع، ولم يبق فيه أحد. ولم يقع له خلا من الخلق مثل ذلك اليوم وتلك الليلة، ولم يصلى فيه ذلك اليوم.

وفى ثانى يوم طلع الشيخ أحمد النفراوى الى الديوان، ومعه حجة الكشف على المقتولين، فلم ينظر الباشا فيها، لعلمه أن السبب طرف النفراوى. فأمره الوزير أن يلزم بيته، وأن يسافر

(١) بالاصل «المجاورين».

يختارونه وبقى الناس بعضهم يرى ذلك وبعضهم يقول ما هو مصلحة لانه حادث على الكنيسة ولا يرجع يتغير ابدا. الا ان الثمار فى هذه السنة كانت قليلة جدا لاجل الغرق وثبات الماء على الارض المدة الطويلة ثم ان الماء زاد فى بوونه(*) زيادة ظاهرة مقدار ذراعين وكان فى القاع [قاع المقياس بالروضة] مقدار ستة اذرع وجا اوان اخذ استقرار القاع بالمقياس المبارك وهو الخامس والعشرين من بوونه [٢٩ يونيو] وهو فى اول التسعة اذرع ثم

(*) يقع بونه ما بين ٥ يونيو و ٤ يوليو.

الشيخ محمد شنن الى بلده الجدية[1] ونفا بعض جند، لكونه بعد النشرتى انضم وأياه، وصار يحضره، ووقعوا القبض على من كان طلع الى الديوان صحبته، وحبسهم الباشا فى العرقانة، وكانوا اثنى عشر رجلا، وأنزلوا الشيخ محمد شنن فى مركب وسافروا به من يومه، والنفراوى لزم بيته من يومه، بحيث انه لم يخرج الى صلاة الجمعة، ولا يجتمع عليه أحد، ولا أحد يجتمع عليه.

ومن جملة ما تتطاول على الشيخ أحمد النفراوى وعلى شنن فى الديوان، قدام الباشا، حسن أفندى، نقيب الاشراف، فان من جملة ما قال له يجوز ياشيخ الاسلام، أنك تطلع جماعة المفاسيد الذين هم تلامذتك على ماذنة الجامع، ويعصوا على المنابر، محل الاذان، يقول بالحرام، ويضرب بالرصاص فى الجامع. فقال له النفراوى: حسبك الله بما تقول. ولنرجع الى ما كنا بسببه من صلح السبعة الوجاقات، فان صلحهم لم يمكث الا خمسة أيام. وبعد ذلك ان الينجشرية نقضوا الصلح. وسبب ذلك ان القايمة فيها ان كل من (له)[2]. وظيفة فى دار الضرب أو غيرها، ليس له فى العسكرية اسم، ثم ان الباشا طلعت له الست بلكات، وطلبت نقل باب الضرب الى السراية، فاعطاهم الباشا الفرمان، بانهم يجتمعوا، ويتشاوروا فى

---

(١) بالاصل «بلاده الجدية» والجدية، أحدى قرى مركز رشيد، محافظة البحيرة، وهى من القرى القديمة، بالقرب من رشيد، محمد رمزى، المصدر السابق القسم الثانى، جـ١، ص٢٩٩.
(٢) الاضافة لتوضيح المعنى.

نقص مقدار نصف ذراع ووقف وتحرك سعر الغلة اربعة دراهم الاردب. وحدث فى عشية نهار السبت الرابع وعشرين من ابيب الموافق للتاسع من شوال سنة احدى وثلثين وستمايه غيم كثير واصفر الجو وامطرت ساعة جيده وبقى الغيم طول الليل وكان هذا من جملة النوادر التى لم يجر مثلها. ووفى النيل المبارك فى يوم الاربعا الثالث والعشرين من مسرى وخلق[اكتمل] المقياس فى النهار المذكور

هذا الأمر، فلما نزلوا، واجتمعوا مع بعضهم، من جهة نقل باب الضرب لكون ان ذهبها خارج، وفضتها نحاس، وهذا كله سببه أن الينجشرية يأخذوا منهم البلص، ويأمروهم بشغل الذهب الخارج، والفضة الزيوف. ثم أن الينجشرية قالوا: لا نسلم فى نقل دار الضرب الى السرايا، حتى تكتبوا «لنا»[1] حجة، أن نقلها لم يكن لخيانة ظهرت ولا صدرت منا. فامتنعت الاخصام من كتابة الحجة، وتوافق الستة «وجاقات»[2]، أنهم يرسلوا يعرضوا فى شأن ذلك. ثم انهم كتبوا عرضا الستة بلوكات، وختمت عليه الصناجق، والعلماء ونقيب الاشراف والشيخ أبو المواهب البكرى، وسيدى عبدالخالق السادات، ما عدى الينجشرية، لم تختم على العرض.

ثم أنهم عينوا من كل بلك واحد، وأغا من طرف الباشا، ثم أنهم سافروا فى سادس عشرين محرم سنة ١١٢١[3]. وأما الينجشرية فأنهم اجتمعوا فى بابهم، وكتبوا عرضا من أنفسهم لأرباب العقد والحل من الينجشرية بالديار الرومية. ثم أنهم جهزوا على أفندى كاتب كبير، وأحمد جريجى، وسافروا بعد العرض الاول بيومين.

وفى ثالث عشر ربيع أول[4] لبس قيطاز بيك قفطان امارة الحاج على العادة القديمة،

(١) بالاصل «له»، التصويب من التحفة، ص٢٦٠.
(٢) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٣) ٨ ابريل ١٧٠٩م.
(٤) ٢٣ مايو ١٧٠٩م.

بحضور الملك العادل بن السلطان الملك الكامل اعزالله نصره، ورخصت الاسعار ورجعت الى حدها الا ان الغل كان قليلا والثمار مما اصلح وخسر اكثر مما اربح. وبيع العنب فى هذه السنة بخمسين درهما القنطار والقند [قمع عسل السكر] باربعة دنانير ونصف القنطار و[كذلك] اصناف الحلاوة من [بنفس] النسبة ولم يعصر من الناس [الكروم] فى هذه السنة الا النزر اليسير والذى يعمل شياً اقتصر على نصفه لاجل غلا الاصناف.

صبيحة مولد النبى، وكانوا قد أشاعوا أنهم رايحين يلبسوا زين الفقار أبو سعده الصنجقية، وامارة الحاج. فلما بلغ الينجشرية ذلك، تسلحوا وجلسوا خارج الباب، الذى فى طريق الديوان، وقالوا: كل من لبس امارة الحاج خلاف قيطاز بيك قطعناه، لو أنها تفى الى أمر الله. فلما رأت الصناجق والباشا أنه متى لبس قفطان السنجقية، أبو سعده ثارت الفتنة، فأبى الباشا، ولبس قفطان امارة الحاج لقيطاز بيك، وانكشفت الفتنة. ثم ان الست أوجاق والصناجق، قالوا: ما سبب هذه الفتنة، الا من ثمانية أنفار من الينجشرية، فمتى ما خرجت هذه الثمانية أنفار، بردت الفتنة، ويصير بعد ذلك كل مفعول جايز. ودبروا هذا التدبير واحكموه. فلما أخبرت البنجشرية بهذا الأمر، وما دبرته الصناجق، وكل هذه تحريكا من افرنج أحمد، لأنه كان يدخل الاسطبل، ويطل على ظهر جاره، ويقول له: ما لبسناه على ظهرك، خسرناه[1]، على ظهر الحصان ومنا، أرجع واركب. ثم أن الينجشرية اجتمعوا ببابهم فى عددهم وعددهم، وأما أهل البلكات الستة، فانهم هم والصناجق. التفتوا الى ما فعلوه الينجشرية، وقالوا لابد من محاربتهم، على أى وجه كان، أو نفى الثمانية. وعزموا على محاربتهم، واجتمعوا فى أبوابهم متسلحين وكذلك الينجشرية طلعوا جميعا الى بابهم وشحنوه بالاسلحة والبندق، والمدفع والذخيرة، من أكل وشرب، ونصبوا المدافع الى جهة القلعة. فلما بلغ ذلك الى أهل مصر،

(١) بالاصل «خصرناه».

ووردت الاخبار ان السلطان اعز الله نصره دخل الى بلاد الروم [سلطنة الروم السلاجقه. بأسيا الصغرى] ودقت البشاير بالقلعة بالنصرة والظفر وانه اخذ من بلاد الروم حصنا يقال له حصن منصور ثم عبر على ضيعة يقال لها رعبان وعبر منها الى الدربندات التى تسميها العرب الدروب وانتهى الى الدربند الثالث بالعساكر والجموع. وكانت عساكر جمه لم يجتمع مثلها وقيل انه عرض فى سبعة وعشرين الف جندى خارجا عمن

حصل لهم خوف وانزعاج، لأنهم شيء عمرهم ما رواه فى مصر، قبل هذا التاريخ، فقفلوا دكاكاينهم، وأكثر الناس مكثت فى بيوتهم، وأما طايفة الجاوشية، فانهم انزلوا مطبخهم فى بيت صالح اغا، كتخدا الجاوشية. وأما سراية الباشا، فان الينجشرية، عينوا بعض طوايفهم محافظين على باب الجبل، وأبواب القلعة، وباب قراميدان، والسبع حدرات، خوفا من انه العسكر يميلوه بالذهب[1]، وينزلوه قراميدان، لأنهم كانوا أرادوا أن ينزلوا الباشا الى قراميدان. وأرسلوا له كتخدا الجاوشية فى شأن ذلك لاجل ما يتداعوا على يد القاضى والباشا مع طايفة الينجشرية فلم تمكنهم الانكشارية من نزول الباشا. وأما كتخدا الجاوشية، ومن كان معه، ما تخلصوا من عند عودهم من عند الباشا الا بالجهد الجهيد من الخوف والفزع.

وفى يوم الخميس عشرين ربيع أول[2]. اجتمعت الصناجق الاختيارية، وعينوا محمد بيك حاكم جرجة الى جهة جيل الجيوشى، وعينوا معه عشرة مدافع. ثم ان العسكر حسبت حساب أنهم يكونوا مشغولين مع اخصامهم فى الحرب، ربما يحصل نهب فى الاسواق، فعينوا مصطفى آغا، الذى هو آغة الجراكسة، أن ينزل ويطوف، كما فعلوا حين يعزل الباشا، وعينوا أفرنج أحمد بيك، وأحمد آغا، آغة التفكجية، يحاصروا باب الينجشرية من جهة المحجر وباب الوزير، ليمنعون كل من يطلع باب الينجشرية بأكل أو شرب والامداد من الطرايق، وأما

(١) فى التحفة، ص٢٦١ «يستميلوا الباشا».

(٢) ٣٠ مايو ١٧٠٩.

يتبعها من غلمان واتباع وعربان وكان الشى
عندهم غاليا جدا لان بلاد الروم لا يخرج لهم
منها شى وبلاد الشام قد ابعدوا عنها فرأى
السلطان ان الامر عسر وان عساكر الروم قدامه
فرجع من هناك. وعدى موضع يعرف بجسر
الخشب طالبا الى الشرق وكان صاحب خرت برت
[خربت = خربطلى] فيمن كان معه وكان قد
عرفه ان الطريق من بلاده الى بلاد الروم سهلة
وان الذى دل السلطان على هذه الطريق غره

الينجشرية التى كانت تحت فى البلد، فانهم اجتمعوا فى باب زويلة، وتمكنوا من بيت الوالى، وتواطئوا مع بعضهم أن يكبسوا باب المحجر بعد هجعة من الليل، وكشفوا العسكر عن الباب، ويدخلوا بابهم. فلما بلغ الصناجق ما دبروه عينوا ابراهيم بيك الوالى، ومصطفى آغا، وأغوات الجبجية، فى طايفة من الاسباهية، ونزلوا الى باب زويلة، فلما دريت الينجشرية، الذين فى باب الشرطة، تفرقوا، ولم يبق منهم أحد. وجلس مصطفى أغا فى مسطبة الاضباشا، وابراهيم بيك، الوالى، مقاصده على مسطبة الجربجى، وانتشرت طوايفهم فى نواحى باب زويلة، وباب الخرق، والغورية، واستمروا على هذا الحال ثلاثة أيام بلياليها. فلما كان رابع يوم، الذى هو رابع عشرينه[١]، طلع القاضى، ونقيب الاشراف، والعلماء، والسادات، والبكرية، الى الشيخونتين بالصليبة، وكتبوا فتوى الى الينجشرية: أن لم تسلموا فى الثمانية ينتفوا، والا اجزنا العسكر بمحاربتكم(٢) بموجب الفتوى. وارسلوها صحبة جوخدار القاضى إلى باب الينجشريه. فلما قراها تراخت عزايمهم، وبطلت همتهم عن المحاربة، وسلموا فى نفى المطلوبين، الا أنهم أرسلوا يقولوا للعسكر: أنا لا نسلم فى نفيهم، الا ان كان بضمانة جماعة، تظهر لنا، ونكتب عليها حجة بالضمانة والتسليم، ثم أن الصناجق جميعا ضمنوهم.

وكتبوا على أنفسهم حجة بالضمانة والتسليم، وأرسلوا أيواظ بيك، ورمضان أغا، الى باب مستحفظان، وأرسلوا الحجة لهم، وتسلموا الثمانية، وهم: مصطفى كتخدا الشريف، وحسين

(٣٨) ٧ يونية ١٧٠٩م.

(٣٩) بالاصل «محاربتهم».

فقصد السلطان اعز الله نصره ان يعبر الى الروم من هناك. ودخلت سنة احدى وخمسين وتسع مايه للشهداء الابرار وزاد النيل المبارك وانتهى الى احدى عشر اصبعا من تسع عشره ذراعاً واطمان الناس وكثرت الخيرات ورخصت الاسعار. ثم ان ملك الروم وهو المسلم صاحب قونيه واقصريا ابلغه [بلغه] قصد السلطان خرت برت فاتاها بالرم والطم فسير السلطان اعز نصره ابن اخته الملك

كتخدا النجدلي، وناصف كتخدا، وقرا اسماعيل كتخدا، وأحمد شربجي تابع باكير أفندى، وكور عبدالله، وابراهيم أوضباشي، أخو جدك، وحسن أوضباشا العنتبلي. ثم انهم توجهوا بهم الى بولاق، وساروا يومهم الى بلاد الأرياف، في يوم الاربع ثامن عشر ربيع آخر سنة ١١٢١[١].

وفي يوم الخميس تاسع عشرين ربيع آخر[٢]. ورد أغا من الديار الرومية، وصحبته أمرين شريفين، قريا بالديوان. أحدهما بازالة المظالم والحمايات، بموجب العرض الذى أعرضته العسكر، ونفى عطاالله، وأحمد جلبى بن يوسف أغا، صاحب الحمام الذى بباب سعادة، والخرق، وأن يحاسبوا تجار البن على مرابحة القهوة، العشرة اثنى عشر من غير زيادة بعد رأس المال والمصاريف. والثاني بنقل باب الضرب الى الديوان، وبناء قنطرة اللاهون، وأن يحاسب عليها من مال الخزينة.

وفي يومه اخرج الباشا فرمانا[٣] برفع صنجقية افرنج أحمد بيك، والحاقه بوجاق الجملية. وفي يوم السبت اجتمعت أعيان باب مستحفظان بمنزل أحمد كتخدا، شهر أوغلان، وأرسلوا خلف افرنج أحمد، وتصالحوا واياه، من غير احقاد، صلحا فاشيا، وتعاقدوا على الصدق، وأنه

(١) ٧ يولية ١٧٠٩م. (٢) ٨ يولية ١٧٠٩م.
(٣) بالاصل «فرمان».

المظفر بن تقى الدين صاحب حماه نجدة لصاحب
خرت برت ومعه جماعة من اكابر الامراء مثل
البانياسى وصواب الخادم ومن يجرى مجراهم
فوافوا المدينة قبل وصول[عسكر] الروم
[السلاجقة] اليها فجعلوها ظهرهم وجاء الرومى
فقاتلوه اشد قتال وامره ثم كثر عليهم الجمع لانهم
ما كان معهم سوى زهاء ثلثة الف فارس فانكسروا
وعادوا الى المدينة [خربت: خربطلى] فاما صاحب

لا يغدر بهم، وهم لا يغدروا به، ومضوا به الى باب الجملية، وأخذوا له عرضه، ثم أنه بعد ان أخذ عرضه، توجه الى منزله. وفى ثانى يوم، الذى هو يوم الاحد، ثانى ربيع آخر سنة ١١٢١[١]، ركب الحمار وطلع الى الباب، فى جمع غفير من الأضباشية، وتقرر باشى كما كان.

وفى غاية شهره رجعت الثمانية انفار الذين كانوا منفيين، فأخرجوهم من الوجاق ووزعوهم فى الأوجقة بمعرفة الصناجق. وفى ثانى يوم أرسل القاضى الى ارباب الحرف والصنايع، وأخبرهم انه جاء خط شريف، ان لا يكون أحد من أرباب الحرف والصنايع له تعلق بوجاق من الوجاقات، وأن يكونوا رعايا. فأجابوا بأنهم عسكرية، وأولاد عسكرية، وأقاموا على غير امتثال، ثم بلغ القاضى انهم اجتمعوا على ايقاع مكروه به، فخاف منهم، وتغافل عنهم، وما عاد ذكر لهم، ذلك، بعد ذلك اليوم.

وفى يوم الخميس أوفى النيل رابع مسرى، وهو آخر سنة المقياس، الذى كانوا يعملوه الينجشرية، سبعة أيام، عند نزح الفسقية التى للمقياس. وكانت جميع اهل القاهرة يهرعون، وجميع الصناجق، والأغوات، وشيخ الاسلام، والوزير وكان يصرف فيه مال كثير. وكان دايما على كل من كان باش جاويش. وكان جميع الاكابر والتجار يهادوه فى عمايل ذلك الاسبوع،

(١) ١١ يونية ١٧٠٩م.

حماه والامرا ومن معه من الامراء فالتجأوا الى القلعة واما الاجناد والغلمان والجمع فمنهم من اسر ومنهم من هرب وفيهم من قتل وعبروا الى القلعة وصاحب خرت برت معهم و وكان قد وعدهم ان بالقلعة كلما يحتاجوه فما وجدوا بها شيا وقيل انها كانت مكيدة منه فتجالدوا وتصبروا على ضر شديد وضنك عظيم أياماً تناهز العشرين يوماً فلما تيقنوا الهلاك سيروا من جماعتهم امير

الذى لم يكن يوجد له نظير فى الدنيا. فابطلوه من سنة ١١٢١[1] وكان آخر من عمل المقياس عثمان جاويش امطقران، قريب محمد كتخدا شغشى أوغلى. وفى خامس عشر جمادى الثانية[2]. ألبس الباشا قفطان الدفتردارية لقيطاز بيك، وقفطان لأبى شنب، على امارة الحاج. هذا عوض عن هذا. وهذا عوض عن هذا.

وفى يوم الجمعة سابع رجب[3]، توفى حسن أفندى، نقيب الاشراف، بالقاهرة، ودفن بالقرافة. وكانت هذه النقابة لجده وجد جده قديما وبموته انقرضت دولتهم ولم يترك الا بنتا تحت محمد بيك بن درويش. وفى ثانى يوم اجلسوا السيد مصطفى الرفاعى، قايم مقام الى أن يرد جواب من الديار الرومية. وفى تاسع رمضان[4] وردت أخبار من الديار الرومية بعزلان حسن باشا؛ وتولية ابراهيم باشا القبطان ووردت منه مكاتيب، خطاب لحسن باشا أن يكون قايم مقام.

وفى يوم الاحد ثانى عشر شوال[5]، ترادفت الأمطار بكثرة، وسالت الاودية، حتى ان ماء النيل زاد وافيض ماء البحر، واستمر المطر الى غاية شوال، حتى انه منع الناس من التفرج على

(١) ١٧٠٩م.
(٢) ٢٢ أغسطس ١٧٠٩م.
(٣) ١٢ سبتمبر ١٧٠٩م.
(٤) ١٢ نوفمبر ١٧٠٩م.
(٥) ١٥ ديسمبر ١٧٠٩م.

يقال له بها الدين بن ملكيشوا [ملكشاه] الذى كان والى القاهرة الى ملك الروم يطلب لهم الامان على انفسهم وان يسلموا القلعة فاعطاهم الامان على نفوسهم خاصة فخرجوا باسوا حال يكون ولم يخلع على احد منهم سواء الملك المظفر وصواب الخادم واعطى كل منهم فرساً يركبه الى عسكر السلطان وكان فى طريقهم الدير المعروف بدير برصوما(*) فخرج اليهم الرهبان

(*) دير برصوما: كشف حديثًا عن هذا الدير بآسيا الصغرى، ويعرف بقلاية برصوما.

المحمل الشريف، وابتلت جميع الصناجق، وبقى ابراهيم بيك يدوس بالجواد فى الطين، والمطر نازل كافواه القرب. ومكثت تمطر سبعة عشر يوما، اذا ما مطرت بالنهار تمطر بالليل. وكانت مدة حسن باشا سنتين وشهر ثم أنه نزل الى بيت يوسف أغا القطردار، بسويقة عصفور.

٨٢ ذكر تولية ابراهيم باشا القبطان

عفى الله عنه

قدم الى مصر يوم الخميس تاسع عشر القعدة سنة ١١٢١[١]. وكان قدومه من البحر وطلع بالديوان بالاى عظيم، ثم بعد ذلك اجتمعت العسكر بسبيل على باشا الذى بالقرافة فى يوم الاربعاء رابع عشرين محرم سنة ١١٢٢[٢]، واتفقوا على نفى ثلاثة أنفار وهم: على أفندى. كاتب الحوالات، وقاسم آغا، ومحمد آغا ابن الجيعان. ومن وجاق المتفرقة، على أفندى المحاسبجى[٣]. وسبب ذلك أنهم اتهموا بأنهم يجتمعون على الباشا. ويعرفوه بالاحوال الكلية والجزئية. وأنهم اعزوا الى الباشا بقطع جوامك أولاد وعيال. والجوامك المرتبة على الاوقاف. واتفق أنه ماتت جماعة ولهم جوامك أولاد وعيال[٤] ومرتبا. فخلهم بعد موتهم: وضبطهم

---

(١) مدة ولايته: ١٩ القعدة ١١٢١/١٥ رجب ١١٢٢هـ ـ ٢٠ يناير ١٧١٠/٩ سبتمبر ١٧١٠م.
(٢) ٢٥ مارس ١٧١٠م.
(٣) بالاصل «المحاسبى»، والتصويب من الجبرتى، المصدر السابق، جـ١، ص١٥٨، التحفة، ص٢٦٦.
(٤) بالاصل «وعيد»، والتصويب من الجبرتى، المصدر السابق، جـ١، ص١٥٨ والتحفة، ص٢٦٦.

السريان تلقوهم بالازواد والخيرات وحملوهم على بغال الدير الى ان اوصلوهم الى العسكر وصار للرهبان بهذه القضية عند ساير المسلمين مدحة عظيمة. ونزل النيل فى وقته وتباشر الناس بانها سنة مقبلة وان الزراعات فيها ناجيه لان السنة الماضية ما افلح فيها زرع وكان سعر القمح من ثلثة عشر درهما الاردب الى سبعة دراهم الاردب على قدر العالى والدون والشعير بخمسة دراهم

الى المحلول، وأن العسكر راجعوه فى ذلك الأمر فلم يوافقهم، ولما كان يوم الثلاث ثانى عشر صفر[١] من التاريخ المذكور، اجتمعت اختيارية الوجاقتات السبعة بباب مستحفظان: وأرسلوا للسناجق والاغوات، ليراجعوا الباشا فى عدم معارضته هذا الأمر، فلم يوافقهم، وتكلمت العسكر فى نزوله، ثم راجعوه المرة الثانية، فقال: أنا لا نسلم الا لمن يفك أولاد وعيال، ويكتبهم باسماء معلومة؛ والذى لم يفك، احله واضبطه للمحلول؛ فرضوا بذلك؛ واخذوا فرمان بذلك. ثم بعد ذلك ورد سلحدار الوزير بخط شريف، خطابا لابراهيم باشا، بتبطيل أولاد وعيال، وكل من خالف، ترسل تعلمنا عنه. فلما قرى بالديوان اذعنوا بالطاعة. فكتب الوزير فى الوقت فرمانا[٢] بنفى ثلاثة أنفار من العزب؛ فلم توافق العزب، وابدلوا ما أراد؛ وكتبوا عرضا الى الاعتاب العلية، يستعطفون مولانا السلطان فى ابقاء ذلك، وتوجه من كل بلك واحد الى الديار الرومية.

وفى يوم الخميس غاية ربيع آخر[٣]. عزل الوزير ابراهيم بيك أبو شنب من امارة الحاج، والبسها الى ايواظ بيك. وفى يوم الخميس سادس جماد أول سنة ١١٢٢[٤] ورد من الديار الرومية نقيب للاشراف، يسمى عبدالقادر أفندى، فأستقبله الاشراف، وانزلوه بمنزل الشريف

(١) ١٢ أبريل ١٧١٠م.
(٢) بالاصل «فرمان».
(٣) ٢٧ يونية ١٧١٠م.
(٤) ٣ يولية ١٧١٠م.

الاردب والفول بسته والجلبان مثله وبذر الكتان بعشرة دراهم الاردب والسلجم والبرسيم من النسبه وجميع الماكولات والمطعومات رخاص جداً ولم يكن شياً غاليا اصلا. وعاد السلطان الملك الكامل عز نصره الى الديار المصريه وطلع الى قلعة المحروسة في يوم الاثنين الثامن من جمادى الاول سنة اثنين وثلثين وستماية [هلالية] الموافق للرابع من امشير سنة احدى وخمسين وتسع مايه وهو

أحمد باش جاويش الاشراف بن السيد عمر الخشاب ببولاق. فعملوا له في ذلك اليوم سماطا، فاكله، وبات تلك الليلة، ثم أنهم دخلوا صبيحة اليوم ليقيموه، وأتوا له بالفطور، فرأوه مدبوحا في فراشه، ولم يعلم من دبحه، فأخذ الاشراف باش جاويش، وحبسوه في العرقانة. واتفق الاشراف على ان يجعلوا الشريف محمد كتخدا العزب، وباش اختيار العزب[1]، لامتناع السيد مصطفى الرفاعي في تولية قيامة مقام. ووافق تاريخه ذبح عبدالقادر. وفي يوم الاربعاء ثانـي رجب[2] زلزلت الأرض زلزلة لم ير الناس مثلها، الى أن هربت الناس من الأسواق، وخافت من سقوط البيوت، وكانت خمس درج. وفي يوم الخميس ثالث رجب ورد اغا من الديار الرومية، وصحبته خط شريف، قرى بالديوان، بابقاء أولاد وعيال، والمرتبات، على ما هم عليه، ومن تاريخ الخط لا يعمل أولاد وعيال، ولا مرتبات، من بعد اليوم. وفي خامس عشر رجب ورد مسلم خليل باشا، والى صيدة، وأن يكون قايم مقام أيوب بيك. وفي يوم الأربع سادس عشر[3] رجب، نزل ابراهيم باشا من القلعة الى منزل عباس آغا، بحارة قيصون، المشرف على بركة الفيل، وكانت مدة ولايته ثمانية أشهر.

---

(١) بالاصل «أن يجعلوا الشريف محمد قايم مقام، في نقابة الاشراف، كتخدا العزب، وباش اختيار العزب» فأجريت التقديم والتأخير ليستقيم المعنى، والتصويب من التحفة، ص٢٦٧.

(٢) ٣ سبتمبر ١٧١٠م كتب عنوان جانبي «اعرف هذه الزلزلة».

(٣) التصويب والاضافة من التحفة، ص٢٦٨.

اول يوم من صيام اهل نينوى واطمأن الناس وطابت الاخبار الا ان الناس [العسكر العائد] لقوا فى هذه السفره شدة عظيمة وقاسوا صعوبة فى الطريق ووقعت اصابع اناس كثير من الثلج [التجمد] وناس ماتوا بالكلية ومنهم الاكرم بن زنبور فانه وقعت اصابع يديه ورجليه من الثلج ومات بحران ليلة الميلاد وكثير مثله ممن لا يعرف وممن يعرف. وكانت الرهبان قد جرت لهم تجربة

(*) أهم أحداث ٩٥١ق. = ١٢٣٥م. = ٦٣٢هـ.
* فيها انثنى عزم الملك الكامل عن قصد الروم للتخاذل الذى حصل فى عسكره، ورجع إلى مصر، وعاد كل من الملوك إلى بلده.
* [١ يناير ١٢٣٥ = ٦ طوبه ٩٥١ = الاثنين ٩ ربيع الثانى سنة ٦٣٢].
* وفيها قصد كيقباذ، صاحب بلاد الروم، حران والرها وحاصرهما واستولى عليهما، وكانتا للسلطان الكامل.

---

٨٣ ذكر تولية خليل باشا صاحب الفتنة
عفى عنه أمين

قدم الى مصر من طريق البر يوم الاثنين سابع عشر شعبان المبارك سنة ١١٢٢[١]. وصحبته مصطفى أفندى كيجى زادة، نقيب على الاشراف بالقاهرة. وفى خامس عشر القعدة[٢]. ورد أغا بطلب ثلاثة آلاف الى كفرة مصقوة [موسكو] وكانت نوبة السفر لمحمد بيك أمير الحاج سابقا[٣]. فالبسوه الصنجقية، وأمره محمد بيك باربعين كيسا، وجعله بدلا عنه، ولبس القفطان يوم الاحد ثانى عشر الحجة[٤]. وفى يوم الاثنين تاسع عشر الحجة ختام سنة ١١٢٢[٥] توفى شيخ الاسلام، وشيخ السنة، الشيخ محمد الزرقانى، وأذن الموذن على المنابر بالحضور على الجنازة. وفى يوم الخميس غرة محرم سنة ١١٢٣[٦]. اوكب اسماعيل بيك بالاى عظيم الى بولاق. وفى رابع عشر محرم سافر العسكر من بولاق. وفى يوم الخميس

(١) مدة ولايته: ١٧ شعبان ١٢/١١٢٢ رجب ١١٢٣ هـ ١١ اكتوبر ٢٦/١٧١٠ أغسطس ١٧١١م. فى التحفة، ص٢٦٨، انه قدم ٢٠ شعبان ١٤/١١٢٢ اكتوبر ١٧١٠م.
(٢) ٥ يناير ١٧١١م. (٣) قدم وآخر.
(٤) ٢٢ يناير ١٧١١م.
(٥) ١٨ فبراير ١٧١١م، كتب عنوان جانبى «أعرف وفاة الشيخ محمد الزرقانى».
(٦) ١٩ فبراير ١٧١١م.

عجيبة وهو ان جماعة من الصبيان قد صاروا يلبسون الثياب الصوف ويتزيون بزى الرهبنة وهم فى المدن متصرفون ليحتموا من الجزيه فنمى امرهم الى السلطان فرسم بانه اى راهب لا يكون مقيما فى دير منقطعا فى البرية مشهود له بذلك توخذ جزيته، وما احتاج النواب والمستخدمون اكثرن من هذه الكلمة ومدوا ايديهم الى الرهبان وصاروا يمسكون الصالح والطالح وياخذون

* [١ يناير ١٢٣٦ = ٥ طوبه ٩٥٢ = الثلاث ١٩ ربيع الثانى سنة ٦٣٣].
* فيها سار الناصر داود من الكرك إلى بغداد ملتجئا إلى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف من عمه الملك الكامل.
* [١ يناير ١٢٣٦ = ٥ طوبه ٩٥٢ = الثلاث ١٩ربيع الثانى سنة ٦٣٣].
* وفيها سار السلطان الملك الكامل من مصر إلى البلاد الشرقية واسترجع حران والرها من يد

اجتمعت جماعة مصطفى كتخدا القزدغلى. وتبعهم عشرون من أعيان البنجشرية. واتفقوا انهم لا يرضوا بافرنج أحمد أن يعمل باش الاوضباشية. وانه يلبس الضلما، أو يجعلونه جربجى فى الوجاق، وأن كان ما يرضى بأمر من الأمرين، أعطونا عرضنا، لنذهب الى أى وجاق نريده. وكان هذا الكلام فى باب العزب. وساعدتهم البلوكات الست وصمموا على لبس الضلمة واستمروا بباب العزب مصممين على عزمهم الذى تقدم ذكره. ثم أن الصناجق والأغوات لما راوا الأمر يتزايد مشوا بينهم فى الصلح فصارت الصناجق والأغوات يجتمعون تارة بمنزل قيطاز بيك، وتارة بمنزل ابراهيم بيك ابو شنب. وكانت الدفتدارية مع قيطار بيك، فلما كان يوم الجمعة سادس عشر[1] محرم، اتفق رأى الجماعة اجمعين، انهم ينقلوا الى باب العزب الثمانية أنفار، ومن انضم اليهم، وكانوا ستماية رجل، منهم أربعة كواخى، وعشرة جربجية وأضباشية والبقية أنفار الينجشرية. وأعرضوا فى شأن ذلك للباشا. فاتفق الأمر أن كل من كان اسمه مكتوبا الى الغزو يسافر، والذى لم يكون مكتوبا يعطى عرضه الى وجاق العزب. وحضر كاتب العزب وكاتب البنجشرية فى المقابلة[2]، فاخرجا من كان اسمه فى الغزو، والذى لم يكن مكتوبا أعطوه عرضه، وتفرقوا على ذلك. ووقع الحث على سفر المسافرين، وعدم اقامتهم

(١) بالاصل «ثالث»، والتصويب كما هو واضح من ترتيب تواريخ الأحداث، ومن التحفة، ص٢٦٩.

(٢) المقابلة: المحل الذى تحفظ فيه دفاتر جمكية العساكر وساليانات الامراء والمشايخ والايتام اسما باسم، وافندى المقابلة هو الشخص المسئول عن هذه الامور، محمد شفيق غربال، المصدر السابق، ص٣٢.

المشـايخ الذين لهم خـمـسـون سنة فى البـرية [والاديرة] واستادوا من جزيتهم جملة كبيرة تزيد على الف دينار وخصوصا بالغربية لانه كان فيـها رجل ناظر [جوالى] من اهل اسكندريه يقال له ابن القرمسينى وكان مبغضا فى النصارى فجعل كده [أذية] الرهبان واكثرهم فى اعمال الغربيـة وهى بلاد جرايتهم ودياراتهم فى ذلك الحين فأنالهم اذية عظيمة. وكان هذا ادباً من الله لانهم ما كانوا بقوا

كيقباذ، ثم عاد الملك الكامل إلى دمـشق وأقـام عند أخيـه الملك الأشرف.

بمصر، وأن يلحقوا بالمسافرين الى اسكندرية، ونزلت القبجية والجاويشية، وكل من راوه أخذوه الى البحر. وفى يوم ٢٢[١] ربيع أول سافرت العسكر من الاسكندرية الى جهة الروم.

وفى ١٢ صفر ورد ركاب أيواظ بيك بالحج الشريف، ولما استقروا فى منازلهم أرسل حسن جـاويش القـزد غلى، سـردار القطار، وسليـمـان جـربجى القـزدغلى، سـردار السـرة، وابراهيم جربجى، سردار جدة، عرضهم. فتوجهت اليهم اختيارية الينجشرية، واستعطفوا بخاطرهم ان لا يخرجوا من عندهم. فما وافقوهم، وأخذوا عرضهم.

وفى ٢٣ صـفر[٢]. (ترك) موسى جربجى، تابع ابن مرزة، عرضه وأنه يروح الجملية، فلم يرضى رضـوان آغا بقبله عنده فى الجـملـيـة، فـتوجـه موسى جربجى إلى ايواظ بيك، وابراهيم بيك، وقيطاز بيك، وطلبهم ان يشفعوا له عند رضوان، فارسلوا يشفعوا عنده فى قبوله عنده فى الوجاق، فأبى ولم يقبل شفاعتهم، فلما راوا عدم قبول الشفاعة، اجمع رأيهم أنهم يرسلوا الى الباشا عرضا فى عزلان رضوان آغا من اغوية الجملية، وأن يولى على (اغا)[٣] مـكـانـه، وان يعزل سليمان آغا من كتخدا الجاوشية، ويولى مكانه، بل محله، اسماعيل آغا، تابع ابراهيم بيك فامتنع الباشا من ذلك. وكانت اختيارية الجملية وافقوا الصناجق على عزلان رضوان أغا.

---

(١) ٢١ مايو ١٧١٠م. (٢) ٢٣ أبريل ١٧١٠م.

(٣) الاضافة، من التحفة، ص٢٧١، لتوضيح المعنى.

مستقيمين. واما الرهبان الصغار فانهم كلهم رجعوا
الى ما كانوا عليه وقلعوا الثياب الصوف اذ لم تغن
عنهم من اداء الجزيه. ولما جا السلطان عز نصره
اجمع جماعة من رهبان الديارات وجاءوا الى باب
السلطان بهدية على قدر حالهم مما يليق بالرهبان
فكتب لهم بماية وخمسين اردبا غله وسمع
بخبرهم رهبان دير القصير الملكية [بطره]
فاحضروا الاخر هديه من السنبه [على قدرهم]

فلما راوا امتناع الباشا، أخذوا الصندوق. وتوجهوا به الى بيت ابراهيم جربجى الشعراوى، باش جاويش الجملية، واجتمع كل بلك ببابه، واستمروا على هذا الحال ثلاثة أيام. وأما الينجشرية الذى انتقلوا الى باب العزب، فانهم اجتمعوا مع بعضهم البعض، وقطعوا الطريق التى توصل الى القلعة مطلقا، ومنعوا من يطلع الى باب مستحفظان، من الاتباع والخدم، وكل من أراد الطلوع لا يملك ذلك، ولم يبق من الطريق الموصلة الى القلعة الا باب المطبخ. ثم ارادوا قطع الماء عنهم ولم يقدروا يأتوا فيهم بحركة، فتوجهوا الى السواقى التى بقرب اليسار، وحلوا قواديسها وخشبها، وقطعوا الطوانش. ثم ان رجلا من انفار الينجشرية نزل من ناحية المحجر، يريد النزول الى تحت، فضربوه العزب وبطحوه، واخذوا سلاحه، ومنعوه من النزول الى المدينة، فعاد الى طريق القلعة، ودخل من باب الجبل، واجتمع بافرنج احمد، وأخبره بحاله، فأخذه وأخذ جماعة من الينجشرية وودوه الى خليل باشا، واعلموه بما فعلت العزب، والقاضى جالس عند الباشا، فقال القاضى: هؤلاء بغاة خرجوا عن السلطنة، وحيثما قطعوا الماء عنا، والزاد واذوا الناس وسلبوهم، فقد جاز لنا أن نحاربهم. ثم ان افرنج احمد استأذن الباشا والقاضى فى محاربتهم، وضربهم بالبندق والمدافع، فأذنوا له، فأخذ فرمانا[1]، وأعلام القاضى. ومن ذلك اليوم مكث القاضى ومعه الباشا من النزول الى المدينة. الى أن نزل هو

(١) بالاصل «فرمان».

فامر لهم بماية اردب غله وبقي الرهبان ملازمين باب السلطان مدة وبعد ذلك خرج الامر بان يكتب لهم بان يجروا على عادتهم بشرط انهم لا يخفون عندهم احداً ممن يجب عليه الجزيه ولا يرهبون احداً الا بعد تنزيله في الديوان وممن يستحق الرهبنه ويدخل فيها لطلب الله تعالى لا لاجل جزية ولا شدة لحقته. واخذوا الكتاب المذكور ومضوا به الى الغربية ولم يفدهم شياً. واستمر ابن القرمسيني على ما هو عليه والرهبان

واياه بعد ستة وستين يوما. وكان لى صاحب له باع فى الرمل والزايرجية، فجاءنى والحرب قايم، وقال لى: انى عملت زيارجة[1]، فجاءت احد عشر بيتا، ان هذه الوقعة لا تنفك الا بعد ستة وستين يوما، اولها اليوم. فلما مال اخذت الزايرجة، فاذا فيها، فيما رأيناه بعد فى مدة عددها الجلالة ٦٦، قد حكمت أيامها للحساب، فجاءت طبق ما اخبر، رحمة الله عليه. فلما اذن الباشا والقاضى لافرنج احمد بالمحاربة. نزل الى الباب، فشرع فى المحاربة، وضرب باب العزب بالمدافع وذلك يوم الخميس أحد عشر صفر[2]. بعد الزوال الى بعد العشا، فمات من العزب اربعة انفار، ثم ان فى ثانى يوم اجتمعت الصناجق والامراء وهم: ايواظ بيك وابراهيم بيك، وقانصوة بيك. دفتر دار مصر حالا، واتفقوا أنهم يلبسوا السلاح وآلة الحرب، ويذهبوا الى الرميلة، ويحاربوا الينجشرية. فأخبروا ان أيوب بيك ركب المدافع على طريق المارين، وعلى قلعة الكبش وانه ناوى اذا طلعوا الى الرميلة كبس بيوتهم وينهبهم. فامتنعوا من الركوب، وجلسوا فى منازلهم متسلحين، خوفا من أن يطرقهم العدو. وأما افرنج احمد فانه استمر ثلاثة أيام مع العزب فى المحاربة ليلا ونهارا، لا يفتر عن ضرب المدافع والبندق. فهذا ما كان له، وأما ما كان لرضوان آغا، فان طايفة الجملية اجتمعوا عليه، وقالوا له: احنا لا نرضا علينا آغا الا انت، وانا معك فى كل ما دعونا اليه، فسألهم عمن كان السبب فى نقل الصندوق وتوديته

(١) بالاصل جايزة.

(٢) ١١ ابريل ١٧١٠م.

في الشـدة الشـديدة وكـانت هذه تجـربة من الله تعـالى جـآء بهـا عليـهم لاجل سـوء تصـرفهم فى الرهبنة .

كيرلس البطرك الخامس والسبعون [ابن لقلق](*)

[١٢٣٥/ ١٢٤٣م]

(*) تولى كيـرلس (ابن لقلق) بعـد خلو كـرسى البطركيـة حـوالى عشرين سنة.

كـيـرلس البطرك الخـامس والسبعـون من العـدد هذا الأب كيرلس ابن لقلق قدم بمدينة الاسكندرية

لبيت ابراهيم بيك جربجي الشعراوى، وسبب هذه الفتنة، فقالوا له، سليم جربجى، وأحمد جربجي نوالي، ومحمد أفندى ابن طلق(١)، فقالوا: احنا لا نرضى هؤلاء الثلاثة بعد اليوم من أن يكونوا اختيارية عندنا. وركبوا وتوجهوا الى بيت قيطاز بيك، وأرسلوا من كل (بلك) اثنين الى منزل أيوب بيك، يطلبون رضوان آغا. فركب في موكب عظيم، لا يكاد يوصف الى قيطاز بيك، فاقروه آغا، على ما هو عليه، وكتبوا ثلاثة تذاكر لثلاثة بأنهم يلزموا بيوتهم، ولا يركبوا مع أحد، ولا يجتمعوا على احد، وأرسلوا التذاكر مع جاوش الباب، وركبوا رضوان آغا من بيت قيطاز بيك في موكبه، الى منزل أيوب بيك. ثم أنه اجرى ذكر الصلح بين الينجشرية والعزب، واتفقوا على ان يصلحوا بينهم، وكتبوا تذاكر وأرسلوها الى أفرنج احمد، ان يبطلوا المحاربة. فلما وصل اليه الرسول امتنع من الصلح، وصمم على المحاربة. فكتبوا عرضا وأرسلوه الى الباشا، على لسان الصناجق والأغوات الخمسة، وأن يرفعوا المدافع والمحاربة. فارسل الباشا فرمانا(٢) الى آغاة الينجشرية(٣) بأنهم يرفعوا ضرب المدافع، وانهم لا يضربوا مدافع بعد اليوم، وان لا يتحارب احد من العزب مع الينجشرية. فامتثل الامر. ثم ان الصناجق والاغوات

(١) كتب في الهامش «طنلق»، وفى التحفة، ص٢٧٣، محمد أفندى بن طلق، وفى الجبرتى، جـ١، ص١٦٢ «محمد أفندى ابن طلق».

(٢) بالاصل «فرمان».

(٣) بالاصل «الانجشرية».

فــى يوم الأحــد الــثانى والعشــرون مــن بؤونة سنة تسعماية واحد وخمسين للشهداء(*) وأقــام بطــركاً سبــع سنين وتســعة شهــور وتنيــح فى يوم الثلاث الرابع عشر من برمهات سنة تسعمائة تســعة وخمــسين للشــهداء(*) بــدير الشــمــع بالجــيزى ودفــن بــه. وكــان رجلا عــالماً فاضلا. فــيــه عــدة فــنون مــن الفــضــيلة إلا إنه كــان مــحــبــاً لــلــمــال وأخــذ الــشــرطونيــة وجــرا عليــه

(*) ٩٥١ ق.=١٢٣٤م =٦٣١هـ.

(*) ٩٥٩ ق.= ١٢٤٢م=٦٤٠هـ

ارسلوا يطلبون اختيارية(١). الينجشرية ليتكلموا معهم، بسبب الصلح بينهم، فحضر منهم جماعة، واخبروا ان طريق [باب] المحجر مقطوع من العسكر الذى فيه، وانهم لا يمكنهم النزول اليهم. فأرسل الصناجق تذكرة الى حسن كتخدا الجلفى كتخدا العزب ذلك الوقت، بان يرفع النفر الذى فى طريق المحجر فأرسل اليهم، فاخلوا الطريق، ونزلوا الى باب العزب فاجتمع رأى الينجشرية انهم يرسلوا حسن كتخدا واحمد كتخدا برمقيس، واحمد كتخدا شهر اغلان هؤلاء الثلاثة فقط، فاجتمعت الصناجق والأغوات وهؤلاء الثلاثة فى منزل اسماعيل بيك، وحضرهم اصحاب الكلمة النافذة، وتشاوروا فى اخماد هذه الفتنة، وعقد الصلح. وأرسلوا بذلك خبرا لباب الينجشرية فقال الينجشرية: احنا لا نأبى الصلح(٢)، ولكن لا نرضى بهؤلاء الثمانية فى وجاق العزب. لأنهم سبب الفتنة والعداوة بيننا، بل يروحوا الى البلكات التى كانوا فيها من وقت النفى، وأنهم لا يقيموا بمصر بل يذهبوا الى بلادهم التى خارج مصر، وأن يسلموا فى حسن الأخميمى الى الباشا، يفعل به ما يريد. فلما عاد الرسول واخبرهم بما قالت الينجشرية، أرسلت الصناجق أخبرت العزب بما قالت الينجشرية، فلما يرضوا بذلك الشرط، وقالوا جميعا لا نوافق على ذلك، ولا نرضى. فأرسلت الصناجق كواخيهم صحبة اختيارية البلكات الستة، الى باب مستحفظان، يتشفعوا عندهم، على أن الثمانية يرجعوا الى الوجاقات التى كانوا فيها، ويعفوهم من النفى، وان لا يطلبوا الأمير حسن

(١) بالاصل «يطلبوا الاختيارية».

(٢) بالاصل «بالصلح».

شدايد بسببها وتعصب عليه قوماً وأهانوه وعقدوا له مجالس بحضور نايب السلطان والعدول والوزير معين الدين ابن الشيخ . وغرموه بنيف عن اثنى عشر الف دينار. وخلى الكرسى بعده سبعة سنين وسبعة شهور. وهذا الآب هو الذى رتب كتاب الاعتراف(*) الاثنين وعشرين مقالة وسماه كتاب المعلم. ولما كان فى العاشر من بوونه ورد كتاب السلطان عز

(*) البطرك ابن لقلق يؤلف كتاب «الاعتراف» و«الذى سماه» «المعلم».

الأخميمى منهم. فلم يوافق افرنج أحمد على ذلك الشرط، وقال: ـ ان لم يرضوا بما شرط عليهم، والا حاربتهم ليلا ونهارا حتى يرضوا صاغرين، أو أخفى باب العزب، حتى يبقى يقال كان هنا باب يقال له باب العزب. ثم تفرقوا على غير صلح.

وفى رابع ربيع أول اجتمعت جميع الصناجق والأغوات ببيت ابراهيم بيك ابو شنب. واتفقوا على اجراء الصلح بين الفريقين، واجرايه على اية حاله تكون، واجتهدوا فى ذلك، وفى اتمامه. أشهدوا على انفسهم ان كل من خالف، أو صدر منه نوع خلف، يكون الجميع عليه. وكلموا أيوب بيك بأنه يرسل يعلم افرنج احمد بواقعة الحال، ويمنعوا المحاربة، وضرب المدافع، الى الامر المتفق عليه، فبطلت المحاربة ثلاثة عشر يوما(١)، وهم ينتظرون الصلح، ولم يقع من العزب شيء.

وأما أفرنج أحمد فانه فى هذه المدة، اجتهد فى تحصين جوانب القلعة، ونصب المدافع. وبناء المتاريس، وتحصيل البارود والرصاص والذخيرة، وملوا الصهاريج. والعزب كانت قد اخلت لهم الطرق، وفعلوا ما قدروا عليه. وفى أثناء تلك(٢) القضية، ورد ركاب محمد بيك حاكم جرجة، بفرمان خليل باشا، ونزل فى القدم(٣) بعسكره، وهوارة صحبته، ومن جملته

(١) فى التحفة، ص٢٧٤ «خمسة عشر يوما». (٢) بالاصل «ذلك».
(٣) فى الجبرتى، جـ١، ص١٦٣، «ونزل بالبساتين» والمقصود هنا «قدم النبى» أثر النبى حاليًا.

نصره الى الامير جمال الدين بن يغمور نايبه فى القاهرة من ثغر الاسكندرية المحروس [لان السلطان كان خرج الى الثغر المذكور فى هذه المدة لاجل طيبة هوايه ولين فنايه] فورد كتابه المذكور يطلب القسيس داود بن لقلق ان يمضى اليه ولا علم احد من كان السبب فى ذلك لانهم علموا انه انما طلب للبطركيه الا ان راهبا مرشارا شابا من اهل الصعيد كان قد توجه مع الشيخ عماد الدين شيخ

عمر بن عبدالقادر، ومعه أنفار وطموش، فمكث فى القدم يومين، وفى ثالث يوم دخل الى مصر بعسكره وهواريته وطمشه، ونزل ببيت آقبر دى الذى برأس الرميلة، ثم تهيا للحرب مع العسكر الذين[1] فى جامع السلطان حسن، وحاربهم محاربة تقصر[2] عنها الألسن، فقتل منهم نحو العشرين نفسا. والذين[3] كانوا يقاتلون فى السلطان حسن: محمد بيك واتباع قيطاز بيك، مع من انضم اليه من اتباع أبو شنب، وايواظ بيك.

وتترسوا بمتاريس من جهة سوق السلاح ووضعوا المتاريس فى باب الجامع والشبابيك التى للجامع، وكان رأس المحاربين محمد بيك الصغير، قدام محمد بيك حاكم جرجة، وكان الظفر فى هذه اللطمة لمحمد بيك الصغير. وقتل فى هذه الوقعة من الطرفين من فرغ عمره. ثم ان محمد بيك الصغير قام من محلة وتوجه الى رأس الصليبة بجوار سوق الفراخ بالرميلة، وجعل له هناك متاريس، ثم أنه هجم على طايفة العزب الذين[4] فى سبيل المؤمنين، هو وزين الفقار أبو سعده، تابع أيوب بيك. فتحاربوا حربا اكيدا، وقتل من الفريقين خلق كثير، مع ضرب المدافع من باب مستحفظان، آناء الليل واطراف النهار. فاخلوا العزب سبيل المؤمنين. وهربوا الى بابهم وعين محمد بيك من اتباعه جماعة فى سبيل المؤمنين. واما ما كان من امر

(١) بالاصل «الذى» والتصويب من التحفة، ص٢٧٥.
(٢) كرر اللفظ بالاصل.
(٣)، (٤) بالاصل «الذى» والتصويب من التحفة، ص٢٧٥.

الشيوخ الى ثغر الاسكندرية، وكان للشيخ المذكور عناية بالقسيس داود وكان يتردد اليه [على] الدير الذى كان مقيما به وهذا الراهب هو الذى احضر الكتاب المشار اليه فقيل انه هو الساعى وانه قرر مالا على البطركيه. وكان قصد القسيس داود ان يجعل قمصا فى مصر قبل خروجه الى الثغر لانه كان له رغبة عظيمة فى هذا الامر وما كان يتلتم فيه ولا يتكتم، فاشار جماعة من العقلا ان

الينجشرية. فان الشيخ أحمد الخليفى توجه اليهم. وتكلم مع احمد أوضباشا فى امر الصلح. فقام عليه أحمد اضباشا قومة عظيمة. واسمعه كلاما لا يليق فى حق الشيخ، وما راعى مقامه واهانه. وفى الحال ارسل الى الطبجية يامرهم بضرب المدافع، فضربوهم على حين غفلة. فأنزعج الناس انزعاجا شديدا. ثم ان الشيخ احمد الخليفى قام من عنده حين ما سمع المدافع ضربت ومضى من حيث اتى، وكان السبب فى طلوع الشيخ احمد الخليفى الى باب مستحفظان اخبر ان بعض العلماء (افتوا)[1] لأفرنج أحمد، وكما ان العسكر كانوا فرقتين، كذلك العلماء كانوا فرقتين. وأما اهل القلعة وأهل باب العزب فانهم تركوا بيوتهم. ونزلوا وسكنوا فى المدينة، وتركوا منازلهم خالية. خوفا على انفسهم، وحصل الخوف الشديد لأهل مصر، لكونهم لم يروا شيئا من هذا قبل الآن. ولا سمعوا به، وقفلت اسواقها. وحوانيتها. وخاناتها. ورحل غالب السكان الذين بجوار القلعة، وبقربها الى داخل القاهرة. وكان الأمر كما حسبوه، لأن اكثر البيوت التى بقرب القلعة، وباب العزب. والحطابة، وعرب اليسار، قد هدمتهم المدافع، واحرقته جماعة افرنج احمد بالنار، ولم يصب باب العزب من ضرب المدافع شيء، سوى محل كتخدا العزب فانه انهدم، ومحل آخر من محلات اغات العزب لاغير. ثم

---

(١) بالاصل «انتهوا لافرنج»، والتصويب من التحفة، ص٢٧٦ حيث يذكر صاحب التحفة «والسبب فى ذلك افتا طايفة من العلماء».

هذا ما هو مصلحة وربما افسد ما يريد ان يتم لان السلطان ما رسم الا بتسييره لا غير. واتفق الحال على ذلك ولم يكن بقى فى الكراسى من الاساقفة سوى خمسة: ثلاثة فى الوجه القبلى [هم]: اسقف طحا(*) واسقف ارمنت(*) واسقف اسنى(*) وكان قد عجز وكبر وصار كالميت. وفى الوجه البحرى اثنان [هما]: اسقف مليج وهو كبير الاساقفة يومئذ واسقف دمنهور فاحضر اسقف

(*) طحا: هناك مدينة طحا الأعمدة بمركز سمالوط/ المنيا. يعمل بها ثياب الصوف العالية الجودة. نسبت إلى المعبد المصرى ذى الأعمدة الذى كان قائماً بها.

وأرمنت: اشتقت من اسم الاله منتو. على الضفة الغربية للنيل مركز الأقصر. اشتهرت بنخيلها النادر.

واسنى: هى اسنا مدينة الاله خنوم تقع على غرب النيل بمحافظة قنا. تشتهر بمعابدها المصرية، ولضخامتها كانت مركز لمديرية بأسمها ولكن فى سنة ١٨٨٨م الغيت هذه المديرية.

أن افرنج أحمد توافق مع أيوب بيك على انهم يعينوا عسكرا من الينجشرية، صحبة اغوات الاسباهية الثلاثة وهم: عمر اغا أغت الجراكسة، وأحمد اغة اغت التفكجية، ورضوان آغا اغة الجميلة، يقعدوا احد الاغوات مع ما انضم اليه من العسكر بجامع مرداده بسويقة العزى(١)، ورضوان آغا بجامع قوصون(٢) وعمر اغا بجامع قجماس(٣)، الذى بالدرب(٤) الاحمر، يقطعون الطريق على العزب، ويمنعون الذين يذهبون لهم. واختار افرنج أحمد من الرجال الذين معه فى الباب، من الينجشرية، سبعين رجلا. واعطى كل واحد شريفى طرلى. وامرهم ان يذهبوا الى الاغوات الثلاثة بعد المغرب. فاما رضوان اغا فانه تعلل عن الركوب وقعد. وأما احمد اغا فانه ركب الى المحل المعين اليه، وتحارب مع جماعة الصنجق، ومع جماعة العزب. وأما الذين ذهبوا الى جامع مرذادة، وانتظروا من ياتيهم من الاغوات، فلم ياتهم احد. فملكوا

(١) جامع مرذاده: انشأه الامير سودون زاده الظاهرى برقوق. بسويقة العزى، وظلت شعائره مقامة من اوقاته حتى نهاية القرن التاسع عشر، على مبارك، الخطط، جـ٢، ص١٠٥.

(٢) جامع قوصون: انشأه الامير قوصون سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م. وكان موضعه بجوار حارة المصامدة، خارج باب زويلة، وأوقف عليه الاوقاف، وعطلت شعائره فى نهاية القرن التاسع عشر، انظر: على مبارك، المصدر السابق، جـ٥، ص٨٧ ـ ٨٨.

(٣) جامع قجماس: أنشأه الامير قجماس سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧هـ، ويعرف بجامع أبى حريبة، وكانت شعائره مقامة من أوقافه، وموقعه بالقرب من باب زويلة، على مبارك، المصدر نفسه، جـ٢، ص٩٩.

(٤) بالاصل «بالضرب».

مليج على انه يجعله اقمصا وكان اسقف ارمنت بمصر لانه كان بالمقدس. ووصل وحصل الرهج من جماعة المصريين وكثر القال والقيل الا انه لم يجسر احد ا ن يتظاهر بشئ وكان بمصر بكنيسة بوسرجه رجل راهب يعرف قبل رهبانيته بالسنى ابى المجد بن القسيس ابى الفرج من بيت بن غليل فترهب بدير انطونيوس وعاد منه لما استدعاه السلطان واستخدمه فى ديوان النظر على الديار

ودمنهور: هى قاعدة محافظة البحيرة. واسمها المصرى دمن حور، أى مدينة الإله حور. ولقد ظلت قاعدة لاقليم البحيرة منذ عهد الفراعنة وحتى اليوم.
اما مليج: فهى قرية من المحلة وكانت مركزاً دينياً هاماً بالنسبة لقبط مصر.

الجامع ومنعوا من كان يذهب الى العزب بالفطور والاكل والملبوس. فيخدوه منهم. وهم السبعين رجلا الذين اختارهم افرنج احمد، وارسلهم الى رضوان، فلما لم يركب رضوان، فمكثوا فى مرذادة يغنمون من فطورات العزب. ففى أثناء تلك المدة، نزل رجل أوضباشا عزب، من السلطان حسن، متوجها الى منزله، ليغير حوايجه، فقبضوا عليه جماعة الينجشرية، واخذوا ملبوسه وسلاحه، وارسلوه الى افرنج احمد بالقلعة. فلما بلغ العزب ان طايفة من الينجشرية قاعدة فى مرذاده، ياخذوا كل شيء، طلع الى باب العزب وخبر هذا الاوضباشا أرسلوا جماعة من عندهم الى مرذادة، فدخلوا الى بيت يحيى الشريف فنقبوه، ودخلوا الى بيت عمر كتخدا نعمة الله، وهو كتخدا الوقت يوميذ، فنقبوه، ونقبوا ما جاوره من البيوت، الى أن وصلوا الى منزل مراد كتخدا مستحفظان. فبمجرد ما رأته السبعون المستخبية[1]، فروا هاربين من جامع مرذادة[2]. وفاتوا سجاجيدهم، واحرمتهم، وآلتهم. وأما عمر أغا الذى هو اغة الجراكسة، جلس فى جامع قجماس، وأرسل طايفة من جماعته الى نحو البنانه، وجماعة الى باب زويلة، فحصل لأهل ذلك الخط الفزع الشديد، خصوصا الذى بيته مطل على ذلك المحل فارسلت العزب جماعة يقدمهم صالح جربجى الرزاز، ومن انضم اليه من العسكر، الذين انتقلوا من الينجشرية الى العزب، ففر عمر اغا نحو احمد اغا

(١) بالاصل «المستخبة».

(٢) بالاصل «مجداده».

المصريه واقام سنين وهو راهب ثم انفصل منه [من الديوان] وقعد فى الكنيسة المذكورة لانه كان شماساً بها قبل رهبنيته وكان رجل جليل القدر مسموع القول عند المسلمين لاجل ما اسلفه اليهم من الخير فى ايام تصرفه ولانه كان متنزها ناسكاً، وكان قد صار مثل البطرك وكان الناس يحتكمون اليه وامره نافذ فى الكنايس فى الديارات وممتثل فى الرهبان وغيرهم وحكمه جايل فى الاوقاف وكان

بقوصون. وأما حسن جاويش، تابع القزدغلى، فانه نزل فى الميدان، وحسن جاويش جلبى بجامع اصلان، وانتشرت طوايفهم، فحصل للناس بعض اطمينان، واطمأن السكان، وأصحاب الحوانيت. وأما عمر آغا فانه لما فر الى أحمد اغا بقوصون ارسله الى جامع المؤيد داخل باب زويلة الى ان حضرت له تذكرة من محمد بيك، حاكم جرجة. يأمره بالحضور الى بيت محمد بيك بالصليبة. فبمجرد قيام احمد آغا، واذا بجماعة المتفرقة، أتوا محله. وعملوا متاريس على رأس عطفة الحطب، ومكثوا أيام قلايل. ثم أتى على كتخدا الداوودى بجماعته وتملكوا ذلك المحل، وجلسوا فيه، غير ان طايفة من المتفرقة والاسباهية هجموا على بيت قرا اسماعيل، كتخدا مستحفظان، فدخلوا من بيت مصطفى بيك. بتاع النقيب. وخرقوا الحايط التى بين اسماعيل كتخدا مستحفظان وبينه فلما وصل الخبر الى العزب عينوا بيرقا من العزب، واقاموا عليه احمد[1] جربجى، تابع ظالم على استدار بابه، فلم يمكنهم الدخول الى البيت من الباب. فخرقوا دكان السروجى الى تجاه جامع السايس[2]، التى بجوار باب الضرب، وتوصلوا منه الى بيت احمد افندى، كاتب صغير الجراكسة، ثم نقبوا منه الى منزل اسماعيل

(١) الاضافة لتوضيح المعنى، من التحفة، ص٢٧٩.

(٢) جامع السايس: يعرف بجامع الجانى، وكان قديما يعرف بمدرسة الجانى، خارج باب زويلة، بالقرب من قلعة الجبل، وظلت شعائره مقامة حتى نهاية القرن التاسع عشر، من ربع أوقافه، على مبارك، المصدر نفسه، جـ٢، ص١٠٥.

قد سعى فى عمارة كثير من الكنايس وثمر [زرعها بالثمار] اوقافها. فعظم عليه هذا الامر واغتاظ منه غيظاً عظيما وصار يتوهم فى كل من يعرفه ومن يقرب منه ويظن ان له باطنا فى تقدمة داود والامر بضد ذلك حتى وصل من حرجه الى انه صار يسب ويشتم ويتكلم بما لا يليق بعلمانى عاقل ان يتكلم به لاسيما شيخ راهب مثله. وكان هو قد اعاد الحديث فى معنى أبى البدر بن الموتمن الذى

كتخدا، ودخلوا عليهم، فوجدوهم مشغولين فى النهب فهجموا عليهم هجمة واحدة فاذاقوهم الموت الاحمر، فارموا ما بايديهم من النهب، وفروا الى محل دخلوا منه، وهو منزل مصطفى بيك، فتتبعوهم وتقاتلوا هم واياهم، فكانت الدايرة على المتفرقة والاسباهية. فنهبت العزب منزل مصطفى بيك، لكونه مكن من دخول طايفة افرنج أحمد، ولكونه كان معاديا لايوب بيك، ولكونه طالبا للدفتردارية، اذا قتلوا قيطاز بيك.

ثم أن أحمد جربجى المذكور انتقل الى جامع قوصون بمن معه من العسكر، وتحصن فيه. واما محمد بيك حاكم جرجة، فى كل يوم يمر من هناك عند المساء والصباح الى منزله الذى بالصليبة، وبجواره منزل محمد اغا، اغة المتفرقة. فانتقل أحمد جربجى المذكور من جامع قوصون الى جامع الماس[1]، فتمكن منه، وبقى مقاصدا لبيت محمد آغا، ومحمد بيك حاكم جرجة. فانتهز أحمد جربجى الفرصة هو وأعوانه، وهو انه وجد منزل محمد كتخدا البيرقدار مفتوحا، فتمكن منه وكمن فيه هو واعوانه، لقتل محمد بيك اذا مر به. فبينما هو مار، واذا بالرصاص قد اخذه وهو خارج من عطفة الحمام، يريد الصليبة، فمات من جماعته أربعة أنفار.

(١) جامع الماس: انشأه الامير سيف الدين الماس الحاجب، احد مماليك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧٣٠/١٣٣٠م، وكانت شعائره مقامة من ريع أوقافه وموقعه بشارع الحلمية، على مبارك، المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٩.

تقدم ذكره وكتب مدرجاً ياخذ فيه خطوط الجماعة بما يقوم به كل واحد مساعدة فى اقامة البطرك لانه علم انه بعد ان وصلت الامور الى هذه الغاية ما يقوم البطرك لا بشئ. ووافقه على ذلك جماعة واكثرهم كتبوا خطوطهم بما تيسر لهم وفيهم من كان فى وقت الحقيقة يضاعف ما كان كتب به خطه. وكان هذا الامر داعياً لداود ولاصحابه الى تجديد الحديث وتجريده والمسابقة وبذل الجملة

واذا بمحمد بيك وقف ينظر الرصاص، من أى جهة أتاه، فاذا به قد أتاه من علو بيت البيرقدار. فأمر أعوانه أن يحرقوا البيت، فحرقوه فى الوقت. فدخل هو وجماعته الى المنزل فنهبوه. وفرت الطايفة التى كانت علو البيت، الى منزل حسين كتخدا الخريدلى، الذى تجاه جامع الماس، ثم أن النار مازالت ترعى الى أن أكلت تلك الجهات، وبيت أمامه الذى تجاه بيت البيرقدار، وأحرقت الربوعة التى هناك، والحوانيت الى أن وصلت الى المظفر، فأفسدت ما فيها من الأمتعة، والتى لم يحترق نهبته تلك الطموش التى صحبته. وخرجت المخدرات، حاسرات، مكشفات الوجوه، لا يمون على أنفسهم على ما جرى عليهم. وأما طرق القاهرة فانها تعطلت عن المرور منها، لقلة الأمن، ووقوع القتل والبغى، وصار كل مفعول جايز، على الخصوص طرق بولاق ومصر القديمة والقرافة، وبطلت الاشاير، الذين يزورون الامام، وأبو السعود، ومنعت الزيارة ليلا ونهارا مدة قتالهم، لكون أن أيوب بيك أرسل أحضر [الشيخ] حبيب، وجميع مفاسيده، مستعين[1] بهم على محاربة أعدايه، وطايفة من العرب الهوارية الذين حضروا صحبة محمد بيك، فصاروا يسلبون الناس ويقتلوهم، وأحاطوا باطراف القاهرة، واستاقوا جمال السقايين، حتى كانت أهل القاهرة يموتون عطشا. وأرسل أبو شنب اتى بالسلالة والهنادى عرب البحيرة. وصارت العسكر فرقتين، حتى العلماء والجعيدية والنساء فى

(١) بالاصل «مستعن» والتصويب من التحفة، ص٢٨٠.

الكثيرة والنقدة المعجلة المميزة. وكان ممن وافقه على ابن المؤتمن ورفض داود بالكلية الشيخ نش الخلافة بو الفتوح والحكيم الرشيد بو الوحش بن الفارس. فلما جرى لداود ما جرى اتهما بان لهما باطنا معه كما اتهم غيرهما حتى ان الشيخ بو الفتوح طلع اليه يوم ميلاد يوحنا المعمدان ثلثين من بوونه(*) ليفتقده فجرى عليه منه من السفه والشتم والقذف بالقبايح التى لا يستحسن الانسان

(*) ٣٠ بؤنه الاحتفال بيوم ميلاد يوحنا المعمدان = ٢٤ يونيو.

البيوت كذلك فرقتين. وايواظ بيك، أمير الحاج، وقيطاز بيك، الدفتردار، وأبو شنب، ومحمد بيك الصغير، بتاع[1] قيطاز، ومحمود بيك، وعثمان بيك بارم ديله، وقانصوه بيك، وبلكات الاسباهية الثلاثة، والجاوشية، والعزب، والستماية نفر التى جاءت العزب من الينجشرية بكواخيها، وجربجيتها، وجاوشيتها، وافنديتها، واضباشيتها، هؤلاء فرقة واحدة.

وأيوب بيك، ومحمد بيك، حاكم جرجة، وأغوات الاسباهية الثلاثة، رضوان آغا، وأحمد اغة آغة المتفرقة، وسليمان أغا، كتخدا الجاوشية وصحبته بعض أنفار، وشاهين جربجى الشركسى. هم وجماعته الطبالة، والينجشرية الذين فى القلعة، وأفرنج أحمد أوضباشا، والباشا، والقاضى، ونقيب الاشراف. هؤلاء فرقة واحدة. ثم أن الينجشرية لما رأت جميع الدولة صارت من ذلك الطرف، قفلوا أبواب القلعة جميعا الا باب الجبل، فان افرنج أحمد، قعد فيه أحمد أو ضباشا قرا جهنم، باربعين نفر، وامتنع الناس من الصعود الى القلعة، ومن النزول منها، الا من باب الجبل الذى هو باب المطبخ. واستمر افرنج أحمد يضرب بالمدافع على باب العزب ليلا ونهارا.

ولقد اخبرنى من أثق به غير الواحد بعد ما انقضت القضية: ان الذى ضرب على باب العزب من المدافع أحد عشر ألف مدفع وستماية. ولقد أصابت كثيرا من قارب [اقترب من]

(١) بالاصل «متاع».

ان يخطرها بباله فضلا عن ان ينطق بها وكان ذلك بمحضر من جماعة قسوس وغيرهم. وكان مطلع كلامه معه ان قال له هذا مسيلمة الكذاب ثم خرج من ذلك الى ما لا يتسع ذكره. وهذا مسيلمة فهو رجل يزعم المسلمون انه رجل ادعى النبوه بعد نبيهم وظهر كذبه الا ان الشيخ ابا الفتوح لزم لفظه [حفظ لسانه] اكثر من الراهب. وبعد ذلك ما انفصلا حتى اصطلحا وضرب كل

باب العزب، وسوق السلاح، الى ان جاءت بعض الجلل الى بيت ابراهيم أفندى؛ كبير مستحفظان، ووقعت فى در قاعة القاعة التى للحريم، وفرت النساء هاربة من الفزع. وقد كان العزب رتبوا لجماعتهم جوامك، تفرق عليهم كل يوم، لكل واحد نصف ريال، يدورون فى اطراف الباب خوفا من أن تكبسهم الانكشارية، خلاف مصارفهم، واكلهم وشربهم.

فلما طال الأمر على العسكر، والصناجق القاسمية ومن والاهم من الفقارية. من كثرة المصاريف والجوامك. التى كانت تصرف فى الثمانية، والامراء والصناجق، فى كل يوم أربعة أكياس، خلاف الاغداقات التى كانت تأتيهم، وخلاف البن الذى كان يأتيهم من الشرايبى والتجار، اجتمعوا فى جامع بشتك[1] الذى بدرب الجماميز، أن يولوا من طرفهم قايم مقام، ويعزلوا الباشا، ووافقهم جماعة من العلماء، وافتوهم بعزل الباشا فنصبوا لهم قانصوه بيك، ونصبوا لبلوكات الأسباهية، وللجاوشية والمتفرقة، خمس أغوات، للجملية صالح آغا، وللتفجية زين الفقار وللجراكسة: مصطفى آغا بلفية، وللمتفرقة: عبدالرحمن آغا، وللجاوشية: اسماعيل آغا، كتخدا ايواظ بيك، وحسين آغا واليا، زعيم مصر سابقا، الذى كان عزله الباشا وولى محله عبدالله الوالى. فلما احكموا أمرهم، وبلغ الخبر الى خليل باشا، والقاضى ، وأيوب

---

(١) جامع بشتك: يقع بدرب الجماميز بالصليبة، وظلت شعائره مقامة، من ريع أوقافه حتى نهاية القرن التاسع عشر، على مبارك، المصدر نفسه، جـ٣ ص١٠.

منهما الاخر المطانوه واما القسيس داود [ابن لقلق] فانه توجه الى الاسكندريه في يوم الخميس الثالث من بوونه(*) ومعه اسقف مليج فاما ا سقف ارمنت فاعتذر بالمرض ولم يخرج لانه خشي ان لا يتم له شي. ووصل القسيس داود الى اسكندريه يوم الاثنين السابع عشر من بوونه(*) واجتمع بالسلطان عز نصره في يوم الثلثا على موضع يعرف ببوقير وتقررت له البطركيه وقام بالف دينار وحملها الى الخزانه معجلة ولم تكن معه وانما دبرها بقرض

(*) ٣ بؤنه = ٢٨ مايو

(*) ١٧ بؤنه = ١١ مايو.

(*) تقرير البطريركية لداود ابن لقلق.

بيك، وافرنج أحمد، كتب الباشا فرمانا، خطابا[1] لايوب، وللاغوات الخمسة، وللعسكر، ان يحاربوا الصناجق القاسمية، وكل من انتمى لهم، لكونهم أنهم خرجوا عن طاعة السلطان، وصاروا بغاة خارجين على نايب السلطان. ثم ان الباشا توافق مع أفرنج أحمد، أنه يكتب ثمانماية نفر عسكرية جديدة، يقال لهم سردن كجدى[2]، وأن يعطى لكل واحد منهم خمسة أحمر، وخمس عتامنة جامكية ترقي، وأن يجعلوا لكل مية، بيرقا وجربجى سردار، يقال له اغا السردن كجدى[3].

فكتبوهم وتم امرهم، ثم أن أفرنج أحمد تواعد مع محمد بيك، حاكم جرجة، أن يهجم على العزب، من طريق باب قراميدان، هذا ما دبروه الاثنان من غير ثالث بينهما. وأما العزب فانهم وصلهم هذا التدبير بعينه، فاستعدوا لهم، ومكثوا قريبا من الباب المذكور، وكانوا قد أعدوا لهم مكرا. وهو أنهم أخذوا من حطب القرطم شيئا كثيرا. ودهنوه بالزيت والنفط والكبريت. فلما تكاملت العسكر جميعا بعد العشاء الاخيرة هجم محمد بيك على الباب.

---

(١) بالاصل «خطاب».

(٢)، (٣) بالاصل «السردنة خيشتي» ذكرها الجبرتي، جـ١ ص ١٦٨ سردن كجدى، أى لواء فرقة الفدائيين في الجيش العثماني، وهي فرقة تتغلغل في صفوف العدو وتقتحم القلاع المحاصرة. وهذا الاسم أصله جملة فعلية معناها «تجاوز عن رأسه» وقد صارت هذه الجملة التى أسند فعلها للمفرد الغائب علماً على فرقة الفدائيين. انظر الجبرتي، جـ١ ص٢١٤ هامش ٢٥٩..

وغيـره وكتب خطه بألفى دينار اخـرتين [مـؤجلة الى شهرين. وقدم اقمصا(*) فى يوم السبت الثانى والعشـرين من بوونه(*) بكنيسة بوشنوده المعروفه بكنيسة السباع خارج البلد وكمل فى يوم الاحد بطريكا بكنيسة السوتير. وسير اليه السلطان خلعة حسنة وهى ثوب عتابى ازرق بطراز ذهب وبعيـار ذهب وطرحه.وحكى الحاضر انه كان يوماً مشهوداً وان اكـثر غلمان السلطان وخدامه كانوا حاضرين

(*) اقمصا: جمع قص Hegoumenos

(*) ٢٢ بؤنه = ١٦ يونيو.

- -

فاوقد العزب النار فى الحطب المدهون. وأرموه عليهم. فصار قراميدان كالنهار. ثم ضربوهم بالبندق. ففروا. فصار كل من ظهر ضربوه، فقتلوا منهم خلقا كثيرا. فولوا منهزمين. وانعكس مرامهم. ثم أن قانصوه صار يقطع ببرديات ويرسلها الى الذين من طرف الانكشارية، ومن جملة ما أرسل، فرمان الى محمد بيك، حاكم جرجة يأمره بالتوجه الى ولايته، وله الأمان على نفسه وماله، فلما وصل اليه الفرمان، قام وقعد، وأرغاى، وازبد، وقال: وصل من قدره أن يخاطبنى بهذا الكلام. فلما وصل الخبر الى قايم مقام بالذى قاله محمد بيك، ففى الحال قطع فرمانا الى حسن اغا الوالى، المولى من طرفه، أن يذهب الى بيت الوالى ويملكه، ويقعد فيه، فتوجه الوالى وصحبته فرقة من العزب، فلما وصلوا الى بيت الوالى هرب عبدالله الوالى.

وأما العزب، فانهم نزلوا على بيت عبدالله الوالى لينهبوه، فمنعهم جماعة سليمان أغا، كتخدا الجاوشية، وضربوهم بالبندق، فولوا صاغرين، وقتل منهم ثلاثة أنفار، وعادوا مشتتين. ثم أن حسن الوالى توجه الى بيت غيطاس. ثم أن الباشا لما طال الامر عليه من المحاصرة، أرسل الى غيطاس بيك، وابراهيم بيك، وايواظ بيك، يطلبهم الى الديوان، ليتشاوروا مع الانكشارية. فلما وصل اليهم الاغا المعين، وقرأ عليهم الفرمان. اجابوا بالسمع والطاعة. وقالوا: انا مطيعين لولى نعمتنا. ولى الامر ونايبه، غير أننا نخشى على أنفسنا الهلاك، لكون الانكشارية ملكوا علينا الطرق، ورتبوا علينا المدافع، ولولا ذلك لاتينا الى حضرة الوزير ونحن صاغرين.

وانه كـان مـجـداً لـم ير مـثله من زمـان. وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من بـوونه(*) ركـب[ابن لقلق] وخـرج الى دار ابن السكرى التـى فـيـهـا راس مـرقس الانجـيلى، وقـيل انهـا راس بطرس بـارومـرتيـرس(*) لان راس الرسـول الانجـيلـى كـانت مع جسـده لما نقله الروم(*) الى البندقـيـه، فـاخـرج له عـلى العـاده. وكـان لـهـذا الـراس مـا اخـرج ثمـا وين سـنـه مـدة مـقـام انبـا

(*) ٢٤ بؤنه = ١٨ يونيو.
(*) هـذا القـديس هـو تـاج الشـهـداء بطرك الاسكندرية مـا بين ٣٠٠ إلى ٣١١م.
(*) نقلت جثـة وراس مـرقص الانجيلى الى فينسيـا «البندقيـة» من اسكندرية على يد تاجرين من فينسيا= = أحـدهـمـا يدعى : Buono di Malamoceo والثـانى Rusticodi Torcello فى عام ٨٢٨م.

فلمـا أيس البـاشا منهـم، ومن دخـولهـم تحت الطاعـة، اتفق مع أيوب، ومن أنضم اليـه من العسكر، على محاربة الصناجق، وأن يبرزوا الى المحاربة خارج القاهرة. فلما كان يوم الاحد ١٢ ربـيـع أول(*) أرسـل(١) أيوب بيك خيل [فرسان] حبيب، ليأخذوا جمال السقايين وحميرهم، فنزلت العرب فى صبيحة ذلك اليوم الى الاربع جهات التى تنزل منها جمال السقايين، وأخذوا جميع الجمال والحمير، فعز الماء وعطشت أهل القاهرة. ومن جملتها أخذوا لى جملا، ولم يأت الى يومنا هذا. ووصلت القربة الماء من الصهريج خمسة أنصاف. ولما اخذوا الجمال ساروا بها الى نحو قصر العينى، لأن محمد بيك جعل المقابلة هناك فى القتال. ثم أن الخبر وصل الى قيطاز بيك، بان محمد بيك أخذ جمال السقايين وحميرهم نحو قصر العينى. قام ايواظ بيك، وقانصوة بيك، قايم مقام، جماعة من العسكر، أن يركبوا الى جهة قصر العينى، ويستخلصوا الجمال ممن نهبهم، فذهبوا وجلسوا فى المصاطب [مصاطب النشاب] التى بقرب القصر ينتظرون احدا يمر عليهم بالجمال، فلما وصل الخبر الى محمد بيك بمجيئهم ومكثهم عند المصاطب أرسال عمر عبدالقادر بهوارته، فهجموا عليهم على حين غفلة، وكان البعض جواده قدامه، وبعضهم أخذها السياسة، وابعدوا عنهم من الدخان، فاخذتهم الدهشة، فالذى جواده بين يديه ركب وفر، والذى جواده مع السايس، ركب السايس

(*) ١١ مايو ١٧١٠م.
(١) الاضافة لتوضيح المعنى من التحفة، ص٢٨٣، الجبرتى جـ١، ص١٦٩.

يوحنا(*) نيح الله نفسه ثمانى وعشرين سنة ومدة التعطيل بعده فى الزور والفرق والبدع عشرين سنة. ووضع فى حجرة وكساه كسوة جديدة على جارى العاده. واقام البطرك المذكور بالاسكندرية مدة ثم خرج منها الى دير بومقار وكرز فيه قسوسا وشمامسة ورتب فيه تراتيب واقام فى كل دير يوماً ويومين ثم جآء الى دير نهيا(*) فى يوم الخميس الثانى عشر من

(*) تولى البطركيه ما بين عامى ١١٨٩ و ١٢١٦م.

(*) نهيا: من المدن القديمة، كانت مركزاً لعبادة الإله هاتور. كان هذا الدير عامراً حتى أيام الحملة الفرنسية على مصر وله اوقاف وغيطان واسعة على ضفة النيل الغربية قرب امبابه. وكان مزاراً لكل ولاة مصر وسلاطينها للتمتع بجمال مناظره. اما دير الشمع فيقع داخل الحصن الرومانى بمارجرس وحوله عدة كنايس هى:انبا شنوده التى احترقت وأعيد بناؤها سنة ١٨٧٠م، مارجرجس، السيدة العدرا بالمعلقة، السيدة العدرا بقصرية الريحان، الست

وفر، وخلى سيده قتل. فجمع محمد بيك رءوس المقتولين، وأرسلها الى الباشا، وكان جملا محملا، فحصل عند الباشا بتلك الفعلة سرور زايد، وأعطى من أتاه بالرءوس كمشة من الذهب نحو المابة. فلما رجع المنهزمون(١) الى الصناجق، وأخبروهم بتلك الفعلة، لم يسهل عليهم ذلك الامر، واتفقوا على المبارزة والحرب فى غد. فلما كان ثانى يوم، وهو يوم الاثنين رابع عشر ربيع الثانى سنة ١١٢٣(٢)، خرج الفريقان الى قصر العينى، والى الرملة، التى بين القصر وبين الروضة، وتقابل الفريقان، وتحاربوا وتقاتلوا قتالا عظيما لا يتفق مثله فيما بين الكفار، الذين(٣) على الضلال، وتجندلت فيها الرجال، وقتل من الفريقين نحو الاربعماية نفس من الجند، وأما من الخدم والعرب لا تسأل فانها رممت، وأن محمد بيك، حاكم جرجة، وأحمد أغا متفرقة، وعمر بن عبدالقادر، سووا الاهوال فى العسكر، فبينما هم كذلك فى المعركة، اذا ورد على فرقة القاسمية خبر موت أيواظ بيك أمير الحاج، فذهبوا يتسارعون فى طلبه، فوجدوه مقتولا، مقطوع الراس بين الروضة والسواقى فى الرملة وكان القاتل له عمر بن عبدالقادر، فاخذوا رأسه، وأحضروها بين يدى الباشا، وكان يوم سرور عند الباشا، وأعطى للذى جاء(٤) بالرأس، كيسا(٥) من الدراهم، وفرق اموالا لها صورة، ورجع(٦) الفريقان الى منازلهم، وتركوا

(١) بالاصل «رجعت المنهزمين» التصويب من التحفة ص٢٨٤.
(٢) ١ يونية ١٧١١م.   (٣) بالاصل «الذى».
(٤) بالاصل «للذى جاواه».   (٥) بالاصل «كيس».   (٦) بالاصل «ورجعت».

ابيب[٦ يوليو] ثم وصل الى دير الشمع(*) فى يوم الجمعه ثانيه وقدس فيه، وجاء يوم السبت الى كنيسة ميكائيل راس الخليج بمصر، وفيها لقيته انا الحقير(*) وسلمت عليه واخذت بركته واقام بالكنيسة المذكور ذلك النهار وبات بها. واهتم به اهل الكنيسه المذكورة اهتماماً حسناً وهم كلهم من اهل البهنسا(*). واصبح يوم الاحد ركب من الكنيسة المقدم ذكرها وحضر اليه من القاهرة

بربارة. وبعض هذه الكنايس احدث من بعضها، كما طرأ على معظمها تغييرات كثيرة بسبب ما تعرضت له من هدم وحرق فى بعض السنين.

(*) مؤلف هذه السيره هو يوحنا بن وهب ابن يوحنا بن بولس احد المقربين الى داود بن لقلق أما كاتبها وجامعها فهو علم الملك ابن الحاج شمس الرياسات.

(*) البهنسا: كان اسمها القبطى Pemdjé وحرفا dj فى اللغة القبطية ينطقان سينا أو صادا، فقال بمسيه، ومنها اسمها الحالى بهنسه ثم أضيف إليه أداة التعريف الوافدة فصارت

القتال والقتلى فى مصارعهم سوى أيواظ باى فان اتباعه اخذته، ثم بعد ذلك أرسلت جماعة القاسمية الى أيوب بيك أن يحسن لهم فى ارسال الرأس ليدفنوها مع الجثة فأرسل أيوب بيك الى الباشا يطلب الرأس، فأرسلها له عظما لأنه سلخها ليرسلها الى السلطان، فلما وصلت اليهم غسلوها وكفنوها ودفنوها مع جسدها، فى المسجد الذى تجاه غيط الطواشى، بقرب البيدق، وعملوا له تاريخا لموته، وهو هذا: مات رأس القاسمية. ثم أنهم قعدوا عن الحرب ثلاثة أيام، ثم ان جماعة أوشت الى قيطاز بيك، فى (حق)(١) كتخدا ابراهيم، انه موالس(٢). مع أيوب بيك، وأنه يخبره بجميع ما يقع فى مجلسك، فارسل له حسن أغا، الوالى، وخزنداره، فدخلوا عليه فى بيته، فوجدوه جالسا على دكته، فضربوه، فقتلوه، ولم يأخذوا من البيت شيئا. وأما أيوب بيك فانه حصن منزله بالمدافع من جهاته الاربع، وحشره بالعسكر، وكان قد جاءه خبر بأن قيطاز بيك ناوى يكبس عليك فى بيتك. ثم اقتضى أمره بأنه أولا يحاربهم برا، فاذا ضعفت العسكر يهجموا عليه فى بيته فيقتلوه، وينهبوا البيت وان اهتمامهم أولا بالمحاربة لاجل تفريق هذه العساكر المجتمعة، فاذا تفرقوا عزموا على ما أرادوه من محاصرة المنزل. فتهيا الفريقان الى المحاربة، وأرسل افرنج أحمد عسكرا تقوية الى أيوب بيك، وعليهم سردارا وبيرقا، وكذلك العزب ارسلت تقوية الى منزل قيطاز بيك، وقانصوة، وخرج الفريقان الى المحاربة

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) بالاصل «موانس» التصويب من التحفة.

البهنسا. اشتهرت قديماً بصنع الستور والعبايات الكتان الرفيع من مزارع بوصير، وهى واقعة على الضفة الغربية من خليج المنهى (بحر يوسف) بمركز بنى مزار/ محافظة المنيا.

ومصر وما حولها امم لا تحصى واجتمع من الامم الغربية المسلمون واليهود خلق عظيم حتى كانوا ممتدين ملء الطريق وعلى الدكاكين والفرج [الميادين والساحات] والاسطحة من [كنيسة] ميكائيل الى [الكنيسه] المعلقة ورفعت الصلبان قدامه على العيدان والاناجيل فى ثنى الابرسفارنيات(*). وكان الشمامسه والكهنة يجتمعون احزاباً احزاباً خمسين خمسين واكثر من

(*)الابرسفارينات: حوافظ مبطنة بالحرير يحفظ داخلها الاناجيل.

وذلك يوم السبت ١٩ تاسع عشر ربيع الثانى[1]. وخرج أيوب بك من باب داره، الذى هو باب السر، المتوصل منه الى زين العباد[2]، فرأى بيرقا من العزب، مع طايفة من الجند، ولم يعلم هم من أى الفريقين، فسألهم: من أين اقبلتهم، فقال البيرقدار ولم يعرف أنه أيوب بيك، لأنه[3] كان لابسا قاووقا من غير شاش، فقال: من باب العزب. فلما سمع أيوب أنه من باب العزب، هجم عليه، وأخذ البيرق من يده، وقتله، وقتل جميع من كان معه من العزب. ثم انفصل الحرب، ورجع الفريقان الى منازلهم. وأن النغص واقع فى العزب لأن مع محمد بيك هوارة، صحبته عمر عبدالقار، وحبيب وعرب الجزيرة، وجميع خيلهم.

فلما رأت العزب تطاول الأمر، وعدم التوصل الى القلعة، وامتناع من فيها، وضرب المدافع عليهم ليلا ونهار، لا يفتروا أبدا ولا طرفة عين، اجمع أمرهم، بل رأيهم، على أنهم يولوا كيخية عندهم تحت، ويجلسوه فى بيت الوالى، ويرسلوا له بيرقا بجماعة من العزب، وينادوا له فى أسواق القاهرة، وفى شوارعها، أن كل من كان له عثامنة بدفتر الانكشارية، فليأت الى باب الوالى، عند كتخدا مستحفظان مع[4] بيرق أوجاقه. فاستصوبوا[5] جميعهم ذلك الرأى، فأحضروا[6] حسن جاويش الجلب، وكانت نوبة الكيخوية له بعد عمر كتخدا نعمة الله المولى

(١) ٦ يونية ١٧١١م.
(٢) المقصود «زين العابدين»، حاليا أحد، احياء قسم السيدة زينب.
(٣) بالاصل «أنه».
(٤) بالاصل كلمة «اوجاق» حذفت ليستقيم المعنى.
(٥) بالاصل «استصوب» والتصويب من التحفة، ص٢٨٦.
(٦) بالاصل «فاحظروا».

ذلك واقبل يقراون قدامه المدايح والتسابيح والاراخنه ركاب البغال والخيل قدامه ونايب والى مصر واكثر اصحابه قدامه معهم وجآت طبول وبوقات وشبابه [من الآلات الموسيقيه المصرية] ضربن قدامه. وكان قدام [البطرك] زهآ ماية شمعه موقوده واكثر، وكان يوماً ما شهد [مشهوداً] وما روى في جيلنا مثله. ولما جآء [البطرك] ما عبروا به من الخراب على الزقوقين بل جاوا به على دار

ذلك الوقت. وأرسل قانصوه بيك، قايم مقام، فرمانا الى المقابلة، باخراج حسن جاويش جلب من بلك العزب، الى بلك الانكشارية كما كان أولا، ثم ألبسه قايم مقام قفطان الكيخوية، يوم الاربع ثالث عشرين[1] ربيع الثانى سنة ١١٢٣[2]، وركب بالقفطان من بيت قايم مقام، والوالى يقدمه، والبيرق والعسكر خلفه بالسلاح مشاة، والمنادى ينادى أمامه: معاشر الناس. من كان انكشارى فلياتى البوابة، تحت البيرق، ومن خالف ولم يأت بعد ثلاثة أيام، نهبت داره، ثم عاد وجلس فى البوابة، واركز البيرق عندما يجلس الجريجى، ثم ارسل الى أوضاباشة البوابة المتولى اذ ذاك بها، واجلسوه بالباب، وصار يدور البلد بطايفته على العادة، وأتت له أكثر الناس، من الاصاغر والاكابر من الانكشارية الذين لم طلعوا القلعة وقاتلوا حسن كتخدا الجلب. وفى يوم الخميس هجمت الانكشارية من بابهم بالبيرق الى البدرم[3] الى باب العزب، وصحبتهم محمد بيك الكبير وكتخدا الباشا، وأفرنج أحمد، فبمجرد ما نزل أولهم من البدروم، كان العزب قد اعدوا فى الزاوية التى تحت القصر التى لصلاح الدين يوسف مدفعين ملانين بالرش، والفلوس الجدد، وقطع القزاز، فبمجرد ما راوا الانكشارية هجمت عليهم،

(١) بالاصل «ثالث ثالث عشر» حذفت كلمة «ثالث» المكررة والتصويب من التحفة، ص٢٨٦.
(٢) ١٠ يونية ١٧١١م.
(٣) البدرم: تحريف للكلمة التركية «بدروم» وتعنى الطابق الذى تحت مستوى الأرض أسفل المنزل، ولا تزال مستعملة فى مصر، حتى الان بهذا المعنى.

وكالة دارالملك وسير به من راس السوق الكبير الى القلعة. وطلع اليها فى يوم الاحد الحادى والعشرين من ابيب [١٥ يوليو] المقدم ذكره وكرز بها. وطلع الى السنترانس وقرى الانجيل المعروف للبطاركة وهو الذى فيه انا هو الراعى الصالح. وهو من يوحنا، وفسرته انا الخاطى عليه. وكان من الايام المشهورة المشهودة. ثم من بعد ذلك اجتمع جماعة من المسلمين وانكروا ما عمل واستبشعوا

ضربوا المدفعين عليهم، فوقع منهم البيرقدار، وثمانية أنفار منهم، وولى الباقون منهزمين، يطأ بعضهم بعضا، فأخذت العزب رءوس التسعة أنفسار، وأرسلوها الى قايم مقام، فارسلها قايم مقام الى باب العزب، ثم أن (باب)[1] العزب أرسلها الى كتخدا مستحفظان، بباب الوالى، فوضعها على دكان الصراف الذى على كتف باب زويلة. ثم أن الصناجق، وقايم مقام، والاغوات، اتفق رأيهم على أنهم يلبسوا على أغا، أغة، على طايفة الانكشارية، لهيبته وخوف الناس منه. فلما أرسلوا له، أبى أن يقبل الاغاوية، وتحول من منزله، الى منزل سيده الذى بالجودرية. فعند ذلك ركب محمد بيك الصغير، تابع قيطاز بيك، وعثمان بيك بارم ديله، ويوسف جربجى الجزار، وصحبتهم مايه خيال غير المشاة، وذهبوا الى بيت على أغا، فلم يجدوه، فاخبرهم اتباعه بالمحل الذى هو فيه، فارسلوا له فامتنع وأبا أن يحضر لهم، فاظهروا له (أنه)[2] أن لم يحضر والا لم يامن على نفسه وماله. ثم أنهم أرسلوا الى البوابة. يطلبوا من كتخدا الوقت، حسن كتخدا، ستين نفرا مسلحة من الذين عنده، فأرسل لهم ما طلبوه. فلما أخبر على آغا بما حصل، ركب واتى اليهم، ووافقهم على مرادهم. ثم أنهم أخذوه وتوجهوا صحبته الى قايم مقام [فى] ٢٥ ربيع الثانى[3]، وعاد الى منزله بالقفطان، تقدمه العسكر مشاة

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) الاضافة من التحفة، ص٢٨٧، لتوضيح المعنى.
(٣) ١٢ يونية ١٧١١م.

حمل الصلبان على رووس الاشهاد وسط النهار في الاسواق وتحدثوا في [ذلك] واكثروا وحملوا رجلا فقيهاً متميزا يعرف بعوض البوشي على ان كتب رقعة الى السلطان فشكوا فيها ماجرى، فوقع مولانا السلطان عليها الى والى مصر بان يحضر البطرك ويوقفه على مضمون الرقعة ويتقدم اليه ان لا يتعدى على الشريعة ويعود الى مكانه ففعل الوالي ذلك واحضره. وكان عنده رجلا معلم كان

بالسلاح. والملازمين مهليين بلفظ الجلالة، كما هو عادتهم في المواكب. وفي ثاني يوم عين قايم مقام بمعرفة حسن كتخدا، عسكرا الى بولاق، وصحبتهم أحمد جربجى، يجلسوه في التكية. ووالى الى بولاق، وآغا من المتفرقة عوضا عن آغة الرسالة، التى بها من طرف خليل باشا. فجلسوه في مرتبته، ونهبوا جميع ما كان وجدوه لاغة الرسالة.

وفي يوم السبت ٢٧ ربيع الثاني[١] خرج الفريقان من العسكرين الى خارج القاهرة من باب قناطر السباع، (واجتمعوا بين القصر العيني[٢] والروضة)، وكل منهما بطايفته وأعوانه، ومعهم البندق والمدافع وآلات الحرب. فتقاتل الفريقان قتالا تعجز عنه الألسن، من بكرة النهار الى بعد العصر، وقتل من الفريقين من دنا أجله. هذا وأيوب بيك، ومحمد بيك، في قصر العيني يضربون بالرصاص على طايفة القاسمية. فلما كان بعد العصر، ورجعت الطايفتان من محل المعركة، ورجعت الصناجق ومن معهم الى داخل البلد فتأخرت طايفة العزب ببيرقهم، فلما رآهم محمد بيك الكبير، أتاهم وأحاط بهم وحاصرهم فلما بلغ الخبر الى قايم مقام، أرسل محمد بيك، وعثمان بيك، ويوسف جربجى الجزار، والعسكر صحبتهم، فتقاتلوا مع محمد بيك الكبير، فهزموه الى قنطرة السد، وقد كان أيوب بيك جالسا داخل القصر، فلما رأى الحرب والجدال، ركب جواده وفر هاربا نحو منزله، فبلغ يوسف جربجى الجزار أن أيوب

(١) ١٤ يونية ١٧١١م.

(٢) الاضافة لتوضيح المعنى.

في مسجد من المساجد التى فى الطريق التى عبر عليها البطرك وكان قد لبى وغوث وشعث وقام الصبيان الى عنده بالالواح(*) التى بايديهم وفيها القران ليستجيشوا ويستثيروا الشر فلم يوثر ذلك لان العالم كان عظيما ومهابة السلطنة شديدة لا سيما ونايب الوالى وغلمانه قدام البطرك. فلما حضر البطرك عند الوالى كلمه المعلم المذكور وقال: انت رفعت الصلبان وفعلت وصنعت. فقال [البطرك]: ما علمت شيأ مما صنع وكنت محمولا

(*) الالواح: جمع لوح، وهو ما يحمله الأطفال ليكتبوا عليه دروسهم فى الكتاتيب، وهو مصنوع من الاردواز ذو اللون الاسود ليسهل الكتابة عليه بالطباشير، وقد بطلت هذه الألواح الآن بعد أن ألغيت الكتاتيب.

بيك داخل القصر، فكر راجعا على القصر، فدخله[1] وسأل الدراويش[2] عن أيوب بيك، فأخبروه أنه ذهب، فلم يصدق الدراويش، فاوقع فى القصر النهب والحرق وهدمه، ثم رجع الى منزله، فلما كان فى ثانى يوم، ذهب الى غيط افرنج أحمد، فنهب جميع ما كان فيه من غلال، وبهايم، وجاموس، ووز، وفراخ، ولم يبق فيه شيء، وكان فيه شيء كثير، وقلع اشجاره، وحرق خشبه، وهدم القصر، وأوقد النار فيه، ورجع الى محل الحرب، وتقاتل مع اخصامه الى بقية اليوم، فلما بلغ محمد بيك الكبير ما فعل الجزار بغيط أفرنج احمد، عمد هو وطايفته، الى غيط حسن كتخدا النجدلى، ونهب جميع ما فيه من الغلال، وأخذ جميع ما كان فيه من المواشى، وقلع جميع الأشجار التى فيه، وهدمه الى الأرض، وردم سواقيه. ثم فى صبيحة ثانى يوم الذى هو ٢٩ تاسع عشرين ربيع الثانى[3] خرج الفريقان الى ميدان الحرب، وتقاتلوا من طلوع الشمس الى العصر، فما انفصلوا الا بالجهد الجهيد، ولكن محمد بيك سوى الأهوال، فتلاقى مع واحد من أعيان القاسمية، فتقاتل واياه، فأراد محمد بيك ان يضربه، ففر هاربا، فتبعه محمد بيك، فاحتمى منه بالطابية التى للقاسمية. وهلك من الفريقين نحو الاربعماية نفس.

(١) بالاصل «فأخذوه» حذفت ليستقيم المعنى.

(٢) الاضافة، من التحفة، ص٢٨٨، لتوضيح المعنى.

(٣) الاضافة من التحفة، ص٢٨٩، لتوضيح المعنى/ ١٦ يونية ١٧١١م.

من كثرة الناس ولا اعلم ما كان تم. وعاد الى المعلقة ومعه جماعة من غلمان الوالى لان المسلمين كانوا وقفوا فى الطريق وقصدوا ان يعبثوا به فما مكنوا ذلك. وعاد الى كنيسة المعلقة بكرامة ووقار وكانت تيك [تلك] الليلة ليلة عيد القديس مرقوريوس (*) وقداهتموا له فى كنيسته بالساحل بما ينبغى لاجل العيد والبطرك. فامتنع من الرواح اول الليل لانه بلغه ان جماعة وقفوا على باب

(*) عيد القديس مرقوريوس : لعل المقصود هنا هو عيد القديس مرقوره الذى يحتفل به فى ٢٢ ابيب = ١٦ يوليو.

وفى ثانى جماد أول[١] اجتمعت الامراء والصناجق بمنزل قايم مقام، وتنازعوا مع بعضهم البعض، بسبب تطاول الحرب، وامتداد الأيام والأوقات، الى ان اتفقوا على انهم ينادوا فى شوارع القاهرة: ان كل من كان له عثامنة فى وجاق من الأوجاق السبعة، ولم يحضر الى بابه، نهب ماله، وقتل. فأمهلوهم ثلاثة أيام، وانقضى المجلس على ذلك. ولما كان ثانى يوم نودى بتلك المنادات فى شوارع القاهرة، بآغا مستحفظان، وأرسل قايم مقام فرمانا الى من فى قلعة مستحفظان من الكواخى، والجربجية، والاوضباشية، والنفر، كل من ينزل بعد ثلاثة أيام، نهبنا بيته، وقتلنا من وجدناه ومن فر رفعنا اسمه، ومن حذر فقد انذر، وها نحن قد اعلمناكم، والسلام على من اطاع. فلما قروا الفرمان، تلاشى امرهم، واختلفت كلمتهم. ثم ان الصناجق بلغهم أن الباشا أرسل يعرض الى الديار الرومية فى شأنهم، فاجتمعوا وكتبوا عرضا بصورة الوقعة، منافيا لعرض الباشا، وجهزوه صحبة سبعة أنفار من السبعة أوجاق، وأعطوا لكل واحد نصف كيس فلوس، وسافروا من بولاق يوم الجمعة ٤ رابع جماد أول.

وفى يوم السبت خامس جماد أول. اجتمعت الصناجق والامرآء فى منزل قايم مقام واتفقوا على أنهم يرسلوا الخيالة الى قصر العينى، ليتحاربوا مع اخصامهم، ويرسلوا المشاة الى بيت أيوب بيك. فاستصوب الجميع ذلك. وتوجهت كل طايفة الى ما اعدت له[٢]، وتقاتل الفريقان الى آخر النهار. وأما المشاة فانهم دخلوا الى منزل ابراهيم بيك ابو الشنب وحرقوا بيت عمر اغا، أغة الچراكسة وتحاربوا مع من كان هناك، الى ان ملكوا المنزل منهم، بالقهر والغلبة،

---

(١) ١٨ يونية ١٧١١م.

(٢) بالاصل «اعده» والتصويب من التحفة، ص٢٩٠.

الكنيسة وعبثوا بالنصارى العابرين اليها ومنهم من
رجموهم ومنهم من لوثوا ثيابهم . ولما كان بعد
العشا الاخير جاء كهنة بو مرقوره ومعهم غلمان
الوالى واستدعوا الى الكنيسة المذكورة وقال له
غلمان الوالى ما سيرنا الامير الا فى خدمتك نقوم
ونحن قدامك ومن تعرض الى شئ جازيناه،
وكنت انا عنده اذ ذاك فاشرت عليه بان لا يروح
فصرف غلمان الوالى بعد ان شكره [شكروه]

ودخلوا فيه، ونقبوا الربع الذى على علو[1] بيت أيوب بيك، واكمنوا هناك ليلتهم، الى ان كان ثاني يوم، وهو يوم الأحد ٦ سادس جماد أول، حملوا حملة واحدة على منزل أيوب بيك، وضربوهم بالبندق، فلم (يجدوا)[2] من يمنعهم، بل فروا من البيت. وكان أيوب بيك قاعدا فى المقعد، هو ورضوان آغا، وجميع اتباعهم. فلما رأى المشاة هجموا عليه بالبندق، منعها ساعة الى أن ركب جواده، ورضوان آغا، والذى عنده، وفروا هاربين من باب الجبل، الذى على طريق زين العباد، فلم يتبعه أحد. ثم أن العسكر انشغلوا بالنهب، وملكوا جميع ما في بيته، وقتلوا جميع اتباعه. ومن جملة ما قتلوا الأولاد الصغار. حتى انى دخلت الحريم الذى له فوجدت أربعة أولاد صغار مدبوحين فى باب الحريم. وكان أيوب بيك قبل ذلك بثلاثة أيام أرسل زوجته الى طيلون، عند النصرانى، المباشر[3] بتاعه، مع انه كان مستعدا الى الحرب، متهيا للقتال، قد ركب المدافع على علو داره، وعلى قلعة الكبش. وقد كان أمس يومه، أرسل له أفرنج أحمد بيرقا[4] صحبة أحمد جربجي، وكرر يوسف أوضباشا، وضحبتهم ماية نفر من الانكشارية، فلم يفد لما أراد الله سبحانه وتعالى خذلانهم وهلاكهم وتشتيتهم فى البلاد وموتهم غربا. ثم أنهم حرقوا البيت، وقلعوا أشجار الغيط، ونهبوا منزل عمر آغا، ونهبوا منزل أحمد آغا، اغة التفكجية فلما رأى أحمد آغا هذا الأمر، فر هاربا الى بيت قايم مقام، فدخل فى

(١) بالاصل «علو على» والتصويب من التحفة، ص٢٩٠.
(٢) الاضافة ليستقيم المعنى.
(٣) المباشر: اى المشرف على اعماله، أو وكيله فى ادارة امواله.
(٤) بلاصل (ببرق).

وشكرهم. وقمت بين يديه الى ان جاء الى كنيسة بو سرجه وطلع الى قلاية الاب الراهب انبا بطرس المعروف قبل رهبنته بالسنى بو المجد وطيب قلبه وازال ما فى نفسه من الوحشة وتفضل فى ذلك غاية التفضل. وعاد بعد ذلك الى [الكنيسة] المعلقة مشكوراً ماجوراً. ثم ان شيوخ كنيسة بو مرقوره جااو اليه عند ذلك واخذوه بغير اختياراً منه الى كنيستهم فبات بها وعيد ثانى يوم وكان عيداً

عرضه، فاذا بيوسف جربجي الجزار داخل عليهم، فسأل عن أيوب بيك، ورضوان آغا، وأحمد آغا، فقال له قايم مقام، أما أحمد آغا فها هو فى الخزنة، وقد دخل فى عرضى، وأنا قد واريناه عند قدومك، فاعف عنه لأجل خاطرنا. فلما سمع الجزار هذا الكلام، قام مسرعا الى الخزنة فوجده جالسا، فلما وقع نظر أحمد آغا على الجزار، قال له: انا فى عرضك يا أبا محمد، وخذ لك مايتى كيس، واعف عنى، فلم يقبل الجزار، وضربه بالسيف قتله. واما عمر آغا فانه تحصن بالقلعة، ومحمد آغا، آغة المتفرقة، وسليمان، كتخدا الجاوشية، وعلى جلبى بن السباعى، ترجمان الباشا، ومحمد آغا الشاطر، وعبدالله الوالى، وشاهين جربجى جراقة، والطبابلة، ومن انضم اليهم من العسكر لحقوا أيوب بيك فى قصر زين الفقار بيك الكبير الذى ببركته، فوجدوه قاعدا وقدامه قادوس ملان من الساقية، فسلموا عليه وجلسوا عنده، فرأوه يبكى، ويقول: هذا أول زولان النعم من علينا. ثم ركب هو واياهم، وتوجهوا نحو الشام، فمكثوا فى الشام قدر خمسة عشر يوما. ثم أن ايوب توجه الى القسطنطينية هو واتباعه، فما دخل القسطنطينية الا بعد مضى ثلاثة أشهر، وهو مريض بالبطن، فنزل بمنزل كور على آغا، فمكث عنده ١٧ سبعة عشر يوما وتوفى الى رحمة الله تعالى، ودفن باسكدار سنة ١١٢٣. وسليمان آغا جاوشان مات بالقسطنطينية سنة ١١٢٩[١]، ومحمد بيك الحوشى الكبير، ومحمد بيك آغا. اغات المتفرقة، ماتوا شهداء فى حفرة بين الأغراض، سنة ١١٣٠[٢].

(١) ١٧١١م، ١٧١٧م.

(٢) ١٧١٨م.

عظيما على ما بلغنى لانى لم احضره ولم يجر
بحمد الله شئ مما كان يتوقع ولا شاب العيد
شايب. وكان ذلك اليوم الخميس وكانت عادة
الفقها ان يحضروا عند مولانا السلطان عز نصره
ليلة الجمعة فاجتمعوا عنده على العاده واجروا ذكر
النصارى وركوبهم البغال وامر ما جرى من حديث
البطرك فلم يصغ الى شئ من ذلك. ولما كان يوم
السبت كان والى مصر قد حضر بين يديه فانكر

ومحمد آغا الشاطر، مات بالشام، هو وشاهين جربجى جراقة سنة ١١٣١[١]. ورضوان رجع الى مصر، يذكر فى محله. ومحمد بيك الكبير فر هاربا نحو الصعيد، يذكر فى محله، حين يتوجه الى حفرة بين الأغراض. ثم أن العسكر أوقعت النهب فى البيوت، والحرق فى بيوت الجماعة الذين كانوا من حزب أيوب بيك فمن جملة البيوت التى نهبت، بيت يوسف آغا، ناظر الكسوة، وبيت محمد آغا قافلة باشا[٢]، وبيت محمد آغا، متفرقة باشا، وبيت محمد بيك الكبير، الذى قدام بيت محمد آغا المتفرقة، وحرقوه، وبيت أحمد جربجى العنتبلى، وبيت مصطفى أفندى، كاتب كبير المتفرقة. ولما تم الأمر من نهب وحرق وهروب، استقر الحال على ذلك. ثم ان فى ثامن جماد أول سنة ١١٣٣[٣]. اجتمعت الصناجق والأمراء فى بيت قايم مقام، وهم مسلحين، ثم انهم أرسلوا طايفة منهم الى جبل الجيوشى، وركبوا المدافع على قلعة الباشا، وعلى باب الانكشارية، واحتاطوا بالقلعة، وأطلقوا على الباشا سبعة مدافع وطلق بندق، فما رأى الباشا ذلك الحال. نصب بيرقا ابيضا[٤] على بدن القلعة. ونادى: الأمان، وانهم لا يحاربوه: ويسلم لهم فى كل ما يطلبوه.

وفر كل من كان داخل القلعة، والبعض نزل بالحبال من على بدن القلعة، فالذى سلم راح؛ والذى وقع فى أيديهم قتلوه. ثم ان الباشا فتح أبواب الديوان، ودخلت العسكر الى

---

(١) ١٧١٩م.
(٢) بالاصل «قافلا باشا» والتصويب من التحفة، ص٢٩٣.
(٣) ٢٤ يونية ١٧١١م.
(٤) بالاصل «بيرق أبيض».

عليـه وقـال: بلغـتى ان اهل مـصـر تعـرضـوا الى البطرك والى كنايسـه واقـسم بالله لئن جـرى شى من هذا فكان قبالته الا روحـه. واشتـهر هذا الامـر لكل احد واطمانت نفوس المومنين [القبط] وقوى نفس البطرك مع ان السـاده المسلمين مـا فيـهم الا من سـاعـد واحـسن السـفـاره وانمـا هذا كـان من العـوام وبعض الفـقـهـآ. ثم جـآء الى كنيـسـة حـارة الروم بالقاهرة في نهار يوم الاحد الثامن والعشرين من ابيب(*) واهتم له بها ارشد باقتها الشيخ فخر

(*) ٢٨ أبيب = ٢٢ يوليو

حوش الديوان. ثم ان البـاشـا أرسل القـاضى، ونقيب الأشراف، يطلب منهم الأمان فلمـا رات الصناجق القاضى ونقيب الأشراف، سلموا عليهما[١]، وسألوهم عن مطلوبهم، فقالوا: الباشا يقريكم السلام، ويقول لكم انه اغتر بهؤلاء الشياطين وكفاهم ما حل بهم؛ والمراد منكم أنكم تعلمونا بمطلوبكم، وأنا لا نخالفكم. فأجابهم الصناجق؛ وقالوا مهمـا، تعلمون[٢] حـضـرة الوزير أن الأغوات والعسكر وأعيان البلد قد اتفقوا على عزلانه، وان يكون قانصوة بيك قايم مقام، وحضرة الوزير ينزل من القلعة، ويسكن تحت فى احد المنازل، الى أن نرسل نعرض الى حضرة ولى نعمتنا؛ ويأتينا منه رد جواب، فمـا يريده اطعناه. فأرسل القاضى نايبه الى الوزير يعرض عليه الأمر، فأجاب بالسمع والطاعة، واستأمنهم على نفسه، وماله، واتباعه، فامنوه، وركب من ساعته، وقايم مقام امامه، وآغة المتفرقة عن يمينه وآغة الانكشارية عن يساره، والأغوات واختيارية البلوكات امامه، وخلفه، وقد داروا به كما يدور الخاتم بالاصبع، يحفظونه من سفهاء العسكر، والرعية.

ونزلوا من باب قراميـدان، وشق من الرميلة على الصليبـة، والرعـايا قـد اصطفت ميـمنة وميسرة، يشافهونه بالسب، الى ان أدخلوه الى بيت على آغا الخزندار، الذى تجاه المظفر. فهذا مـا كـان من خليل باشا، وأمآ مـا كـان من العـسكر، فـانهـا هجـمت على باب مـسـتحـفظان

(١) بالاصل «عليهم». (٢) بالاصل «لهم تعلموا».

السعد بن زنبور وكان ايضا يوماً مشهودا. وكان الناس يظنون انه ياخذ الشرطونيه(*) من كل من يكرزه لاجل المبلغ المقدر عليه فلم يجز الامر فى ذلك على نظام ولا بشرط وكان يجنى من الناس على قدر قدرتهم بغير عسف ولا حيف. وشرع فى تكريز الاساقفة على الكراسى الخاليه. وكرز فى يوم الاحد الخامس من مسرى(*) بكنيسة بومرقوره اربعة اساقفه على كرسى سمنود واسنى والواح

(*) الشرطونية: السيمونيه اموال تجمع مقابل التعيين فى وظائف الكنيسه.

(*) ٥ مسرى = ٢٩ يوليو.

فملكوه، ونهبوا أسباب اغاة مستحفظان حسين اغا كتخدا أيوب بيك سابقا، وكان سابقا يتاع عيدان [قصب] ومجاحيد [خضروات] فى الأسواق، فحل عليه نظر هذا العزيز فعمله آغا مستحفظان، وختمت برمى عنقه. ونهبوا أوض الجاوشية تماما.

وأما على حسن كتخدا، فانه خرج من باب المطبخ، فلما رآه يوسف جربجى الجزار، أشار الى العسكر بأن قطعوه، فنزلوا فيه بالسيوف، وهو يقول: أمان، فقتلوه. وأما افرنج أحمد، فانه طلب الأمان، فأعطوه الامان. فنزل وفى رقبته محرمة، وبيده حربة يتوكى عليها، وصحبته اسماعيل أفندى، وكشك أحمد أوضباشا فبمجرد ما نزل الى المحجر، رأى كور عبدالله، وحسن كتخدا النجدلى، وناصف كتخدا، وبقية الثمانية، جالسين على مسطبة القهوة، على باب الدريس، فسلم عليهم فردوا عليه السلام، فجلس بجانبهم، فتغامزوا عليه، ففر هاربا نحو باب الحطابة، فضربة قواس بنبوت على رأسه، فوقع الى الأرض، فمالوا عليه بالسيوف فقتلوه، (وقتلوا)(١)، اسماعيل افندى، وكشك أحمد.

وأما عمر آغا، آغة الجراكسة، فانهم قبضوا عليه، وهو لابس قميص أزرق بتاع فلاح، كان أخذه منه، وأعطاه ملبوسه، وعلى رأسه طاقية بيضا، وهو فار نحو البساتين. وأتوا به الى باب

(١) الاضافة لتوضيح المعنى، من التحفة، ص٢٩٣، مصطفى ابن الحاج ابراهيم «تاريخ وقايع مصر» سنة ١١٠٠/١١٥٠هـ - ١٦٨٨/ ١٧٣٧م، مخطوطة، ص١٣٢.

[الواحات] والبنوان واستمر تكريز الاساقفة والقسوس والشمامسة والرهبان والعلمانيين. واستقرت القاعدة على انه لا يكرز احداً الا بشرطونيه، وكان فى الاساقفة من يزن المايتى دينار واقل الى المايه دينار، والفقير والصاحب خمسين دينار والذين من هذه البابه [الفئة] اثنان او ثلاثة والا الجميع من البابة الكبيرة. ولم يتكرر من الاساقفة احد بغير شرطونيه سوى مطران دمياط

العزب، فوقع فى عرض حسن كتخدا الجلفى، وكان كتخدا الوقت، فعالج ان يمنع عنه، فما قدر، فقطعوا رأسه فى حوش الآغا، مثل السايس. ثم أنهم أخذوا رءوسهم وودوهم الى بيت قايم مقام، وأجسادهم مرمية على الباب ذلك اليوم بطوله. ثم أنهم بعد ما طافوا برءوسهم على الصناجق جميعا وضعوها على أجسادهم وأرسلوهم الى منازلهم.

وأما العسكر فانهم نزلوا الى منزل يوسف جاويش جمليان فنهبوه وحرقوه. ونزلوا فقابلوا معكوسا يقال له قصاب محمد، وهو أخذ نهب من بيت يوسف جاويش، فأخذوا النهب منه، وقتلوه، ونهبوا منزله، فلا رحمه الله، لأنه كان من عادته قتل النفس، وشرب الخمر، وهتك الأحرار، وكان أياما يعمل عزب، وأياما انكشارى. ثم أن على آغا مستحفظان، طلع الى الباب وجلس فى محل حكمه فى باب مستحفظان.

وفى يوم الثلاث، سابع جماد الثانى[1]، أوكب حسن كتخدا جلب، الى باب مستحفظان، والبيرق أمامه، الى أن جلس فى محل حكمه.

وفى ثانى يوم أرسل الكتخدا، جاويشا، الى أحمد كتخدا بر مقزيز، فأخذه وأطلعه الى الباب، وخنقوه، ونزل الجاويش ختم على بيته. ثم ان على آغا ركب وشق القاهرة، تقدمه الملازمين، لابس البيرشان، فطاف البلد، وضرب، وقتل وكان أكثر مما كان أولا، وهابه الناس.

(١) ٢٣ يولية ١٧١١م.

الذى كـان قـد ترهب وكـان يعـرف قـبل رهبنتـه
بالعميد بن الدهيرى وكان قد جا من الشام وسكن
مع البطرك المذكـور قـبل بطركـيتـه بدير القـدس
فيلاتاوس المعروف بدير النسطور فانه لم ياخذ منه
شيا. واما القسـوس فكان فيهـم من يزن الخمسة
دنانير الى ما دونها والشمامسة ممن كان يكون له
خصم او مناصب يقوم بالعشرة الدنانير واكثرهم
من ثلثة دنانير الى دونها. وكانت قضية مستنكره
الا انها قد شاعت وذاعت وعرفت والفت، ثم انه

ثم أنه مر على [جامع] المظفر فرأى أبو بكر التراس بتا ع الشون. خارج من بيت خليل باشا، فرمى رقبته بين الأربعة مفارق، ولقيه ابن الخبيرى فى الصليبة فرمى رقبته، ثم (طلع)[1] الـى الباب فأتاه محمد بن الشيخ عاشور، الذى من قايتباى، فلما رآه أمر بقتله، فقتله ورماه من سور[2]. القلعة.

وفى يوم الخميس تاسع جماد الثانى، ألبس قايم مقام أغوات السبع اوجاق قفاطين التقرير، وطلعت الستمايه التى كانت راحت الى العزب، الى باب مستحفظان، وطلعت لهم العزب كواخيتها، وجربجيتها، واوضباشيتها، ونفرها، فى جم غفير الى ان ادخلوهم الى الباب، وشربوا القهوة والشربات ونزلوا. وفى يوم السبت حادى عشر جماد البس قايم مقام الى يوسف جربجى قفطان الصنجقية وامارة الحاج معا. والبس محمود بيك قفطانا على قبطانية السويس، وفى ثانى يوم عين يوسف بيك الجزار، ومصطفى آغا آغت الجراكسة، للتجريدة للشرقية، على عرب الجزيرة، وفى يوم رابع عشر جماد البس محمد بيك الصغير، الذى سموه فى العيطة بقطامش قفطان على ولاية جرجة ومنفلوط، وطلع من منزله الذى بقيصون بالاى، والعسكر تقدمه، والطوايف خلفه الى قدم النبى، وعينوا صحبته خمسماية نفر من السبعة أوجاق، واعطوا لكل نفر الف وخمسماية فضة ديوانى. وفى عشرين جماد الثانى رجع الجزار،

---

(١) الاضافة لتوضيح المعنى، من الجبرتى، جـ١، مرجع سابق.
(٢) بالاصل «صور» صوبت فى كل النص.

(*) أولاد الزوجه الثانية والثالثة كانوا محرومين من خدمة الكنيسة (الكرازه) بحسب قوانين الكنيسه القبطية.

صرف بعض اولاد الثوانى والثوالث(*) واقام الحجه فى امرهم، فجات هذه مع الشرطونية فانحرف الراهب انبا بطرس المعروف بالسنى قبل رهبنته ولم يرجع يحضر معه فى كنيسة ولا ياخذ له بركه مع ان الشيخ نش الخلافه ابا الفتوح المعروف بابن الميقاط قد تغير قلبه من جهته وصار لا يصل اليه ولا يسلم عليه بعدما كان بينه وبينه مما تقدم شرحه متقدماً.

ومصطفى آغا من التجريدة. وفى ثانى عشرين جماد الثانى سنة ١١٢٣، ألبس قايم مقام الى محمد بيك بن اسماعيل بيك الكبير، واسماعيل بيك بن ايواظ بيك، قفطانين للسنجقية فى يوم واحد، ولكن محمد بيك قبل اسماعيل، ونزلت لهم الصناجق السلطانية، صحبة أغوات الباشا خليل على ثلاثة أيام، أولهم الجزار، وآخرهم اسماعيل. وفى يوم الخميس ثامن عشرين جماد الثانى وردت الأخبار أن محمد بيك الصغير، تلاقيه هو ومحمد بيك الكبير وتقاتلا. ثم أنه كسر[١] وفر [محمد بك الكبير]، هو ومن معه نحو مصر. ثم أنهم قبصوه، فرأوه عدى من على بولاق بالليل، الى أن ورد دجوة، وأخذ من حبيب ما يحتاج اليه الأمر. ولحق بأيوب، ومات كما ذكرنا. واطاعت البلاد، وصفا الوقت وطاب، ونالوا من أعدايهم ما أملوه. ونزل حسين كتخدا الجلفى الى الامام الحسين، واشترى محلات. ووسعه وبناه هذه البناية التى هى الآن، واحدث الصهريج[٢]، ورتب فيه اجزاء تقرى الآن وكان ذلك فى رجب سنة ١١٢٣[٣] وعملوا له تاريخا وهو هذا:

مـن جاء هذا الحى أصبح آمنا	وقد نال منه سعادة الدارين
فانزل بآل البيت واروى مؤرخا	حسنا أتاك النصر بالتحسين

ثم أنه تابعه شاهين أوضباشا، وجدد فيه ووسع البابا. وأوفى النيل يوم الجمعة ثانى رجب

(١) بالاصل «كسروا».
(٢) كتب عنوان جانبى «اعرف من وسع فى مقام الحسين رضى الله عنهم».
(٣) أغسطس/ سبتمبر ١٧١١م.

ثم دخلت سنة اثنين وخمسين وتسع ماية(*).

(*) ٩٥٢ق = ١٢٣٦م

وكرز البطرك المذكور منذ بطركيته والى ان دخل الصوم من هذه السنة ما يزيد عن اربعين اسقفاً اما الشمامسة والقسوس فما لا يعد. وكان العذر فى اخذ الشرطونيه ما قدر السلطان وتغلق [تسديد الاموال] الذى [التى] للسلطان. وحمل [البطرك] هو كمال ثلثة الف دينار والحال على ماهو عليه. وكان السلطان اعز الله نصره قد بلغه خروج

الموافق ثالث مصرى، ووافق تاريخه: بالفضل قد جاد الاله. وفى ثانى عشر رجب ورد مسلم ولى باشا من سكندرية، وطلع الى الديوان من يومه.

٨٤. ذكر تولية ولى باشا
من جزيرة ساقظ
عفى الله عنه

قدم الى مصر من جزيرة ساقظ، وكان محافظا بها، وطلع الى الديوان بالاى عظيم فى يوم الخميس سابع عشرين رجب سنة ١١٢٣[١].

وفى عاشر رمضان جلس رجل صفطا[٢]، رومى الجنس، بجامع السلطان ابو النصر المؤيد، بأيوان الشافعية، قريبا من تربة السلطان، يوعظ الناس على الكرسى، خمسة أيام، فتسامعت به الناس، فهرعوا اليه ليسمعوا وعظه وتكاثرت الخلق حتى امتلأ الايوان، وبقيت الخلق واقفة على أرجلها من خارج الدرابزين الخشب، من كثرة زحام الخلق، كى يرونه، فلم يمكنهم رؤيته. فلما رأى انكباب العالم عليه وشوقهم لمشاهدتهم، صعد على الكرسى الكبير بالمقصورة، ثم زاد الامر حتى صار كل يوم يتزايد حتى ملأ رواق الحنفية، ورواق مالك لعند الحنفية التى بوسط

(١) مدة ولايته: ٢٧ رجب ١٢/١١٢٣شوال ١١٢٦هـ - ١٠ سبتمبر ٢١/١٧١١ اكتوبر ١٧١٤م.
(٢) أى واعظا، الجبرتى، جـ١، ص١٧٨.

بعض عسكر الروم والمسلمين قد قصدوا اطراف بلاده بالمشرق فخرج الى الشام بالعساكر والجحافل، فاما اولئك فانهم نزلوا على امد واقاموا عليها جمعه من الزمان فلم ينالوا منها طايلا فرحلوا عنها الا ان احرقوا زراعاتها واحرقوا رساتيقها(*). ثم جاو الى السويدا اخذوها بمخامرة [العالي] ممن كان بها لانه باعها لهم. ثم انتقلواالى الرها فاخذوها بالسيف وقتلوا اكثر من كان منها

(*) رساتيقها : مفردها رستاق، ومعناها القرى والحقول.

الصحن. وان من جملة وعظه ان كرامات الأولياء تنقطع بالموت وما يذكر لهم من الكرامات بعد موتهم فباطل[1]، وما نقله الشعرانى فى طبقاته بأن الأولياء لهم اطلاع على اللوح المحفوظ فباطل لا أصل له، ومن يقول بذلك فهو كافر، لأن اللوح لا يطلع عليه الا الأنبيا، فكيف ما يتيسر للأولياء. حتى انه أنكر رؤية ـ أى اطلاع ـ النبى الى اللوح، وأن جميع ما يوقد فى مقامات الأولياء من شمع وزيت لا يجوز، ويخشى من قبل اعتابهم ومقاماتهم الكفر. ويجب على المسلمين وولاة[2] الأمور السعى فى ابطال ذلك ومن جملة ما ذكره أنه يجب على المسلمين أن يهدموا القبب المبنية على الموتى، والتى على التكايا كتكية الجلشنية، والميلاوانية[3]، واضرحة الأولياء: وحرض على منع الأولياء الفقرى الذين يذكرون الجلالة فى رمضان عند باب زويلة بعد العشاء. فلما سمعت حزبه منه هذا القول، كمنوا لما صلت الناس العشاء، وخرجت بالنبابيت والسيوف، على الذين يذكرون الجلاله، فضربوهم، فهاجت الناس وهربت وصاروا يقطعون الاكر التى على الباب والجوخ، ويقولون أين الأولياء. ثم أن رجلا تركيا يقال له يوسف، تابع فروح كتخدا، أتى الى الطاقة التى وراء الباب وبال فيها، فابتلاه الله باليرقان الى أن مات. فتوجه بعض الناس الى الشيخ احمد النفراوى واخبره بما قاله

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف كلام هذا السفط فى الاولياء الخ». (٢) بالاصل «والات».

(٣) تكية الجلشنية، والميلاوانية: كانتا من أكبر تكايا الصوفية العديدة التى انتشرت فى القاهرة فى ذلك العصر، وحبست عليهما اوقاف كثيرة، كما يتضح من دفاتر الرزق الاحباسية المحفوظة بدار الوثائق القومية.

واسروا وسبوا وكان اكثرهم المساكين نصارى سريان وارمن. وحاصروا القلعة اياماً فاخذوها بالامان من غلام من غلمان السلطان يقال له كويح يقال انه صالحهم عليها لانها كان بها مال عظيم وسلاح وقماش يناهز ماية الف دينار فاخذوها واخذوه معهم. ثم انتقلوا الى حران اخذوها واخذوا قلعتها بالامان ثم ان السلطان اعز الله نصره عدى الفرات فتركوا فى كل قلعة من

السفطى، أى الواعظ، بانقطاع كرامات الأولياء بموتهم، وعدم جواز «الاطلاع على»[1] اللوح المحفوظ حتى للأولياء والأنبياء. فأجاب الشيخ أحمد النفراوى من المالكية، والسيد على من الحنفية، والشيخ أحمد الخليفى، والشيخ عبده الدوى من الشافعية، كرامات الأولياء حق وأنها جايزة فى حال الحياة وبعد الممات، ومن أنكر ذلك فانه معتزلى.

وأما انكاره لكون أن النبى لا يطلع على اللوح المحفوظ، فهو كلام لا يجوز التكلم به. وان قايله يجب على الحاكم زجره، بل وقتله، وكتبت عليه العلماء (فتوى)[2]. فأتى بعض الناس ورقب الواعظ حتى جلس على الكرسى، ودفعها[3] له. فلما رآها اغتاظ غيظا شيدا، وقال: أيها (الناس)[4] ان علماوكم، أولاد العرب، أفتوا بخلاف ما ذكرته لكم، بجواز قتلى، وانى أريد المباحثة[5] معهم فى مجلس شيخ الاسلام، فهل منكم من يساعدنى على ذلك، ويقوم معى لنصرة الحق وتأيده، وخماد شوكة هؤلاء الكفرة الزنادقة، الذين أفتوا بالباطل.

فعند ذلك قامت الجماعة المنتصرة له، وقالوا له: اذهب بنا أى محل اردت، ونحن معك فى كل ما تريد. فنزل من على الكرسى، وصار نحوه، نحو الألف من الذين يحضرونه، من جنس الاتراك [من فرق الجند] الذين لم يفرقوا بين ميم ونون، اذا وضعت. وسار بهم من وسط

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) الاضافة من الجبرتى، جـ١، ١٧٩، لتوضيح المعنى.
(٣) اى «الفتوى».
(٤) الاضافة من الجبرتى، جـ١، ص١٨٠، لتوضيح المعنى.
(٥) بالاصل «المباحة» والتصويب من الجبرتى، جـ١، ص١٨٠.

يحفظها وتوجهوا الى بلادهم بعد ان اسروا وقتلوا واخربوا ما شا الله. فسير السلطان عسكر الى دنيسر وبلادماردين لان صاحبها كان مع الرومى فاخربوا البلاد واسروا العباد واخذوا من الكسب ما لا يحصى حتى ان المراة المستحسنه بيعت بخمسين درهما نقره والبغل الجيد بثلثين درهما والخروف بدرهم ووصل سبيهم الى القاهرة ومصر. ثم عاد السلطان الى حران ونزل على قلعتها

القاهرة الى بيت القاضى، وكان ذلك فى يوم الاثنين تاسع رمضان سنة ١١٢٣[١]. وكان الوقت قريب العصر. فلما رآهم القاضى انزعج وقال: ما الذى يريدونه، فقالوا: نريد منك أن ترسل تحضر لنا الشيخ أحمد النفراوى، والشيخ أحمد الخليفى، والسيد على، الذى كتبوا على هذه الفتوة. واعرضوا الفتوى على القاضى، فلما قرأها، قال لهم اصرفوا هؤلاء الجموع، ونحن نحضرهم لكم، ونسمع دعواكم. فقالوا له: ما تقول فى هذه الفتوى، فقال: باطلة. فطلبوا منه حجة على بطلان الفتوى.

فقال لهم ان الوقت قد ضاق، والشهود قد ذهبوا الى منازلهم، فاصبروا الى غد، فخرج ترجمان القاضى ليعرض عليهم هذا الأمر، فلم يصغوا لقوله، بل هجموا عليه، وضربوه ضربا شديدا. فقام القاضى ودخل الحريم وهرب من كان فى المحكمة. وكان القاضى رسول زاده، والترجمان عبده، وأما النايب فما ساعه الا أنه كتب لهم حجة حسب مطلوبهم.

فلما كان ثانى يوم اجتمعوا وقت الظهر لسماع الواعظ، على عادتهم، فلم يحضر فأخذوا يسألون عن سبب المانع من حضوره، فقال بعضهم: اظن أن القاضى منعه من الوعظ، فقال رجل منهم: أيها الناس من أراد الحق ونصرته، فليمضى معى حيث أريد. فتبعه نحو الألف، فمضى بهم الى القاضى.

فلما رآهم القاضى، ومن فى المحكمة، طارت عقولهم من الخوف والرعب، وفر من كان

(١) ٢١ اكتوبر ١٧١١م.

وحاصرها اياما وامتنعت فنصب عليها منجنيق
مغربى فاخذها بالسيف واسر كل من فيها وكانت
عدتهم تزيد عن سبع ماية رجل وسيروا الى
القاهرة فى القيود والكبول. وانتقل الى الرها نزل
على قلعتها وكانت احصن وامنع من قلعة حران
فلم تمسك مع المنجنيق المغربى لانه هد منها بدنه
يوم علق عليها فاخذت ايضا بالسيف واخذ من
بها اسرى ووصلوا ايضا الى القاهرة وكانوا زها
الف رجل. وكان النيل قد بلغ فى هذه السنة الى

هناك من الشهود والرسل، ولم يبق سوى القاضى، فدخلوا عليه، وقالوا: مولانا القاضى، أين شيخنا؟

فقال: لا أدرى.. فقالوا له: قم، فاركب معا الى الديوان، لنسأل الباشا عنه، ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا، الذين أفتوا بقتل شيخنا، ونتباحث معهم فان اثبتوا دعواهم نجوا، وان لم يثبتوا قتلناهم. فركب القاضى بالقهر عليه الى أن مضوا به الى الديوان، وهم خلفه. فسأله الباشا عن سبب ذلك! وعن حضوره فى غير وقت!..

فقال: أنظر الى هؤلاء الذين ملوا حوش الديوان، هم الذين[1] أتوا الى، وركبونى بالقهر على، وعرفه عن الذى وقع منهم، بالأمس واليوم، وأنهم ضربوا الترجمان وأخذوا منى حجة على مشتهى مرادهم، وهاهم أركبونى بالقهر على، خوفا على نفسى منهم. فأرسل الباشا الى كتخدا مستحفظان، وكتخدا عزبان وقال: سلوا هؤلاء عن الذى يريدوه. فقالوا: نطلب السيد على، والنفراوى، والخليفى، الى مجلس الشرع يتباحثوا مع شيخنا فيما أفتوا به عليه، وأن حضروا والا كبسنا عليهم منازلهم. فاعطاهم الباشا فرمانا على طبق مرادهم، فنزلوا الى المؤيد، وأتوا بالواعظ وأجلسوه على الكرسى، كما كان أول فصار يحرضهم على مجيئهم الى المؤيد فى غد، وهم على غرورهم، واطاعتهم لهذا المعتزلى، وميلهم اليه بالقلب والقالب. وكنت جالسا صحبة شيخنا، الشيخ على الطيلونى، ونحن نتحدث فى تعصب هؤلاء الطايفة الضالة، وميلهم لهذا المعتزلى ثم أن الشيخ قال: يا فلان لقد صدق الذى قال: أن أول ما يطع

(١) بالاصل «الذى».

ثمانية عشر ذراعاً واحدى عشر اصبعا وكانت الاسعار رخيصه والاشيا موجودة، ولم يكن فى البلد شي غاليا سوى السكر فانه كان بثلثة دراهم الرطل. واتفق فى هذه السنة ان وقع فى الديار المصرية وباء عظيم وخصوصاً بالقاهرة ومصر وضواحيها حتى انه كان يخرج في كل يوم من البلد ما يزيد عن مايتي ميت واستمر هذا من النصف من بابه الي اخر امشير وكان شيا ماشوهد مثله. وقل من لا مرض فى هذه السنة. ولم يكن

الدجال، أهل مصر. وما زال يحرضهم على مجيهم فى غد، واجتماعهم فى المؤيد، والتوجه معه بجمعهم الى القاضى، وكل من يخلف عن المجىء، فتكن مسيئا. وصار يقول: انصروا الحق ينصركم الله، كيف ما تسكتون عن من يقول ان: الاولياء لهم الكرامات بعد الممات فاجابوا بانا معك فى كل ما تريد وافترقوا على ذلك.

وأما حضرة الباشا فانه بعد ما أعطاهم الفرمان أرسل فرمانا الى ابراهيم أبو شنب، وغيطاز بيك، يعرفهم عن القضية التى حصلت، من اجتماع النفر والعامة الذين اجتمعوا على الصفتا، وقلة الأدب التى وقعت منهم، وطلوعهم الى الديوان، وأذيتهم الى شيخ الاسلام، وركوبه فى غير وقت، وهؤلاء ما مرادهم من هذا شىء، وانما مرادهم تحريك الفتنة. فلما قروا الفرمان طار عقلهم فأرسلوا جمعوا الصناجق والأغوات فى منزل الدفتردار، وعرضوا الأمر عليهم، فأجمع رأيهم أنهم ينظروا هؤلاء العصبة التى قامت مع الواعظ، من أى وجاق، فيخرج الوجاق من طايفته، وينفوا الواعظ، وأمروا آغا مستحفظان أن يركب، ويقبض على كل من رآه منهم، وأن يدخل للمسجد ويخرج كل من كان ساكنا منهم فى الخلاوى، ويفتش عليهم، ويوقع الرعب فى قلوبهم، وقلوب هؤلاء الزنادقة. وتفرقوا على هذا التدبير. ثم أن فى ثانى يوم ركب على أغا الى المؤيد، وأرسل الجاوشية الى المسجد، ودخلوه وفتشوا، فلم يجدوا احدا، والكل هربوا واخلوا الخلاوى جميعا، فسمر الخلاوى جميعا، ومسك من كان جالسا ينتظر مجىء الواعظ لأجل ما يستفيد من وعظه، فأرسل كل منهم الى وجاقة فضربوا البعض، ونفوا البعض، وهمدت الفتنة.

فى البلدين [القاهرة ومصر عتيقة] بيت لم يخرج منه ميت ثم رفع الله ذلك عن الناس وبقيت عقاب الامراض. وكان الى جانب الكنيسة المعلقة(*) مسجد وفيه مادنة عاليه وهو مجاور للطبقة [المنزل] التى سكن فيها الاب البطرك وهى كانت قلاية انبا مرقس بن زرعه(*) نيح الله نفسه وكان فيه موذن يسمى سالم ولا شك انه ما كان ينصف من جهة من كان يتولى احوال البطرك.

(*) الكنيسه المعلقة : اقيمت هذه الكنيسه على برجين من حصن بابليون الرومانى.

(*) بطرك الاسكندرية ما بين ١١٦٦ و ١١٨٩م.

وفى يوم الجمعة ثانى شوال توجه على آغا الى جامع طيلون[1]، ليصلى الجمعة، فصلى الجمعة، وبدى يصلى فى سنة الجمعة الاخيرة، فسجد للركعة الثانية، ومكث فى سجدته ولم يرفع رأسه فحركوه، فاذا هو قد قبض فى السجدة الثانية، فأخذوه الى منزله، فغسلوه، وكفنوه، من يومه، ودفنوه ثانى شوال سنة ١١٢٣ . ثم أنهم أجمع رايهم أن يجعلوا محمد أفندى بن طسلق، آغاة مستحفظان فأخذوه الى الديوان، وألبسوه الاغوية، فى يوم الاحد رابع شوال سنة ١١٢٣[2].

وفى يوم الثلاث ثالث عشر شوال ألبس الباشا الأعسر[3]، تابع ابراهيم أبو شنب، قفطان السنجقية، مع كشوفية البحيرة، وفى يوم الخميس خامس عشر شوال سافرت السبعة أنفار بالعرض الى الأعتاب العلية.

وفى سابع عشرين شوال ورد آغا من الديار الرمية، وصحبته ثلاث خطوط، أحدها: باستعجال الخزينة،والثانى، بمحاسبة خليل باشا، والثالث: ببيع بلاد الفارين، والمقتولين،وبيع أملاكهم، وأن يجعلوا ألذهب[4] البندقى بماية وخمسة عشر، والطرلى بماية، والجنزيرى بماية

---

(١) بالاصل «هيلون».
(٢) ١٥ نوفمبر ١٧١١م.
(٣) كتب عنوان جانبى «اعرف تولية احمد باى الاعسر السنجقية ١١٢٣م».
(٤) كتب عنوان جانبى «اعرف التنبيه على سكة الذهب».

وكـان من حـقـوق الطبـقـة [المنزل] المذكـورة سطيـحـة [حـوش] من جـانب المسـجـد وكـانت مكشوفة من المسجد فاراد البطرك ان يعمل عليها سترة فمنعه الموذن المذكور ولما عملت طلع هدها وازلها وبقيت النفوس غير طيبة. واتفق ان البطرك خرج الى منية مصطراد(*) ليعيد بها عيد السيده في احد وعشرين يوماً من طوبه(*) وكانت الطبقه المذكورة خـالية فـاصبح من كـانت معه مفـاتيح القـلاية طلع اليـهـا فـوجد الابواب من برا مـغلقـة

(*) [مـسـطرد] تبـعـد عن المطرية بثلاثة كيلو مرات غرباً، شمال القاهرة.

(*) ٢١ طوبه = ١٦ يناير. وهو عيد رفع السيـدة مـريم العـدرا إلى السماء بعد موتها.

ستين، والكلب بخمسة وأربعين، والمقصوص بطال، ونودى بذلك فى شوارع القاهرة، وأن لا أحد يركب بغلة، ولا رهوانا، من أولاد البلاد والتجار. وفى غرة القعدة باعوا جميع بلاد المقتولين ما تملك أيديهم. وفى ثانى يوم ركب اغاة مستحفظان، ونزل الى الصاغة، ونادى ان لا تباع فضة ولا ذهب الا لدار الضرب، وأن لا تفتح دكاكين الصاغة حتى تستكفى دار الضرب. وقفلت الصاغة، وقطعوا الفضة الجديدة. وفى غرة محرم الحرام سنة ١١٢٤[(١)] بدى ولى باشا بعمارة قنطرة الجسر، لتهدمها، وهى القنطرة التى قريبة من الطيبى. وجدد قبة قاعة المقياس، بأمر من حضرة مولانا السلطان أحمد، ومباشرة مولانا ولى باشا.

وفى هذا التاريخ ظهر البطيخ الاجرب، والسبب فى ذلك أن غيطاز بيك اتاه بطيخ من غزة، فرآه صادق فى الحلاوة، فجمع عجفة، وأرسل زرعه فى الجيزة، فطلع عجايب، وهذا مبداه فى مصر سنة ١١٢٣[(٢)].

وفى عاشر محرم سنة ١١٢٤[(٣)] ورد أمير أخور، وبيده خط شريف بطلب عسكر ثلاثة الالف الى بن الأصفر [روسيا]. وفى يوم الثلاث ثانى عشر محرم تشاجر رجل شريف يقال له السيد وفا، مع مملوك من مماليك رجل خواجا يقال له الحاج عبدالله المسلمانى والمملوك يقال له

(١) ٩ فبراير ١٧١٢م.

(٢) كتب عنوان جانبى «اعرف ظهور البطيخ الاجرب باقليم مصر».

(٣) ١٨ فبراير ١٧١٢م.

سالمه والباب الفوقانى قد كسر وموضع اخر قد ثقب وباب الخزانه قد قلعت منه حشوه، وكان ثم قماش كثير. وجاء البطرك فما وجد عدم له سوى صنية فضه وصليب فضة كان فيه قطعة من صليب الصلبوت وجميع القماش سالما وكانت له قيمة وحضر البوابون فشهدوا ان هذا المكان ما عمل الا من ناحية المسجد واعلموا الوالى بذلك فاخذ الموذن وحبسه وجاءت شفاعة بعض اكابر المسلمين الى البطرك بسببه فابى ان يخرجه

(*) أهم أحداث سنة ٩٥٣ ق. = ١٢٣٦م. = ٦٣٣هـ.
- ١ توت سنة ٩٥٣ = ٢٩ اغسطس ١٢٣٦ = الجمعة ٢٤ ذو الحجة سنة ٦٣٣.
- فيها عاد السلطان الملك الكامل الى الديار المصرية.
- [١ يناير سنة ١٢٣٧ = ٦ طوبه سنة ٩٥٣ = الخميس ٢ جماد أول سنة ٦٣٤].
- فيها قويت الوحشة بين الملك الكامل وبين أخيه الملك الأشرف، الذى اتفق مع صفية خاتون،

ابراهيم، فتشاجر معه فى البندقانيين، فضربه المملوك، فقتله، وفر هاربا، فوضعت الأشراف المقتول فى تابوت، وطلعوا به الى الديوان، وأثبتوا القتل على القاتل.

فلما كان يوم الخميس، عاشر محرم قامت الأشراف وقفلت أسواق القاهرة، وصاروا يرجمون أهل الدكاكين (بالحجارة)[1] ويأمرونهم بقفل الدكاكين[*]، وصاروا كل من رأوه فى طريقهم من شريف أو رعية يضربوه، ومكثوا يومين على هذا المنوال.

وارسلوا خبرا للاشراف القاطعين فى قرى مصر لياتوا، واجتمعوا بالمشهد الحسينى، ثم أخرجوا أمامهم بيرقا، واجتمعت الناس خلفه، وتوجهوا الى منزل غيطاز بيك، فخرجت عليهم جماعة بالسلاح، فهزموهم، وقامت عليهم العسكر، وركبت اغوات الثلاث وجاق السباهية[2]، واغاة الانكشارية فى عدته وعدده. وشق القاهرة، فعند ذلك تفرق جمعهم، وذهب كل احد الى حال سبيله، ونادوا بالامن والامان، وان تفتح الرعية دكاكينهم.

وكانت الناس فى صلاة الجمعة فى حال مرورهم، ولقد جاء صالح آغا، اغة الجملية، على باب جامع الفاكهانى[3]، والناس داخلة الى صلاة الجمعة، وهو يسأل الداخلين، ويقول: هل

(١) الاضافة لتوضيح المعنى، من الجبرتى، جـ١، ص١٨١ ـ ١٨٢، وبالاصل يوجد «ويقولون».

(*) بالاصل «بالاحجار» حذفت ليستقيم الاسلوب.

(٢) بالاصل «الصباحية».

(٣) جامع الفاكهانى: كان يعرف قديما باسم جامع الظافر، وهو من المساجد الفاطمية، وله باب بشارع العقادين، وكانت شعائره مقامة، من ريع أوقافه، على مبارك، الخطط، جـ٥، ص٦٧.

فتعصب الموذنون بالجامع العتيق بمصر وهم جمع كبير وصاروا يجتمعون طوايف ويحضرون الى المسجد المذكور ويوذنون جميعا حتى تنزعج الحاره لهم. فشكى حالهم الى القاضى جمال الدين بن المثلى صاحب ديوان الاحباس فرسم بان لا يوذن فى المسجد الا موذن واحد وافضى الامر الى ان اغلق المسجد المذكور فاجتمع المسلمون العوام وجآوا فى جم غفير الى باب المسجد وكسروا الاقفال التى عليه وطلعوا المأذنة وغوثوا ولبوا

أخت الملك الكامل وصاحبة حماه، كذا مع بقية الملوك على مخالفة الملك الكامل، ولم يثبت مع الكامل سوى الملك الناصر داود.
- فيها كان انتصار فريدريك الثانى فى إيطاليا.

هنا[1]، أحد من هؤلاء اليهود! - يعنى الاشراف - فكانت هذه الكلمة سببا لهلاكهم، وصارت الاشراف تقلع شاشاتها الخضر، وتلبس الشاشات البيض من شدة ما حصل لهم من الحقارة، ومكثت الأشراف نحو الجمعة، لم تقدر تظهر. ثم اجمع رأى أكابر الدولة بأن ينفوا طايفة من أكابرهم فتشفعت فيهم العلماء، وأرباب السجاجيد، فعفوا عنهم، وراح الشريف المقتول بين عمودين بارد.

وروح الحاج الشريف خامس صفر، وسبب ذلك خروج الحاج من مكة سابع[2] عشرة الحجة، لأجل دخول عثمان أوغلى، وعزله عبدالكريم، وتوليته لسعيد بن سعد، فى عاشر صفر سنة ١١٢٤[3]، ووقع اخبار بأنه وقع تلج بقريتين من قرى المنوفية يقال لأحداهما عشمه[4]، والثانية سرسنة[5]، كل قطعة قدر رطل. فقتلت من البهايم شيئا كثيرا، واعقب الثلج صاعقة

(١) بالاصل «ها هنا».
(٢) بالاصل «دخول» ووضع فوقها علامة الحذف.
(٣) ١٩ مارس ١٧١٢م.
(٤) عشمة: احدى قرى مركز شبين الكوم، محافظة المنوفية، وهى من القرى القديمة محمد رمزى، القاموس الجغرافى، قسم ٢، جـ٢، ص١٩٢.
(٥) سرسنة: احدى قرى مركز شبين الكوم، محافظة المنوفية، وهى من القرى القديمة، محمد رمزى، المصدر نفسه، قسم ٢، جـ٢، ص١٨٩.
كتب عنوان جانبى «اعرف نزول الثلج بهاتين القريتين والصاعقة».

واجتمع على باب الكنيسة المعلقة(*) جـمع لا يحصى وخافت انفس المومنين وكان يوم الاحد الاول من الصوم والبطرك قد ابدل وهو فى القداس وقد قدس قداس كيرلس فجا الوالى وصرف الناس وانفصل الامر على خير. ومضى اكثر الجمع الى الامير جمال الدين بن يغمور نايب السلطان وشكوا اليه وقالوا: يا مولانا تغلق المساجد وتفتح الكنايس. فقال: هذا حديث ما يسمع بل

(*) كان بالكنيسة المعلقة فى هذا الوقت عدة هياكل هى: هيكل القديس بقطر، هيكل يوحنا المعمدان، هيكل القديس انطونيوس، هيكل القديس ساويرس.

والى جانب الكنيسة المعلقة كان يوجد فى ذلك الوقت عدة كنايس بمصر منها:

١ - كنيسة المخلص الشهيرة باسكندرية، وفيها قدم ابن لقلق بطريركا، ٢ - كنيسة القديس شنوده، خارج اسكندريه، وفيها كان ابن لقلق قد رسم قمصاً. وكانت هذه

عظيمة، احرقت شيئا كثيرا من الزرع، ومن(١) الفلاحين جماعة من الذين كانوا فى الغيط، الى أن صاروا كالفحم. وفى عشرين صفر قدمت العسكر الذين كانوا فى سفرة مصقوة، صحبة اسماعيل بيك الذى توفى فى اسلامبول(*) واعطاهم السلطان ريش يقال له: شلنك، معناه ان هذا الريش لا يضعه الانسان على رأسه الا اذا كان مغازيا، يلقى الرجال فى محل الحرب، ولم يولى، ولو كثرت عليه الكفار، فصار(٢) رسما للسلطنة، يعطيه السلطان لمن يريد، من أى عسكر كان. فكانت عسكر مصر استحقت هذا الريش، فأرسل الوزير للسنجق ريشة، ولجميع السدادرة، ولجميع العسكر، لكل واحد ريشة، يضعها الرجل فوق عمامته، حين يطلع الى السفر أو الاى. ولكونهم ظهرت منهم اليد البيضاء فى الكفار، ودخلوا مصر فى هذه الصفة، وفى هذه السنة وسع حسن كتخدا الجلفى مقام الامام الحسين(**) وأضاف له محلات اشتراها بجواره؛ وصنع له تابوتا من الأبنوس المطعم بالصدف، وصنع له سترا من الحرير الابرهيم المزركش بالذهب، وجهزه الى المشهد المذكور؛ وقد وضعه على قفص من الجريد، فحمله من الرجال اربعة، وعلى جوانبه الأربعة، أربعة قناديل من الذهب، تقدمت السادات الرفاعية بطبولهم، واعلامهم، معلنين بالذكر، وبين أيديهم المباخر بالعنبر والعود،

---

(١) بالاصل «وفى».

(*) بلاصل «اسلانبول».

(٢) بالاصل «فسار».

(**) كتب عنوان جانبى «أعرف توسيع المقام الحسينى على يد حسن كتخدا الجلفى».

ان الجميع تفتح ومن اراد المسجد طلع اليه ومن اراد الكنيسة طلع اليها الا انه لا يوذى احد ولا يتعرض احد الى احد فهولآء رعية السلطان وانتم اخبر، وان كان هذا المسجد فقيراً انا اقوم به الا ان التعدى لا يمكن احد منه. فمضى المسلمون وجمعوا بينهم شياً وبيضوا المسجد وعملوا عنده مصطبه وبيضوها ولم يجر منهم الا خيراً. وكان النصارين فى هذه المدة كلها مع المسلمين فى

الكنيسة مشهورة باسم كنيسة السباع، ٣ - كنيسة القديس مرقس، المعروفة باسم القمحا، فى طرف مدينة اسكندرية، ٤ - كنيسة مارى جرجس فى حارة الروم الحمرا بمصر عتيقه، ٥ - كنيسة الفخارين بالقاهرة، ٦ - كنيسة الملاك ميخائيل فى رأس الخليج المصرى، ٧ - كنيسة القديس اسطافنوس، كانت بداخل الكنيسة المعلقة، ٨ - الكنيسة بجزيرة الروضة. وقد هدمت بعد ذلك، ٩ - الكنيسة الملكانية بحارة الروم الحمرا.
كما أن الأديرة التالية كانت

والقماقم الماء الورد، يرشون على الناس، ميمنة وميسرة، وطافوا به القاهرة على هذا الشكل، الى أن وضعوه على التابوت الحسيني.

وفى خامس عشرينه هبت ريح أظلم منه الجو، وهدمت بيوتا كثيرة؛ وكان الوقت بعد العصر، وفى آخر الشهر الذى هو صفر ورد آغا من الديار الرومية، بطلب عسكر الى كفرة المصقوة، ثانى مرة، فعين الباشا مصطفى بيك، تابع يوسف آغا القطردار، واوكب الى بولاق، فى يوم الخميس غرة ربيع الثانى، وسافر فى عاشره الى اسكندرية، فبمجرد ما دخل العسكر سكندرية ورد آغا من الديار الرومية فى خامس عشر ربيع الثانى وصحبته خط شريف، قرى بالديوان، أن كفرة بنى الأصفر - يعنى مصقوه - أذعنوا للصلح(١)، واعطوا الى ملك الاسلام، خمسة قلاع من أكبر قلاعهم، والتزموا بجميع ما غرمته السنة، فى هاتين السنتين، وهما سنة ١١٢٣ وسنة ١١٢٤(٢)، واقروا على أنفسهم فى كل سنة خزينة.

وقد عفوناهم من السفر فى هذه المرة، وانعمنا عليهم بالعود الى مصر، والسفر محسوب لهم، والعثامنة تكتب لهم. ثم أن الباشا فى الحال أرسل الى الاسكندرية فرمانا بالعفو لهم من السفر، وسفركم محسوب لكم. ثم أنهم رجعوا الى مصر، فطلبت الوجاقات ما كانوا قد اعطوهم من الدراهم.

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف صلح السلطان أحمد خان مع الطاغية مصقوة وما أعطوه بالذل والمسكنة.
(٢) ١٧١٢/١٧١١م.

انصاف عظيم واكرام جسيم وود عميم فالله سبحانه يحرس ايامهم وينصر سلطانهم وهو سلطاننا وامامهم وهو راعينا . وبعد ذلك توجه الاب البطرك الى دير بو مقار فى الجمعة السادسة من الصوم المقدس ومعه جماعة من اساقفة الوجه البحرى ومن القسوس والشماسه ومحفل كبير وكان قد استطلق[طلب] من السلطان الملك العادل شيئاً من دهن البلسم فامر له به فاخذه معه

موجودة أيضاً: ١ ـ دير الخندق، ٢ ـ دير الشمع، ٣ ـ دير نهيا، ٤ ـ در طموه، ٥ ـ دير شهران، ٦ ـ دير البنات بالكنيسة المعلقة، ٧ ـ دير الملكانية للقديس أرسانيوس فى طره، ٨ ـ دير القديس فيلتاوس المعروف بدير النسطوريين. وغير ذلك فى وادى النطرون والصعيد وساحل البحر الاحمر.

فأخذوا منهم الثلث، وفاتوا لهم الثلثين. وسافر خليل باشا فى ثامن عشر جمادى الثانى. وفى ثامن عشرينه ورد آغة من الديار الرومية بعزلان غيطاز بيك من الدفتدارية، وتوليته امارة الحاج، وعزلان الجزار من امارة الحاج، وتولية ابراهيم بيك أبو شنب الدفتدارية محل قيطاز بيك، فأجاب كل منهم بالسمع والطاعة، ولبسوا القفاطين. ثم أبرز خطا آخر بعمارة سفينتين ببحر القلزم لأجل غلال الحرمين الشريفين، وأن يجهزوا الى مكة المشرفةماية وخمسين كيسا من الأموال السلطانية، يسلم ليد محمد بيك بن حسين باشا، المعين لتعمير العين، فقوبل بالأمتثال.

ثم أن غيطاز بيك جمع الصناجق والأغوات بأن يكونوا له مساعدين عند الباشا فى طلب خمسين كيسا، يستعين بها على امارة الحاج، وأن تكون من الخزينة العامرة، ويرسل يعرض من أجلها بعد تسليمها له، فان قبل العرض فيها، وان لم يقبل، فان الصناجق وأغوات البلوكات[١]، يضعوها فى الخزينة العامرة. فأجاب الوزير الى ذلك، ودفع لهم ما طلبوه، ثم أنه أعرض فى شأن ذلك.

وفى يوم الأربع آخر جماد آخر ورد آغا من طريق الشام يقال له خليل باشا، ابن اخت عثمان أوغلى، معينا[٢]، لمحافظة جدة، فدخل القاهرة فى كبكبة عظيمة، وصحبته عسكر

(١) بالاصل «والاغوات البلوكات».

(٢) بالاصل «معناه».

ومضى الى الدير وقدسه فى الخميس الكبير على الرسم والعاده، وكان معه جمع كبير من كهنة القاهرة ومصر والبلاد فاراد ان يجبر قلوبهم بان يصرفهم فى هيكل بنيامين فاغتاظ الرهبان من ذلك وجاوا بالعكاكيز وكسروا بعض قناديل الكنيسة، ولم يلتفت البطرك اليهم بل كمل شغله وخرج الى قلايته بات بها واصبح صلا فيها صلاة الساعة الاولى من الجمعة الكبيرة واذا الرهبان قد

كثير من عسكر الروم، من الذين يقال لهم صرجا سيجان[1] وجمال محملة بالأثقال، يقدمهم ثلاثة بيارق. فخرج لملاقاتهم غيطاز بيك حالا، فى طايفة كثيرة من الصناجق والأغوات، وقابل الباشا، وأنزله فى غيط حسين بيك، ومد له سماطا[2] وقدم له خيولا، وصار بينه وبين خليل باشا صحبة، الى أن أنزله فى بيت اسماعيل بيك، صنجق مصقوة، بجانب الحنفى.

وفى يوم الخميس غرة رجب[3]. سافر خليل باشا الى جدة، وطلع بالاى عظيم. تقدمه السناجق والأغوات. وفى ثالث عشر شعبان[4]. البس الباشا قفطانا لأحمد بيك الأعسر، على ولاية جرجة[5]، عوضا عن محمد بيك الصغير، تابع غيطاز بيك. وفى عشرين من شعبان سنة ١١٢٤، ألبس الباشا محمد بيك جركس قفطان السنجقية[6].

وفى يوم الأربع تاسع شوال توفى حسن كتخدا الجلفى، بعد عزلانه من كخاوية العزب فى الفتنة، وكذلك عمر كتخدا نعمة الله كذلك الذى كان فى الفتنة، كتخدا مستحفظان. وفى

(١) يذكر الجبرتى، جـ١، ص١٨٣. هذه الفرقة تحت اسم «سارجة سليمان» كما ذكرها «سردن جشتى».
(٢) انظر الجبرتى، جـ١ ص١٨٣.
(٣) ٤ أغسطس ١٧١٢م. (٤) ١٥ سبتمبر ١٧١٢م.
(٥) كتب عنوان جانبى «اعرف ولاية أحمد بيك الاعسر على ولاية جرجة».
(٦) كتب عنوان جانبى «أعرف ولاية محمد بيك جركس الصنجقية سنة ١١٢٤».

اجتمعوا وحضروا اليه وضربوا له المطانوه وسالوه
ان يغفر لهم ذلتهم ودخلوا تحت كلما شرطه
عليهم. وكانت لهم عوايد ردية ازالهم عنها وجآ
الى الكنيسة وفرح وكمل العيد وكرز لمن اراد
تكريزه الا ان الرسم ما كان بد منه لاجل ما تاخر
من المبلغ المقرر للسلطان. ثم توجه الى ثغر
الاسكندرية واقام به مدة وجرى له فيها ما جرى
فى الدير مع كهنتها ثم رجعوا الى الطاعة وموافقة

عاشره البس الباشا غيطاز بيك الأعور تابع غيطاز بيك الكبير السنجقية وفى ثانى عشرة، ورد عبدالباقى، كتخدا ولى باشا، وصحبته (أمر) بتقرير ولى[*] باشا عن سنة ١١٢٥.

وفى يوم الخميس ثالث العشر القعدة سنة ١١٢٤[1] ورد آغا من الديار الرومية وصحبته خط شريف بطلب ثلاثة آلاف عسكرى الى سفرة مصقوة، لأنهم نقضوا العهد، وتعدوا على الاسلام، فطلع الى الديوان والخط بين يديه، وقرى بالديوان، فاجابوا بالسمع والطاعة، وألبس الباشا قفطان السفر الى حسين بيك شولاقى - يعنى الاعسر - الى سفرة مصقوة، عوضا عن عثمان بيك بارم دبله.

وفى يوم الاثنين غرة محرم سنة ١١٢٥. سافر حسين بيك، والعسكر من بولاق الى رشيد، ثم بعد سفر السنجق، وقع الطاعون فى مصر وقرأها، الى ان افنى الخلق[2]، وصار اذا مات الميت لم يجدوا له مغسلا، ولا عدة، من كثرة الازدحام على الحوانيت. وسموه بفصل النار، لأن نارا ظهرت فى الكوم الذى بالمجاورين أكلت الكوم. وتوجهت اليها مع جملة من الاخوان، وقادوا منه دواية الدخان ومكثت أياما الى ان طفوها بالماء. وختم الفصل بموت الشيخ احمد

(*) بالاصل «بتقريرا ولى» التصويب من التحفة، ص٣٠١.
(١) ١٢ ديسمبر ١٧١٢م.
(٢) بالاصل «ادعى» كتب عنوان جانبى «اعرف حلول الطاعون فى مصر سنة ١١٢٥».

الجماعة. وكان هذا البطرك له قوة نفس وصبر
واحتمال فما كان يبالى بشى مما يجرى. ثم عاد
الى مصر بعد ان شق بلاد الغربية واكثر الوجه
البحرى وافتقد كنايسه والسلطان عز نصره مقيم
بالشام. والشيخ السنى الراهب بكنيسة بوسرجه
بمصر وهو لا يطيع البطرك ولا يجتمع به ولا
يوافق على شى من اعماله والبطرك لا يصل الى
الكنيسة المذكورة وليس له فيها شى الا ذكر اسمه

النفراوى[1]، شيخ الجامع (الأزهر)[2]، يوم السبت عاشر ربيع الثانى سنة ١١٢٥[3]، وتولى مشيخته بعده شيخ[4] الاسلام محمد شنن، وطلع الى الباشا وألبسه كركا.

وفى ثانى عشر ربيع الثانى ألبس الباشا قفطان امارة الحاج الى محمد بيك الصغير، تابع غيطاز بيك الكبير، عوضا عن سيده لوضعه وضعفه.

وفى رابع عشرينه اشيع خبر فى القاهرة ان بعض الفارين دخل مصر متنكرا، فلما بلغ العسكر هذا الخبر، اجتمعوا فى بيت صالح آغا، كتخدا الجاوشية، واتفقوا أنهم يطلعوا الى الباشا، ويامروه ببيع بلاد الفارين، لأجل ما ينقطع طمعهم من مصر، ومن عودهم اليها. فامتنع الباشا وقال: لابد من الاذن فى شأن ذلك، فقامت العسكر وصممت على بيع بلادهم وأماكنهم. فلما رأى الباشا تصميمهم على هذا الأمر، وعدم انفكاكهم عنه، قال لهم، آخذ عليكم حجة، أن هذا الأمر منكم، وباجتهادكم، ليحتج بها عليهم فيما بعد، أن سئل عن ذلك من طرف السلطنة، فكتبوا له حجة بما أراد على طبق مراده. ثم انه أعرض الأمر على

---

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة الشيخ أحمد النفراوى رحمه الله»، وهو فى ذلك الوقت كان شيخ المالكية. ولم يتولى مشيخة الازهر. انظر ترجمته فى الجبرتى، جـ١ ص٢٨٢.

(٢) أضيفت كلمة «الازهر» لتوضيح المعنى رغم عدم صحتها تاريخيا.

(٣) ٦ مايو ١٧١٣م.

(٤) بالاصل «الشيخ».

في القداسات والصلوات لا غير وكان يقول
[السني الراهب] لولا امر السلطان منعت من يذكر
اسمه. في هذه الايام رسم بحفر جانب البحر
[النيل] على الساحل ليعمل فيه اساس السور الذى
رسم ببنايه على مصر والقاهرة، فسير الى البطرك
ورسم له بان يحضر اصحابه ويحفر مع الناس
وعزل له مكان مقدار طوله ماية ذراع في عمق
الاساس وقد كان الناس كلهم قد حفروا الامرا

الأغوات الذين جاءوا من طرف السلطنة، فقالوا له لابد أن تبعث عرضا قبل البيع، ثم انه أعلم العسكر، وأخبرهم بالعرض قبل البيع، فوافقوه على ذلك.

ثم ارسل اعرض الى الأعقاب العلية، ثم انهم أرسلوا سبعة انفار من السبع بلوكات وأعطوا لكل واحد منهم خمسة وعشرين ألفا من مال الفارين، وسافر العرض ثامن عشرين جماد آخر سنة ١١٢٥[(١)]. واستمر الطاعون الى غاية جماد آخر. ومات في هذا الطاعون عالم لا حد له.

ولقد صلينا في الجامع الازهر جملة واحدة بامام واحد على اربعة وعشرين رجالا ونساء وصبيانا صغارا.

وفي رابع رجب ورد اغا بدفتدارية مصر الى غيطاز بيك، عوضا عن ابراهيم بيك أبو شنب، ومقرر الى مملوكه محمد بيك الصغير بامارة الحاج، على ما هو عليه، وهذا لم يتفق لأحد بأن يكون السيد دفتدار ومملوكه أمير الحاج، في آن واحد، وهذا من جملة كمال السعادة. فلبسوا القفاطين بالديوان، ونزلا غيطاز، على اليمين، ومملوكه على اليسار. واوفى البحر في سابع عشرين رجب الموافق لسبع عشرين ابيب، ووافق تاريخه: هل نظرت عيناك تاريخا يوافا، مع العشرين سبعا في أبيب.

(١) ٢٣ يولية ١٧١٣م.

والاشراف والولاه وساير الناس واليهود اخرجوهم عند خروج النصارى فاستحى الناس وحضروا من كل مكان وحفروا وبقوا كذلك قريباً من شهر ثم انهوا العمل واستراحوا. وكان البطرك يقوم بهم فيما ياكلون وما يشربون ووقف اخذ الشرطونيه وقل الا فى النادر. والاسعار راخيه والاشيآ موجوده والامن عام [عم] البلاد. واما الشيخ نش الخلافة ابا الفتوح فان البطرك كان مشى الى منزله ليلة

وفى يوم الخميس خامس[1] عشر رمضان، توفى الشيخ أبو المواهب البكرى الصديقى واتفق له ليلة موته بالنفس، بعد صلاة التراويح، ان قال لمن كان جالسا عنده، انى أرى القمر ينكسف الليلة، وانى أرى القمر فى المحاق الله الله الله، ودونى الحريم، فلما دخل الى الحريم كانت عنده جارية. جزاها الله، بعد موته بما تستاهله، فلما رأته دخل الحريم على خلاف عادته، أخذت توديه، لأنها كانت جاعلة له محلا صغيرا لجلوسه ونيامه. وتشتغل هى بالجنك، طول ليلتها، والجوار السود يخدموا عليه، ولم تلتفت اليه، وأنها كانت حامية لواحد يقال له عمر آغا، تابع شاكر بره، من جماعة أيوب بيك، وكانت مسكناه فى القاعة الوسطانية، وكان جميع الدولة يعلمون أنه عندها، ولم يقدروا يسالوا الشيخ فيه، فبمجرد ما مات الشيخ لم يعبر البيت تلك الليلة، حتى خرج فارا، ولم يعلم أحدا أين ذهب. وفى أثناها جلس على السجادة الشيخ أحمد البكرى الصديقى ابن الشيخ عبدالمنعم البكرى، وكانت النوبة الى أخيه، محمد افندى، فتنزه له عنها، لما يعلم لما فيه من الكفاءة، حفظه الله وحفظ عليه اخوانه، الشيخ بكرى، والشيخ على، أمدنا الله بمددهم فى الدنيا والأخرة، أنه على ما يشاء قدير. ثم أن الشيخ لكبر سنة تنزه عن المرتبه، الى ولده الشيخ بكرى.

(١) بالاصل «خامع» ١٥ أكتوبر ١٧١٣م، كتب عنوان جانبى «أعرف وفاة الشيخ أبو المواهب البكرى الصديقى».

وبات عنده فاثر فيه ذلك وصار لا صديقا ولا عدواً
بل على جانب الا انه يكثر الترداد الى كنيسة
بوسرجه والاجتماع بالشيخ السنى الراهب. وكان
البطرك قد حرم انه لا يقم راهب فى مدينة ولا
ريف الا فى ايام الجرانه[الحصاد] لا غير. واستمر
الحال على ذلك . ثم وردت الاخبار بان عسكر
الروم [السلاجقه] خرجوا وجاوا الى حران واحرقوا
دار العافيه [الضيافة] التى بظاهرها، وسبوا ونهبوا

وفى ثانى محرم الحرام سنة ١١٢٦[١]. ورد أغا مكلف من الديار الرومية، وبيده خطان قريا بالديوان احدهما بباشوية جدة ليوسف بيك الجزار، والثانى بأن محمد أغا بن حسين باشا الذى كان متوجها الى مكة لعمارة العين بأن يكون باشا بالحبش، فأمتثلوا الأمر، وأن الاغا أخبر الوزير ولى باشا، بأن عثمان أو غلى الشهير بنصوح باشا[٢]، قد قتله السلطان وهو قافل بالحاج الشامى فذكره فى محله.

وتولى باشوية الشام رجل يقال له طبال يوسف باشا، ثم أن الباشا أرسل الى يوسف بيك اتى به من كشوفية البصنا [البوسنه]، فحضر يوم الخميس خامس ربيع أول سنة ١١٢٦[٣] وطلع الى الديوان، والبسه الباشا قفطانا على تولية جدة.

وفى يوم الاحد خامس ربيع أول ورد آغا من الديار الرومية بخط شريف قرى بالديوان، مضمونه انه مال الصرة، الذى كان يرسل صحبة الحاج الشامى الى فقراء مكة المشرفة يجهز الى الديار الرومية، صحبة الخزينة العامرة لترسل الى مكة صحبة الصرة الرومية.

(١) كتب بالهامش التعليق التالى «ومن مختصر ما لا يشيع للعلامة ابن عقبة رضى الله عنه قوله:
عش خامد الذكر بين الناس وارض به
فذلك أسلم للدنيا وللدين
من عاشر الناس لم تسلم ديانته
ولم يزل بين تحريك وتسكين»
(٢) بالاصل «بتوح باشا»، الاضافة والتصويب من التحفة، ص٣٠٨. (٣) ٢١ مارس ١٧١٤م.

وعادوا نزلوا على امد يحاصرونها. وزاد الماء [فى النيل] المبارك واطمان الناس بذلك. وجآء امر السلطان باخراج العساكر ولم يكن حضر منهم الا الاجناد وبعض الامرآ القليل منهم والا الجميع كانوا فى خدمة السلطان بدمشق فتجهزوا وخرجوا متقاطرين من عشرة وخمسة عشر واكثر واقل وكانوا ضعفى ليس لهم شى لخسة اخبازهم. ورخص اسعار الغلات واستقر الحال على ذلك. ودخلت سنة ثلاث وخمسين وتسع مايه وبلغ النيل

وفى يوم السبت [ثالث عشر ربيع الأخر] توفى الشيخ عبده الدرى البيصرى[١]، شيخ السادة الشافعية.

وفى يوم الثلاثة عشر من جمادى آخر وقعت حريقه ببولاق بوكالة البوص. فأنحرقت الوكالة وما جاورها من الربوع والدكاكين، ومكثت ثلاثة أيام حتى طفيت. وفى ثامن عشر جمادى آخر وردت أم سلطان اليزبك تريد الحاج الشريف.

وفى يوم تاسع عشر رجب سنة ١١٢٦[٢]، عزلوا كور عبدالله أوضباشا من باشوية الاوضباشية، والبسوه ضلمة الاى جاويش، وفوته الثلاث خدم، التى قبل اللاى جاويش، وهذا شىء لم يتفق لغيره أبدا، ولو كان السلطان، الا كل شىء فى طريقه، لأنها رابع نوبة فى الضلمة، وهذا شىء خاص به.

وفى يوم الجمعة سادس شعبان سنة ١١٢٦[٣]، عملوا ابراهيم أوضباشا الصابنجى، جربجى عزبان، وانزلوه بموكب عظيم الى بيته، واتته الهدايا من كل فج عميق، من خيل وقناطر سكر، وفروق بن. وفى يوم الخميس خامس شوال ورد أغا بيده خط شريف مضمونه أن لا يباع شىء من القهوة، والقمح، والرز، وكان قبل ذلك ورد خط شريف فى شأن ذلك،

---

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة الشيخ عبده الدرى». انظر ترجمته فى الجبرتى، جـ١ ص٢٨١ حيث يذكره باسم «عبد ربه أحمد الديوى الضرير» وبهذا يكون صحة الاسم هنا هو «عبد ربه الديوى البصير».
(٢) ٣١ يولية ١٧١٤. (٣) ١٧ أغسطس ١٧١٤م.

المبارك ثمانية عشر ذراعاً وثمانية اصابع والاسعار راخية والخيرات موجودة كثيرة. ثم ان جماعة من الاراخنه اجتمعوا وطلعوا إلى الاب البطرك بكنيسة المعلقة وقالوا له: الى متى تفعل هذه الاشيا التى قد جعلتنا بها سبة بين الامم والشعوب. قال لهم: وماهى ؟ قالوا له: أخذك الشرطونيه(*) على الكهنوت. فقال : نوفى مال السلطان. قالوا له: ومن احوجك الى ان نقرر للسلطان مالا. قال: انتم

(*) الاراخنه القبط يعترضون لدى البطرك ابن لقلق على أخذه للشرطونية.

وكتب مضمونه فرمان الى الثغور جميعا، بأن لا أحد يرسل الى الأفرنج، لا قمح، ولا رز، ولا بن قهوة.

وفى يوم السبت حادى عشر شوال سنة ١١٢٦[١]. ورد مسلم عابدى باشا، وطلع الى الديوان، وابرز امرا شريفا لابراهيم بيك أبو شنب، بأن يكون قايم مقام.

وفى ثانى يوم نزل ولى باشا الى بيت، على آغا الخزندار.

وكانت مدة ولايته ثلاث سنوات وشهرين، ولم يقع فى مدته غم ولا فتن ولا كلام، وكانت أيامه سخا ورخا، وكانت كالحلم. [..!!!؟]

٨٥- تولية عابدى باشا

قاتل قيطاز بيك الفقارى

قدم الى مصر يوم الاثنين ثالث ذى الحجة ختام سنة ١١٢٦[٢]، ولما استقر به الجلوس، حاسب ولى باشا، فظهر عليه خمسماية كيس، غير الترقى، الذى للمسافرين فى قلعة خوتن[٣]. فلما طولب ولى باشا بذلك، تعلل بأنه لم يأت له محلول. ثم أن عبدى باشا

(١) ٢٠ أكتوبر ١٧١٤م.
(٢) مدة ولايته: ٣ ذى الحجة ١١٢٦/١٥ شوال ١١٢٩ ـ ١٠ ديسمبر ١٧١٤/٢٢ سبتمبر ١٧١٧.
(٣) فى التحفة، ص٣١٠. «قلعة هدنن». وصحتها قلعة «هونن».

قرر تم المال للملك. قالوا: فما كان يتعين عليك ان تدخل فيه ولا البطركيه طرحت عليك بالشدة، بل انت برطلت عليها وخطبتها ولك اليوم تسعى فيها عشرين سنة وقد اخربت كنيستنا . قال: انا ما اخربت كنيستكم بل عمرتها وما كان بقى فيها اسقف وقد صار فيها اليوم خمسين اسقفا ومن الكهنه مالا يحصى عددهم. وزاد الحديث منهم ونغص [وزاد الطن بله] اخر الامر حلف ان المبلغ الذى للسلطان ما تغلق الى الان وانه بقى منه الى

أحضر عبدالباقى، كتخدا ولى باشا، وسأله، فلم يبد بحرف ما، فأمر بسجنه، فسجن فى العرقانة. وارسل فرمانا الى كتخدا مستحفظان باقامة الحرس على ولى باشا، وكان كاتخدا الوقت اذ ذاك[1] حسن كتخدا القزدغلى، فعين جربجيا الى حرس الباشا وانفارا، وكان ذلك يوم الاثنين غرة محرم الحرام سنة ١١٢٧ . ثم أن عابدى باشا احضر جماعة ولى باشا، الذى هم أصحاب المناصب، وهم: الخزندار، والمهر دار، وكاتب خزينة، وقفطانجى، واودعهم العرقانة، وعين عليهم جماعة من الدلاة حرسية، فجلسوا فى فتحة على باب العرقانة، ثم أن فى ثانى يوم احضر الباشا بين يديه، وأحضر الوالى فوقف خلف اظهرهم ينتظر الأمر فيهم وجعل الباشا يهددهم، ويتوعدهم بالقتل[2]، فعند ذلك أخبروا بما هو مدخر عنده من نقود وجواهر وامتعة وغير ذلك. فاحضر ولى باشا وسألوه عما قالوه خدمته، فأنكر، فأرسل اتى بجماعته، وسألهم بحضرته فأخبروه مواجهة له بما قالوه أولا. فأمر عبدى باشا باطلاقهم لصدقهم، وأمر الباشا باحضار ما كان مطلوبا منه من مال السلطنة، فعند ذلك توجه ولى باشا الى منزله، وشرع فى بيع جميع أسبابه. ثم أنه أحضر الدلالين وأوقع البيع فى متاعه.

وفى يوم الاثنين فى ٢٢ محرم ورد آغا من الديار الرومية الى الديوان، وابرز خطا شريفا قرى بطلب ثلاثة آلاف عسكرى وسنجقا الى جزيرة مورة، فامتثلوا الأمر. ونزلوا الى منازلهم، ثم

---

(١) بالاصل «اذاك».

(٢) بالاصل «بالفتيل».

ساعة تلك ثلثماية دينار . قالوا له: فالاساقفة الاخر ياخذون الشرطونية. قال: ومن يرضى للاساقفة بهذا والله ما بلغنى ان اسقفاً اخذ شرطونيه الا فامنعه وهذه كتبى تخترق البلاد بهذا. قالوا: فتكرز اولاد التوانى(*) قال اورنى قانونا قد منعوا فيه من الكهنوت. قالوا : عاده كنيستنا وما جرت به سنه ابائنا. قال : انا اوافقكم على هذا على انه عاده لكم لا شرع وناموس. قالوا: فنريد كتباً الى الوجهين القبلى والبحرى بمنع الشرطونيه وقطع

(*)اولاد التوانى : أى أولاد الزوجه الثانية.

انهم تشاوروا فى بيت الدفتدار فيمن يرسلوه من الصناجق. فاجمع رأيهم انهم يرسلوا أحمد كاشف، تابع ايواظ بيك، ويمدوه، ويجعلوه صنجقا.

فلما كان يوم الخميس سادس عشرين محرم، أطلعوه الديوان، وألبسه الباشا قفطان السنجقية، وقفطان السفر الى مورة، ونزل من الديوان فى موكب عظيم الى منزله.

وفى تاسع عشر من محرم ورد آغا من الديار الرومية بخط قرى بالديوان، بطلب عشرة آلاف كيلة رز[١]، بكيل القسطنطينية، وعشرين ألف كيلة عدس، وثلاثة آلاف قنطار من الفرك البربرى[٢]، يرسل ذلك على الفور صحبة سفر الميرى، فامتثلوا الأمر.

وفى عاشر صفر ورد الحاج الشريف الى مصر صحبة. أمير[٣]، الحاج، محمد بيك الصغير، وأخبروا بأن الذى عاقهم عن المعتاد كثرة البرد، وموت الجمال، وانقطاع طرق الحاج.

وفى رابع عشرة دخلت الربايع وصحبتها مقاطيع الحاج، وصارت المقاطيع تأتى فى كل يوم الخ الشهر، وأما الذين[٤]، ماتوا جوعا وعطشا ليس لهم حساب، وجاء صحبة الحاج الشريف يوسف بيك الجزار الذى كان باشة جدة قبل الجزار، قريب عثمان أو غلى الذى تقدم ذكره،

(١) بالاصل «روز».
(٢) فى التحفة، ص٣١١ «ثلاثة آلاف قنطار يدك (حبال) مفتول من الكتان».
(٣) بالاصل «مير».
(٤) بالاصل «الذى».

(*) يمنع من الكرازه اولاد الزيجه الثانيه للرجل أو للمرأة فى حالة الطلاق أو الوفاة للزوج أو الزوجه.

تكريز اولاد من تزوجت رجلا ثانيا(*). قال: انا اكتبها واسيرها لكم. وانفصل المجلس على لا شئ ولم يكتب كتبا ولا عمل شيأ. ثم وقع المرض فى الناس والموت مثل السنة الخارجة [السابقة] واشد واستمر ذلك ومات ناس كثيرون، ومرض البطرك مرضة شديدة قارب فيها الموت ومن الله عليه بالعافية. ثم ان السلطان عز الله نصره عاد من سفرته هذه الى القاهرة المحروسة فى الثانى

واكرام غيطاز بيك له، فلما ورد الى مصر حبس فى العرقانة لان حسن كتخدا المعين عليه مأمور بتوديته الى الديار الرومية، فحبسه فى العرقانة خوف الفرار، كما فر كتخداه من الدار الحمرة.

وفى أواخر صفر سافر الاغا وصحبته خليل باشا الى الاعتاب السلطانية.

وفى ثامن عشرين صفر ورد آغا ايضا وبيده أمر شريف قرى بالديوان، مضمونة أنا أرسلنا لكم مرارا نحذركم[1] عن ارسال غلال الى الكفرة النصارى، فلم تمتثلوا، فاستمريتم على المخالفة، وارتكبتم ما يوجب العصيان، وقد بلغنا ذلك، وتحققناه وسبب ذلك طمع المكاسين، ومستلزمين المكس، لكثرة الدراهم. وموالستكم[2]، فانتم تحذروا من ان تتعاطوا شيئا يوجب المخالفة، وتقوية الكفرة المشركين على عسكر الموحدين، والسلاح عليكم والرحمة، ومن حذر فقد انذر. فما تم قراءة الخط، واذا بآغا ورد من يومه وصحبته خمسة خطوط قرءوا بالديوان، أحدها: بطلب ثلاثماية كيس من عابدى باشا، كشوفية المنصب، والثانى: ان كل من مات من طواشية دار السعادة، يضبط ماله، بيت مال[3] المسلمين، بمعرفة قاضى العسكر، ومن يكن واليا، فى حالة موت ذلك الطواشى، وتباع امتعتهم، وما يكون لهم خلاف الجوهر، والثالث:

---

(١) بالاصل «نحدكم». (٢) بالاصل «موانستكم».
(٣) بالاصل «بيت» وفوقها علامة الحذف، وحذفت ليستقيم المعنى.

والعشرين من كيهك [١٨ ديسمبر] مويداً منصوراً وخرج الى ثغر دمياط المحروس في العشرين من امشير[١٤ فبراير] اقام به مدة ثم انتقل الى ثغر الاسكندرية واقام بها مدة وكان غرضه على انه يقيم بها زمانا طويلا لانها طيبة في الصيف. وكان قد اهتم فيها بدار ما رأى احد من الملوك مثلها حتى جآء امراً وجب له الخروج منها والجى الى القاهره المحروسه. وهو ان اخاه الملك الاشرف

بعمل وكيل الخرج. والرابع: لا يعطى شيئا للنصارى، لا من حنطة، ولا أرز، ولا بن. والخامس: بحبس ولى باشا فى كشك يوسف، على العادة، والتضيق عليه وعلى جماعته أصحاب المناصب. ثم ان الباشا أرسل حبس ولى باشا فى الكشك، وحبس جماعته فى العرقانة، الذى تقدم ذكرهم، وكان قد عفى عنهم.

وفى تاسع عشر ربيع آخر نزل حسين آغا المعين على ولى باشا الى منزل ولى باشا وباع جميع موجوداته، سوى اثياب بدنه، وكذلك جميع موجودات عبدالباقى كتخداه.

وفى يوم الجمعة امر الباشا بضرب اتباع ولى باشا فى العرقانة، فكل من اقر بشيء أخذوه منه وأضافوه الى ما تحصل من موجودات الباشا، فالذى تحصل من موجودات الباشا وكتخدا، واتباعه، أربعون كيسا، ثم بعد ذلك توجه قبجى باشا الى ولى باشا وطلب منه ما تأخر عليه، فاخبره بانه صار لا يملك شيئا، فشدد عليه، ومنع طايفته من الاقامة عنده، ما عدى رجل لخدمته ووضوئه[(١)]. وفى يوم الأحد عشرين ربيع آخر. أحضر عابدى باشا مقاطعجى الغلال وامره بقراءة البواقي التى على الصناجق. فأول شيء بدى به اسم محمد بيك الصغير، أمير الحاج، تابع قيطاز بيك الدفتدار، فظهر جهته عشرة آلاف اردب حنطة، من حين كان حاكم

(١) بالاصل «ووفوه» والتصويب من التحفة، ص٣١٣، حيث يذكر صاحبها «ماعدا رجل واحد لوضوئه وطعامه».

صاحب دمشق وسنجار تغير قلبه ووقع بينهما شنان فعاد لتدبير هذه الحال. وكان قد وصل رسول الخليفة من بغداد وهو رجل فقيه من اكابرها ومضى الى السلطان الى دمياط واجتمع به في معنى الصلح مع ملك الروم [السلاجقه] التى كانت المحاربة بينه وبينه. وسير السلطان معه رسولا من قبله وسارا الى ان وصلا الى قيساريه وهي كرسى [عاصمة] مملكة الروم [السلاجقه]

جرجة، فاغتاظ الباشا غيظا شديدا، وقال لمحمد بيك: الذى عليك هذا المقدار من توليتك كشوفية جرجة، ولم أوردتها، أو أوردت ثمنها الى الوزير، الذى كان قبلنا، فعلى هذا الحال: ان مرادك عدم الاعطا، وهذا الأمر علامة على اكل غلال الميرى. ثم ان عابدى باشا أمر بسجنه فى العرقانة. فاحتاطت به جماعة الباشا ليأخذوه الى السجن، فتقدم اليه ابراهيم بيك ابو شنب ويوسف بيك الجزار. وتلطفوا بالباشا وتعهدوا له بما عليه من غلال ومال، وانزلوه الى منزله وهم صحبته. ثم ان الباشا فى ثانى يوم ديوان، عزل قيطاز بيك من الدفتدارية، وأعطاها الى يوسف بيك الجزار، وعزل كتخدا الجاوشية، وولى اسماعيل أغا الشبرخيتي، تابع أبو شنب، وكذلك آغاة المتفرقة، وولى عوضه محمد جلبى بن زين الفقار بيك الكبير وعزل الوالى، وولى عوضه الوالى القديم.

وفى ثانى ديوان الذى هو يوم الأحد، ثامن جماد اول سنة ١١٢٧[١]. عزل محمد بيك الصغير من امارة الحاج واعطاها الى اسماعيل بيك بن عيواظ، وعزل اغة الينجشرية وولى عوضه أحمد آغا بن باكير، أفندى مستحفظان.

وفى عاشره نزل الباشا الى قراميدان، واحضر البيهات [البكوات] المتولية جميعا، والبيهات المعزولة، وقاضى العسكر، وحلف أنه ما فعل هذا الفعل كراهة فيهم، ولم يكن فى ضميره سوء، وانما فعلت هذا الامر الا خوفا على ضياع مال السلطنة.

(١) ١٢ مايو ١٧١٥م.

المسلمين. فا تفق فى وصولهما ان مات ملك الروم المذكور ولم يجتمعا به. وقعد على كرسيه ولده واطلق الاسرى الذين كانوا عنده من عسكر مصر والشام الذى كان ابوه اسرهم فى تيك المدة المتقدمة. ثم ان مولانا السلطان اعز الله نصره اطلق الاسرى الذين كانوا عنده كلهم الذين اخذهم من القلاع التى استعادها من الروم [السلاجقة]. وقويت الاخبار بمجاهرة الملك

فقال المعزولون: يا مولانا الوزير، مناصب يعطيها وكيل السلطان لمن يريد، ووالله لم يكن عندنا غيظ من هذا الأمر، وزيادة على ذلك، ان المناصب تقليد لا تخليد.

وحلفوا له تأكيدا أنه لم يكن عند أحد منهم غيظ من هذا الأمر، وأوقع القاضى الصلح بينه وبينهم. ثم أنهم أكلوا وشربوا، وجاءهم الماورد والبخور، واتفق المجلس وتوجه الباشا الى القلعة، وتوجهوا الى منازلهم.

وفى يوم الثلاث عاشر جماد الأول وقعت فتنة بباب العزب، وما ذاك الا أن طايفة من العزب تكلمت فى طايفة أخرى، فظهر لهم منهم عين الخيانة، فالتجوا الى باب مستحفظان، وطلبوا عرضهم، وأن يلحقوا بباب مستحفظان.

فلما بلغ الطايفة الثانية الذين(*)، ظهرت منهم عين الخيانة، أرسلوا بعض اختيارية الى باب مستحفظان يلاطفوهم ويأخذوا بخاطرهم، ويردوهم الى الوجاق، فما أمكن. فأعرضوا أمرهم الى الوزير، لما أنهم راوا عدم أعطا عرضهم، وقولهم: فانا لا نعطيهم عرضهم أبدا، وأنهم يزعلوا من قعادهم عند الانكشارية، يعودوا ويصلحوا بالقهر عليهم. فلما وصلهم الخبر أعرضوا أمرهم الى الوزير، كما تقدم، فأمر الوزير المقابلجى(١) بأن يتوجه الى باب مستحفظان، ويكتب اسماءهم، ويخرجهم من باب العزب بدفتر المقابلة، بفرمان الباشا. ثم أن أفندى

(*) بالاصل «الذى».

(١٤) المقا بلجى: هو رئيس قلم المقابلة، وقد سبق الحديث عن اختصاص، أفندى المقابلة، انظر ص٣٢٤.

الاشرف لمولانا السلطان ووافقه على ذلك صاحب
حمص وصاحب حماه واكثر ملوك الشرق حتى
انه طرد نوابه الذين بدمشق واخذ حواصله التى بها
وحواصل ابن اخيه الملك الناصر صاحب الكرك
لانه كان فى طاعة السلطان الملك الكامل. وجآ
الى خدمته الى القاهرة المحروسة فى يوم الجمعة
الثانى من ابيب [٢٦ يونيو] من هذه السنة وكان
يوم عبوره يوماً مشهوداً لان المدينتين [القاهرة

المقابلة توجه الى باب مستحفظان، وكتب اسمايهم، ثم رجع الى الديوان، وكتب عرض حال، وأخذ على موجبه فرمان الوزير، ونقلت اسماؤهم الى باب مستحفظان وكتب تذاكرهم، ونزلوا الى منازلهم.

وكان جمعهم ماية وأربعة وستين نفرا، واثنين وثلاثين جربجى وأوضباشا، واثنين من الكواخى. فوقع الرعب فى قلوب الباقين فى باب العزب. فعند ذلك أقاموا لهم ستين نفرا لحرس بابهم ليلا ونهارا، خوفا من طارق يطرقهم على حين غفلة. عشرين داخل الباب ميمنة، وعشرين بالزاوية التى تجاه باب مستحفظان، وعشرين عند أوضهم، التى تعلو قراميدان، وجعلوا لكل واحد منهم عشرة أنصاف فضة جامكية، يأخذوها كل ثلاثة أشهر، ولم يكن الحرس مخصوصا الا لباب مستحفظان دون الأبواب الستة. والحرس ما حدث بباب مستحفظان الا من يوم كشك محمد اوضباشا سنة ١١٠٦.

وفى يوم الخميس غرة جماد آخر ورد خبر من ثغر اسكندرية ان مركبا من مراكب النصارى القرصان أتت الى اسكندرية، وأراد أن يدخلها، فرأى مركب السلطنة من مينة البلد، فأرمى مرسيه خارج المينة، تجاه البلد.

فلما رأى قبطان غليون الميرى تلك المركب أرمى مراسيه خارج المينة، قال: هذا قرصان. ثم أنه عزم على انه يحربه فوصل الخبر الى القنصل، فأرسل اعلم قبطان المركب بما وقع من قبطان السلطنة، وأمره باظهار حاله، والا أسره القبطان، فلما وصله الخبر أرسل صندلا الى

ومصر عتيقه] زينتا والاسوار من باب النصر الى القلعة المحروسة. وكان كل امير ياخذ برجاً وبدنيين [أو] ثلثه ومنهم من ياخذ برجين على قدرته ويزينها بعدته ورنكه واسلحته والصور العجيبة والحركات المستغربة وكان كل واحد يريد ان يزيد على الآخر فكان امراً عجيباً مستحسناً فاما القلعة فما زينها الا السلطان وخواصه وخدامه الساكنون [بها]. وكانت كنيسة الجزيرة [الروضة] قد انهدت زربيتها واخذ [أكل] البحر البستان الذى لها

سكندرية فيه أموال الى الافرنج، ومكاتيب، فلما دخل الصندل الى البنط [المرساة]، كان ذلك الوقت بالثغر العسكر المنصور، المتوجه الى جزيرة مورة، صحبة أحمد بيك، صارى العسكر، الذى تقدم ذكره، وسردار مستحفظان، عثمان جاويش الزللى، ويمقه [قائد القواسه] أحمد جربجى الشامى، الذى كان سردار بيت قاضى العسكر. فلما رأى قبطان السلطنة دخول النصارى الى البر، اغرى العسكر بنهب ما فى الصندل، لكون انه مال الافرنج العصاة[1]. وانما فعل هذا الذى فعله الريس شيطنة، لخلاص المركب والمال من القبطان.

ثم انه توجه هو وجماعته، وتبعتهم طايفة العسكر، فهجموا على الصندل فنهبوا جميع ما فيه، وكان كله ريالات. وكان لى صاحب فى العسكر المسافر، فاخبرنى واحد منهم أنه وقع فى يده كيس فيه خمسماية ريال، وكان شركاؤه فيه خمسة غيره، وشيء أخذ مايه، وشيء أخذ عشرة، وشيء مات وأخذ الذى كان قد أخذه من الصندل، وصار فى البلد فتنة كبيرة، ولم أبقوا فيه شيئا.

فلما رأى قنصل سكندرية ما حصل[2]، بالصندل، أرسل الى القنصل الذى بالقاهرة اعلمه، فلما جاءه الخبر، طلع الى الباشا، هو وتجار الأفرنج صحبته، وعرف الوزير بما وقع من القبطان والعسكر المتوجه الى مورة، وعرفه بصورة الحال. ثم أن القنصل تكرر طلوعه والمراجعة، فعند ذلك أمر الباشا بأن يتوجه الى سكندرية سبعة أنفار من [كل] بلك واحد،

(١) قدم وآخر.

(٢) بالاصل «فى».

وبعض كنايس العلو وخشى على الجامع الذى بها وهو المقياس فخرج السلطان الى والى مصر بان يتقدم الى البطرك بعمارتها(*) فنزل بها واهتم بامرها وعمرها ويقال انه انفق عليها الف دينار وعمرتها [عمرها] برسمه قاعة على البحر بشبابيك وهمة عالية ما ترى احسن منها وقدس بها وجلس على السنطرن وقرى عليه الابرولوغس واخذها من اسقف الجيزه وصارت بطركيه ونزل بها. وكذلك الديارات فى جميع الديار المصرية

(*) ترميم كنيسة جزيرة الروضة وجعلها مقراً للبطركية.

ليتحققوا صورة الحال. ثم أن القنصل أعطى لكل واحد من السبعة أنفار أربعة آلاف نصف فضة لنفقة عياله ولسفره.

ثم انهم سافروا فى غاية الشهر، فلما وصلوا إلى اسكندرية سألوا عن القضية فأخبرت أن أهل اسكندرية، ان أول من نهب قبطان البيليك واتباعه، وتبعهم العسكر المعينين إلى جزيرة مورة. ثم أن المعينين وردوا إلى مصر واخبروا بما وقع وبما شهدت به أهل اسكندرية. ثم أن عابدى باشا قال للقنصل: العسكر سافرت، والقبطان سافر، وغليونكم أيضا سافر، فارسلوا اعلموا أمركم إلى الوزير الكبير والقبطان هناك والعسكر هناك. ثم أن القنصل أرسل أخبر قنصل سكندرية، فكتب مكاتيب، وأعطاه لريس الغليون الذى نهب صندله وسافر.

وفى يوم الأربع (٨)[١] من رجب الفرد سنة ١١٢٧[٢]. نزل الباشا إلى قراميدان وأرسل إلى قيطاز بيك ليأتيه إلى قراميدان، فلما وصله المرسال أمر بأن يأتوا له بالجواد ليركب. فلما ركب على الجواد وساقه نحو الباب، فرجع الجواد، وأبى الخروج، فضربه بالركاب، فمضى إلى أن قرب الباب، رجع، فقال له جماعته: بلا طلوع اليوم، فان هذا الجواد لم فعل هكذا ابدا، وأن هذا اليوم يوم نحس، فبالله عليك الا ما رجعت، وبلا ركوب اليوم. فأبى وقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾[٣] ثم أنه ساق الجواد وطلع، فلقيه خارج الباب داوود، صاحب

---

(١) الاضافة، من التحفة، ص٣١٦.

(٢) ١٠ يولية ١٧١٥م.

(٣) سورة التوبة رقم ٩، آية ٥٠.

فانه جعلها كلها بطركيه(*) ولم يجعل لاسقف حكماً الا فى كنايس المدن خاصة. ثم انه قدم مطرانا على البيت المقدس والساحل والشام الى نواحى الفرات وسيره الى هناك. وامتعض لهذا بعض الاراخنه وقال هذا ما لا يجوز لان هذه البلاد من كرسى انطاكيه والكرسيان واحد ويقع بهذا فرق [خلاف] لم تجر به عادة. ولم يلتفت البطرك بل قدمه وجعل الحكم له فى تيلك البلاد كلها حتى بلاد الافرنج وسيره فلما كان عيد

(*) توحيد كل البطركيات تحت سلطة البطركية الكبرى ما عدا بطركيات المدن الكبرى.

عيار وقال له: ارجع يا بيك، فلم يلتفت اليه أن جاء إلى رأس الصليبة، فلقيه حسن كتخدا النجدلى، فقال له: الى أين. قال: الى الوزير، أرسل طلبنى. فقال له حسن هذا ما هو طلب خير، ارجع بلا رواح؛ ثم أنه قال له: أنت ما كنت عامل له العزومة اليوم فى العادلية التى طلبها منك بفمه. فقال له «قيطاز بيك: أرسل لى حسن آغا ليلة أمس، وقال لى، أن الباشا ناء عن رواح العادلية فى غد، ويطلبك فى قراميدان، وأنا رايح له. ثم أن قيطاز بيك سار إلى قراميدان، فلما دخل على عابدى باشا قام له، وأجلسه بجنبه، ثم أنه بعد ما جلس، وشرب القهوة أخرج له خطا شريفا من عبه، فاعطاه له فلما قراه أصفر وجهه، فأخذ الباشا الخط من يده، وأشار الى اتباعه. فضربوه بالخناجر، فمات[1]. ثم أن الباشا أرماه من فوق الكشك الى قراميدان، وركب وطلع الى القلعة، وأمر الوالى بأن يحمل جثته الى منزله، فحملها الى منزله، وأرسل ختم على بيته، فضجت البلد، وارتجت أهلها، فأرسل الباشا الى الوالى وأعطاه فرمان، وأمره أن ينادى بالأمان، وأن الناس تفتح دكاكينها، وتبيع وتشترى.

وفى يومه طلعت طايفة من العزب الى [مسجد] السلطان حسن، وملكوه وقعدوا فيه ببندقهم وسلاحهم،وقفلوا الأبواب، ومنعوا الناس من الصلاة فيه، وأخرجوا السكان الذين ساكنين.

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف قتل الوزير عابدى باشا لقيطاز بيك».

(*) هو أغناطس الثـاني بطرك السـريان في المدة من ١٢٢٢ / ١٢٥٣م

القيامه المقدسة وصل انبا اغناطس (*) بطـريـرك السريان الى البيت المقدس والكناغيطس بطريرك الارمن. فلما بلغ البطرك ذلك جهز لبطرك السريان هدية من هدايا مصـر وسيـر بهـا اسقف الخندق وقسيس من قسوس مصر فلما وصلوا الى القدس بلغ المطران وصولهم فخرج بلقـاهم بالاناجيل والمبـاخـر والصلبـان وانزلهم عنده ومضى اسقف الخندق الى بطرك السـريان اجتمع به وسلم عليه

وفي اليوم الثاني احضر الباشا الصناجق وأبرز لهم الخط بقتل قيطاز بيك فقراه عليهم، ثم أنهم نزلوا الى منازلهم، وحصل للامراء الرعب في قلوبهم، وامتنع عبدالله جاويش من طلوعه الى الديوان لخدمته المعتادة، وهي جاوشية باب مستحفظان واراد أن ينزل الى منزله، فحصل الخلاف في ذلك بين متكلمي الأوجاق، فأرسل الباشا يسأل عليه، وعلى سبب عدم طلوعه الى الديوان. فأرسلوا أخبروه بأنه خايف منك، فأرسل له الأمان، ويقول له: لا تخشى من شيء، وعليك الأمان، فما أمكن انه يطلع الى الديوان أبدا. ثم انه أرضى متكملي وجاق وأخذ بخاطرهم، فساعدوه على العزلان، واقاموا في بيت المال باش جاويش، وانزلوه الى منزله مكرما مبجلا، تقدمه اختيارية[1] أوجاقة، وعليه قفطان العزلان.

وفي يوم الاحد سادس عشرين رجب توفي أحمد آغا، آغاة مستحفظان، ابن باكير أفندى، وقانصوه بيك، قايم مقام الفتنة، وصلوا عليهما معا في سبيل المؤمنين. وفي ذلك اليوم وصل قابجي باشا من الاعتاب العلية، وصحبته خط شريف قرى بالديوان، يتضمن تجهيز[2]. ولى باشا الى الأعتاب العلية، وكاتب ديوانه، وخزنداره، وكتخداه، ومن كان يباشر أموره. فلما قرى الخط بحضور ولى باشا، طلبت العسكر تراقيها التي استحقت عليه، وهي سفرة: هونن والجداوية، والخزينة فسألوه عن ذلك، فتعلل بالاعسار، فعادوه الى السجن، وأعرضوا في شأن

(١) بالاصل «الاختيارية».

(٢) بالاصل «تضمين».

واعطاه كتاب الاب البطرك وهديته وكانت عود بخور ومنديلين لليد وشبوقه(*) ابنوس فقبلها واقبل عليهم وقال لهم: الاب البطريرك انبا كيرلس اخى وانما هذا الشيطان(*) رمى بيننا وافرق الكنيسة وما له عندى تصرف يعنى المطران. وخرجوا من عنده فنفذ اليهم وسالهم النزول عنده فامتنع الاسقف وقال انا نازل عند المطران وما اقدر اخرج من عنده الا باذنه فحنق بطرك السريان من ذلك ورد

(*) شبوقة: صولجان الأسقف.

(*) الشيطان هنا المقصود به مطران القدس القبطى.

ذلك، وانتظروا عود الجواب. ولما كان يوم الثلاث ثامن عشرين رجب، تولى، اسماعيل بيك، تابع اسماعيل بيك ابن ايواظ، اغاوية مستحفظان، وألبس زين الفقار، آغة التفكجية، تابع قانصوة بيك الصنجقية التى كانت لسيده قانصوة بيك.

وفى عشرين رمضان خرجت العساكر التى كانت فى السلطان حسن، وفتحت أبواب المسجد للمصلين، فمكثت العزب خارج المسجد، ثم عادت الى المسجد خامس عشرين رمضان، ومنعوا المصلين، وأقاموا الحرس فيه لاجل باب العزب لأنه مواجها له[1].

والسبب فى ذلك لما قتل قيطاز الدفتدار، وعزل مملوكه محمد بيك الصغير من امارة الحاج، وتولى اسماعيل بن ايواظ، وتولى يوسف بيك الجزار الدفتدارية وأنتقل محمد بيك من بيته، الذى فى قيصون، وسكن فى بيت سيده قيطاز بيك، فاجتمع رأى الأكابر: أصحاب الحل والعقد، ان يولوا محمد بيك ولاية جرجة، وعثمان بيك بارم ديله ولاية منفلوط تسكينا للفتنة لأنهم لم يأمنوهم فكلفوهم الى ذلك فأبوا وتعلل محمد بيك بسبب دين سيده، وكفالة أيتام سيده، وأنه لم يكن هناك أحد يعولهم غيره، فلم يقبل منه ذلك. وأرسل الباشا يطلب المذكورين، محمد بيك، وعثمان بيك ليلبسهما خلع المناصب حكم التوافق، وكان ذلك فى يوم الأربع سابع عشر رمضان سنة ١١٢٧(*)، فامتنعا، وقالا: نحن لا نريد مناصب، بل الباشا

(١) بالاصل موجها لهء.

(*) ١٦ سبتمبر ١٧١٥م.

الهــدية ومنع المطران ولم يرجع يرى الاســقف وجهاً. واما المطران فانه استعان بالافرنج وواخى منهم جماعة وتصرف فى كنايس القبط هو وشعبه ويقال ان الافرنج اخذوا خطه بان اعترافه اعترافهم واعـتـقـاده اعـتـقـادهم وان هذه عـادة لهم ان لا يتـصـرف احـد من الاجناس الابعـد ذلك وانفـصل اسقف الخندق ومن معـه على غيـر طيـبـه. ثم ان السلطان عز نصره جهـز العسـاكر اولا اولا وصـار

يولى من يريد غيرنا: فلما سمع الرسول من محمد تابع غيطاز بيك، وعثمان بيك بارم ديله، هذا الجواب، أخبر الباشا بما قاله الصناجق من عدم قبول المنصب.

وأما محمد بيك وعثمان بيك لما توجه الرسول من عندهم وأخبر الباشا بما قالوه تحقق[1] عندهم أن الباشا لا يسكت، وهل بت أنه يبطش بهم، وأن أعداءهم يغرونه على قتلهم، كما اغروه على قتل قيطاز بيك. فعن لمحمد بيك أن يتأهب للحرب. ثم أنه جمع طايفته الذين هم كانوا سراجين سيده، وأرسل أتى بجماعة غرب [مغاربة] جت من خان الخليلى، واعطاهم الذهب الأحمر، وضمهم الى من عنده من الطوايف والاتباع، وأنضم اليه عثمان بيك، وحسين بيك أبو يدك، واستعدوا له خوفا منه أن يفعل بهم كما فعل قرأ محمد باشا بعبد الرحمن بيك. فجمعوا من عندهم من الطوايف والغرب الذين اكروهم، فوجدوهم ما يفوقوا عن ألف رجل، فوزعوهم فى جوانب البيت، وفوق الأسطحة التى للبيت، وفى بيوت الجيران المجاورة لهم، وفوق اسطحتهم، واوقفوا جماعة داخل الباب الذى يخرج منه الى البركة ردا لمن يأتى لهم من ذلك الطريق. ووضع مدافع خارج البيت، ومدافع داخله. فلما رأت السكان المجاورين له، انزعجوا وخرجوا من منازلهم، خوفا من النهب والقتل، وكذلك فعلت التجار الذين فى سوق السلاح.

(١) بالاصل «يحقق».

يخرج عسكر ويردفه باخر. وفى هذه الايام وردت الاخبار بان التطر[التتار] نزلوا على اربل واخذوها بالسيف ويقال انهم قتلوا فى جامعها سبعين الف نفس وبقيت القلعة ممتنعة عليهم وسيروا الى صاحب الموصل واطاعهم صاحبها وحمل اليهم الاتاوه الازواد والاقامات لان بينهم وبينه مسافة دون يوم وكانت الاخبار من الشرق والغرب تدل على ان الاحوال مضطربة. ووفى النيل المبارك فى

وأما ما كان من الباشا فانه لما عاد له الرسول، اخبره بما قال الصناجق، مع عدم حضورهم اليه، وامتناعهم من قبول المنصب وتهيئتهم للحرب والمقاتلة، وجمع العساكر والطوايف، حصل عنده غيظ شديد، وتحقق عصياتهم عنده.

فلما كان ثانى يوم وهو يوم الخميس عشرين رمضان سنة ١١٢٧[١]. أرسل الى القاضى، والعلماء، ونقيب الاشراف، وارباب السجاجيد، والصناجق، والاغوات، والامراء المتكلمين أصحاب الحل والعقد من السبعة [*]. أوجاق، وعرفهم بعصيان محمد بيك، وعثمان بيك، ومخالفتهم لوكيل السلطان، وطلب من العلماء أن يعطوه أذنا لمحاربته لهم. فسألوا الباشا أن يأذن لهم فى التوجه لهم، وان يطمن خواطرهم، ويدفع ما عندهم من الخوف والوهم، أن يأتى بهم[٢] صحبتهم للبس القفاطين، ونزولهم الى مناصبهم، فأذن لهم الباشا، والتزم نقيب الاشراف أن يتوجه صحبتهم، فأجاب، وتوجه الجميع الى منزل ابراهيم بيك أبو شنب، وأرسل اليهم اختيارية الوجاقات يسألونهم الحضور الى منزل ابراهيم بيك أبو شنب. فتوجهوا الى منزل محمد بيك وعثمان بيك وعرفوهم باجتماع العلماء، والنقيب والصناجق، والأمراء، فى منزل ابراهيم بيك وهو ينتظرون حضوركم، وقد تعهدوا لكم بجميع ما تطلبونه، وقد التزموا لكم

---

(١) ١٩ سبتمبر ١٧١٥م.

(*) كتب بأعلى هامش الصفحة «عونك ياالله».

(٢) كررت بالاصل.

هذه السنة فى نهار يوم الخميس الثالث عشر من مسرى[*] وهو عيد التجلى بطور تابور . وكان نيلا بدرياً وتواترت زيادته وكانت الاسعار رخيصه والاشيآ موجودة رخيصة الى الغاية والناس فى رخآ عظيم وخيرات واسعة . ثم دخلت سنة اربع وخمسين وتسع مايه[*] والماء يزيد الى ان بلغ ثلاثا وعشرون اصبعاً من تسعة عشر ذراعاً وكان لما بلغ ثمانية عشر اصبعاً من تسعة عشر ذراعاً رسم

(*)١٣ مسرى = ٦ اغسطس عيد التجلى

(*) ٩٥٤ ق = ١٢٣٧م.

بضمان ذلك، وما مرادهم من ذلك الا اخماد الفتنة، واطاعة ولى الامر، وحقن دماء المسلمين. فأجاب المذكورون الى ذلك، فمنعهم الطوايف، والذين جاءوا اليهم من البلوكات، وقالوا لهم: نحن لا نأمن طرفهم، ولا تحت حكمهم وان خالفتونا، قطعناكم بايدينا.

فلما سمعوا، تعللوا بأمور، وسوفوا بهم، وامتنعوا من الركوب والتوجه معهم. فلما رجعت الجماعة، وعرفوهم بما وقع من محمد بيك وعثمان من اجابة الأمر، واجتماع طوايفهم، فعند ذلك قامت الجماعة جميعا، وطلعوا الى الديوان، وأخبروا الباشا بما حصل من امتناعهم. فكتب الباشا فرمانا[١] الى السبعة أوجاق بأن يحضروا الى قراميدان، كل بلك[*] ببيرقة، وكذلك أمر طبجى باشا بتجهيز المدافع الى خارج سور القلعة، ويضعها على عرباتها فى سوق الخبز، الذى خارج جامع قلاون[٢]، وكذلك أمر الوالى أن يأتى بخيل الطواحين لجر المدافع، فبادر كل منهم بالامتثال، وبات كل منهم على ذلك. فلما كان صبيحة يوم الجمعة حادى عشرين شهر رمضان سنة ١١٢٧[٣]. حضر اسماعيل بيك بن ايواظ بخيله ورجله، وأيضا جميع الصناجق والاغوات بآلة حربهم تماما، ودخلت الصناجق والاغوات عند الباشا.

وأما الجاوشية والمتفرقة والأسباهية فانهم اجتمعوا جميعا فى الرميلة، والعزب ببابهم،

(١) بالاصل «فرمان».
(٢) بالاصل «قيلون».
(*) بالاصل «يلق».
(٣) ٢٠ سبتمبر ١٧١٥م.

السلطان عز نصره ان لا يرجع ينادى عليه بل ان الخواص علموا ذلك من الرقاع التى كانت ترفع الى السلطان فى كل يوم. ووردت الاخبار من دمشق بان الملك الاشرف(*) مات ولم يصح ذلك حتى جاوا العزايه وعملت له الصبحه(*) وفشا الامر. ثم ان عماد الراهب المرشار الذى كان السبب فى تقدمة البطرك [كيرلس الثالث/ابن لقلق] وعاد عدواً له لما ابعده اجتمع مع شخص

(*) الملك الأشرف: هو أخو الملك الكامل، توفى ٤ محرم ٦٣٥هـ، تولى بعده ملك دمشق أخوه الصالح إسماعيل بعهد من الأشرف، وكان ذلك فى المحرم ٦٣٥هـ. وفى ٢٤ رجب من نفس العام توفى الملك الكامل بدمشق فتولى بعده فى مصر ولده سيف الدين أبا بكر الملقب بالملك العادل، وكان قد أستخلفه أبوه على مصر عندما سار إلى الشام.

(*) الصبحة: هى سرادقات التعازى.

والينجشرية ببابهم. ومن جملتهم كور عبدالله جاويش، وناصف كتخدا القزدغلى، وحسن كتخدا النجدلى، وكانوا اتفقوا على قتل الشريف حسين كتخدا الوقت، وابراهيم أوضباشا باش الأوضباشية أخو محمد كتخدا جدك وعلى كتخدا الدوادلى، ومصطفى كتخدا الشريف، وغيرهم من الجاوشية المعزولة، والكواخى، مع ما كان بينهم من المصافات ظاهرا، والعهود والمواثيق والايمان العظيمة، لا يغدر أحد برفيقه.. ثم جددوا جميعا على السيف والختمة، وكل منهم واضع يده على السيف والمصحف، وكان الأمر بخلاف ذلك، واتفق المجلس.

ولما كان ثانى يوم الذى هو يوم الجمعة، وقد اجتمعوا بالباب، وهم فى همة التهيء لمحاربة محمد بيك، فأول من نقض العهد وضرب الشريف حسين كتخدا، وهو جالس على التخت، كان كور عبدالله جاويش، وكانت العسكر الذين فى الرميلة منتظرين ضرب المدافع، وحين ضرب البندق، وقد قفلوا الأبواب التى للقلعة من الجانبين، وكان السبب فى ذلك طايفة كور عبدالله، لما رأوا سيدهم ضرب شريف حسين(١) كتخدا بالبندقية قتله، سحبوا السيوف وضربوا بالسيوف والبندق.

ثم أنهم فتنوا على ابراهيم أوضباشا جدك، وكان قد اختفى هو وسليمان باش جاويش، فى أوضة باش جاويش، هجموا عليهم، وأخرجوهم، وقتلوا ابراهيم أوضا باشا، وأرادوا أن يقتلوا

(١) قدم واخر.

يقال له الاسعد بو الكرم ابن ابن اخت البطرك المتنيح [يوحنا السادس] وكان هذا البطرك [كيرلس الثالث] قد انتخبه وجعله صاحب سره وكلما ياخده على يده وشهد قدام الجماعة مراراً انه راض بقوله وان كل ما اخده على يده، وانه قد بقى على البطرك ثلثماية دينار ذهباً والاسعد عالم بها . فوقع بين البطرك وبينه لامر ما علم فاتفق مع هذا الراهب وعمل اوراقا مفصلة باسما من اخذ

* أهم أحداث سنة ٩٥٤ق. = ١٢٣٧م.= ٦٣٥هـ.
* ا توت ٩٥٤ = ٢٩ اغسطس ١٢٣٧= السبت ٦ محرم سنة ٦٣٥.
* في محرم توفى الملك الأشرف، أخو الملك الكامل، وتملك دمشق أخوه الصالح إسماعيل بعهد من الأشرف، الذى ملك دمشق ثمان سنين وشهورا، وعمره: ٦٠ سنة.
* ١ يناير ١٢٣٨ = ٦ طوبه ٩٥٤ = الجمعة ١٣ جماد أول سنة ٦٣٥.

سليمان جاويش، فحال بينه وبيهم البعض منهم، فسجنوه في القلعة، ثم فتشوا على محمد كتخدا جدك، ومصطفى كتخدا الشريف، وعلى كتخدا الداوديلى، ورجب جاويش، فوجدوهم قد هربوا، ونزلوا بالجمال من القلعة الى الحطابة، من ناحية سيدى سارية، ولحقوا العسكر الذين في السلطان حسن.

فلما أيسوا منهم، أخرجوا سليمان جاوبش من القلعة، وأجلسوه بجانبهم ولا طفوه، وكانوا قد أرادوا قتل مصطفى كتخدا الشريف، فهرب، فادركه بعضهم، فضربه بالسيف في رأسه، فجرحه جرحا بليغا، فحال بينه وبين الضارب له، خدمة فجاءوا له بجواد فاركبوه وفر هاربا، فنجا، وجعلوا يستفزوا العسكر، فمن وجدوه طرفهم حبسوه في القلعة، خوفا من أن يتقاووا عليهم، ثم أجمع رأيهم أنهم ينصبوا قرا اسماعيل كتخدا، ويجعلوه كتخدا الوقت عليهم، فأبى، فاكرهوه، فلما رأى عين الغدر منهم، وظهر له عين القتل منهم، طاوعهم، فألبسوه العمامة، واجلسوه على التخت.

فلما بلغ الناس الخبر، ضجت وقفلت الأسواق والحوانيت، وحولت التجار أرزاقها من سوق السلاح، ووصلت الاخبار الى الباشا، فأشتد غيظه، وأرسل يطلب المدافع التى كانت هيئت الى محمد بيك، فوجد الانكشارية قد ادخلوهم الى داخل بابهم؛ فأمر الباشا العسكر الذى كان هيئهم لمحاربة محمد بيك، بمحاصرة بابا مستحفظان من جهاته الأربع، فحاصرهم

منه البطرك شرطونية وغيرها على يده خاصة فى مدة صحبته له الى ان فارقه يشتمل على تسعة الف دينار ومتين، واخذاها وطلعا بها الى القلعة وكانت نسخاً [عدة نسخ] فنسخة تسلمها الامير نور الدين بن الامير فخر الدين عثمان استاذ الدار، ونسخة تسلمها القاضى الاسعد الفايزى الوزير. فسيرا احضرا البطرك بحضور الراهب والاسعد وقابلوا بينهم فاتفق الحال على ان

* فى ٢٤ رجب توفى الملك الكامل بدمشق، وعمره نحو ستين سنة، ومدة حكمه نائبا على مصر عشرين سنة، وسلطانا عليها عشرين أخرى، وبوفاته بايعت المصريون ولده سيف الدين أبا بكر، الملقب بالملك العادل، وكان قد استخلفه أبوه على مصر عندما سار إلى الشام.

اسماعيل بيك من جهة المحجر، والجزار من الجبل، ومصطفى بيك القزلار من جهة القلعة، وجماعة الباشا من طرف باب جامع قلاوون[1]. وأما البلوكات الخمسة فأنهم فى الرميلة، وقد امتلأ السلطان حسن[2] والمحمودية بطوايف الصناجق والأغوات، وأما العزب فى بابهم.

وأما محمد بيك لما وصل له الخبر بموت الشريف حسين وابراهيم أوضا باشا جدك، امتلأ قلبه فرحا، وصار منتظر الخبر يأتيه من باب مستحفظان، لأجل ما ينضم مع كور عبدالله.

وأما كور عبدالله فانه لم يجد محلا ينفد منه الى محمد بيك رسولا، بل كل جهاتهم محاصرة. وأما الأغوات فأنهم كانوا مشغولين فى تدبير أمرهم من كتابة قايمة بأسماء الجماعة الذين كانوا سبب اشعال نار الفتنة. وارسلوها الى الباشا، وكانوا خمسة وثلاثين ما بين صنجق وآغا وجربجى وواجب رعاية. ثم انهم بعد تقديم القايمة الى الباشا اجمع رايهم على ان ينصبوا عليهم كتخدا، ويرسلوه الى الباشا ليلبسه قفطانا، وينزلوه الى بيت الوالى.

ولما كان صبيحة ذلك اليوم، الذى هو يوم السبت ثالث عشرين رمضان، طلعت السناجق والأغوات الى الباشا، وأعرضوا عليه القايمة المكتبة باسماء الجماعة وتلبيس قفطان

(١) بالاصل «قلون» والتصويب من التحفة، ص٣٢٢.
(٢) بالاصل «والرميلة» وفوقها علامة الحذف، فحذفتها ليستقيم المعنى.

البطـرك يقـوم بالف دينار لبـيت المال المعـمـور. وفيما هو يقوم بها [بالألف دينار] كان رجل صايغ يعرف ببـها [بهاء] وهو من اصحاب البطرك، وهو الذى كـان يخـدمـه ويأوى اليـه فى ايام العلمـانيـة وكان له دكان فى الصاغة بالقاهرة فاتفق ان عبدا سـرق من القلعـة مـصـاغـاً ونزل به الى دكـان هذا[الصـايغ] بهـا [بهـاء] سلمـه اليـه وتسلم عليـه مبلغا، ثم ان هذا الصايغ المذكور تصرف فى بعض

الكتخدائية[1]. الى محمد كتخدا الجدك. فأمرهم أن يضعوا اسمائهم وختومهم على القايمة، ففعلوا ما امرهم به الباشا.

أما ما كان من أمر الذين كانوا فى باب مستحفظان، فانهم اتفقوا على انهم يرسلوا الى الباشا رجلا يسألونه بانه يأذن لهم فى تلبيس الكتخداوية الى قرا اسماعيل كتخدا ببيردى يرسله لهم، وأنهم متهيئون الى محاربة محمد بيك وغيره، وأنا متأهبون للطاعة لكم، أصحابا لمن صاحبكم، عدوا لمن عاداك، وأن شئت تبقى الأمر الى بعد العيد، ونحن نلزم[2] محمد بيك يتوجه الى جرجة، وعثمان باى الى منفلوط، بالرغم عليهم. وأما الشريف حسين، وجدك ابراهيم أوضباشا، فان العسكر اغتالوهم وما قدرنا نمنعهم، وكان من أمرهم ما كان ونحن من اليوم مطيعون الله والسلطان.

ثم انهم تشاوروا فيمن يرسلوه الى الباشا لتأدية الرسالة، فأجمع رأيهم على أنهم يرسلوا محمد جاويش المنلا، وكان اذ ذاك سراج الاغا، فأرسلوه الى الباشا؛ فلما توجه اليه وأعرض الأمر عليه؛ وطلب الجواب منه، فقال عابدى باشا، هذا الامر متعلق بباش جاويش الاوجاق، فاذا جاء الينا عرفناه الجواب الذى يكون فيه الصلاح. فأراد محمد جاويش المنلا أن يذهب ليحضر باش جاويش، فمنعه الباشا، وقال له: أنت تجلس عندنا، ونرسل له غيرك يحضره.

(١) بالاصل «الكخداية».

(٢) بالاصل «تلتزم» والتصويب، من التحفة، ص٣٢٣.

المصـاغ وسـبكه. فلمـا كـان فى هذه الايام علم
بالعبد انه اخذ العمله، فامسك وضرب وقرر فقر
على [الصايغ] بها [بهاء] المذكور فاخذ [الصايغ
بهـاء] ووكل به واحـرق به واسـتـعـيـد منه اكـثـر
المصاغ وغرم كلما يملكه عوضاً عما عدم منه. ثم
بعد ذلك رجعوا على البطرك بالطلب وقالوا هذا
صاحبك[الصايغ بهـاء] وانت علمت به ورضيت
وآخر الحال انهم قرروا عليه خمس ماية دينار اخرى

جـــاويش، فكتب[1]. مـحمد جاويش، تذكرة يخبـر الكواخى بما وقع، ويطلب (باش)[2] جاويش. فلما وصلتهم الرسالة أمروا باش جاويش بالتوجه الى الوزير. فلما حـضر بين يدى الباشا، قال له: أنت لا تروح الى الباب؛ بل تكن فى خدمة كتخدا مستحفظان هذا، واشارة بيده الى محمد كتخدا الجدك. ثم أنه أفرغ على كل واحد قفطانا، وقال للمنلا: اذهب أنت الى الباب، وأخبرهم بما عاينت. فقال آغاة الانكشارية: هذه خدمة متعلقة بى، ولا يلزم من هذا أنه يروح الباب.

ثم نزل آغة الانكشارية، وكتخدا الوقت جدك، وسليمان جاويش، والمنلا، قدام الاغا الى المحمودية، ليكونوا مع من هناك من العسكر.

فلمـا نزلوا من باب العـزب، وأرادوا التـوجـه الى بيت الوالى تصـدر ابراهيم جـربجى الصابنجى، الى جدك محمد، وقال له: توجه أنت الى السلطان حسن، ودع آغة الانكشارية يتوجه الى بيت الوالى حكم التوافق، لأننا مرادنا نهجم على باب الانكشارية الليلة لاجل ما نبقى قريبا من المراجعة، فعند ذلك أرسل الاغا، وباش جاويش الى بيت الوالى، وتوجه الجدك الى السلطان حسن، ونزل المنادى ينادى قدام آغاة مستحفظان: من كان انكشارى فليأتى الى

(١) بالاصل «بتحدير»، والتصويب، من التحفة، ص٣٢٤.
(٢) الاضافة لتوضيح المعنى، من التحفة، ص٣٢٤.

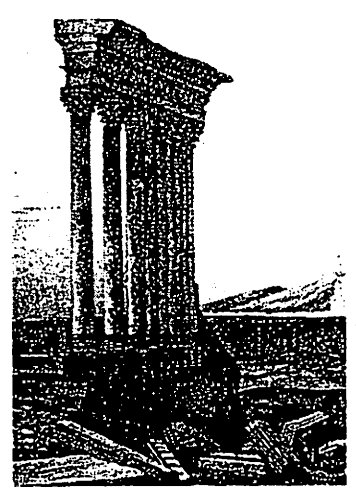
وصار مطلوباً بالف وخمسماية دينار وقام بها [البطرك]. واما بها [بهاء] فانه بقى فى الترسيم اياماً حتى يقوم بما طلب منه حتى انه المسكين وصلت حاله الى ان طلب من الناس [سداد باقى العقوبة عنه]. وبعد ذلك لما علم انه لم يبق له شى رمى [فى] الجب. واما العبد فقطعت يده. ثم ان مولانا السلطان خرج من القاهرة طالباً الى دمشق فى يوم الخميس الثامن عشر من بابه [١٥ اكتوبر]

بيت الوالى. وأما محمد كتخدا جدك فانه جلس فى السلطان حسن واجتمع عليه من الجند خلق كثير. وان كل من جاء الى بيت الوالى يرسلوه الى السلطان حسن. وأما الباشا فانه حاصر باب مستحفظان، وشدد عليهم فى المحاصرة.

وأما العزب فانهم ملكوا كشك يوسف صلاح الدين الذى داره [حاصره] العسكر بباب مستحفظان كما يدور الخاتم الاصبع من جوانبه الأربع، ومنعوا الناس من الصعود اليهم. وأما الذى فى باب مستحفظان، فانهم علموا بأن جدك محمد تولى الكيخوية وقطعوا الماء عنهم، وبطلوا السواقى، فتحققوا الموت من كل بد وسبب، ولم يجدوا الى الفرار سبيلا، لأن الجهات الاربع مملوكة. فاستمروا فى حيرتهم الى قريب الغروب، وهى ليلة الاحد ثانى عشرين رمضان، هجمت جماعة الباشا، وجماعة مصطفى بيك، فكسروا الباب الذى على جامع «محمد بن قلاوون»[١]، واجتمعوا بالرحبة التى بين البابين، المتوصل منه الى الباب. فلما تكلموا هجموا على الباب المذكور، فخلعوا درفة الباب، وكسروا الثانية، وهجموا عليهم. وأما المحاصرون فانهم لما راوا الباب انكسر والسيوف بارقة، وكان كور عبدالله، وباكير، امروا من عندهم بضرب البندق، فكثرت عليهم العسكر ففروا الى بدن القلعة، وربطوا أرواحهم بالحبال، ونزلوا من وراء القلعة، فانقطع الحبل بكور عبدالله، فنزل، فانفكت رجله، لأنه كان جسيما، ثم قام يجرى.

(١) بالاصل «ابن قلون»، والتصويب والاضافة، من التحفة، ص٣٢٥.

في هذه السنة ووصل اليها ونزل عليها وحاصرها وكان القتال يستجبر عليها من جوا وبرا وكان رسول الخليفة رجلا يقال له ابن الجوزى فمشى بين السلطان وبين اخيه الذى كان بها وهو الملك الصالح غازى فاصطلحا على ان يعطى الملك مع بصرى قلعته التى له [فى] بعلبك وبلاد اخرى ويسلم السلطان الملك الكامل مدينة دمشق. وعبر اليها فى نهار بوم الاربعا الرابع من كيهك [٣٠



* آثار معبد ايزيس فى بعلبك

وأما باكير، فان الحبل انقطع به فوقع، فانكسرت رجله، فشاله بعض من اتباعه، ووضعوه فى تربة(١)، مهجورة، وله كلام يأتى.

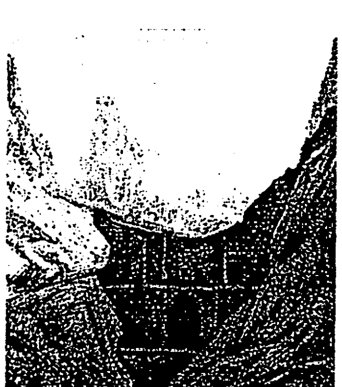
وأما حسن كتخدا النجدلى، هرب الى مستوقد الحمام، فأخرجوه، ورموا عنقه، وأخذوا حوايجه، وابقوه باللباس والقميص عند الشئمة(٢)، ولم ينفعه ماله ولا جنده.

وأما ناصف كتخدا، فانه فر الى الاوضا القديمة، فقتلوه، وأرسلوا رءوسهم الى الباشا، وباتت جثثهم مرمية الى ثانى يوم، وفتح الباب الذى يتوصل منه الى المحجر فأدخلوا من كان خارجا منه، فدخلت العسكر وصحبتهم محمد كتخدا الجدك، فجلس محل الحكم، ووضعوا قرا اسماعيل كتخدا، وحسن العنتبلى، وحسين اوضباشا الدمياطى، وجماعة أخر ممن كان ينتمى الى المقتولين، من أوضباشية، ونفر أودعوهم القلة(٣). وأما إسماعيل أو ضباشا القزدغلى، فانه هرب، فلحقوه، وأودعوه قلة العزب.

وأما محمد بيك الصغير، المدعو قطامش، فانه لما بلغه ما فعل بالجماعة، ركب هو وجماعته ليلا، وفر هاربا الى بولاق، فنزل فى مركب، وفر هاربا بنفسه، وترك خيله وماله وجماله، فانتهبوها جميعا.

(١) بالاصل كلمة «غفير» مشطوبة.
(٢) تعنى صهريج خزن المياه، ويذكر صاحب التحفة ص٣٢٥ انهم «وجدوه فى أتون حمام فأخرجوه، وضربوا عنقه عند الأذان».
(٣) أى سجن باب القلة بالقلعة.

نوفمبر] ولم تدخل حمص وحلب في اليمين وكان المرض ايضا قد فشا في الناس مثل السنين المتقدمة ومات خلق كثير واقام السلطان بدمشق وعظم امره وعزم على الخروج لاخذ حلب وجهز العساكر لذلك فمرض في اثنا ذلك وتوفي في ليلة الخميس الخامس عشر من برمهات [١٠ ابريل] الموافق للرابع والعشرين من رجب سنة خمس وثلثين وستماية [١٢٣٨م] فكانت مدة مقامه


* الطريق إلى حلب

وأما عثمان بيك بارم ديله، وحسين بيك أبو يدك، وصالح كتخدا الجاوشية، ومحمد كتخدا الجاوشية الأعور، فانهم اختفوا، ولم علم أحد أين راحوا، ولا الى أين ذهبوا، ولم يعلم لهم خبر.

وأما محمد بيك، فان يوسف بيك الجزار، الزمه الباشا به، أن يلحقه، وكان بين محمد بيك والجزار ود قديم، فركب في سفينة وتوانى في السفر خلفه، فلم يلحقه الى أن دخل ثغر دمياط في ثمانية أيام، سيل عن محمد بيك، فأخبروه أنه منذ يومين أتى الى هنا، ومن هنا توجه الى الطينة، ونزل في سفينة، وتوجه الى الشام. فرجع يوسف بيك الى مصر، وأخبر الوزير بما حصل، وتقيد بحريم محمد بيك، ونقله من محله الى محل غيره، ورتب لهم كلما يعتازوه حتى اجرة المنزل. فهذا ما كان من محمد بيك والجزار.

وأما العسكر، فانهم تفرقوا، يفتشوا على الفارين فظفروا بباكير أو ضباشي، فأتوا به في أسوا حال، ملفوفا في ملاية زرقا، مبطوشا على حمار، الى ان اطلعوه الباب، فلما رآه محمد كتخدا، أرسله الى القلعة.

وكان الظافر به، إسماعيل بيك بن ايواظ، لقيه في تربة عند قبة الهوا، بواسطة رجل بدوى، فطلعه من التربة مكسور الرجل، لأن الحبل قد انقطعت به فانكسرت رجله. فلما رآه اسماعيل بيك، امتلأ فرحا، وأعطى البدوى عشرة أحمر، لانه كان قد اسكن مهجته غما وغيظا، لأنه

بدمشق ماية يوم ويوماً واحداً وكان الخدام متولين امره ولم يعبر اليه احد من اقاربه ولا خواصه من الامرا ولم يوص بشي فكتموا امر وفاته وادعوا انه مريض وانه رسم بان تحلف الامرا لولده(*) بان السلطنة له من بعده وهو الولد الاصغر الذى بمصر فحلفوا جميعهم. فلما تكاملت ايمانهم افشوا خبر موته فندم بعضهم ومن لم يحلف ما حلف، وهو الملك الناصر بن المعظم الذى كان صاحب دمشق الذى كان السلطان قد ركبه فى

(*) الملك العادل. وهو سيف الدين أبا بكر، حكم ما بين ١٢٣٨ و ١٢٤٠م.

كان اراد أن يتخذه مسندا له، وأعطاه فى شعبان ألف زنجرلى، واعطاه بيت على جريجى الحبيشلى، من غير شيء، وأورد ثمنه من عنده، عشرة أكياس، وفرشه له وخزنه له من الأشياء، حتى الحطب أرسل له ماية قنطار، وأسكنه فيه، فبعد هذا كان هو السبب فى قتله، وعمل جمعية فى رمضان بالليل، وركب هو وبعض جماعته نحو الأربعين، وساروا له بعد التراويح، على أنهم يقتلوه فى بيته، فكان فى المجلس رجل محب لاسماعيل، فلما قروا الفاتحة، وتهيئوا للركوب، سبق الجماعة، وتوجه الى اسماعيل بيك، رآه يصلى التراويح، وجلس فى المقعد فجاءه وقال له: الأمر كما هو كيت وكيت، وان باكير راس الجماعة، وان كنت ما تصدقنى اودعنى عندك فى اوضا، فان صح ما أقول والا فانقلنى. فبقى اسماعيل بيك بين مصدق ومكذب لما فعل فى باكير من المعروف فى شعبان. فأمر البواب ان يقفل الباب، فجآءه الجماعة، فرأوا الباب مغلوقا، فطرقوا الباب، فجاوبهم البواب، وقال: هذا من[1] فجاوبه واحد منهم، وقال: افتح لنا. فقال البواب: الصنجق فى الحريم، والمفتاح عنده. فقالوا لبعضهم: الطبخ فسد. ارجعوا والسنجق ينظر من أوضة المهاترة [جاويش الباب]، التى فوق وجه الباب. ثم فى ثانى يوم الذى هو يوم الثلاث الخامس والعشرين من رمضان[2]، أتوا باسماعيل أوضا باشا من باب العزب لأنه كان قد هرب، فمسكه العزب، فلما أحضروه قدام محمد كتخدا،

(١) بالاصل وضع فوقها علامة التقديم والتأخير.

(٢) ٢٤ سبتمبر ١٧١٥م.

القاهرة ركوب السلطنه على انه اتابك وولده هذا المخلوف له واركبه في دمشق بعد فتحها كذلك .
فعز عليه [الملك الناصر] هذا الامر وكان اهل دمشق يحبونه لولايتهم في ابيه وما اغنى ذلك شيأ.
فاخذ الامرا الكبار والخدم الملك الجواد مظفر الدين بن ممدود بن ابى بكر بن ايوب وهو ابن اخى السلطان المتوفا سلموا له دمشق وجعلوه اتابك الملك العادل صاحب مصر فها [فيها] وسلموا اليه

فأمر به الى القلة. واذا باغا من حضرة عابدى باشا وبيده فرمان بطلب رءوس الثلاثة، وهم: اسماعيل كتخدا، وباكير، واسماعيل كاشف. فقرا الفرمان أفندى الباب فأمر الجدك باخراج الثلاثة. فأول ما أخرجوه قرأ اسماعيل، فلما رأى الجلاد، قال: آتونى بابريق، فأتوه بطشت وأبريق، فتوضا وصلى ركعتين، واتى بالشهادتين، وانفذ الجلاد فيه حكم الله، فمات بريا مظلوما لأنه كان في بيته، فأرسلوا أخذوه قهرا عليه، وتوضأ كذلك اسماعيل أوضباشا، وسار يقول: لا إله الا الله، محمد رسول الله، لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وهو كالذهلان. ثم أنهم أتوا بباكير، ورقبته مكسورة، ولم فيه نفس، فذبحه الجلاد بالسيف، فلم ينزل منه دم، لأن اسماعيل بيك ما أبقى فيه شيئا. ثم ان الاغا أخذ رءوسهم جميعا وأحضرهم قدام الباشا. فسلخهم الجلاد، [رؤوسهم] وأرسل الجماجم الى الباب، يوضعوهم على جثتهم، وأرسلوا الثلاثة الى منازلهم.

وأما حسين كتخدا الشريف، فانه غسل وكفن ودفن بسارية، وابراهيم اوضا باشا غسل وكفن ودفن بالأوضا القديمة. ثم أنهم اجتهدوا في التفتيش على كور عبدالله جاويش، فلم يروه، واختفى ناس كثير. ثم ان محمد كتخدا الجدك، اخذ فرمانا، ونادى به اغاة مستحفظان: ان كل من راى احدا من الهاربين ومسكه واتى به، أو أخبر عنه، فله ماية عثمانى وكيس، ومن علم به، او خبأ احدا منهم، وفطن به، كان روحه وماله هدر. ثم ان اسماعيل بيك، امير الحج ابن ايواظ، ركب هو وجماعة الباشا، على دجوة بلد [الشيخ] حبيب، فنهبها وهدمها الى

الخزاين فاعطى وخلع ووهب واقطع وكان كريماً
حسن الخلق فاخذ بقلوب الامرا والاجناد واحبه
الناس الا ان الغلا كان بدمشق. وكان لما ورد الخبر
بوفاة السلطان الى مصر واستصحه الناس طلب
كل احد الغلة وشحت نفوسهم عليها وتوهموا ان
ثم حصاراً يقع. وارتفع السعر الى ان بلغ ثلثين
درهما الاردب والشعير ثمانية عشر درهما والفول
مثله ومنع بيع الغله اصلا الا للطحانين على قدر

الأرض، ولم يبق بها ولا الزاوية، وجعلها مراح وقطع اشجارها وردم[1] سواقيها، وهدم حتى دور الفلاحين، وأخفى آثارهم، ولم تخرب دجوة خرابا مثل هذه الخربة ابدا.

وأما حبيب فانه ذهب الى جهة جرجة، فمكث بها أياما متخفى، ثم طلع له طاعون فى رجله، فمات به، وأراح، ودفنه أولاد سعيد ليلا، وخفوا قبره، لئلا (أحد)[2]، يخرجه ويحرقه، ولم يشعر به أحد الا ابنه سالم وسويلم وسليمان فقط. وهجوا الى الصعيد. ولم يكن لهم كلام. وأما اسماعيل بيك فانه رجع يرقص جواده، ودخل منزله. وأما منزل محمد بيك الصغير، وعثمان بيك بارم ديله. فان العسكر نهبهم. ولم يبقوا شيئا. ولما كان يوم[3]، السبت. التاسع والعشرين من رمضان سنة ١١٢٧ ظفروا بكور عبدالله جاويش. وخزنداره. فى أم خنان[4]. فجاء الخبر الى الباشا فأرسل له محمد بيك جركس. فسافر محمد بيك الى أم خنان. فوجده قد مسكه الفلاحون، فأركبه على جواد. والقيد فى رجليه من تحت بطن الجواد

---

(١) بالاصل «ورد».
(٢) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٣) بالاصل «ولما كان يوم الثلاث بل السبت» حذفت كلمتى الثلاث بل «ليستقيم المعنى والتاريخ حيث أن يوم الثلاث كما سبق كان يوافق الخامس والعشرين من رمضان، فيكون السبت هو التاسع والعشرين من رمضان ١١٢٧/٢٩ سبتمبر ١٧١٥م.
(٤) أم خنان: اسمها الاصلى «مخنان المرسين»، وهى احدى قرى مركز قويسنا، محافظة المنوفية، وقد عرفت بالمرسين تميزا لها من سميتها بمحافظة الجيزة، ثم حرف أسمها الى «أم خنان»، وهو اسمها الحالى، محمد رمزى، المصدر السابق، قسم ٢، جـ٢، ص٢٠٠.

غلاتهم وبقى الناس فى شدة والقمح لا يقدر عليه
ولا الخبز وعلى كل دكان زحام حتى لا يقدر احد
يعبر عليه وجندارية [الشرطة] الولاه على دكاكين
الخبازين ولا يباع لاحد خبز الا بالقسط. واستمر
هذا جمعة من الزمان حتى اطلقت الغلة للناس
اشتروها ورخصت وكثر الجلب واهتدى الناس مما
هم فيه. وكان البطرك قد توجه الى اسكندريه فى

الى الديوان وهو ملفوف بملاية. وأوقفه بين يدى الوزير. فلما رآه لم يخاطبه، بل أرسله الى الجدك، وأرسل خلفه آغا بفرمان بانفاذ أمر الله فيه.

فلما ورد الأغا الى باب مستحفظان، وأبرز الفرمان، فأمر الكتخدا بانفاذ أمر الله فيه، فدخل الجلاد الى القلعة، فلما رآه الجاويش لم يكترث به، بل قال له شأنك وما تريد. فأخرج الحبل ليربط يديه، فقال له: بلا ربط، افعل ما بدا لك. فقال له الجلاد لا يمكن من غير ربط يديك ياسيدى. لأن هذه روح. فسلم له فى ربط يديه، فلما رآه الخزندار، قال للجلاد: خدنى أنا أولا، ولا أرى سيدى فى هذه الحالة فقال سيده: لا والله! لم يكن أولا الا أنا. وصار الاثنان يتعازمان على بعضهما البعض، فقال الجلاد: هذا أمر يطول.

ثم ان الجلاد انفذ أمر الله فى سيده أولا، ثم خزنداره بعده، رحمهما الله. ثم ان الجلاد أخذ الرؤوس وسلخهم، وأرسل الجماجم على الجثث، وارسلوهم الى منازلهم ثم أن بيت مال مستحفظان ختم على منازل الجميع، فلم يجد عند أحد أكثر من الذى وجد عند حسن كتخدا النجدلى، وشاع بين الناس ان الذى وجد من النقود التى ضبطت ثمانماية كيس، غير الذى توزع، وغير الذى تناولته أيدى خارجا عن الأسباب، والامتعة، والفضيات، والجواهر، والذخاير المثمنة، هذا كله خلاف الغلال التى بمصر القديمة، وبولاق، والصعيد، واخربوا بستانه وقصره الذى، بقنطرة المدابغ، وبستان كور عبدالله وقصره الذى كان سابقا لأفرنج

اثنا الصوم قبل ورود هذا الخبر بايام. وبعد هذا توصلت العساكر من الشام اولا ا ولا وجات الخزاين مع الخدام بعد ان اخذ منها الملك الجواد [مظفر الدين بن محمود] ما احتاجه وتكامل العسكر بالديار المصرية ولم يبق بدمشق الا امراء قلايل اختارهم الملك الجواد لمساعدته ومرافقته. وكان السلطان الملك العادل قد احضر العربان لياخذ عليهم العهود والايمان وكانوا قد كثروا

أحمد بطريق بولاق. وفى رابع شوال[1]. أرسل الباشا فرمانا الى باب مستحفظان، بقطع الشجرة التوتة التى ببيت قيطاز بيك، فقطعوها وهدموا الديوان الذى كان تحتها وكانت هذه التوتة لم يكن فى مصر لها نظير، وكان لها من العمر نحو الخمسماية عام، لان هذا البيت كان للأمير سودون العجمى، من امراء قابتباى، وكان قد عمر كثيرا من العمر، فلما ورد السلطان سليم الى مصر، بعد أن ملكها. ونزل ببيت قايتباى الذى بشيخ الظلام، جاءت له جميع الأكابر، وسلموا عليه، فسأل: هل بقى أحد لم يقابلنا؟!. فأخبروه: سودون العجمى[2]. فقال: ولم لا أتانا؟! فقال له: أنه معمر فى العمر، لم يقدر على الركوب، ولا على المشى، وزيادة على ذلك أنه لما طلع قانصوة الغورى الى مقابلتكم، بنا [سد بالحجارة] بابين بالبيت الذى له، خوفا ان يستغفله أولاده ويركبوا صحبة الغورى، وكان له ولدان فرسان زمانهما، واحد يقال له قاسم: والآخر يقال له ذو الفقار، فوضع الاثنين فى القيود، وبنا البابين. فقال السلطان سليم: فاذا بقى الواجب علينا نروح له. ثم أنه ركب فى الحال من البركة، وتوجه الى منزل سودون العجمى. فرأى الباب مبنيا، كما ذكروا، فأمر بهدم البنا، ودخل فوجد المسطبة والتوتة مظلة فوقها، فنزل تحت التوتة، وارسل الى الامير، فأعلموه بورود السلطان سليم الى

(١) ٣ أكتوبر ١٧١٥م.

(٢) كتب عنوان جانبى «أعرف حكاية السلطان سليم خان مع سودون وابناية أحد قواد قايتباى الخ وسبب الفقارية والقاسمية».

بالقاهرة حتى صار فيها زهاء الفى فارس وخشى
الناس منهم الى ان وصل العسكر وخلع عليهم
وحلفوا وخرجوا وخلع على الامرا الذين وصلوا
ووصلوا [وصلهم] بالمال والزيارات فى اقطاعاتهم.
وكان الناس بعد موت السلطان قد تكرهوا الفلوس
والمعاملة بها وصار فى البلدين [القاهرة ومصر
عتيقه] سعران سعر بالفضة وسعر بالفلوس ،
وانتهى حالها الى ان صار كل درهم ورقاً [فضة]

منزله، فخرج مسرعا، والخدم شايلينه الى أن أوقفوه قدام السلطان، فلما رآه قام له، ورحب به، فطلب منه الأمان، فامنه على نفسه وماله وأولاده، وطلب أولاده الاثنين، فاحضرهم فى الحال بالحديد، فأمر السلطان بفك قيودهم، وامنهم على أنفسهم. ثم أنه طلب ان يرى صدق ما قالته الامرآء من فروسية أولاده، فأخبر الأمير سودون: ولتكن العزومة من عند عبدك سودون. ثم أن السلطان ودعه، وسار الى منزل قايتباى، ثم أن الأمير أرسل من مطبخته، من وقته، الى القصر العينى.

وفى ثانى يوم أرسل أخبر السلطان، فركب فى خواصه، وسار[1] الى قصر العينى فرآه مفروشا بأفخر الفرش. ثم أن قاسم قال لأخيه، أنا أكون من طرف السلطان، وأنت تكون من طرف مصر. فقال له اخوه: وجب. ثم أنه صار الى جماعة السلطان وانتخب منهم نحو المائة فارس، وكذلك(*) ذو الفقار أخذ من جماعته التى يعرفها نحو المائة، ووقفوا قدام بعضهم، قاسم نحو القصر، وذو الفقار نحو القنطرة، ثم طلع فارس الى فارس، وصاروا يتزايدون الى ان طلع قاسم الى أخيه ذو الفقار، فخرجا وتعاركا معاركة الحرب، فرأى ذو الفقار من أخيه عين الغدر أولا وثانيا وصار يكر عليه ليقتله.

فلما رآه كذلك، قال له: يا اخى ما هذا؟. فقال له ما هكذا القتال. ثم ان قاسم غافل اخاه واراد ان يرمى عنقه، فاستتر منه فنزل الحسام على فخذه، فجرحه جرحا خفيفا فلما احس

(١) بالاصل «وصار».

(*) كتب بأعلى هامش الصفحة «عونك بالله».

بدرهمين فلوساً والدرهم النقرة بستة دراهم فلوساً
وضرب منهم وشهر وهم لا يرجعون، ثم بعد ذلك
صاروا يبيعونها بالرطل بدرهم واحد ورقاً ونصف
درهم ورقاً كل رطل. وحدث فى عشية يوم الاربعا
اول بونه مطر عظيم لم ير مثله فى مثل هذا
الوقت من السنة ودام الى برهة من الليل وكان
معه برق ورعد مخوف وكان هذا من جملة
الاعاجيب. ثم انهم رجعوا شرعوا فى تتمة عمل

أخوه بالفولاذ، قام زنده بالحسام، وقال له: ما هكذا الحرب! واراد أن يرمى عنقه، فولى هاربا نحو القصر، فلما رأى جماعة السلطان الذين هم حزبه الى نحوهم هارب، وأخوه ذو الفقار كالشاهين، استقبلوا ذو الفقار وهجموا عليه ليقتلوه، فيا نعماك بذو الفقار، وكان يردهم بالطعن والضرب، وتبع ذو الفقار جماعته، وكانت تولى جماعة قاسم الى الفرار. ثم ان السلطان اطلع من فوق الكشك على جماعته، وكذلك امراء مصر فمنعوهم عن بعضهم البعض، والا كان وقع بينهم التساقط.

ثم أن السلطان أرسل الى الاثنين واخلع عليهم، واعطاهم كل واحد ثلاث بلاد وكتب لهم جوامك. فمن ذلك اليوم ظهر فى مصر الفقارية والقاسمية، وصارت الفقارية تدل[١] عن أهل مصر، والقاسمية تعرض الى طرف السلطنة. وكان محل مجلس السلطان سليم درابزين[٢] خشب، وكانت الصناجق الذين سكنوا فيه يجلسون خلف الدرابزين، وكانت المسطبة ليس لها نظير فى الملك.

وأما التوتة كان توتها حكم القمر، وكان فيها خزاين مصنوعة، وكان هدم المصطبة، وقطع التوتة يوم السبت رابع شوال سنة ١١٢٧ . ثم ان يومى الأحد خامس شوال عمل الباشا ديوانا

(١) بالاصل «تدب».

(٢) بالاصل (ضرابزين) وهى تعنى سور أو حاجز من الخشب يحيط بالمسطبة التى يجلس عليها السلطان.

السور على البلدين من ناحية ـ البحر والخليج ورجعوا الزموا الناس كلهم بحفر الاساس من المسلمين والنصارى واليهود وصاروا يمسكون القسوس الذين بالقاهرة ومصر الذين هم قسوس الكنايس بها وصار اوليك المساكين يتكلفون ان يصيروا اما حشاراً او نقبا اسطول. وياخذوا معهم الجنداريه من عند المشدين ويجيبون المساكين ارباب الصنايع والمتماعشين يخرجونهم يحفرون من بكره

عظيما، وأرسل أحضر الأعيان، وقال لهم ما يقولون فى هذه القايمة التى كتبتم فيها أسماء الجماعة المستحقين القتل والازالة، ووضعتم اسماوكم، وختومكم فيها؛ وشهدتم عليهم، وعملنا بقولكم، وأنفذنا حكم الله فى البعض، وفر البعض وبلغنى أن الذين فروا بعلمكم[1]، ومنهم أفراد مستخفين عندكم، وأنا أقسم بالله: متى ما ظهر أحد منهم عند أحد منكم أو فى منزل أحد منكم، قتلته اشرها قتلة، ليعتبر به الغير.

فما كان جوابهم الا أن قالوا: احنا على قولنا الذى قلناه، ومتى ما ظهر أحد عند أحد، فنحن بريون منه، وأمره لكم فما قالوا هذا القول، حتى ان الباشا أمر بكتابة فرمان، وأرسله الى آغاة مستحفظان؛ فنزل نادى به فى شوارع القاهرة مضمونة: ان كل من ظفر بأحد من الفارين، أو عرف مكانه وأخبر عنه، فله ماية عثمانى. وكيس فلوس. ومن علم بأحد ولم يخبر عنه. فروحه وماله هدر. ونادى بذلك فى شوارع القاهرة. ثم أن الباشا أرسل فرمانا الى باب مستحفظان بطلب رأس حسين أوضاباشا العنتبلى، فلما قرى الفرمان فى باب مستحفظان، وجميع الاختيارية فى الباب، فقال محمد، كتخدا الوقت، ما تقولوا[2] يا اختيارية؟. فقال الجميع: نرسل نراجع الوزير فى عدم القتل. ونرسل ننفيه الى بلاد الروم. فقال الكتخدا: نرسل نراجع الوزير. ثم انهم أرسلوا راجعوا الوزير، فأجابهم لما قالوا.

(١) بالاصل «بعلمكم».

(٢) بالاصل «مايقولوا».

الى الليل، ومن كانت له اجره وزن عن نفسه حق
البديل لمن يحفرعنه على ما يشارطه عليه من ثلثة
دراهم الى حولها. وكان رجل من اهل طمبدى
وكيلا للبطرك على رباع الاوقاف وكان اشد ما
على النصارى هو لانه كان يؤلب عليهم الولاه
والمشدين حتى يقطع مصانعة النصارى لانه جعلها
معيشه، والبطرك غايب والناس فى شده وهى
واقعة بالضعفا خاصة لان الكتاب وارباب الجاه ما
كان احد يتعرض اليهم ولا كان فيهم هم من

ثم أنهم فى ثانى يوم نفوه الى الروم. وفى حادى عشر شوال أحضر الباشا قاضى العسكر، واعيان العسكر الى الديوان، فلما حضروا أبرز الباشا لهم القايمة وقال لهم: بلغنى أن الذين فروا، ما فروا الا بمعرفتكم. والذين لم يفروا عندكم. وتعلموا أين هم. فانكروا، وحلفوا انهم لم عند أحد منهم خبر أبدا عن[1] أحد منهم. فقال لهم: كيف ما تحلفوا، وعمر آغا شاكر بره، عند على كتخدا الداودلى فى منزله مخبا، ثم انه التفت الى آغا مستحفظان، وكتخدا مستحفظان، وقال لهم: تقوموا فى هذا الوقت، وتنزلوا الى بيت على كتخدا، وتحضروا عمر آغا، والا لا تلوموا الا أنفسكم، هيا. فركبوا فى الوقت والساعة ونزلوا الى بيت على كتخدا، فرأوه جالسا فى المقعد، ولم يكن عنده خبر من هذا الأمر، فأخبروه بما قال الباشا، ثم أنه أمرهم بالتفتيش، ففتشوه فلم يجدوا عنده أحدا، ثم أنهم رجعوا خبروا الوزير، بأنهم لم يجدوا لا عمرو ولا عامر، وهذا كله كلام المنافقين.

وفى يوم الخميس غرة الحجة ورد آغا من الديار الرومية وصحبته خط شريف يتضمن عزلان يوسف بيك الجزار من الدفتدارية، وتولية ابراهيم بيك أبو شنب وخط ثانى برجوع بلاد الفارين الذين فروا فى الواقعة الأولى، ومحاسبة واضعين اليد على البلاد بفايض خمس سنوات، ويرسلوا استغلالهم الى الفارين، وكذلك جوامكهم ومنازلهم، وجميع تعلقاتهم، فأجابوا بالسمع والطاعة.

---

(١) بالاصل «من».

المروه ان يواسوهم ولا من القوة ان يخلصوهم وبقوا على هذه الحال. واما اليهود فانهم تعصبوا [تعاونوا] على جارى عادتهم وواسى غنيهم فقيرهم وقام كل عن نفسه ببديل ممن لا يقدر على الحفر وانجزوا ما يخصهم وتفرغوا لاشغالهم. وكان الشيخ السنى الراهب المقدم ذكره منحرفاً متوجعاً لما يجرى على القسيسين ولا يجد من ينجده ولا من يساعده لانه كان قد انقطع بكنيسة بوسرجه وترك خدم [خدمة] السلطان، ولو كان

- -

وفى آخر الحجة ختام سنة ١١٢٧[١]. أمر الباشا بقتل ثلاثة من اليهود، من كتبة الديوان، لخيانة ظهرت منهم فى الديوان، فضربت رقابهم فى الرميلة، وأمر بنفى على أفندى المحاسبى الشامى، فنفى الى دمنهور البحيرة. وفى غرة محرم الحرام سنة ١١٢٨[٢] اختفى عبدالله أفندى من أجل فتنة فتنت عليه الى الباشا من أحمد أفندى، باش قلفة الرزمانة، ولكن فتنة تؤدى الى القتل، مع أنه كان متخذ أحمد قلفة كاولاده. فلما هرب أقر الباشا أحمد أفندى محله روزنامجيًا، وأحاط بجميع ماله من المال، وأبيع جميع تعلقاته وخيله، وأضيفت الى السلطنة، وأخلت الديار الى أحمد أفندى الروزنامجى. ثم ان فى ثانى محرم سنة ١١٢٨[٣]. اتفقت أعيان مصر، أصحاب الربط والحل على المقاصيص والدراهم النقرة[٤]، وتنزيل أسعار الذهب والريال، واتفقوا جميعا. ثم أنهم طلعوا جميعا الى الباشا، وأعرضوا الأمر عليه، فاجبهم الى ذلك، وقطع لهم فرمان بأن الجنزرلى بماية وسبعة، والطرلى بماية، والفندقلى بماية وعشرين، والريال بستين، والكلب بخمسة وأربعين، والمقاصيص لا يتعامل بها، والدراهم بطالة. وقطعوا فضة جديدة، وجددا بطرة، وزن كل جديد درهما، وأمر الناس بمعاملتهم، وأمر الاغا باشهار الندا فى القاهرة. فركب من وقته، وكان الوقت بعد العصر، فنزل وأشهر الندا فى

(١) ٢٦ ديسمبر ١٧١٥م. (٢) ٢٧ ديسمبر ١٧١٥. (٣) ٢٨ ديسمبر ١٧١٥م.
(٤) بالاصل «البقرة» والتصويب من التحفة، ص٣٢٩.

متصرفا لماجرى من هذا شى وكان يضارب بالنيه.
ثم ان الراهب عماد الاخميمى الذى كان سبباً لتقدمة البطرك وهو الذى قرر للسلطان الثلاثة الاف دينار على البطركيه ما زال يتسبب حتى ينجز كتاب السلطان الملك العادل الى والى الاسكندريه بان يسلم اليه البطرك ويعمل فيه ما يقول الراهب، وينجز كتباً من اكابر الدولة الى والى البحيرة بان يسير معه اسقف دمنهور واسقف فوه. وكان قصده ان يثبت عليه اشيا يوجب القطع بحضور اسقفين

القاهرة، فتعطلت معايش الناس تلك الليلة، وباتت الفقراء تلك الليلة بالجوع. ثم أن فى ثانى يوم قفلت البلد، وأرتجت ارتجاجا عظيما، وقفلوا الجامع الأزهر، ولموا الجميع، وساروا، وكل من راوه ودكانه مفتوحة يقفلوها، ويأخذوه صحبتهم، واذا بالشيخ محمد شنن داخل من الكحكيين[١]، راكب على بغلته، فأخذوه بالقهر عليه وتحاوطوا به، وطلعوا به الى الباشا وانهوا أمرهم الى الوزير: أن كل ما برز به الأمر مقبول على الراس والعين، وأن الأسعار التى كنت بالمقاصيص صارت بالديوانى وأنكم تسعروا لنا الأسعار، فأجابهم الى ذلك. ثم ان فى ثانى يوم أنزل المواجب ذهبا وفضة بيضا. ثم ان الباشا أمر الصناجق أن يعملوا جمعية[٢]، ويسعروا الأسعار. ثم أنهم توجهوا الى بيت ابراهيم بيك أبو شنب الدفتدار وسعروا الأسعار على موجب المعاملة الصحيحة، وبعد ما عملوا الأسعار، توجهوا الى الباشا، وأعرضوا القايمة عليه، فأجابهم الى ذلك، وأعطاهم فرمانا بالاسعار. ثم ان الأغا نزل الى القاهرة وأشهر المنادات وأن الفلوس الجدد كل عشرة بنصف فضة. وفى ثانى يوم الذى هو خامس عشر محرم سنة ١١٢٨[٣] ألبس الباشا محمد جركس[٤] قفطان السنجقية، وولاية جرجة.

(١) شارع الكعكين: يقع بين شارع الغورية، وشارع الباطلية، وطوله ثلثمائة متر، وعشرة أمتار، وكان من الاخطاط المزدحمة فى ذلك العصر، على مبارك، المصدر السابق، جـ٢، ص٩٥.
(٢) بالاصل «جميعا».
(٣) ١٠ يناير ١٧١٦م.
(٤) كتب عنوان جانبى «اعرف تولية محمد بيك جركس سنجق».

فـمـا مكنه الوالى من ذلك، الا انه اخـذ مـعـه قـراغـلامين وجندارين(*) بالكتب التى معه وعبر على فوه ودمنهور اخذ ا لاسقفين معه ودخل الثغر واوصل الكتاب الى الوالى فامر الوالى بان يسلم اليه البطرك واصحابه المعينين فى الكتب وكانت ليلة الاحد والبطرك قد فرغ من الصلاة وخرج الناس من الكنيسة فنقل البطرك الى طبقه كان قد نزل بها واخذ اصحابه اودعهم السجن. وقصد ان يعمل مجمعاً بالثغر فما اتفق له ذلك لان اكابر

(*) من رجال الشرطة.

وفى يوم الاثنين تاسع صفر، دخل الحاج الى مصر، سالما، شاكرا من اسماعيل بيك بن أيواظ، لتقييده بالحاج، وتعهد أحواله. وحضر صحبته الشريف عبدالكريم (أمير)[1]، مكة، وأنزله اسماعيل بيك فى بيت أبو الشوارب.

وفى (يوم الأحد ٢٢)[2] صفر، عزل اسماعيل آغا، تابع اسماعيل بيك بن أيواظ من أغوية الانكشارية، وولى الوزير محله محمد أغا بن الجيعان فاطاعته الرعية، وحصل لهم الفرح الأكبر من عزلان اسماعيل اغا، وتولية محمد أغا الجيعان، وفتحوا دكاكينهم، وباعوا واشتروا، لأنهم كانوا فى زمن اسماعيل اغا فى خوف شديد من تجبره وفسقه وظلمه، ولأنه أحدث الخوازيق والسلخ. ولقد أشيع فى القاهرة أنه كان متوجها الى مصر القديمة فى موكبه الى أن جاء الى الكوم الذى تجاه الطيبى، واذا برجل نازل من الكوم بحرى من بحريات السويس، وهو يربط فى سرواله فلاحت من الأغا التفاتة، فرآه وهو على بعد منه، فأمر الجنينية أن يأتوه به، فقدموه له، فسأله: من أين جاء فتلجلج فى الجواب، فأمر وأحدا من اتباعه أن يصعد الكوم وينظر ما هناك؛ فأخبره أنه محل الخواطى. فأمرهم أن يصعدوا اليه، ويأتوا بمن هناك؛ فوجدوا أمرأة جالسة هناك؛ فأتوا بها اليه، فضربها نحو الماية نبوت وسمر[3] الرجل من ذكسره فى الجمبيزة الذى عند الطيبى، وأشيعت هذه النكتة فى مصر. وفى ثانى ربيع أول[4]. ورد ركاب

(١) بالاصل «سلطان»، والتصويب، من التحفة، ص٣٣١.
(٢) بالاصل «ثالث صفر»، وهو خطأ، والتصويب والاضافة، من التحفة، ص٣٣١/١٦ فبراير ١٧١٦م.
(٣) بالاصل «وصمر». (٤) ٢٦ مارس ١٧١٦م.

البلد كانوا اصحاب البطرك فاجتمعوا بالوالى وقالوا السلطان ما رسم الا بتسييره اليه وهو يفصل فيه هناك فاخذه وخرج واخرج اصحابه مخشبين [أى فى أغلال من الخشب] وهم الكاتب والتلميذان واحدهما عبده الذى رهبه وكرزه شماساً على دير الشمع. ووصل [الوالى] الى القاهرة فى عشية يوم الجمعة فى اواخر بوونه(*) فطلع الراهب الى القلعة واخبر بان البطرك وصل فامر ان يحبس هو واصحابه فى حبس القلعة فباتوا

(*) يمتد بوونه ما بين ٢٦ ما يو و٢٤ يونيو.

أغا من الأعتاب العلية؛ وأبرز خطا شريفا بتزيين القاهرة ونواحيها سبعة أيام ولياليها، سبب نصرة الاسلام على كفرة مورة؛ وأخذ قلاعها وضمها الى العثمانى. ولما قرى بالديوان وضربت المدافع، وزينت القاهرة. وفى شعبان(١). ورد من الديار الرومية رجل أفندى يقال له محمد أفندى، رئيس الكتاب بالديار الرومية، وبيده خطوط، من جملتها خط بأنه يكون رزنمجى بالقاهرة، فألبسه الوزير كركا، على الرزنامه، وعزلان أحمد أفندى. وكان بيده أوامر ستة، اسلمها الى الوزير. ثم أن الباشا أسكنه بالقلعة، ثم بعد ذلك عمل الباشا ديوانا وجمع فيه جميع السناجق، وأرباب الديوان وقريت الخطوط.

أحدها، يتضمن سكة جديدة، للذهب والفضة، فى جهتها طرة صغيرة والثانية اسم السلطان، وضرب فى مصر، وأن يكون الذهب من أربع وعشرين قيراطا وأن تكون الفضة خالصة [خالية] من النحاس. والثانى بعسكر لمحافظة جدة. والثالث: ان لا أحدا يصحب معه سلاحا الى بلاد الحجاز، الى البيع، وكل من وجد معه سلاح يؤخذ منه بالقهر عليه. والرابع: أن الأموال، المخلفة من المقتولين والفارين فى المعركة وهى ألف وخمسماية كيس. وأن يعين لحفظها فى الطريق الى الديا الرومية، ويوصلوها الى الأعتاب العلية. والخامس: بعمل [حساب] ولى باشا؛ وانفاد أمر الله فيه. والسادس: بتعيين طايفة من العزب الى محافظة بندر الينبع، فاجابوا بالامتثال.

(١) يولية/ اغسطس ١٧١٦م.

فيه تلك الليلة ثم ان جماعة المستوفيين اجمعوا
ثانى يوم وهو يوم السبت واجتمعوا بالامير الصارم
لانه كان استاد الدار فى ذلك الزمان ولم يزالوا به
حتى اخرجوه من الحبس وانزلوه الى الكنيسة
بحارة زويلة بالقاهرة. فجا الراهب الى الصارم
ومـوه على الامير وقال هذا الرجل مطلوب من
السلطان فحمله وقد قعد [الصارم] هو واصحابه
ياكلون ويشربون ورحت اليهم [كاتب السيره]

وفى يوم الاثنين سابع شعبان اجتمعت الامراء بمنزل عبدالرحمن آغاة الجملية من جهة الباشا من أجل تغير سكة الفضة، فأجمع أمرهم على أن الذهب تغير سكته والفضة على ما هى عليه، وانقضى المجلس على ذلك، وطلعوا الى الديوان، وأعلموا الباشا بما اتفق عليه رأيهم، فاجابهم الى ذلك، وأعطاهم فرمانا باشهار المنادات بذلك.

وفى يوم اثنى عشر رمضان[١]. ورد قبجى باشا، وصحبته خط شريف، مضمونه أن الألف والخمسماية كيس المتخلفة من مال المقتولين والفارين الذين أرسلنا لكم أنهم تجهز صحبة جماعة الباشا، فلا ترسلوها صحبة اتباع الباشا، بل تجهزوها صحبة الخزينة العامرة، وتجهيز عبدالكريم الى الأعتاب العلية. فتهيأ عبدالكريم الى السفر، واذا بالاخبار متواردة بموت على باشا الوزير الأعظم، صاحب الختام.

وفى ذلك التاريخ استأذن محمد أفندى الروزنمجى فى العود الى الديار الرومية، فأذن له، فلما توجه الى رشيد توفى، وألبس الباشا الرزنامجية الى أحمد أفندى ثانيا. وفى تاسع ذى القعدة[٢] تعدى رجل من العزب على رجل من الانكشارية، فقتله فى سوق السلاح، وكان ساعة الضحى، ثم ان القاتل مضى، ولم يعترضه أحد فى طريقه، فأعرض الأمر على الباشا، فأرسل فرمانا الى باب العزب بالفحص على القاتل، فبحثوا عليه، فلم يجدوه.

(١) ٣٠ أغسطس ١٧١٦م. (٢) ٢٥ اكتوبر ١٧١٦م.

فضربوني وعربدوا على فسير الصارم الى والى القاهرة بان ياخذه ويحبسه فجا الراهب [عماد الاخميمى] من عند الوالى بجمع عظيم ورهج واخذ البطرك حافياً راجلا وامسك كل من وجده عنده وركب [الاخميمى] بغلته والبطرك ماش وهو يفترى عليه. فلما وصلوا الى الوالى على تلك الحال وكان رجلا جيدا اعظم [عظم عليه] الحال واكرم البطرك وخلى طريق اولئك الممسوكين من

وفى أواخر القعدة سنة ١١٢٨[1] ورد آغا بطلب بشير آغا الذى توجه بأغاوية المدينة المنورة، أن يجهز الى الديار الرومية، بأن يكون قزلارا ثم أنه تجهز وسافر صحبة العرب الى مكة المشرفة فى غرة الحجة الحرام سنة ١١٢٨[2]. وأدرك الجوخدار الوقوف، وأخبر بشير آغا بورود الخط الشريف له بأن يكون آغة البنات بدار السعادة. ثم أنه حج واعتمر، وسافر صحبة الحج الى أن ورد الى مصر ومكث فيها ستين يوما، لأجل الراحة، وسافر الى الديار الرومية فى غرة جماد أول سنة ١١٢٩[3]. ولنرجع الى ما نحن نصدده. ثم ان فى غرة محرم سنة ١١٢٩[4]. ألبس الباشا الى اسماعيل اغاة مستحفظان سابقا، تابع ابن ايواظ قفطان الصنجقية.

وفى ثانى ديوان ألبس الباشا قفطان الصنجقية الى اسماعيل آغا، كتخدا الجاوشية الشبرخيتى، تابع أبو شنب، وألبس خليل آغا البشيلى، على كخاوية الجاوشية، عوضا عن اسماعيل آغا، وألبس مصطفى آغا أبو دفيه، آغة الجراكسة عوضا عن اسماعيل ابن الدالى.

وفى ثامن صفر سنة ١١٣٩[5] ورد الحاج الشريف بالسلامة والناس داعين له من السخا والرخا الذى كان فى الطلعة والرجعة، وصحبته بشير آغا، الذى تقدم ذكره، ومكث فى مصر

(١) أواخر نوفمبر ١٧١٦م. (٢) ٢٨ نوفمبر ١٧١٦م.
(٣) ١٣ أبريل ١٧١٧م. (٤) ١٦ ديسمبر ١٧١٦م. (٥) ٢٢ يناير ١٧١٧م.

الناس ما خلا اصحاب البطرك ، ورسم بان يقعد في طبقة بالربع الجديد الذى بين القصرين الذى تحته دكاكين الصيارف هو واصحابه ومعه مترسمون من قبله، وزجر الراهب وانكر عليه. واقام البطرك هناك واما الاسقفان فنزلا بكنيسة ابو سرجه والراهب معهما عند الشيخ السنى الراهب. ثم ان الراهب السنى اتفق مع اسقف فوه على اوراق عملوها لياخذوا خط البطرك بها ان ابقوه

قدر شهرين، وتوجه الى الأعتاب العلية، بعد أن أقام عبدالله الفحل وكيلا عنه فى بنا السبيل والمكتب الذى تجاه قنطرة سنقر وقد بدا عبدالله في بنا السبيل والمكتب فى غرة ربيع أول سنة ١١٢٩[١].

وفى ليلة اثنى عشر ربيع أول توفى يوسف آغا القطردار، وكان له من العمر ستة وتسعين سنة، وفيه ألبس[٢] الباشا قفطان كشوفية جرجة لاسماعيل بيك، تابع ابن ايواظ، عوضا عن محمد بيك جركس، والحق نظارة الكسوة بدار الضرب وألبس قفطانا الى داوود صاحب عيار.

وفى يوم الأحد خامس عشر جماد أول ورد آغا من الديار الرومية وصحبته خط شريف بطلب ثلاثة آلاف عسكرى الى قلعة بنى أغراض، يقرى بالديواين العالى، فأجابوا بالسمع والطاعة. ثم أن الباشا سال الرزنمجي: هذه السفرة نوبة من فى الصناجق؟ فأخبره بانها نوبة محمد بيك جركس، فألبسه الباشا قفطان السفرة. ثم انهم نزلوا من الديوان. ثم أنه أكربهم فى التهى، فسافرت العسكر من بولاق فى غرة رجب سنة ١١٢٩[٣].

وفى زمن عابدى، الباشا المذكور، سنة ١١٢٧ ظهر أمر عجيب، وأظنه لم يتقدم: وقع أن ببولاق رجل من الجلادة، يقال له مصطفى الجلاد، يتعاطى تجارة جلد الجاموس، الى بلد

---

(١) ١٣ فبراير ١٧١٧م. (٢) قدم وأخر.
(٣) ١١ يونية ١٧١٧م.

فى البطركيه منها امانة القبط، وان لا ياخذ رشوه
على شرطية احد من رتب الكهنوت، وان لا يجعل
للمطران فى الشام امرا فى كرسى انطاكيه بل
تقتصر به على غزه وما ولاها من تخوم مصر، وان
يقطع اولاد النساء الذين يقدموا على رتبة
الكهنوت. وكذلك العبيد الذين قدمهم. وان
يختصر فى اللباس على ما جرت به عادة القبط
ولا يبدل البدلات التى هى من شعار الملكية، وان

الافرنج، ولدت بغلة[1] زرقا ببغل أزرق، مثل امه، فتسامعت به الأكابر والأصاغر، فالأكابر أرسلوا فأخذوها، وتفرجوا عليها، وعصروا من ثديها اللبن، والاصاغر هرعوا الى بولاق، صاروا يتفرجون عليها وصارت الخدم يأخذون ممن يتفرج عليها الفلوس كل من هو على قدر حاله، ثم أن عابدى باشا أرسل احضرها الى الديوان وكان بحضرته شيخ الاسلام، وكان عبدالله جاويش القزدغلى، باش جاويش، فتعجب الباشا والقاضى، وجميع أهل الديوان من ذلك، والله أعلم.

وفى عاشر رجب ألبس الباشا الى محمد بيك بن أيواظ بيك، أخو اسماعيل بيك، قفطان الصنجقية، بواسطة ابراهيم أبو شنب، بغير رضى أخيه، اسماعيل بيك.

وفى غرة شعبان[2]. ورد آغا من الديار الرومية بفرمان الوزير، بأن حضرة مولانا السلطان وجه ولاية مصر الى على باشا الازمرلى، والى مصر سابقا، وأنك تهى روحك وتقطع حسابك، وتأتى صحبة الاغا على العجل. ثم أنه اختلى هو وابراهيم بيك، وتحدث معه من شأن هذه القضية، وكان باقى له خمسة وخمسين يوما من مدته، فجباها له واقعده باربعماية كيس، وتحت تراقى العسكر خزينة، ومكة، وسفر سلطانى، لأنها كانت على ابراهيم بيك، من جهة بلاد الأمير حسن، فقعد بها، كتبها على نفسه، وكتب لعابدى باشا على العسكر، أن ليس عنده شىء لجهة عسكر مصر لامن جوامك وترقيات وغلال[3]. كل هذا طمعا فى الخمسة

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف أن بغلة ولدت بغل أزرق».
(٢) ١١ يولية ١٧١٧م.
(٣) بالاصل «خلال» والتصويب ليستقيم المعنى.

يوفر اجر الاوقاف على المواضع التى هى موقوفه عليها فبدا [فيبدأ] بعمارة الرباع المذكورة ثم بالكنيسة والفقرا من كهنتها، فما فضل بعد ذلك استجد به وقفاً ا خر. ولا ياخذ رسوم الاعياد التى ياخذها من ساير الديار المصريه بل يوفرها على مصالح الكنايس التى الاعياد [العوايد] لها، ومن له رسم فيها مثل اسقف او والى او غيرهما، فيما [فما] فضل كان للفقرا والمساكين. وكذلك ديارية

والخمسين يوما. ولم ينزل[1] فى بيوت مصر، وانما نزل الى الحلى ببولاق، ولم يمكث فى بولاق الا أيام قلايل، وسافر من بولاق ثانى رمضان سنة ١١٢٩[2]، وكانت مدته سنتين وعشرة أشهر، وأوفى البحر فى عاشر مسرى الموافق لثانى عشر رمضان.

وورد ركاب مسلم على باشا فى خامس عشر شوال، بقيامة مقام ابراهيم بيك على ما هو عليه، من مدة عابدى باشا، وورد على باشا الى سكندرية فى غرة القعدة سنة ١١٢٩. وسافرت أصحاب الدركات من مصر الى ملاقاة على باشا. وكانت مدة عابدى باشا سخا ورخا، وعلم وصحة، وجبى أبو شنب فى الخمسة والخمسين يوما، شيئا كثيرا من بلاد محلول وعتامنة[3]، الى أن قامت ظهره، والله أعلم بغيبه، وأحكم وأعفى وأحلم.

٨٦ ذكر تولية على باشا الأزمرلى

محافظ مصر سابق

عفى الله عنه

قدم الى مصر يوم الاثنين غرة الحجة ختام سنة ١١٢٩[4] وأوكب موكبا عظيما، ثم أنه

(١) بالاصل «يزل».   (٢) ١٠ أغسطس ١٧١٧م.

(٣) بالاصل «مع أبو شنب الخمسة والخمسين يوما، بشىء كثير من بلاد محلول وعتامنة». فضبطت العبارة مع ما ورد، فى التحفة، ص٣٤٦.

(٤) مدة ولايته: غرة الحجة ١١٢٩/٦ ذو القعدة ١١٣٢ ـ ٦ نوفمبر ١٧١٧/٩ سبتمبر ١٧٢٠م.

الديارات التى احدثها وجعلها له فى الديار المصرية
ان يوفرها على الديارات لعمارتها والرهبان
لضروراتهم وان ياخذ من الديارية المقررة على
البلاد الجارى بها العادة ما يكفيه لنفقته وهو
خمسة عشر دينار فى كل شهر ويترك باقيها
لمنقطع [ناسك] لا يقدر على جزيته فيزنها عنه
ويشترى بها دينه او عادم قوته وملبوسه فيريح
نفسه ويستر جسده، اوكاينه تجرى مثل حفر البحر

عقب على ابراهيم بيك من جهة عابدى باشا الذى جهزه فى أسرع زمان. فأخبره بفرمان الوزير، وطلب عليه العجل. وسبب عتب على باشا، على أبو شنب، لتخاصم قديم بين على باشا وعابدى باشا[1]، فهو الذى الجأ عابدى باشا فى فوات الخمسة وخمسين يوما، ولم يقابل على باشا.

وفى غرة محرم سنة ١١٣٠[2]. ورد آغا من الديار الرومية بطلب ما يتى كيس من أبو شنب، عن مال الخمسة وخمسين يوما، الذى كان جباها عابدى باشا له، فان عابدى باشا قد أوهبها الى حضرة مولانا السلطان، فلما قرى الخط بالديوان، قال له الباشا: ما تقول يا ابراهيم بيك. فقال له ابراهيم: أنا ومالى للسلطان، ولكن من عادة الوزراء اذا أوهبوا شيئا لا يرجعون فيه.

فقال له على باشا: وأين هم الوزراء؟. هذا رجل فجورى، ولكن أنت تستاهل الذى ما كنت حشته الى حين حضورى، وهو ما عمل هكذا الا خوفا، أنت ملزم فى المايتى كيس، فقال سمعا وطاعة، وفى غرة ربيع أول[3]. سأل الباشا عن دار الضرب، وعدم شغلها، فأخبروه بقلة الوارد لها، فألبس داوود قفطانا، وأشرك بينه وبين ابنه وقطعوا فلوسا نقرة وزن كل

---

(١) بالاصل «عايدى باشا».
(٢) ٥ ديسمبر ١٧١٧م.
(٣) ٢ فبراير ١٧١٨م.

وما يجرى مجراه فيحمل ثقلها عن الصعاليك
ويرفع البدلة عن القسوس الذين عادوا مماليك،
وان يشترى فى كل سنة من مال هذه البيعة
[كنيسه بوسرجه] ماية اردب قمحاً برسم
الرهبانات المقيمات بديرالمعلقة ويصون وجوههن
من البدله [البهدله] واحوالهن من القلة، وان
يكون كاتبه شيخا اسقفاً لا مطعن عليه، واشيا مما
هذه سبيله. وسيرت اليه الاوراق وقريت عليه فما

رطل ثمانية عشر فضة، وسموها الجدد الداوودى[١]، ونزلت الى البلد فى غرة ربيع الثانى[٢]، وفى عاشرة ألبس الباشا قفطان الصنجقية الى محمد جلبى بن أبو شنب.

وفى اثنايها عم الطاعون بالقاهرة وأقاليمها[٣]. واشتغلت الناس بأنفسها، وكان أكثر الموت فى الشباب من الصبيان والمخدرات. ومات فيه عثمان بيك ابن بارم ديله فى طيلون، عند امرأة دلالة، وأخبروا ابراهيم بيك أبو شنب بموته؛ فارسل كيخيته بكفن عظيم، وثلاثة آلاف فضة لتجهيزه؛ وكان له مشهدا عظيما. واستمر الطاعون الى رجب، وكان ختامه ابراهيم بيك أبو شنب[٤]؛ فى خامس عشر رجب سنة ١١٣٠[٥]. وحصل فيه غلاء؛ إلى أن أبيع الأردب الحنطة بأثنين جنزير. وفى شوال ورد آغا وصحبته خط قرى بالديوان، بأن العثامنة التى احدثها عابدى باشا من المجموعات من فايضها يضاف الى بلك الأيتام؛ ويباع كل عثمانى بألفى فضة ديوانى؛ وكانت جملة العثامنة أربعة آلاف وأربعماية وثلاث وثمانين ديوانى؛ ويضبط ثمنهم إلى الميرى، لأن عابدى باشا كان قد أحدثهم من فايض الجمرك، وجعلهم خاصة لنفسه؛ ويرسل اليه فايضها فى كل سنة. وكان قد أقام اسماعيل بيك الشبرخيتى وكيلا فى قبض استغلالها

---

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف ضرب الجدد الداوودى». (٢) ٤ مارس ١٧١٨م.
(٣) بالأصل «واقليمها» كتب عنوان جانبى «اعرف حلول الطاعون بالقاهرة».
(٤) كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة عثمان بيك بارم ديله وابراهيم بيك أبو شنب بالطاعون».
(٥) ١٤ يونية ١٧١٨م.

اجاب الى شى منها وكان الراهب عماد المبدا [السابق] بذكره ملازماً لباب السلطان ساعياً فى عمل المجمع على البطرك فما زال المستوفيون يسعون فى امره حتى اخذه امير جندار ضربه ضربا منكراً وطرحه فى الزردخاناه وعمل فى حلقه [رقبته] طوقاً وفى رجله باشه [قيد] وكان عادما الخبز فلقى شدة عظيمة حتى انهم منعوا من يفتقده فى الحبس وتسببوا الى ان اخرجوا البطرك

فلما تولى على باشا أعلم السلطنة بها فجاء فى حقها ما تقدم ذكره. وما ملك على باشا بعمل (شيء)[1] فى عابدى باشا من المكايد غير هذه. وكان على باشا ألبس اسماعيل بيك الشبراخيتى دفتر دارية مصر بعد أبو شنب لموته، وألبس اسماعيل آغا، تابع أيواظ بيك، قفطانا على كخاوية الشاوشية، عوضا عن خليل آغا البشلى.

وفى شهر القعدة الحرام سنة ١١٣٠[2]. حصل ان محمد بيك بن ايواظ بيك طلب من أحمد افندى الجركسى، تابع محمد افندى المسلمانى منزله الذى بقرب سوق السلاح لأجل عمارة حصلت فى بيته، فأعطاه له من غير اجرة. فبعدما سكن فيه مدة أخبر أحمد أفندى بأن محمد بيك قلع الرخام والقيشانى الذى فى بيته ووضعهم فى بيته، وبيض محل الرخام والقيشانى. فتوجه له صحبة اختيارين من اختيارية وجاقه، فلما دخل القاعة ورأى حيطانها من غير رخام، ومن غير قيشانى، زال عقله، فلما رآه محمد بيك أراد أن يبطش به، فما خلص الا بالجهد.

ثم أنه آراد ان يدعى عليه بخراب منزله، فكان محمد بيك أسرع منه، فتوجه الى الباشا من وقته، واخبره أن أحمد أفندى تعدى عليه فى منزله، وهجم عليه، واخذ من السلاح ما هو كيت وكيت، وعين عليه آغا من طرف الوزير، فنزل وطلب التحاكم واياه على يد الوزير،

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.

(٢) سبتمبر/ اكتوبر ١٧١٨م.

من الطبقه وانزلوه الى كنيسة حارة زويله اقام بها.
ولم يزل الحال كذلك الى الرابع والعشرين من
ابيب [١٨ يوليو] و كانوا قد اصلحوا اكابر الدولة
فتحدثوا في خلاصه فخلص وكانت ليلة عيد
بومرقوره فنزل كما هو الى كنيسته التي بمصر
واصبح ابدل على جارى عادته وزفوه في وسط
الكنيسة وطرح له كرسي جلس عليه ومدح.
وكان يوما عظيما مشهودا واجتمع فيه من الخلق

وشيخ الإسلام فتوجه هو واياه الى الديوان، وادعى محمد بك بأنه هجم بيته هو وجماعته، ونهبوا بيته، وسأله القاضي، فانكر، فطلب القاضي من محمد بيك بينة تشهد بما ادعى به، فأتى بالبينة، وشهدت بما علمت، فألزم[١] القاضي أحمد أفندى بما ادعى به محمد بيك. ثم أن أحمد افندى ادعى بخراب منزله، فأمر الباشا الكشاف أن ينزل ويكشف، فنزل وكشف، فرأى البيت حقيقا خرابا، فكتبوا كما رأوا، واطلعوا الى الباشا فاخبروه بما رأوه، فحكم القاضي على محمد بيك بعمارة ما[*] افسده، والزمه، وصار أحمد أفندى في عين المعادات، ولم يعمر محمد بيك شيئا أبدا، ولم يلتفت الى حكم القاضي. ثم انه تداعى هو واياه مرة اخرى، فاثبت عليه الذى أخذه من الرخام بالذهب والقيشاني أثنا عشر كيسا، وأخذ بذلك حجة. وفي هذه المرة اتفق ان الطوابة الذين يحفرون الأساسات بمصر القديمة، لاجل اخراج الطوب، فوجدوا شخصا من الصوان مقطوع الرأس على قاعدة كأنه رجل جالس على كرسي، ومن صرته الى ابزاره عشرة اشبار قد قستها بيدى، كبير الجتة، مهول المنظر، وكان بيده اليمنى مفتاحا[٢]، ويده اليسرى كذلك على فخذه الأيسر من غير رجلين الأن رجليه مندمجة في بقية الحجر

(١) بالاصل «فالتزم».   (*) كتب باعلا هامش الصفحة «اطلب منك العون».

(٢) بالاصل «ويده اليمنى، وكان بيده مفتاحا»، فضبط النص ليستقيم المعنى، كتب عنوان جانبي «اعرف الشخص الذى وجدوه الطوابه تحت الأرض». ومن الواضح أن هذه المنطقة كانت تابعة للمدينة الفرعونية القديمة منف الشرقية حيث اقيمت عليها مدينة الفسطاط والقاهرة.

ما لا يحصى وتردد الى الكنايس وجرى على حالته الاولى واما عماد [الاخميمى] فانه كان قد اخذ خطه بان يقوم لبيت المال المعمور باربعة الف وثمانى ماية دينار التى ذكر انه يظهرها فى جهة اصحاب البطرك فما زال الشيخ السنى ومن يختص به يسعون حتى تخلص واستعيد خطه. ثم ان البطرك لم يزل يتوسل حتى عبر الى السلطان واهدى اليه هدية فقبلها وسمع منه ما قوى جنانه

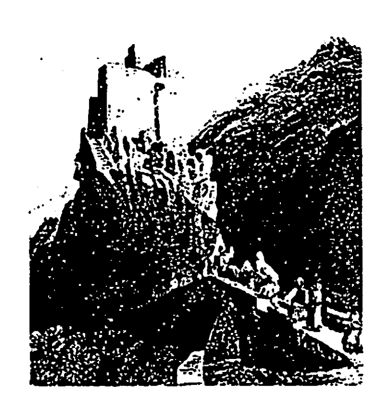
مقابلا لابى الهول، فهرعت اليه الناس لتتفرج عليه، ولكن فوقه كوم مهول لو وقع على ألف لم يظهر منهم ظفر أحد. ثم ان على باشا سار اليه وتفرج عليه، ثم أمر بردمه ثانيا، فردموه فى يوم الخميس غرة محرم الحرام سنة ١١٣١[١].

وفى ثامن صفر الخير[٢]. ورد الحاج الشريف الى مصر بالسلامة وأخبروه بما فعل اخوه مع أحمد أفندى، فاستظلم اخاه، وكان بينه وبين أحمد أفندى حظ نفس من جهة كفر، يقال له كفر كلا [مركز السنطه]، وكان اسماعيل بيك مراده ان يفترس به، بواسطة أفراد من وجاقه، فوصل أحمد أفندى الخبر، فوقع فى عرض باب مستحفظان، فأجابوه، وأخذوا له عرضه، وعملوه جربجى عندهم فلما وصل الخبر الى اسماعيل بيك، ارسل قيام مقامات بلاده، فأخربوا بلاده، وأنزل جماعته فى بلاده وامرهم بالتصرف، ومنع أحمد افندى من التصرف فى البلاد. فلما حصل من أخيه ما حصل، استظلمه وحصلت العداوة بينهم.

وفى عاشر صفر ألبس الباشا قفطان السنجقة الى عبدالله أغا، تابع ابن ايواظ. وفى خامس ربيع أول[٣] أتى على باشا[٤] بعبد الله أفندى الرزنمجى من القدس، وألبسه الرزنمجيه، وامنه على نفسه، وأمره بأن يعمل حساب أحمد افندى الرزنمجى، الذى كان سببا لهياج عبدالله

(١) ٢٤ نوفمبر ١٧١٨م.
(٢) ٣١ ديسمبر ١٧١٨م.
(٣) بالاصل «خامع»/ ٢٦ يناير ١٧١٩م.
(٤) بالاصل «على باشا اتى» ونعتقد أنه سبق قلم من الناسخ، فأجريت فيها عملية التقديم والتأخير.

وبسط لسانه وتسلط به على النصارى. واما ماجرى فى هذه الايام من الكاينات فان الملك الناصر بن المعظم قصد بلاد الساحل [الشام] ووصل الى غزه واقطع البلاد وجند الجنود وكان قصده كله دمشق، وسير الى السلطان الملك العادل يعلمه ان صاحب دمشق معه وانه دعاه الى مطاوعته وان يكونوا معاً يداً واحده، وسير كتبه اليه بذلك فبلغ صاحب دمشق ذلك وكان الملك



* احد قلاع الغور

أفندى الى القدس. فعمل حسابه فطلع عليه مايتا كيس من العثامنة ومن غيرها من أمور السلطنة. فباع بلاده، واقلاعه التى بديوان السلطان وتعلقاته جميعا. والذى كان السبب فى عزلان أحمد أفندى الرزنمجى، ومجىء عبدالله أفندى من القدس؛ اسماعيل بيك، أمير الحاج.

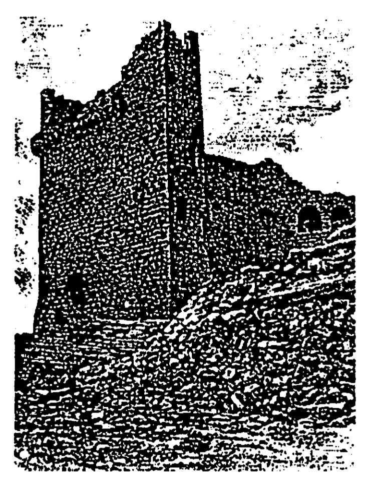
ثم ان أحمد أفندى توجه الى باب مستحفظان وعمل جربجى، وأرسل اختيارية الانكشارية يستشفعون عند اسماعيل بيك بن ايواظ، فأبى، فرجعوا واخبروا أحمد أفندى، فجعل يتردد على محمد بيك جركس، ووقع فى عرضه، من جور اسماعيل بيك، أمير الحاج، كالمستجير من الرمضاء بالنار، وأن يصلح بينه وبينه. فتوجه له المرة بعد المرة، فلم يمكن الصلح عليه.

فلما رأى جركس عدم الصلح من اسماعيل بيك، قال لأحمد أفندى: ولما هذا الذل. فقال له أحمد أفندى: أنا خايف على هؤلاء القراريط التى فضلت من على باشا، أن يضع يده عليها. فقال له: اجرنى. اياها، وأنا أمنعه عنها، وأعطيك ايجارك فى كل سنة قبل أن تفرغ على الصراف. ثم ان جركس استأجر البلاد، وأرسل قايم مقامه اليها، فطردهم قيام مقام اسماعيل بيك، فآل الأمر الى الفساد.

ثم أن فى عاشر جماد الآخر[1]. ورد آغا وبيده خط شريف، وطبجى، من الأعتاب العلية،

(١) ٨ مايو ١٧١٩م.

الجواد مظفر الدين بن ممدود وكان قد استخدم جيشاً قوياً كثيراً مع العسكر الذى معه من مصر فخرج اليه فى عدد وعدده فالتقوا بالقرب من الغور فانكسر الناصر ولم ينج الا بنفسه. فمضى الى الكرك، واخذت [أسرت] عامة اصحابه واثقاله وازواده ويزكه [يسقه = مؤنته]. وغنم [الملك الجواد من] العسكر الدمشقى غنما كثيراً وسيرت اعلامه الى القاهرة وطيف بها. وكان النيل المبارك



* بقايا حصن الكرك

بطلب المدافع التى فى السويس الى الديار الرومية. فأرسل الباشا اتى بالجمالة[1]. وقاولهم على مجىء الأربع مدافع التى فى السويس بخمسين ألف فضة ديوانى. فأتوا بها الى الشيخ قمر الذى ببركة المجاورين فى غرة رجب سنة ١١٣١[2]. على عجل فى كل عجلة ثمانية شواحى قزدغلى وكل شوحية فى عرض ذراع اسطنبولى فى سمك ذراع مصرى، كل مدفع يجره أربعون جملا من جمال الشواغرية وقد قستهم بشبرى فكان الكبير ثمانية وعشرين شبرا، والثانى سبعة وعشرين شبرا، والثالث خمسة وعشرين شبرا، والرابع ثلاثة وعشرين شبرا. ثم ان فى يوم الثلاث سابع عشر رجب الفرد[3] ركب اسماعيل بيك من منزله وطلع الى الديوان الى أن وصل الى قبو النشاب، واذا برصاصة قد طقت، فالتفت ليرى الضارب، فلم ير أحدا، فاكزا الجواد[4] نحو باب العزب.

وأما العسكر الذى أمامه وخلفه فانهم هربوا، فمنهم من رمح نحو الصليبة، ومنهم من رمح نحو قراميدان، ومنهم من رمح نحو القرافة، الا يوسف بيك الجزار، ومماليكه الذين خلفه، فانهم فى ظهره الى أن دخل باب العزب. ثم أنه أرسل اعلم الباشا، ولم يصب اسماعيل بيك

(١) بالاصل «الحبالة» والتصويب من سياق الموضوع.
(٢) ٢٠ مايو ١٧١٩م. (٣) ٦ يونية ١٧١٩م.
(٤) بالاصل «الجواب»، كتب عنوان جانبى «اعرف سبب الفتنة بين اسماعيل بيك بن ايواظ ومحمد بيك جركسى».

قد هجم فى هذه السنة من اولها ثم توقف بعد ذلك ووفى فى يوم السبت اخر النسى. وفيه خلق المقياس وكسر الخليج. وكان فى هذه السنة عجايب حدثت فى غير وقتها، جات زلزلة ظاهرة تبينت لكل احد فى البيت ومطرت فى ايام النسى وقيل انها لا تحدث الا فى سنة شح النيل ثم دخلت سنة خمس وخمسين وتسع مايه وانتهى الماء فيها الى ستة عشر ذراعاً وثمانى اصابع وكان

* أهم أحداث سنة ٩٥٥ق. = ١٢٣٨م. = ٦٣٦هـ.
* ١توت ٩٥٥ = ٢٩ اغسطس ١٢٣٨ = الأحد ١٦ محرم سنة ٦٣٦.
* فيها سار الناصر، صاحب الكرك،

شيء، وان الرصاصة أصابت القواس الذى كان فى ركابه فمات. وكان الجواد الذى راكبه أشهب.

فلما أعلم الباشا، جمع الصناجق، والاغوات، واعيان البلد، واروى عليهم ما فعله جركس. فهم فى الكلام والهرج، واذا بجماعة دخلت باب العزب، وأخبرت اسماعيل بيك، والذى فى المجلس، أن الذى ضرب الرصاص على اسماعيل بيك دخلوا بيت جركس، وأنهم هناك عنده، وهم خمسة أنفار، محمد كاشف، وعبدأسود، واثنان لم نعرفهما كأنهما سيمانية. ثم أن اسماعيل بيك طلع الى الديوان فوجد محمد بيك بن ابراهيم، وأحمد بيك الأعسر واخبرهم بما وقع له. فحلفوا له أنه لم يكن معهم من هذا الامر خبر. فدخل الى الباشا، وطلب منه فرمانا بالتقاضى هو وجركس؛ فاعطاه فرمانا، فنزل هو والمذكورون الى باب العزب، فسلموا على اسماعيل بيك، وهنوه بالسلامة، وسألوا ابن ابراهيم بيك والأعسر عن هذه الفعلة، فحلفوا لم يكن عندهم خبر من هذه الفعلة.

ثم أن اسماعيل بيك أرسل الفرمان صحبة عشر اغوات من طرف الوزير، فأبرز الأغوات الفرمان، فلما قراه قال جركس: أنا لم يكن عندى خبر من هذا الامر، ولكن يفك هذه اللموم التى عنده، وينزل القاضى الى بيت ابراهيم بيك ويأتى هو مع سبعة ثمانية ممن يحب، وندعى، فان أثبت هذا الأمر على، انى أنا الذى ضربته، أو أغريت عليه، كلما حكم به الشرع أنا راضى به، والاحط النفس ما هو مليح، وأن كان لم يثبت هذه الدعوى، والله لاقاتله حتى لم يبق عنده نفس.

[كانت] الجسور قد انقطع اكثرها لانها كانت مدبرة فى ايام الملك الكامل فلما مات زالت تيك المهابة ووقع الطمع فى قلوب الولاه والمتصرفين فاهملوا امرها فانقطع اكثرها، ومنها جسر كان بالجيزه وكان جسراً عظيما يرد الماء من اراضى البهنسى فانقطع وخرج اليه الامير جمال الدين ابن يعمور مشد الدواوين المعمورة واقام عليه مدة وانفق عليه جملة من المال والعده ولم

إلى مصر، واتفق مع العادل بن الكامل على قتال الصالح أيوب.
* ١ يناير ١٢٣٩ = ٦ طوبه ٩٥٥= السبت ٢٣ جماد أول ٦٣٦.
* فى جماد ثاني استولى الصالح أيوب بن الكامل على دمشق وأعمالها وعوض عنها الأمير يونس، الملقب بالملك الجواد(٢) بسنجار والرقة.

فأرسل اسماعيل بيك يقول له: انا ما خصمى الا أنت، ولابد من قتلك، وأنت لو لم تكن السبب في ذلك؟. ما قعاد مطرودين السلطنة عندك؟. وما سبب قعاد أحمد أفندى الرزنمجي عندك؟ فما أنت الا خصمي.

فأرسل يقول له: أنا خصمك، وكل شيء جآء من يدك افعله، ولا تبقى منه شيئا. ثم ان اسماعيل بيك جمع العسكر وارسل عبدالله، ملك بيت شكر بره[١]، واسماعيل بيك، تابعه، فى بيته الذى كان فيه غيطاس بيك، لأنه بعد هروب محمد بيك الصغير اشتراه، وسكن فيه اسماعيل بيك بتاع جرجة مملوكه، وهو كان قد اشترى بيت يوسف بيك أفرنج الذى بدرب الجماميز وعمره وسكن فيه وأدرك جميع النواحى، وأنزل البيارق، بيرق الى الصليبة، وبيرق الى طيلون صحبة على بيك الأصفر، والست وجاق عسكرها طوع يده. وصار يعين الى كل طرف عسكرا، الا وجاق الانكشارية لم ينزل منه أحد. وكان كتخدا الوقت ابراهيم كتخدا مناوات، وانسحبت المدافع، وعملوا المتاريس، وجركس كذلك، حصن نفسه بالمدافع فوق بيته، وفوق قلعة الكبش، وعمل متاريسا تجاه بير الوطاويط، وتحاربوا حربا شديدا عشرة أيام، ومات من الطايفتين خلق كثير الى أن رسمت الطرق. ومن جملة من مات من العزب حسن كتخدا الوقت. وكان ابراهيم الصابونجى قد عينه صحبة ماية نفر ببيرق الى طيلون، وصحبة يوسف

(١) بالاصل «شاكر بره».

يقدر ان يسده . واتفق على الناس فى هذه السنة المباركة شحة النيل وبقطع الجسور ونشفت البلاد بسبب العربان لانهم كانوا قد اختلفوا بالصعيد ونهبوا الناس وسبوا اهل بعض البلاد فقلت الاسعار وصار القمح بدينار الاردب والشعير قربا منه وما روى قط الشعير بسعر القمح الا فى هذه السنة. وغلا كل شى ورخص الذهب حتى صار صرف الدينار النقره اثنا عشر درهما وربع

بيك الجزار، والرصاص نازل مثل المطر، واذا برصاصة من خلف العسكر جاءت فى ظهر حسن كتخدا عزبان، خرجت من صدره، فوقع فى الحال ميتا. ثم ان اسماعيل بيك خاف من تطويل الأمر، فأرسل احضر مدفعين من المدافع التى فى الشيخ قمر، واحد اتوا به على خمسة وعشرين جملا، والثانى على سبعة وعشرين، ودخلوا بهما من باب النصر، يوم الجمعة ثامن عشرين رجب والناس يهدون مساطب الدكاكين. الى ان أتوا بهما الى بيت غيطاس بيك من الباب الذى من درب الجمازين. فلما رأى محمد بيك جركس الى تلك المدافع الذى اذا انطلق واحد منها لا يبقى شيئا من عمران القاهرة، ففى تلك الساعة غطس أحمد أفندى الرزنمجى كأنه فص ملح وداب.

وأما محمد بيك جركس فانه بات تلك الليلة الى ثانى يوم وقت الضحى، وكان يوم السبت ففر هاربا هو وحسين بيك أبو يدك، والدبشة، ووالى بالطة، وغيطاس تابع رضوان أغا، ومحمد كاشف، تابع أبو سعده، واسماعيل اغا الوالى، تابع غيطاس، وحسن كتخدا المعمار، تابع قيطاس نسيب أحمد أفندى الرزنمجى، وأبو الشراميط، باش سايس، وبعض جماعة، واتباع، وطلعوا شاهرين السيوف على بيت أيوب بيك، واذا هو يوسف اغا، تابع سليمان اغا، كتخدا الجاوشية، فقابله ساحب السيف، فلما رآه جركس قال له: أنت جيت تقاتلنى يا ملعون، وتأخذ رأسى توديها لأسماعيل بيك مثل ما أخذت رأس عبدالرحمن بيك، ووديتها الى

وثمن و[ثمنه] بالورق خمسة وثلثين درهما
وربع. وكان السبب في ذلك كثرة ما اخرج
السلطان من الاموال وفرقه على الامرا والاجناد
وهو السبب الاكبر في غلا الاسعار لان الناس
كثرت معهم الاموال وخصوصا الاجناد واطمانوا
على نفوسهم حتى ان النبيذ القديم ابيع باربعة
دراهم نقره الجرة لكثرة طلب الناس له والفواكه
غلت والملبوس والمصاغ والاملاك ايضا وكانت
ايام تشبهها الناس لايام الملك العزيز رحمه الله

الباشا. وضربه بالسيف فاخذ نصف رأسه من فوق، فوقع الى الأرض ميتا؛ ثم قصد قناطر السباع، فوجد الدرب[1] مقفولا، فضربه وكسر الضبة، وطلع هو ومن معه قاصدين الريف، فرجع من خلفه خمسة انفار؛ اسماعيل آغا الوالى، وغيطاس تابع رضوان، وحسين معمار، والحبشى تابع غيطاس بيك، وخزندار غيطاس، فانهم اختفوا فى مصر وكذلك أحمد افندى اختفى فى مصر. فلما علم اسماعيل بيك بهروب جركس أرسل خلفه[2] عبدالله بيك، واسماعيل بيك جرجة، وعلى بيك، وارسل صحبتهم نحو المايتين، فطلعوا من وسط البلد رامحين، فسافروا خلفه الى أن لحقوه، فتحارب هو واياهم الى ان دخل الليل، فافترقوا.

ثم أن جماعة اسماعيل بيك نزلت لتأكل وتعلف على خيلها، وأما هو فانه لم يزل سايرا هو ومن معه. ثم أن جماعة اسماعيل بيك ركبت ثانى يوم، فلم يجدوا أحدا، فتبعوا أثرهم، فوجدوا حسين بيك قد انقطع والدبشا فقتلوهما، ومن وقف فرسه. ثم انهم عادوا لأنهم لم يكن معهم زادا ولا مآء إلا على جرايد الخيل وأما جركس فانه سار أول يوم، وثانى يوم وقت الضحى واذا هو بخمسةعشر خيال فنده عليهم: من أنتم ومن تكونوا؟ فقالوا نحن من عرب الصواحة. ومن انت؟! قال: جركس. فنزلوا عن خيلهم، وقبلوا يده، فقال لهم: خوانا فقالوا: لا.. وحلفو له بأنهم أصدقاء لمن صادقه، اعداء لمن عاداه.

(١) بالاصل «الضرب».

(٢) بالاصل «خلف».

لطيبها . ثم ان الاساقفة حضروا من الوجه البحرى وكانت عدتهم اربعة عشر اسقفا(*) واجتمعوا فى كنيسة حارة زويلة وتحدثوا فى امر البطرق وذكروا انهم ما يرضون اشياء تاتى منه عددوها وايقنوها فى مسطور تكتب الاخوة الاساقفة الرب يبارك عليهم وعلى شعبهم وكراسيهم بالموافقة على هذا المكتوب وما ثبت فيه من الامانة والسيرة المرضية والعوايد البيعية ومن خرج عنه او حاد عن شروطه

(*) اجتماع اساقفة الوجه البحرى من أجل ترتيب قوانين الكنسية حتى يقنعوا البطرك ابن لقلق (كيرلس) بها ويعتمدها قانونا للكنيسة القبطية فى كل مصر وما يتبعها فى الشام وشمال أفريقيا والحبشة بداية من ٦ توت سنة ٩٥٥ ق. = ٣ سبتمبر ١٢٣٩م.

ثم أنه شكى لهم الجوع وقلة النوم. فقالوا له: أبشر، ثم أنهم أخذوه وساروا نحو أبو زعبل، فقال لهم: لا ادخل البلد. فقالوا له: قدر ما تأكل ونسير واياك. فدخل الى البلد، ونزل دار واحد منهم، فاتوا له بالأكل، فأكل وشرب واياهم، الى ان جاءوا به الى وطية من الأرض على غير طريق، ونصبوا له بيتا من الشعر، وأتوا له بصحن[1] من الماء، فركزوه له بجانب البيت الشعر وخلعوا الفرسة، وعلقوا له عليه، ولم يكن معه أحد من جماعته، وتفرقت جماعته جميعا، وصار وحده.

ثم أن العرب قالوا له: لو تقعد هنا شهرا، لم أحد يعرف لك طريقا، وأحنا كل ليلة نأتيك بالزاد والماء والعليق الى أن يفرج الله عليك، أو يتم لك أمر. ثم أنهم ساروا من عنده، فلما خلا بنفسه توضا وصلى، ثم أن النوم غلب عليه، وله ثلاثة أيام لم يأكل فيها شيئا، ولم ينم، فنام وسيفه فى حضنه من كثرة التعب. فاستيقظ آخر الليل ليشرب، فلم ير القربة ولا الجواد، وسمع قعقعة اللجم فى أفواه الخيل، فمد بصره، فرأى خارج البيت الشعر نحو أربعين خيالا من العرب، فسل سيفه وقصدهم، فقتل منهم رجلين، فتكاثروا عليه، فمسكوه قبضا باليد، ثم أنهم كتفوه وأركبوه على جواده، واركبوا خلفه رجلا، ولفوا الاثنين بحبل، ولفوه بملاية زرقا، وساروا به ذلك اليوم وتلك الليلة.

(١) بالاصل «صعن».

كان محروماً مبعدا من فم الثالوث المقدس الاب والابن والروح القدس ومن فم الثلثماية وثمانية عشر المجتمعين بنيقيه(*) والمجمعين(*) المقدسين المجتمعين بقسطنطينة وافسس ثم الاقرار بما اختصت به البيعة اليعقوبية مما اخذناه من الاب كيرلس الكبير والابن ساويرس (*) وديسقرس(*) الارتدكسين وهو الايمان بان المسيح الاله المتأنس طبيعة واحدة اقنوم واحد مشيئة واحدة فهو الاله

(*) المجمع الاول كان في عام ٣٢٥م.
(*) والثاني في ٣٨١م والثالث في ٤٣١م.

(*) ساويرس: بطرك Antioch انطاكيه ٥١٢ - ٥٣٨م
(*) ديسقرس: بطرك الاسكندرية ما بين ٥١٦ - ٥٢٧م

وفي ثاني يوم عند طلوع الشمس ادخلوه بيت اسماعيل بيك، وكان اذ ذاك في الحريم. ثم أن الطواشي طلع فأخبره، فأمر الطواشي أن يودوه الى اوضة الخزندار ثم ان اسماعيل بيك نزل من الحريم، فقابلته العرب فنهرهم، وقال لهم: لما أتيتم به حيا؟ هلا اتيتم برأسه؟!. فقال له يوسف بيك الجزار، وابراهيم جربجي الصابونجي: اقتله. فقال: لا! وحياة رأسي، من وقت دخل بيتي لم اقتله فعالجوه على قتله كثيرا فما أمكن. ثم أنهم اخبروه أن به جراحة. فأرسل له جاد الله المزين. فشد له جراحاته وأمر الخزندار بأن يتقيد به. وبمأكله ومشربه وملبوسه. فمكث ثلاثة أيام. ثم أنه بعد الثلاثة أيام قطع بيردى من الباشا بنفيه الى جزيرة قبرص. ثم أنه أرسل له مايتي جنزرلي[1]. وبدلتين وأرسله صحبة جماعة الى قبرص. ولم يرد. ولم يجتمع عليه ثم انه أخذ من اتباعه ثلاثة مماليك، وسافرت به جماعة اسماعيل بيك الى[2] جزيرة قبرص في يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ١١٣١.

وأما اسماعيل بيك فانه في ثاني يوم هرب محمد بيك جركس. فتش على أحمد الرزنمجي فلم يجده ابدا. ولا وجد احدا ممن تقدم ذكرهم. فحرق بيت جركس بالنار، وأمر الرعية أن ينهبوه. ويأخذوا اشجاره وخشبه. فخلوه كوما في يوم واحد. حتى البلاط أخذوه. ثم أنه اتاه خبر أن مصطفى الحبشي في بيته مستخفيا. فأرسل له جماعة فقتلوه في بيته. وحسن

(١) بالاصل «جنزلي».
(٢) كرر حرف «الى» بالنص.

الكلمــة وهو الانســان المولود من مــريم العــذراء
ولذلك يصح وصــفــه بكل الاوصــاف الالهـيــة
والانســانيــة ثـم من بعــد الزام مـا تـضـمنتـه الكتب
الالهية والقوانين الرسولية والمجامع المقبولة والعادات
المستقرة في البيعة اليعقوبية القبطية التى عليها
اعتمادنا في ديانتنا. فاما الفصول التى دعا الوقت
الى امرها بالذكر طلبا لدوام السلامة الاول لا يقدم
اسـقف من الان الا من كـان عـارفـاً وعـملت له

كتخدا المعمار دخل بيت محرم أفندى ليقبض جامكيته. فأعطاها له. وقال له: يا ولدى اخرج عنى. فانى لم اقدر أن أحميك. فخرج من عنده ولم يدرى أين يتوجه. ففطن به بعض العسكر فمسكوه وودوه لاسماعيل بيك. فرمى رقبته. ولم يره الا من برا الباب. أى باب العزب. وكان ثالث شوال، فرميت رقبته على باب العزب التحتانية. وأما محمد كاشف فانه ذهب الى قبين الضاشة بالبتنون فأكرمه وأرسل مكتوبا فى الحال خفية الى أستاذ البلد. ان فى يوم تاريخه ورد الينا محمد كاشف. تابع أبو سعده زين الفقار. وها هو عندنا. والأمر أمركم.

فلما ورد المكتوب الى يوسف اغا، استاذ البلد، أرسله الى اسماعيل بيك. فلما قراه ارسل فى الحال عشرة خيالة فاتوا به على اسوا حال، بعد ذلك العز والسيادة. فلما ادخلوه على الصنجق أمر به الى الحبس فحبسوه. ثم أنه بعد أن صلى العشاء أمر الجماعة أن يخرجوه من الحبس، فاتوا به بين يديه فلم يخاطبه، بل أمر القواسة أن يرموه الأرض، وأمرهم بالضرب، فضربوه نحو الخمسماية نبوت، ثم أنه عاقبه ثلاثة أيام، ثم أرمى عنقه، وحلف أنه لم يدفن، بل رماه تحت رجلى الخيل فى البلاعة. ثم أن اسماعيل بيك أرسل أحضر الخرج الذى كان تحت جركس، لأن العرب جاءت به ثانى الأيام الى اسماعيل بيك، ففتحه فرأى فيه بعض ذهب، وتذاكر بالتقوية على محاربة اسماعيل بيك، وكل شىء اعتزته أرسل اعلمنا به، وكان ذلك من أعيان البلد الذين غداهم وعشاهم على سماط اسماعيل بيك.

تزكية ورضى به شعبه ولا يوخذ منه شرطونيه ولا
تباع روح القدس ولا تشترى وكذلك يجرى الامر
فى تقدمة القسوس والشمامسة وجميع رتب
الكهنوت ولا يأخذ احد من الحكام رشوى له وما
يقوم مقامها فى حكم من ساير الاحكام بطركاً
كان او اسقفا او نائبا عنهما او يحابى فى حكم
لاجل جاه او شفاعة فمن فعل ذلك كان ممنوعاً.
الثانى ان يتفق البطرك مع الاساقفة العلما على

ثم انه حرق الأوراق بعد أن أعرضها على الجزار، وابراهيم جربجى، وعلى كتخدا الخربطلى، ومن أخيه محمد بيك المجنون. ثم أنه لما صفت له الأوقات، وخلت له الارض، عملت له أبياتا بتاريخ، وأرسلتها له صحبة الشيخ محمد بن أمليت الدمياطى، وهى هذه.

لما أتى داعى الهنا … يقول قولا قد حلا
لبيش اسماعيل … تاريخ غم وانجلا
يابها البيك الذى … نجم السعود به علا
لا تحزنن لما جرى … تاريخ غم وانجلا

وأما جركس فانه سافر من بنط دمياط[1] فى عشرين شعبان الى أن طلع الى قبرص، ولم يكن الباشا بها، وانما بها المسلم، فأخذه المسلم والثلاثة أنفار صحبته وعاودت المعينون، فقعد محمد بيك جركس فى بستان البلد. ثم أنه بعد مدة دخل الى حاكم القلعة وأخبره بأن فى مراده يرسل اثنين من اتباعه الى مصر، يأتوه بشىء من الدراهم، ومن أثياب البدن.

ومن عادة قبرص أن لا أحد يقدر يخرج من البلد وينزل الى المركب الا بورقة من حاكم البلد، خطابا الى آغة المينة باسمه، وملبسه وأمرد كان أو بدقن، أو أسود اللحية أو أبيض اللحية. فأخذ الورقة وسار الى منزله.

(١) بالاصل «ضمياط» غلطه مكررة، صوبت.

عمل مختصر قوانين فى المحرمات والمباحات فى الزيجات وغيرها وفى المواريث وترتيب طقوس الكهنوت وتكتب نسخاً وعليها خط البطرك [كيرلس الثالث ابن لقلق] والاساقفة بالموافقة وتخلد للكراسى واى حكم خرج عنها كان باطلا.
الثالث ان يجتمع الاساقفة الى القلاية دفعة واحدة فى السنة وهى من اول الجمعة الثالثة من الخمسين والى اخر الجمعة الرابعة منه وان لا يغير القواعد

ومن جملة سعوداته أنه لما كان كاشفا بالبحيرة، أتاه افرنجى: قبطان، على البر، وهو متوجه الى سكندرية، فنزل بدمنهور عند جركس، فاكرمه اكراما زايدا على الحد والطاقة، ثلاثة أيام. وكانت الطريق مخيفة، فأرسل معه جماعة من طايفته أوصلته الى سكندرية.

فلما دخل محمد بيك الى جزيرة قبرص اشيع فى الجزيرة أن محمد جركس جآء الى قبرص من مصر منفيا.

فكان القبطان المذكور لاقيا[1] بغليونه فى مينة الليماسول، أحد مين [موانى] قبرص، فسمع بذكر جركس، وكان متهينا لثغر دمياط، فاجتمع على جركس، وقال أعمل معه هذا الجميل، فى نظير ما أكرمك، فلما اجتمع به دبر هذا التدبير فى أخذ الورقة من المسلم. ثم أنه أخذ واحدا من أتباعه، وكان الثانى نفسه، فطلع من وقته الى المينة، وهو تابعه، فما جآء وقت الصباح الا وهو فى المينة، وكان القبطان له فى الانتظار سرا، وفى الظاهر يورى أنه يخرج المرساة. واذا بمرسال من آغة الميناء، يقول: لا تبرح حتى تأخذ هذين الرجلين توصلهما الى بنط [ميناء] دمياط فان الباشا ارسلهما. فأجاب بالامتثال . ثم ان الاغا ارسلهما فى قارب الى الغليون، فبمجرد نزولهما فى الغليون فرح فى الحال، وجاءهم الريح من خلفهم كالمدافع الكبار . فورد الى دمياط مستخفيا وكان احمد جلبى بن مصطفى كتخدا الشريف، آغة الحبشة، فنزل عنده، فاخفاه.

---

(١) بالاصل «الاقلا».

المستقرة فى البيع القبطية كالختان قبل التعميد ما لم يقطعه ضرورة. وكالامتناع من تكريز اولاد السرارى والعبيد ما خلا المسبيين من بلاد الحبشة والنوبه اذا حسنت سيرتهم وزكوا للكهنوت، ومن كان غير مسبى بل ابن جارية عاهرة غير مكلله فلا يقدم من الان فى شى من درج الكهنوت، وكذلك اولاد النسا الرواجع(*) من الان لا يقومون فى شى درج الكهنوت، وكذلك اولاد

(*)الرواجع : اى اللائى مات عنهم ازواجهن ثم تزوجن.

ثم انه ارسله الى مصر مستخفيا، وأكمن فيها، واما اسماعيل بيك فانه جمع الصناجق وأعيان الدولة وكتب محضرا بمعرفتهم وبمعرفة الباشا، بصيغة ما حصل من جركس، ومن لاف به، بضبط بلاده، وبلاد الفارين جميعا، الى الميرى. وسافر العرض الى اسلامبول فى غرة رمضان سنة ١١٣١[(١)]. ثم أن بعدما سافر العرض توفى الشريف عبد الكريم، شريف مكة، والشيخ عبد الوهاب الشنوانى [(٢)]، ودفن الشريف عبد الكريم. وأوفى البحر فى رمضان الموافق آخر أبيب.

وفى يوم الاحد رابع شوال سنة ١١٣١ [(٣)]. توفى ابراهيم جربجى الصابونجى، والسبب فى موته انه عزم ابراهيم أفندى عزبان، وكان ضده، وكانت العزومة ليلة سبعة وعشرين فى رمضان، فأخرج سما واعطاه الى الخزندار، وأوصاه أن يضعه فى طاسة شربات، ويعطيها الى ابراهيم أفندى فأراد الله ان الطاسة المشغولة لم يعطها المملوك الا لسيده فلما شربها أحس بالبلا وابراهيم أفندى جأته الطاسة السالمة فصار الصابونجى يطرش الى أن نزلت امعاؤه مكث ستة ايام وفى سابع [(٤)] يوم توفى الى رحمة الله تعالى ودفن بمدفن كاتب غريب بجوار الامام الشافعى ابن أدريس رضى الله عنه. وفى سابع عشرين شوال سافر اسماعيل بيك بالحاج. ثم

(١) ١٨ يوليو ١٧١٩م.

(٢) كتب عنوان جانبى «أعرف وفاة الشيخ عبد الوهاب الشنوانى».

(٣) ٢٠ أغسطس ١٧١٩م. (٤) بالاصل «السابع».

الزوجة الثالثة ولو كانت بكرا لا يقدمون فى شى
درج الكهنوت، ويمنع من تكلل سراً فى البيوت
خارجاً عن الكنيسة والقربان، ويحرم دخول
الحايضات الى الكنايس فى وقت حيضهن، وان
يكون كاتب القلايه من يختاره البطرك اما اسقفا
واما رجلا معتبراً، وان يطلب خط مطران غزه وما
والاها بالموافقة على اعتقاد البيعة اليعقوبية المقدم
ذكره وموافقة من وافقها ويمنع من يمنعه من

بعد شيل الحاج فطنت أكابر مصر بدخول جركس الى مصر القاهرة وأنه كل ليلة يدور فى البلد بجماعته فطلعوا الى الباشا وأخذوا منه فرمانا خطابا الى الوالى أن ما أحدا يقعد بعد المغرب وكل من وجد بعد المغرب يقتل فقامت أهل البلد وقالوا هذا أمر ما سمعنا به أبدا وانما العادة بعد العشاء فغيروا الفرمان بفرمان آخر بعد العشاء وقبل الاذان [آذان الفجر] فكان كذلك. وفى غرة محرم الحرام سنة ١١٣٢ (١). قطع الباشا فرمانا وأعطاه الى أغا مستحفظان، أشهر المنادات به فى القاهرة أن كل ما يأوى جركس، أو حباه، او ظهر عنده كان ماله نهبا ودمه هدرا وكل من أخبر عنه له من الالتزام بلد ومن العثامنه خمسماية عثمانى واحمد أفندى المسلمانى واطن فى البلد وفى كل شهر يأتى مكتوب بانه فى القدس وانه طيب ولم أجد عنده خبرانه فى بيت الشيخ على الطرابلسى الابعد ظهوره واستمر الحال على هذا الامر الى ان جآء الحاج فى ثامن صفر الخير سنة ١١٣٢ (٢). وكانت سفرة حصلت فيها المشقة من العرب الا ان الله سلم ولم يرح من الحاج شئ وكان أغة الوجه حمزة أغا تابع اسماعيل بيك وأما العقابة فانهم انتهبوا جميعا ولم يسلم منهم احد ومات من كان خارج القافلة ولم ينج منهم الا الهجان وأما حمزة فانه انجرح وسلم من نهب القافلة فلما رجع الى مصر البسه الباشا قفطانا على السنجقية فى غرة ربيع اول سنة ١١٣٢ (٣). وفى خامس عشر ربيع أول طلع الشيخ محمد شنن الى على باشا وأعلمه أن الجامع الأزهر آلا الى السقوط

(١) ١٤ نوفمبر ١٧١٩م. (٢) ٢١ ديسمبر ١٧١٩م. (٣) ١٢ يناير ١٧٢٠م

الجامع ومتى لم يجب الى ذلك قطع، وان يكون طقس مطران دمياط الحاضر بها الان مستقراً على العادة لمن يقدمه بها، وان لا يكرز البطرك ولا الاساقفة على غير كراسيهم بالجملة ولا يطقسوا احدا الا برضى اهل كرسيه او اكثرهم وبرضى اسقفه الذى قدمه ولا يقبله اسقف كرسى اخر الا برضى اسقفه الذى هو فى كرسيه ولو كان ساكناً عنده، واى من انتقل من بلده وكنيسته من غير

- -

والمرجو من عالى همتكم أنكم ترسلوا تعرضوا الى حضرة مولانا السلطان فأجاب الى ذلك وأمره ان يكتب عرضا ويختموا عليه وهو كذلك يعرض فى طلب شئ يبنى به الجامع. فكتبوا العرض وكتب الوزير كذلك وسافر العرض صحبة آغا من أغوات الوزير فى غرة جماد (أول)[1] سنة ١١٣٢. وفى غرة رجب[2]. توفى حسن جربجى قانصوة. وفى تاسع عشر شوال[3]. وتوفى جدك محمد. وفى خامس القعدة [4]. ورد مسلم رجب باشا بقيامة مقام لاسماعيل بيك الشبرخيتى دفتردار مصر وعزلان على باشا. وفى ثانى يوم نزل على باشا فى بيت محمد أغا متفرقة الذى بقرب الميلاونية فمكث فى البيت مدة وحبس فى كشك يوسف مدة ثم جاء خط شريف بانفاذ امر الله فيه فانفذ رجب باشا، أمر الله فيه ودفن بالطحاوى فى ثالث عشر ربيع أول سنة ١١٣٣[5]، وله من المآثر الحميدة الصهريج الذى بالديوان الذى لم يوجد له نظير ولم يسبقه عليه أحد وله القصر الذى ببستان اسماعيل بيك الذى بمصر القديمة قريبا من بيت اسماعيل بيك وكان هذا القصر سبباً لهلاكه لانهم اخبروا حضرة مولانا السلطان أحمد ببنايه قصرا لاسماعيل بيك ببستانه الذى بمصر القديمة وصرف عليه جملة أكياس وأخبروه بمحبته له وكانت مد على باشا ثلاث سنوات.

(١) الاضافة لتوضيح المعنى / ١١ مارس ١٧٢٠م.
(٢) ٩ مايو ١٧٢٠م.
(٣) ٣ سبمتبر ١٧٢٠م.
(٤) ٨ سبتمبر ١٧٢٠م.
(٥) ١٢ يناير ١٧٢١م.

امـر ضـرورى الى كـرسى اخـر او كنيسـة اخـرى
فليـمنع من كليـهـمـا، ولا يمنع البطرك احـداً من
شعـوب كراسى الاساقفـة الا بموجب شـرعى اذا
ثبت عن اسقفه انه لا يمنعه فليسير البطرك بامره
بمنعـه فـان أبى الاسـقف لوجـه غيـر مرضى واصـر
على ذلك يمنعـه البطرك وان لا يحل البطـرك من
منعه اسقفه الا اذا ثبت عنه انه منعه بهوى عن غير
وجه شرعى ويكاتبه البطرك دفعه واثنتين بسببه فان

٨٧.ذكر تولية رجب باشا قاتل الاسماعيليين
عفى عنه أمين

قدم الى مصر من طريق البر وكان محافظا لقلعة حلب الشهبا فأوكب[١] من العادلية يوم السبت خامس عشرين القعدة سنة ١١٣٢ [٢]. وطلع الى الديوان وجلس ثم أن أعيان البلد طلعوا اليه وأخبروه بدوران جركس بالليل وسألوه أن يعطيهم فرمانا بكبس كل محل سمعوا بانه فيه فأبى وقال هذا أمر لا يصح لكن أن كنتم تظنون أنه فى محل وادى اجتهادكم أنه فيه أكتب عليكم حجة على أنكم اذا لم تلقوه فى المحل الذى تكبسونه تكونون أنتم القاعدون به فقالوا اعطنا فرمانا بالمنادات عليه وعلى أحمد أفندى المسلمانى فاعطاهم فرمانا بالذى طلبوه ونادوا به فى البلد.

وفى غرة الحجة ختام سنة ١١٣٢ [٣] ورد نجاب من اسماعيل بيك أمير الحاج بأن العرب طلعت علينا فى الطلعة فى العقبة من طريق غزة ولكن ربنا سلم وانكم ترسلوا لنا عبدالله بيك صحبة باش الأزلم فان العرب كثير قوى وقد مات فى الوقعة ناس كثير ومن جملة الذين ماتوا صدر المدرسين الشيخ محمد الحماقى استشهد برصاصة من بدوى فى العقبة فلما أخبر الباشا

(١) بالأصل «فيها» وفوقها علامة الحذف.
(٢) مدة ولايته: ٢٥ القعدة ١١٣٢ / غرة رمضان ١١٣٣ ـ أكتوبر ١٧٢٠/ ٢٦ يونية ١٧٢١م.
(٣) ٤ أكتوبر ١٧٢٠.

اصر الاسقف على ذلك احضرهما كليهما وانفصلا بما يوجبه الشرع. ومن كرز على كرسى من الاساقفة وعمله فلا تنقص عليه منه بلد. ومن استقر بيده كرسى بلاده الى يوم تسطيره فلا يخرج عنه.. واما الدياريه التي توجب من الاساقفة إلى البطرك فلا يؤخذ على سبيل القهر الا على قدر كراسيهم وعلى قدر ما يسهل عليهم على سبيل البركه.. وان لا يلزم البطرك الاسقف بان

بهذا الأمر ومعارضة العرب الى الحاج الشريف أرسل الى عبدالله بيك أتى به فلما جاءه البسه قفطانا وعينه بأن يكون صحبة أزلم باشا فنزل من الديوان وهيأ نفسه وأخذ معه نحو المأية نفس وسافر يوم السبت ثامن عشر الحجة ختام سنة ١١٣٢[1] فلما وصل الى العقبة رآها معقودة من العرب لا يملك الطالع ينزل ولا النازل يطلع ولكن من لطف الله به أنه رآهم تحت فوقع بينه وبينهم قتال كبير ونجا سالما ثم أنه أرسل يستنجد الباشا بأن يرسل له عسكرا صحبة نجاب فلما ورد النجاب الى الباشا وأسلمه المكاتيب فلما قراها أرسل إلى جمع الصناجق والأغوات وقال كيف الرأى فقالوا له الرأى لما تراه فقال الباشا هات قفطان فالبسه يوسف بيك الجزار وأحمد بيك الجزار وأحمد بيك الاعسر واسماعيل بيك جرجة وقاسم بيك وعبد الرحمن آغا أغة الجملية وكتب خمسماية نفر[2]. من السبع بلوكات. كل واحد اعطاه الفا وخمسماية نصف ديوانى وطلعوا بالاى من وسط القاهرة صحبة بيارقهم الى العادلية عند الصناجق فى خامس عشر محرم الحرام سنة ١١٣٣ [3]. وفى ثانى يوم الذى هو سادس عشر محرم أرسل رجب باشا لحضر محمد بيك المجنون أخو اسماعيل بيك البسة قفطان جرجة والصناجق فى العادلية. ثم ان الصناجق شالوا من البركة ثامن عشر محرم [*]. ثم ان الباشا عمل ديوانا يوم الثلاث، بعد شيل الصناجق من البركة وعكس اسماعيل الدفتردار، واسماعيل

(١) ١ نوفمبر ١٧٢٠م.

(٢) كتب بالهامش «لعلة خمسة آلاف كذا وجده».

(٣) ١٦ نوفمبر ١٧٢٠م.

(*) ١٩ نوفمبر ١٧٢٠م.

يطقس فى كرسيه او يكرز من لا يرضاه اسقف
الكرسى او اكثر جماعته ويساوى بين الاساقفة
فيما هو مطلق لجميعهم وممنوع.. وان لا يتعرض
البطرك الى ما يدخل الكنايس فى اعيادها ورسومها
واوقافها بل يكون تحت نظر الاسقف ولا يخرج
عن يده الا من كان قد اشترط عليه ذلك قبل
تكريزه ان يكون دخل الكنيسة عوضا عن دياريه
الكرسى ولا يخرج عن ايديهم شئ من اديرة

أغا كتخدا الجاوشية وجميع الاوجاق بالسب، والقاضى كذلك يقول: أنا ماجيت مصر الا لاجدد لأهل مصر دينهم فأنهم كفروا نعوذ بالله من قوله. وفى يوم الخميس عشرين محرم[1]، بعد انقضاء الديوان ارسل اخذ الدفتدار وكتخدا الجاوشية، وأعرض عليهم ظهور محمد بيك جركس. فقال اسماعيل بيك الشبرخيتى، دفتر دار مصر: أمركم مطاع ولكن اذا جاء أمير الحاج يكن أحسن لأنه كبير البلد فقال. القاضى لاسماعيل بيك: الدفتدار يا كلب يا ملعون أنت واياه ملاعين، وهذه الشيبة العن منكما يعنى اسماعيل آغا كتخدا الجاوشية وكان القاضى محمد أفندى كتخدار زاده وانتفض قايما الى أوضة كتخدا الباشا، فبمجرد قيام القاضى هجمت جماعة الباشا على اسماعيل بيك واسماعيل أغا كتخدا الجاوشية مسكوهما وأخرجوهما الى جهة الكشك، وذبحوهما وارموا جثتهما الى قراميدان، شهدا رحمهما الله تعالى. وأرسل فى الحال، أتى بمصطفى بيك الخطاط، والبسه قفطان الدفتدارية ومصطفى أغا أبو دفية البسه أغة الجملية. ثم أنه كان فى الديوان حين قتل الجماعة وهرب من باب المطبخة ولم يلتق جواده، ونزل راكبا حمارا ولكن الباشا ناظرا اليه. فأرسل أحضره وألبسه أغة الجراكسة ومحمد أغا بلفيه أغة الانكشارية، وعمر أغا تابع أبو شنب، كتخدا الجاوشية وعلى أغا الزعفرانى آغة المتفرقة، على ما هو عليه، ومحمد آغا الترجمان بن الجيعان على ما هو

(١) ٢١ نوفمبر ١٧٢٠م.

كراسيهم الا من كان قد التزم بذلك قبل تكريزه..
وان لا يقبل قول الرهبان بعضهم فى بعض الابعد الفحص الشديد والاخذ بقول الاكثرين المزكيين ولا يزعج الرهبان من اديرتهم من غير ضرورة ظاهره ولا يستناب فى الحكم بين الرهبان قوم من العلمانيين بل روسا الاديره ومن يقوم مقامهم من المومنين المعتبرين العارفين.. وان لا يمنع اسقف على الامور الصغار من القلايه ومتى وقع فيما

عليه، وغير المناصب جميعا وظن أن الدهر يدوم له ولم يعلم بأن الدهر مجنون بأهله ثم أنه أرسل الى باب العزب، وأرسل الى السبعة أوجاق، سبع فرمانات، على انكم ترسلوا باش جاويشاتكم ومن كل أوجاق اختياريين الى بيت أبو شنب، وتجيبوا محمد بيك جركس بالتكريم والتعظيم الى حضرتى، والحذر من المخالفة، فاجابوا بالسمع والطاعة.

ثم انهم توجهوا الى بيت أبو شنب، فوجدوا جركس جالسا فى مقعد سيده، فسلموا عليه، وهنوه بالسلامة، وركبوه وأخذوه وطلعوا به الى الديوان فوجدوا الباشا والقاضى جالسين يتحدثان، فأكرمه وأجلسه وألبسه قفطان السنجقية وحكم تاريخ جركس اذن الله بالفرج سنة ١١٣٤[(١)]، وتاريخ القاضى،جاء بلغا النها سنة ١١٣٣[(٢)]، وتاريخ الباشا يا بك أحكمت فيه البشاير سنة ١١٣٣، ونزل بعد العشاء من عند الباشا الى باب مستحفظان، شرب فيه الشربات، ثم أنهم انزلوه الى بيت سيدة أبو شنب.

وفى ثانى يوم الذى هو احد وعشرين محرم سنة ١١٣٣ [(٣)]، ظهر أحمد أفندى المسلمانى، وطلع الى الديوان، والبسه الباشا كرك سمور، ونزل الى بيته وقد كان متخفيا عند الشيخ على الطرابلسى وظهر أحمد أفندى الرزنمجى بن محمد أفندى التزكرجى وظهر أسماعيل الوالى وقيطاس تابع رضوان أغا ودالى بلطه وباكير كاشف ويحيى أفندى واسماعيل

---

(١) ١٧٢٢م. (٢) ١٧٢١م. (٣) ٢٢ نوفمبر ١٧٢٠م.

يوجب منعه يكاتبه البطرك دفعه واثنين ويحذره عن ذلك وبعد ذلك يحضر الى القلايه يحاقق عن نفسه قبل منعه ان وجب عليه المنع. الاغوسنس: رتبته رتبة ارشي بابا القسوس له ان يقول التحليل على القسيس المقدس ويرفع البخور بعده ويتقرب بعده وقبل ساير من دونه من القسوس غير المقدسين واذا حضر مع الاسقف يتناول هو البخور من يد الاسقف ولا يناول هو البخور لاحد من يده

أغا اغة التفكجية، وظهرت ناس كثير وكانو جميعا مخفيين وارتكن محمد بيك جركس الى وجاق الينجشرية وعزل عثمان كتخدا تابع شاهين جربجى الجلالى، وولوا رجب كتخدا قريب شعبان أفندى كاتب صغير. وجلس وحبس على باشا فى قصر يوسف لفتنة حصلت بين عثمان كتخدا وبين على باشا، ومن جهة ان عثمان كتخدا الجلالى اجتمع مع على باشا يعطى مايتى كيس الى ا لوجاقات. فعلم رجب باشا بذلك، فعزله وحبس على باشا فى القصر، وأرسل جمع الصناجق، وأكابر البلد وكتب عليهم حجة على أنهم لم يقبلوا أحدا من الذين هم برا البلد وأنهم لم يخالفوا السلطان ويعملوا بأمره. فكان كذلك، كتبوا على أنفسهم حجة وأسلموها الى رجب باشا.

وفى ثالث عشرين محرم [1] أبرز الباشا خطا شريفا قرى بالديوان باخذ رأس أسماعيل بيك أمير الحاج واسماعيل أغا كتخدا الجاوشية تابع ايواظ بيك. وخط ثانى بامارة الحاج الى محمد بيك بن اسماعيل بيك الكبير، دفتدار (مصر) (*) سابقا. والبس قاسم الصغير قفطان السنجقية والبحيرة معا. وبعد الباس الصنجق وقراءة الخطوط، أمر الباشا القاضى أن ينزل يختم على بيت اسماعيل بيك أمير الحاج واسماعيل بيك الدفتدار واسماعيل أغا كتخد الجاوشية. فنزل وختم عليه، ثم انه البس أحمد أفندى المسلمانى، قفطان السنجقية يوم الاثنين رابع عشرين محرم..

(1) ٢٤ نوفمبر ١٧٢٠م.

(*) الاضافة للتوضيح.

من القسوس وليس له شى غير ذلك ومن اراد من المومنين ان يمضى الى عيد كنيسه من اى كرسى كان فلا يمنعه اسقفه بهذا السبب. وهو مسطور طويل الشرح وهذه زبد معانيه اختصرناها خشية من التطويل وتاريخه فى سادس توت من سنة خمس وخمسين وتسع مايه(*) وعمل مختصر القوانين فى الامور الضرورية الواقعة فى الزواج وشروطه والميراث واقسامه. وهو بايدى المومنين

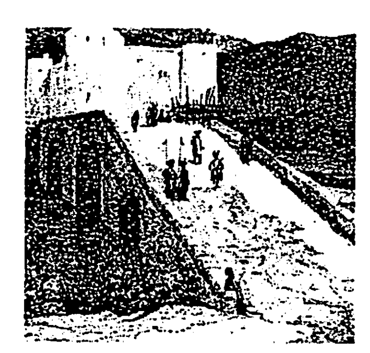
(*) ٦ توت ٩٥٥ ق. = ٣ سبتمبر ١٢٣٩م.

وفى خامس عشرينه أرسل الباشا الى السبع أوجاق ماية وعشرين كيسا، بأن يكتبوا الف عسكرى الى ملاقاة الحاج. ومجيبه رأس اسماعيل بيك أمير الحاج ، وأن يعطوا لكل واحدا[1] ثلاثة آلاف نصف فضة ديواني، وعين محمد بيك أبن اسماعيل بيك صنجق التجريدة وارسل صحبته محمد بيك أباظة وزين الفقارى تابع قانصوه بيك وسافر صحبتهم سالم بن حبيب وعمر العادلى وعلى الشواربى ونحو الألفين من المصرية والجميع طلعوا يقولوا هذا يوم مبارك هذا حلم والا علم. وفحشوا فى الكلام الزايد والناقص، والفلاح ليس له عقل يميز به وساروا يوم السابع والعشرين من محرم وارسل الباشا الى حمزة بيك أن يسافر الى المنصورة والى محمد بيك اخو اسماعيل بيك ا ن يسافر الى جرحة، فسافروا فى ثامن عشرين محرم.

وفى غرة صفر[2] ورد قيطاس بيك الى مصر من كشفه فأرسل له الباشا بأن يلحق التجريدة، فشال من ساعته الى برك الحاج، وأخذوا جمال السقايين ظلما وعدوان. وفى ثانى يوم أرسل الباشا الى السبع وجاق انكم تلحقوا التجريدة وأرسل كيخيته صحبتهم فبقى عرضى من باب النصر الى العقبة كسوق يمشى الرجل وحده الى العقبة ظهر وجهه، وهذه الهمة ما اتفقت ولا لقايتباى لما صار يرسل الى مكة كل يوم ألفا على الخيل البلق لتصديق الشريف عجلان لأخت قايتباى قولى لأخيكى يغزونى على الخيل البلق. فصار يرسل الى مكة

(١) بالأصل «أحد».
(٢) ٢ ديسمبر ١٧٢٠م.

نسخ عدة وكتب [اعتمده] عليه البطرك والاساقفة ثم خرج الاساقفة الى كراسيهم وقد طابت نفوسهم بذلك. ثم ان السلطان [الملك العادل الثاني] سير امير من اخص اصحابه واجلايهم الى دمشق الى الملك الجواد بن عمه يدعوه الى الحضور الى مصر وياخذ له اى اقطاع شاء وخيره فى ذلك وينزل عن دمشق. وكان ذلك تغبطا ومتوهما انه اذا وصل الى مصر صار الخيار عليه لا له، فكتب



* قنطرة على نهر بردى تؤدى إلى دمشق

كل يوم الفا على الف جواد ابلق ، اول الخيل دخلت مكة وآخر الخيل خارجة من باب النصر ما كانت مسكت من البركة الى العقبة وحكايته مشهورة. وفى خامس صفر جاء الخبر بأن اسماعيل بيك هرب ليلة الاربع رابع صفر سنة ١١٣٣ (١). من نخل أبى زيد وصحبته عبدالله بيك واسماعيل بيك اتباع جركس (٢) . وثمانية عشر مملوكا ودخل محمد بيك بالمحمل الى مصر تاسع صفر ولم ينزل الباشا الى قسماس على العادة القديمة وانما سار محمد بيك أمير الحاج بالمحمل الشريف وكتخدا الوزير صحبته ومحمد بيك جركس وأحمد بيك الأعسر وجميع الصناجق الى أن أنزلوا المحمل فى الجنبلاطية. وفى ثانى يوم اوكب محمد بيك بالمحمل الى قرا ميدان وسلمه الى الباشا والبسهم القفاطين وصار كل احد الى منزله. وفى ثانى يوم حصل الصلح بين الباشا والصناجق والبس عبد الرحمن آغا قفطان الأمان ورد له كشوفية الشرقية على ما كان عليه وعزل أباظا من الكشوفية والبس ابراهيم آغا الفارسكورى الصنجقية، وامر الوالى ان ينادى فى البلد بالأمان وقبل هذا التاريخ توفى الشيخ احمد الدقدوسى سادس عشر محرم والسيد على الحنفى كذلك توفى خامس (*) صفر. وفى سابع

(١) ٥ ديسمبر ١٧٢٠م.

(٢) بالأصل «جركه».

(*) ١٧ نوفمبر، ٦ ديسمبر ١٧٢٠م كتب عنوان جانبى «أعرف وفاة الشيخين احمد الدقدوسى، والسيد على الحنفى رحمهم الله».

(٣) ٨ ديسمبر ١٧٢٠م.

الى الملك الصالح صاحب الشرق، امد وحصن كيفا وسنجار وغير ذلك مما هو قاطع الفرات، يعلمه انه طايع له وانه يعطيه دمشق اذا اعطاه من بلاد الشرق ما تقدم به. فحلف له على سنجار وبلاد اخرى معها فلما توثق به سير اليه بان يحضر ويقال انهما اجتمعا فى البرية وتحالفا. وعبر الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل الى دمشق وتسلمها وخرج الملك الجواد مظفر الدين الى

صفر (٣). طلع باش اوضا باشية العزب الى باب مستحفظان بسبب وقعة (١) ابراهيم افندى وحسن القاشقجي وعلى الرزاز وطلب عرضهم فأعطاهم عرضهم فى ثانى يوم . وفى تاسع عشر صفر (٢). ورد ركاب محمد بيك بن ابراهيم بيك ابو شنب من ولاية جرجة واجتمع مع جركس وتشاكوا الم الفراق. وفى ثالث عشرين صفر (*). توجه الشريف يحيى الى الديار الرومية لانه كان صحبة الحاج وكان قد عقب عليه الباشا كون انه كتب عليه الحجة أنه سلم المحمل اسماعيل بيك الى يوسف الجزار ولم يحوش اسماعيل بيك فلم يرد جوابا. وفى خامس عشرين صفر (٣) نفوا ابراهيم افندى الى رشيد وابراهيم عجمى الى أبى قير وانفدوا حكم الله فيه ونفوا البنهاوى الى سكندرية والزموا محمد أغا ابطال بيته والبسوا خليل أغا قفطانا على أغوية المتفرقة وعزلوا على أغا الزعفرانى.

وفى غرة ربيع اول (٤). عزلوا مصطفى بيك تابع القزلار (٥) وولوا محله أحمد بيك الاعسر دفتدارا وعزلوا عبد الله أفندى الرزنمجي وولى أحمد أفندى الرزنمجي. وأما اسماعيل بيك أمير الحاج فانه بعد ما سلم المحمل الى يوسف بيك الجزار وأخذ عليه حجة جاء الى مصر

(١) بالأصل «بسبب محمد وقعة وابراهيم» والتصويب من التحفة، ص ٣٦٨.
(٢) ٢٠ ديسمبر ١٧٢٠.
(*) نوفمبر ١٧٢٠م.
(٣) ٢٦ نوفمبر ١٧٢٠م.
(٤) ٣١ ديسمبر ١٧٢٠م.
(٥) بالأصل «القرداء» والتصويب من الجبرتى، جـ١، ص٢٤٢.

سنجار وتسلمها واستقر الملك الصالح بدمشق
وكان معه عسكر يقال لهم الخوارزميه وكان الناس
خايفين منهم لانهم مفسدون في الارض من جنس
التطر [التتر] الا انهم لم يصلوا معه الى دمشق بل
كانوا مقيمين في البرية صوب بلاد حلب وما
والاها. وكان قبل دخول الملك الصالح الى دمشق
قد قفز على رسول السلطان الملك العادل الذى
تقدم ذكره وهو عماد الدين بن شيخ الشيوخ وقتل

صحبة الحاج فى حريم يحيى الشريف، فلما سافر يحيى الى الروم انتقل الى بيت شمس الطباخ تابعة.

وأما عبد الله بيك واسماعيل بتاع جرجة فانهما دخلا الى مصر قبل الاذان من باب حارة السقايين وجمال السقايين طالعين الى البحر فى سادس ربيع أولى فلما علم الجماعة بدخولهم أعلموا الباشا فنادى عليهم بالوالى. وفيها توفى الشيخ الشرفى والشيخ البرماوى [١]. وفى رابع عشر ربيع أول عزلوا كيخية أبطال من أغاوية الجراكسة والبسوا محله على آغا الزعفرانى ونفوا على أغا [٢] الاصفر الى بلاده وابراهيم جلبى ابن يزبك الى بلاده أيضا وعلى كتخدا الخربطلى الى بلاده وعثمان أغا أغاة مستحفظان الى رشيد. وفى ثانى عشرين ربيع اول كبسوا بيت يحى الشريف بعد سفره الى الديار الرومية يدوروا على اسماعيل بيك فلم يجدوا احدا لانهم اوشوا لهم أنه عند ابنه فكبسوا البيت فلم يجدوا أحدا. ونفوا ابن يحى الى بلاده وعينوا على بيوت الخمسة المذكورين خمسة جربجية أوضباشية بنفرهم.

وفى يوم الخميس ثامن عشرين ربيع اول ورد سلحدار الوزير بأربع قطع خط شريف قروا بالديوان أحدها(*) بضبط أموال الهاربين والحث عليهم أينما كانوا وجدوا، والثانى بتقرير

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة الشيخ الشرفى والشيخ البرماوى».
(٢) بالأصل «عطاء».
(*) كتب بأعلا هامش الصفحة «عونك يالله».

بدار السلطان بدمشق وكان بدعة ما سمع بمثلها
واول رسول قتل الا انهم ذكروا انه ما قتل الا غيلة
عمل عليه صاحب حمص فقتله. وبعد ذلك
تسلط الخوارزميه على بلاد الشام اخربوها ونزلوا
على حمص وحاصروها واعطاهم صاحبها مالا
جزيلا حتى رحلوا عنها. وسير الملك الصالح الى
الساحل اقطعه. وكان الغلا فى الشام بلغ القمح
فى دمشق مايتى وثلثين درهما الغراره وانجلى

امارة الحاج محمد بيك بن اسماعيل بيك الدفتدار والثالث بتقرير الدفتدار الى احمد بيك الأعسر والرابع بتلبيس قفاطين الى الصناجق جميعا، والاغاوات [١]. جميعا ، اختيارية السبع اوجاق جميعا، فكانت جملة القفاطين التى فرقت ماية وتسعة وعشرين خلعة، ولم يتفق هذا الامر قبل الآن لأحد من الباشات مطلقا. وعزلوا ابراهيم كتخدا الفلاح من كخاوية العزب والبسوا يوسف جربجى جدك كخاوية.

وفى يوم الخميس غرة ربيع آخر [٢]. أرسل رجب باشا بطلب جارية كان قد اخذها الخواجا الشرايبى لعبد الله بألفين ريال حجر فكساها وأرسلها صحبة الطواشى الى الباشا. فلما رآها أنعم على الطواشى بماية زنجرلى وأدخلها الى السراية. وفى عاشره ورد ركاب كور محمد آغا الذى كان فر صحبة محمد بيك الصغير. وفى ثانى عشرة ورد امير اخور السلطان وكاتب الميرى بخط شريف بضبط مال ابن اسماعيل بيك وجميع تعلقاته وجميع تعلق اتباعه جميعا. وفى ثالث عشرة أرسل الباشا احضر شيخ الاسلام، قاضى مصر وشيخ الاسلام الشيخ محمد شنن وأبرز لهم خطا شريفا رد جواب العرض الذى كان أرسله على باشا من جهة عمارة الجامع الأزهر، بانعام خمسين كيسة ديوانى لعمارة الجامع الازهر فقرى بين ايديهم، ثم بعد قراءة الخط امر القاضى والاغوات المعينة بهذا السبب وولد الباشا ويوسف بيك الجزار ناظر

---

(١) بالأصل « وأغاوات».

(٢) ٣٠ يناير ١٧٢١م.

[نزح] اكثر اهل البلاد الى مصر مع انها كانت مبهضه [باهظة] الا انها بالنسبة ارفق. ورسم [الملك العادل]بخروج العساكر الى بلبيس ونزولهم عليها الى ان يومروا بما يعتمدون عليه. وخرج منهم جماعة عين عليهم ونزلوا بها [بلبيس]. ثم ان قوماً من المسلمين كانوا مقيمين بالمسجد الذى الى جانب الكنيسة المعلقة جاوا الى حايط بينهم وبين الكنيسة تفضى الى مجلس كان

الجامع الأزهر وكتخدا الجاوشية واغاة المتفرقة والترجمان والكشاف صحبة الشيخ محمد شنن الى الجامع وكشفوا عليه ومد لهم الشيخ محمد شنن سماطا فى الابتغاوية فأكلوا ثم أنهم طلعوا الى الباشا واعلموه بما رأوا ثم ان الباشا امر الشيخ محمد شنن بالتقييد فى هذه وعمارته. فبدى ثانى يوم فى الهد. ثم أن الباشا أبرز خطا بموت على باشا فأرسل انفذ امر الله فيه فى قصر يوسف فى يوم الخميس رابع عشر ربيع الثانى سنة ١١٣٣ (١) ودفنوه بجوار الطحاوى رحمه الله تعالى رحمة واسعة وامطر عليه من سحايب رحمته السابغة. ثم أن رجب باشا اودع ابنه ومهر داره وكخيته وكاتب ديوانه الى العرقانة وعاقبوا ولده والخازندار فاقر الخازندار، أن الباشا أودع عند الميلوانية مابة وخمسين كيسا كلها ذهبا فأرسل الباشا أتى بها من عنده بختم الباشا.

ثم ان الباشا ارسل الى احمد افندى الرزنمجى بن أحمد التذكرجى كون انه خصم على باشا وقال له اكشف على الذى (تادآه) على باشا فى مدته الذى تولاها وهات علم خبرها. فنزل وكشف (انه) (٢) قد تبدد أربعة آلاف واثنين وثلاثين كيسا فى ثلاث سنوات فطلب الباشا خصومها ورجاعتها من أبنه فاعطاها له فأرسلها الباشا الى الديار الرومية، وأرسل يقول للسلطان أن المال أرسله على باشا الى اخيه وهو عندكم أبرز خطا شريفا بتمشية العثامنة

(١) ١٢ فبراير ١٧٢١م. (٢) الاضافة لتوضيح المعنى.

البطرك عمله برسم جلوسه تحت قلايته الفوقانية فهدموا منها طاقات وصورة ابواب وادعوا انه من حقوق المسجد وصار فى الكنايس بلبله لان ذلك كان فى نصف الصوم المقدس وفى الكنيسة المعلقة بالاكثر وتعطلت من القداس والصلاة اياماً كثيرة فى الصيام. وكان المسلمون يطلعون على سلالم الى سطح قلاية البطرك العالية ويوذنون ويكبرون ويذكرون ما يذكرونه على ما عهد منهم.

والزلطة، فهاجت العسكر وقالوا هذا أمر لا يصح ولا يمشى وتعدم الرعية ونموت احنا وانت تطلبها بالقهر عليه ونادوا فى القاهرة ان لا احدا يذكرها بلسانه مطلقا. وقال الباشا : الذى لم ترض به الرعية لم نرضاه لهم.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع آخر [1]. نفوا محمد آغا الكور. وفى يوم السبت اجتمعت الصناجق ببيت أمير الحاج اسماعيل بيك بن اسماعيل بيك على أنهما ينزلوا القاضى والباشا ويعزلوهما لأنهما فشوا فى الظلم والاذية وكيف اخدهما فى جميع مال اسماعيل بيك وتفاريقه، وخيله وارسالهم الى سكندرية صحبة محمد آغا الطوقاتلى. وهذا أمر لا يعمل ولا فى بلاد الكفار.

فلما سمعت الوجاق هذا الكلام قالوا كيف ننزل الباشا ونظهر اسماعيل بيك وقد جاء فى حقه خط شريف فموجب عرضكم الذى اعرضتموه [2] الى السلطنة بانه خاين قاتل النفس مؤذى الجار والمار مستحق الازالة ثم انكم كيف ما تفعلون فيما بعد. فقالوا نرسل نعرض. فقامت العسكر على امر غير تام من بيت محمد بيك أمير الحاج، ثم انهم قالوا لبعضهم البعض هذا الامر ، وهذا الدولاب دولاب احمد بيك الاعسر وله ثمانية أيام ماطلع الديوان. ثم ان الانكشارية والعزب اجتمعوا مع بعضهم البعض وارسلوا باش جاويشاتهم الى الباشا وأخبروه

(١) ٢١ فبراير ١٧٢١م.

(٢) بالأصل «أعرضموه».

وجرت فى ذلك خطوب. وسير امير جندار احضر قوما منهم وضربهم اشد ضرب وحبس والى مصر منهم جماعة دفعتين ولا يجدى ذلك فيهم وحضر المهندسون وكتبوا مشاريح بان هذا الحايط للكنيسة [المعلقة] وما للمسجد فيه شى ولا فى المجلس الذى يليه. ودخل فى ذلك صاحب ديوان الاحباس وتحدثوا فى ان يضعوا نصف نخل من دون الحايط وتسد الحايط على نصف النخل بين الموضعين. ولم

بما فى مراد العسكر وان الانكشارية والعزب والبلوكات الخمسة معك وانما هذا امر من الصناجق، وامر الصناجق من غير الاوجاق لا يتم. فأعطى كل واحد أربعين عثمانى، وكيس فلوس.

ثم انه أرسل الى امير الحاج، والدفتدار، وابن ابراهيم بيك، وابن ابراهيم بيك الفارسكورى خامس[1] عشرين ربيع آخر وقال لهم: مابال الصناجق مبطلين ديوان السلطان فقال محمد بيك ابن أبو شنب لا علم لنا، ولكن هم الآن كلهم فى بيت محمد بيك امير الحاج هذا. ومسك بديل أمير الحاج، فأرسل لهم ابراهيم بيك الفارسكورى، ينظر ما سبب انقطاعهم عن ديوان السلطان.

فأرسل الباشا ابراهيم بيك فنزل لهم واخبرهم بما قال الباشا وانكم ان لم تطلعوا الديوان، إلا شال صنجقيتكم. فقالوا له: قل له يعطينا مهلة الى غد، نجتمع وننظر ما فيه الصلاح نرد عليه به. فرد عليه ابراهيم بيك فأمهلهم الى ثانى يوم.

ونزل امير الحاج وابن أبى شنب والمرسل الى بيت امير الحاج. فعملوا الجمعية فى بيت أمير الحاج، وجاء الشيخ محمد شنن، والشيخ احمد البكرى [2]، وسيدى عبد الخالق السادات، ونقيب الاشراف، والقاضى صلاح الدين، وضمنوا المشايخ الباشا لمحمد بيك جركس، ولأحمد بيك الاعسر، ان كل قايم مقام من طرف الباشا يكونوا هم القاعدون به. وأخذوهم وطلعوا

(١) بالأصل «خالمع» / ٢٣ فبراير ١٧٢١م.

(٢) قدم واخر.

يجب اصحابنا الى شئ من ذلك ثم تحدثوا فى ان يسدوا الحايط المهدوم على حده على ما كان عليه وتهد الطبقة العالية وامتنع اهل الكنيسة من ذلك. وبقى الامر على ذلك مدة وجا العيد والامر على حاله ودخل شهر رمضان سنة ست وثلثين وستمايه [١٢٣٨م] وما عدم اصحابنا فى هذه المدة غرامة جملة كبيرة. وفى هذه الايام اخرج صاحب امد من الاعتقال لانه كان فى برج بالقلعه وله مدة

بهم الى الوزير. فلما دخلوا على الوزير، قام لهم واجلهم واكرمهم، وأصلح المشايخ بينهم وبين الباشا، فقال احمد بيك الاعسر يا مولانا الوزير سمعنا كلام، ومن يسمع يخل، فخفنا وكبر الخوف عندنا، وعفوكم اقرب. فعفى عنهم والبس كل واحد كرك سمور، وحلف لهم أنه لم يقع منه أذية فى حقهم، ونزلوا فى أمان الله تعالى فلم يبلغوا مرادهم من نزول الباشا.

وأما السبب الثانى (لغياب) [1] جركس والأعسر، فانه أتاهم خبر من داخل السراية ان الباشا مراده يقتلك ويقتل الاعسر، ويملك مصر ويمشى فيها العثمانة، ويفعل كلما أراد. وكان الباشا يتحدث مع القاضى صلاح الدين زاده، فكان الاعسر له انعام على وجه جوخدار، فسمع فاخبر فلما سمع الباشا قول الاعسر سمعنا كلاما، ففطن الباشا، لكن سكت، وفتش الى أن عرف الجوخدار فقتله.

ثم ان الباشا ارسل الى وجاق مستحفظان ستة آلاف زنجرلى وللعزب ثلاثة آلاف ولكل وجاق من الخمسة الف وخمسماية، فاجتمع جركس والاعسر على الصناجق وقالوا كيف الحال، الاوجاقات اخذت الفلوس وباعونا بالذهب، ولكن نظهر اسماعيل بيك وهو يدبرنا. ثم انهم اجتمعوا على اسماعيل بيك فى بيت الجزار فقال: ما عليكم منه. ثم انه أرسل جمع مايتى كيس وهو مخبآ فى بيت الجزار.

(١) بالأصل «لفيب».

طويله وخلع عليه واعيد اليه كل قماش كان اخذ منه لانه كان محفوظاً مودعاً مضبوطا وجهز باهله وجماعته ليتوجه فى البحر الى انطاكيه الى خدمة قريبه ملك الروم [السلاجقة] صاحب قونيه واقصرا [قيصريه] وكانت هذه القضية من المكارم العظام التى ابتدعها هذا السلطان، ثم ان الغلة انحط سعرها قليلا وكان القمح من ثلثين الى اربعة وعشرين درهما الاردب والشعير من ثمانية

وأما جركس فانه لم حصل بينه وبين الباشا، تكلمت أهل مصر فى حقه كون أنه اصطلح مع الباشا ثم نقض عهد الباشا ومال الى طرف جماعة اسماعيل بيك. وكان جركس حقيقا ينقض العهد، لأنه أخبر يقتل الجوخدار، فعلم ان الذى كان سمعه حقا فنقض العهد ومال الى الجزار وقال له: اصلح بينى وبين اسماعيل بيك ونظهره ونكون احنا واياه على نزول الباشا، وان كانت الوجاقات لم تطاوعنا. ثم انهم اجتمعوا على اسماعيل بيك كما ذكرنا فاخذ اهل البلد تتكلم فى حقه وتنسب له العجز، كونه انضم الى طرف اسماعيل بيك وما معهم خبر من الذى ظهر لجركس والاعسر فى اخدهما. وتفرس الباشا فى مصر وراح الخبر بما فعلوا، وجمع اسماعيل بيك فى المايتى كيس. فاحدث أغا بخط شريف، ان السلطان جاءه ولد، وراسل يعمل شنك فى القلعة ثلاثة ايام بالمدافع. (وفى يوم)[1] ورد الاغا يوم الخميس ثامن عشر جماد أول[2]، وتوفى الشيخ محمد شنن، وحكم تاريخه، محمد ختام سنة ١١٣٣. ثم ان الباشا عمل الشنك [الوليمة] ان احدا يطلع الديوان، فما طلع أحد الا ابراهيم بيك الفارسكورى، وابراهيم بيك الوالى، ومرجان جوز، وتم الشنك على هؤلاء الثلاثة، ولم يفده من مكره شئ. وتمتعت الفقراء والمساكين بالكباب والشربات.

---

(١) بالاصل «فى فقط» والاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) ٢٧ مارس ١٧٢١م. / كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة الشيخ محمد شنن شيخ الجامع الأزهر».

وعشرين درهما الاردب الى دونها والفول بعشرين
درهما الاردب وتباشر الناس بالرخص لان الغلال
نجبت فى هذه السنة نجاباً ما سمع بمثله وكانت
مطرت مطراً كثيراً لم يجر به العاده فى مصر
وواتتها برودة عظيمة الى اخر وقت ولم يكن فى
المدينتين [القاهرة والفسطاط] شئ غالياً خارجا عن
القياس سوى التبن فانه كان بستة دراهم نقره
الشبكه وحمولته، والحطب فانه بلغ عشره ورقا

وفي يوم الخميس ورد ابراهيم الذى كان منفيا فى رشيد. ثم ان اسماعيل بيك بعد ما جمع المايتى كيس ارسل فرقها على السبعة أوجاق بمعرفته، فالستة اوجاق قبلت الا وجاق مستحفظان، لم يقبل. فلما (اخبر) [1] جركس بان باب مستحفظان لم يقبل ارسل الى على كتخدا الداودلى باش اختيارية يقول له: والله ان لم تقبل والاقتلتك أنا، وأنت قاعد فى مقعدك. فأرسل يقول له على كتخدا، ان كان ولابد فلا يصح حتى اجتمع انا وأنت واياه، ونتعاهد واياه عهدا شافيا فقال: نعم. ثم انه ركب هو واياه ليلة الاربع بعد العشاء وتوجها الى بيت يوسف بيك الجزار وطلعا الحريم، واجتمعا مع اسماعيل بيك، والجزار، وتعاهدوا واياه، ورابعهم جركس وحلف الأربعة انهم على قلب رجل واحد، وان باب الينجشرية بابه، وان على كتخدا الداوديلى يملك عوضا عن الجدك. وقريت الفواتح، وشربت الشربات، وتوجهوا من عنده.

ثم ان اسماعيل بيك، ارسل الى محمد بيك امير الحاج، واحمد بيك الاعسر دفتردار مصر، بأن يخبروا العلماء، والبكرية، والسادات، ونقيب الاشراف وجميع العسكر، والاوجاق السبعة، أن يأتوا جميعا الى بيت محمد بيك أمير الحاج للجمعية يوم الاحد سابع عشر جماد اول: فأجاب الجميع. ثم أنهم توجهوا الى بيت أمير الحاج وكنا صحبة الشيخ ابراهيم الفيومى. وكان اذ ذاك شيخ الجامع الأزهر بعد الشيخ محمد شنن، ولم يكن عند أحد خبر لا من

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.

الجمله والزيت الحار فانه كان بخمسة عشرة درهما العشرة ارطال. ثم رسم بخروج بعض العساكر الى بلبيس واقامتهم بها فخرج جماعة من الامرا يكونون زهاء من ثلاثة الف فارس فكان منهم امير كبير يعرف بنور الدين بن فخر الدين عثمان فاتفق ان وقع بينه وبين والى بلبيس واقع فصار يكتب فيه الى السلطان ويذكر انه يكاتب الملك الصالح وتجيه رسل الملك الصالح وكتبه، فصار ثم

العلماء ولا من العسكر سوى متكلمين الاوجاقات، وهم يتحدثون مع بعضهم البعض. ويقولون: العلماء. وارباب السجاجيد، ما السبب فى هذه الجمعية، واذا اسماعيل بيك امير الحاج ايواظ، وعبد الله بيك، واسماعيل بتاع جرجة ، ويوسف بيك الجزار، الذى كان عامل مشوش، ونزل له كتخدا رجب باشا يسلم عليه ودخل له الحريم وادعى ان محاشمه نزلت فيها نزلة الى ان بقت مثل الجرة، وكان قد رقد فى الفراش، ومد رجليه ووضع بين فخذيه (١) جرة صغيرة، وغطاها بحرام احمر.

فلما دخل كتخدا الباشا ورآه فى تلك الحالة، أخبره بسلام الوزير له، وقال له: ان الوزير قد اخبر بمرضك، وانه قد ارسل لك جراح باشا بتاعه. فقال له الجزار شكر الله احسانه، ولكن المزين قد فصدنى اليوم ووضع لى الفتيلة ولا أقدر على كشفها الا بعد ثلاثة ايام اولها اليوم، وان شاء الله فى بعد غد يأتى لنا، ثم ان الكتخدا توجه واخذ المزين صحبته فلما سلم المزين على الجزار فى حالة الذهاب أعطاه فى يده خمسة جنزرلى (٢) فلما دخل الجزار صحبة الثلاثة والعسكر قايدين الفتيل وراءهم، والجميع مسلحين، واذا بالذين فى الجمعية قالوا: ايش الخبر؟ ما بال الناس هايجة؟ قالوا: ا سماعيل بيك بن ايواظ بيك ظهر، فقام جميع من كان فى الجمعية، وسلموا عليه وقبلوا يديه وهنوه بالسلامة.

(١) بالاصل كتبت قبل فخذيه كلمة «رجلية» وفوقها شطب.

(٢) بالأصل «جزير».


* احد شوارع مدينة رشيد

توهم منه فخرج الامر بان يتوجه الى رشيد يتركز بها بمفرده. وكان هذاا لثغر مما يجرى فى حيز الامير المذكور فتوهم ان ارساله الى هناك لشرير ادبه وان يمسك ويحبس، فتوقف عن الرواح وكاتب اكابر الدولة فاعفى من ذلك وبقى فى القلوب ما فيها. وكان قد اتفق معه على رايه جماعة من الامرآ وهم عز الدين ايبك الكردى، وعز الدين ايبك الحمد لله المعروف بقضيب البان

ثم ان اسماعيل بيك قعد، وشربوا القهوة، ثم تكلموا فى شأن الباشا والقاضى محمد أفندى كتخدار زاده وما صنعوا فى اسماعيل بيك واخذ امواله وارساله[1] الى اسكندرية فما تقولوا يا علماء يا بكرية، يا سادات، يا أشراف، يا عسكر الاسلام فقال[2] الجميع: هذا امر ما أحد فعله فى بلدنا قبل الآن. فقال جركس: الباشا معزول، ويوسف بيك الجزار قايم مقام. فقال الجميع: نعم كذلك. ثم أنهم قروا الفاتحة جميعا وأحضر محمد بيك قفطانا وأفرغه على يوسف بيك الجزار وركبوا جميعا الى الرميلة والعلماء. وأرباب السجاجيد والأشراف واسماعيل بيك وعبد الله واسماعيل جرجه فى وسطيهم والسناجق والعسكر خلفهم، واليدكات موقودة ودخنة اليدكات معبقة.

ثم أنهم أدخلوا العلماء، والنقيب، والبكرى، والسادات فى [جامع] المحمودية. كذلك اسماعيل بيك، والصناجق جميعا، والعسكر الى السلطان حسن، وسبيل المؤمنين، والشيخونتين وانجرت العالم من عسكر ورعاية، يتفرجون على اسماعيل بيك امير الحاج.

ثم أن الصناجق ارسلوا الترجمان، واغة المتفرقة، وكتخدا الجاوشية الى الباشا، وأن ينزل الى تحت، فتردد فى النزول، فكرروا القول عليه فأبى النزول. فقطعوا عليه بيردى وأرسلوه الى

(١) بالأصل «واساله».
(٢) بالاصل «فقالوا» والتصويب من سياق الكلام، وما ذكر بعده فى النص.

وسيف الدين الدنيسرى. وسطر الخوارزمى واخوه وعلاء الدين بن الشهاب احمد ونور الدين على بن الاكتع وعز الدين تلبان المجاهدى [والى البهنسا] والركن عمر الفائزى وايدكين العزيزى وعلم الدين شحر اليمنى. وكانوا جميعا نزالا فى منزلة واحدة ورايهم واحد وكلمتهم واحدة وشاع امرهم وذاع، فسير اليهم السلطان الامير فخر الدين بن

عبدالله بيك الجيوشى بأن يضرب على القلعة المدافع. فضرب عليه ثمانية مدافع. فلما سمعت العسكر التى فى الرميلة المدافع، اسرعوا الى قراميدان، وارموا نحو المايتى بندقية. فقال الباشا أمان أنزل. ونصب على بدن القلعة بيرقا ابيضا فبطلوا الرمى وقالوا له: أنزل فنزل قرب المغرب هو والقاضى من باب قراميدان. فى الضلمة والرعاية تصفق[1] عليه، وتناوله بالالفاظ القبيحة وأن رجلا من الرعية، أتى قدام القاضى وقال له: يا شيخ الاسلام، أنت الذى جيت لمصر تجدد لأهلها دينها؟ واذا بالخبر وصل الى اسماعيل بيك بما فعلت الرعية فى الباشا. فأرسل محمد بيك جركس، فركب وأدرك الباشا ووقع فى الرعية ضربا بالنبوت هو وجماعته الى أن اوصله الى بيت شكر بره بعد المغرب، ولم يكن معه فرش يفرشه لأنه نزل هو وجماعته على جرايد الخيل، وإذا بخمس جمال محملة فرش وعشرة طبايل ملانة بالاطعمة من عند زوجة أبو شنب الجردية أم محمد بيك. وأرسلت أخذت حريمه وابنه عندها تلك الليلة. فمكث مدة قليلة فى شكر بره، ولكن ما قدر يعاين السكة هناك، لأن بيت اسماعيل بيك دفتردار مصر الشبرخيتى مقابل بيت شكر بره، وعند حريمه حزازة منه، كون انه قتل سيدهم. فصاروا يحضروا الغوازى ويعطوهم الفلوس، ويقولوا لهم: قولوا كلاما على الباشا. فبقوا يتكلموا على الباشا كلام قبيح لِا يليق بالوزراء[2]، ومن حجة قولهم له يا: باشا يا باشا يا وجه القملة من

(١) بالأصل «تسقف». (٢) بالاصل « بالوزر».

الشـيخ يطـيب قلوبهم ويطمنهم وكـتب اليـهم
كتـابا بخـطه يذكـر فيه انه ليـس عنـده خبر
مما توهـمـوه وانه يحـلف لهـم علـى مـا
يريـدونه، فطابت قلوبهم بذلك وكـتبـوا نسـخة
اليـمين وتسلـمها الامـيـر فخـر الدين بن الشيخ
وعاد الى القاهرة ليحلـف السلـطان علـيها بعد
ان حلف الامرا المذكورون له انهم فى طاعته ما لم
يغير عليـهم امراً وما لـم يـدلهم شيـاً منكراً.

قلة عقلك ياباشا تعمل ذا العمل(*). وصارت الاذية من حريمه بالليل والنهار فطلب السكن فى منزل آخر، فانزلوه من بيت يوسف أغا القطردار بسويقة عصفور، حتى انه انعتق منهن لانهن نساء لا عقل لهن، ومحرقين القلب على سيدهن الذى مات ظلما.

وفى غرة جماد آخر[1]، دخل اسماعيل بيك منزله الذى بقرب الجماميز، وكانت مدة اخفايه ماية وعشرة أيام. وظهر هذا الظهور وحكم تاريخ ظهوره الذى عمل له: ففى مصر اسماعيل ينصره الله سنة ١١٣٣[2]. وجاء حريمه من بيت أخته الذى بسويقة السباعين بالجنك قدامها الى دخول البيت وكان يوما يعد من الاعمار، واسماعيل بيك جالس بالمقعد، والصناجق، والعلماء، وأهل البلد حوله، فبذر على الجنك الفضة وارباع الريال والدنيا مطبقة عليه. ثم اجتمعوا مع بعضهم السناجق واحضروا العلماء وارباب الساجيد ونقيب الاشراف ومتكلميهم، وكتبوا عرضا، وختم عليه الجميع، وكتب عليه سيدى عبد الخالق السادات بيده الكريمة، وهو ما رآه المؤمنون حسنا، فهو عندالله حسنا، وعينوا صحبة العرض سبعة من السبعة او جاق.

أما الذى سافر سابقا بعرض الصابونجى، ومن الجاوشية: عثمان افندى، ومن الجملية: صالح

(*) ظل هذا الهتاف يردده المصريون حتى وقتنا بالشكل التالى: يا باشا ياوش الأمله [القملة] مين ألك تعمل دى العمله.

(1) ٣٠ مارس ١٧٢١م.
(2) ١٧٢١م.

وحلـف السـلطان على النسـخـة وجـات مع
الاميـر شـجـا ع الدين بن ابى ذكـرى..ثم ان احـد
الامرا المقـدم ذكرهم كان متاخراً بالقاهرة وهو
[عـز الدين] تلبـان المجـاهدى الذى كـان والى
البهـنسى، فخرج منها بغير دستور [إذن] اعنى
القـاهـرة وجـاء الى هذه الجـمـاعـة نزل عندهم
فوقع التخيل ايضا ولم يفد اليمين شياً فرجع فخر
الدين بن الشيخ خرج الى العسكر وخرج معه

جريجى القرنفلى، ومن التفكجية: مصطفى جرجى أكشاش، ومن الجراكسة: عثمان جربجى أبو شامة، ومن العزب: يوسف جربجى تابع حسن أغا، أستاذ بركة الحاج، ومن الانكشارية: محمد أفندى اشراق رجب كتخدا الكبير. ومن الاشراف [1]: احمد جلبى جاويش الاشراف، ومن العلماء: الشيخ العمدة الفهامة شيخ الاسلام الشيخ أحمد العماوى، اكابر معتبرة. والذى فى العرض أنها الى حضرة مولانا السلطان وصورة شفاعة واعتذار فيما تقدم من الانها، وانها كانت بالقهر علينا من الوزير رجب والعفو منكم أجل وأقرب.

ثم انه أمرهم بالسفر، فسافروا الى سكندرية فى عاشر جماد آخر سنة ١١٣٣[2] ثـم أن اسـمـاعيل بيك بعـد سفـر العرض عين من كل بلك واحدا لجيبه. من تفاريقه وخيله من سكندرية، التى كـان ارسلهـا رجب باشـا الى سكندرية فسافروا. فلمـا دخلوا الى سكندرية، وجدوا الغليون الذى فيه الخيل والمال، بتاع اسماعيل بيك سافر قبل دخولهم الى اسكندرية بيوم واحد. وسافر العرض والجماعة فى ذلك اليوم فى نفس الغليون.

وفى عشرين جماد آخر توفى شيخ الاسلام: الشيخ محمد البرماوى الكبير[3]، وعلـى كتخدا الداوديلى باش اختيار باب مستحفظان، وحكم تاريخه تهنا فى الجنان يا محمد.

وفى يوم تاسع رجب انحرقت البارودخانة التى بالازبكية وتعلق محمد الشناوى. وانحرق

---

(١) بالأصل «اشراف». (٢) ٨ أبريل ١٧٢١م.
(٣) كتب عنوان جانبى «أعرف وفاة الشيخ محمد البرماوى».

الامـيـر بهـاء الديـن ابن ملكـيـشـوا الذى كـان
والى القـاهرة مـرة وتولـى دمـشق ايضـاً مـرة
واجتـمعوا بالامـرا وفاوضـوهم فى هذا الامر، وان
خروج تلبان المجاهدى بغير دستور ما كان واجباً
وانكم رضيتم بهذا وهو قبح الايمان. وكان ذلك
اليـوم الاربعـا الحـادى والعـشـرين من شـهـر
رمـضـان سنة ست وثلثين وسـتـمـاية [الهـلاليـة]
الموافق للثانى من بـشنس واتـفق فى ذلك النهار

- -

فيهـا خلق كثير وصارت النار، والحارة فى الهوى، حتى رميت بعض حجارة فى بركة ابو الشوارب، وانهدمت الحارة التى اسمها قلعة الكلاب، ثم ان الشناوى بعد حرق الخانة، أحدث له معملا غيره فى كوم الشيخ سلامة فخافت الناس اهل الكوم ان يجرى لهم كما جرى اولا فطلعت أهل الحارة اعرضت أمرها الى باب مستحفظان فعينوا اغا مستحفظان ينزل يهد ذلك المحل فنزل الاغا هو وجماعته، وأخذ معه نحو أربعين فاعلا فلما دخل الحارة ووقف فيها فارشده الى المسجد الذى بها، فنزل فيه، وأرسل الجاويش وكان محمد جاويش قريب جدك فأمر الجاويش الفعلة بالهدم فوقعوا فى المعمل هدموه، واذا برجل منهم ضرب جزمته(١) فجاءت على الجرن الصوان فطارت النار من ذلك فنزلت شرارة الى المخزن وكن بقرب الجرن، فحرقت وجه محمد جاويش، لأنه كان يلم فى جرر البارود فمن كربة الناس انكسرت الجرر، فهاجت الحارة، وطلع الاغا رامح، ومحمد جاويش محروق وانحرقت جماعة الاغا لأنهم كانوا دايرين ينهبوا، ومات نحو المااية وثمانية.

واعجب من هذا أخبرنى الشيخ منصور العطار، شيخ الكوم، انهم يطفوا فى بيت من جملة البيوت التى بقو يطفوا فيها، بيت مات أهله جميعا، والرجال يطلعوا الموتى من تحت الردم، واذا بقفص فيه أربعة فراخ وكتكوت فى نصف قدح طلعوه من تحت الردم بعد أربعة أيام وهو

(١) بالأصل «قدمته».

ان جماعة من رجال الحلقه وهم الاتراك اتفقوا على ان يخرجوا ويلحقوا بالامرآ المقدم ذكرهم. وكانوا زهآء الفي فارس فاجتمعوا ولبسوا وخرجوا من القاهرة وكان للامرا طلايع [جواسيس] يعرفونهم الاخبار فجاهم فارس يركض واخبرهم بان الحلقة قد خرجت لاخذهم وان الفارس خطلبا مقدمهم. وكان الفارس خطلبا المذكور قد خرج الى الجماعة المذكورة ليردهم هو وامير اخر معه

بالحياة ولم يصبهم شئ، وأن أهل البيت جميعا ماتوا ولم يبق الا صاحب البيت رجل وكان خارجا، فسبحان الحى الذى لا يموت أبدا ولا يشغله شاغل.

وفى غرة شعبان [1]. ورد ركاب على جلبى بن الساعى من الشام، من جملة الذين كانوا صحبة أيوب بيك وكان مدة غيابه عشر سنوات، وفيه ورد خبر من جرجة أنها قفلت سبعة أيام. وفى ثامنه كبس [الشيخ] سالم بن حبيب على كفر دجوة، ما أبقى فيه احدا.

الانظف الأرض من الغلة، باخو محمد بيك جركس وان اسماعيل بيك من يوم سافر العرض ما قعد فى منزله ابدا. الا كل يوم فى الخلا يعمل حظا يوم فى العنيبه، ويوم فى الجنينة مدة غياب العرض. وورد أغا من الشام من جماعة عثمان أو غلى نصوح باشا، يطلب ذخيرة الى مكة من بحر السويس فسألوه عن خبر العرض، فلم يبين خبرا. وصارت الناس مشوقة الى مجئ رد الجواب وعندهم شاغل، ولم يدخل الى سكندرية مدة خمسة وسبعين يوما ولا مركب بمقدافين الى ان ورد غليون عيش محمد وصحبته قاضى مكة وقاضى المدينة وثلاث أغوات سمر منفيين إلى مصر، واخبروا ان حضرة مولانا السلطان، عفى عن اسماعيل بيك عفوا تاما.

وفى ثانى عشر ورد جو خدار الوزير بخط شريف، خطابا الى اربعة صناجق، محمد بيك أمير الحاج، ويوسف بيك قايم مقام، واحمد بيك الاعسر، ومحمد بيك جركس، انهم يكونوا

(١) ٢٨ مايو ١٧٢١م.

يعرف بالصارم المسعودى فاخذوهما وربطوهما معهم. وكان للامرا طلايع فجا فارس ركضا الى بلبيس الى الخيام اخبرهم ان الحلقة قد خرجت للقبض عليهم فقاموا ولبسوا وركبوا فسمع الركن الهجاوى والاكراد الفيه [الفرقة] الاخرى بذلك فركبوا ايضاً لابسين السلاح وعدة الحرب وتواقعوا فاندفع الامرا المقدم ذكرهم قدام الجماعة التى من حزب السلطان ولم يزالوا كذلك يقالبوهم

على بصيرة. وتوغلوا الى البلد وتصرفوا الى الفقراء والمساكين جراياتهم وجوامكهم وتصرفوا غلال الحرمين، فان مدة رجب باشا، صارت تعلق يوسف بيك قايم مقام ودفتدار خزينته وان كل شئ خصه يكن عهدتكم، وبواقى على باشا عهدتكم، الى أن يأتيكم رد جواب عرضكم صحبة محمد باشا النشنجي، فانه والى عليكم لأن سابقا ورد عرض رجب باشا، يطلب العزلان، فكنا معينين قبطان ابراهيم باشا. فلما جاء عرضكم عينا لكم محمد باشا صدر أعظم النشنجي، من قلعة قندية بجزيرة جريد، وان يعطى لمحمد بيك أمير الحاج، ثلاثين كيسا مساعدة للحاج فحسب أنها رجب باشا. وفى ثانى يوم ورد مسلم محمد باشا بقيامة مقام يوسف بيك الجزار على ما هو عليه، فالبس عبد الرحمن أغا، آغة الجاوشية بل الجملية عوضا عن مصطفى آغا أبو دفيه، والبسوه الدشيشة عوضا عن مصطفى بيك تابع القطردار، والبسوه الشرقيه عوضا عن أباظا.

وفى رابع عشرين شعبان ورد الساعى من ثغر اسكندرية بمكاتيب تتضمن دخول محمد باشا النشنجي الى ثغر سكندرية وصحبته الذين توجهوا بالعرضى. ثم ان الجماعة فارقوا الباشا من سكندرية ودخلوا الى مصر وتوجه الشيخ أحمد العماوى الى منزل اسماعيل بيك، والجميع صحبته، وحكم تاريخ مجيهم نشأت البرايا المالكى عاد بالنصر سنة ١١٣٣. ثم أنهم اخبروا بأنهم حين سافروا ودخلوا الى اسلام بول طلعوا على بغاظ حصار، وجاءتهم خيل المنزل اخذتهم، فمكثوا خمسة أيام الى أن دخلوا بيت رجب باشا، فمكثوا فيه ثلاثة أيام، لم يطلعوا ولو الى صلاة وقت من الأوقات الا عليهم الترسيم. ثم بعد الثلاثة أيام أخذوهم

[يناوشوهم] قلبه بقلبه الى وقت المغرب وقد وصلوا الى قريب العباسه وحال بينهم الليل، وعاد عسكر السلطان الى موضعه، وتم الامرا على نوبتهم ولم يضف معهم من اصحابهم الا القليل لان اكثرهم رجعوا الى خدمة السلطان لاجل بيوتهم واقطاعاتهم. وكان قد وقع من جماعة الامرا امير يعرف بابن الاكتع [نور الدين على] واخذ اسيرا واصطنعه الامير فخر

وأنزلوهم الى مركب ولم يجتمعوا على أحد من كثرة الترسيم الذى عليهم. ثم انهم قالوا لهم رد جوابكم عند محمد باشا صدر أعظم بقلعة جريد وامروا الريس بأن يسافر، فسافر بهم الى أن دخلوا قندية، واجتمعوا مع محمد باشا النشنجى فمكثوا هناك الى أن شهل الوزير وسافر هو واياهم، الى أن دخلوا مصر، ولم يعلموا ما فى جواب العرض ان كان مليحا أو قبيحاً. ثم لما أخبروا الجماعة بهذا الخبر، عملوا جمعية فى بيت أمير الحاج، وكانوا جميعاً فى الجمعية فقال احمد بيك تابع محمد أغا المسلمانى، فيما جمعتمونا. فقال الاعسر: لنقرى الفاتحة على اننا نكون على قلب رجل واحد، لأن العرض الذى أرسلناه لم ظهر لنا منه نتيجة، وأرسلنا نطلب صورة جواب العرض الخط الشريف، فسمعتوا ما أرسل يقول لكم ان رد جواب العرض فى الخط، والخط لا يقرى الا فى محله فى ديوان السلطان، فجمعناكم لاجل ما نقرى الفاتحة، ونكون على قلب رجل واحد ان كان الخط على مرادنا [١]، والا دبرنا أمرا يكون فيه نجاتنا.

فكان جواب احمد بيك المسلمانى: أنتم لا ايمان لكم ولا عهد ولا ميثاق، لو كان لكم عهد وميثاق أو أيمان، لكانت لما حلفتم لى أن تردوا الى بلادى، فأين البلاد الذى اعطيتموها لى؟ وانى بارى الذى اخذ بلادى، يتصرف فيها ولم احد منكم جاب يده الى صدره، خلص لى بلدا واحدا. وزيادة على ذلك انكم عملتونى صنجقا، وانى بقيت أفشل من طنبور بلا وتر،

(١) بالأصل «وأن كان» وفوقها شطب.

الدين بن الشيخ والركن الهجاوى ومن معهم، وذكروا انه فعل ذلك قاصداً لخدمة السلطان واحضر الى القاهرة وخلع عليه وابقى على خبره. واما [عسكر] الحلقه فانهم لم يلحقوا الامرا ولم يعبروا على بلبيس بل جعلوها على يسارهم واخذوا من شرقيها صوب البريه والاميران الاسيران معهم فاتفق رايهم على ان يطلقا الاميرين المذكورين وان ينفذوا من اكابرهم

فلو بقيتمونى أفندى مثل ما كنت، كان خيرا لى، وكنت اتقوت بحسب القلم. فقال له أحمد بيك الاعسر بلادك أشترتها الملتزمين من ديوان السلطان بالاكياس، هات فلوس ونحن نساعدك فى خلاصها. فقال مصطفى بيك تابع بلفيه: انا لما أعطانى حضرة مولانا السلطان الدشيشا انعاما واخذتوها منى، كانت انباعت فى الديوان، هذا أمر لا يليق منكم أنتم صناجق وغيركم رعية. فقال له الاعسر الدفتدار: أنت مافيك كفاية لها، وانك من يوم تلبست بها، عطلت الغلال عن شيلها وسفرها فى زمنها قال لهم محمد بيك أباظا، أنتم دايما لا تنظروا الا لانفسكم وجاعلين الناس تحت ارجلكم . فقال الدفتدار: أنت بقالك اليوم كلام وتعرف تتكلم يا محمد بيك! فقال أباظا: أنا لى الكلام وأتكلم وأنت فى الخزنة عند سيدك ابراهيم بيك. أنتم لما أخذتم منى خمسماية زنجرلى على كشوفية الشرقية، وشلتوها عنى بعد عشرين يوما، واعطيتوها لعبد الرحمن أغا، وشلتوا حسن أغا كخيتى من أغاوية الجراكسة، والبستوها لمصطفى بيك الخطاط، ومصطفى بيك سنجق وأنا ما فى شئ، أنتم تعملوا عمايل لا ترضى الله ولاترضى المخلوق، وتريدوا انكم تقروا الفاتحة على انكم تكونوا على قلب رجل واحد! من يطاوعكم لعدم ثباتكم على القول. فقال اسماعيل بيك، هذا الكلام الذى أنتم مبقين عليه مبيتين عليه ما كنتم جيتم الجمعية، لكن الأمر الذى يقم بكم لا أتمه. وانتفض اسماعيل بك قايما، وانفض [1] المجلس على غير رضى. ثم ان فى ثانى يوم أعطوا احمد بيك سبيل علام،

(١) بالأصل «وانتقض».

خمسة رجال الى السلطان يستوثقون
منه ويستحلفونه ويعودون الى اخبازهم لان
الجميع ما كان بهم الا خوف على نفوسهم
لا غير. فجآء الاميران المذكوران والخمسة
وانعم عليهم وجهزهم وسير معهم احد خدامه
وهو المسمى بنان [عز الدين ايبك الحمد لله
المعروف بقضيب البان] فخرجوا الى ان وصلوا
الى الداروم فلم يجدوهم. ولا شك انهم في اثناء

واعطوا مصطفى بيك بلفيه مصر القديمة، وأباظا القرافة، واكدوا عليهم يروحوا بأنفسهم ولم يرسلوا كواخيهم. وقال: اقعدوا طالعوا في الروح هنا شهرا. وكان السيد ياسين، نقيب الاشراف، في الجمعية، فقال لهم: والله الذى لم يثبت على قوله، وعهده، لا ايمان له، محاميا لأحمد بيك أفندى ، فصبروا عليه الى غرة رمضان، وعزلوه، وولوا موضعه مصطفى افندى الرفاعي، واردوا يعزلوا القاضى، فلم ترض الينجشرية، وقالوا: ان فعلتم هذا، يكون علامة العصيان، وأننا لا نسلم فى هذا الأمر حتى لم يبق منا ولا واحد، ثم أنهم اخذوا فرمانا من يوسف بيك الجزار، قايم مقام، بالابقا والتمكين وتنفيذ الاحكام الشرعية فكان كذلك. ولكن هبطت همته التى كان فيها اولا وزاد مع أهل مصر، تواضعا لا يكاد يوصف، وتغيرت تلك الاخلاق الشعثة باخلاق رضية. وكانت مدة رجب باشا سخا ورخا الى ان أبيع الاردب القمح بسبعة وعشرين فضة والفول بثمانية عشر نصف فضة، والشعير باثنى عشر فضة وأخذت الحنطة التى فى الانخاخ باثنين وثلاثين نصف فضة، وهذا كله من أعتنايه. وفى جمعة عزل، وانزلوه، أبيعت الحنطة باربعين الى خمسين، ولكن لا اله الا الله محمد رسول الله كانه كان عنده جنون، لأن أفعاله التى فعلها، كانت أفعال مجانين، لانه انفق فى هذه الفعلة اموالا لا تعد ولا تحصى ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا رحمه الله وغفر له ما ندم عليه وأرضى عنه خصماؤه.

وفى يوم الاثنين ثانى عشر رمضان ورد محمد باشا النشنجى [1] الى قصر الحلى، وكانت مدة قيامة مقام الجزارماية وعشرين يوما والله اعلم.

(١) بالأصل «النسنجى».

ذلك اجتمعوا بالامرا فقبلوا روسهم
واخذوهم معهم وساروا. فعاد الخدام والخمسة
ولم يصنعوا شياً وكانت البلاد فيها قلق
واضطراب وخوف واحتيط على موجود الامرا
وادرهم [ديارهم] مرة ثانية لانهم كانوا
افرجوا عنهم لما توهموا رجوعهم. وبعد ايام وصل
الملك الناصر بن الملك المعظم الى القاهرة
المحروسة فى يوم السبت التاسع عشر من بشنس

٨٨.ذكر تولية محمد باشا النشنجى صدر اعظم
عفى الله عنه

قدم الى مصر بالموكب يوم السبت سابع عشر رمضان سنة ١١٣٣[1]، وحكم له تاريخان، تاريخ فى حال قدومه الى الحلى وهو هذا الذى عملته فى الحلى، «قدم نور الوزير النشنجى». والثانى حال دخوله الى مصر القاهرة بالموكب، «محمد باشا سرى الى مصر عادلا». فسبحان الله جاء بخلاف ذلك ثم ان الصناجق توجهوا له الى الحلى على حكم العادة، فالبس الجميع قفاطين الا اسماعيل بيك، فانه البسه فروة سمور كالليل الحالك، على جوخة نارنجية، تأخذ بالعقل، وقال لهم: ما عليكم باس، ولا تخافوا من شئ، ولا هناك ان شاء الله الا الخير وانتم أمنا السلطان فى ارضه والبلاد، واما نحن فاننا ناس ضيوف عندكم، وبلاد السلطان لايسال عليها الا منكم. ثم انه اسقاهم الشربات وانصرفوا الى خيامهم، وشال من الحلى ثانى يوم الى العادلية واوكب الى مصر كما ذكرنا. وكان صحبته أغة القابجية، وأمير اخور، المعينين صحبته فى الموكب، والناس يدعون الى اسماعيل بيك، ويقولون للوزير من ركوبه من العادلية ا لى حين دخوله الى القلعة يمينا وشمالا، الرعية والفقراء والمساكين يا دولاتلى. يا وزير لو كان عندنا واحد ثانى مثله، كنا بخير حتى أنهم اخيلوه وبقى يحط يده على رأسه.

(١) مدة ولايته: ١٧ رمضان ١١٣٣ / ١٠ ذى القعدة ١١٣٨هـ ١٢ يولية ١٧٢١ / ١٠ يولية ١٧٢٥م.

المـوافق للثـامن من شـوال سنة ست وثلثين وستمايه [١٤ مايو ١٢٣٨م] وزينت له القاهرة ومصر والقلعه ونـزل بدار الوزاره، ثم انه شفع فى الامرا ورجال الحلقه وتقرر انه يسيـر اليهم يطـيب قلوبهم ويحضـرهم. ووصل ابنه بعـده بايام يسيـرة وما زالت الزينه مستمرة بل زيدت الى ان وصل. وبعد هذا بلغهم ان الملك الصالح خرج من دمشق فجمع السلطان الامرا واحضر الملك

وفى ثانى يوم ورد على بيك سنجق الخزينة الى الديوان، والبسه الباشا قفطانا، ولجميع السدادرة وأصحاب الدركات، ونزل الى منزله فى وجاهة عظيمة. واجتمع عليه سيده اسماعيل بيك، وسأله عن أخبار الخطوط، فقال: والله يا بيك ما أحد معه خبر ما فى الخطوط الا السلطان، والوزير، المفتى، والباشا الذى جاءته الخطوط. والله يا بيك نفس أغة القبجية، وأمير ياخور لم يكن معهما خبر ما فى الخطوط، ولكن يأبيك لاتقلق ، ما يكون فى ملكه الا ما يريد. وأما اسماعيل بيك فلم يكن عند قلبه خبر من ذلك . ووالله يا اخوانى لم أر قلبا مثل قلب اسماعيل بيك، شخص مطرود يكون خليفة الوقت وملك البسطة، ويظهر ولم يلتفت الى طرف السلطنة، ويقابل الباشا من الوراق ، ويقدم له التقدمات، ويلبس منه الاكراك، ولم ينهز منه، ولم يخطر بياله شئ من ذلك. وفى كل يوم يركب الى الخلايا كان قلبه قد من الجبل واجتمع مع رجب باشا تلك الليلة فى الحلبة، ولم يكن رجب باشا راه قبل الليلة ولم يكثرث الباشا ولم يصانعه، بل قام له وكان بعد العشاء فى مجلس محمد باشا ثم بعد صلاة القيام، وانفض المجلس وتوجه اسماعيل بيك الى صيوانه.

وفى يوم الخميس ثانى عشرين رمضان [١]. عمل الباشا ديوان واظهر فيه ثلاث خطوط، قربت بالديوان. والأول: بغلال الحرمين، والثانى: بمحاسبة رجب باشا على وجه الحق، فان

(٢) ١٧ يولية ١٧٢١م.

الناصر واستحلفهم انهم مطيعون مخلصون وانهم يقاتلون عنه الى ان يموتوا قدامه وهذه اليمين الرابعة. ثم ان قبيلتين من العرب(*) يقال لاحدهما جذام والاخرى ثعلبه وكانتا باعمال الشرقيه وكان بينهما دماً وضغائن قديمة فلما حضر هذا التشويش حسد بعضهم على بعض واقتتلوا مرارا وقتل بينهم جماعة كبيرة، وكانت ثعلبة فى هوى ملك مصر وجذام فى هوى

(*) صراعات القبائل العربية وفسادها فى مصر.

طلع له تعطوه له، وان طلع عليه شئ يحاسبوا محمد باشاصدر اعظم به وترسلوه لنا على العجلة، والثالث: ان الذى نعلم به أعيان مصر، وعلمايها، واشرافها، وصناجقها. ان سابقا وردعنكم عرض عليه خطوطكم، وختومكم، فى حق اسماعيل بيك انه عاص، وقاتل النفس، واجب الازالة. فأرسلنا لكم رد الجواب بالخروج من حقه لشهادتكم فيه بالفساد فى الأرض فعين عليه رجب باشا العساكر فهرب من طريق الحجاز، ثم فيما بعد ذلك أظهرتموه وعزلتوا الباشا وانزلتوه من القلعة على حال غير مرضى، ونصبتم لكم قايم مقام، يجرى الاحكام، ثم بعثتوا عرضا ثانيا خلاف الأول، وأرسلتوا سبعة أنفار من السبعة أوجاق، وعالم وشريف بخطوطكم وختومكم، بأنه ليس بمفسد وانه مزيل الضرر عن[1] البلاد، وانه على الكتاب والسنة ففهمنا مقصودكم فعينا لكم محمد باشا صدر أعظم، بفحص ويتحقق القضية بمعرفة السبعة أوجاق، ويرسل يعلمنا حقيقة الأمر، نرسل لكم جواب شافي. وانفض الديوان ونزل اسماعيل بيك الى منزله، ثم بعد ذلك عملوا حساب رجب باشا، فطلع عليه خمسين كيسا، فقعد بها محمد باشا النشنجى، ثم ان رجب باشا، طلع الى الديوان، وأخذ خاطر الباشا وكان يوم الثلاث السابع والعشرين من رمضان، واوكب يوم الخميس تاسع عشرين رمضان من البلد، وسطها بالآى، وحكم تاريخ خروجه «الباشا راح حيث أتى».

(١) بالأصل «على».

ملك الشام فاستنجدت ثعلبة [بقبيلة]
سنبس فجاوهم من بر العرب واستعانت جذام
بزناته وزناره فجاوهم من البحيرة وكانت ايام
خوف وحرب وانقطعت الطرقات وسير السلطان
جماعة من الامرا والاجناد لاصلاح ما بينهم فجرا
بينهم عصى إلى اجل معلوم بعدما قتل منهم. ثم
ابتد [ظهر] للناس رجل خادم يقال له شبل
الدوله خادم النبى وادعى انه راى نبيهم فى النوم

ولقد رأيته وهو فى موكبه حين طلع الى العادلية، وجميع الصناجق صحبته، خلاف اسماعيل بيك، وجركس. ولقد علاه صفرة، حتى اذا رآه الرائى، يظن أنه مريض، وهو فى طبقات الغم الى أن نزل فى خيامه بالعادلية، ثم ان جميع اكابر القاهرة، أرسلت له الهدايا الاجركس واسماعيل بيك لم يرسلا شيئا، ان القول الذى قالته الناس، وشاع فى القاهرة، ان اسماعيل، اهدى له عشرين حملا محملة رزا وسمناو عسلا وسكرا وبنا، الحامل والمحمول، وأربعة من الخيل الاصايل ، مرختة، وستة عرايا، ومائة جمل من جمال العرب، تشيله الى غزة من غير اجرة. وحمل قطن وشاشات وبفت وآلاجات، فانه كذب لا أصل له. فانى سألت محمد آغا البواب، الذى هو أحد كواخيه، عن هذا الأمر، فقال لى: هذا كلام كذب لا أصل له، وانما اراد محمد بيك جركس، بان يرسل له هدية، ويقابله، فامتنع الباشا وقال: لا اقبل منه شئ، ولا يقابلنى فان رأيته ووقع نظرى عليه والله العظيم اقتل هذا الكلب كيف وانا قد اخرجته من ضيق الاقفاص، واظهرته، وصنجقته ومشيته على رءوس اعدايه غصبا عن شنباتهم بالقهر عليهم، وقتلت بسببه دفتدار مصر وكتخدار الجاوشية، وعينت على خصمه اسماعيل بيك، التجاريد، واخذت ماله وعقاره، وهربته من نخل، وصرفت من أجله خمسماية كيس، وفعل معى هذا الفعال، والله العظيم ان رأيته لاذبحه (١) بيدى، آه منه، لكن ما يبالى.

(١) بالأصل «لا يذبحه».

وقال له خذ الذمه بتغير حليهم [ملابسهم] فانهم قد خرجوا عن حدهم وشرع فى ضرب الناس والاخراق بهم من النصارى واليهود فالنصارى ناخذهم برفع الدوايب [الذؤايب] وشد الزنانير واليهود بعمل العلامه الصفرا. وصار بعض الجماعة بشد الزنار وترخى الداوبه فانتهى [خادم النبى] الى ان قطع دوبة [ذؤابه] القس كاتب الحوايج خاناه لانه كان ارخاها وشد الزنار. وكان اذا لم يجد مع

واما اسماعيل بيك، اخذت ماله وخيله وعقاره. وحصل له منى أعظم الحقارة ولم يقابلنى بشئ يكرهنى. ويقول هذا كله مقدور عليه، وماهو من رجب باشا ولا من السلطان، هذا من الله والحمد الله على سلامتى واما[١] الذى راح من المال والخيل فان الله يعوضه، واجتمعت وأياه فى الحلى حين قدم محمد باشا وسلم علينا. وأما جركس ان قابلنى قتلته، لو أنها تفى الى أمر الله.

ثم أنه سافر فى يوم[٢] السبت ثامن شوال. وصحبته الاثنى عشر آغا المعينين على قتل اسماعيل بيك، لأن المدة التى كان فيه رجب باشا، كان فى كل يومين والثالث، يأتى أغا بخطوط، البعض منها يقرا والبعض يقول: هذا متعلق بى، ليس هو متعلق بكم حتى كملت اثنى عشر آغا، ثم انه شال من العادلية، ونزل بالخانكة بعد أن حط بها قتل أمير آخور بتاعه واثنين «مطرجية» [المطرجى هنا هو حامل إبريق الوضوء] وأراد ان يقتل آغا القابجية، فهرب الى مصر من الطريق، كان أحدا اخبره أوهو عرف بذنبه، فهرب لأنه كان اخبر ان الجوخدار الذى قتله كون انه اخبر جركس لم يكن هو الذى أخبره وحده وانما هؤلاء الاربعة كذلك اخبروه لانه لما أراد قتل جركس عيط له وقال له: اذهب انت وكيخيتى الى منزل أمير آخور

(١) بالاصل «واناء».

(٢) بالاصل «الخميس» وهذا خطا، والتصويب من ترتيب الحوادث كما وردت بالنص، ومن ذيل التحفة، ص ٣٨٤.

واحد زناراً قطع عمامته وشد وسطه بها. ونودى على ذلك بالاشهار بالقاهرة ومصر فى يوم السبت الخامس عشر من ابيب [٩ يوليو] ووقع الناس من ذلك فى شدة وثقل عليهم لانه شى قد بعد عهدهم به منذ عشرين سنة، واكثرهم ممن كان يمكنه القعود فى بيته ولزم داره واما الحكما الساميون فامر بان لا يتعرض اليهم، فبقوا على حالهم، [كان] خادم [النبى] المذكور اذا لقيهم

السلطان فالذى يقول لك عليه افعل. وكان بينه وبين أمير آخور امر مدبر على قتله حين يأتيه صحبة كتخداه غمزة هؤلاء وقالوا له أن الباشا مراده ير سلك(*) صحبة كتخدا الى أمير يخور السلطان لاجل ما يقتلك. ولما سمع هذا الكلام نزل من ديوان قايتباى وركب جواده، فنده عليه كتخدا الباشا لأنه كان قد تعوق عند الباشا لسؤال، وطلع فرأى جركس قد ركب جواده، فنده عليه فلم يلتفت اليه وساق الجواد وهو يقول له: ادينى قدامك، وكان لأمر يريده الله وطول الله عمره، ورأى باب الجبل مفتوحا فطلع منه وهى الطلعة التى عصى فيها. وكان السبب فى ظهور اسماعيل بيك، أميرالحاج، ونزوله كما تقدم ذكره، وقتل هؤلاء الثلاثة، وهروب كتخدا القابجية، هرب بات تلك الليلة وسافر ثانى يوم من الخانكة.

ثم أن فى يوم الخميس آخر يوم من رمضان المعظم سنة ١١٣٣[١]. تم بنا الجامع الأزهر وغسلوه وفرشوه بالحصر الجديدة ليلة عيد الفطر، وكانت مدة تجديده وترميمه ودهانه وبنا الفسقية خمسة شهور، وجملة ما صرف عليه ٦٣ كيسا منها الخمسون التى أنعم بها السلطان أحمد، وثلاثة عشر كيسا صرفها اسماعيل بيك أمير الحاج، وسبب صرف اسماعيل بيك هذه الأكياس لما مات الشيخ محمد شنن تسببت الاطراف، وكثرت النهابة، وكل من اخذ شيئا لم يرده حتى الخشب العتيق اخفوه، والتجارة الجديدة شالوها بالليل من وكالة قايتباى، والشيخ

(*) بالأصل «يرسل».

(١) ٢٢٢٥ يولية ١٧٢١م.

يذنب ويعيرهم بالكلام. واسلم بهذا السبب رجل من خيار النصارى يقال له النفه بن الشماس وكان صاحب ديوان الحوايج خاناه والبيوت والاسطبلات وديوان الحاشيه فاجتمع عليه الخدام واخذوه لشد الزنار فشده فاخذوه برفع العدبه [العذبة] فابى فتكاثروا عليه ولزوه فرمى الزنار فقالوا اسلم وشهدوا عليه فاسلم. وكان النصارى فى هذا الوقت فى ضيق عظيم وهوان اليم واى من لقيهم

ابراهيم الفيومى الذى تولى مشيخة الجامع، رجل ولى، وأبى أن يتعاطى أمور الجامع وقال أنا لا أعرف شيئا من هذا الأمر والناظر يوسف بيك الجزار، رجل أمين، معلوم فأكله الاكلا، وفرغت الفلوس، فتعطل البنا. فلما ظهر اسماعيل بيك، أخبروه، فتوجه الى الجامع ورآه ناقص أشياء، فارسل من طرفه وكيلا، وصرف عليه ثلاثة عشر كيسا من ماله، وتممه على أحسن حال، وزاد فى العمدان الحجر التى فى رواق الاتراك، وزاد فى علوة عن قديمه دراع مهندس، ومات فيه من البنايين واحد، ومن الفعلا ثلاثة ، ومن المبيضين اثنان، وصلوا فيه صلاة عيد الفطر سنة ١١٣٣ والله أعلم.

وفى ثانى شوال نزل الباشا الى قراميدان وأتته الصناجق والاغوات ثم أنهم قالوا للوزير: مولانا الوزير قد أخبرنا أنه قد جاء صحبتك خط شريف، بالعفو لأهل مصر. ولولدك اسماعيل بيك، وهذا يوم عيد، وهو خير اقراه علينا لاجل مانطمن. وكذلك أهل مصر يطمنوا لان عندهم حصر من عدم خط العفو. فقال لهم الوزير: نعم، ما قلتم صحيح. ولكن عندى خط بخلاف ما ذكرتم، ان عملتم بما فيه هو الحظ الاوفر لكم، وجاءكم خط العفو والا [إذا] عملتم بما فيه نراجع لكم، لكن يطول الأمر عليكم، ويبقى الأمر متعلق بين اما واما. فقالوا له: مولانا الوزير ما هو الذى فى الخط فقال لهم: الاول، الخمسماية كيس الذى صرفها الباشا على التجاريد، والثانى، الخمسماية كيس التى باقية من موجودات اسماعيل بيك الدفتدار،

من العوام والسوقة شتمهم وسبهم ثم ان الامر تحلل في امر العذبه فصار بعض الناس يرخيها لكن بامر استاذ الدار وهم ثلثة انفس الذى رسم لهم بارخاء الدوابه [الذؤابه] مع شد الزنار ثم انهم اجتمعوا وكتبوا فتاوى واخدوا فيها خطوط الفقهاء فى امر الدوابة من العمامة فافتوا جميعهم بانه لا يلزم رفعها بل شد الزنار خاصة للتمييز بينهم وبين المسلمين، فكان ممن كتب لهم بذلك الشريف

- -

واسماعيل كتخدا الجاوشية. لأن تركتهما قطعت الفا ومايتى كيس، وصل السلطنة سبعماية والباقى خمسماية كيس والالفين التى عملها محمد بيك جركس الى السلطنة، واعطى بها تمسكا الى (رجب)(*) باشا يوصلها الى السلطان على ظهوره وظهور احمد افندى، تابع محمد آغا المسلمانى، ورجوع بلادهم الى تصرفهم فهلبت من تحصيلها وارسالها الى السلطنة، فما تقولون قالوا مولانا نرد هذا القول على بقية العسكر ونتشاور ثم نرد عليك بما فيه الصواب.

ثم ان المجلس انفض وقاموا، ثم انهم اعرضوا السؤال على اسماعيل بيك، فقال لهم كلمتين صغيرتين: كل من كان جهته شئ يخرج من عهدته، وكل من عمل شئ يفى بما اوعد به، فقالوا له صدقت ، ثم أنهم ردوا على جركس، فقال الذى عملته من أجله هو ظهر خذوهم منه، وقضية البلاد أنا ما أخذت لهم تقاسيط حتى أنه ياخد حقهم منى، فقالوا له: الذى لم تأخذ لهم تقاسيط لأى شئ تتصرف فيهم. فقال: البلاد بلادى، واتصرف فيها بخاطرى.

ثم أنهم ردوا على اسماعيل بيك، فقال هذا رجل جاهل، لكن ردوا على الباشا وقولوا له أحنا قلنا لهم. فقالوا يعطينا حضرة الوزير مهلة قدر ماية يوم. ثم أنهم ردوا على الوزير فأجاب

(*) الاضافة للتوضيح.

شمس الدين قاضى العسكر(*) وهو نقيب الاشراف وبها الدين بن الحميرى خطيب القاهرة وجمال الدين بن البورى الذى كان تولى الوزارة فى ايام السلطان الملك الكامل ومبارك المعروف بابن الطباخ وبعد هذا لم يرخوها[العُذب] خوفا من الخادم [شبل الدولة]. ثم ان النيل مد وزاد ووصل المفرد [حد وضع الخراج] فى يوم السبت العشرين من مسرى [١٨ أغسطس] وانحطت

(*) قاضى العسكر: كان السلاطين المماليك قد أقروا العادة الخاصة بتعيين قضاة للعسكر فى مصر وسوريا. وكانوا يتبعون مركز القيادة فى ميدان القتال بدلاً من بقائهم فى العاصمة. ومن مهامهم الفصل فى قضايا الميراث والزواج وعتق الرقيق والتفتيش على العسكروتحديد رواتبهم وكان يسمح لهم بحضور الديوان السلطانى. ومن الملاحظ هنا أن قاضى عسكر كان فى ذلك الوقت نقيب للأشراف، وهو الأمر

لما قالوا. وفى خامس عشر شوال عزم اسماعيل بيك، محمد باشا فى قدم [أثر] النبى وعمل له عزومه لا تليق(١) الا بالملوك.

وفى يوم الخميس سابع عشرين شوال(٢)، ورد ركاب الشريف يحيى من الديار الرومية ، وصحبته توقيع من حضرة الملك بألف وخسماية نصف فضة ديوانى فى كل يوم جامكية، على ان يمكث فى مصر هذه السنة التى هى سنة ١١٣٤ . وورد صحبته آغا بثلاثة خطوط، ولم يقروا فى ذلك اليوم لغياب الصناجق والامراء فى بركة الحاج لتوديع أمير الحاج.

ثم أن فى يوم الاحد سلخ شوال طلعت الصناجق والامراء الى الديوان،الا اسماعيل بيك وجركس واذا باسماعيل بيك مقبل من جهة الصليبة الى أن وصل مقدم الطوايف الى باب العزب. وكان عبد الرحمن أغا أغة الجملية قدامه صحبة الطوايف، واذا باسماعيل بيك لفت رأس جواده وكر راجعا الى منزله من جهة المظفر، فلحقته الطوايف الا عبد الرحمن فأنه ما زال سايرا إلى أن طلع الديوان، فذهلت الناس من رجوع إسماعيل بيك، ولم أحد علم ما الخبر وما سبب رجوعه، فلما طلع عبد الرحمن أغا الديوان رآه محتبكا والباشا فى الانتظار لمجئ اسماعيل بيك، فأخبر برجوعه، فقرا خطا واحدا من الثلاثة ولم يقرا الاثنين الاخيرين، ومضمون الخط الذى قرى الذى نعلم به محمد باشا وأعيان مصر أن باقى جهة امراء مصر

(١) بالأصل «يليق».

(٢) ٣١ اغسطس ١٧٢١م.

الاسعار وبيع القمح بعشرين درهما الاردب ودونها والشعير بستة عشرة درهما وبقية الحبوب بالنسبة. وكان السلطان الملك العادل قد خرج الى بلبيس بعساكره وجنوده لما بلغه ان اخاه الملك الصالح قد تقدم من بلبيس واصلا اليه، ورحل نزل الى العباسه. وكان بعض الجماعة قد سعى سعياً نافعاً في امر ارخا الدوابه من العمامة فرسم بارخايها بشرط شد الزنار،

الذى استمر حتى بعد الاحتلال العثمانى لمصر والشام. وكان الشريف لا يمكن محاكمته إلا على يد عشيرته كما لم يكن من الممكن اعدامه دون موافقة النقيب. أو اجبارهم على الانضمام لسلك الجندية بالرغم من أنهم كانوا قضاة للعسكر، وفى بعض الأوقات كان قاضى العسكر لا يكون من الأشراف ولكنه كان يحتل منصب نقيب الأشراف.

سبعماية كيس، بقية موجودات اسماعيل بيك الدفتدار، واسماعيل آغا كتخدا الجاوشية، فهلبت من تحصيلها وارسالها صحبة الخزينة العامرة، فقالوا سمعنا واطعنا ثم انه اغلظ عليهم فى الكلام فقال لهم هنا تقولوا سمعنا وأطعنا، وحين تنزلوا تقولوا (*) سمعنا وعصينا تجنبوا مقارشة السلطان فانى لكم ناصح، ثم ا نه امهلهم خمسة أيام فى تحصيل ما ذكر.

ثم ان فى ثانى القعدة ارسل الباشا الى الصناجق يطلبهم فى الديوان فطلعوا جميعا الا اسماعيل بيك، وجركس فانهما لم يطلعا، فألبس الباشا، قفطانا الى محمد آغا آغة مستحفظان على ما هو عليه وامر بالركوب فى البلد لكثرة ما وقع فيها من الفساد والقتل وتعرية الخلق، وقد أوصاه الوزير باشهار المنادات بعدم شيل السلاح لأن الغربا جت تمشى بالسلاح على عين الندا والاجهار وكثرة الغربا من بر الشام وحلب وشيل الطبانجات والشواشى الطويلة،وتغيير عمايم عسكرية الوجاقين بعمايم آخر، وصار البلد أكثرها سراجين وصار لهم صولة فى القاهرة من قتل وضرب وتركيل وحكم، وصار لجركس سراجا يقال له الصيفى، وقد صار له مشاديد ، وصار لكل بيت رأس السراجين من بيوت الصناجق اسماعيل بيك وجركس واما اسماعيل بيك جرجة صار له اربعين سراجا، ويوسف[1] الجزار كذلك، ومحمد بيك المجنون كذلك، وعبدالله كذلك ، وكذلك جميع اشراقات جركس، أقلها صنجق عنده عشر

(*) بالأصل «يقولوا» والتصويب من سياق النص.

(١) بالأصل «يوسف» فقط.

وارخا اكثر الناس. ووفى النيل المبارك فى يوم السبت العشرين من مسرى وكان السلطان الملك العادل قد دخل المدينة لاجل الخلوق(*) فلما كان يوم الخلوق اتفق ان الخادم [شمس الدولة] المشار اليه كان فى البحر واتفق ان قوما من النصارى كانوا فى مركب فى البحر وفيهم من هو مشدود الزنار ومن هو بغير الزنار فعرفهم الخادم والصق اليهم وحملهم الى

(*) عيد وفاء النيل.

من السراجين حتى صار اذا تخانقت المرأة مع زوجها توكل لها فى فى زوجها سراجا، وهذا بخلاف ما تقدم وصار القتل والخطف والتعرية فى داخل القاهرة الى أن نزل الآغا فى مراكب الخليج ، وصار يمسك من الرايسين وان هذا لم يقع سابقا أن آغة مستحفظان ينزل فى مراكب الخليج.

وفى يوم الخميس ثانى عشر القعدة البس الباشا اسماعيل بيك جرجة قفطانا على كشوفية الغربية، وعبد الله بيك على كشوفية بنى سويف وحمزة بيك على كشوفية المنوفية، ثم ان الباشا حاش يوسف بيك الجزار، وأحمد بيك الاعسر الدفتدار، فى الديوان فى جهة السبعماية كيس، وقال لهما: لا تنزلا حتى تنظرا ما تفعلا فى الفلوس المطلوبة للسطنة، فقالا له ننزل ونرد عليك الجواب، فنزلا واجتمعا مع بعضهم البعض، فاتفق رايهم انهم يجعلوها بولصا [1] ثم انهم ارسلوا اعلموا الباشا بهذا الامر فاجاب الى ذلك، وكان مرادهم ان لا يطلعوا الباشا شيئا من ذلك فلما حاش الباشا الجزار والاعسر، وأغلظ عليهما فى الكلام وحلف أن لم يعطوا هذه الاكياس الا نزلت واخذت القاضى وسافرت الى سيدى حتى لانت قلوبهم وجعلوها بولصا. واسلموا أوراقها الى الوزير.

(١) فى ذيل التحفة، ص ٣٨٩ « يجعلها بلوصا الى التجار الكاينين فى القسطنطنية». وانظر كذلك،ص٢٠٥ من نص مخطوط أحمد شلبى نفسه حيث يذكر «وفى سابع عشرين الحجة سافر أميرياخور، ببلوصة السبعماية كيس» ص ٥١١ من طبعتنا هذه.

الاميـر جمـال الـدين اسـتاد الدار فسيرهم الى المحتسـب بمصر، فحمل الامر على انهم جميعاً بغيـر زنار فـضـربوا واشـهـروا مـصـر كلـهـا. وكـانت قـضـيـة شـديدة على النصارى وتمكن العوام منهم. وكـانت بدعـة عظيـمـة وكـان هذا حـكمـا مـن الله تعـالي الواحـدة فـى تـرك الـزنـار واخـفـا المذهـب. واخـرى ان الجـمـاعـة المذكـورة كـانوا شـمـامـسـة لا ينبـغى لـهم ان

ثم البس الباشا قفطانا لمحمد بيك بن ابراهيم بيك ابو شنب، على كشوفية جرجة، وارسلوا الى محمد بيك أباظا يخبروه بمنصب المنية ومنفلوط فأرسل يقول كشوفية منفلوط والمنية تودى الى الانكسار، فان كان ولابد ضيفوا اليها جرجة، يشيل بعضها البعض، فقالوا جرجة اخذها ابن أبى شنب، فأمر الباشا ابن أبى شنب أن يلبس منفلوط والمنية، فأبى، فأرسل الباشا الى قيطاز بيك الصغير والبسه قفطان الثلاثة ولا يات ونزل بالقفطان يهتف، فأخذ ابن أبى شنب الغيرة، فتوجه الى اسماعيل بيك [وقال له] اروح الى محمد بيك جركس وانت اسمك سيده فان كان ما يقوم بخدمتك يقوم بخدمته. من ثم أنا اروح الى جركس، فأخبره، فركب هو واياه الى احمد بيك الاعسر الدفتدار، وارسلوا الى غيطاس بيك، فلما حضر سلم وجلس، فقالوا له: ايش تكون أنت يا غيطاس، فقال: واحد منكم، فقالوا له : لو كنت واحد منا ما تعديت على ابن سيدنا ولبست قفطان جرجة ومنفلوط. فقال لهم أنا م تعديت على ابن سيدكم، وانما الوزير أرسل لى، فلما سرت اليه لم يخاطبنى بشئ غير هات قفطان، أوليتك كشوفية جرجة ومنفلوط. وها هو القفطان عندى ارسلوا أعرضوا امركم الى الوزير أن البسكم، الله يبارك، وأن بقانى الله يـارك، فكتبـوا عرض حال وارسولها الى الوزير صحبة كتخدا الجاوشية، فلما قراه الوزير شرمطه وقال: كتخدا الجاوشية، أنا ما البست غيطاس الا بعد امتنا ع ابن أبى الشنب، وأما أن يلبس المنيه ومنفلوط وهذه مناصب السلطان ولا يمكن تعطيلها، ثم

يشهدوا هذه المشاهدة(*) ولا يحضروا مواضع الملاعب ولا المجامع الخارجة عن المذهب المسيحى. الا انهم صبروا وشكروا وحسب ذلك لهم برا. ثم ان السلطان فى حال دخوله الى القاهرة بلغه ان العسكر اضطرب [تمرد] عليه وانه صار فرقا فخرج على حاله وامسك ثلثة امرآ احدهم فخر الدين بن شيخ الشيوخ وليس فى الامرا اكبر منه، والاخر فتح الدين سليمان ابن اخى الشهاب احمد

(*) كان يحرم على رجال الدين القبطى حضور الاحتفالات بوفاء النيل.

انهم عملوا جمعية وبعد ذلك اخدوا خاطر الباشا وابقوا محمد بيك على جرجة، المنية الى غيطاس بتنزيل عشرة أكياس وخمسة آلاف أردب غلال، وسافروا الى مناصبهم.

ثم أن فى يوم الخميس ثالث الحجة ختام سنة ١١٣٣[(١)]. قامت الجراكسة على خليل افندى واردوا قتله، فهرب الى بيت جركس، فأرسل جركس الى عمل آغا باش اختيار الجاويشية، فأرسله لهم فلم يقبلوا. وسبب قيامهم عليه أن اشراقات ابراهيم جربجى عجم الذى أرسل خليل أفندى موته فى أبى قير بعد أن نفاه أنهم ادعوا على خليل أفندى بستين كيسا التى اخذها من موجودات عجم، ولم يعط اختيارية الوجاق شيئا منها، ومن حب روحه كرهته الناس، ومن أكل وحده غص وحده، ولما أبت الجاوشية أن يقبلوه توجه الى وجاق العزب فقبلوه وعملوه جربجى عندهم.

وفى سادس الحجة الموافق لسادس الميزان أيضا الموافق لعشرين توت امطرت مطرة من بعد عشا ليلة الاحد الى عشا ليلة الاثنين اربعة وعشرون ساعة الى أن خرقت القبور ، ولله خرق العوايد لا معقب لحكمه. وفى يوم الاثنين رابع عشر ذى الحجة [(٢)]. قامت العزب على أحمد كتخدا أمين البحرين باغراء جركس، وباتفاق باش الاضباشية، على أنهم يودوه الى بلاد الكشيدة لاجل ما يقى تحت حكم الوزير، لانه عند ابراهيم اوضباشة الذى هو باش او ضباشية

(١) ٢٥ سبتمبر ١٧٢١م. (٢) ٥ أكتوبر ١٧٢١م.

وكـان اخص من عنده هذا السلطان وقـد اعطاه
الله حمله كبيره، والثالث زين الدين غار. فاما ابن
الشيخ فخر الدين فجعل فى برج بالقلعة، وهذا
البـرج الذى كان فيـه صاحب امد. واما الاثنان
الاخران فنزل بهما الى الجب الذى بالقلعة. وكان
الناس فى هذه الايام فى وجل وتوقع وشناعـات
كثيرة وكان القمح والشعير والحبوب قد توسط
سعرها فكان القمح اغلاه بثلاثين درهما الاردب

فهرب الى باب مستحفظان، فأرسل الوزير الى الست اوجاقات الايقبله أحد منهم، فاجتمعت الانكشارية وقالوا له لابد من أخذ عرضه، وأرسلوا اسماعيل جاويش تابع مراد كتخدا الى الباشا مرتين وهو يأبى، وفى الثالثة أعطى عرضه بالقهر عليه وانزلوه الى بيته، فلما نزل الى بيته حلف يمينا انه لا يعود الى باب العزب مطلقا.

وفى يوم الجمعة ثامن عشر الحجة[1]، عقد الشيخ أحمد البكرى الصديقى، عقد ابنته على كميل على كتخدا، وهو جاويش معزول، وكان الجارى للعقد شيخ الاسلام، ومحمد افندى قاضى العسكر.

وكانت جميع اختيارية السبعة اوجاق واوضباشية البابين والعلما وارباب السجاجيد وسيدى عبد الخالق السادات والسيد مصطفى الرفاعى النقيب شيخ سجادة الرفاعية وتجار البلد من الاعيان واسماعيل بيك وايواظ بيك وسناجه ويوسف بيك الجزار وجركس وصناجقه وبقية الصناجق وكتخدا الوزير والترجمان وآغة المتفرقة وكتخدا الجاوشية. وشرب فى ذلك اليوم خمس قناطير من السكر المعاد، وخمسة وعشرون رطلا من البن، وفرقت الف واربعماية محرمة، ومنديل، وكان عقدا لم ير مثله فى زماننا ، كان الله له حيث كان واطال الله فى عمره وأعاد علينا من بركاته وبركات جده، وجعل الله البركة فى نجليه السعيدين، هما سيدى

(١) ١٠ اكتوبر ١٧٢١م.

ودونه بعشرين درهما الاردب والشعير والفول بتسعة عشر درهما الاردب والحمص باربعين درهما الاردب الا ان كل شئ غال من المأكول والمشروب والملبوس والعدد والات العمارة وغيرها، وساير الماكولات غالية السعر والنبيذ باربعة دراهم نقره الجره والشمع بثمانية دراهم ونصف الرطل. ولم يكون فى المدينتين شئ رخيصاً سوى السكر فانه كان بدرهم ونصف الرطل وهو رخيص بالنسبة

بكرى وسيدى علي، وفي اخواته محمد أفندى وسيدى عبد الخالق وسيدى أبو المواهب ولطف بنا وبهم اجمعين[1].

(١) كتب بالهامش «قال ابو فارس البغدادى فى رسالته المعروفة، برسالة البغدادى يقال ان وليمتين، كانتا لم يكن فى الاسلام مثلهما، فالأولى: وليمة الرشيد دخوله بزبيدة قال أحمد بن طاهر، صاحب تاريخ بغداد لما زوجها المهدى من ابنه هارون، وأعد لها ما لم يعد لاحد قبلها من الاثاث والاوانى والفرش والاتباع والطيب والجوهر والخدم والوصايف، وعمل لها درع در، لم يقوم بقيمة، ودخل بها فى المحرم سنة ١٦٥ فى قصر الجلد، وحشر الناس من الآفاق، وفرق من الاموال، ما لم يتوهم أن بيت المال يحوبه، وكانت أوانى الذهب تملأ بالدراهم، وأوانى الفضة تملأ بالدنانير. ويدفع ذلك لوجوه الناس، مع نوافح المسك، وقطع العنبر، وخلع الريش ، وأحضر المهدى، نسل بنى هاشم جميعا، وكان يدفع لكل واحدة ثوب موشى، وخريطة فيها دنانير ودراهم وآنية طيب وبلغت النفقة فى هذه الوليمة من بيت مال الخاص، سوى ما أنفقه الرشيد خمسين الف دينار.
والثانية : هى وليمة المأمون على بدران بنت الحسن بن سهل، قال أبو الفرج لما خطبها المأمون استعد لها استعداد يجل عن الوصف، وفعل الحسن الوزير فى الوليمة ما لم يفعله ملك فى جاهلية ولا أسلام، ثم نثر على الهاشمين والقراء والكتاب نفايح مسك، وفيها رقاع باسماء ضياع، واسماء جوار، وتعيين حلاة، وغير ذلك من كل شئ نفيس ، فكل ما سقط منه توقيع مضى واستوفى قبض ما فيه، ثم نثرت بعد ذلك، على ساير الناس الدنانير والدراهم ، ونفايح المسك والعنبر على جميع عسكر المأمون، لكل رجل على قدره، وقدر العسكر ستة وثلاثين الف جندى، ولما حليت بدران فرش لها حصير من ذهب، وجئ باناء عظيم من ذهب مملوء درا فنثر على الحصير وكان فيمن حضر من النسا زبيدة وحمدونة بنت الرشيد وغيرهما من بنات الخلفا، فلم تلفظ واحدة منهن بشئ، فقال لهن المأمون أكرمنها فمدت كل واحدة

لغيره من الاصناف. ثم ان العربان كانوا قد طمعوا وصاروا يغارون(*) على البلاد فيأخذون كل ما فيها ويقتلون ويسبون. وفي هذه الايام غاروا على خمسة وعشرين بلدا في الغربية فجرد لهم السلطان اميرا يقال له الفارس خطلبا ومعه الف فارس اقسه(*) وحراريق [مراكب حربية تطلق نيران] في البحر [النيل] فمضوا الى العربان فوجدوهم قد طلعوا الى البرية وفاتوهم. فجاوا الى

(*) العربان تنهب اطراف البلدان والقرى في الغربية.

(*) اقسه: جمع قوس.

وفي عشرين الحجة [1] عزل رجب كتخدا بشناق مستحفظان، وتولى بعده على جاويش.

وفي ثاني عشرين الحجة سنة ١١٣٣[2]. جرت نكتة غريبة، وهي ان رجلا من سماسرة البن. يسمى أبو السبعة، متزوج بامراة قاطعة الحيض لم تلد، وكان ممكنا من الدنيا فقال لزوجته وهو جالس واياها يا فلانة، والله نفسي تتطلب الاولاد وخايف أني أموت وليس لي من الاولاد من يطرد بيت المال وتفرح اقاربي، ويأخذون مالي من بعدى ويقلون الرحمة عني و مرادى اخذ لي جارية لعل الله يرزقني منها بولد نبقى نضحك عليه ونذكر به اذا عاش ومتنا، ويطرد الاعداء. فقالت له المرأة لك البشرى يا سيدى فان الحيض ما اتاني الشهر الذى مضى وهذا الشهر الثاني، ونفسي بتطلب الحامض، فقال لها الرجل: انظرى ما تقولى فقالت يا سيدى وحياة راسك ما اقول الاحقا، ومزاجي متغير من أول الشهر الذى هو مولد النبي، فقال

يدها، وأخذت درة واحدة ، وبقى الدر ظاهر على الحصير، فقال المأمون قاتل الله الحسن بن هانى كانه كان حاضرا، حيث قال:

كان كبرى وصغرى من براقعها حصباء در على أرض من الذهب

وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها ثمانون رطلا، قال وسال المأمون زبيدة عن مقدار النفقة في هذه الوليمة، فقالت مأتين خمس وثلاثون الف الف الى سبع وثلاثين، فبلغ ذلك الحسن بن هانى، فقال كان النفقة كانت على يديك. والله لقد حضرتها فكانت ثمانية وثلاثين الف الف دينار الخ. من تحفة العروس للتجاني».

(1) ١٢ اكتوبر ١٧٢١م. (2) ١٤ اكتوبر ١٧٢١م.

[اهالى] البلاد فصاروا يدعون انهم بنون [أولاد] العربان فصاروا ينهبون اموال الناس(*) وياخذون نساهم ودراريهم على انهم اهالى العربان وليس الامر كذلك فخربت البلاد خرابا ثانيا. وجآء اهل البلاد وقفوا للسلطان فأمر برد ما اخذ منهم اليهم وبقوا فى حيره ممن ياخذون ولمن يطلبون وقد جرى على حرمهم ما لا يعلمونه. الا ان النيل زايد والاحوال متماسكة. ثم دخلت سنة ست

(*) العسكر السلطانى المطارد للعربان يهاجم الأهالى وينهبهم، وهكذا وقع الأهالى بين نهب العربان ونهب العسكرالسلطانى.

ان شاء الله. ومضى على هذا الكلام (تسعة أشهر) [1] ثم أنها تزمرت وتوجهت الى اخت لها، وقالت لها يا اختى، التسعة اشهر قربت الفراغ، وهذا الذى أنا فيه لم يكن حملا، فدبرينى، فقالت لها اختها لا تخشى من شئ ولا تعرفى هذا الامر الا منى. ثم طلعت من عندها لامر يريده الله، انها رأت امرأة شحاتة ومعها بنت لم تكمل السبوع، فقالت لها المرأة يا حجة، أنت تمشى تجى اوديك الى ست ترضعى لها ابنها، وتاخدى كل يوم ثلاثة انصاف، وتنكسى، وتبقى عند الست فى أرغد عيش؟ فاجابت المرأة، ومشت معها الى ان جاءت بها الى باب[2] حمام الخراطين، فقالت لها ادخلى استحمى ونظفى جسدك لاجل ما تشوفك الست وأنت نظيفة وأعطتها الصابون وطفلا، وقالت لها لا تبطى واطلعى بالعجل وأنا أحمل البنت حتى تطلعى، فقالت لها مليح. ثم ان المرأة دخلت الحمام والمرأة الثانية أخذت البنت وقالت: يا ستار الى بيت أختها، ثم أنها عملت صنعتها من طلق وولادة.

ثم أن أم البنت طلعت من الحمام ودورت على المرأة فلم تجدهاولم تر البنت، فصارت لا تعرف تروح ولا تجى، وصارت على هذه الحالة سبعة أيام، الى يوم سبوع المرأة زوجة أبى السبعة. ثم أن جيرانه يعرفون أن زوجته عجوز مقطوعة الحيض من منذ خمسة اعوام، فرات

(1) الاضافة لتوضيح المعنى.

(2) قدم وأخر.

(*) أهم أحـداث سنة ٩٥٦ ق. = ١٢٣٩م. = ٦٣٧هـ.
* ا توت ٩٥٦ = ٣٠ اغـسـطس ١٢٣٩ = الثلاث ٢٨ محرم سنة ٦٣٧.
* في صـفـر سـار الملك الصـالح إسماعيل، صاحب بعلبك، ومعه شيركوه، صاحب حلب، وهجموا دمشق وحصروا القلعة،وتسلمها الصـالح إسـماعـيل، وقبض على المغيث فتح الدين عمر بن الملك الصالح أيوب، الذى كان سار إلى نابلس ومنها قاصدا الاستيلاء على الديار المصـرية لكنه وقع هناك في اعـتـقـال الملك الناصـر

وخمسين وتسعمايه والبطريرك انبا كيرلس [بطرك كنيسة الاسكندرية]. المعروف بداود بن لقلق وهو الخامس والسبعون والسلطان الملك العادل ابو بكر بن الملك الكامل محـمـد والقـاضى شـرف الدين الاسكندرى المعروف بابن عين الدولة والغالب على الامور السلطانيه بدر الدين يونس امير جندار وكان السلطان قد خرج الى العباسه بالعساكر والجنود. وبلغ النيل خمسة عشر اصبعا من ثمانى عشر

المرأة الشحاتة امراة من جيران أبى السبعة وهى تبكى وتولول فقالت لها المرأة ما شأنك ياحجة، فأخبرتها بالقصة فقالت لها المرأة تعالى أنا اوديك بيت المرأة التى آخذت بنتك وهذا اليوم سبوعها. ثم ان المراة أخذتها واورتها البيت، فطلعت الحريم، فرأت المراة التى أخذت البنت ورأت البنت فى حجرها، فصرخت وقالت بنتى ورب الكعبة فقاموا عليها وضربوها وأنزلوها من البيت والدم ينزل منها فجاءت الى منزلها بحارة كفر الطماعين، وجمعت جيرانها واخذتهم وسارت الى بيت القاضى.

وكان القاضى محمد افندى كتخدا زاده، الذى جاء صحبة رجب باشا، فلما رآها القاضى ورأى هذا الجمهور صحبتها فقال، ما خبر هؤلاء فأخبروه بالقضية. فقال والله لا سمعت دعوة هذه المراة الا فى محل الواقعة، فركب هو وجماعته الى محل الواقعة، ثم أن شاهين أوضباشا تابع الجلفى كان حاضرا فأنزل القاضى عنده فى منزله وأرسل احضر السمسار وزوجته وتداعتا المراتان، ثم أن كلا منهما أتى بينة، فقدموا بينة الثبوت وشهدت بينة النفى، فتحير القاضى، ثم ان القاضى أتى بواحدة من بنات الافكار، وهى انه فرق عشرة من النسا وفيهم زوجة السمسار، وعشرة أخرى وفيهم المرأة الشحاتة.

والتفت الى النسا وقال تعالى يامراه خذى بنتك، واذا بالمراة الشحاتة قفزت نحو[(١)]

(١) كتب فوقها «الى».

ذراعا. ثم ان رجال الحلقة الذين كانوا نافقوا وتوجهوا الى الشام الى خدمة الملك الصالح اخى السلطان كاتبوا السلطان الملك العادل وسيروا نقابهم [نقباهم] يعرفونه ان قصة حربه لاخيه اوجبت له ان يسير يطلب العسكر الذى على غزه مع عميه مجبر الدين وتقى الدين فانهم امتنعوا من الرواح معهم ويستاذنوه فى المجئ ويطلبون عسكرا يمضى الى غزه يتسلمها لان اولئك تركوا

داود، الذى أرسله إلى الكرك معتقلا بها.

* [١ يناير ١٢٤٠ = ٥ طوبه ٩٥٦ = الأحد ٤ جماد الثانى سنة ٦٣٧].

* وفيها قصد الناصر داود القدس، وكان الفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل، فحاصرها وفتحهاوضرب القلعة.

* فى آخر رمضان أفرج الملك الناصر داود عن ابن عمه الملك الصالح أيوب، وسارا إلى قبة الصخرة وتحالفا على أن تكون ديار مصر للصالح أيوب ودمشق والبلاد الشرقية للناصر، وسارا

القاضى وقالت هات بنتى يا شيخ الاسلام، فاعطاها لها وحكم لها بأنها بنتها، ومنع زوجة السمسار فطلعت المراة وهى تزغرت فى مجلس القاضى ثم أن السمسار تقدم الى القاضى وقبل يديه، وطلق زوجته فى مجلس القاضى على سوال سايل وارسل معه القاضى اربعة من الجوخدارية عزلوا المراة الى بيت أهلها والله أعلم.

وفى سابع عشرين الحجة [١]، سافر أمير ياخور ببلوصة السبعماية كيس.

وفى ثانى يوم وقعت أربعة بيوت فى باب الزهومة، التى فوق قهوة بركات ومات فيها خمسة وعشرون نفسا، رجالا ونساء.

وفى اواخر الحجة نزل اسماعيل بيك والجزار ناظر الازهر واحمد بيك الاعصر الدفتدار، واسماعيل بيك جرجة وكتخدا الوزير، وامير ياخور، وقاضى الاسلام محمد أفندى كتخدا زاده، ودخلوا الجامع وكشفوا عن عمارة الجامع وترحم القاضى على الشيخ محمد شنن، فقال اسماعيل بيك والله الحمد لله الذى مات، وانا كنت مستخفيا والا لو كنت ظهرت وهو على قيد الحياة لكان الشيطان اغوانى فى امره.

فقال له القاضى. وما كان الحامل لك على ذلك، فقال كلامه الذى تكلمه فى حقى لرجب باشا، وهو قوله اياك وهذا الولد الفاجر، الذى اهلك العباد، فلو ادركته قبل الموت ما كان يحصل خيرا، ولكن الحمد لله رأينا فيه ، ولم ير فينا.

---

(١) ١٩ اكتوبر ١٧٢١م.

وذهبوا . فخلع السلطان على رسلهم وكانوا منهم، واعطاهم الهبات والصلات فصاروا يتواصلون من خمسة عشر وعشرين وكل من يصل يخلع عليه ويعطى الصلة الى ان تكاملوا. وكان الملك الناصر ابن المعظم وهو ابن عم السلطان قد اخذ عسكرا زهآ الف فارس وفيهم امرا مقدمون مثل ابن قلح [قلج] وغيره ومضى الى الكرك قلعته. وفى اثنا ذلك عمل الملك الصالح اسماعيل الذى هو اخو

لمحاربة الملك العادل فقبضت عليه المماليك الأشرفية في ليلة ٩ من ذى الحجة ومدة حكمه نحو سنتين، ثم استولى الملك الصالح أيوب على مصر ودخل قلعة الجبل في ٢٤ القعدة من هذه السنة.

* فيها شرع الملك الصالح أيوب في بناء قلعة الجزيرة، وأخذها مسكنا له.
* [١ توت ٩٥٧ = ٢٩ أغسطس ١٢٤٠ = الأربع ٨ صفر سنة ٦٣٨].
* وفيها قبض الملك الصالح أيوب ابن الكامل، بعد استقراره في

وفى ذلك اليوم كتبوا العرض باتمام بنا الجامع والكمال على ما ينبغى وختمت عليه جميع العلماء والعساكر والصناجق والباشا والقاضى، وسافر العرض صحبة أمير يخور. وفى غرة محرم سنة ١١٣٤(١)، سافر أمير ياخور من الحلى وسافر الشريف يحى الى القدس وان الاغا المعين أخبر ان حضرة مولانا السلطان أرسل أخذ رجب باشا من الشام على خيل البريد.

وفى عاشر محرم وصل كتخدا الباشا ومهرداره وديوان افندية الذين كانوا فى خدمته حين كان وزيرا فلما(٢) تولى ابراهيم افندى الوزارة أرسل نفاه الى جريد، فلما انزلت المصرية رجب باشا قالوا ما بقا يصلح لمصر الا هذا الوزير الحاذق محمد باشا النشنجى، فلما جاء الى مصر من جريد كان هؤلاء الدولاتلية فى اسلام بول، فجاءوه ليكونوا له اعوانا فى العدل وصحبتهم امر شريف لم يقرا فى حال دخولهم لأن حضرة الوزير كان عنده تشويش، ولم يطلع ثلاثة دواوين.

ثم انه طلع الى الديوان يوم الثلاث ثالث عشر محرم، وقرا الخط ومضمونه ان الخمسماية كيس الذى اصرفها رجب باشا على التجاريد التى توجهت الى اسماعيل بيك أمير الحاج فاتكم تستخلصوها من الذين كانوا السبب فى طلوع التجاريد، واغروا رجب باشا وان اغرايهم لم يصادف محلا ولسهم على هروبه من عجرود وموالستهم على السلطنة وكذبهم عليها.

(١) ٢٢ اكتوبر ١٧٢١م.

(٢) بالأصل «كان» فوقها شطب.

الكامل الذى كان نايب الملك الاشرف فى دمشق. ولما مات الملك الاشرف خرج الملك الكامل الى دمشق اخذها منه واعطاه بعلبك مع بسرى [بصرى] لانها كانت له فعمل على دمشق مع روسايها لانه كان محبوبا منهم. وكان فى القلعة ابن الملك الصالح ايوب بن الكامل. وكان الملك الصالح المذكور فى نابلس قد رابطها ومكث بها والامرآء الذين جاوا اليه، فسلم روساء دمشق

ملك مصر، على أيبك الأسمر، رئيس المماليك الأشرفية وعلى غيره من أمراء مصر الذين قبضوا على أخيه، وأودعهم السجن وقتلهم جميعا، وولى مكانهم من اختاره.

* [١ يناير ١٢٤١ = ٦ طوبه ٩٥٧ = الثلاث ١٥ جماد الثانى سنة ٦٣٨].

* وفيها كثر عبث الخوارزمية وفسادهم بعد مفارقة الملك الصالح أيوب البلاد الشرقية وساروا إلى قرب حلب.

* وفيها سار لؤلؤ، صاحب الموصل وحاصرسنجار فى غياب الأمير

فلما فرغ من قراءته، قال لهم ما تقولون، فقالوا سمعنا واطعنا، ثم انهم نزلوا يدبرون امرهم، ثم ان الباشا البس كتخداه ومهرداره[1] وافندى ديوانه قفاطينا، وولاهم على مناصبهم، وعزل الذين كانوا متولين محلهم.

وفى عشرين محرم طلع ابن على باشا ا لى الكتخدا الذى جاء من الديار الرومية صحبة باش جاويش العزب، لأنه كان عمل جربجى فى العزب فى مدة رجب باشا لما قتل اباه بواسطة محمد آغا الطوقطلى، فلما قابل كتخدا الوزير واراه الترضية فمنعه الكتخدا من نزوله، وقال له حضرة الوزير يطلبك فلا بد انك تقابله، فعالج باش جاويش العزب أن ينزل به فلم يقدر، ونزل صفر اليدين.

فلما ورد باش جاويش الى بابه وأخبر الكتخدا، فركب وطلع الى كتخدا الباشا ، وقال هذا جربجى عندنا، ثم أن الكتخدا اخبر الباشا بما قال كتخدا العزب، فأرسل له فلما قابله أبرز له خطا شريفا يطلبه الى السلطنة العلية، فلم يبدوا جوابا، ونزل وأخبر اختيارية الوجاق، فلم يتكلموا ولا بحرف واحد، وقالوا امر السلطان مطاع، ثم ان الباشا حبسه الى بعد العشاء ، وانزله من باب الجبل صحبة عشرين من الدلاة يوصلوه الى اسكندرية يسلموه الى امير ياخور، يوصله الى السلطنة العلية.

(١) بالاصل «والمهردارة».

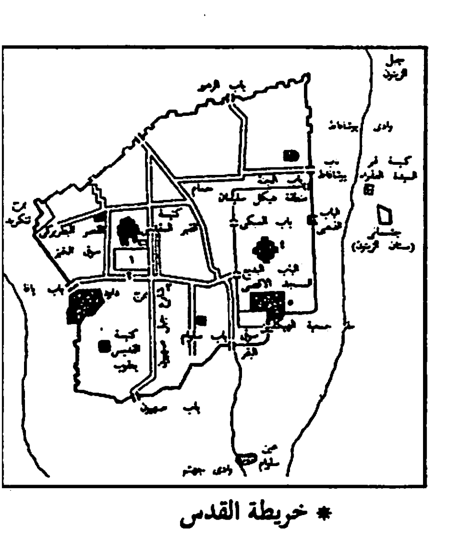
المدينة المذكورة الى الملك الصالح اسماعيل الذى كان عندهم أولا، وخرج ابن الملك الصالح ايوب وهو ابن ابن اخيه من القلعة هارباً. وقعد الملك الصالح اسماعيل بدمشق وجاءت البشاير الى العباسه الى السلطان الملك العادل بذلك ودقت البشاير فى العسكر بذلك فى القاهرة ومصر والقلعة وزينت المدينتان والقلعة مدة ايام كثيرة. وانفض العسكر الذى كان مع الملك الصالح حتى

يونس واستولى عليها، ولما لم يبق بيده شيء من الملك استنجد بصاحب مصر، ولما لم يجبه سار إلى عكا وأقام مع الفرنج فاشتراه منهم الصالح إسماعيل، صاحب دمشق، واعتقله ثم خنقه.
* وفيها سلم الصالح إسماعيل صفد والشقيق إلى الفرنج ليعضدوه على ابن أخيه الصالح أيوب، صاحب مصر.

وفى شهر صفر الخير [١] أرسلوا احضروا سليمان اوضباشا تابع حسن كتخدا القردغلى من النفيه، لأن رجب كتخدا كان نفاه فى حال توليته، فلما عزل وتولى على جاويش ميسو ارسل احضره، وبعد قليل البسه الضلمة، وأعجب من هذا ان فى يوم الثلاث،جرت نكتة من سيدى على الرميلى وهاذا ان الرميلى من المترددين على شيخ الاسلام محمد افندى كتخدا زاده، وانه محسن فى حقه، فجاءه يوم الثلاثا بعد الظهر وهو يسب فيه سبا فاحشا، من باب الحوش، ويسب حمار الحمار، وطلع له، فما صا ر قدامه، شال يده ولطخ شيخ الاسلام على رأسه ارمى عمامته عن رأسه، فوقعت الى الأرض، فارادت الجوخداربة ضربه فمنعهم، ونزل من المقعد وهو يقول، ايوه تمت. ولم يبطل السب الى ان خرج من المحكمة، فما مضى الا عشرة أيام، واذا بمكتوب قد أتى الى شيخ الاسلام، أن فى يوم الثلاثاء وردت مركب من الديار الرومية، وكان بصحبتها قاضى مصر عبد الله افندى، اخو فيض الله أفندى، فتوفى فى جزيرة استان كوى، فغسل ودفن فيها ولكم البقاء. وان من العادة انه اذا توفى قاضى مصر، يكون الضبط لامام الباشا، فلما قرا القاضى المكتوب، وركب وتوجه الى بيت سيدى احمد البكرى، وعملوا جمعية على أن لا يضبط المدة الا كتخدا زاده، ثم أنهم طلعوا الى الباشا واعلموه بالقضية، وان يكون كتخدا زاده ضابطا للمده الى ان يأتى خبر من الديار الرومية، فأجابهم

(١) نوفمبر / ديسمبر ١٧٢١م.

انه لم يبق معه الا خواصه وحتى كادت العرب تنهبه فاستجار بالملك الناصر صاحب الكرك [كرك مؤاب] فاجاره وحمل اليه الازواد والاقامات ثم حمله الى الكرك فاقام بها لانه ابن عمه. ثم ان الافرنج لما انفضت ايام الهدنه اخلوا القدس الشريف حتى لم يبق به سوى فارس واحد وسبعين راجلا يعمروا في برج داود. ثم ان السلطان جرد زهاء الفي فارس من عدة امرا وسيرهم الى غزه



* خريطة القدس

الوزير الى ذلك، فما مضى الا مدة يسيرة واذ بآغا معينا الى مصر بأن لا يكون ضبط مدة عبد الله أفندى الا لمحمد افندى كتخدا زاده الحاقا الى مدته، فألبسه الباشا كركا سمورا[١]. ونزل مبجلا وزاد اعتقاده فى[٢] الشيخ سيدى على الرميلى، وان سيدى على الرميلى حين نزل من عند القاضى قابله مملوك أمرد، وهو راكب على حمار، وكان المملوك سكرانا فجاءه الرميلى ومسك ثغر المملوك، فسحب خنجره وضربه فى عينه اليمنى اخرجها، فاراد أن يمسكوه، فمنعهم عنه، وقال له روح ياكبدى ، والله أعلم.

وفى يوم ورود الاغا بالمقرر الى كتخدا زاده، جاء صحبته خط شريف لعلى بيك باالخاسكية على ما هو عليه جواب الفرمان الذى تقدم ذكره، حين جابها بفرمان الوزير واخرجه العزب خطا، وقال له الوزير فرمان الوزير لا يقبل الخط الشريف. وقال له الوزير ارسل اعرض، فان جاءك خط شريف مكناك، فأرسل اعرض فجاءه هذا الخط على ماهو عليه، وان يتخلص من العزب.

وفى يوم الجمعة ثانى وعشرين صفر[٣]، قامت العزب على ابراهيم أفندى باش اوضباشية العزب، فالبسوه الجزمة وعملوه جربجى بالقهر عليه مع ارتكازه مع محمد بيك جركس،

---

(١) بالأصل «قاقوما»والتصويب، من ذيل التحفة ، ص ٣٩٩.

(٢) قدم واخر.

(٣) ١٢ ديسمبر ١٧٢١م.

لحفظ البلاد. وكان الافرنج قد خرجوا الى عسقلان ونزلوها وقصدوا عمارتها فركبوا وتجمعوا وجاوا الى قريبا فتواقعوا مع عسكر المسلمين الذى كان على غزه فكسروهم من اول النهار الى الظهر ثم تحايا [تنادوا بالحرب] عسكر المسلمين على عادتهم وقد تعب راجل الافرنج فكروا عليهم فاسروا منهم جماعة وكان الافرنج ايضا قد قتلوا من المسلمين جماعة واسروا جماعة منهم امراء


* آثار قلعة داود بالقدس

والسبب فى عمايله جربجى اسماعيل بيك أمير الحاج مع ان جركس حاجج كثيرا، كون أنه يبقيه باش على ماهو عليه، فما أفاد. ومكث نحو العشرة أيام وهو يحاجج وكان ذلك اليوم عنده أمر من لعق الصبر. ثم ان فى ثانى يوم، دار على الصناجق لاجل ما يباركوا له بلبس الجربجية، فمن جملة ما دخل لهم محمد بيك جركس ، فلما دخل عليه سلم عليه، وقال له، الحمد لله على السلامة ابراهيم جربجى، وقال والله يا بيك كل ما نزل البير بحبلك لا يصل الا سلم، فقال له كيف ما اضع لك وجميع أهل البلد اخصامك، وأعلى الخصومة يا بيك . فقال والله مالى خصم الا ابن ايواظ ، فقال جركس ما كان الا خيرا، ثم انه البسه كرك سمور، وقدم له جوادا معددا، ثم انه خرج من عنده ودخل لاسماعيل بيك أمير الحاج فاجله واسقاه قهوة وشربات، ولم يعطه شيئا.

وفى غرة ربيع اول[1] ورد ركاب مصطفى افندى نقيب الاشراف التى كان متولى النقابة فى عيطة الاشراف سنة ١١٢٤ ثم انه صار نقيبا ثانى مرة، وهى هذه المرة.

وفى ثانى عشر ربيع أول أيضا توفى شيخ الاسلام، الشيخ على ابو الصفى الشافعى، والشيخ على العقبى الحنفى، ومن أعجب ما وقع أن العزب وقع بينهم الخلف من بعد ما عمل ابراهيم افندى جربجى وطلبوا أن يرجموا الذين فى وجاق الانكشارية فأبى ابراهيم

(١) ٢٠ ديسمبر ١٧٢١م.

ومقدمون فتكافات القبيلتان. واما السلطان فعاد ببقية العساكر الى القاهرة. ثم خرج الى الصيد بعد ان امر ان يوخذ موجود الامرا الذين نافقوا ونهب دورهم ومن كان لهم عنده شي يوخذ منه وصار الناس يكذبون بعضهم على بعض. ووقع الناس من ذلك فى شدة شديدة وطلبوا بما لا عندهم ومنهم من غرم ومنهم من حبس. واما الاسعار فانها رخصت وانحلت ورجع كل شي الى

جربجي، وقال لا يمكن. فعملوا جمعية في بيت على كتخدا القيصرى الشريف، فلم يعجب ابراهيم المجلس وقام منه مغضبا. ثم انهم اجتمعوا فى بيت اسماعيل كتخدا، وقالوا لابد من مجئ الغضبانين الى الوجاق ، فقال ابراهيم نعم، ولكن من يقعد بغايلتهم ان حصل منهم فساد. فقالوا جميع الاختيارية، ونحن القاعدون بجميع القايم منهم فى حقك وعلينا الضمان. ثم ان صالح كتخدا قال الضيافة عندى فى غد، ثم انهم تعاهدوا مع بعضهم البعض وقروا الفواتح وزال الغم واكلوا العزومة عند صالح كتخدا الذى بيته عند حيضان مصلى جربجي. وفى ثانى يوم عمل جربجي ابراهيم عزومة، وعمل ابراهيم اوضباشا بتاع الرميلة الذين كانوا عملوه باش لما عمل ابراهيم افندى جربجي واعطاه اسماعيل كتخدا كركا وجوادا معددا . ثم فى ثانى يوم بعد الضيافة راحوا باب مستحفظان واخذوا جماعتهم وهم احمد كتخدا امين البحرين وبشناق محمد باش وشاهين الجلفى وكشك محمد وعملوا بشناق باش وكشك رابع، وكان ذلك يوم الخميس احد عشر ربيع الثانى سنة ١١٣٤[1]. وفى ثانى يوم نفت الانكشارية سليمان اوضباشا الاقواسى الى ابيار. وفى عشرين ربيع آخر[2] البسوا الضلمة الى سليمان أوضباشا القزدغلى، وعزلوا حسين باش جاويش ابو قورة والبسه الباشا قفطانا، فقال له، دولتلى وزير هذه عادتك كرك احدثه عابدى باشا. فقال كانت عادة باش جاويش سنة،

(١) ٢٩ يناير ١٧٢١م.　　(٢) ٧ فبراير ١٧٢٢م.

حده ما خلا الزيت الطيب والزيت الحار والسيرج
واللحم والدجاج والبيض والحمص والجلبان، فانها
كانت الزيت الطيب لاجل انقطاع الطرق بثلثة
دراهم الرطل والزيت الحار بدرهم وربع الرطل
والسيرج بدرهم ونصف واللحم بدرهم ونصف
والدجاج بدرهمين الدجاجة والحمص بخمسين
درهما الاردب والجلبان بخمسة وعشرين درهما
والشمع بثمانية دراهم ونصف الرطل والعسل

واما الآن كل تسعين يوما باش جاويش. ثم ان العسكر قطعوا فرمانا من الباشا على أن يعملوا جمعية فى بيت عبدالرحمن اغا آغة الجملية فكان كذلك.

فلما اجتمعوا تكلموا من جهة الصناجق، انهم لا يقارشوا الابواب والابواب لا يقارشوا الصناجق، اذ كل صنجق مرتكن على باب من البابين، ويفعل فى الثانى خلاصه، وقروا الفواتح وانصرفوا.

وكان يوسف بيك الجزار عامل عزومة فى بستانه الذى كا ن لحسن كتخدا النجدلى، لما ورثه منه، وكانت العزومة لابن سيده اسماعيل بيك بن ايواظ، ولجميع صناجقه واذا بالجماعة الذين كانوا فى الجمعية وقروا الفواتح على عدم مقارشتهم للصناجق وعدم الاجتماع عليهم وكل من كان له حاجة يأتى بابه ويقص قصته الى الاختيارية فيرسلوا جاويشا من عندهم لقضاء مصلحة هذا الذى لم عند الصنجق ولا يروح هو ان كان كتخدا أو أوضباشا او جربجى او نفر، فما تم النهار حتى ذهب بعض العزب وبعض الانكشارية الى الغيط، وحكوا للصناجق واكلوا الكباب والبقلاوة، ونشفت الفواتح بحال خروجهم من الجمعية.

وفى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الثانى سنة ١١٣٤ [١] توفى شيخنا الشيخ على الطيلونى، ودفن بالمجاورين بجوار الشيخ خالد الازهرى.

(١) ٩ فبراير ١٧٢٢م.

النحل بدرهمين الرطل لان النحل جميعه هلك فى هذه السنة واما القمح فانه انحط الى خمسة عشر درهما الاردب والشعير الى تسعة دراهم الاردب. ثم بعد ذلك انحلت الوقعة بين المسلمين والافرنج على ان الكسرة [الغلبة] للمسلمين على الافرنج وذلك ان الذين خرجوا مع الافرنج كانوا من العرب الذين لا يعرفون مكان البلاد ولا ختال المسلمين فى القتال ولاحيلهم فسافروا وتفرقوا وامعنوا فى

وفى يوم الثلاثا ثالث عشرين ربيع آخر توفى يوسف بيك الجزار، وكان مشهده عظيما، الا ان المطر منع الناس من المشى فى الجنازة، ولأن المطر حصل من شروق النهار الى غروبه، وأن جميع الناس ذهبوا راكبين، وكان عبدالله أفندى الرزنمجى راكبا فى الجنازة فنزلت عليه الظلمة[1] فأخذوه الى منزله محمولا.

وفى يوم الخميس خامس عشرين ربيع اخر، ورد آغا بخطين احدهما بمقرر امارة الحاج لمحمد بيك بن اسماعيل عن سنة ١١٣٤. والثانى بالعفو لمحمد بيك جركس، والبسه الباشا كرك سمور على جوخ احمر، والبس احمد أفندى قفطانا على الرزنامه عوضا عن عبد الله افندى.

وفى يوم السبت خامس جماد اول[2] طلع كشك محمد أوضباشا باب العزب بمعرفة محمد أوضباشا بشناق باش أوضباشية، وأحمد كتخدا أمين البحرين، وملكوا باب العزب وطردوا جماعة ابراهيم جريجى عن بكرة أبيهم.

وفى عاشر جماد اول[3] أخذ اسماعيل بيك نظارة الجامع الازهر عوضا عن الجزار. وفى ثانى يوم حصل ان رجلا يهوديا له ولد. وكان اليهودى متمولا فسكر الولد وكذلك أبوه

(١) اى أصيب «بالعمى».
(٢) ٧١ فبراير ١٧٢٢م.
(٣) ٢٦ فبراير ١٧٢٢م.

البـلاد لانهم سـاقـوا من عـسقـلان الى غـزه. ولم يصـحبـهم احـد من السـاحليه المتـدربين بالبـلاد بل تركـوهم طعمـة على جـارى عـادتهم فى المخـامـرة والمواطاه مع عـدوهم على اهل مـذهبـهم. وكـان المسلمون قد اندفعوا قدامهم واستجروهم الى ان طمـعـوا وتفـرقـوا واحـدقت بهم العـربان من كل جانب فاخذ منهم كند [كونت] كبير وزها [زهاء] خمسة عشر فارسا ومن الرجاله ما يناهز خمس

سكرانا، فتشاجر الولد مع ابيه، فضربه ابنه بسكين كانت فى يده فجرحه فى فخذه، فاستغاث اليهودى بخادمه وكان الخادم شريفا، فأسرع الخادم الى سيده لحوش عنه، فضربه الولدى بالسكين فجاءت فى نحره فوقع الى الارض ميتا، فحركوه فلم يجدوا فيه روحا، فلما رأى الولد الرجل مات هرب.

فجاء ارباب القلق [الشرطه] فمسكوا الرجل، واعرضوه على الوزير، فأدعى بهروب الولد فألزمه بحضور الولد، وأرسلوا يفتشوا على الولد. فجاء الخبر ان الولد اليهودى مسكوه بالرملة ومنية العطار وجاءوا به يوم [١] الجمعة بعد العصر خامس عشرين جماد اول [٢] فاودعوه فى قلعة مستحفظان تلك الليلة. وفى يوم السبت أشهروه فى البلاد على حمار بأربع شاميات، ثم أنهم ارموا عنقه فى الرميلة، وكان الوالى اسماعيل آغا تابع عبدالله آغا الوالى. ثم ان الباشا قطع فرمانا الى آغة مستحفظان أن يشهر النداء على طايفة اليهود والنصارى لا يستخدمون المسلمين، وكل من استخدم مسلما يستاهل ما يجرى عليه. ثم أن المتفرجين من أهل الرميلة جاءوا بالحطب واحرقوه وراح الى لعنة الله لانهم اعرضوا عليه الإسلام فأبى[*].

وفى يومه توفى الشيخ محمد الطحاوى الكبير المالكى [٣]. ومن أعجب ما اتفق، ان (فى)

---

(١) بالأصل «الى» وصوابها «يوم» ليستقيم المعنى. (٢) ٨ مارس ١٧٢٢م.
(*) لا يعرف السبب الإنسانى فى هذا الطلب من أهل الذمة رغم تكراره فى تاريخ مصر؟
(٣) كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة الشيخ محمد الطحاوى المالكى».

مـاية رجل وقـتل اضـعـافـهم، ولم يقـتل من عـسكر المسلمين سـوى ابن خلكان ومن لا يعبـا به. ووصل الاسرى المذكورون الى القاهرة وكان يوم وصلوهم يوماً مـشـهـوداً(*) وركب الكنـد [الكونت] والخـيـاله البغال والرجاله الجمال وكان معهم قسيس فركب بغلة ايضـاً. ثم ان السلطان احـسن الى الكنـد فلم يقـيـده بل تركـه فى برج وحـده واطلق له كلمـا يحـتـاج اليـه واما القـسـيـس والخـيـاله فـجعلوا فى

(*) وقعت هذه الحادثة مع الكونت الصليبى تابوت Thibaut الرابع (IV) كونت شمبانيا -Champagne..

ثامن عشرين من جماد آول [1] وقعت فتنة فى القليوبية، بين سليمان الوالى ابو دفية، وكان قايم مقام من طرف اسماعيل بيك امير الحاج وبين سالم بن حبيب واخواته، وعرب الجزيرة أدت الى لم اللموم، وارسل اسماعيل بيك على آغا الاصفر تقوية الى أبو دفية وصحبته غز كثير وعرب تقوية على أولاد حبيب، وانتصر جركس الى أولاد حبيب فأرسل له كاشف المنصورة ابراهيم آغا وكاشف القليوبية، فوقع الحرب بينهم مرتين، المرة الاولى مات فيها نحو المابة والستين من الطرفين، والمرة الثانية مات فيها نحو المايتين، ومات فيها قايم مقام الجزار من يد سالم بن حبيب وأخذ راسه على مزراق، وصار يدور بها فى اقليم القليوبية.
وجاءوا بجثته الى مصر واعرضوا على الوزير، فأمر بدفنها والبس ابراهيم آغا تابع الجزار قفطانا على الصنجقية.

وكان يوم الجمعة ثانى جماد آخر وامره ان ينزل هو وعلى بيك ويصلحوا هذه القضية ويطفوا هذه النار الثايرة بين العرب والغز.

ثم انهما نزلا الى اسماعيل بيك واخبراه بما قال الوزير فأهمله، ثم ان الصناجق اجتمعوا فى بيت على آغا الزعفرانى الذى هو آغة المتفرقة وجمعوا الصناجق واسماعيل بيك وجركس وامير الحاج والدفتدار وجميع المتكلمين، وأصلحوا بين جركس واسماعيل بيك صلحا شافيا،

(1) اضافة حرف الجر لتوضيح ا لمعنى ١٦ مارس ١٧٢٢م.

ارجلـهم قـيـودا بطوق حـديد، وامـا الرجـاله فـقـيـدوهم واستـعـملوهم فى القلعـة. ونزل الملك الناصـر صـاحب الكرك الى القـدس بعـد هذه الكسـرة وتسـلمـه وقّـتل كل من كان بقى فـيـه من الافـرنج وخطب فيـه خطبة عظيـمة على حكم القـرآن. وبقى الملك الصـالح بن الملك الكامل مـعـافـا عند ابن عـمـه هذا الملك الناصـر بالكرك وكـانت الاحوال محتبطه. ورجع الخوارزميه عدوا



* قبة الصخرة بالقدس

وكتبوا مكتوبين واحد من اسماعيل بيك لسليمان أبو دفية وواحد من جركس لاولاد حبيب، فسـافـروا بالمكتـوبين على اننا اصطلحنا فـفكوا هذه اللمـوم وكل من هو يروح الى مـحله، فانفكت اللموم فى عشرة درج، ورجع كل من هو الى محله. وصار ابراهيم آغا صنجقا عوضا عن سيده الجزار، وفتح بيت سيده.

وفى يوم السبت عمل احمد بيك الاعسر عزومة الى الباشا فى سبيل علام لاجل الصلح، وأرسل على(1) اسماعيل بيك ومحد بيك جركس فابوا أن يروحوا، وذهب اسماعيل بيك الى قصر العينى، وجركس جعل نفسه رمدانا لأنى رأيته وهو جالس فى المقعد وهو مرفرف عينيه بمرفرف أزرق.

وقـدم الاعسـر الى حـضرة الوزير أثنين عـبيـد طواشية، كل واحد مـعـه كيس فـيـه خـمسـة وعـشـرون الف فـضـة بيـضـا، واثنين وعـشـرون جـوادا، اثنان مـرخـتـات، والعـشـرين عـرى، له ولجماعته، وكان يوما عظيما.

وفى ثانى يوم العزومة الذى هو يوم الاحد، حادى عشر جماد آخر، ورد خبر بأن سليمان آغا ابو دفية، بعد ما انفكت اللموم وتمت القضية،صبر الى مسكة الابريق وهجم على سالم وهو فى بلده، فوقع بينه وبين سالم معركة كبيرة مكثت ثلاثة أيام، وولى سليمان آغا مكسورا

(1) كرر لفظ «على» بالأصل.

الفـرات وجـآوا الى حـمص حـاصـروها اياما
وخـربوا بـلادهـا واخـذوا من صـاحبـهـا مـالا
ورجـعـوا. والعـربان بالصـعـيـد على حـالهم فى
الشـقاق والنفاق بحجة ما بين بعضهم البعض. ثم
ان الغلة رجعـت تحركت وبلغ القمح ثلثين درهما
الاردب العـال الغـاية والشعير ثلثة عشر درهما
الاردب. ولـم يـكـن فـى هـذه الايـام شـئ
رخيـصاً لا غله ولا غـيرهـا ولا ملبـوس ولا عدة

ونهب جميع ما كان معه وماتت ثلث جماعته، وكانوا نحو الاربعين جندى وسبعة عشر قايم مقام.

ولم يبلغ من سالم مراده ومن العرب نصف حرام، اثنى عشر مقدام ورجع الى بيسوس[1] مكسورا.

ثم أن اسماعيل بيك عمل جمعية فى بيت عبدالرحمن آغا آغة الجملية على انهم يرسلوا تجريدة الى سالم، ويأخذوا من الوزير فرمانا خطابا الى جميع البلاد التى فى السبعة أقاليم، وأن كل من اجار سالم بن حبيب أو أحد من اخوته أو من عرب الجزيرة أو أضافهم أو اعطاهم شربة من الماء فبخراب تلك البلاد، وقتل جميع من فيها حتى النساء والصبيان، ولو كانت من بلاد الوقف. ثم أنهم اعرضوا العرض على الباشا وطلبوا على موجبه فرمانا فأبى. ثم أنهم اخذوا الفرمان منه بالقهر عليه، وعينوا على بيك وعبد الرحمن آغا آغة الجملية باش التجريدة، ومن الخمسة أوجاق كل وجاق ماية وخمسين. وكتب اسماعيل بيك عسكرا بجوامك خلاف اتباعه واتباع جماعته وطلعت التجريدة الفان من الغز خلاف العرب. ونزلوا يوم الخميس خامس عشر جماد آخر سنة ١١٣٤ [2]. ولقد اخبرنى من اثق به ان سالم لما جاءته المكاتيب

---

(١) بيسوس: احدى قرى، مركز قليوب، محافظة القليوبية، وهى من القرى القديمة، وتعرف حاليا باسم «باسوس لسهولة النطق، محمد رمزى، المصدر السابق، قسم ٢، جـ١، ص ٥٥.

(٢) ٢ ابريل ١٧٢٢م.

لان الاجـناد كـانوا قـد امـتـلآوا من عطايا
السلـطان وغلوا كل شئ وفـسـد فى هذه السنة
اكثر نبيذ الناس حتى انه لا يوجد بيت لم يفسد
فيه نـبيـذ خمرا كان او شـمسياً ثم ان الراهب
عـمـاد المـرشـار الذى كـان سـعى فى تقـدمـه
البطرك بالرشي وداس قوانين البيـعـة وفعل ذلك
وحـده من غـيـر رأى احـد اشـتـرك معـه فـيـه لا
اسقـف ولا ارخـن واوقـع الله بينهـمـا العداوة

بأن الصلح وقع بين الصنجقين توجه سالم نحو بلده، وأنفكت اللموم والعشاير من عنده ولم يبق، الا المقادم وعرب الجزيرة وعرب الذيب، فلما هجم أبو دفية وحصل ما حصل، اصبح سالم فى الميدان بين الصفين، وقال فين أبو دفية يظهر لى ويحقن دماء المسلمين، واذا برصاصة قد جاءت من القدم لم تخط لبة جوادة، فوقع الى الارض فهجموا عليه ليقتلوه فكانت جماعته أقرب اليه، فركبوه جنبا له. فذلك كان يوم الهزار وهو يوم كسرة أبو دفية الى يسوس وقتل فى ذلك اليوم نحو المايتين وهذا كان «السبب». ثم ان فى ثانى يوم ثالث التجريدة، جاء الى محمد بيك جركس من كل اوجاق اثنان اختيارية، وقالوا له هذا الذى تفعلوه خراب على البلاد وخمار على الفقراء والمساكين، وهذا أمر مضر بالعامة جميعا أغنيا وفقراء، ويتولد من هذا الضرر الزايد. فقال لهم جركس وما المراد، قالوا له الصلح الشافى بينك وبين اسماعيل بيك فقال جركس انا على الصلح الذى حصل بينى وبينه فى بيت على آغة المتفرقة، فقالوا له مرادنا تقوم معنا هذا الوقت ونحلفكم ويوقع الصلح الشافى بينك وبينه، ومن حصل منه أمر خلاف ما يقع عليه الصلح تكون الكل عليه، والله ينتقم منه لأن العالم هلك وهذه الامور مضرة على الغنى والفقير.

ثم أنه ركب فى الحال واياهم، ودخلوا على اسماعيل بيك واوقعوا الصلح بينه وبين جركس، وكان كتخدا الوزير حاضرا والدفتدار، والبعض من الصناجق، ثم ان كتخدا الوزير

لان القـصد كان فاسداً فصار البطـرك يضـطهده
فى كـل مـوضع ويمـنعه لانه كـان قسـاً وكـان
هو يتـصـيـد عبـارات البطرك ويتـتبع نقـايصـه
ويقـاومه فى كـل زمـان ويروم قـطعه كمـا تقـدم
من الشـرح، فـجآء فى هذا الوقـت وتسـبب الى
ان اسـتـخـرج امـر السلطان الى امـيـر من الامـرا
يـقـال له الصـارم المسـعـودى بان ينظر فى أمـر
البطرك ويعقد له مجلـساً مـع النصـارى بحضور

تهيا الى القيام فقدم له جوادا مرختا، وقعد جركس والدفتدار عند اسماعيل بيك الى بعد العشاء، ثم انهم توجهوا الى منازلهم وأن الصلح الذى وقع بين الاثنين، ان التجريدة لا تتعرض لبلد من البلاد، وانما ينادى فى الاقاليم بأن سالم بن حبيب وعرب الجزيرة لا أحد يجيرهم ولا يضيفم ولا ياويهم، وبالامان و الامان لجميع الرعية والعرب والفلاحين والله أعلم.

ثم ان فى يوم الثلاث عمل الشيخ السادات عزومة الى جميع الصناجق، واسماعيل بيك ومحمد بيك جركس من باب المحبة، ولأجل الصلح بينهم فهم فى غاية الحظ، الالة تضرب وهى فى أكمل اللذة، واذا بخبر داخل عليهم بأن عبد الرحمن آغا اخرب دجوة. وأحرق زرعها، وهدم دورها، وكان فى دجوة عشرين جندى من طرف محمد بيك أمير الحاج، كانوا محافظين فى البلد من طارق يطرقها فقتلهم ثم تواردت الاخبار بأن التجريدة وعرب الصوالحة خربوا الاقليم من التعربة والقتل ولا أحد من نصف سعد صار فى الاقاليم الا الذى هج، والذى لم يهج مخبا فى دار، وأخذواالقافلة التى طلعت الى السويس فلما ورد عليهم هذا الخبر انخرم المجلس وقام كل أحد الى منزله.

ثم أن فى ثانى يوم عملوا الجمعية فى بيت أحمد بيك الدفتدار، فما انتظم لهم حال، فعملوا جمعية فى قرا ميدان فما انتظم لهم حال، لكون أنهم اخذوا فرمانا من الوزير بصلح

ســـادة المســلمين وقضـايهم وحكامهم وعـدولهم [الشــهود] فشرع فى ذلك وكان البطرك قد طلع الى الكنيسة المعلقة بمصر ليكرز راهبه بها وكان له زمن كبيـر ما طلع اليها منذ خرج منها [الكنيسه المعلقة] لما استولى المسلمون على قطر منها بسبب ما بينه وبينهم من التفاقم ولاجل النظرة [المنظرة] التى حـددهـا وكـان قـد دبرت على مـا قـدم من القـول، فلمـا ابدل وخـرج الى وسط الكنيـســة

جميع العرب، الا سالم وعرب الجزيرة ، كما قال اسماعيل بيك، وأن ينادى لجميع(*) العرب والفلاحين بالامان، الا سالم وعرب الجزيرة، كل من أطلعهم بلد من البلاد يكون بخراب البلد ونهبها وقتل اهلها، وقروا الفواتح، واتفق المجلس على ذلك.

وسافر الآغا بالفرمان الثانى ونادى فى الاقليم وفى جميع الاقاليم الغربية والمنوفية والبحيرة، وهرب سالم بن حبيب وعرب الجزيرة، ونهبوا نجع عرب الجزيرة وما كان بقى من نهب بلاد سالم، وبقيت دجوة قرع لا نخل ولا دور، وفر سالم نحو الصعيد بأولاده ونسايه، ولم يبق لهم فى القليوبية صريخ ابن يومين.

ورجعت التجريدة الى مصر، فى ثامن عشرين جماد آخر سنة ١١٣٤[١]. وفى آخر جماد آخر المذكور، طلع شيخ الاسلام محمد افندى كتخدا زاده قاضى مصر الى الوزير ليأخذ خاطره، لان الانعام الذى جاءه من شيخ الاسلام الى غاية جماد آخر، فطلع ليأخذ خاطر الوزير فقال له لا يمكن انى اعطيك اجازة فى الرواح الا أن اتاك خبر بتولية قاضى غيرك، وانت تكون قايم مقام الى أن يأتى قاضى، ثم أنه البسه كركا ونزل الى المحكمة، فنفذ الاحكام.

(*) بالاصل «يناد الجميع» والتصويب من سياق النص.
(١) ١٥ أبريل ١٧٢٢م.

والشـمع قـدامـه والكهنة يمدحـونه على جـارى عادته، وكان هناك رجل مخبل يعرف باسرائيل بن المهندس مقيما فى علو الكنيسة فلما سمع بذلك جـآء الى مـوضع يشـرف على المكان الذى فـيـه الجماعة وسب وذكر قبايح وقال اخرجوه اخرجوه وعمل ما لا يسوغ عقلا الا انه عادم العقل، فاحتد بعض الجماعة وطلعوا اليه فضربوه وشجوا راسه وجرى دمه على ثيابه فخرج مستغيثا الى والى

وفى غرة رجب ورد خبر من بندر السويس، بأن عرب الصوالحة نهبت من مركب الزفتاوين سبعماية وخمسين فرق بن، واخذوا جميع آلاتها وسيبوها قصعة فى البحر من غير آلة، وقتلوا من كـان فـيـهـا من الرجـال، ونزلوا الى نابعـة ومنعـوا الماء عن اهل السـويس، الى أن بلغ الصـحن[1] [من الماء] ريال حجر ومات كثير من العطش، فاعرضوا الى مصر فورد الخبر فى غـرة رجب[2]، فطلع الخواجا محمد داده الشرايبى والخواجات صحبته الى الديوان، واعطوا الباشا العرض الذى جاء من السويس بنهب المركب وقطع الماء عنهم، فقال لهم الباشا جميع ما راح لكم عهدتى، وأنا القاعد به، فنزلوا الى محلاتهم، وارسل الباشا جمع جميع الصناجق واوراهم العرض، فقـالوا، نرسل الى اسمـاعيل بيك جـرجـة كـاشف الشرقـيـة، يسافـر ويفتح الطريق ويمنع العرب ، فأرسل الباشا اليه فرمانا، فقال هذا الامر لم يكن تعلقى، وانما هو تعلق أمير الحاج، ولنا رجل مانى مكلف الا بحفظ منصبى، فرجع الاغا اخبر الوزير بما قال اسمـاعيل بيك، فتحير الوزير فقالت الصناجق مولانا الوزير، ننزل نعمل جمعية مع بعـضنا بعض، فقال لا يمكن الا رواحى أنا بنفسى.

ثم انه فى الحال امر باخراج الطوخ والخيام الى قراميدان، واخذ البقسماط وما يحتاج اليه الأمـر وطلع الطوخ والخـيـام الى العـادليـة ثامن رجب، وقـال لابد من رواحى الى العـرب ان

---

(١) بالأصل «الصعن».

(٢) ١٧ أبريل ١٧٢٢م.

الصناعـــة(*) وهو من مماليك السلطان، فـوافـا الراهب عـمـاد عنده قـد جآ بامـر من عند الاميـر الصـــارم يطلب البطرك، فطلع البطرك ومـعـه التـوكـيل ووكل على ابن اخيـه والخـازن الذى له ويعـرف بابى الفـرج ابن خلبوصى، وجاوا بالبطرك الى دار الاميـر الصارم ومعه اسـقفان: انبا يوساب اسقف فوه وانبا بولس اسقف الفيوم فانزلوهم فى طبقـة بجانب دار الاميـر المذكور وكان له صاحب

(*) والى الصناعة: هو والى ترسانة بناء السفن بجزيرة الروضة.

كسـرت العرب، أتيت اليكم، وان كسـرنى العرب، والله لم أرجع الى مصـر ثانيا، وكـان هذا مراده حقيقة.

ثم ان الصناجق حارت فى امرها ومكثوا ثلاثة ايام يتشـفعوا ويأخذوا بخـاطره ولم يرض، وعملوا ثلاث جمعيات، واحدة ببيت عبـد الرحمن آغا، وكـان جركس حاضـرا فى الثلاثة، والثانية فى بيت أمير الحاج، والثالثة فى بيت الدفتدار، ولم يكن اسماعيل بيك حاضرا فاتفق امرهم على انهـم يطلعوا صنجقين وعسكرا، ثم انهم اعرضوا الامر على الوزير فقال لهم: ان كان مرادكم قعادى تعملون جمعية فى بيت اسماعيل بيك امير الحاج وكل شئ اتفق رأيكم عليه يكون، ثم أنهم عملوا جمعية فى بيت اسماعيل بيك يوم الخميس رابع عشر (وحضر الجمعية)[1] البكرى والسادات والقاضى والعلماء وجميع أكابر مصر، الا محمد بيك جركس.

فبعد ما تكلمـوا جميعا قال لهم اسماعيل انتم مرادكم فتح الدرب، ومجئ البن المنهوب، وجميع ما ضـاع، قالوا نعم، قال يكن باكير آغا اغة التفكجية قافله(*) باشا ويطلع صـحبته على بيك وعبـد الرحـمن آغا يطلعون يطردون العرب وجميع ما راح من بن الخواجات على، واحمد بيك يقعد بنهب الصوالحة وأول ما يجئ نهب الصوالحة [من] كل نتفه عدمت، أو بنة من بن التجارة، خودوا منى بدلها رطلا، فرضيت التجار والعسكر.

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.

(*) بالاصل «فاعلاه».

نصرانى يعرف بالنجيب كاتب الصلاح فتحدث مع الامير ونقلهم الى داره واقاموا كذلك من يوم الاحد السادس من الصوم المقدس الى يوم الاربعا من الجمعة السابعة وهو التاسع من برموده(*) من السنة المذكورة [٩٥٦ للشهداء = ١٢٣٩م] فعقد المجلس(*) فى اليوم المذكور واحضر جماعة من وجوه النصارى ممن طلب وفيمن طلب من لم يحضر منهم لقصد ومنهم لشغل وحضر المجلس

(*)٩ برموده = ٤ ابريل.

(*) مجلس محاسبة البطرك ابن لقلق.

وكتب اسماعيل بيك على نفسه حجة بين التجار ذمة ومالا، واحمد بيك الاعسر قعد بنهب الصوالحة، ثم ان اسماعيل بيك التفت الى احمد بيك الاعسر وقال له، أى شئ جاء لاخيك من ضرب الصوالحة ونهبهم، وأتعبنا واتعبك، فقال له أحمد بيك، كله لاجل التشنيع عليك، وهى ما ينفك الا برايك، ثم انهم اخبروا الباشا فرضى والبس باكير اغا، وعبد الرحمن آغا وعلى بيك كل واحد قفطانا، وسافروا يوم السبت ثالث عشرين رجب[1]. وفتحوا الطريق، ومشت الطرق، وجاءت القوافل بتدبير هذا العزيز، ثم انهم بعد ما رجعوا جاءت الاخبار بأن بعدما رجعت التجريدة، نزل سالم بن حبيب على البلاد ونهب وقتل وجاء الى كفر دجوة وقعد هناك بخيله فقط وعرب الجزيرة، والسبب فى ذلك مكتوب محمد بيك جركس، الذى أرسله إلى سالم بأنك تقعد فى كفر دجوة إلى أن أرسل لك فرمان الوزير بالأمان والعمارة، فقعد فى كفر دجوة ينتظر ما أوعده جركس به من ارسال فرمان الامان له.

ثم أن جركس لما أوعد سالم بفرمان الامان، اخبر بذلك أحمد بيك الأعسر، فقال له، هذا أمر لا يمكن الا يرضى أسماعيل بيك لانه هو السبب فى ذلك وبغير رضاه لا يتم . فزاد

(١) بالأصل «سادس عشرين» والصواب ثالث وعشرين، والتصويب من سياق أحداث النص نفسه / ١٠ مايو ١٧٢٢م.

المذكور الامير الصارم نيابة عن السلطان عز نصره والقاضى الفقيه جمال الدين بن البورى الناظر على الدواوين المعمورة بالديار المصرية والقاضى المحى نائب الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة والفقيه شرف الدين السبكى المحتسب بها وهو كان المتكلم فى المجلس واربعة عشر عدلا [شهودا] على ما ذكر من حضر من النفقات من اصحابنا. فتقدم البطرك وعماد وجلسا قدام صدور المجلس، فقالوا: من كان

جركس غيظا وحنقا(١)، على اسماعيل بيك بكلام الأعسر، ثم أن فى ثانى يوم الذى هو خامس عشرين رجب(٢)، ورد آغا من الديار الرومية من طريق البحر، يقال له محمد آغا الطوقطلى، الذى كان جاء سابقا لأجل أخذ رأس على باشا. وآخذ مال اسماعيل بيك وخيله، وسافر إلى الديار الرومية.

فلما ورد إلى مصر هذه المرة طلع إلى الديوان يوم السبت وأعطى الوزير كيسا فيه خطوط وصورة صندوق، ففهم الوزير المراد فأرسل الى كتخدا الجاوشية وأمره أن يرسل ينبه على الصناجق وأرباب الديوان يحضروا فى غد الى قراميدان لقراءة خط شريف، ثم أن فى ثانى يوم الذى هو سادس عشرين رجب(٣)، نزل الى قراميدان بالنقرزان خلفه، واجتمع جميع الصناجق والاغوات حتى العوام، وجاء الاغا والخطوط بين يديه. والصندوق شايله آغا من اتباعه. فأخذ الباشا الخطوط وأعطاها الى الأفندى، فقرا أول خط، فاذا هو بالعفو لاسماعيل بيك [وتلبيسه] كرك سمور سواده يأخذ بالبصر على جوخ زهر الخوخ، فأخرجه الاغا من الصندوق، وأفرغه على ظهر اسماعيل بيك، فلما لبسه أسماعيل وإذا بمحمد بيك جركس انقلب وجهه حتى صار كالقطنة البيضا، والثانى بالدفتدارية إلى مملوكه اسماعيل بيك جرجة. وهذا أمر لم اتفق قبل الآن أن خطا قرء، بقرا ميدان، ولم أرسلت السلطنة الى أحد من

---

(١) بالاصل «حمقاه».

(٢) ١٢ مايون ١٧٢٢م.

(٣) ١٣ مايو ١٧٢٢م.

له قول او دعوى يدعى بها على صاحبه فليقل . فتقدم عماد وقال ادعى على هذا داود بانه اعطى الرشا على التقدمه واخذها على من قدمه من رتب الكهنوت وهو خارج عن شرعنا. فقالوا للبطرك: ما تقول. قال: ما اخذت. قال عماد: ولا امرت من اخذ لك. قال: ولا امرت من اخذ لى. قالوا: فمن لك يشهد بالاخذ يقولون لعماد قال: هذان الاسقفان : فقالا: ما نشهد بشئ ولا راينا شيئاً.

صناجق مصر كركا، الا هذا الكرك الذى جاء إلى اسماعيل بيك، وان الخط الذى بالعفو فيه دعاء من السلطان إلى اسماعيل بيك.

ونزل اسماعيل بيك إلى منزله والناس امامه وخلفه لاتعد ولا تحصى وشألته الناس بالدعاء ، من قرأ ميدان الى ان دخل بيته ودقت النوبة، وفرحت المحبون، وانغمت المبغضون، والاعسر دفتدار مصر يهنيه بالسلامة، ويهنى اسماعيل بيك بالدفتدارية، وجركس لم ينزل معه، بل نزل إلى بيته، حتى أن العوام قالت أن السلطان عفى عن اسماعيل بيك، وأرسل له طوق ذهب وزنه خمسة أرطال، فيقول الآخر له، لا يا اخى أنا رأيته بعينى يجئ ألف شريف. وكثر الهرج وهذا يقول يا سيدى انه صار عتيق السلطان، وهذا يقول كذا، وهذا يقول كذا، وبات الناس فى تلك الليلة فى حديث اسماعيل بيك.

ومن جملة المبالغة أن رجلا من المعرفين لا سماعيل بيك، حلف بالطلاق أنه راح بيت اسماعيل بيك وأراه وهو قاعد والطوق الذهب فى رقبته. فلما فرغ الناس من التهنية عن(*) له الطلوع الى الديوان.

فلما كان يوم الخميس ثامن عشرين رجب(**). طلع الى الديوان، واجتمع بحضرة الوزير، وهناه بالسلامة، وأخبره بأن السلطان قتل بسبب الشفاعة ثلاثة الى يوم من بعض الأيام دخل

(*) بالأصل «عز».

(**) ١٤ مايو ١٧٢٢م.

لانهما الاخرين ممن كان دفع الرشوة عند تقدمته
لانه لم يكن فيمن تقدم من هولاء الاساقفة كلهم
الذين قدموا فى زمان هذا البطرك من لم يعط
رشوه سوى اثنان وهو مطران دمياط واسقف
الخندق لا غير والباقون جميعهم اعطوا معجلا
وموجلا وكتبوا خطوطهم بالمؤجل حتى خرجوا الى
كراسيهم حيوه وستروه، وكانت رشوتهم من مائتى
دينار وهو الاكثر الى خمسين دينارا وهو الاقل

الوزير على السلطان،. وكان القطردار واقفا بين يديه، والملك فى غاية الحظ، فأجرى الاغا مذاكرة اسماعيل بيك، فتقدم الوزير وقبل أتك[1] الملك وقال: مولانا السلطان، عبدك اسماعيل من يوم جاءك العرض من مصر يطلب العفو له، ولم أرسلتوا له خط شريف بالأمان والعفو عنه لاجل ما يطمين ، ويلتفت الى خدمة السلطان.

ولم يكن فى نظير العفو ألف كيس ثمن ملح للمطبخ، فقال عفوت عنه، لأجل خاطركم، أنتم الاثنين، ثم أن بشير آغا القطردار باس الارض، وأورد الف كيس فى الحال ، وأمر الوزير ابراهيم باشا أن يكتب الخط، ورسم له بكرك يرسله له، ففى الحال كتب فرمان العفو وقدمه الى الملك ، فكتب عليه وأرسله له، وسلمه الكرك فى الصندوق وارسله اليك والحمد لله على سلامتك، وهذا [ما] نقل الباشا لاسماعيل بيك واسماعيل بيك أخبر به والله أعلم.

ثم أن الباشا عزل على آغا الزعفرانى من أغوية المتفرقة وولاه كتخدا الجاوشية وعمل حسن آغا أباظة أغة المتفرقة، وولى سليمان آغا أبو دفية واليا.وعزل أحمد أغا أفندى روزنامجى، وولى محله عبدالله أفندى، الذى كان نزلت عليه الضلمة. يوم موت الجزار، كل هذا برأى اسماعيل بيك، وورد ركاب قاضى مصر ابراهيم أفندى زاده.

وسافر قاضى مصر كتخدا زاده، فلما علم سالم بن حبيب بما حصل لاسماعيل بيك من

(١) الأتك ، يعنى ذيل القفطان.

وذلك خارج عما يدفع لابن اخى البطرك وهو
حمله لها حسد وعن الهدايا من المتاع والدواب
وغير ذلك من الاصناف المخصوصة بصقع صقع.
فقيل لعماد: من لك يشهد غير هذين. فقال:
هولآء قسوس المعلقة. فاستدعى القس ابو المكارم
لانه الكبير كان طقساً وسناً فقام فقيل له: تشهد.
فتلكا واخر الامر قال: اخذ للضرورة وخجل .
فقيل[له:] اقعد. فقعد واستدعى المكنا [المدعو]

العز لم يلتفت إلى قول جركس له، أقعد فى كفر دجوة الى أن أرسل فرمان الأمان، والعمارة لك فى دجوة، بل رحل من يومه، ولم يلتفت الى قول جركس.

وفى يوم الاحد غرة شعبان، عزل عبد الرحمن آغا من آغاوية الجملية، ولبس قفطان الصنجقية.

وفى ذلك اليوم، عمل كتخدا اسماعيل بيك آغاة الجملية، الذى هو عبدالله الشامى. ثم أن الباشا أبرز خطا شريفا فى الديوان بماتين كيس، خمسة وثمانين كيس على أحمد بيك(١) الاعسر، وعلى أحمد أفندى بيك لرجب باشا، ونزل على الاثنين أغوات وجاوشية معينين لتحصيل المبلغ، وعين الباشا عشرة أغاوات على محمد بيك بن ابراهيم بيك الى جرجة لتحصيل ما عليه من المال والغلال.

وان يوم الاحد ثان شعبان، طلع اسماعيل بيك الى الديوان ودخل عند الباشا وقعد هو واياه قدر ساعتين.

ثم أن الباشا أرسل الى آغة القابجية المعين من طرف السلطنة، ومحمد آغا الطوقاطلى، وأرسلهم الى محمد بيك جركس، وعين صحبتهم على آغا الزعفرانى كتخدا الجاوشية وآغة المتفرقة حسن آغا أباظة بفرمان لتحصيل أربعماية كيس، مايتين كيس بقية ثمن البلاد، ومايتين

(١) بالأصل «باى».

بصندوق العلم القس ابو المعالى بن السنى رفيقه فشهد وقال: ا شهد ان هذا البطرك اعطى الرشا على الكهنوت واخذها لنفسه ممن قدمه. ثم قعد ، ثم بدأوا براهب يعرف بانبا ميخاييل وكان قبل رهبنته يعرف بفخر الدوله مرجا وهو كان مساكن هذا البطرك مدة ثلثة عشر سنة، فقام فقالوا: بماذا تشهد. فقال: اشهد ان هذا البطرك اخذ الرشى على الشرطونيه واعطاها . فقال البطرك هذا راهب

كيس التى عملها لمولانا السلطان لأجل العفو الذى جاء له قبل تاريخه، فهلبت من تحصيل هذا القدر والا الحبس.

فلما ورد على جركس هذا الخبر، قال جركس، أما فلوس ما عندى، وأن كان الوزير يأخذ بلاد أعطيه بلادا بالاربعماية كيس، والا البلاد عنده فى الدفاتر تباع بقدر الذى له لأى شخص كان، فقال له الجماعة المعينون، الباشا لا يأخذ بلادا ولا يبيع بلادا، ومهلة الشرع ثلاثة أيام، أما الفلوس وأما الحبس، هكذا أمر الوزير، وتوجهوا من عنده ثم أنهم اعرضوا الأمر على الوزير وعلى اسماعيل بيك [فارسلوا] من الديوان بخلق قدامه وخلفه لا تعد ولا تحصى، سبحان مفنى الامم، والرجال والنساء قاعدين على افواه السكك التى يمز عليها يتفرجون عليه فى الطلوع الى الديوان وفى حال النزول، وهم يدعون له.

وأما سبب تحرك السلطنة على جركس، فأنا أخبرنا أنه كان أعرض سابقا من جهة العفو له، وعمل هذا القدر الذى هو أربعماية كيس، منها تحت العفو ماتين، والباقى ثمن البلاد الذى اشتراها من الديوان، فجاءه العفو الذى تقدم ذكره.

ثم بعد أن حصل له العفو وأطمأن، وأرسل من طرفه رجلا سراجا، يقال له محمد الصيفى باش سراجينه بمكاتيب الى الوزير والى القطردار بشير آغا، بأن يتشفعوا له عند السلطنة، بأن المايتى كيس بطلب العفو يقسطوها على أربع سنين، والمايتان اللتان من جهة البلاد يرسل

مجرد ما يقبل قوله علي. وقد كان البطرك لما استدعى القسوس للشهادة عليه قال: ما يقبل قولهم عليّ. قيل له: فهم عدول. قال: عدول الا عليّ لان البطرك لا يقبل فيه الا قول الاساقفة. قالوا: اكتب لانهم كلما جرى شي سطروه على نصه. فكتبوا كلما جرى. ثم بعد ذلك قال الحكام للبطرك: فان شهد عليك الاساقفة. قال: ان شهد على اسقفان اني اخذت رشوة على من قدمته فى

صحبة الخزينة، فتحور الوزير والقطردار. وعينوا المعينين، وما فعله جركس من ذلك جاء نفع لاسماعيل بيك وضرر على جركس، ثم ان جركس لما عين الباشا عليه هؤلاء المعينين عرف أنها من أسماعيل بيك. فأرسل إلى باب مستحفظان يشكو حاله لهم، ويستعين بهم، وجعل لهم أكياسا على ذلك، فأرسلوا يقولون له الذى تعطيه لنا أعطيه الى السلطنة العلية، وان السلطنة لم تفت شيئا من الذى عملته لها، هل رأيت أحدا يخاصم سيده، وان كان مرادك شئ ها أنت وخصمك فى خارج البلد، وأما نحن لا نقارش أحدا منكم ولا أحد منا يتكلم فى هذه القضية، لما تقدم فى الخط المتقدم من الكلام الغليظ والعتب والمنة علينا، ونحن عسكر السلطان، ما نحن عسكرك، ولا عسكر اسماعيل بيك.

فلما وصله الخبر من باب مستحفظان علم ان يده خلت منهم، فسكت، وفى يومها نزل آغة الانكشارية ينادى فى البلد، أن لا يخرج [أحد] بعد العشاء ولا قبل الآذان، وكل من قبضته رميت عنقه، فامتنع الناس من زيارة الأولياء. ثم أن جركس لما رأى عدم النجدة من الانكشارية أو فى الباشا ما عليه من الأكياس المطلوبة، ولم يبق عليه لطرف السلطنة شئ من مال العفو وثمن البلاد، وأخذ فرمان الغلاق.

وفى ثالث شعبان [1]. ورد آغا بخط شريف بطلب خمسماية عسكرى معينين الى بلاد

---

(١) ١٩ مايو ١٧٢٢م.

رتبة من رتب الكهنوت او امرت من اخذها كنت مقطوعاً من كهنوتي. فقال الراهب [عماد] تحلف. فقال البطرك: انا ما يمكنني انا احلف لان البطاركة اذا حلفوا سقطوا من رتبتهم . قالوا له: فان ادعى عليك مدع بما ليس عندك كنت تقر ولا تحلف. قال: كنت اما اخسر واما احبس ولا احلف. فتقررت القاعدة على انه لا يحلف بحال من الاحوال، قال فيقسم بنعمة السلطان خلد الله

الحجاز، يجلسوا يحيى الشريف شريفا بمكة المشرفة، شرفها الله تعالى، وتقدم أن يحيى الشريف توجه الى القدس، فجاءته الشرافة الى القدس، فتوجه الى مكة من طريق الشام، وأرسل الخط يطلب العسكر الي مكة تجلس يحيى، فبمجرد ورود الاغا، البس الباشا قفطان السفر الى أحمد بيك المسلمانى يوم خامس عشر شعبان سنة ١١٣٤ [(١)] ثم أن البلكات اجتمعوا على أنهم يجعلوا سدارهم خلاف سدارية الخمسماية الجداوية ثم أنه اجتمع رأيهم أن يجعلوهم ويلحقوهم بالجداوية، وأن يكونوا صحبة الحاج الشريف على المعتاد، وكان الأمر كذلك.

وفى سبع وعشرين من شعبان [(٢)]. ألبس الباشا الى على آغا الأصفر قفطان السنجقية وعثمان آغا قفطان القبطانية، وعمر آغا الذى كان كتخدا الجاوشية تابع ابراهيم بيك أبو شنب قافلا باشا.

وفى يوم الجمعة غرة القعدة سنة ١١٣٤ [(٣)]، توفى على آغا الزعفرانى كتخدا الجاوشية.

وفى ثالث القعدة البس الباشا عمر كتخدا البرلى كتخدا، لوجاق الجاوشية [(٤)]، ولقب بالالفى، لأن علقته، كان الفا، فهربت جميع المعاكيس. ثم انه كان واحد من الانفار يقال له قدرى، وكان إذا مر راكبا حماره يضرب الناس قدامه بالنبوت، وهو لم يقل لاحد ظهرك أبدا،

(١) ١٠ يونية ١٧٢٢م. (٢) ١٢ يونية ١٧٢٢م. (٣) ١٣ أغسطس ١٧٢٢م.

(٤) بالأصل «على كتخد الوجاق الجاويشية»، والتصويب من سياق النص ليستقيم المعنى.

ملكه انه ان شهد عليك اسقفان بانه اخذ رشوة على تقدمة او اذن لمن اخذها كان مقطوعاً من كهنوته. فسطروا ذلك. ثم قال الحكام لعماد: هل من دعوى اخرى. قال: نعم هذا داود قدم على القدس وبلاد الافرنج مطرانا اخرج القبط عن اعتقاداتهم ومنعهم من الختان وزيجة القرايب وصارت كتب الافرنج تاتى اليه وكتبه تمضى اليهم وهذا لم تجرى به عادة. فقال البطرك انا ما قدمته

وانما يرفس الرجل برجله فى ظهره أو فى صدره، وكان سانيكى، فضربه الالفى ونفاه. ومن يومها لم يفلح. ونفى كثيرا منهم بعد الضرب المذكور. ومسك البلد بعد ما كانت كل يوم يقع فيها القتل الكثير. وكان قدرى هذا من أكبر انفار رجب كتخدا بوشناق، جزاه الله خيرا، وغفر له ما أسلفه.

وفى ثامن القعدة سنة ١١٣٤ (١)، قامت الرعية من جهة الفضة المقاصيص، فنزل المنادى، ونادى فى البلد بابطال المقاصيص، وكان كذلك. ومما أراد الله ان البحر توقف خمسة أيام عن الزيادة ثم، خس قدر ذراع. فهاجت البلد، وغلت الحنطة، وجميع الحبوب غلت وبيعت الحنطة بخمسة وثمانين فضة نصف، من بعد ما كانت باربعين، وحولت الناس، فحما كثيرا لا يحيط ولا يسعه عقل بالماية اردب، وكرى كل أردب خمسة أنصاف، والذى لم يجد تراسا يضع القمح على(٢) البر وينام عليه، الى اليوم الثانى. وصار البحر يزيد يوما وينقص يوما. فهاجت الناس حين وصل الأردب أربعة قروش وأخبرنى رجل من الامنا يقال له الشيخ عبد الشافى، بأن الخزانين حوالوا من الساحل فى ثلاثة أيام، اثنين وثمانين الف أردب قمح، فى ماية وعشرين [رقعه]. ثم أنه لما طلع الى ماية وثمانين قامت الرعية وضربت الصناجق وهم طالعين الى الديوان. وجاء حجر فى ركبة اسماعيل بيك، فهرب الى باب العزب، والا كان هلك. ثم

(٥٨) ٢٠ أغسطس ١٧٢٢م.

(٥٩) بالاصل كلمة «الارض» وفوقها شطب.

الا على غزه لا غير فان كان قد تعدى الى غيرها فما امرته بذلك. فقيل له فهل فعل هذا من تقدمك. قال لهم: هناك قسوس. قال عماد: كانت القسوس لما كان القدس بيد المسلمين وانت عملت هذا مطرانا والقدس بيد ا لافرنج والمطران غير القسوس وها هنا من يشهد بان هذا المطران تجول الى بلاد الافرنجيه بامرك وقد صار اعتقاده اعتقادهم. فقالوا من هو. فاستدعى القس الراهب

أن العزب حموه بالبندق، ثم أن الرعية طلعت الى الديوان، وشكت حالها الى الوزير، فسعر القمح بسبعين، والشعير بخمسة وثلاثين. ونزل آغا مستحفظان نادى فى بولاق، ثم أن الرعية نهبت جميع الرقع التى فى البلد فامتنع الجالب، وصار القمح لا يوجد، وباتت الناس تلك الليلة بالجوع. ثم أنهم أطلقوا القيد، وقالوا السعر سعر الله، فتواجدت الاشياء، ثم أنهم نادوا على عدم الملو من الخليج ولم يمكث الخليج الا خمسة وستين يوما. وحكم تاريخها، وعام المدة بالسنابك يقدم. وكانت سنة ضيقة الحال، وتعبت فيها الفقراء.

وفى غرة الحجة [1]. وقعت فتنة فى باب العزب، وهو ان اليمق، والثالث وجملة من النفر، ذهبوا الى باب الانكشارية، فلم يقبلوهم، فتوجهوا إلى باب المتفرقة، فلم يقبلوهم.

ثم أنهم ذهبوا الى بيت مصطفى كتخدا باش اختيار متحفظان، فأخذهم وطلع بهم الى الباب، وقام على عمر كتخدا البرلى، الذى [2] لم يقبلهم ثم انه قبلهم وأخذوا عرضهم.

وفى ثالث الحجة [3]. طلع ابراهيم جريجى عزبان، الذى كان باش أوضباشية الى باب مستحفظان، وطلب منهم أنه يقبلوه، عندهم، ويأخذوا له عرضة من باب العزب الى وجاق المتفرقة، ودخل فى عرضهم، فافترق الوجاق فرقتين ، فرقة منهم قالوا هذا وجاق السلطان، ودايم الوجاق، يجبر الخايف. وفرقة قالت هذا رجل فتنة، لم نقبله، فالذين قالوا هذه وجاق

(١) ١٢ سبتمبر ١٧٢٢م. (٢) بالأصل «كان» مشطوبة. (٣) ١٤ سبتمبر ١٧٢٢م.

غبريال بن القس مكارم بن كليل فقام وشهد بانه
فارقه بعكا. فسطروا ذلك. ثم قيل: هل من دعوى
اخرى: فقام عماد وقال نعم اخذ رجلا مسلماً
يعرف بابى الفخر القلا لانه كان يبيع القلى الذى
يبيض به الكتان وقربه [ناوله القربان] فانكر
البطرك، وكان فى الجماعة من يشهد [بذلك]
واستمسك فمسك ولم يشهد عليه احد بهذه،
فكتبوا ذلك جميعه على انهم يوقفون عليه

السلطان، من طرف جركس، وهم باكير والشاطر وبقية الوجاق، والذين لم يقبلوه من طرف اسماعيل بيك، وهم : محمد اًغا بن الدالى، وأحمد آغا بن عبدالرحمن بيك والقاشقجى. ثم ان الذين من طرف جركس، تغلبوا على الذين من طرف اسماعيل بيك، وملكوا الباب، فهرب محمد آغا بن الدالى الى الجملية، واحمد جلبى بن السيد عبدالرحمن بيك كرنكوا فى الباب وقبلوا ابراهيم أفندى وأخذوا عرضه من العزب. وأما العزب ما كان مرادهم قتله، بل كان مرادهم يجعلوه سردارا فى جرجة .

وفى هذا التاريخ، ورد آغا من الديار الرومية، صحبته خط شريف، يطلب خمسة وثمانين كيسا على محمد بيك بن ابراهيم أبو شنب، التى لرجب باشا، فقالت الجماعة سمعا وطاعة، ونزلت العسكر من منازلها. ثم فى ثانى ديوان أمر الوزير عبدالله أفندى الرزنمجى، أن يخرج قايمة [بلدة] الطرانة من الرزنامه، فأنزلها الى المزاد فلما رأت العسكر الطرانة فى المزاد، دخلوا جميعا الى الباشا، وقالوا له مولانا الوزير! الرجل المطلوب منه القدر المعين فى الخط الشريف، لم يكن هذا البلد، وانه فى جرجة، وأن الرجل مسافر الى اسلامبول بالخزينة، وانه عن قريب يكن هنا، لأنه فى البحر، وزيادة على ذلك، ان هذا القدر المعين فى الخط، دخل جهة على باشا، وقعد به رجب باشا، وأخذ به محمد بيك حجة من شيخ الاسلام، محمد أفندى كتخدا زاده، على رجب باشا بوصوله، وأن قولنا ما فيه خلاف، وفى غد يأتى وأعرض عليه الخط،

السلطان ويستخرجون امره بما يعتمدونه فيه. وجرى ذكر اوقاف الكنايس وانه يتسلم ريعها ولا يوصل ارباب الوقف الى شئ منها وزاد الحديث فيها ونقص. وكتب الفصل الاخر وانفض المجلس والمسلمون غير شاكرين للنصارى ولا لمقدمهم. اما مقدمهم فكيف لم يكن عنده رياضه الى ان يسوس عقولهم ويولف قلوبهم له، واما النصارى فكيف وصلوا مع مقدمهم الى هذا الحد، واما

وانظر جوابه، فلما سمع الوزير هذا القول رفع البيع عن البلد، فما مضى الامدة يسيرة، الا ومحمد بيك ورد من جرجة، فأعرض عليه الخط، فأبرز له الحجة، ثم أن الباشا أرسل رد جواب محمد بيك الى الاعتاب العلية، وصورة الحجة، وألبسه قفطان على الخزينة، في تاسع الحجة ختام سنة ١١٣٤[١]. وفي يومه توفي شيخ الحقيقة، شيخ الاسلام، الشيخ أحمد الطشطوشي الشافعي، وكان له علينا مشيخة، أمطر الله عليه سحايب الرحمة والرضوان، وأسكنه أفسح الجنان، بمنه وكرمه. وفي يوم الأربع، ثالث المحرم الحرام سنة ١١٣٥ [٢]، جرت نكتة، وهو أن الوزير أرسل طلب عابدى أفندى كتخداه، الذى جاء من اسلامبول بمكتوب الوزير صورة شفاعة، أن يجعله كتخداه، وعزل كتخداه خليل كتخدا، فلما جاءه لم يكلمه ولا كلمة واحدة بل أمر الجلاد برمى عنقه، بل أرمى عنقه، ولفه في بشت أسود، وأرماه في الجب من غير تغسيل وتكفين. ثم أنه ختم على بيته وجميع مخلفاته، وضبط الجميع، فقطع ذلك ستين كيسا، وأخذ أولاده وعياله وخدمه، وأرسل الجميع الى السلطنة العلية، صحبة آغة من أغواته. وأرسل احضر ابراهيم آغا أغة الرسالة، وجعله كتخدا، وكان ابراهيم آغة المذكور، رجلا عاقلا حليما، وأما عابدى فكان بخلاف ذلك.

(١) ٢٠ سبتمبر ١٧٢٢م / كتب عنوان جانبي «اعرف وفاة الشيخ أحمد الطشطوشي الشافعي».
(٢) ١٤ اكتوبر ١٧٢٢م.

العقلا من النصارى فما رضوا بهذا المجلس ولا استحسنوا ما جرى فيه وقالوا كان من الواجب ان يجتمع الاساقفة والاراخنة ويجتمعون بالبطرك ويعزلوه فيما بينهم على كل ما يكرهونه منه مما يخالف شريعتهم وينافى احكامهم فان رجع عن ذلك فهو المقصود وان اصر عليه كان لهم ان لا يتبعوه ولا يذكروه فى قداساتهم بحيث يتفق على ذلك جمهورهم وجلتهم. وبعد ذلك انقطع

ولنذكر سبب قتله لتمام الفايدة، وما ذلك الا أن الباشا جاءه عرض من سكندرية عليه خطوط العلماء وأعيان البلد، ومكتوب بخط عابدى أفندى كتخداه بختمه، وختم أربعة من أعيان البلد، هم جركس، ورجب كتخدا، ومحمد بيك أبن ابراهيم ومصطفى كتخدا باش اختيار، وأرسلوا ذلك صحبة رجل من طرفهم، الى اسماعيل بيك، فأوصله اسماعيل بيك الى الوزير بجملة من القمح، والرز، والبن، لجماعة من تجار الفرنج، مع وقوع التحريج فى عدم أرسال شئ من هذه الاشياء الثلاثة لكون وقوع الغلا بمصر كان هذا السبب الظاهر. وأما السبب الباطنى فهو غير ذلك. وهو الذى الجا الباشا لقتله، وما ذاك الا أن الباشا، أرسل الى كتخداه، الذى بالديار الرومية، أن ياخذ له منصب مصر فى مثل هذه السنة، وان يحط عوايد المنصب كما جرت به العادة، وهى ثمانماية كيس كشوفية المنصب، وأرسل له كتخدا الباشا طلبه، فلما حضر عنده، أعطاه كيسا فيه مكتوب، وقال له: أعط هذا المكتوب الى كتخدا الوزير فى يده . ثم ان الجوخدار توجه للديار الرومية، ومن المعلوم أنه يدخل الى كتخدا الباشا يعطيه المكاتيب الذى أعطاها له سيده، فطلع المكاتيب ليعطيها له، واذا بمكتوب كتخدا الباشا عابدى أفندى بينهم فيناوله الجوخدار ليأخذه، فقال له ما بالك، تاخذ هذا المكتوب، فقال له: هذا لم يكن مكتوب الباشا، وانما هو مكتوب كتخداه عابدى أفندى، وأمرنى أن أعطيه الى كتخدا الوزير فى يده، فأخذه منه، فأعطاه له، لانه لا يسعه مخالفته، ففكه وقراه لأمر يريده الله، فاذا فيه المذمة والشكاية فى حق الباشا، وعدم التفاته، وأنكم أرسلتمونا لنكون عليه أمنا

الحديث ولم يظهر لذلك المسطور اثر ولا وقف له
على خبر ورفع الترسم عن البطرك واصحابه،
ويقال انه غرم فى هذه النوبة ثلثماية دينار. فاما
عماد فانه لما راى انه لم ينعمل له شئ خرج من
ساعته من دار الامير الصارم ولحق البطرك الى
المواضع الذى كان فيه ولازمه وما كان جرى منه
شئ. وكان البطرك قد سير الى الاساقفة بان
يحضروا لعقد المجلس معتقدا انه يتاخر الى ان

وأنا نخبركم بجميع ما يقع، وها أنا قد أخبرتكم، ونسب اليه كل كريهة. فلما قراه كتخدا الباشا، غاب عن الصواب.

ثم أن الجوخدار طلب المكتوب، فأعرضه عليه، وقال له، لو أظهرت هذا المكتوب لراحت رأسي، ورأسك، ورأس الباشا، ولكن الحمد لله، الذى لم يقع فى يده الوزير. ثم أنه توجه الى الوزير، وتمم قضية المنصب، وكتب مكاتيب الى سيده باشة مصر، محمد باشا، وأرسل المكتوب فى وسط المكاتيب صحبة الجوخدار فأخذهم الجوخدار وسافر الى مصر، وأوصلهم الى الباشا، فلما قراه غاب عن الصواب، ثم أنه أرسل طلب عابدى أفندى كتخداه فى الحال، فلما حضر بين يديه قال له، هل أرسلت شيئا من المكاتيب الى الوزير، فقال لا وحلف وغلظ الايمان، فأعرض عليه المكتوب، وقال له هذا ما هو خطك، وختمك. ثم أنه أمر بقتله، فقتل كما تقدم، وارسل جميع ماله ومخلفاته وأولاده الى الديار الرومية، وكتب مكاتيب وصورة العرض الذى جاء من الاسكندرية، وأبى أن يرسل العرض لكون ختوم الأربعة فيه من أهالى مصر، ولم يعاتبهم بما فعلوا من مطاوعتهم لكتخداه [1]، وجعل الذنب لكتخداه، وهذا هو السبب الباطن والله أعلم، فلما شاع فى القاهرة، أن الباشا قتل كتخداه، وسببه أرسال الغلال الى بلاد الافرنج، امتنعت التجار من هذا الأمر، وحصل فى الغلة عدم التفات، وكان

(١) بالأصل «مطاعتهم لتخداه».

يحضروا فوصلوا الى قليوب بعد المجلس فى يوم سبت العازر (*) وكتب البطرك اليهم بان يرجعوا الى كراسيهم وان الله قد اغنى عن ازعاجهم وان الدايرة كانت على من عانده ووافقه. فرجعوا لان طلبهم ما كان الا من جهته لا غير وكان فيهم على ما ذكر من يريد ان يشهد عليه باخذ الرشى وانما ما وجدوا سبيلا ولا صادقوا محلا وبقى البطرك لا هو طيب مع الجماعة ولا هم طيبون معه

(*) سبت العازر : هو السبت السابق ليوم الاحد والذى يعتقد فيه ان العازر قد عاد إلى الحياه.

قتل الكتخدا فك طلسم الغلا، فنزلت الغلة لنفسها، الى أن بيع القمح بثمانين الى ماية، والفول بستين الى خمسة وستين، وكان قتله سبب ذلك.

ثم أن فى يوم الخميس خامس محرم، حصل أن بعض جماعة من المتكلمين فى باب مستحفظان، ودبروا أمرا فيما بينهم، على نفى جماعة من الاوجاق، ففسد منهم الشغل، فخافوا على أنفسهم، فذهبوا الى باب العزب، فمن جملتهم، ابراهيم افندى، كاتب كبير مستحفظان سابقا، ومحمد جريجى تابع مصطفى كتخدا بأبو شنجى أو غلى، وبعض جماعة. ثم ان اختيارية باب مستحفظان توجهوا الى بيت أسماعيل بيك، أمير، الحاج، و أرسل(١) اسماعيل بيك أحضر الجماعة الذين راحوا باب العزب، وأصلح بينهم وبين أهل الاوجاق، وأمر اختيارية الانكشارية، أن يجعلوا ابراهيم أفندى كاتب كبير، وأن يعطوه الجوالى، فكان كذلك، وأضافوا له جمرك بولاق، ورجعوه الى الباب.

ثم أنهم فتشوا على من كان سبب هذه الفتنة، فراوا الفتنة، من أيواظ أوضباشية باش الاوضباشية، فعزلوه، وولوا ابراهيم أوضباشا باشى، فلما تولى ابراهيم أوضباشا، خاف ايواظ أوضباشا على نفسه، فراح العزب فى أثنى عشر محرم سنة ١١٣٥(٢).

وفى خامس عشر، ورد آغا من الديار الرومية بمقرر الباشا، من طرف البحر وصحبته،

(١) بالاصل «الى» مشطوبة.

(٢) ٢٣ اكتوبر ١٧٢٢م.

لا ظاهراً ولا باطناً. ثم ان البطرك مضى فى عيد الزيتونه (*) الى كنيسة بوجرج الحمرا وكان مقيما به شيخ ارخن يعرف بالصنيعة اخى السنى وهو مستوفى ديوان الخرانه المعمورة الذى الدواوين كلها راجعة اليه، وكان قصد البطرك اصلاح قلبه لانه كان رجلا عالماً عاقلا نافذ الكلمة خالياً من الهوى فبات عنده ليلة الزيتونه وكتب له خطه بان يسلم الاوقاف التى للكنايس لرجل جيد ممن تختاره

(*) عيد الزيتونه: هو حد السعف.

رضوان آغا، الذى كان هرب صحبة أيوب بيك سنة ١١٣٣ (١). ولكن تخلف فى اسكندرية لأمر حصل له، وهو أن زوجته حصل لها مرض من اختلاف الارياح والبحر. وكانت ربت المحاظى اللواتى كن لعثمان أوغلى نصوح باشا باشت الشام، وأمير حجهم الذى شاع ذكره فى الخافقين من شجاعته وتدبيره، ومن جملة تدبيره، أنه قتل كليب، الذى هو مثال ين الناس، يقولون: أنت جبت راس كليب. وملك قلعة الكرك، التى لم يملكها ملك ولا سلطان بعد الناصر بن قلاوون(٢) وفتح درب الحجاز، الذى كان قفل ، ففتحه بقايم سيفه.

من جملة ما عمل لهم، حلوى فى علب، نحو اثنى عشر ألف علبة، كل علبة نصف رطل، مسمومة بالسم الخارق، وأرسلها صحبة شرذمة من عسكره، على حكم التجريدة، وكان العرب مجتمعين لنهب الحج الشريف، فلما رأوا هذه القافلة، نهبوها عن بكرة أبيها، فهربت الرجال، فما أحد من العرب تبعهم، ففتحوا الحمل، فراوا حلوى فى علب، فنزلوا عليها بالأكل فمات أكثرهم، والذى لم يمت من الحلوى، ادركه عثمان أوغلى فعجل عليه بالموت، فخلت منهم الديار وقدر العرب الذى هلكت اثنان وثلاثون ألفا. وكانت هذه الحيلة، سببا لهلاكهم، وأيضا عمل اثنى عشر الف بلطة، اعطى كل رجل من عسكره بلطة، وسار نحو

(١) ١٧٢٠ / ١٧٢١م.
(٢) بالاصل «قلون» ، كتب عنوان جانبى «اعرف اخبار نصوح باشا بالشام».

الجماعة فان ريعها يصرف اولا فى مرمتها ثم مرمة الكنايس ووقودها وقرابينها، ومهما فضل فرق على المساكين، وليس له فى ذلك الا النظر لا غير، ولا يتسلم منه درهما وانه يقيم على مصر اسقفاً وكذلك على الخندق وكذلك ساير الكراسى الخالية ممن ترتضيه الجماعة ويشهد بصلاحته، وانه يقيم بمصر معلماً وبالقاهرة معلماً ليعلم الناس ما يشذ عنهم ويفسر لهم ما يشكل عليهم ويحرر

بلاد الدروز، ثم أنه أمر العسكر بأن يقطعوا أشجار التوت، التى كل توتة تجى على احضان رجلين. وجمع مالهم وأخذهم وبيعهم من هذا التوت، لأنهم يأخذون أوراقه الى دود القز، فمكث خمسة ايام يقطع فى شجر التوت باثنى عشر الف بلطة، حتى أنه أفقرهم و أذعنوا للطاعة وصاروا اذل من اليهود. ولو ذكرنا جميع مناقبه، لطال علينا الحال، وانما اقتصرنا بهذه، وأنا لم اذكر شيئا من هذا، وانما اقضى التاريخ ذكر هذه النبذة اللطيفة.

ونرجع الى ما كنا نحن فيه من اخبار القاهرة، المعزية، لرضوان آغا وزوجته، التى هى ربت محاظى عثمان آغا أو غلى ، فانه لما قعد فى رشيد، وجاءهم الخبر، أرسلوا له مركبا عظيمة، فنزل فيه، ثم أنه ورد الى بنط بولاق ثامن محرم سنة ١١٣٥(*).

وتوجه له زوج ابنته قاسم بيك الصغير، تابع محمد جركس بيك، وادخلوه بيته بموكب عظيم، وكان اسماعيل فرش له البيت، وخزنه من جميع ما يحتاج اليه حتى البن.

وفى حال وروده الى بولاق، أرسل له جوادا معددا، ولما أتاه البيت ليسلم عليه، أعطاه تقسيط بلد فى الغربية، فايضها ثمانية أكياس، وقد جاء صحبته أربعة خطوط شريفة، فلم يقر منها ولا واحد، لأنها متعلقة بالباشا، وسبب مجئ رضوان آغا أنه (١). قبل مجيئه بثلاثة شهور، ورد مكتوب من ابراهيم باشا الوزير، الى باشت مصر وأعيانها بالشفاعة فى رضوان آغا

(*) ١٩ أكتوبر ١٧٢٢م.

(١) بالأصل «أن».

الكتب والتـفـاسـيـر بحيث انه لا يقف على من
يقـراها منهـا شئ، وانه اى ديراً اراد اربابه ان يكون
تحت نظر اسـقف ذلك الكرسى الذى ذلك الدير
فيه جعل نظره عليه بشرط ان يحمل ديارية الدير
المذكور اليه، واشياء من هذا الجنس كثيرة منها: انه
يجعل معه اسقفين يكونان حاضرين للاحكام
والتصرفات كلها ولا يبت امراً من دونهما. فاخذ
الشيخ الصنيعة الكتاب المذكور وجآء به الى

ورجوعه الى مصر، فقرى بين أعيان الدولة، فأجابوا بالسمع والطاعة. وكتب محمد باشا مكتوبا، واسماعيل بك مكتوبا، وعين الوزير جوخدار من أتباعه بقبول الشفاعة، فهذا كان بسبب مجيئه، والله أعلم.

وفى اثنين وعشرين محرم، توفى محمد آغا بن الجيعان ترجمان الباشا، وتولى بعده روس عثمان آغا.

وفى ثالث عشرينه، ورد نجاب من الحجازية، بمكاتيب مضمونها، دخول يحيى الشريف الى مكة المشرفة، ولم يقابل الشريف عبدالله، شريف مكة، ولا أحدا من حلفاه، لأن مجرد، ما أتاه الخبر، بتولية الشريف، وأنه صحبة الحاج الشامى، توجه الى اليمن، واجتمع بأشراف مكة، ورضوا به شريفا عليهم، لاطاعة السلطان ، ولحظ الشريف الذى صحبته باشت حلب وصحبتهم تسعة آلاف مقاتل وخمسماية صحبة أحمد بيك المسلمانى وأمير الحاج المصرى محمد بيك بن اسماعيل بيك الكبير، والله أعلم.

وفى ثامن صفر، دخل الحاج الى مصر، وعامهم سخا ورخا، ولكن تعلق معهم الفنا الى العقبة، فأهلك خلقا كثيرا، ومن جملة من مات، قاضى مكة، وقاضى المدينة، وباشت الشام، على باشا بن المقتول فى عسفان والله أعلم.

ثم بعد أن جاء الحاج الى مصر، جرت نكتة، وما ذاك الا ان العزب بعد دخول الحاج ارادوا

كنيسة بوسرجه الى الشيخ السنى الراهب لانه كان مقيما بها، فاوقفه عليه وكان معه جماعة من الكهنة والاراخنة فما رضى به. وقال: ان قدم اسقفا على مصر فما تكون كنيسة بوسرجه له واريده ان يكتب نسخة هذا الكتاب. واخرج نسخة كتاب بخط انبا يوحنا ابن ابى غالب المتنيح وفيه شرح الامانة والبركة من المجمع الرابع(*) وفصول كثيرة في امر الختان وتربية الشعر وما يجرى مجرى

(*) المجمع الرابع: وهو الذى عقد في افسوس عام ٤٤٩م.

أن يفيروا الكتخدا المتولى عليهم ويولوا غيره بعد الرجوع من الغيبة [١] فاجتمع رأيهم، على أنهم يولون على جريجى ابن يوسف كتخدا، تابع البليك، صاحب وكالة في سوق السلاح، وقروا معه فاتحة، على ثلاث آلاف زنجرلى فعلم حسن جربجى أبو مدر، مملوك أبيه وزوج والدته، فاجتمع عليهم، وانقدهم الثلاثة آلاف زنجرلى، فألبسوه الكخاوية، وطرحوا ابن سيده، وأصل ذلك انه وقع بينه وبين ابن سيده غم، وقال له فى اثناء الغم، أن لم أبوسك يدى، والا لم أكن شيئا كما تقول. فجرت حركة الكخاوية، فلما أخبر بها، فقال هو في غد يعمل كتخدا وبعد ما يكون يبوس يدى أبقى أنا أبوس يده، لكن أعمل أنت كتخدا [٢] وبوسه يدك، فأنقدهم الثلاثة آلاف زنجرلى وعمل كتخدا.

فلما رأى على جربجى، انهم قدموا مملوك أبيه، وعملوه كتخدا، مع أنه أقدم منه فى الجربجية، وأن الكخاوية كانت له، فقال فى نفسه، هذا مراده، يثبت ما قاله من بوسى يده، ولكن أروح الى وجاق الانكشارية الى أن ينعزل ارجع الى الباب كما كنت، فراح الى الانكشارية، فلما علم اسماعيل بيك أرسل أخذه[٣] من الانكشارية وسأله عن سبب رواحه الى الانكشارية، فأخبره بحقيقة الأمر، فأرسل أخذ عرضه الى الجاوشية، وأنزله آغا، ثم أنه طلع هو واياه الى الباشا، والبسه قفطان أغوية العزب، وأنزله الى باب العزب آغا عليهم، وكان مراد

(١) بالأصل «الغبة».

(٢)، (٣) قدم واخر.

ذلك. فقال الشيخ: الصنيعة يكتب هذا الكتاب
وما فيه شي ردى. قال: واريد ان يكتب بانه
يصرف الرهبان فى المدن والريف وان لا يرجع
يكلل عروساً فى يوم رفاع نينوى. ولا الرفاع
الكبير لاجل دخول الاصوام عليهم، وان يعمر
كنيسة المعلقة ودير بو مقار، واشيا مثل هذه الامور.
فاخذ بها الشيخ الصنيعة نسخه وضمن انه يفعلها

حسن كتخدا، أن يوس يده أبن سيده، فأراد الله أنه هو يوس أتاك ابن سيده يخفى يده الا أتاكه ـ يعنى ذيل قفطانه، ومن الجايز أن نظر السعيد، اذا حل على منحوس أسعده، وبعكسه كذلك، كفانا الله واياكم شر النحوسات، كما قال صاحب الهمزية الامام البوصيرى فى همزيته.

واذا سخر الاله اناسا .. لسعيد فانهم سعدا

ونزل بالاغوية فى ست وعشرين صفر سنة ١١٣٥[1].

وفى غرة ربيع أول[2]، نزل عبدالله بيك الى القليوبية، وخرب [بلدة] طوخ الملق ونهبها، وقتل منها مايتى وآثنين وثلاثين رجلا، وخوزق عشرة أنفار، وهم الامام، والخطيب. والمبلغين، وستة مشايخ البلد، فمكثوا ثلاثة أيام، ثم ان فى اليوم الثالث مر عبدالله بيك على كوم البلد فرأى العشرة وهم مخورقين، فجاء الى الامام وهو على الخازوق وقال له يا مولانا هل المقتولون هؤلاء يغسلون ويكفنون ويدفنون، فقال الامام له نعم، هؤلاء شهداء من أهل الجنة، فقال له: يالله العجب، لما استجار سليمان آغا أبو دفية والغز، الى بلدكم، لما انطرد من سالم أبن حبيب ، مع أنها بلدنا صرتم تمسكوهم وتسلموهم لهذا الفاجر، سالم، يقتلهم، وأفتيت أنت بعدم تغسيلهم وتكفينهم ودفنهم، وان تتركوهم للطير والوحش يأكلوهم، وقلت أنت هؤلاء بغاة،

---

(١) ٦ ديسمبر ١٧٢٢م. (٢) فى١ ديسمبر ١٧٢٢م.

وتوجه. وكان هذا في يوم احد الزيتونه. وبعد ذلك خرج الامر بهدم دار الامير نور الدين بن الامير فخر الدين عثمان التى بدار الدياج(*) وهو مقدم الامرا الذين كانوا نافقوا وراحوا الى الشام الى الملك الصالح اسماعيل فى العام الماضى فشرع فى هدمها في العشر الاوسط من برموده(*) من السنة المذكورة. وهم بهدم دار بن الشيخ الاخرى التى فى

(*) دار الدياج: كانت توجد بحارة زويله وباب الخوخه حيث «دار الوزير يعقوب بن كلس» التى عرفت بعد وفاة يعقوب سنة ٧٠٧ ق. = ٩٩٠م. «بدار الدياج» لأنها صارت برسم استعمال الدياج. ثم صار موضعها المدرسة الصاحبية التى كانت للصاحب صفى الدين ابن شكر وقفها بعد وفاته سنة ٩٢٩ق. = ١٢٣٢م. على اتباع المذهب المالكى. انظر متن المخطوط ص٦٢٥.

(*) العشر الاواسط من برمودا= ٦ ابريل إلى ١٥ أبريل.

فهذا جزاؤك، فقال له الامام : حسبك الله، أما أنا فانى قد رأيت مقامى، وأما أنت فاستعد لوقوفك بين يدى الله سبحانه وتعالى. وانى أنا رايح قدامك، فان كنت تقدر على الهروب فاهرب، أو على عدم المجئ فلا تجئ.

ثم أن عبدالله بيك، أمر المشاعلى أن يعجل عليه، فلحلح الخازوق، فخرج من صدره، فمات رحمة الله عليهم أجمعين.

وسبب ذلك، أنهم لما انطردوا من سالم بن حبيب، واستجاروا بهذه البلد، رموا عليهم بالنار، ومنعوهم من دخولهم البلد، فهذا هو السبب والله أعلم.

ثم أن البلد خربت ، ونادى عبدالله بيك في الاقليم، على أن كل من أجار سالم، وعرب الجزيرة، أو اطلعهم بلده، أو أواهم أو ركب معهم، يجرى عليه حكم ما جرى على هؤلاء، فلما سمع سالم بن حبيب، سافر نحو الصعيد، لعرب يقال لهم المغاربة، الذين كان عندهم سابقا، فلما اخبر اسماعيل بيك بأن سالم راح الى عرب المغاربة [1]، كتب مكاتيب، وأرسلها الى غيطاس بيك الأعور، كاشف جرجة ومنفلوط، هلبت من ركوبك على سالم بن حبيب، وطرده من الصعيد وأن قدرت على قتله فأقتله، فأرسل الى شيخ العرب القبيلة، وكان بينه وبين شيخ العرب صحبة، فأرسل له وأخبره بمكتوب أسماعيل بيك، فقال له على الرأس

(١) كرر لفظ «المغاربة» بالاصل.

درب ملوخيه(*) ولم يفعل ذلك بل ان رخامها وبلاطها قلع وحمل الى القلعة المحروسة. ووصلت فى هذه الايام رسل امير المومنين خليفة العصر المقيم ببغداد بالجامع وتقليده الوزارة للسلطان الملك العادل اعز الله نصره ومعهم رسول السلطان المشار اليه الذى كان سيره الى هناك من مدة. ولبسها السلطان فى يوم الجمعة وكان يوم الصلبوت العظيم الثامن عشر من برموده [١٣

(*) درب ملوخيه: كان يعرف بحارة قائد القواد حسين ابن جوهر. وقد عرف حديثاً باسم حارة قصر الشوك المتفرعة من شارع قصر الشوق بالجمالية. وهى من دروب الفترة الفاطمية.

والعين، لكن لا يصح الا بهمتك، فقال له كيف ما نصنع ؟ فقال أنا أعمل له عزومة عندى ، وتكون أنت حاضر تحت الندهة، ثم أنه خرج من عنده، وتوجه الى المغاربة، وعزم على سالم، فتوجه صحبته الى نجعه، فعمل له عزومة، وذبح له الذبائح، وقدم له التقدمة، واذا بمرسال من عند المغاربة لسالم، وقال الكاشف قد ملك عليك جميع الطرق، بجميع الغز والعساكر وأحاطوا بجميع البلد، فما كان جواب سالم لشيخ عرب القبيلة، الا قوله له، ما هذا شأن مشايخ العرب، يأخذوا الناس بالحيلة. ثم أنه جرد سيفه، وضرب شيخ العرب قصمه نصفين، وركب هو وجماعته فتقاتلوا الى نصف النهار، فولت خيل الكاشف، وقد قتل منهم خمسة وثمانين نفسا، ثم عاد الى البلد، فقتل أولاد شيخ العرب واخوته وأتباعه، ونهب جميع ما فى البلد، وسار الى المغاربة على حمية، ووصل الخبر الى مصر، فلما سمع اسماعيل بيك بما حصل من سالم، فى حق شيخ عرب القبيلة، سكت عن غصصه، ثم أن اسماعيل بيك، قعد يوما من الأيام، واذا برجل منافق من كبراء الدولة، دخل عليه وأسره فى اذنه سرا، فتغير حاله من بعد ما كان فى انبساط ، ثم انه فى الحال أرسل الى على جاويش (كيل) يعنى الأقرع، وقرا مصطفى أوضباشا قريب محمد جاويش جدك، ودخل وأياهم الخلوة قدر ثلاث ساعات من الليل، واتفق المجلس ، وروح كل الى مجلسه. ثم بعد يومين، واذا بكيل على جاويش، أحدث عزومة الى اختيار كتخدا المسلمانى وبعض من اختيارية الأوجاق وجاوشية الاوجاق وحاشية الاوجاق، فهم فى العزومة، وكان عمر كتخدا البرلى نزل الى بيته يوم الجمعة،

إبـريـل] مـن هـذه الـسـنـة [٩٥٦ق. = ١٢٤٠م]
وطلع الى قلعتـه المحـروسـة وكـان يوم مـشـهـوداً
وخـرجت الطوايف كلهـا فـى خـدمـتـه، النصـارى
وبطركــهـم وغـيــرهـم. وفى يوم الاربعــا الثــالـث
والعـشرين من برمـوده [١٨ إبريل] المذكـور ركـب
ولد السلطان المذكور بخلع الخليفـة بولايته العـهد
بعـد ابيـه وكـان طفـلا صـغيـراً مـقدار عـمـره ثلاث

وكانت العزومة يوم السبت غرة ربيع، وكان قرا مصطفى خلى البرلى فى عزومة كيل على، طلع إلى الباب ، فملكه فجاء الخبر الى الجماعة الذين فى بيت كيل على فقاموا ينظروا الخبر، كان لم يكن، معهم خبر، وكان البرلى فى بيته لم يكن عنده علم من ذلك، ومصطفى كتخدا باش اختيارية فى بيته، وكذلك رجب كتخدا فى بيته، فلما دخل عليه الجماعة الذين كانوا فى العزومة، على مصطفى كتخدا باش اختيار قال لهم ما هذا الحال، قالوا له لا نعرف، وكان ابن مصطفى كتخدا الشريف بيت المال، وعثمان كتخدا الجلالى، ومحمد جاويش خال قرا مصطفى جدك، الذى ملك الباب صحبة الذين فى العزومة، فبمجرد ما رآهم مصطفى كتخدا حاشهم، وقال لهم لا يمكن أنكم تخرجون من هنا مالم ينزل أحمد جاويش ابنى، ثم أن عثمان كتخدا قال له لا تخشى من شئ على ابنك وقروا فاتحة على أنهم رجل واحد، وأخذوا عمر كتخدا طلعوه فوق ، ولم ينزلوا الا مع اذان المغرب، ولم يمكن أن قرا مصطفى والجماعة يسلمون فى نزول أحمد جاويش. ثم أن فى ثانى الأيام عملوا جمعية فى بيت باش أختيار، وقالوا لباش اختيار اطلع الباب، وابنك ليس عليه ضرر ، فأبى أن يطلع الباب هو ورجب كتخدا، فلما طلعوا الى الباب ، حاشوا أحمد جاويش عن النزول، وكان هذا تدبير اسماعيل بيك، وقال لهم، احترصوا على ابن مصطفى كتخدا أن ينزل ، لأنه ان نزل، لم يتم أمره.

وكانت العزومة قصدا من كيل على ، وكان الأمر متمم بين عثمان كتخدا الجلالى، لان

سنين الى ماحولها [تقريبا]. وكان وراه خادم راكباً
والخلع كانت سوداً كلها لان هذا شعار الدولة
العباسية ورنكها. وكان يوماً مشهوداً الا انه دون
اليوم الاول لان السلطان الكبير ما ركب ولا رسل
الديوان بل الامراء يمشون في ركابه. وبعد هذا
انتبذ البطرك رجل قس يعرف بالمكين اى البها
[البهاء] من اهل منية غمر [ميت غمر] وهو كان
من اصحاب البطرك وكان يمشى له في جباية

الستة أوجاق كانت كلها تحت كلمة اسماعيل بيك الا باب مستحفظان، فانه لم يكن معه، ولا تحت كلمته الا النصف، وان الذين كانوا تحت كلمته لم يكونوا متكلمين فى الوجاق، فدبر هذا التدبير لأجل ما يكون الوجاق تحت كلمته حكم الاوجاق الستة، ثم أنه عين أحمد كتخدا أمين البحرين قعد فى باب العزب ، وكشك محمد فى السلطان حسن بستين نفر وعشرة أوضباشية.

وفى يوم الأحد ثالث عشر ربيع آخر، نزل بيورلدى من الباشا خطابا الى السبعة اوجاق، بأن لا أحد منهم يقبل رجب كتخدا، ولا أحمد أوضباشا أخوه، ولا سليمان أوضباشا الأقواسى، وكان أخو رجب كتخدا، وكان الاقواسى يفسق، وأخو رجب ثالث، ونزلت تذكرة جامكيته وجامكية أخيه وسليمان الأقواسي وجميع أتباعهم، الى بلد الكشيدة، فلما جاءهم التذاكر، ركب هو وجماعته جميعا الى أحمد بيك الأعسر، بمعرفته محمد بيك جركس، وجاءه جركس وقاسم بيك الكبير، وقاسم بيك الصغير، وقالوا له لا تخف، كلنا فداوك، وطمنوه، وفرش له أحمد بيك الأعسر محلا له ولجميع أتباعه، وأرسل محمد بيك جركس بجمع غز وقيامة مقامات وعسكر من الذين يألفوه ويجتمعون عليه. وقد ملك من الحمام الذى بالرميلة الى بيت عبد الرحمن كتخدا باش اختيار الذى بقرب درب السادات وبيت قيطاس بيك وابن درويش بيك وملك الحومة جميعها، وأودع فيها رجالا وكذلك ملك بيت حسن أفندى ، نقيب الأشراف، ووضع فيه ماية وخمسين من الغربيات، الذين يبيعون المصبغات والعيدان، وأعطى كل واحد منهم خمسة زنجرلى، ورتب لكل واحد منهم جامكية، كل يوم خمسة عشر نصف

الوجه البحرى، وكان البطرك قدمه قساً على ثغر الاسكندرية، وكان قد حصل له غيظ من البطرك لاجل ما يراه من اقواله واحكامه وتصرفاته، فمضى إلى الصارم المسعودى الذى تولى الامر أولا وقال له: ان البطرك يقول انك اخذت منه مالا وتركته وان السلطان اذا بلغه هذا لم نامن منه [أى من البطرك] والمجلس ما انفصل الا مقروفاً بحضور الاساقفة وشهادتهم. وقد وصلت الاساقفة الى

فضة [1]، ورتب لهم سماطا بالضهر، وسماطا بالعصر، ورتب لهم القهاوى فى جميع المحلات التى ملكها، وأما اسماعيل بيك فأنه أرسل لجميع قيامة مقاماته أتى بهم من الأرياف جميعا، ولم يرسل أحدا الى بيت من البيوت سوى السلطان حسن، وباب العزب وباب الانكشارية، والخمسة أوجقه كذلك معه، وأما مصطفى كتخدا الشريف فأنه أبى أن يطلع من بيته، وقال أنا أموت فى بيتى، ولم أطلع منه أبدا.

ثم أن فى ثانى يوم، جاء ابراهيم أفندى كاتب كبير واختيارية الأوجاق الى بيت مصطفى كتخدا باش اختيار الشريف، على أنهم يأخذوه الى الباب، فقال لهم أنتم مرادكم أنى اطلع الباب وأكون باش اختيار عليكم. كما كنت، يعزل محمد جاويش جدك من باش جاوشيته، وقرا مصطفى يعمل جربجى وابراهيم الباش يعمل جربجى، والا لم أطلع الباب ولا أقعد فى الوجاق أبدا، فلما سمعوا هذا الكلام قالوا نعرض هذا القول فى الباب ونرد لك الجواب، ثم أنهم طلعوا الباب واعرضوا القول فى بقية الاختيارية، فجماعة منهم أبت، وقالوا لا ينعزل محمد جاويش و لا يعملوا جربجية، وجماعة قالوا فى غاية ما يكون يجئ الى الباب وننظر بينهم، وكثر اللجج بينهم [2]. وكان قد حصل لأحمد باش جاويش بن مصطفى توعك، وأضطرب حين ملكوا الباب، فأنزلوه الى أبيه. ثم أنهم فى يوم الثلاث، خامس ربيع الثانى،

(١) قدم وأخر.

(٢) بالاصل «الحجج».

قليوب وردهم البطرك بكتبه. واغراه [أى أن المكين
أغـرى الصـارم] بالبطرك، واخـرجـه الى ان رجع
سيراً. حـضر البطرك ووكل به واقعده فى كنيسـة
حارة زويلة واحـضـر ابن اخيه ابا سعيـد ووكيله ابا
الفرج بن خلبوص وكاتبه القس سمعان وحبسهم.
وسير احضر انبا يوساب اسقف فوه لانهم اخرجوا
خطه على البطرك لفصول تحققها فى جهته كان

اجتمعت السبع بلوكات فى بيت أحمد بيك الاعسر، وتكلموا من جهة رجب كتخدا وأخيه، والاقواسي ومصطفى كتخدا وولده أحمد جاويش بيت المال قال: أمرهم أنهم يأخدوا عرض رجب كتخدا الى الجملية، وكذلك الاقواسى الى العزب، ومصطفى كتخدا الى الجاوشية، وابنه أحمد جاويش الى المتفرقة، ومحمد جاويش جدك باش جاويش على ماهو عليه، وتلبسوه الضلمة الى ايواظ اضباشا عوضا عن أحمد جاويش بن مصطفى كتخدا بيت المال، فكان كذلك فأرسلوا كتخدا الجاوشية، فأتى بعرضهم، فأخذت الجملية رجب كتخدا وتوجهوا به الى باب أغتهم، وكان آغاة الجملية اذ ذاك محمد آغا ابن الاشرف زادة، وكذلك الجاوشية أخذوا مصطفى كتخدا، والمتفرقة آخذوا احمد جاويش بيت المال، وكذلك العزب أخذوا أحمد أوضباشة وسليمان الأقواسى. وانفض المجلس من الاوجاق، وأما الصناجق، فأنهم لم ينفكوا عن ماهم فيه من اجتماعت العسكر وملكهم فى المحلات، وتزايد الأمر بينهم وتفرقة الفلوس، فلما انقطعت تفرقة المال من اسماعيل بيك، قالت له العسكر هذا الأمر الذى أنتم فيه لم يفرغ أبدا، واجتمع من الاوجاق السبعة، أربعة عشر اختيار وراحوا الى اسماعيل بيك وقالوا له الاختيارية جميعا يسلموا عليك، ويقولون لك، هذا الأمر لا يفرغ، فان كنت تريد الصلح، نصلح بينكم، وان كنت ما تريد الصلح أحنا مالنا فى هذا الأمر شئ احنا لا نمشى الا فى الخير، وأما فى الشر ما نمشى معك ولا معه. فقال اسماعيل بيك، وأنا كذلك مرادى الصلح، فتم الأمر. ثم أنهم قاموا من عنده، وتوجهوا الى جركس وقالوا له مثل ما قالوه لاسماعيل بيك، فاجتمع رأيهم على أنهم يجعلوا جمعية فى بيت سيدى عبد الخالق السادات ثم أن فى

كتبها ايام مخاصمته معه لما اخذ منه الضيعة
المعروفة بدنيبه فحبس الاخر معهم وسير الصارم
كتبه الى الاساقفة بان يحضروا، فحضر منهم
احدى عشر اسقفاً وفيهم من كتب خطه تسعه
وهم: انبا يونس اسقف سمنود وانبا مرقس اسقف
طلخا وانبا يونس اسقف بنها وانبا يونس اسقف
لقانه وانبا مخاييل اسقف البرمون وانبا غبريال
اسقف سنهور وانبا ميخاييل اسقف سنشا [شنتنا]

ثاني يوم اجتمعوا فى بيت سيدى عبد الخالق جميع اختيارية السبعة أوجاق وآغا من طرف الباشا، واسماعيل بيك امير الحاج، واسماعيل مملوكه، وعبد الرحمن بيك ومحمد بيك أمير الحاج بن اسماعيل بيك الدفتدار، وأحمد بيك الأعسر، الوكيل الشرعى عن محمد بيك جركس، لأنه لم يأت الى الجمعية، وأقام الاعسر وكيلا عنه فى الصلح.

ثم أنه فتشوا الكلام فقال أحمد بيك الاعسر لاسماعيل بيك، الاول من الكلام، الذى يقع عليه الصلح، أن الصناجق لا يقارشوا [١] البلوكات، ولا البلكات تقارش الصناجق ، فقال اسماعيل بيك نعم، فقال الاعسر، وكل من طلع من وجاق يرجع الى وجاقه، والذى لا غرض[٢] له فى[*] الرجوع الى وجاقه بخاطره، وهذا أمر مطلوب من أهل الوجاق، وأن تقدم منك أول الكلام، أن ليس لنا مقارشة عندهم، ليس لى ولا لك فيه تعلق، ايش كان قولك[٣] يا بيك، فقال الاعسر: المناصب التى تتعلق بأمير الحاج ليس لأحد مقارشة فيها، والذى تتعلق بالدفتدار كذلك ليس لاحد مقارشة فيها بوجه من الوجوه على حكم القوانين القديمة، فقال اسماعيل بيك نعم هذا كلام ما يقدر أحد يعارضه، فقال الاعسر وما بقى من المناصب والكشوفية فنصفها لنا ، ونصفها لك فقال اسماعيل بيك، هذا امر لا يمنعكم منه

---

(١) بالأصل «لايكارشوا».
(*) بالاصل «فيه».
(٢) بالاصل «تعريض».
(٣) بالاصل «قول».

وانبا افرهام اسقف نستراو(*) وانبا مرقس اسقف سنجار ومنهم من لاحظه اثنان وهما: اسقف فوه واسقف اشموم، وكتبوا جميعهم خطوطهم بان البطرك اخذ الرشى على رتب الكهنوت واعطاها. ومنهم من كتب انه دخل تحت المنع لانه كتب خطه بشروطه وخرج عنها. ولم يبق من لم يكتب خطه منهم الا مطران دمياط واسقف اشمون فانها

(*) سمنود: كان اسمها القبطى سمنوتى Djemnouti لأن حرفى dj ينطقان فى اللغة القبطية صادا مثل: Djani وهى صان، وMedjilوهى مصيل. كما ينطق الحرفان dj سينا كما فى: pemdji وهى بهنسا، وDjebenouti وهى سنباط. والأسم المصرى لسمنود هو سبنترت وهو مكون من مقطعين «سب» ومعناها هنا الأرض، و«نترت» ومعناها المقدسة أى الأرض المقدسة ثم حرف اسمها سنترت إلى سبنوتس الرومية ثم إلى سمنود بعد الاحتلال العربى. وهى تقع على الضفة الغربية لفرع دمياط قرب المحلة.

أحد، ولكن أنا ما تلبست بالكشف، الا انكم لما أنكم لم(١) رضيتوا تلبسوا فخشيت على المناصب التى للسطان أن تتعطل، والأقاليم تخرب فأخذتهم ولكن أنتم لما أخدتم البحيرة، هل أحد منعكم، ولكن فى هذا العام ما عاد يمكن، ان شاء الله العام القابل لكم النصف ولنا النصف، هل بقى لك شىء، فقال له الاعسر مشتهر(*) الذى نهبها حمزة بيك مملوكك، نرجع نهبها، فقال اسماعيل بيك هذه البلد كانت مأوى المفاسيد، وخربها الحاكم، والرعية جيرة البلاد، والعرب نهبتها، والنهب لا يرجع، ولكن تعفونا من هذه، وما بيننا وبين محمد بيك أمير الحاج خلاف.

ثم أن المجلس قام على الاعسر، وقالوا تعفونا من هذه القضية، واسماعيل بيك يعرض على محمد بيك أمير الحاج أيش يقول يا أمير محمد بيك؟. فقال محمد بيك: الأمر للاعسر لأنه الوكيل: فقالوا له: ما تقول يا أحمد بيك، فقال: لأجل خاطركم، قالوا له: رضيت فقال: رضيت قالوا: عهده جركس، قال الأعسر، على كل مقام من جركس أنا أكون القاعد به، وأنت يا اسماعيل بيك من يقعد بعهدتك؟ فقال: المجلس جميعا نحن الكل نقعد بعهدة اسماعيل بيك الفاتحة.

ثم أنهم قروا الفاتحة، وشربوا الشربات ثم انصرفوا من المجلس، وان اسماعيل بك يشيل

(١) قدم وآخر.

(*) مشتهر: احدى قرى، مركز طوخ، ومحافظة القليوبية، محمد رمزى، قسم ٢، جـ٢، ص ٤٨.

لم يوافقا على شئ من ذلك. وجرت مفاوضات بين البطرك وبين هذا القس وعدد له اشيا منها انه منع اسقف الخندق على اخذ ستة دنانير فى ثمن تربه بدير الخندق ثم اخذها منه لنفسه. وانه حكم على امراه [امرأة] بان ترد المهر لمالكها مضاعفاً لما ارادت الرهبنة ، ثم خالف الحكم فى غيرها، وانه كرز اولاد العبيد كهنه واشيا يطول شرحها وشرح

طلخا: وتقع على الضفة الغربية فى مواجهة المنصورة الواقعة على الضفة الشرقية لفرع دمياط.

بنها: وهو اسم مصرى قديم مكون من مقطعين: «بى» ومعناه بيت أو حظيرة، و«نها» ومعناها شجر الجميز فكأن «بنها» معناها حظيرة الجميز. ولا يخفى أن شجر الجميز كان له شأن يذكر عند المصريين فكانوا يصنعون منه التوابيت والأثاث والتماثيل. وقد عرفت باسم بنها العسل بسبب شهرتها الفائقة بعسل النحل. وهى تقع على الضفة الشرقية لفرع دمياط وتعتبر قاعدة لمحافظة القليوبية.

الحرس، من السلطان حسن، ومن باب العزب ومن باب مستحفظان وأبو قفه الذى فى غيط أفرنج أحمد. وجركس كذلك يشيل الغز، التى اكراها وأودعها فى البيوت، وكانوا نحو الفين بجوامك، وتوجه كل من الصناجق الى منزله، وأحمد بيك الأعسر توجه الى بيت الامير محمد بيك جركس، فأخبره بالمجلس، فأبى، وقال ان لم يأتى نهب مشتهر الثمانين كيس لم أصطلح، فقال له الاعسر: المجالس تحكم والذى لم ترض بصلحى لأى شئ اقمتنى وكيلا، ثم أنه حصل بين الاعسر وجركس مفاوضة كبيرة فى الكلام، ثم أن أحمد بيك توجه الى اسماعيل بيك واخبره بما حصل من جركس، فلما سمع اسماعيل كلام أحمد بيك قال: فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ثم ان اسماعيل بيك أرسل الى الجماعة ان لا أحد يروح منكم.

وفى ثانى يوم زود الحرس، فهو فى الكلام واذا بسراج من سراجين حمزة بيك داخل على اسماعيل بيك وهو مجروح، فقال له اسماعيل بيك: ايش الخبر؟ فقال له: يا بيك أنا سراج من سراجين حمزة بيك، كنت مارر أنا ورفيقى فلان ففتنا على بيت جركس، فقامت جماعته علينا فقتلوا رفيقى وأنا انجرحت، ثم انى هربت وجيتك، فأخذ بخاطره وقال له: ما يكن إلا خيرا، وما زال الغم يتزايد بينهم، وفى كل يوم يعملون جمعية ولم ينتظم لهم حال.

ثم ان فى يوم الاثنين حادى عشر ربيع آخر اجتمعت الاغوات، والصناجق فى بيت محمد

ذكرها، وكان يقول انا ما افعل هذا الا من شان الله ولاجل صلاح كنيسة الله. وما زال الحال يتردد والشنأء تتاكد. وكتب كاتب البطرك خطه مفصلا بالاسماء بان الذى وصل الى البطرك من رشي الكهنوت وما يجرى مجراها انها سبعة عشر الف دينار وقيل خمسة عشر الف دينار وكسور. ثم ان الشيخ السنى المقدم ذكره كان من المساعدين

لقانه: وهي من قرى البحيرة. اسمها الأصلى نقانه وفى ظل الاحتلال العثمانى حرف اسمها إلى لقانه.

البرمون: واسمها القبطى Bara-mouni وهى تابعة لمركز المنصورة. وقد قسمت فى تاريخ سنة ١٢٣٠هـ = ١٨١٤م. إلى ناحيتين «هما البرامون وكفر البرامون.

سنهور: وهو اسم شائع للقرى والمدن المصرية. ولكن ما أشتهر منها سنهور التابعة لمركز دمنهور بمحافظة البحيرة. كان اسمها القبطى Sanhou-ri وأظن أنها المقصودة هنا. أما سنهور الأخرى فهى من مدن الفيوم مركز

بيك جركس، وكلموه كلاما يابسا، وقالوا له: أما أن تصطلح أنت واسماعيل بيك، والا شلنا أيادينا منكم أنت وهو بخاطركم. فقال اصطلح لأجل خاطركم، فقالو له: ترسل لاسماعيل بيك يتوجه الى بيت الشيخ البكرى ، ونتوجه احنا واياك اليه، ونوقع الصلح بينكم، فقال جركس: عواض عما نروح بيت البكرى نروح بيته، فقال الجميع والله نعم الرأى.

ثم أنهم ركبوا جميعا، وكذلك جركس، وتوجهوا الى اسماعيل بيك؛ فوجدوه قاعدا فى المقعد، والسيد أحمد البغدادى وصناجقه، فسلموا عليه، فأخذهم باهلا وسهلا، وأوقعوا الصلح الوافى، والبس جركس كرك سمور، وقدم له جوادا معددا بعدة كاملة ، وأنقضى المجلس على رضى، وتوجه كل منهم الى مجلسه.

ثم أن فى ثانى يوم، كل منهم فك الحرس الذى كان رتبه فى المحلات جميعا، ثم أن فى ثانى يوم ركب عشرة اختيارية، وتوجهوا الى مصطفى كتخدا، ان يرجعوه الى الباب باش اختيار على ماهو عليه، ويرجع أحمد جاويش يعمل باش جاويش، فأبى، وقال: لا أرجع الى الباب، الا اذا شلتم الحرس الذى حطيتوه، واحط أنا حرسا من عندى ، ويلبسوا قرا مصطفى الجربجية، وكذلك ابراهيم أوضباشا البولاقى جربجى، والا أنتم فى بابكم وأنا فى بابى، ثم أن الاختيارية توجهوا الى الباب وأعلموا الاختيارية جميعا، فقالوا. فى غاية ما يكون.

ثم أنهم جابوا عثمان كتخدا امضقران بتاع حارة عابدى، وعملوه باش اختيار، وانزلوه الى

للقس ابى البهـا [البهاء/ المكين] لانه كـان يرى ذلك من اسبـاب البـر وانواع الاجـر، فـارسل اليـه وطلب منه بان يكتب خطه بنسـخه كتـاب. وجد بخط انبا بولس بن ابى غالب الذى كان قبل هذا البطرك قـد كـتـبتـه فى اول بطركـيتـه بامـانتـه الارتدكسية، ويقطع من ياخذ شيا من الرشى على رتبـة من رتب الكهنوت او يعطيـهـا، وابوابا من

سنورس ويذكر أن اسمهار القبطى هو Smen Hor ، وكانت مخصصة لعبادة الإله خنوم الإله المصرى الذى يخلق البشر من الصلصال وقد ارتبط اسمها باسم «بمويه» القـريـة منهـا التى اشتهرت ببساتينها وصناعة النسيج. وقد غلب اسم سنهور على المدينتين فورد اسمهما باسم سنهور فى دفتر المقـاطعـات سنة ١٠٧١هـ. = ١٦٥٩م. = ١٣٧٦ق.

شنتنا: وتعـرف الان باسم شـتنا الحـجـر تتبع مـركـز المحلة الكبـرى مـحـافظة الغـربيـة على بحـر المحلة (بحراشين). ويكتب اسمها أحيانًا

بيته بالاى عظيم بجميع الاختيارية الى منزله الذى بجامع الماس وكان ذلك يوم الثلاث ثانى عشر ربيع آخر سنة ١١٣٥[١].

ثم أن فى سابع عشر ربيع آخر ورد آغا من الديار الرومية، وصحبته خط شريف بدفع ستين كيسا الى باشة جدة، يأخذبها مركبا هنديا ليشيل غلال الحرمين، عوضا عن المركب التى غرقت. وورد صحبة الاغا تاجر كبير من الشام هو واتباعه، على خيل البريد، الى أن جاءوا الى بركة الحاج، فقعدوا ليأخذوا لهم راحة، لكون أنهم دخلوا الامان، فبمجرد ما فارقهم الاغا نزل عليهم سالم بن حبيب فعراهم، وان الخواجا كان معه ألف أحمر خرجية السفر، وعرا كل من رآه فى الطريق، ومن جملة ما أخد جمال عبد الرحمن بيك وكانت سبعين جملا محملا ذخيرة من الوجلة لبيته وكذلك جمال عبد الله بيك، وجمال السقايين، وبهدلوا البلد بهدلة واسعة، واشعفوا قلوب الناس، وسالم قاعد فى البركة،وكان صحبته المغاربة وعرب الجيزة وكل مفسود، وكانوا نحو ا لألف.

وكان سبب ذلك، لما حصل له ما حصل مما تقدم ذكره، مع قيطاز بيك فى الصعيد مع شيخ العرب القبلية وقتله، وقتل أولاده ونهب بلده، فقال: أنا بعدت عنهم، فيرسلوا خلفى يريدوا قتلى ولكن أنا أروح لهم أما يعمرونى وأنا كانوا ما يعمرونى قطعت عليهم الطريق،

(١) ٢٠ يناير ١٧٢٢م.

الاحكام والبراه من مجمع خلقدونيه. فكتب بالجميع بخط كاتبه.وكتب خطه عليه بانه صادر عنه وانه قابل بما فيه وقابل له. فقال الشيخ المذكور: ما يكتب الجميع الا بخطه ويضيف اليه انه لا يقدم اولاد الرواجع، ولا يدخل امراه [امرأة] الى الكنيسة الا بعد نقاها من الحيض بخمسة ايام. فكتب الجميع بخطه وكتب الزيادة التى زادها. ثم

شنتار.
نستراو: كانت من البلدان العامرة فى بحيرة المنزله (بحيرة نستراو). وقد اندثرت الآن بسبب اهمالها فى ظل الاحتلال العثماني، وغلبة الرمل وطم غالب بيوتها. ويذكر أن قوت أهلها السمك وشربهم من النيل حيث يأتيهم الماء الحلو من على مسيرة نصف يوم في المراكب عبر البحيرة. وقد وردت فى معجم البلدان باسم «نسترو» قال وهي جزيرة بين دمياط واسكندرية يصاد فيها السمك، وعلى سكانها خمسين ألف دينار للسلطان. ومكانها الان قرب غرب البرلس على الساحل الرملى الفاصل بين البحر

ففعل ما سمعت اذهانكم الرايقة، فلما جاء الخبر الى، مصر اخبروا الوزير، فعين أمير الحاج وكاشف القليوبية حمزة بيك وعينوا صحبتهم عرب الصوالحة، وهم نصف حرام. فبقى نصف حرام من جهة مصر واقطاعها، وسالم فى المساطب، التى فوق بركة الحاج هو وخيله، ونصب صيوانه كاشف شرق اطفيح التى نهبه منه وهو متوجه من قبلى، لأن الكاشف لما رأى سالم وهو مقبل، رمح عليه وكان فى جماعة قليلة: وكانت بقية الخيل وراءه فهجم عليهم وقتل منهم، فهربوا جميعا. فاخذ الصيوان ونهب الوطاق والنقارية. ثم انه نزل إلى البركة وربط خيله تلك الليلة، فأكلت ستا وثلاثين فدان برسيم، ثم أن أمير الحاج قعد فى المسبك ولم يسر خلفه، فأرسل الباشا له فرمانا بالرجوع، فدخل مصر يوم السبت خامس عشر جماد أول. ثم أن الباشا عين عبدالله بيك، وحمزة بيك، وخليل اغا، وأرسل اسماعيل صحبتهم خمسماية جندى من اتباعه، ومن البلكات وصحبتهم فرمان لجميع العرب بالتعمير الا سالم بن حبيب واخوته، وجميع من يلوذ به، ويجتمع عليه. ثم أن التجريدة. سافرت ثالث عشر جماد أول؛ إلى أن حطت فى بركة الحاج، فسالوا على سالم فاخبروهم أنهم ساروا نحو غزة فركبت التجريدة على البلاد نهبتها وقتلت أهلها واخربوا المساكين والفلاحين؛ الى أن أدخلتم السباخ، ولم تقابلوا أحدا من الذين عليهم الكلام . ثم ان الوزير أرسل فرمانا بالعود، فعادوا ، وأما أحمد أوضباشا، فانه لما توجه الى العزب هو وسليمان أوضباشا الاقواسى أمروهم بالنزول

ان السلطان حضره الامر على الخروج فخرج الى بلبيس وخرج معه الامير الصارم واقفل ذلك المجلس واجتمع الاساقفة بالبطرك واتلوا عذرهم ولم يقل لهم كلمة الا ان خطوطهم بما كانوا كتبوا به قد صارت بايدى الناس نسخا عده. ومن بعد خروج السلطان الملك العادل الى بلبيس اجمع العساكر على امساكه وان يرسلوا الى اخيه الملك الصالح بان ياتى ويتسلم المملكة. فاجتمعوا

المتوسط وبحيرة نستروا (البرلس)، تسمى كوم مسطوره.
سنجار: هذا الأسم لقرية مندثرة فى شمال الدلتا كانت عامرة حتى احتلال العرب لمصر ومنها أتى اللحن المصرى المعروف باللحن السنجارى. وهناك اشتباك فى المصادر القديمة بين اسمها وبين عدة أسماء هى شنتنا، وشنشار، وسنجار، وكوم النجار. ويذكر محمد رمزى فى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية أن اسم كوم النجار ورد فى السلم القبطى العربى وفى كشف الأسقفيات، واسمها العربى سنجار بين إبيار وبرما. ويرى محمد رمزى أن السبب فى تغيير

الى بلد رجب كتخدا، فنزلوا الى سمخراط [١]، فمكثوا فيها شوية أيام، ثم رجعوا الى مصر من شهرهم من غير فرمان لأنهم لما نزلوا الى سمخراط، نزلوا من غير فرمان، فعلم الجماعة بمجيهم، فأخذوا فرمان بنفيهم الى الطينة فشفعوا فيهم، وأرسلوهم الى سمخراط ثانى مرة.

وفى أحد وعشرين جماد أول، توفى شيخ الاسلام والمسلمين، مفتى علوم الدين، شيخ مشايخ من تعاطى فن المعقولات والنحو والبيان، الفقيه المحدث، مولانا الشيخ منصور المنوفى [٢]، البصير بقلبه [الأعمى] و كان قد تجاوز التسعين، لأنه كان بقية القدماء، وقد كان أدرك الشيخ سلطان المزاحى والشيخ شهاب الدين القليوبى، والشيخ البابلى، والشيخ ابراهيم اللقانى صاحب الجوهرة، والشيخ على الشبراملسى والشيخ على الاجهورى، نفعنا الله بهم أجمعين فى الدنيا والاخرة، وقد كان له علينا مشيخة ودفن فى يومه وهو الحادى والعشرين من جماد أول سنة ١١٣٥ [٣]. وفى هذه التاريخ ورد شاهقتان من نحو أرض حوران، مملوءتان [٤] قمح فى كل مركب عشرة آلاف أردب مصرى، وأبيعوا فى دمياط، لأن الغلا فحش وتسامعت

(١) سمخراط: احدى قرى، مركز المحمودية، محافظة البحيرة، كانت تابعة قبل ١٩٢٨م، الى مركز شبراخيت، ثم الحقت بالمحمودية لقربها، محمد رمزى، المصدر السابق، قسم ٢، جـ٢، ص ٢٧١.
(٢) ٢٧ فبراير ١٧٢٣م. كتب عنوان جانبى «أعرف وفاة الشيخ منصور المنوفى رحمه الله».
(٣) ٢٧ فبراير ١٧٢٣م
(٤) بالأصل «مولانا».

في ليلة يسفر صباحها عن نهار يوم الجمعة التاسع من ذى القعدة سنة ست وثلثين وستمايه للهلاليه [=١٢٣٩م] الموافق للسابع من بوونه [١٣ يونيو] من هذه السنة [٩٥٥ق.] وكان الذين اجتمعوا رجال الحلقة ومقدموهم ثلثة من الخدام: شمس الخواص مسرور وشبل الدولة كافور والصفى جوهر النوبى والاشرفية وكان مقدمهم مملوكاً يعرف بايبك الاسمر وداروا حول خيمة السلطان ملبسين

الاسم من سنجار إلى كوم النجار، وهو أنها كانت خربت في العهد العربي وهرب معظم سكانها، ولما عمرت في العهد المملوكي الشركسي سماها سكانها الجدد كوم النجار ظناً منهم أنه هو اسمها القديم وهو سنجار. ومن هذا يتبين أن بشنجرى هو اسمها القبطي، وسنجار هو العربي، وكوم النجار هو اسمها الحالي. فوه: من المدن القديمة. وردت في كشف الاسقفيات هكذا: مصيل Madjil، وهي كرسي فوه: ويذكر شامليون أن بطليموس وضعها على الشاطئ الشرقي لفرع رشيد. وقد حدث لبس في الاسماء بين فوة وعده

به الناس وجميع البلاد والله أعلم، وفى يوم الخميس ثالث عشرينه[١]. عزل العزب عثمان بيت المال القبرلصى، وعملوه جربجي، بعد أن شفعوا فيه من النفى، وسبب ذلك أنه تواعد مع ابراهيم افندى، الذى تقدم ذكره، وعملوه جربجي، على أنهم يأخذوا الباب مع موافقة من العزب اختيارية وأوضباشية ونفر. وتفرقت الفلوس فى بيت عثمان جاويش، هذا وكان رجل منهم بعد أن أخذ الذى أعطوه له نزل من عند عثمان جاويش الى بيت كشك محمد يمق عزبان اخبره، فأخذه اليمق، وتوجه هو واياه الى اسماعيل بيك فأعلمه، فلم يكذب خبره وأعطاه ماية زنجرلى، ثم أنهم أصبحوا فعلوا هذه الفعلة، ووقعت فى رأس القبرلصى بيت المال، ولم يحركوا ساكنا لغيره.

وفى عشرة رجب[٢] ورد اغا من الديار الرومية بخط شريف وسيف وقفطان الى شريف مكة يحيى، ومقرر الى باشت جدة، وأغوية المتفرقة، الى عبد الغفار افندى وان هذا لم يسبق الى احد قبل هذا، أن أغاوية المتفرقة تأتى من(*) الديار الرومية، وسبب ذلك، أن حسن أفندى أبو عبد الغفار أفندى كان عنده طواشي، فأهداه الى السلطنة فأرسل الى ابن سيده خط شريف باغاوية المتفرقة فألبسه الباشا قفطانا على آغاوية المتفرقة، فلما صار أغاة المتفرقة، وقعت حركة. وما ذلك الا أن أوجاق المتفرقة فرقتان ظاهرتان بخلاف غيره، مع أن كل وجاق فرقتين، لكن

(١) ١ مارس ١٧٢٣م. (٢) ١٦ أبريل ١٧٢٣م. (*) بالأصل «الى».

الزرد والعدد من العشا الى بكره فلما اصبح النهار عبروا اليه اخرجوه وجعلوه فى خركاه فى خيمة لطيفة ووكلوا به من رجال الحلقة من يحفظه ليلا ونهارا، ثم داروا على وطاقات ساير الامراء من الاكراد والمولدين فنهبوها ونهبت ادر كثيرة فى مدينة بلبيس، ونهبت الكتاب والحكما والمغنون والسوقه وكانت نوبة عظيمة، الا انها لم يسفك فيها دم ثم عادوا الى اصحاب الملك العادل

مدن وقرى أخرى مثل مصيل ودمليج. ولكن محمد رمزى فى «القاموس الجغرافى» يذكر أن مصيل وفوه مدينتان منفصلتان وهما كذلك غير مدينة دماليج، ولكن لمجاورة سكان فوه لمدينة دماليج التى كان بها أسقفية كبرى للقبط، فقد أهمل اسم دماليج وعرفت اسقفيتها باسم اسقفية فوه. ثم الغيت اسقفية دماليج وألحقت فوه باسقفية مصيل لقربها من بعضهما وصارتا اسقفية واحده باسم مصيل وهى كرسى فوه كما ورد فى كشف الاسقفيات. وقد خربت مصيل وتعرف اطلالها اليوم باسم كوم المدينة بناحية بسنتاواى بمركز أبو حمص

هذا أظهر فالذين ظاهرين فى الوجاق هم متكلمو [١] الوجاق ستة من الاختيارية، سليمان آغا الشاطر، وعلى آغا، وعبد الرحمن آغا والقاشقجى وخليل اغا، وابراهيم كاتب المتفرقة سابقا، وكبيرهم محمد آغا السنبلاوين وتقدم أنهم من طرف محمد بيك جركس، ولكن لما ظهر اسماعيل بيك وجاءه العفو، انحطت كلمتهم، وصارت كلمة الوجاق للذى من طرف اسماعيل بيك؛ وهم اسماعيل اغا بن الدالى، واحد جلبى أغا استاذ الطالبية، وأيوب جلبى وهم الذين مالكين الباب ومتكلمين فى الوجاق، فأخذ الفرقتين المتقدم ذكرهما، لحقهما الحسد، فتكلموا مع بعضهم بعضا، حتى تولى عبد الغفار على أنهم. يملكون الباب. فاجتمعوا ببعضهم وانفارهم وملكوا الباب ، فهرب عبد الغفار آغا الى بيت اسماعيل بيك، ولم يوجد فى الباب ذلك الوقت أحد من ذلك الطرف: لأنهم كانوا عند اسماعيل بيك، واذا بعبد الغفار داخل عليهم فاخبرهم بالواقع ، ثم أن أسماعيل بيك أمرهم بأن يتوجهوا الى بيت أحمد جلبى ويجلسوا الاغا فى بيته ويجعلوه محل الحكم.

ثم ان أحمد جلبى، قال: هذاالبيت أو هذا الاغا. ثم أن الطرف الذى ملك بيت عبدالغفار قعدوا فى الباب ، وأرسلوا الى محمد أغا ابطال آغا وباكير اغا تابع اسماعيل بيك الكبير، ومصطفى آغا الذى فى العزب منفين، لأنهم من طرفهم وكانوا كبراهم فلما حصل لهم ما

(١) بالأصل «متكلمون».

الخواص فاوقعوا الحوطة عليهم وعلى موجودهم وكتبوا الى السلطان الملك الصالح ايوب(*) بان يحضر فوصل رسولهم اليه وهو بالقدس عازم على العود الى الكرك لانه كان قد عجز عن المقام على غزه لان عسكر مصر قدامه ومن ورايه الافرنج ومعهم صاحب دمشق(*). وكانت نية الملك الناصر بن عمه انهم اذا رجعوا الى الكرك اوقع عليهم الحوطه [الحصار] كما كانت اولا فجاه الفرج بل

غربى مدينة المحمودية قرب رشيد.وهكذا فإن فوه التى نعرفها اليوم تقع على الشاطىء الشرقى لفرع رشيد في مواجهة المحمودية. وهى تتبع محافظة كفر الشيخ مركز فوه.

(*) الصالح ايوب: حكم بين سنتى ١٢٣٩ و ١٢٤٩م.

(*) الصالح اسماعيل.

حصل من الذى تقدم ذكره فى واقعة جركس، وراحوا الى العزب ، وتمكنت جماعة اسماعيل بيك لم ينتقلوا الى المتفرقة، فلما ارسلوا لهم أن ياتوا الى الباب ابوا ، وقالوا: احنا لم نأت الى الباب بقولكم. فلما ابوا المجئ، عملوا القاشقجى باش اختيار، محل ابطال، لأنه كان باش اختيارهم، وعزلوا وولوا على مرادهم، فأصبح اسماعيل بيك يوم الاحد، وعلى بيك وأمير الحاج ومملوك اسماعيل بيك الدفتدار، وأخبروا الباشا بما فعل القاشقجى، فأرسل الباشا اثنين أغوات من جماعته ومن كل وجاق اثنين اختيارية ينظروا الخبر، فلما نزلوا اليهم فزعوا عليهم، فرجعوا واخبروا الوزير بما وقع منهم ثم ان الباشا منع الصناجق من النزول الى بيوتهم، وأرسل لهم فرمانا بنفيهم الى الكشيدة، فأبوا وصمموا على عدم رواحهم الى الكشيدة.

ثم أن الباشا لم يزل حايش الصناجق الى المغرب، ثم أنهم نزلوا بعد المغرب، واوعدوا الباشا أنهم فى غد يفكوا هذا الامر، وان كان ما يروحوا الى الكشيدة، والا، نسحب عليهم بيرقا ونحاربهم. ثم أنهم فى ثانى يوم، عملوا جمعية واتفق أمرهم على أن الستة كل واحد منهم يروح الى وجاق من الستة اوجاق، ثم انهم اخبروا الوزير بما حصل لهم، فأرسل لهم[1] ست فرمانات لكل واحد فرمانا بوجاق من الوجاقات [2] هو وجماعته، فكان كذلك، وتفرقوا فى الاوجاق، ونزل اسماعيل بيك الى بيته يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة

(١) قدم وأخر.

(٢) بالاصل «الوجاق».

الملك من حيث لا يحتسب وركب وجاء الى العسكر ببلبيس فوصل يوم الاثنين التاسع عشر من ذى القعدة سنة سبع وثلثين وستماية الموافق للسابع عشر من بوونه [٢٣ يونيو] واعطى المقدمين الاموال الجزيلة وخلع عليهم وعبر الى القاهرة المحروسة فى نهار يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة المذكورة الموافق للحادى والعشرين من بوونه [٢٧يونيو]. وشق المدينة وطلع

١١٣٥[١]. وكانت الطوايف التى قدامه دخلت الى بيته وهو نازل من باب العزب، لأنه مكث ثلاثة أيام فى باب العزب، حتى تم الأمر على مراده. وكان خلفه نحو المايتين بالطرابيش الكشف، وجميع صناجقه خلفه، وكذلك أهل البلكات، الى أن دخل منزله والكل مسلحين الى ثانى يوم جاءه الخبر أن هذه الفتنة، من اسماعيل آغا ابن الدالى. فطلع يوم الثلاث الى الديوان البس اسماعيل أغا بن الدالى آغوية العزب، وقرا على آغا بن يوسف أغوية العزب، وأرسل أحضر محمد آغا أبطال باش اختيار. وكان ذلك فى خامس عشر رجب، وفى يومها عبد الله بيك وحمزة بيك، جاءوا بأربعماية وخمسين رأسا، وسبعة مقادم بالحياة، ويدخل مصر بالليل، فقتل الذين معه، وأرمى الرءوس، ودخل بعد العشاء، والله أعلم بنيته[٢].

ويرجع النص: الى سالم بن حبيب فأنه لما علم أن التجريدة، راحت له صحبة عبدالله بيك، وحمزة بيك، قال وسع حتى يأتوا، وعاود أرجع، فسافر نحو غزة، فلما قرب من أرض غزة، واذا هو بشيخ عرب، من مشايخ غزة، كان له الحكم والمشيخة، فظهر له مناغص من أقاربه فطرده، وأخذ مشيخته، وصارت الكلمة له، وكانت عربه جميعا بالزروخ، فلما غلب منه وانكسر، قال له جماعته: روح الى سالم ، وهو يأخذ بتارك ، ويقتل خصمك، ويمكنك من

---

(١) ١٩ أبريل ١٧٢٣م.

(٢) بالاصل حرف «من» حذف ليستقيم المعنى.

الى القلعة المحروسة وعزل الامير جمال الدين بن
بعور من الاستاذ داريه وولاه ثغر الاسكندريه، وعزل
بدر الدين يونس من الامير جنداريه وولاه القاهرة
المحروسة، واستخدم المعين بن الشيخ وزيره وسلم
اليه الاشغال، وجرد عسكراً الى الصعيد بسبب
العربان وقدم عليهم الامير زين الدين بن ابى
ذكرى وكان فيهم الامراء والاشراف وعدة امرا
وجماعة من الحلقة يزيدون عن الف فارس. ثم ان

أرضك ، فسافر نحو البر، فاذا هو بسالم فى أرضهم، فوقع فى عرضه فاجاره، ثم انه سار هو أياه الى أن قربا من القوم، فقال له البدوى الغزاوى، اكمن هنا إلى أن أروح وآتيك بأولاد عمى وأسير أنا واياك. ثم أن سالما نزل فى تلك الأرض [١]، والغريب أعمى ولو كان بصير ، ويقتل الارض خابرها ، وتقتل الارض جاهلها. فصارت خيله نحو البر، فرأوا شرذمة تسقى، فتصدوها يأخذوها، يحسبوا أنهم فى أرض القليوبية، واذا بالعايط قايم، فما قام العايط الا والخيل من نحو البر ترمح.

فلما رأى سالم الخيل قاصداه تصدر لهم بصدره، واذا بالخيل التحمت مع بعضها، فصار سالم يضرب فى حديد، وعرب غزة تضرب فى لحم، لأن سالم وعربه ما عندهم ولا واحد مزردخ، وأما هم كلهم حديد، فتقاتلوا مع بعضهم البعض، فأنكسر سالم كسرة، عمره لم ينكسر مثلها، وأخذوا خيمه جميعا بما فيه،حتى صيوان كاشف شرق طفيح، وقتلوا اخاه، وابنه منصور، وابا دومة وحبيب الزاملى، ومقداما من عرب العايد مقدما برجال وكان هذا المقدام من العايد صحبة سالم، وأفنوا عرب الجزيرة، وهرب هو ونحو العشرين خيال، ولولا الليل أدركهم، ما بقى منهم أحد. ثم أنه سار نحو العقبة الى عرب المغاربة، الذى كان غرب نحوهم، وأن سالم لم يخنه الا الزرخ، وأما عرب غزة، أو غيرهم من العرب لم يدركوا من

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف كسرة سالم بن حبيب من عرب الشام».

جماعة من النصارى تنجزوا التوقيع على رقعة منهم بان تعاد الكنيسة المعلقة الى ما كانت عليه وجاوا الى الوالى شاوروه فامرهم بذلك فقاموا فى الليل سدوا الابواب التى كان المسلمون فتحوها وعملوا على انهم قد تصرفوا فيه. وكان لهم ضد يقال له بن حوله وهو الموذن فى المكان فجا الى المواضع التى قد سدت [فـ] فتحها وردها الى ما

خيل سالم ولا قيراط، من أربعة وعشرين قيراطا، لكن يا خسارة كفه يابس، واما سويلم لم يذكر فى الخيالة، لكنه أكرم وسليمان كذلك والله أعلم بغيبه.

ولنذكر نكتة جرت[1]، وأظنها ما اتفقت ابدا، لا فى الكفر، ولا فى الاسلام وهى أن فى كل سنة، عند دخول الخماسين، تطلع نساء البلد الى الخلا لأجل ما يتنشقوا النسمات، أكابر كانوا، أو أصاغر، فحكم يوم الخماسين، فى اثنين وعشرين رجب[2]، فطلعوا على جرى العادة، فملوا بركة[3] الأزبكية، فأجتمع سرب من النساء نحو الماية من أكابر النساء فى غيط الاعجام الذى هو قريب من [جامع] العنانى تجاه قنطرة الدكة. ثم انهن اجتمعن على أكل، وشرب، ولعب، وقهوة، وضحك، كل منهن جالسة على مشتهى، هى وخدامها، من غير حجاب، واذا بجماعة سراجين سكارى والسيوف مسحوبة بأيديهم، وهم يزعقون لرؤياهن، واطلعوا عليهن من جهة الخليج، فلما رأتهم النساء، هاجوا فى بعضهن البعض، وندهن منهم، ومنهن من القت بنفسها فى الماء، وصارت هتيكه كبيرة، ثم أنهم صاروا يعومونهن و يأخذوا حوايجهن، وجميع ما معهن من حلى وحلل، ثم أن الغفرا، دخلت واوضباشا القنطرة، لما علموا ان السراجين أخذوا، وراحوا دخلوا كان لم يكن لهم علم منهم، فكملوا بقية النهب،

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف هذه النكتة».

(٢) ١٨ أبريل ١٧٢٣م.

(٣) بالأصل «البركة».

كانت عليه وطلع الى الفقيه عباس خطيب القلعة
فحمله في القضية وقال له ان هذا مسجدا وقد
تغلب عليه النصارى واضافوه الى كنيستهم، فاخذ
ذاك معه علم الدين شمايل امير جندار وجا الى
الكنيسة وحضر معهم من عوام المسلمين جموع لا
تحصى وحضر معهم المهندسون وما قدروا ان
يقولوا الحق الذى قد راوه. وكان هذا يوم الخميس

وكذلك حمارة المركز، فما ابقوا شيئا، وكن نساء أكابر. ومن جملة ما ضاع، حزام جواهر لزوجة رجل أكابر، وبشت جواهر على ديمبى أصفر مشخت، فقالوا أن الحزام مشتراة تسعة أكياس ديواني، والبشت خمسة أكياس، قالوا هكذا، تلك دماء طهر الله منها سيوفا والحمدلله.

ومن جملة من كان هناك أمنة الجنكية، وصحبتها امراة من أكابر النساء فعروهن، وأخذوا خزانة. وكان لها ولد صغير، وفوق رأسه طاقية جواهر، ودايرها بنادقة، ولامه جوزين أساور، واحد جواهر، والثاني ذهب، وخلخال ذهب بندقى قديم، قالوا ان وزنه اربعماية درهم. ومن جملة ما أخذوا، لباس شبيكة من الحرير الابيض القصب الأصفر، فى كل عين من الشبكة لولية، فى كل لولية شريط من المخيش والدكة كذلك، وأخذوا فرجياتهن ويزرهن، ثم أنهن أرسلن اتباعهن الى منازلهن، فجاءوا اليهن بيزر وفرجيات ولبس بدن.

فأنظر. يا اخى الى هذه الفعلة، التى فعلت لم يفعلها اليهود الخيبريه فى المسلمين، فما بالك مسلمين، ولكن حاشا أن يكونوا مسلمين.

ثم أن فى ثانى يوم، قدموا عرض حال الى الوزير، واخذوا على موجبه فرمانا الى آغة الينكشرية، الى انه يتوجه الى محل الواقعة، وياخذ صحبته الوالى وأوضباشا البوابة فتوجهوا[١] الى محل الواقعة، واحضروا أولاد الحارة وسالوهم فشهدوا على أن فعل هذه الفعلة الا

(١) بالأصل «فتوجوا».

فلما كان يوم الجمعة وقت الصلاة ووقف [عباس الخطيب] فى وسط الجامع وقال يا مسلمين من كان اسلام [مسلما] وحميد فى مذهبه يحضر نهار غد الى الكنيسة المعلقة واصبحوا طلعوا اليها وكسروا قناديلها وحجب(*) هياكلها واخذوا كل انية كانت فيها . وقيل انهم وجدوا تحت هيكل من الهياكل انية قديمة من الايام المزمنة [القديمة] لم

(*) حجب الهيكل وهى من الخشب الخرط وتفصل الهيكل عن عامة المصريين فى الكنيسة.

أوضباشة المركز. ثم أن الباشا أمر بنفى أوضباشة المركز الى أبى قير، بعد أن أخذوا منه مبلغا له صورة حتى أفقروه، وأنزلوا محله أوضباشا غيره، ثم أن الباشا أن قطع فرمانا الى الاغا، ينادى به فى يوم السبت خامس عشرة رجب سنة ١١٣٥[1]، على النساء لا تروح غيطانا، ولا يركبوا حميرا، وراحت على من راحت وكانت غنيمة كبيرة وهتكا لجميعهم، الله أعلم.

وفى ثانى شعبان [2] سافر الاغا الطواشى، وكان أبيض اللون الى مكة المشرفة، بالسيف والقفطان الى الشريف يحيى، الذى تقدم ذكره. وفى عاشر شعبان عصى محجوب الخبيرى ونهب قافلة الفيوم عن بكرة أبيها.

وفى خامس عشر شعبان سنة ١١٣٥[3]، سافر اسماعيل بيك، الى زيارة القطب الربانى سيدى على المليجى لأنه أحدث فيه عمارة، وسيدى أحمد البدوى فسافر لزيارتهما ولأجل أن يكشف على العمارة، ثم أنه قتل العادلى وأخاه، وهو متوجه الى زيارة السيد أحمد البدوى، ولقد تحرت والله يا أخوانى فى قوة قلب هذا الرجل لأن داخل القاهرة اعداؤه وخارجها اعداؤه، ولم يبال من أحد منهم ومحمد بيك جركس كان أقوى قلبا منه، مشهورا بالشجاعة، مع انه من يوم ظهر لم يطلع ولا الى العادلية ثم أنه غاب خمسة عشر يوما وأتى آخر شعبان.

(١) ٢٦ أبريل ١٧٢٣م. (٢) ٨ مايو ١٧٢٣م.
(٣) ١٩ مايو ١٧٢٣م / كتب عنوان جانبى «أعرف عصيان محجوب الخبيرى وأخذه قافلة الفيوم».

يكن احد يعلم بها من اهل هذا الزمان ولها قيمة كبيرة وجازوا من ناحية هيكل ساويرس وصار ذلك الجانب الغربى جميعه فى حوزهم وبقيت الكنيسة مغلقة لا يقدس فيها ولا يصلى. واما الملك العادل فان اخاه الملك الصالح طلع به الى القلعة وجعله فى موضع لا يصل اليه احد ولا رجع احد يبصره وبقى النصـارى مـذبذبين بالطلوع الى القلعـة والوقوف للسلطان ولم ينعمل لهم شئ.

وفى عشرين شعبان[1] حصلت فتنة فى رشيد، وجاء الى مصر نحو الماتين من النفر يشكوا فى عبدالله جربجى، فطلعوا باب مستحفظان فعزلوه، وولوا محله أحمد جاويش الخربطلى، وأخمدوا نار الفتنة.

وفى ثالث عشرين شعبان[2] ورد عرض من مكة المشرفة، بأن يحيى الشريف، وعلى باشا باشت جدة، وعسكر مصر الذين عينوا صحبة أحمد بيك المسلمانى وأهل مكة تقاتلوا هم والشريف مبارك شريف مكة سابقا وكان صحبته سبعة آلاف من عرب اليمن وتقاتلوا قتالا كبيرا، ووقع على باشا باشت جدة من على جواده، لو لم يكن أدركه أحمد بيك بجواده الجنيب، والا كان هلك، وألبس أحمد بيك كركا وسدار مستحفظانه. ثم انهم رجعوا الى مكة لأن «الدهمة» كانت فى عرفات، وقد قتل من العرب الفان وخمسماية، ومن العسكر نحو الخمسين، ومن جماعة الباشا خمسة وأربعون، ومات على آغا سردار الجملية، وكان الباشا قد قتل من الاشراف اثنى عشر شريفا وقد كانوا فى جيرة يحيى الشريف، وانه قد ابطل الجيرة، ثم أنهم يلموا اللموم وانهم قادمون علينا إلى مكة فهلبت من ارسال صنجق وألف وخمسماية عسكرى، صحبة الحاج الشريف لأن العسكر الذين عندنا حين يحجوا يروحوا وتبقى مكة

(١) ٢٦ مايو ١٧٢٣م.
(٢) ٢٩ مايو ١٧٢٣م.

ودخلت سنة سبع وثلاثين وستمايه بالعربيه [١٢٤١م] والسلطان الملك الصالح ايوب والوزير معين الدين بن الشيخ والقاضى شرف الدين بن عين الدولة الاسكندرانى ووالى القاهرة بدر الدين يونس الذى كان قتل امير جندار ووالى مصر عز الدين محمد ابن امراة الشهاب احمد والبطريرك انبا كيرلس المعروف بابن لقلق. وانتهت

خالية وأنهم ناويين يهجمون على حين غفلة، وأنا قد اخبرناكم واعرضنا مثل ذلك الى الاعتاب العلية صحبة الشيخ جلال الدين، ومفتى مكة، وانه قد فارق عرضكم من العقبة، فهذا كان السبب فى ارسال العرض، ثم ان الباشا وأكابر مصر أعرضوا الى الأعتاب العلية ينظروا الجواب والله أعلم.

ثم بعد العرض بيومين، الذى هو خامس عشرين شعبان، ورد آغا من الديار الرومية، بخط شريف قرى بالديوان، با مارة الحاج الى عبدالله مملوك اسماعيل بيك، وجوز اخته ، فألبسه الباشا قفطان الامارة، وعزل محمد بيك بن أسماعيل بيك الكبير؛ ونزلت الصناجق قدامه، واسماعيل بيك الدفتدار تحت شماله، وسيدهم قدامهم، وصار اسماعيل بيك شيخ البلد[١]، ومماليكه، واحد أمير الحاج، والتانى دفتدار، وقد كمل صعده وقالت المتقدمون.

أذا تم شئ بدى نقصه　　　توتى زوال اذا قال تم

وفى ثانى عشرين شعبان، ورد قاضى مصر أحمد أفندى بن عثمان افندى زاده من طريق دمياط وما اتفق أن قاضيا جاء لمصر من دمياط الا هذا، وسبب ذلك، أنه جاء صحبة مركب الميرى، التى أتت بمهمات البرج التى أمرت السلطنة بيناه فى عكة، وسبب بنايه، أن مراكب

---

(١) يفسر لنا هذا النص ظهور منصب مشيخة البلد بين الأمراء ا لمماليك.

زيادة الماء فيه الى ثلثة وعشرين اصبعا من سبعة عشر ذراعاً وكان الماء قد توقف زيادته من عيد الصليب[*] وقلق الناس لذلك وبلغ القمح ثلثين درهما الاردب والشعير عشرين والفول سبعة عشر والبرسيم ستين درهما الاردب ورجع زاد اصبعان فانحل السعر قليلاً واطمان الناس وروى اكثر البلاد. ووردت الاخبار بان الافرنج قد خرجوا الى

(*) فى ٢٧ سبتمبر بحسب التقويم الجريجورى.

القرصان يدخل مينة عكة ويستتر[1] فيها، وتأخذ منها المراكب لكون لها برج يمنع القرصان، فاعرض أهل عكة الى السلطنة، فأرسل لها ماية من البنايين والمدافع فى مراكب السلطنة فجاء القاضى صحبتهم فأرخوا مهماتهم فى عكة، وجاء القاضى الى دمياط، فهذا كان السبب وأن أحمد أفندى هذا، كان مصاحبا للسلطان، وصنع للسطان ثلاث عزومات وكان غنيا. وأنه جاء لمصر لاجل التفرج عليها، واحاطة علمه بها، وكان رجلا وجيها، عظيما مسناً فى العمر، جعل الله قدومه على مصر قدوم خير.

فأوكب يوم الخميس، تاسع عشرين شعبان[2]، وعمل الرؤية[3]، وأصبح ثانى يوم صيام، وكانت القاهرة فى غلاء، حتى أنه أضر باهلها، حتى أن الصابون بثمانية أنصاف، وكل شئ غالى السعر، وقد فسدت المعاملة أكثر، الى أن صار الجنزرلى بماية وخمسين، والريال بماية، والكلب بخمس وسبعين، والطرلى بماية وخمس وثلاثين، والنصف الفضة بعشرة جدد، وتغيرت أحوال البلد، حتى أن المقياس أمتلأ بالرمل، ولم تدخل الماء الى الفسقية، وتاخرت المنادات عن ميعادها أحد عشر يوما.

لأنه معتاد المنادية فى السادس والعشرين من بؤنة ، فنادوا عليه من هذا العام، وهو عام سنة ١١٣٤ خراجية، خامس أبيب، الموافق لثامن شوال سنة ١١٣٥[4] هلالية، والفتن كل مالها

(١) بالأصل «ويشهر».
(٢) ٥ يونية ١٧٢٣م.
(٣) بالأصل «وكانت» حذفت ليستقيم الاسلوب.
(٤) ١٢ يولية ١٧٢٣م.

نابلس والغور، وجاوا الى غزه نزلوها واخذوا القدس الشريف(*) شرعوا فى عمارة عسقلان. وان ذلك بموافقة الملك الصالح غازى صاحب دمشق عم السلطان، وانه اعطاهم رهانيه على انه موافقهم ومعاضدهم. وجرد السلطان زهاء اربعة الاف فارس ليمضوا الى غزه وخرجوا وبرزوا الى بلبيس . ثم ان النصارى رجعوا الى ما كانوا عليه

(*) اخضعت القدس للامبراطور فردريك الثانى بموجب معاهدة بينه وبين الملك الكامل فى عام ١٢٢٩م= ٩٤٥ ق. = ٦٢٦هـ، ويبدو أن عودة الفرنج إلى القدس هذه المرة كان بمساندة الملك الصالح غازى.

فى زيادة ، وقتل على الشواربى، وقطع بيت الشواربية من القليوبية، وكان بيتهم مشهورا فى السبعة أقاليم، وضرب الكاشف منية جنان(١) فى الشرقية، وقتل منها نحو الماتين من نصف سعد، وقتل شيخها الحاج ياسين، وكان مقداما كريما، وكانت القصع التى يخرجها الى الضيوف، كل قصعة لا يشيلها الا أربعة رجال من أعفا الرجال، وجميع الاقاليم صارت على هذا الشكل التى لم يخربها الكاشف أخربتها العرب.

وفى يوم الخميس ثانى عشر شوال(٢)، ورد ركاب محمد بيك أبو شنب من الخزينة، وصحبته خط شريف بالدفتدارية له، ولبس قفطان القدوم وقفطان الدفتدارية، ونزلت الخواسك قدامه، ونزل اسماعيل بيك جرجة معزولا من الدفتدارية. وانفض الديوان ولم يقر ذلك اليوم غير خط بالدفتدارية. ثم أنهم عملوا ثانى يوم ديوان وطلع اسماعيل بيك الى الديوان، مسلحا، وجميع أتباعه مسلحين وباش جاويش انكشارية محمد جدك طلع صحبته نحو الثلاثين نفر مسلحة من تحت حوايجهم. فلما رأى القاضى هذا الأمر تحور وانغم، وقال للباشا: ما هذا الامر الذى قد احدثته فى الديوان السلطانى، هذا محل ازالة المظالم والا محل السلاح وتعاطى الشر، هذا أمر يتولد منه فساد كثير، ثم انه قام من الديوان ونزل مغضبا. ثم أن جماعة أبو

(١) منية جنان: من القرى القديمة، وهى احدى قرى مركز كفر الشيخ ، محافظة الغربية، وحاليا أصبحت تعرف بأبعادية الروضة محمد رمزى، المصدر السابق، جـ٢ ، جـ٢ ، ص ١٣٥ .
(٢) ١٦ يوليو ١٧٢٣م.

من منازعة البطريرك ورفع بعضهم قصة الى
السلطان بانه يتعمد مالا ينبغي ويخرج عن الشرع
وان في جهته للسلطان جملة كبيرة اخذها على
اسمه وانه ان حضر الاساقفة وعقد له مجلساً
تحققت في جهته. فرسم باحضار الاساقفة من
الوجهين البحرى والقبلى ورسم على البطرك وبقى
في كنيسة حارقت زويله على جارى العاده. ثم

- -

شنب: قاسم بيك الأعسر، وابن أبو شنب، توجهوا له وأخذوا بخاطره، وصالحوه ودعوه في ثاني اليوم الى العزومة في قصر العيني، وأرسلوا له العربة اركبوه فيها، وكان يوما عظيما.

وفي ثاني يوم، طلع الى الديوان وقرأ فرمان الوزير بتغيير سكة المرادى، ويسكوا الفضة سكة الجنزير، فأبت الصناجق واختيارية الاوجاقات، وقالوا هذا أمر يتولد منه قيام الرعية وتخرب البلد، ولكن نعمل جمعية، فان اجابت العلماء وأصحاب السجاجيد، كان، والا فلا. ثم أنهم نزلوا وجمعوا البكرية والسادات والعلماء في بيت اغاة التفكجية فأبوا، وأعرضوا الأمر على الباشا، فنزل أغة الانكشارية وأمره بالمنادات في القاهرة أن المعاملة على ماهي عليه.

وفي يوم الاربع سابع مسرى[1]، أوفى البحر وجبروه ثاني يوم، وقعد الباشا في الكشك المعتاد، الذى على ممر الخليج، لأنه أحدث له هذا السقف، وكان قبل الآن ينصبوا خيمة، ووافق تاريخ الجبر، الحمد لله أتم الكسر جبرا.

ويرجع النص والكلام، الى أحمد جاويش الخربطلي، لما تولى الى اختيارية باب مستحفظا يستشفع عندهم في رجوع السردارية، الى عرض اسماعيل بيك، الى أنه يرجعه الى سرداريته برشيد، فأرسل الى اختيارية باب مستحفظان يستشفع عندهم في رجوع السردارية، الى عبدالله جربجي، فقبلوا شفاعته، وأرسلوه الى رشيد متولى، وارسلوا الفرمان الى أحمد جاويش الخربطلي، فلما دخل رشيد، هاجت العسكر، ونزلوا في المراكب ماية وخمسة أنفار،

(١) ١١ أغسطس ١٧٢٣م.

عقد المجلس بين يدى المعين الوزير وكان المخاطب له
الشيخ السنى الراهب (و) انبا بطرس واسقف فوه
المعروف قبل رهبنته بالفقه يوسف، واسقف
اسيوط، واسقف سمنود وجماعة من الاساقفة
وجرت بينهم خطوب ومنازعات اخرها انهم قالوا:
عندنا للسلطان ثلاثة الف دينار ويعمل بطركا
عوضه. فقال الصاحب لبعض الحاضرين: يجوز

ودخلوا الى قصر الحلى ببولاق، وأرسلوا الى باب مستحفظان يطلبون عرضهم الى العزب، فأبى عمر كتخدا ما حصل، من عدم اعطاء عرضهم فآل الأمر الى عزلان البرلى، وتولية مصطفى جاويش، تابع ذو الفقار كتخدا الذى يقال له، بلطة قبان، فاعطاهم عرضهم الى العزب، ونزلت الجميع الى رشيد يوم الأثنين خامس عشر القعدة سنة ١١٣٥[١]، وفى سابع عشر القعدة، جاء الخبر الى القاهرة بكسر جسر بدوية، وان تحت هذا الجسر جميع بلاد المنزلة، فغرقت وتلفت أموال لها صورة، وأن هذا الجسر من الجسور المتروكة، فخس البحر نصف ذراع فى ليلة واحدة، وانه غرق أهل المنزلة وجميع سعيهم، وزادت الغلة فى السعر، وحصل للناس كرب وخوف كبير. فألبس الباشا الى حمزة بيك قفطانا بمعرفة اسماعيل بيك على كشوفية المنصورة، وسد الجسر وأمره بأن يشترى شاهقتان من مراكب الروم، فنزل وأخذ مركبين من دمياط بماية وثمانين ألف فضة ديوانى، وكذلك مراكب غيرهما، وساعدته يد الأقدار الى أن سده بعد مشقة شديدة.

وفى عشرين القعدة البس الباشا قفطان السنجقية الى على آغا أبو العذبات وأمانة العنبر[٢]

(١) ١٧ أغسطس ١٧٢٣م.

(٢) أمانة العنبر: تعنى الاشراف على الغلال الاميرية التى تجبى من ولايات الصعيد، والتعرف على كمياتها والتأكد من نظافتها وخلوها من اى شوائب وصرف الجرايات والعليق منها لكل من يستحقها، وطرح الفائض فى الأسواق. انظر: عراقى يوسف. المصدر السابق، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

هذا عندكم قال لا ياMولانا ما يجوز قال: وما نعمل ما لا يجوز الا ان هذا قد اخذ مالا جزيلا للسلطان وما اوصله اليه وانا اريده منه. فتحدثوا فيما يرونه وبلغوا الامر الى الف وخمس مائة وعشرة دنانير، وكـتب بهـا اولاد اخى البطرك واولاد اختـه خطوطهم، وخرجوا وقد انفسد قلب البطرك على الاساقفة وقلوب الاساقفة عليه، ونزل يهتم فى

وحاكم جرجة الى على آغا أمين العنبر تابع اسماعيل بيك، (وهى)[1] صنجقية كتخدا الباشا، لأنهم كملوا اربعة وعشرين سنجقا، لأن معتاد صناجق مصر اثنان وعشرين صنجقا، والثالث والعشرين القبطان بسكندرية، لأنها باية [بقية] صنجق، وكذلك كتخدا الوزير باية صنجق، فلذلك البس الباشا صنجقية كيخته الى على بيك الارمنى، الذى يقال له أبو العدبات[2]، فتكرم الباشا له بالصنجقية لأجل اسماعيل بيك، وصارت الصناجق التى من بيت اسماعيل بيك ابن ايواظ بيك عشرة، وهم اسماعيل بيك الدفتدار، وعبدالله بيك، واخوه محمد، وحمزه بيك، وعبدالله بيك الهندى، وعلى بيك الأصفر، وابراهيم بيك خزندار الجزار، وعبد الرحمن بيك، وعلى بيك أبو العدبات وهؤلاء ونفس أبن أيواظ بيك صاحب البيت،ومن بيت أبو شنب، محمد بيك بن أبو شنب، وجركس الكبير ، ومملوكه جركس الصغير، وقاسم الكبير، وقاسم الصغير، وأحمد بيك الأعسر،و ابراهيم بيك الفارسكورى، وزين الفقار تابع قانصوة، ومصطفى بيك القطردار، وقيطاز بيك تابع قيطاز بيك الكبير، وابن اسماعيل بيك الدفتدار محمد بيك، وأحمد بيك المسلمانى الذى هو الآن صارى عسكر الحاج الشريف، ومرجان جوز، وابراهيم الذالى. وكملوا بهؤلاء الثلاثة وعشرين صنجقا.

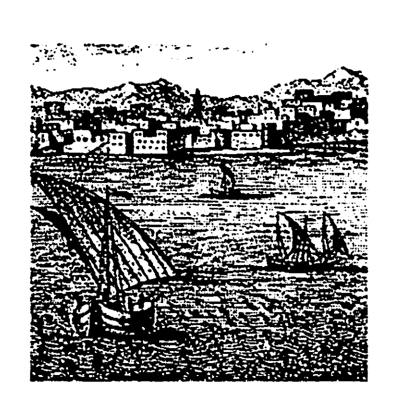
والبس الغربية الى محمد بيك بن اسماعيل بيك، والبحيرة الى احمد بيك الاعسر، وبنى

---

(١) بالأصل «هنا» والتصويب من سياق النص، ومن الجبرتى. جـ١ ، ص٢٤٦ .

(٢) يذكر الجبرتى، جـ١ ، ص٢٤٦ «وعلى بك هذا المعروف بأبى العدب».

القيام بالمبلغ، وخرج الاساقفة الى كراسيهم. ثم ان السلطان جرد عسكرا ليمضى الى اليمن مقداره الفا فارس وفيهم اكثر الامراء الكبار المحتشمين وتجهزوا بالجمال والهجن والروايا [قرب الماء الكبيرة تحمل على الجمال] والقرب وجهز لهم فى البحر مراكب حربية زهآء اربعين قطعة عملت فى [دار] الصناعة بمصر وركبت وحملت على الظهر

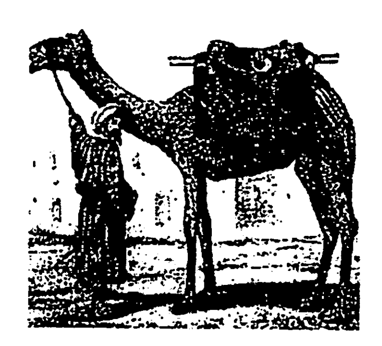


اسطول بحر القلزم

سويف الى قاسم بيك الصغير، والجيزة الى محمد بيك دفتدار مصر ابن أبو شنب حكم القانون القديم، وعبد الرحمن بيك الشرقية، وعزل خليل آغا من آغوية الجراكسة والبسه كشوفية القليوبية، وعزل قيطاز آغا من آغاة التفكجية والبسه كشوفية المنوفية، وحسين آغا ابن محمد آغا تابع البكرى البسه كشوفية الفيوم، وألبس ابراهيم بيك الدالى على الخزينة، والبس محمد آغا ابن الاشرف قفطان على آغوية الجملية على ماهو عليه، بعد أن أراد محمد بيك ابن أبى شنب دفتدار مصر، أن يلبس مصطفى آغا أبو لفية، فالبسه اسماعيل بيك بالرغم على محمد بيك ابن أبى شنب، وحصل ين محمد بيك بن أبى شنب واسماعيل بيك جرجة غم كبير فى الديوان، وجاء اسماعيل بيك بن ايواظ بيك من باب الجبل بنحو ماتين من جماعته مسلحين، وكانت رايحه تقع بينهم فى الديوان.

فلما رأى مصطفى آغا أبو دفية الغم رايح يقع بين اسماعيل بيك، وبين ابن ابى شنب بسببه، فما ساعه الا أنه نزل من السبع حدرات وتركهم متكلمين مع بعضهم البعض، فدخلت بينهم الصناجق وفرقوا بينهم والبسوا ابن أشرف بالقهر عن ابن أبى شنب، والبسوا ابن عبدالغفار أفندى آغاوية الجراكسة عوضا عن قيطاز، وألبسوا مصطفى أغا تابع عبدالرحمن بيك آغاوية المتفرقة، وركب اسماعيل بيك بجماعته ونزل من باب الجبل من محل جاء منه الى قصره الذى بمصر القديمة، ونزل الأعسر وقاسم بيك بعد نزول اسماعيل بيك، وابن أبى شنب ملآنين من الغيظ وما قدر أحد يتكلم بكلمة واحدة.

[ظهور الجمال] الى القلزم لتركب هناك وتسافر. وقبض رجالها من القاهرة ومصر المحروستين وبلادهما وكانت الحبوس والفنادق بمصر مملوه من رجال الاساطيل وانفق فيهم جملة كبيرة وخلع على الامراء المقدمين خلعاً سنية وطيب السلطان قلوبهم الى الغاية القصوى وبذل لهم كل جميل ثم ان الملك الجواذ مظفر الدين بن مودود (وهو



جمل لحمل روايا الماء

وكان فى ظنهم أن محمد بيك لما أن صار دفتدار تنفد كلمته فى البلد، فكان الأمر بخلاف ذلك، ولم تلبس المناصب الا بكلام اسماعيل بيك، وكانت جميع العساكر تروح ليه فى مصر القديمة، حتى الرزنمجى، وما أحد يروح بيت الدفتدار، وكان الرزنمجى وكتخدا الجاوشية وآغوات المتفرقة والترجمان يروحون بيت الدفتدار فى يوم الديوان فقط، وخدمة الديوان وجماعة والده ولم أحد من العسكر يلتفت اليه وجميع العسكر فى بيت اسماعيل بيك، الذى بمصر القديمة صباحا ومساء، فتزايد الغم بينهم وكثر، ولكن مالهم قوة على تحريك أمر.

ولنذكر نبذة وقعت الى اسماعيل بيك، وهى أنه لما نزل من باب الجبل، وتوجه الى قصره الذى[1] بمصر القديمة، بعد ما حصل له فى الديوان ما حصل ، وألبس ابن الاشرف والجماعة، فهو قاعد فى قصره بعد العشاء، واذا بعياط فى الروضة، قصاد قصره، هذا يقول: أقتل الله أكبر، وهذا يقول اذبح ، وهذا يقول جاك، وهاج الصياح فى الجيزة، فسأل اسماعيل بيك ما الخبر؟ فقالوا لا نعلم، واذا بالعايط انقطع، والرجال ترد الى أن جاءوا الى قصاد قصره فى ذلك البر والماء بينهم والقابل يقول بصوت مزعج: يا اسماعيل يا ابن يواظ، ماهو شطارة، أنت قاعد فى قصرك، وشيخ العرب سالم بن حبيب، الذى بتدور عليه وترسل له التجاريد، وقاتل غزك، أهوقدامك فى الجيزة ، قصاد قصرك، أنزل له، وخذ بتارك منه، ان كنت رجلا، ما هذا شطارة، وانت ترقد على جنبك، وتقول لخدمك كبسوا لى رجلى، وان كنت رجلا أنزل؟؟

(١) بالأصل «التى».

الذى كان صاحب دمشق وسلمها للسلطان الملك
الصالح، وكان قد اعطاه سنجار ولا شك انه غلب
عليها بحيلة احتال بها عليه صاحب الموصل
فاخذها منه ولم يبق له سوى عانه فباعها
للخليفة،ووصل ديار مصر على البرية لانه ما قدر
على العبور ببلاد الشام لاجل صاحب دمشق
وصاحب الكرك، فلم يمكن من العبور الى القاهرة

وأنا أكبسك بهذا المزراق العشارى، ادينى جيتك وكبست جيزتك[1] وقتلت رجالها ونهبت سعيها وما ابقيت فيها شيئا وأخربت الكفر، وأن كنت صنجق مثل ما تقول ، اتبعنى. فلما سمع اسماعيل ذلك امرهم ان يأتوا بالمراكب التى فى مصر جميعا وملاها بالرجال، وأنزلهم فيها، وأرسلهم الى الجيزة، فلما توسطوا البحر، واذا بالرصاص اخذهم من كل جانب كالمطر من بر الجيزة، فما وسعهم الا رجوعهم الى البر وهم يسبونه ويلعنونه، واخذ سالم جميع ما فى الجيزة من سعى وغيره، ووضع ذلك فى المراكب وسار الى محل ما جاء منه.

وكان السبب فى ذلك، أن سالما لما حصل له ما حصل من عرب غزة، توجه الى عرب ابن وافى ، فأرسل اسماعيل بيك ينبذ عليهم ويحرض قيام مقامات البلاد عليه، فضاق الحال على سالم، فرجع الى القليوبية، وركب هو وجماعته وجاء العطف، و اذا بمركب كبير متوجه من المحلة ملانا بالرزق، فضرب المركب واخذ جميع ما فيه، وقتل خمسة عشر رجلا من الذين فيه، فلما أصبح الصباح ملأ العايط مصر بأن سالم ضرب مركب القزاز، وأخذ جميع ما فيها. فلما أرسل اسماعيل بيك حمزة بيك له بالتجريدة، أوصاه أن يمر على دجوة وينظر سالما أين هو، فأى محل به، أرسل اعلمنى أرسل لك تقوية فجاء الخبر لسالم ان حمز ة نازل لسد الجسر وما رر عليك فاحرص على نفسك. فلما علم أن حمزة لبس قفطانا على سد الجسر عدى المنوفية هو وجماعته، فلما فات الصنجق ولم ير أحدا سار الى المنصورة، فلما فأت رجع سالم

(١) بالأصل «خيزتك» والتصويب من النص نفسه.

بل بقي بالعباسه. وكان معه على ما ذكر ابن
صاحب حمص الصغير وابن صاحب قلعة جعبر،
فاخرجت لهم الاقامات والنفقات والكساوى
والانعام والخيل والبغال وكل ما يحتاجون اليه
ورسم لهم بان يتوجهوا الى الشوبك فتوجهوا الى
نحو الشام صوب غزه وما والاها . وكان السعر
غاليا بلغ القمح اربعين درهما الاردب والشعير نيفا

الى القليوبية وقال لمن حوله من الملأ، يا اخواننا، الصنجق يتعب نفسه ويرسل لنا كل ساعة تجاريد، أنا أروح له الى بيته، ثم أنه أمر جماعته أن يأتوا له بعشرة قوارب فنزل فيها هو ونحو الماتين من مشايخ بنى حمدان، الذين يقومون الى الأكل من غير غسيل وجه، وجاء الى الجيزة كما قدمنا، ونهبها كما ذكرنا، ورجع كان الكلب ما اكل له عجين، فهذا كان السبب، وراحت كامس مضى لا عودة له.

واملأ قلب اسماعيل بيك غيظا لكن ما الحكم فى طير كل يوم فى بر[1] ولم يستقر فى بلد يوما واحدا، واذا بات فى البلد لا ينام الا فى الغيط، خوفا من الكبسة عليه من اسماعيل بيك. وفى خامس الحجة، ختام سنة ١١٣٥[2]. طلع بعض الرعاية الى الديوان، وغوشوا فسأل الوزير: ما الخبر، فقامت الجاوشية والمتفرقة اخبروا الباشا بأن السراجين والغز ينهبوا الفقرى والمسببين، ويقتلو، وأن الناس قفلت دكاكينها، وبطلت البيع والشراء، فلما أخبر الوزير أرسل احضر[3] أغاة مستحفظان وأمره بأن ينزل ينادى فى البلد بعدم شيل السلاح، وكل من شال السلاح ترمى رقبته عسكريا كان، أو شريفا، أو ابن بلد، وكتب له حجة على ذلك باتفاق الصناجق والأغوات واختيارية الاوجاق السبعة، وان كل من رآه مسلحا وهرب منه فى بيت أو قهوة، ولو فى بيت أكبر كبير، فعليه هجم ذلك المحل وآخذه منه. فنزل من يومه وشق القاهرة. ثم أنه فى حال نزوله رمى رقبة واحد من الشرفا فى الرميلة، وثانى يوم واحد فى

(١) بالأصل « يوم». (٢) ٦ سبتمبر ١٧٢٣م. (٣) قدم واخر .

وثلثين درهمـا الاردب واللحم والدجـاج والزيت
والسيرج وجميع اصناف الماكول على غلائها على
مـا تقـدم ذكره ولم يكن فى البـلاد شئ رخيصـاً
اصلا ولا صنف من الاصناف . واما العمـاير فانها
كـثـرت الى الحـد الذى مـا عليـه مـزيد حـتى ان
البنا[البناء] صـار باربعـة دراهم نقـره اجـره فـى كل
يوم، والجبس بدرهم ونصف الويبـه. والجيـر بسـتـة

الجمالية. وفى ثانى يوم رمى رقبة واحد عسكرى من العزب فى سوق السلاح يقال له بشناق يوسف، وصار كل من لقيه مسلحا رمى عنقه، وكل من دخل بيتا أو قهوة هجم عليه وأخذ من ذلك المحل الذى دخل فيـه. فسكتت البلد وطابت، بعد أن كـان فى كل يوم يقتل فيـهـا الواحد والاثنان.

وكان السبب فى ذلك، أن محمد السيفى، باش سراجين محـمـد جركس متخاصم هو وباش سراجين اسماعيل بيك جرجة، يقال له «ولى»، وكان اذا مشى فى البلد لا يمشى الواحد منهم الا صحبـتـه نحو الخمسين أو الستين من السـراجين، فاذا قـابلوا بعـضـهـم يتـقـاتلون مع بعضهم البعض، فيقع بينهم الساقط ، ثم أن جماعة جـركس أتوا فى رمضـان الى قيـصـون وتعاركوا مع سراجين اسماعيل بيك الدفتدار تابع اسماعيل بيك أمير الحاج ثلاثة أيام متوالية من بعد الظهر الى بعد العصر، ومات من سراجين جرجة ثلاثة ورجل من المارين وجارية سوداء فى أول يوم ، وانفـصلوا . ثم أن جمـاعـة اسماعيل بيك قتلوا واحدا من جماعة السيفى فى سوق السلاح يقال له الدالى حسين، وكان جبارا عنيدا لا يضرب الرجل الا بالخنجر من غير ان يخاطبه الرجل ، فقتل كذا وكذا رجلا، ثم أن جماعة السيفى قتلت من جماعة ولى اثنين فى مصر القديمة ثم أنهم تقاتلوا فى بولاق، فوقع من الفريقين من فرغ أجله، فرفعت الناس أمرهم الى الوزير ، فأمر الاغا بالنزول، فهذا كان السبب. فهمدت شوكتهم ، وكان الواحد منهم يلبس على رأسه بوشتيـة ، وفى وسطه أربع طبنجات وجردة ونيبـال طول ذراع، فعند

دراهم الاردب القنطار. ولا يقدر احد عليه وكانت
كثرة العمـاير لاجل كثـرة الواصلين من الشـام
والشـــرق لانه وصل منهم فى هذه الايام امم لا
تحصى وبنوا لهم ادر [دور] كثيرة برا المدينة وفى
سـاير المواضع والطرقـات حتى صـا رت المدينة
بمقدار عشرة مدن، وهو السبب فى غلا الاصناف
واجر الصناع وكان الغلا بغير مصر اكثر من مصر

ذلك لم يظهر منهم أحد، وصاروا يتخبون فى الشقوق، وكانت البلد حكم مالطة وكلهم جماعة عثمان أوغلى حين جاء الى مصر وصار عنده سراجين كرجب واسماعيل جرجة والله أعلم.

وفى هذا التاريخ تهدم باب سعادة والخرق[1] الذى هو مقابل لمحكمة باب الخرق ثم بناه احمد جربجى بن يوسف اغا من ماله، ابتغاء وجه الله تعالى ، وكان الفراغ من بنايه ثالث عشر الحجة سنة ١١٣٥[2].

ولنرجع الى كلام سالم بن حبيب، فانه لما رجع من الروضة نزل بالعطف، واذا بمركب مارة عليه، وكانت تلك المركب من دمياط لواحد من تجار دمياط فتوجهت الى مصر وفيها ثلاثة قايم مقامات وبعض من التجار، واذا بابن حبيب خرج عليهم صبيحة خامس عشر عيد الأضحى، وهو فى صفة قايم مقام، فى مركب كأنه مسافر الى مصر، فلاصق المركب وقفز فيها على حين غفلة، فصار داخل المركب وكان (الريسا غفلانين)[3] فضرب المركب وأخذ

---

(١) باب سعادة والخرق: كان ابتداؤه من أخر شارع تحت الربع ، وانتهاؤه أول شارع غيط العدة، وبه كثير من الحارات والدروب والعطف ، وكثير من الحمامات، وتعرف هذا المنطقة حاليا باسم منطقة باب الخلق، وتتبع اداريا قسم الموسكى، ومحافظة القاهرة ، على مبارك، الخطط، جـ٣، ص ٥١.

(٢) ١٤ سبتمبر ١٧٢٣م.

(٣) بالأصل «الريح غلنيير» والمعنى بذلك غير مستقيم، والتصويب من سياق الأسلوب،حيث أنه دخل المركب على حين غفلة ، وكان ريسا المركب فى غفلة.

اضعاف مضاعفة. وكان السلطان خلد الله ملكه قد رتب موضعاً وسماه دار العدل(*) ورتب فيه ثلاثة اشخاص جندا تعرف بالافتخار ياقوت الجمالى اليمنى والشريف قاضى العسكر وهو من سادات الناس، ورجل اخر يعرف بالفقيه عباس وهو خطيب القلعة [السابق ذكره فى احداث الكنيسه المعلقة] وكان الناس يرفعون اليهم

(*) دار العدل هذه اعاد بنائها الظاهر بيبرس تحت القلعة سنة ٦٦١هـ.=٩٧٩ ق. = ١٢٦٢م. ظلت تقوم بدورها حتى أقام المنصور قلاوون «الايوان» المعروف بدار العدل فهجرت دار العدل القديمة حتى هدمها الناصر محمد ابن قلاوون سنة ٧٢٢ هـ =١٠٣٨ق.= ١٣٢٢م. وعمل موضعها «الطبلخانه».
ولما عمل الملك الناصر محمد ابن قلاوون «الروك الناصرى» أمر

جميع ما فيها ، وقتل، الثلاثة قيام مقام والخوجا الدمياطى. وكان فى المركب ثلاثين كيسا زنجرلى وريالات، أخذ الجميع، وكان منها عشرين كيسا للقيام مقام مال الملتزمين، وعشرة أكياس أماين التجار الى مصر ، فأخذ الجميع فورد العايط الى الديوان، فتغير الباشا وسأل عن البلد التى ضربت تحتها المركب، فأخبروه بأنهم ثلاثة بلاد، بطا ومشيرف[1] والعطف، وأن بطا تعلق محمد بيك جركس وسليمان آغا الشاطر، والعطف تعلق يوسف آغا، ومشيرف تعلق على كاشف تابع أسماعيل بيك الكبير، فأخرج الباشا الثلاثة ترى الى البيع فى الحال، ودلل عليها الدلال فى الديوان فى الوقت والساعة لأجل ما يباعوا، ويعطى الثمن لاصحاب المال الذى ضاع منهم فى المركب لتمنعهم. فدللوا عليها أول ديوان، فطلعت اعيان البلد وتشفعت عند الوزير أن اصحاب البلاد يقعدوا بالمال الذى ضاع لاصحابه. فهم فى الكلام، واذا باغا من أغوات الباشا طلع الى الديوان وهو عريان ومجروح ودراعه مكسور، الى أن وقف قدام الوزير، فسأله الوزير عن حاله، فأخبره بأنه توجه الى الخدمة التى أرسله فيها بمصر القديمة.

(١) بطا: كانت تعرف باسم «البطط»، وكانت واقعة بحوض البطط بأراضى ناحية توب طريف، مركز السنبلاوين، ومحافظة الدقلهية، محمد رمزى ، المصدر السابق ، قسم ١ ص ٣٢.
(*) مشيرف: اسمها الاصل شميرف، وعرفت باسم مشيرف منذ العهد العثمانى لسهولة النطق، وهى احدى قرى مركز قويسنا ، محافظة المنوفية، ومحمد رمزى، المصدر نفسه، قسم ٢ جـ٢، ص ٢٠٦.
(*) العطف: احدى قرية مركز منوف، محافظة المنوفية ، تقع على الجانب الغربى من فرع النيل (دمياط). وهى قرية كثيرة الخيرات ، ومحمد رمزى، المصدر نفسه، قسم ٢ ، جـ٢ ، ص ٢١٤.

ظلامـاتهم ويوقـعـون لهم على الولاه ويكتـبـون موضع العلان أسماهم الثلاثة. واستراح السلطان بذلك وصـار مـلازمـا للذته وركـوبه وصـيـده ومـاهو بصـدده. ثم ان رسل الافـرنج ترددت الى مـولانا السلطان فى طلب الصلح على ابقـاء البـلاد التى اعطاهم الملك الناصر بن المعظم اياها بايديهم، وان يتـسلمـوا اسـراهم الذين اخـذوا فى هذه الوقـعـة

بهـدم الإيوان واعـادة بناءه، ثم زاد فـيــــه فى سنة ٧٣٥هـ.= ١٠٥١ق.= ١٣٣٤م. وأنشـــا به قبـة وأقام به عـمدا عظيمة نقلها من المعـابد الفـرعـونيـة المجاورة، ورخـمـه ونصب فى صـدره سرير الملك وعمله من العاج والابنوس، وعمل امامه رحبة متسعة. وقد انـدثر هـذا الـديوان ويـدل علـى مكانه الآن الأرض القـائم عليـهـا جامع محمد على باشا وملحقاته بالقلعة.

فلما قضاها ورجع الى مصر، فهو عند القناطر، واذا هو بعشرة من العرب خرجوا عليه فعروه وجـرحوه. فلما سمع الوزير ذلك، زاد غمـه، وقـال: يا عـسكر مـصـر وصناجق مـصـر، صارت العرب تضرب فى البحر، وتحت قلعة السلطان. فلما سمع الصناجق من الباشا هذا الجواب، وكـان غـفـر مـصـر القـديمة مع مـرجـان جوز، فنزل من الديوان، وتبـعـه أحـمـد بيك الأعـسـر، وابراهيم بيك الجزار، وبعض الاغوات على العجل، فى طمـع أنهم يدركوا الخيل، وطلعوا من باب الجبل، فتقوشعت الناس الذين ليس عندهم علم من القضية، فهاجت الناس فى الديوان، ونزل بعضـهم الى حـوش الديوان، فطلعت الخلق كسرة الى الرميلة، والخلق تقول الباشا حاش الصناجق، فقفل العزب الباب الذى لهـم من طرف الديوان، ونزلت الناس كـسـرة الى الرمـيلة وانتهبت الأسواق حتى ضاع بعض أشياء من سوق السلاح.

فمن جملة الذى ضاع ونهب، ان رجلا دلالا بيده كرك سمور، يدلل عليه ويقول، حراج عشرين زنجرلى والكسرة نازلة من الرميلة، فهاجت أهل السوق وواحد من أولاد الزنا، تعرض الى الدلال، وهو يجرى وخطف الكرك، وذهب يجرى والكسرة وراءه، وصار لم أحد يبقى[1] الى أحد، وصارت الكسرة الى باب النصـر، ثم أن الصناجق الذين طلعوا ورا العرب، رجعوا ولم يجدوا أحدا. ثم أن الباشا قطع سبع فرمانات الى السبعة أقاليم، أن كل بلد ينزل فيها سالم بن حبيب ولم يطردوه، أن لم يقدروا على مسكه، فبخراب تلك البلد، وقتل جميع من

(١) بالأصل «يبعى».

القـريبـة على انهم يعـيـدو هم ايضـاً الاسـرى
المسلمين الذين عندهم. وتردد الوزير كمال الدين
بن الشيخ، شـيخ الشـيـوخ اليـهم فى هذا المعنى
وانبت الحـال بينهـم على ذلك وحلفـوا للسلطان
وحلف السلطان لهم واخـرج الكند [الكونت]
الذى كـان اسـر والخيـاله الذين كـانوا مـعه وخلع
عليهم اجمعين وشقوا القاهرة راكين وتوجهوا الى

فيـهـا، ونزلت الأغوات الى جـمـيع الأقـاليم خطابا الى كـشـافـهـا، وأشـهـر الكشاف المناداة فى السبعة اقاليم.

وفى ثانى يوم مـحـرم سنة ١١٣٦[١]، ورد آغا من الديار الرومية بمقرر الباشا على سنة ١١٣٦، وكـان عـشـرين توت القـبطى سنة ١١٣٥ قـبطيـة [٢]، وأشـيع فى القـاهرة أنه جـاء صحبة مقرر محمد باشا خط شريف برجوع بلاد أحمد بيك تابع محمد آغا المسلمانى[*] الى تصرفه، ولكن ما قرى ذلك اليوم لغياب أحمد بيك بالديار[٣] الحجازية.

والسـبب فى رجـوع بلاد أحـمـد بيك الى تصـرفـه، أنه لما سـافـر صـارى عـسكر الى مكة المشرفة، وقاتلوا مع العرب، ووقع باشت جدة من جوادة، وأحمد بيك ادركه بجواد النجيب بتاعه، ووقف حتى أركبه كما تقدم ذكره، فرأى باشت جدة هذا معروفا كبيرا وسببا لحياته، فجمع الاشراف فى حضرة الشريف يحى شريف مكة، وكتب عرضا يتشفع هو والشريف وجميع الاشراف الى حضرة مولانا السلطان برجوع صحبه الشيخ تاج الدين مفتى السادة الحنفية فقبل وأرسل له خطا شريفا صحبة المقرر فلم يقرى لغيابه، وابقى الى حين وروده الى مصر، فهذا كان السبب والله اعلم.

---

(١) ٢ أكتوبر ١٧٢٣م. (٢) ٢٣ سبتمبر ١٧٢٣م.

(*) بالأصل «الملالى» والتصويب من النص، ومن الجبرتى، جـ١، ص ١٠٠، ١١٢.

(٣) بالأصل «الرومية» وفوقها علامة الحذف.

بلادهم فى برمهات (*) من هذه السنة. ووردت الاخبار بان قاضى نابلس تسلم الاسرى المسلمين وانه خلع ايضا عليهم واحسن اليهم والبلاد التى رجع الفرنج اخذوها وهى القدس الشريف وبيت لحم وعسقلان واعمالها وبيت جبريل واعمالها، وعمل غزه غير المدينة، وطبريه واعمالها، ومجدليانا واعمالها وجبل عامل وصفد وكوكب

(*) يقع برمهات بين ٢٧ مارس و٢٥ ابريل.
(*) الملك الناصر بن المعظم بعطى الفرنج كل الساحل والقدس ما عدا غزه ونابلس والخليل.

وفى خامس محرم سنة ١١٣٦[١]، نزل آغا مستحفظان الى القاهرة، واشهر فيها الندا لجميع طايفة اليهود والنصارى أن كل من دخل الحمام فلا يدخل ألا وفى عنقه جلجل، ليعرف الكافر من المؤمن. وسبب ذلك، أن رجلا من المتعممين دخل الى حمام فأهانه رجل فى داخل باب الحرارة، فظنه من أكابر الدولة لوجاهته، فلم يرد عليه جوابا لتقيد خدمة الحمام له، فلما طلع الى خارج الحمام، واذا به صراف باب مستحفظان، فكاد الرجل المتعمم أن يهلك غيظا، فأخبر آغاة مستحفظان، فقطع فرمانا ونادى به. فهذا كان السبب، ثم أنه نادى بأن خدمة الحمام لا يخدمون داخل الحرارة أولادا، وكذلك طايفة المؤمنين لا يخدمون أولادا مردا، ولم تمكث الا مدة يسيرة، وعاد كل شئ (*) الى أصله. ثم أن الحمامية أجتمعوا مع بعضهم البعض، وقالوا الأمر خمار علينا، وأن حمام من غير أمرد لا يمكن، ثم أقتضى رأيهم أنهم جمعوا من بعضهم البعض ثمانية آلاف نصف فضة، وأوردوها الى الاغا[٢] على عدم المعارضة من دخول أهل الذمة الى الحمامين من غير جلاجل فى أعناقهم، فقطع الاغا لهم تذكرة بما أرادوا، ونزل شيخ الحمامين فرقها، على كل حمام مايتى نصف فضة، لأن جملة حمامين القاهرة ثلاثة وسبعون حماما[٣]، بالثلاثة التى أحدثت وهو حمام الرميلة، وحمام محرم أفندى

(١) ٥ أكتوبر ١٧٢٣م.
(٢) كتب كتب بأعلى هامش الصفحة «أطلب منك العون».
(٣) كتب عنوان جانبى «أعرف أن حمامين مصر ٧٣ حمام».
(*) بالاصل «حى».

والطور وتبنين وهونين والشقيقان وعلى الجملة
جميع بلاد الساحل لم يخرج عنهم شى سوى
نابلس والخليل ومدينة غزه لا غير. ويقال ان
الصلح انما هو مع العرب والاسناريه [الاسبتاريه]
لا غير، وان الديويه(*) لم يحلفوا. وفى هذه الايام
رسم السلطان خلد الله ملكه. با ن تهد جميع
الادر [الدور] وما معها وجميع ما بجزيرة مصر
[الروضه] وان تعمر قلعة(*) ورسم بشرى الادر

(*) فرسان المعبد.

(*) انشاء قلعة الروضة.

بسويقة اللالة، وحمام قراميدان، واثنان بمصر القديمة، وستة ببولاق، فجملتهم أحدى وثمانون حماما[1].

ومن جملة ما أتفق، أن رجلا دخل الى حمام السكرية، واذا برجل ذمى دخل الى الحمام وقلع حوايجة، واذا بالناطور[2]. قدم له الفوطة، وقدم له جلجلا، فقال له الذمى: ما هذا؟ فقال له الناطور: كما أمرنا الاغا. فأبى الذمى أن يضع الجلجل فى عنقه ولبس حوايجه ولم يدخل، وطلع يربر وأن أكثر مقبل الحمامين على أهل الذمة والله أعلم.

وفى سادس محرم، ورد آغا من الديار بمقرر الدفتدارية لمحمد بيك ابن أبى الشنب، لأنه عمل عليها كشوفية الى الوزير وجعلها الحاقا الى الوزير حين سافر بالخزينة، وأنها لم تكن تأتى من الديار الرومية قبل الان، وانما كانت لمن يوليه والى مصر، وجاءته وكالة الخرج عوضا عن اسماعيل بيك جرجة والله أعلم.

ومن أعجب ما وقع، ان ابن ابراهيم بيك، لما أنعم عليه الملك بدفتدارية مصر كان قضا مصر وجه الى أحمد أفندى بن عثمان أفندى زاده، فحصل بينه وبين الأفندى ود كبير،حتى أنه أقرضه عشرين كيسا رومية، وصار لا يفارقه طول مكثه الى حين التوجه الى مصر نزل صحبته فى الغليون، الى أن ورد الى مصر.

(١) كتب تعليق جانبى «أحدث بعد ذلك حمام عثمان كتخدا بالأزبكية، وحمام ابراهيم جاويش بباب الخرق».

(٢) الناطور: عامل الحمام الذى يتسلم الملابس من المستحم، ليحفظها لحين أنتهاء الشخص من الاستحمام.

التى فيها من اربابها ليهدمها ويعمل الابراج والسور مكانها وشرع فى ذلك وحفر الاساس وترتب العمل فيها وتضاعف ثمن الاصناف واجر الصناع بهذه الحركة وذكر ان الذى تقرر عمله بدايرها سبعة عشر برجا وان كل برج يحتاج الى احدى وعشرين خنزيره(*) غير الابدان تسمر وتدك ثم يبنى عليها. وسير الافرنج الاسرى الى مصر للعمل

(*) خنزيره: المقصود بها هنا اساسات ومداميك قوية ليتم عليها تعلية البناء.

فلما ورد مصر صار أحمد أفندى لا يفارقه، ففى كل ديوان ينزل الى بيت محمد بيك، وان محمد بيك طاير بجناح القاضى ، وما جاءته دفتدارية مصر تانى سنة الا بهمة القاضى، فأنه أرسل أعرض له فى شأنها ووكالة الخرج. وصار يصنع له العزومات، وصار القاضى لا يلتفت الى أسماعيل بيك مطلقا، واذا رآه عند الباشا لا يكترثه، فحصلت نكتة وهى أن على باشا حين قتله رجب باشا ترك جوارى وسرارى، ومن جملته باش محاظية، فتزوجت بخازندار على باشا، وكان شريفا وكان يقال له الشريف محمد الازمرلى[1].

فلما تزوجها الخزندار ما ملأ عينها ولا جاء على خاطرها فصارت تجلب له الغم من كل فج عميق، وصار الآخر يؤذيها اذية بالغة. فشكت أمرها الى القاضى وأرشته بكيس من المال، فأرسل القاضى خلف زوجها وامره أن يطلقها فأبى، فاستفتى القاضى العلماء، فأفتاه المالكية، بأن الزوج اذا حصل منه هجر الفراش والضرب المؤلم مع أقامة البينة، فيفرق الحاكم المالكى بينهما، ففرق الحاكم المالكى بينهما، وأمر القاضى بدفع المؤخر فادعى الاعسار، فأراد حبسه، فادعى أنه انكشارى، فأرسله صحبة الجربجى الى باب مستحفظان، وأمرهم بسجنه الى أن يدفع ما عليه من مؤخر الصداق. فسأله الكتخدا عن سبب سجنه وعن حاله، فأخبره بما وقع له مع القاضى، وتعصبه عليه، فشاع هذا الأمر فى القاهرة، فعلم اسماعيل بيك بهذا المنصف، فأرسل الى كتخدا مستحفظان بأن ينصب له وكيلا يكن ماهرا حاذقا يدرى أمور

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف حكاية القاضى مع خازندار وزوجته».

في القلعــة المذكــورة وانزلوهــم فى كنيــســـة ابو مــرقــورة[*] التى بالســاحل لاجل قــربهــا. ووقع النصــارى من ذلك فى بليـه لان الكنيســة المعلقـة جرى فيها ما جرى وهذه الكنيسة هذا حالها مع ان الخراب كان قد استولى عليها وكنيسة الجزيرة [الروضـه] مـا ندرى مـا يكون منهـا مع هذا السـور المحدث فيها وكل هذه كنايس البطرك التى انتخبها

(*) كانت كنيســه أبو مـرقـورة فى ذلك الوقت على الضفة الشرقية للنيل بمصر عتيقه مباشرة وهى الآن تبعد عنه حوالى ٧٠٠م.

الشرع، فأقام كتخدا مستحفظان له وكيلا. فلما كان ثانى يوم الذى هو يوم الأحد ثالث عشر محرم سنة ١١٣٦[١]. طلع شيخ الاسلام الى الديوان، وجلس عند الوزير[٢]، واذا بالوكيل انتصب بين يدى الوزير، وصحبته باش جاويش مستحفظان وجماعته من اختيارية الوجاق، وقدم عرض حال يشكو فيه القاضى، ويدعوه الى الشرع الشريف، وحكى قصة موكله الى الوزير فى العرض الذى قدمه للوزير، والتفت الوزير الى القاضى وقال له: مولانا شيخ الاسلام، هذا الرجل الذى قدم العرض يدعى أنك فى أمس حكمت على موكله حكما ينافى مذهبك، وينافى مذهبه، وفرقت بينه وبين زوجته بخلاف ما نصت مشايخ مذهبكما، فقال القاضى: فرقت بينهما على مذهب مالك بن أنس. فقال الوكيل: يا شيخ الاسلام، كيف ما تحكم بمذهب الغير ولم يكن المدعى والمدعى عليه متعبدين على مذهب ذلك الامام الذى يقول بصحة ذلك القول، وأن مذهبهما مذهب أبى حنيفة النعمان، الذى يقول بعدم صحة ذلك القول، وأنت تقول بعدم صحته، كيف ما تحكم. فقال القاضى: حكمت بصحته ونفذته، وحكم الحاكم يرفع الخلاف وقد قريته، وأن كان ضعيفا فى مذهبى فانه تقوى فى مذهب مالك والمفتى به، وأنكم أنتم انكشارية ظرب وزيادة على ذلك التزوير. ثم انه فز قايما ودخل الى داخل السراية، فنزلت الانكشارية الى بابهم، واعلموا جماعتهم، ففى الحال تسلحوا

(١) ١٣ اكتوبر ١٧٢٣م.
(٢) بالأصل كتب فى وسط كلمة الوزير بعض حروف كلمة الوكيل «كيل» وشطبت.

ومـواضع سكنه وراحـتـه. وفي هذه الايام اسلم اسـقف سندفـا[*] وكـان يقـال له ابن السندوبى، ودور [في] المحله [الكبرى] راكبا على حصان وقد خلع عليه الوالى فروه وشربوش، وكانت بدعة ما شوهد مثلها. وسببه انه كان خرج عن الواجب ووقع في خطيـة الزنى واراد البطرك منعه ما مكنه منه الشيـخ الصنيـعة رئيس المستـوفيين خـوفـا مما

(*) سندفا: تذكر المراجع القديمة أن مـدينة المحلة الكبـرى لهـا جانبـان أسم أحدهما المحله والآخر سندفا: وقد ذكر ياقوت في معجمه أن المحلة ذات جنبين أحدهما سندفا والآخر شرقيـون. وكانت سندفا تشغل القسم الجنوبي من مساكن مـدينة المحلة الكبـرى القـديمة أي الواقعـة في الجهـة الغربيـة لمحطة السكة الحديد المصرية، وهي الآن جـزء من سكن مـدينة المحلة لا

وخرجوا الى السوق الكبير، وجلسوا على بابهم، الذى فى طريق الديوان، واذا باسماعيل بيك أمير الحاج، واسماعيل جرجة وعلى بيك فردتهم الانكشارية، فرجعوا وأخبروا الباشا بأن الانكشارية تقول شرع الله، وأنهم رايحين يرسلوا مـحـضـرا الى شيخ الاسلام الذى بالديار الرومية ويرسلوا له الحجة التى وقع فيها الحكم.

فلما سمع القاضى تحير فى أمره، وصبر الى المغرب، ونزل من السبع حدرات صحبة الصناجق، وبات تلك الليلة بياتة سودا، مثل خيار الشنبر، طويلة سودة ملينة. ثم أن الانكشارية فى ثانى يوم، أرسلوا شالوا الشربجى واليمق والكشلية والعسكرين اللذين[1] على باب بيت القاضى، وأشيع فى القاهرة أنهم على نية أرسال عرض الى السلطنة العلية، ان القاضى الذى أرسلتموه يطلق النساء من الرجال أزواجهن بالجبر عليهم لأجل حطام الدنيا. فحصل عند القاضى حصر وضيق، وصار لايهنى له أكل، ولا شرب، فأرسل نايبه الى مفك الحبلات، مير اللواء أمير الحاج اسماعيل بيك بن أمير الحاج ايواظ بيك، يستجير به من الانكشارية، فأجاب بالسمع. وفى حال أرسل تذكرة الى باب مستحفظان يتشفع عندهم بالصلح على القاضى، وأنهم يعفوه من هذا الذنب، وأنه يرد المرأة الى زوجها، ويرد اليها ما أخذه منها. ثم أن فى ثانى يوم أتت اختيارية الانكشارية الى اسماعيل بيك، وسلموا عليه، وقال له: شفاعتك مقبولة، ولكن نعمل جمعية عندنا فى الباب، ونأخذ بخاطره، فقال لكم ذلك، ثم أن اسماعيل أرسل

(١) بالأصل «العسكرتين اللتين».

جرى، وكان السبب فى ذلك رجل شماس من كنيسة سندفا منعه الاسقف واوقفه عن التصرف فما زال يرقبه حتى عبرت اليه المره [المرأة] الخاطيه وكانت مسلمة فمضى الى والى المحله اعلمه بذلك لان سندفا جاره من جارات المحله ما يفرق بينهما الا البحر وكان اذ ذاك فسير الوالى شاهدين مع الغلمان فاحضروا الاسقف مع المره وضرب ضربا

يفصل بينهما إلا الشارع الذى حل محل ترعة المحلة.
وكانت المحلة مدينة قائمة بذاتها ليس لها زمام خاص بها إلى سنة ١٢٦٠هـ=٥٦٠ق.=١٨٤٤م. وفى تاريخ تلك السنة الغيت الوحدات المالية لنواحى سندفا وهورين وبهرمس والمنتصرية وكانت من القرى القديمة المجاورة للمحلة واندثرت. فأضيف زمامها إلى بعضه وقيد فى دفتر المساحة باسم المحلة الكبرى لأنه يحيط بسكانها من جهاتها الأربع،

الى باقى الوجاق يطلب من كل وجاق اختيارين يحضروا الجمعية فى باب مستحفظان، فحضروا وحصل التوافق والرضى، على أن الصناجق لم يذهبوا بيت القاضى، واذا عن لهم مصلحة يرسلوا كواخيهم، وكذلك العلماء لم يدخلوا بيت القاضى، ولا بيوت الصناجق، ولا بيوت أحد من الأكابر والشيخ سليمان المنصورى، والشيخ أحمد العماوى، والشيخ عبدالله الشبراوى ممنوعين من الأفتى، ولا يفتى الا الشيخ عبد العزيز الحنفى والشيخ سالم البغدادى المالكى، والشيخ مصطفى العزيزى الشافعى، وأن الزوجة باقية على عصمة زوجها فكان كذلك. ثم أنهم أرسلوا السدار واليمق والشكيلة الى بيت القاضى وأصلحهم اسماعيل بيك، مع القاضى، وأرسلوا الرجل الى بيته واصلحوه مع زوجته، وما قدر أحد يأخذ بشمال القاضى، من طرف جركس ولا ابن أبى شنب، الذى هو دفتدار البلد واشراقه، وأن لم يلتفت اسماعيل بيك الى قول من قال:

الليالى من الزمان حبالى   مثقلات تلدن كل عجيبة

وكون أنه كان سببا لمجيب الدفتدارية له ثانيا لم يجب يده الى صدره، ولم يتكلم بكلمة ما، وكل هذا الذى جرى للقاضى كان بتدبير اسماعيل بيك، وتقديم باب مستحفظان على القاضى، لكون ميل القاضى الى طرف محمد بيك جركس والدفتدار، ويقول للباشا اجعل نظرك على محمد بيك، فانه أشراقى، فلما حصل للقاضى هذه الحقارة صار فى النفس شئ. ولكن كيف ما يصنع ما بيده شئ، فاجتمع على الباشا وأعرض عليه الأمر، فقال له الوزير: ما

وبذلك اختفى اسماء الثلاث قرى المذكـــورة من عـــداد النواحي المصرية.

اليــمــا اقــضى به الى الخــروج عن المذهب. وهذه الكباير هذه نتايجها لانه تبعد عن المسيح بالكلية فتـخلى مـعونتـه عن راكـبيـهـا فـيـقـعـون فى هذه الفخاخ الصعبة فنسئل الله تعالى ان يكفينا امرها ولا يخلينا من معونته فان ليس لنا غيرها. وفى هذه الايام حضرت امراة من الشرق ومعها زوجها وهى بلحيه مستديره وشوارب مثل لحا الرجال وذكرت

نصنع، الرجل متحرص الاستحراص الكلى[1]، فقال له القاضى أنت تعطينى الاذن ، وأنا أدبر لك زمرا تبلغ به المقصود، فقال له الباشا، أفعل فقال القاضى لا يتم الأمر الا بمعرفة جركس. ثم أن المجلس اتفق، وجاء جاويش الحاج رابع صفر[2]، وأخبر أن الحاج يدخل الى مصر عاشر صفر، وطلعت الناس الى ملاقاة الحاج، ولم يتعب الحاج أشد تعب من هذه السنة من الغلا وموت الحاج وموت الجمال، وأن سنة محمد بيك غيطاز كانت قيراط من سنة عبدالله بيك.

ثم أن القـاضى أرسل تذكـرة الى مـحـمـد بيك جـركس، وأخبـره بما وقع بينه وبين الوزير، فأرسل له رد الجواب صحبة ابن سيده محمد بيك الدفتدار، لأن التجريح وقع من اسماعيل بعدم رواح الصناجق الى بيت القاضى، فاجتمع وأياه وأخبره بما قال به جركس، وانه يقول لك أن كنت تسنده أنت، والوزير يفعل أن شاء الله تعالى، فقال له: القاضى يفعل: لك ذلك، أنتظرنى، ثم انه اجتمع على الوزير وأخبره بما قاله الدفتدار، فأعطاه فرمانا على طبق مراده ومراد جركس. وكان ذلك يوم الثلاث سابع عشر صفر سنة ١١٣٦[3]. ثم أن جركس اخذ الفرمان ولم يشعر به أحد، سوى القاضى وجركس والدفتدار، ثم ان جركس فى ثانى يوم، الذى هو يوم الاربع احدث حسـاب الخـاسكيـة فى بيت سـيـده ابراهيم بيك، الذى بمصر

---

(١) كذا بالأصل. (٢) ٣ نوفمبر ١٧٢٣م.

(٣) ١٦ نوفمبر ١٧٢٣م كتب عنوان جانبى «أعرف واقعة محمد جركس مع اسماعيل ابن ايواظ».

ان لهـا اولادا وانهم فى بلادها وكـان الناس كلهم يزورونها ويرونها ولا تمتنع من احد لا من الرجال ولا من النساء الا انه ما كان احد يعبر اليـها حتى يعطى زوجها شيئاً وحصل له من هذه الوجه جملة كبيرة. وكـان العربان الذين حضروا من الصعيد الاعلى مع العسكر الذى كان توجه اليهم قد قرروا ثمانين الف دينار قطعيه يحـملونها الى بيت المال

القديمة، ثم أن الحساب لم يتم ذلك اليوم، وابقوه الى الليل، وأن يتـمموا الحساب بالليل. فاجتمعوا فى بيت جركس الذى تجاه الحوض المرصود، وكان محمد بيك جركس، ومحمد بن سيده، وقاسم بيك الكبير، وزين الفقار تابع عمر آغا اغة الجراكسة، وقيطاز، وقبلان، وأيوب. وكان هؤلاء الأربعة انفار أعيان طايفة جركس ، مع أنهم فقارية.

وكان قيطاز هذا من اتباع رضوان آغا، وكان رجلا طويلا عريضا وجيها، له زنود كقوايم البعير، وأصابع يديه كالخيار، وكان هذا الحساب لا أصل له، وأنما تستر على اجتماعهم بهذا التدبير. ثم أن جركس أحضر أيوب، وقيطاز وقبلان، وزين الفقار، ثم انه قال لزين الفقار أنت وهؤلاد الثلاثة أعيان طايفتى، وأن فى مرادى أمرا أفعله، ولكن لا يصح الا بكم أنتم الأربعة، وأن تم وحياة رأسى لكم أنتم الأربعة السنجقية ومهماتها جميعا، وهؤلاد يشهدون على، يعنى ابن سيده وقاسم بيك. فقال له زين الفقار: قل ما فى مرادك، ولو كان فيه هلاك روحى، فقال له جركس: أنت بينك وبين اسماعيل بيك مخاصمة، من جهة القيراطين بتوعك اللتين فى قمن[١]، واننا زعلنا نطلب قسمتها من محمد جاويش جدك، وأن محمد جاويش مسافر فى غد الى الخزينة، وأنك كلمت اسماعيل بيك من هذه القضية مرارا عديدة[٢] وهو يوعدك

(١) قمن العروس: احدى قرى مركز الواسطى، محافظة بنى سويف،كانت تعرف قديما باسم قمن، ضُمت كلمة «العروس» اليها فى تربيع ٩٣٣هـ / ١٥٢٧م. فعرفت باسمها الحالى ، محمد رمزى، المصدر السابق ، قسم ٢ ، جـ٣، ص ١٣٢.
(٢) بالأصل «معدة».

المعمور عن جباية تعديهم، وخرجوا الى بلادهم
ليجبوا المال ويحملوه. وكان السلطان اعز الله
نصره قد اخرج مالا جزيلا وسلمه للفقيه بهاء
الدين بن الجميزى برسم مرمة المساجد التى
بالقاهرة ومصر المحروستين وما بينهما، واهتم بها
وعمرت احسن عمارة وبيضت ونقش على ابوابها
اسم المولى السلطان الملك الصالح أيوب وتاريخ

وعد فارغ، وانك لما كلمته أول أمس وقال لك لما يسافر محمد جاويش ويجئ يقسمها لك، لأن الوقت ضاق ، وأن محمد جاويش لم يملك القسمة اليوم، ولكن يا زين الفقار أنت ماشى على النصف، ومحمد جاويش ماشى على النصف الثانى الذى من جملتهم الأربعة قراريط بتوع النصرانى. ولما قتل لطف الله، ظهروا باسم محمد جاويش، فصار له النصف، فرأيت بابا تدخل منه، وأن محمد بيك الدفتدار فى حال طلوعه غدا الى الديوان، يقدم عرض حال الى الباشا ويأخذ على موجبه فرمانا خطايا لكاشف الاقليم، بجمع الفلاحين والمشايخ ويقسموا لك النصف، وانك سابقا أخذت مكتوبا من اسماعيل بيك بحضور المشايخ، فأرسل مكتوبا بخلافه،يقول: أن الواصل لكم مكتوب منى بانكم تحضروا فلا تحضروا وكل من جاء منكم لا يلوم الا نفسه. والمراد انك تأخذ الفرمان، وتطلع الى الديوان، وتكون (أنت فى المقدمة)[1] وهؤلاء الثلاثة خلف ظهرك، وتخلى اسماعيل بيك وهو قاعد فى الديوان وتعطيه الفرمان يقرأه، فخليه وهو مشغول فى قراءة الفرمان وأضربه بالخنجر فى مدوده، تقدر تعمل هكذا ولك صنجقية بجميع لوازمها، فقال له زين الفقار: بشمول نظرك اقدر، ولكن بشرط أن تكون أنت حاضر بالديوان وجماعتك، لأن قتل مثلى لهذا المقدام صعب على، خصوصا فى ديوان السلطان، فقال له: لك ذلك، لا تخشى من شئ أبدا فاذا قتل فانا وجماعتى امنع كل من قصدك بالقتل.

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.

تجديدها وعمارتها وهو سنة ثمان وثلثين وستماية وكان السلطان قد رسم بعمارة قنطرة على الخليج فى موضع السد حتى يعبر عليها فى ايام النيل الى بستانه المعروف ببستان الخشاب(*) وعملت ونجزت قبل ايام النيل وعبر عليها. وكانت الاسعار فى هذه الايام كلها غالية لا تنحل اصلا القمح لا ينزل عن دينار الاردب واكثر والشعير بثلاثين درهما الاردب

(*) بستان الخشاب: وموقعه الحالى بالتقريب حول القصر العينى وجاردن سيتى على الضفة الشرقية للنيل.

ثم أنهم باتوا على ذلك التدبير الى أن أضح الله بالصباح، وكان يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة ١١٣٦[١]، أمر الدفتدار وقاسم بيك، وابراهيم بيك الفارسكورى، أن يطلعوا الى الديوان، وطلع زين الفقار وقبلان وقيطاز وأيوب وشركوا الديوان جميعا بطوايف جركس، فقال لهم جركس اطلعوا أنتم الديوان وأنا مرادى أروح قصر العينى، وأمر بشد الهجن فركبوا جميعا، وطلعوا الى الديوان، ثم أن الدفتدار دخل الى الباشا ليصبح عليه وقدم له العرض فعلم عليه فأخذه منه وفى حالة خروجه اعطاه لزين الفقار وجلس فى مرتبته، واذا باسماعيل بيك الأصفر، وعلى بيك الأرمينى ، وأسماعيل بيك جرجة دفتدار مصر سابقا، وابراهيم بيك تابع الجزار، فقعد الثلاثة ودخل الاسماعيلان يصبحان على الوزير، وكان جركس أرسل عيون تنظر طلوع اسماعيل بيك الى الديوان.

فلما طلع اخبروا جركس، فركب هو وأثنا عشر مملوكا من غير زايد عليهم، وطلع من على زين العباد[٢] من باب الجبل، فما شعرت أهل الديوان الا وجركس بينهم فى الديوان، فسلم وجلس، الا واسماعيل بيك، واسماعيل بيك جرجة طالعين من عند الوزير. فسلم ابن أيواظ وجلس، واسماعيل بيك جرجة جلس ولم يسلم، ففى الحال تقدم زين الفقار وأخرج من عبه الفرمان الذى تقدم ذكره، فأعطاه الى اسماعيل بيك، فأخذه وصار يتأمل فيه ويقراه، فقراه

(١) ١٨ نوفمبر ١٧٢٣م.

(٢) المقصود «زين العابدين».

ولم يكن شئ اغـلا من الزيت الحـار فـانه كـان
بدرهمين الرطل ودرهمين وربع الرطل واما الشمع
فانه بلغ احد عشر درهما الرطل والحطب عشرة
دراهم الحـمله(*) وكـان الناس فى شـدة من هذا
ومن عـمـارة قلعة الجزيرة(*) فلمـا غلت جـميع
اصناف العمارة. وكان السلطان خلد الله ملكه قد
اطلع على مخامره من [رئيس عسكر الاشرفية

(*) حملة : ما يحملها الجمل.

(*) قلعة الجزيرة (قلعة الروضه) هذه القلعة انشأها الملك الصالح بجزيرة الروضة سنة ٩٥٧ق. = ١٢٣٩م. = ٦٣٨هـ. فعرفت بقلعة الروضة، وبقلعة جزيرة

وحطه فى جيبه، وقال له: أنا ما قلت لك لما يسافر محمد جاويش تقسم لك البلد، أنت بقيت راحل اليوم وتعرف تأخذ فرمان من الباشا بمجيئ المشايخ أنت بقالك بلاد اليوم.

فالتفت اليه محمد جركس بيك، وقال له يابيك هذا أمر عويل، اقضى له حاجته، هذه المصلحة لأجل خاطرنا احنا ما بقى لنا كلام يمشى عندك، يا زين القفار بوس يده، فمال زين الفقار يبوس يد الصنجق، فمنع يده منه، فمسك دقن السنجق بيده اليسرى، ودقه فى مدوده الأيسر بيمينه، وسحب الخنجر، فقام الصنجق على حيله، ووقع، فقام اسماعيل بيك جرجة ليمسك زين الفقار، واذا بقبلان خلفه فضربه، فأصيب زين الفقار وفر هاربا نحو الباشا، واذا بقاسم بيك ادركه عند مصطبة المتفرقة، فضربه بالسيف على جدع رقبته فقطع رأسه الى الأرض، وفر جركس وابن سيده ضاربين ابن ايواظ كان هو قد نفذت روحه، فوقع ضرب الاثنين فيه وهو بلا روح، وسحبوا سيوفهم ونزلوا فيهم ضربا، فانجرح على بيك الأصفر، وحسين جربجى جمليان وابن سيده قاسم بيك، والفارسكورى وعمر آغا كتخدا الجاوشية، وروس عثمان الترجمان، وزين الفقار وأيوب ، وقبلان وغيطاس ساحبين السيوف.

وركب زين الفقار جواد ابن ايواظ وأيوب ركب جواد اسماعيل بيك جرجة، ونزلوا من باب الجبل الى بيت محمد بيك الدفتدار، وكذلك الدفتدار وجركس.

فلما استقر بهم الجلوس فى مقعدة، واذا بجميع الاوجاقات وأهل الديوان اتوا اليه، وصار

(الأتراك)] الاسمر وكافور الفايزى الخادم وكان أيبك فى الاسكندرية وكافور فى بلبيس مجردين فسير الى كل منهما اميرا وامسكهما واحتاط على موجودهما وحبس أيبك الاسمر بالثغر وكافور طلع به الى القلعة حبسه بها ثم تتبع كل من توهم منه من المفاريد والاجناد فامسكهم وحبسهم ومنهم من هو بالاسكندرية ومنهم من هو بالقاهرة ومنهم من هو بالقلعة واكثر هؤلآء من الذين كانوا عملوا

الفسطاط، وبقلعة المقياس وبالقلعة الصالحية. وقد اتخذها الملك الصالح دار ملك وسكن فيها بأهله واسكن فيها معه مماليكه البحرية، وكانت عدتهم نحو الألف مملوك. وكانت مبانيها تمتد إلى مقياس النيل فى جنوب الجزيرة، وتشغل مساحة لاتقل عن ٦٥ فدانًا ومكانها الآن المنطقة التى تحد من الشمال بشارع الملك المظفر، ومن الغرب بنهر النيل، ومن الجنوب بمقياس النيل، ومن

بيته لا ينشق من كثرة المخلوقات، وأرسل أحضر جميع المتسببين(١)، وجميع من كان فى الاوجاقات، وأرجع كل احد الى وجاقه، والبس رضوان آغا آغاوية الجملية بالقهر عليه. وقال له: خذ جميع بلادك، والبس محمد اغا المذكور آغاوية التفكجية، والبس حسين آغا تابع ايوب بيك آغاوية الجراكسة، والبس حسن آغا أباظة آغاوية المتفرقة، وعزل اسماعيل المحتسب تابع عبدالله الوالى من الحسبة، واولاه كشوفية القليوبية، وسليمان آغا الدالى أبو دفية هرب الى باب العزب، فأولى مكانه أحمد آغا لهلوبة، والبس سويلم بن حبيب على غفر بولاق، وأعطى لابن اخى السيسى غفر قليوب، وأعطى المحجوب الخبيرى الذى كان هاربا من اسماعيل بيك، غفر الخبيرية وهى أم خنان. هذا ما كان من أمر جركس، وأما اسماعيل بيك أمير الحاج، واسماعيل بيك الدفتدار، فانه شالوهما فى تابوتين الى منازلهما، فما نزلا، الا وجماعة الباشا نزلوا بيت اسماعيل بيك أمير الحاج فختموا على جميع محلاته وساروا الى بيت اسماعيل بيك الدفتدار فراوا السراجين الذين(٢) عنده فى بيته نهبوا الخزنة والأكراك وجميع أسبابه التى هى فى أوضته التى فى المقعد.

ومن جملة ما اخذ، صندوق صغير، اخذه سراج او هو باش السراجين، يقال له مصطفى ملآن، فهرب به، فطلعت خلفه جماعة جركس يدورون عليه، فما ختمت جماعة الباشا الا على الحريم فقط. لأن أصله من تهاوش فاذهبه الله فى تناوش. وفى الحديث من أصاب مالا من

(١) بالأصل «المتبيين».

(٢) بالأصل «الذى».

الشرق بسيالة جزيرة الروضه، وفى هذا الوقت هدمت دار البطركية التى كانت بالجزيرة.

على الملك العادل وخلعوه. ثم ان جماعة من الاتراك الذين يقال لهم الاشرفيه كانوا قد تحالفوا على انهم ينهبون الاكراد الذين كانوا مجردين الى اليمن وياخذون موجودهم ويقتلونهم ويروحون لانهم جميعاً كانوا نازلين بالبركة المعروفة ببركة الحب [الحبش] فشعر الاكراد بذلك فسيروا الى السلطان عرفوه فامرهم بالعبور الى القاهرة فجاوا ليلا واصبحت ابواب القاهرة مغلقة وماعلم

نهاوش روى بالنون من نهش الحية وبمثناة فوقية وبميم وكسر الواو مهواش، وهو من الهوش، وهو كل مال أصيب من غير حله، اذهبه الله فى تهادر، والمراد ان كل مال أصابه من غير حله، كنهب أذهبه الله فى غير حله أهـ. مناوى[1].

ثم انهم اغسلوهما وكفنوهما ودفنوهما، ولم يمشى قدامهما الا النساء، وبعض مماليك كتيبه، وبعض اولاد بلد، وراحا كأنهما لم يكونا أبدا، وبقى عليهما وزر ما فعلاه فى الناس. فانظر يا اخى الى هذه الدنيا، وانظر الى هذا الذى كان، لم تنطق الأصوات عند مقره، اراح وما احد من العشرة صناجق الذين صنجقهم يقول حاس عند ولم ينفعه منهم أحد، فاعتبروا يا اولى الأبصار.

ولقد رأيت يوم قتل فى الديوان رجلا من البشلية، بعد أن نزل جركس والجماعة، وبقى الذين فى الديوان من المتفرجين عليهما، واذا بهذا البشلى قد فتح عبه واخذ ما كان فيه. وكان فى جيوبه فضة فأخذها، وأخذ الساعة والكرك وسكينة ذهب مطعمة بالمعادن، والختام من أصبعه، وكذلك فعلوا باسماعيل الثانى، وجروهما الى سلالم الديوان، وقد ماتا شهيدين

(١) مناوى: هو عبد الرؤوف زين الدين الحدادى المناوى بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين، ولد فى القاهرة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٥م وتوفى . ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م. اشتغل بعلوم التصوف والحديث . وله كثير من المؤلفات فى علوم الحديث والتصوف، انظر المحبى، خلاصة أثر فى أعيان القرن الحادى عشر، جـ٢، ص ٤١٢.

السبب. وكان السبب لاخذ الاشرفيه فاخذوا من كل مكان، وكان بعضهم يتزيا بزى النسا ويخرج فيعلم به ويوخذ، ومنهم من جعل نفسه فى افراد [أوعيه كبيره من الخوص] البصل والجزر وما يجرى مجراها ولم يخف لانه كان على كل باب امير باصحابه وجلقته(*). واقامت القاهرة كذلك جمعه ايام وكان اليوم الاول والثانى اشدها وكان هذا فى الجمعة السابعة من الصوم المقدس وهو

(*) الجلق: المقصود هنا فرقته من الجند والحرس. وهى تكتب كذلك فى المصادر التاريخية «القلق».

ليس عليهما ذنب مغفور لهما: لقوله عليه الصلاة والسلام، وما ترك القاتل على المقتول من ذنب ولو تقدم منه قتل أهـ. مناوى، فرحمه الله وسامحه وغفر له ما تقدم ، ولقد رثاه بعضهم بأبيات وقد جاءوا كما نطق بهم قبل وقوعهم وذلك قوله:

صروف الليالى ليس يدفعها	وليس يحل العزم ما عقد القدر
وفى حادثات الدهر كل عجيبة	يراها اولوا الالباب من أكبر العبر
وما هذه الدنيا سوى دار غرة	فنعماؤها بؤس وفى نفعها ضرر
ورفعتها خفض وراحتها عنا	وعزتها ذل وفى صفوها كدر
تريك شرورا فى سرور وغبطة	كجان أصاب الايم فى يانع الثمر
الم تر ما اردت عزيزا وملكت	ذليلا وذلت بالغرور وبالغرر
فلا تغتر ذا اللب يوما بها وكن	على حذر فالعارفون على حذر
ترى بؤس اسماعيل بيك بمصر	الى أن له دانت رقاب ذوى الخطر
وكان جديرا بالرياسة والعلا	فقد سار فينا سيرة سارها عمر
لكنه لم يخل من صدد أمر	قضاه قضاء الله من آدم البشر
وكان له حزم وراى ومنعة	ولكن اذا جاء القضا عمى البصر
به غدر الجبار جركس ماكرا	فعما قليل سوف يجزى بما مكر

(*) يقع برمهات ما بين ٢٧ مارس و٢٥ ابريل.

اواخر برمهات(*) ثم استمر الحال على القبض على كل من حصل منه وهم وكثر المحابيس من الامرا الكبار والصغار والاجناد وبالاكثر المماليك الاتراك. وقبض السلطان على بدر الدين يونس الذى كان ولاه القاهرة وعلى الخادمين الاخرين وهما مسرور وجوهر النوبى الكبيران وكانا مجردين بثغر دمياط المحروس واحضرهما الى القلعة حبسهما فيها واحتاط على موجودهما. وفى

اسر له كيدا به كان حتفه ... بديوان مصر بيس والله ما أسر
فقطعه أربا وسيق لجنة ... وقابله ظلما يساق الى سقر
وجندل من اتباعه كل صنجق ... كبير عظيم الشأن أربعة غرر
فتبت يداه أو فشلت يمينه ... والارماه الله بالعجز والقصر
فقد هد ركنا كان للناس معقلا ... يكف اذا الباغين فى البر والبحر
بأغراء من ولى وزارة مصرنا ... لقد عقد الايمان لكن لها غدر
فأعظم به وزرا لقد عم وقعه ... يوم خميس تاسع العشر من صفر
وقد قيل فى عام مضى قبل قتله ... خراب بمصر اذا بتاريخه ظهر
فمن بعده الاذناب فوق الروس قد ... علت وعلى الاشراف قد جار محتقر
تقدمت الابدال لما تأخرت ... صناديدها هذا لعمرى من الكبر
ألا فى سبيل الله قامت قرودها ... ونامت سراجين المعارك فى الحفر
فأين جبان القلب من أسد الشرا ... وهيهات أم أين الذوات من الصور
وكانوا فبانوا والذى بعدهم أتى ... قريبا سيروا للورى عبر
كان لم يكونوا كم دولة مضت ... فما القوم فى هذا بأول من عبر
فعمى قليل سوف ترا ملوكهم ... مدكدكة حتى لا يرى لهم أثر

هذه الايام خرج الافرنج من كنيسة بو مرقوره لما [ثم] توجه اكثرهم الى بلاده وهم الذين كانوا اخذوا فى هذه النوبة القريبة مع هذا الكند [الكونت] وبقى منهم ناس قلايل نقلوا الى موضع اخر. وجردت العساكر الى غزه والاسكندريه ودمياط وخرجوا اولا اولا وبطل تجريد اليمن بالكلية ولم يسافر سوى ثلثماية فارس او اربع ميه

وسوف ينادى فى عراض بيوتهم — الا يا لاخد الثأر من كان منه فر

فكل مصاب عنه مصطبر سوى — مصاب أتانا فيه ما عنه مصطبر

فسبحان من عز الملوك بعزه — ومن بعده للخلق بالموت قد قهر

الاهى فأمطر سحب عفوك دايماً — لتهمى عليه فى السماء وفى السحر

وكن رب عن تقصيره متجاوزا — وعامله بالغفران ياخير من غفر

بحرمة من صار الحجيج لقبره — نبيك طه المصطفى سيد البشر

عليه مع الاصحاب والال كلهم — صلاة وتسليم يفوقان من حضر

ولقد رثوه بقصايد كثيرة، ولقد اقتصرنا على هذه القصيدة والله أعلم.

ولنرجع إلى ما نحن فيه، ثم بعد ما نزل الإسماعيلان ودفنا، هرب على بيك وإبراهيم بيك الجزار، وحمزة بيك، ودخلوا بيت أحمد بيك الأعسر، وعلى بيك الأصفر ودوه بيته مجروحا، وكذلك محمد بيك المجنون اخوه راح بيت الأعسر.

ثم أن جركس احضرهم من بيت الأعسر، وحبسهم عنده فى حبس المجرمين، ولم يكرمهم كما اكرمه اسماعيل بيك، حين أتوا به العرب مكتفا فأمر الخازندار أن يلبسه حوايج وأفرد له محلا لنفسه، وأجرى له الجراح، إلى أن طابت جراحاته، وعالجه أيضا الصابنجى، ويوسف بيك الجزار على قلته فأبى، وقال هذا دخل بيتى، وبعد أن دخل بيتى أقتل، لا كان ذلك ابدا.

اتراك سيروا الى مكة قصد ابعادهم. وقيل انهم لما خرجوا الى البرية اخذوا العرب الذين كان معهم ربطوهم وقالوا لهم ان لم ترونا طريق الشام ويخرجون بنا اليهم والا قتلناكم. وانهم فعلوا لهم ذلك. ثم ان السلطان اعز الله نصره جهز العساكر الى الشام وكان قصدهم نابلس ان ياخذوها من الملك الناصر بن المعظم فخرجوا الى

ثم أنه أمر الخازندار أن يعطيه ثلاث بدل من الحوايج، و كركا وخمسماية زنجرلى، وأرسله إلى قبرص.

فانظروا يا اخوانى إلى فعل اسماعيل بيك، وإلى فعل هذا الدولتلى الذى حبس أربع صناجق فى حبس بيته، الذى يحبس فيه المجرمين، وإذا كان اسماعيل بيك كفر، فما ذنب اخوته واتباع أبيه، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ولكن هذا الذى كان فى الكتاب مسطورا، وأما عبد الرحمن بيك، فإنه كان غايبا فى تحصيل غلال اللعنبر وأتى قبل هذه الواقعة بيومين، كذلك فى بيته، وكذلك عبد الله فى بيته.

ثم أن جركس أرسل طلب عبد الله بيك فأبى أن يروح له وكان عنده فى البيت جملة عسكر فركب مع بعض جماعته، وتوجه إلى بيت مصطفى كتخدا الشريف، فلم يجده فى البيت، وقد كان اخذته الانكشارية وأطلعوه إلى الباب وجعلوه باش اختيار محله، وعزلوا الظربة من باشا الجاوشية، وجعلوا أحمد جابى بن مصطفى كتخدا باش، وكذلك رجب كتخدا رجع إلى الباب، وأخوه أحمد أوضباشا جعلوه ثالثا، وسليمان الاقواسى يمق، وإبراهيم الصغير الذى كان باش عزبان، ارجعوه إلى الباب جربجى، وكذلك إبراهيم افندى عزبان عمل جربجى وألبسه الباشا كرك سمور، وبشناق الذى كان باش أو ضباشية عزبان عملوه جربجى، وكذلك محمد اغا بتاع السنبلاوين، رجع إلى وجاقة وعملوه جربجى، وكان ناس

غزه وكانوا زهآء ثلاثة الف فارس ومقدميهم كمال
الدين بن الشيخ وعلاء الدين قراسنقر الساقى
ومعهم من الاعراب جماعة كبيرة وكان الملك
الجواد مظفر الدين بن ممدود الذى كان صاحب
دمشق اولا وسلمها للمولى السلطان الملك الصالح
ايوب ودفع له عوضها سنجار وباعها للخليفه قد
وصل الى العباسه فى خدمة مولانا السلطان الملك

كثيرون خرجوا عن اوجاقهم نحو المماية رجعوا إلى أوجاقهم، وكان اسماعيل بيك مانع لهؤلاء من أوجاقهم.

فانظر يا أخي إلى هذا التجبر، وسبب هذا كله، المين [الخداع] وجيفة الدنيا، التي يعطون حسابها، ولقد اجاد من قال:

وإذا عطيت ولاية كن عادلا واعلم بانك بعدها معزول

ولقد أحسن من قال:

إنما المرء حديثا بعده فكن حديثا حسنا لمن بقي

والدنيا زايلة بجميع ما فيها، ولم يبق إلا العمل الصالح.

ثم أن عبد الله لما أنه لم يجد مصطفى كتخدا، رجع إلى منزله، فأرسل له جركس ثانيا، فأبى أن يروح، ثم أن مصطفى كتخدا أرسل له ولده أحمد جاويش، وأرسل له تذكرة صحبته، مضمونها، أنا أرسلنا ولدنا رهنا لك، حتى تقابلنا وترجع إلى منزلك يأتي ولدنا. فلما وصل له وأعطاه التذكرة فقراها، وركب وأبقى أحمد جاويش رهنا، إلى حين يعود إلى مجلسه. فلما دخل إلى مصطفى كتخدا سلم ع ليه وأكرمه، وقال له سر بنا إلى جركس نصلحه عليك وتروح إلى منزلك، فقال والله لو قطعوني اربا، ما دخلت بيته ولا واجهته، وادينى قاعد فى بيتك، أفعل بى ما تريد. ثم أن مصطفى كتخدا أرسل احضر من كل وجاق اثنين، وركب هو واياهم إلى جركس، وأبقى عبد الله بيك فى منزله.

الصالح وقصد العبور الى القاهرة والاجتماع بمولانا السلطان وان ياخذ معه العساكر ويمضى الى دمشق يفتحها فلم يمكن من العبور الى القاهرة ولا اجتمع به المقام السلطانى وكان معه ابن صاحب حمص الصغير وابن صاحب قلعة جعبر فاخرج لهم الانعام والمال والخلع والخيل والاقامات ورسم لهم بالاقامة بموضعهم. واتفق خروج العساكر فتوهموا انها طالبة لهم لتمسكهم فرحلوا ووعروا فى الطريق حتى اجتمعوا بالملك

فلما دخل على جركس قال له: يا محمد بيك أن عبدالله بيك فى بيتى وقد وقع فى عرض الوجاقات السبعة، وعمل لك خمسين كيساً، وللوزير خمسين كيسا ولوجاق مستحفظان أربعين كيسا، ولباقى البلوكات ستين كيسا فجملتهم مايتا كيس، فقال له جركس: هذا أمر تعلق الوزير، وفى حقه خط، وأن لم يكن فى حقه خط لم ابقيه، ولو اعطانى ألف كيس، وكلم مصطفى كتخدا كلاما يابسا.

ثم انه قام من عنده هو والجماعة، واراح الى بيته، وأرسل عبدالله بيك الى بيته بعد أن أخبره بعدم رضى جركس عليه، وقبول الخمسين كيسا، فتوجه عبدالله بيك الى بيته وأرسل أحمد جاويش الى أبيه، ثم أنه توجه الى أحمد بيك الاعسر ووقع فى عرضه، فقام الاعسر وتوجه الى جركس، فلما قال له من جهة عبد الله بيك قام عليه قومة منكرة، وقال له ما يكفاك شئ، نفاق وموالسة، والله الوقت اقطعك ، وفزع عليه بالحسام، فقام الاعسر من محله متغيرا.

فلما نزل من المقعد، قال له جركس احترس على الذى عندك، فأنى ما اعرفه الا منك فما استقر الاعسر فى بيته الا وآغا معينا من طرف الوزير وكتخدا الجاوشية وآغة المتفرقة والترجمان، وقاسم بيك وابراهيم بيك الفارسكورى، فلما رآهم الاعسر، وأرسل الى السبعة أوجاق، وأحضر من كل وجاق بلك اختيارين، وسلمهم الصنجق وقال لهم: هذا فى عرضكم فاعملوا ما يخلصكم من الله والله لو كان لى يد لخلصته.

الناصر واتفقوا معه على انهم يد واحده مع من والاهم وعلى من عاداهم. ثم ان العسكر المصرى طمعوا فيمن قدامهم فركبوا بعد ان لبسوا وطلبوا عسكر الملك الناصر وكان مقدمه الجواد وكانوا على ما ذكر ثلثماية فارس لاغير وكان قد اخذوا على عسكر مصر المضايق وسبقهم الى راس العقبه التى من نواحى القدس التى على طريق بيت توبه. وطلع شاليش عسكر مصر ومقدمه علم الدين سنجر الفخرى ومعه الشجاع الاكتع والامير

ثم أنهم أخذوه ومروا به على بيت محمد بيك بن اسماعيل بيك، ليشفع له عند جركس فركب واياه الى جركس فشفع، فلم يقبل وأرسله الى الباشا، فلما وقف بين يدى الوزير، فلم يخاطبه الا بقوله ودوه أوضة الكيخية، فقالت السبعة الذين صحبته من الوجاقات السبعة دولتى وزير هذا فى عرض السبعة اوجاق، فقال لهم الوزير : نعم ما فيه خلاف، ولكن هل الوجاق تخالف أمر السلطان؟ فقالوا: لا وهل هناك أمر السلطانى، فقال نعم، وأظهر خطا وقرى عليهم، فما كان من جوابهم الا انهم قالوا سمعنا واطعنا.

ونزلوا من عنده واودعوا عبدالله بيك فى أوضة كيخيته، ثم أنهم نزلوا الى بيت محمد بيك جركس واعلموه بما جرى، فارسل جركس الى الجموع التى فى بيت عبدالله بيك بأن يتفرقوا، فما وجدوا أحدا لأنهم اخبروا بحوش الباشا فتفرقوا وخلوا الدار تنعى من بناها وكل أحد رأح الى حال سبيله. ثم ان جركس قال لاحمد بيك أفندى، اكتب بلادك الذى جاءك عفوها من السلطان، ومنعك هذا الظالم من أخذها فكتبها فى قايمة، ثم أنهم اتفقوا جميعا بأن كل من كان له بلاد وابيعت يأخذها، بفايض خمس سنوات، وقروا ثلاثة فواتح.

ثم ان جركس قال لاحمد بيك، خذ كشوفية الغربية فأبى، وقال: أنا لا أخد شيئا لا كشفا ولا شئ، وأنا بلادى تكفينى. ثم أن جركس أعطى زين الفقار أربعة بلاد فى الغربية من أعز بلاد اسماعيل بيك، وستة فى الصعيد، وأوعده بالسنجقية. ثم أن القاضى عمل له محمد بيك

احـرى والمسـابك هولآء امـرآء وامـا من اجنادهم فكثير فاخذوا باجمعهم بعد ان قتل منهم ما قتل. ولما راى ذلك من كـان وراهم من الاطلاب لم يردونهم بل رجعوا منكسرين ولم يطلعوا العقبة بل تموا منكسـرين الى غـزه ولم يقـفـوا فى غـزه بل خرجـوا منها طالبين مصر فلما علم عسكر الملك الناصر ذلك تبعوهم وخرج عليهم العربان الذين كانوا معهم وغيـرهم ونهبـوهم فلم يبق لهم شئ والذى سلم منهم رجع برقـبـتـه راجـلا. ووصل

الدفـتـدار عـزومـة تلك الليلة، ونام عنده ثلاثة ليـالى على أكل وشـرب ولذة وسـمـاع، ثم أن القاضى صار يطلع الى الديوان من بيت أبن أبى شنب، وينزل الى بيت محمد بيك جركس. ثم أن القاضى طلع الى الديوان يوم الاحد ثالث عشرين صفر سنة ١١٣٦[1]، واجـتـمـع مع الوزير وتحدث معه فى قـضـية هذه القـضـية، التى حطت على أهون سبب ولكن دنت. ثم أن الوزير البسه على الدفتدارية قفطانا وكركا على ماهو عليـه، وألبس قاسم بيك قفطانا على كشوفيـة الغربية، وآلبس الفقارية المناصب التى كانت مع جماعة اسماعيل بيك. وتحاينت الفقارية بعد العدم.

وكـانت مـدة الفـقـارية ثلاثة عـشـر سنة، وكـان احـيـا القـاسـمـيـة غيطاس بيك الكبيـر مع مخاصمته مع أيوب بيك سنة ١١٢٢[2]. وسبب أحيا الفقارية فى هذه النوبة جركس، وكان أكبر المتعرضين لاسماعيل بيك الأعسر فعلم نفاقهم، فألتجا الى الفقارية، وفعل هذه الفعلة، مع انفاذ المقدور وفروغ مدتهم وظهور الفقارية وأن جميع المحلات قد أقعد فيها الفقارية، قيطاز بيك الاعور، وكان أقعده جركس فى المحجر، وزين الفقار فى الصليبة ولم يكن فى جميع الدركات الا الفـقـارية، ولم يمكن أحدا من القـاسـمـيـة فى درك من الدركات، الا قـاسم بيك الكبير فى السلطان حسن، ونزل القاضى الى بيته وصحبته فرمان من الوزير الى العلماء، بانهم

(١) ٢٢ نوفمبر ١٧٢٣م.
(٢) ١٧١٠م.

عسكر الشام الى موضع الخزانه وكان كمال الدين
بن الشيخ عندها فاخذت الخزانه عن اخرها واخذ
كمال الدين اسيراً ومضى به الى الملك الناصر
وكانت كسرة ما راى اعجب منها ان ثلثماية
كسروا ثلاثة الف او يزيد عنها. ووصل عسكر
مصر الى بلبيس واخرجت لهم الاقامات والازواد
ورسم بعبورهم الى القاهرة ولم يواخذهم السلطان
بشئ مما جرى وبقوا على اخبازهم [رواتبهم]
وكذلك الذين فى الاسر بقيت اخبازهم عليهم ولم

على ما هم عليه من الفتوى، التى تقدم ذكرهم الشيخ سليمان المنصورى، والشيخ أحمد العماوى، والشيخ عبدالله الشبراوى [(١٥٢)].

ثم انه أرسل الفرمان الى الجامع الازهر، صحبة نايبه، فقرى فى المقصورة بين يدى الطلبة بالجامع الازهر، وأما الاربعة صناجق فى حبس محمد جركس وعمل حساب محمد بيك المجنون، فطلع عليه الى جركس ماية وخمسين كيسا، وأربعون كيسا الى أحمد بيك تابع المسلمانى فى خراب بيته، التى تقدم ذكره.

ثم انه ارسل ختم على بيوت الثلاثة وهم، عبدالله بيك، محمد بيك المجنون، وابرهيم بيك الجزار ثم أن الباشا أرسل اخذ ما فى بيت الاسماعيليين الى الديوان، ثم أن أخت اسماعيل بيك، زوجة عبد الله بيك، توجهت الى محمد بيك بن اسماعيل وباست رجله، وتشفعت عنده، بانه يشفع فى زوجها عبدالله بيك، فقال لها: والله يا هانم لم تقبل شفاعتى ابدا فخرجت من عنده وهى تبكى.

فانظر يا أخى الى هذا الحكم القهرى، كان الوقت لهم، والزمان مبتسم لهم فصار عليهم وهذا فعل الله لا معقب لحكمه سبحانه وتعالى.

---

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف رجوع العلماء الى الافتى، وهم الشيخ سليمان المنصورى، والشيخ أحمد العماوى، والشيخ عبدالله الشبراوى الخ».

يقطع الا خبز فخر الدين بن جلدك لا غير وقيل انه بسبب عسفه بالاجناد مع انكساره من غير قتال. وبعد ذلك وقع بين الملك الناصر والملك الجواد خلف وتوهم منه مخامرة عليه وخافه على نفسه فامر بالقبض عليه فقبض عليه واراد توجهه الكرك ليحبسه فيه فاشير عليه بان هذا ملكا شجاعا ومن اهل بيتهم ومن الواجب ان تخرجه من البلاد وتطرحه في البرية التي تاخذ الى الشرق وبغداد ويمضى برزقه وبخته ان نجا كان وان هلك

ثم أن جركس طلب قرأ مصطفى، الذى كان عامل ثالث، فاخبروه أنه فى بيت صالح كتخدا عزبان، وكشك محمد أو ضباشا عزبان تابع اسماعيل بيك كذلك فى بيت اسماعيل كتخدا عزبان، وعبدالله كتخدا جاويشان تابع اسماعيل بيك، وقاسم آغا باش الازلم خزندار اسماعيل بيك فى باب مستحفظان. وتفرقت جماعته فى جميع الأبواب، وصاروا مشتتين مالهم صدر حنون يأخذ بيدهم، ثم أن جركس أمر بنفى قرا مصطفى وعلى بن داوود، وسليمان الى الطينة، وكشك محمد ويمق على اوضباشي التكلى الى جرجة، كون انهم اشراقات اسماعيل بيك، وعلى بيك أمين الشون فى بيت جركس أثناء الليل واطراف النهار لا ينفك عن مجلسه، كأنه واحد منه[1]. وانه من جملة ما قال لمحمد بيك جركس، والله ما كان مرادى، ولا كنت طالب السنجقية، وانما اسماعيل بيك البسنى الصنجقية بالقهر على،

(١) كتبت أبيات الشعر التالية فى الهامش كتعليق يناسب واقعة الحال.. ورحم الله القايل:

قد زال ملك سليمان معاودة   والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

وقال أخر:

لا تشمت عدوى أن عثرت فقد   يكبو الجواد وينبو للصارم الذكر

هــذا الكسوف يرى تأثيره أبدا   ولا يعاب به شمس ولا قمر

وقال عدى بن زيد:

أيها الشامت المعير بالدهر   أنت المعور الموفـــــور

من رأيت المنون خلفى ام من   عليه من أن يضام صغير

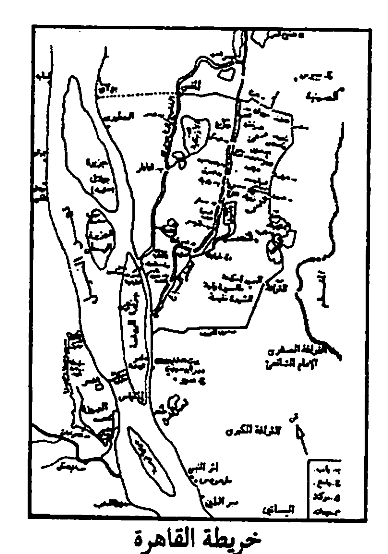
لم يكن فى ذمة الملك الناصر منه شى فامر بذلك.
ولما توجه الى البرية عمل على عوده الى الشام وقيل انه ارغب العربان الذين معه حتى اوصلوه وقيل انهم لما تركوه تسبب ومضى الى الشام واجتمع بالملك الصالح عمه صاحب دمشق واتفقوا ومشت الرسل بين مولانا السلطان الملك الصالح صاحب مصر وبين الملك الناصر [ابن المعظم] واصطلحوا وحلف كل منهما لصاحبه وسير الملك الناصر الاسرى الذين كانوا عنده

وان طلبت شيل الصنجقية عنى كنت والله أدعو لك، وأن عملتنى مهما علمتنى مقبول، ولو كنت تجعلنى رفيق أبى الشراميط. فضحك جركس وقال له: لا تخشى من شئ، عليك أمان الله ورسوله من كل ما تخاف منه، وكل من كلمك رميت عنقه وأنت فى عرضى. وكان على بيك أمين الشون هذا من اتباع حسن كتخدا النجدلى، وما قربه اسماعيل بيك الا لكونه قديم، وانه شقجى، فكان اسماعيل بيك ينبسط منه، ومن جواباته تركية كانت أو عربية، وأما على بيك الهندى أرسل طلبه وعفى عنه، وأنزله فى بيت سيده أحمد بيك، الذى استشهد فى مورة، وأما حمزة بيك فانه كذلك اخرجه من سجنه، وعفى عنه، وأبقى عليه كشوفية المنصورة، وأنزله فى بيته الذى مقاصد زاوية سيدى واستاذى سيدى شمس الدين أبى محمود الحنفى رضى الله عنه وعنا.

وأن حمز هذا كان مملوك ايواظ بيك ، وكان خادم الحريم، ثم أن أسماعيل بيك وهو صغير ضربه كفا وهو فى الحريم، فبكى حمزة فقال له أنت ما يبكيك يكفيك فى هذا الكف، أنى اعملك صنجقا وألبسك كشوفية المنصوره، ثم ان اسماعيل بيك أوفى بما اوعده ، وان جركس البس على بيك الهندى ، وحمزة بيك كركين سمور وارسلهم الى منازلهم صحبة كتخدا الجاوشية واغاة المتفرقة[1]. ثم أن جركس أرسل الى محمد باشا قاسم بيك وابراهيم

(١) كتبت أبيات الشعر التالية فى الهامش، كتعليق يناسب واقع الحال.. قال أحد الأدباء . =

كمال الدين بن الشيخ والامرا الذين كانوا معه بعد ان خلع عليهم واحسن اليهم وقد كانوا قبل ذلك فى هو ان وتهديد وتحقير ولم يعدم منهم الا الشجاع الاكتع قيل انه قتله لانه نافق عليه وغدر به مرتين وقيل انه جعله فى الجب فى الكرك والله اعلم . ثم ان الملك الصالح صاحب دمشق خرج مع من ضامه ووافقه من ملوك الاطراف مثل صاحب حمص وصاحب صرخد والملك الجواد الذى التجا اليه وجآء الى نابلس واستغلها ووقع


خريطة القاهرة

بيك الفارسكورى بأنه يرسل له عبدالله بيك صحبتهم بعد العشاء بساعة، فكان كذلك،فجركس جالس فى مقعده بعد العشاء، واذا بابراهيم بيك الفارسكورى داخل يقول له: الرجل أتينا به وهو على الباب، فقال له اخرج الاثنين الاخرين، فأخرجوا محمد بيك المجنون اخو اسماعيل بيك، وابراهيم بيك تابع الجزار من سجن جركس، وكان لهم فى السجن تسعة أيام، والحديد فى أرجلهما، وفى اعناقهما فاركبوهما حمارين. وخرجوا بهما من باب جركس، واذا بعبد الله بيك راكب على بيجير الماء [حصان حمل الماء] والقيد من تحت البيجير، فلم يلتفت اليه ابراهيم بيك، ولم يخاطبه بكلمة ما قط الى أن ساروا بهم الى الحلى، وكان صحبتهم قاسم بيك، وابراهيم بيك، وثلاثين بشلى من جماعة الباشا، ونحو المابة نفر من السبعة اوجاق، الى ان أنزلوهم الى مركب، ونزل قاسم بيك، وابراهيم بيك، والوالى، ونحو العشرين نفر، وبعدوا بالمركب عن البر.

= وما الناس الا مع الدنيا وصاحبها ... فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت ... عليه يوما بما لا يشتهى وثبوا

وقال غيره:

لا يصعب عليك فى طلب العلا ... طول التنقلا وفراق المكنس
فالبدر لو لم ينتقل عن برجه ... ما كان يعرف نوره فى الحندس

وقال الشاعر:

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسانا

على شرذمة من عسكر الناصر فهزمها واسر منها ونهب ووصلوا الى غزه فرحل العسكر المصرى عنها وتاخروا وكان الافرنج قد خرجوا معهم لانهم اعطوهم الساحل [ساحل الشام] جميعه ووعدوهم بشئ اخر اذا نجح قصدهم ورجع مولانا السلطان اعز الله نصره جهز العساكر واخرج خيمته ودهاليزه ضربها على الخندق واهتم بالسفر وخرجت العساكر اولا اولا ومنهم من وصل الى العباسه. ثم وردت الاخبار بان العسكر الشامى

ثم ان عبدالله بيك، قال يا قاسم بيك، فك لى يدى لأجل ما أتوضا، فقال له ابراهيم بيك تابع الجزار: توضى ياملعون، كنت وضيت الخطيب، والامام، والمبلغين الذين خوزقتهم فى كوم طوخ الملق، يا ملعون، والله ما هلكنا الابنارك، ونار سيدك، وفاز هذا الملعون، الذى كان كل كشك نزل فيه، فعل بحرايرها وقتل رجالها، وبلص أراملها، والله هذا الجزاء قليل فيكم، وتأتى الخبر لسيدك الممقوت بما يفعل هذا الملعون اخوه، الذى سميتموه المجنون، حتى حرقونا بناركم، بالله عليك يا قاسم بيك ارمى رقاب هذين الملعونين، حتى أتشفى[١]. قبل الموت ولو بدرجة، فان مثلا تقوله النساء أن البصلة فرجة السيرج، وهو بيتطشطش قبل نزول البصلة عليه. مع أن المسافة قريبة بين السيرج والبصل. ثم ان قاسم بيك أمر أحمد آغا لهلوية الوالى، أن يرمى رقبة المجنون، وعبد الله بيك، ثم اخذ رأس الجزار ابراهيم بعدهما، وأخذ رءوسهم، ورجعوا بعد أن رموا جثتهم فى البحر، وكان قد مضى من الليل تسعة ساعات. وكان ذلك ليلة الاحد ثامن ساعة من الليل، الثامن والعشرون من شهر صفر سنة ١١٣٦[٢]، وان ابراهيم بيك الجزار قتل ظلما، وكان سبب قتله، أنه لما ظهر اسماعيل بيك أعطى يوسف بيك الجزار الى محمد بيك جركس بلد ههيه [بالشرقية]، وكان البلد باسم ابراهيم خزنداره هذا، فقال له: يا بيه أنت اعطيت محمد بيك بلدى التى اعطيتها لى، فقال له سيده أنا أعوضك بلدا

(١) بالأصل «أتشوقى».

(٢) ٢٧ نوفمبر ١٧٢٣م.

تاخر عن غزه، ثم وردت الاخبار بانهم رجعوا فتوقفت الحركة، الا ان مولانا السلطان صلح مع الملك الناصر. وفى هذه الايام زاد النيل زيادة جيدة وطلع على العماره التى عمرت بالجزيرة وبطل العمل منها ما خلا الادر [الدور = المنازل] والمناظر السلطانيه المحدده فان العمارة كانت فيها مستمرة. وفى هذه الايام نزل رجل من الاجناد وكان من مشدى(*) عمارة الجزيرة فى القاعة التى كان البطرك عمرها بكنيسة الجزيرة واقام بها اياماً

(*) المشد: المقصود به هنا ملاحظ أو مقاول البناء

خلافها. ثم أنه توفى ولم يعوضه خلافها، فأخبر اسماعيل بيك عنها، فقال اسماعيل: أنا اعطيك بلدا احسن منها وأكثر فايض، ثم أنه تركه فذكره بها ثانيا، وكان قد اشتد عنقه، وقويت شوكته، وكان ابراهيم صار صنجقا، فقال له اسماعيل بيك جركس: آخذ البلد، وأنا أعطيك بلدا غيرها، بلصة سيدك اعطاه شئ لا يملكه، وهى على اسمك أنت صنجق، وهو صنجق أطلب بلدك منه وأنا أكلم لك الوزير. ثم أن ابراهيم بيك، قدم عرض حال الى الوزير بطلب البلد من جركس، فأرسل الباشا الى جركس فرمانا صحبة آغا معين عليه من جهة الباشا، فلما قرأ الفرمان رآه من جهة البلد اللى أعطاها له الجزار فأرسل يقول الى الباشا هذا البلد كان اعطاها لى سيده، وهى باقية على اسمه، ولم أغير اسمها، وهذا تقسيطها اعطيه له. فوصل الاغا الى الباشا واعطاه التقسيط، فسلمه الوزير الى ابراهيم بيك، فهذا كان سبب قتله والله أعلم.

وفى تاسع عشرين صفر(١)، قدم سالم بن حبيب الى مصر، وقد كان عند المغاربة بالصعيد، فأخبر بموت خصمه الذى طارده عن وطنه، فرجع من الصعيد من يومه ، فضرب ثلاث بلاد من بلاد اسماعيل بيك، وأخذ وساياها اربعماية ثور وجاموس وثمانماية رأس من الغنم ، وأرسلهم الى دجوة ودوغهم بداغه [ختمهم بخاتمه]، ودخل الى مصر، واجتمع

(١) ٢٨ نوفمبر ١٧٢٣م.

وتنكد البطرك بسببها. وتحدث للناس بان هذا هو
الذى كان يخشى ويحذر لان هذه لو كانت على
حالها من داخل الكنيسة وهى موضع لا يوبه له ما
تعرض احد اليها وهو امر يودى الى خراب
الكنيسة ويطرق الايدى الغريبه اليها. ثم ان
المذكور خرج منها وهو المعروف بسيف الدين
بورنا السهمى . ثم ان النيل المبارك وفى ست عشر
ذراعا فى نهار يوم الاثنين التاسع عشر من مسرى
[١٢أغسطس] الموافق الثالث من صفر سنة تسع

بجركس وسلم عليه وعلى الصناجق فى المقعد لذى فى وسطه العامود الرخام على ميسرة الصنجق، وغيطاس وقبلان وأيوب بجانبه، فتقدم اليه سالم ليسلم عليه، فأخرج له الخنجر الذى قتل به أسماعيل بيك . وقال لسالم بوس هذا الخنجر، فقال سالم: لماذا يا أمير زين الفقار، قال له: لولا هذا الخنجر ما دخلت مصر، وحضرت فى ديوان محمد بيك، فقال له: ان شاء الله يدوم يا أمير زين الفقار، ولكن تأذى باطنا واخبر الأعسر، وقاسم بيك، فقاموا على جركس فيما بينهم وبينه، فلم يلتفت لهم ولا يرد لهم جوابا الا بقوله صدق. ثم انه كساه فى ذلك اليوم كرك فاقوم. وفى ثانى يوم ارسل طلبه، وكان بايتا عند رجل شريف، يقال له السيد محمد الطحان، فركب وسار الى منزل محمد بيك جركس، فقال له جركس: يا شيخ العرب سالم، قد أوليتك غفر البرين من بولاق الى دمياط، وانك شيخ الرايتين من الغربية وانك تخرج من حق المفاسيد، فقارية كانوا او قاسمية، وان حصل فى الاقليم فساد يكن براسك، فقال: سالم كذلك يا بيك. ثم انه كساه كركا مقصبا وأمره أن يسافر الى دركه، ويعمر دجوة، وأن سالم هذه فارس لا يطاق، علقم مر المذاق.

ومن أعجب ما وقع، ان اسماعيل بيك لما اخرجه الخرجة الاولى، نهب دجوة، ولم يبق فيها شيئا، وهدمها واحرمه أن يمر، وكان كل ليلة من الليالى تحدث مع سيدى أحمد البقرى شيخ نصف حرام، وكان اسماعيل بيك يحبه ، فقال : له يا أحمد الان فى العرب نبيه من

وثلاثين وستماية الهلاليه [١٢٤١م](*) وقد كان امر بعقد جسر من مصر إلى الجزيرة [الروضه] فعقد وكان فيه احد وعشرون مركبا وكان عرضه يسع جملين محملين احدهما جايئاً والاخر رايحاً ولا يزدحمان، ووجد الناس به راحة عظيمة. ولما قربت ايام النيروزجا مولانا السلطان الى الجزيرة واقام بها هو وخواصه وكان عمل على المقياس المقعد الذى عمله ولم يكن قط لانه لم يكن تم قط سوى بسطه والمقعد كان داخلا منها. فعمل

(*) أهم أحداث سنة ٩٥٨ق.= ١٢٤١م.=٦٣٩هـ.
* أول توت ٩٥٨ = ٢٩ اغسطس ١٢٤١= الخميس ١٩ صفر سنة ٦٣٩.
* فيها الصالح اسماعيل، صاحب دمشق، والمنصور إبراهيم، صاحب حمص، وصاحبة حلب صفية خاتون، كانوا متفقين على عداوة الملك الصالح أيوب، صاحب مصر.
* ١ يناير ١٢٤٢=٦طوبه ٩٥٨= الأربع ٢٦جماد الثانى سنة ٦٣٩.

مشهور بالفروسية فقال له: يا بيك أثنان، سالم ابن حبيب وحماد شيخ عرب هلبا سويد، ولكن يا بيك سالم أقوى لكون أنه صبى، وأما حماد عرص فارس، الا أنه عرص جاهل، ومتزوج بعشرين امرأة[1] وعمره نحو الثمانين، فقال الصنجق: كيف ماتنسبهم الى الفروسية وهم اخصامك، فقال: يا بيك هذا الحق الذى باقول، وان كانوا اخصامى.

ثم ان الصنجق سكت ، فأصبح شيخ العرب سيدى أحمد البقرى سافر، ثم أنه فى حال رجوعه الى مصر ، اجتمع مع سالم وأخبره بالمجلس، وقال له روح له وادخل له وحدك من غير واسطة احد، وان جرى فيك شئ أكون انا القاعد به، فدرجه وقوى قلبه، الى أن قرب الى مصر، فقال سالم لسيدى احمد البقرى الفاتحة، الى الامام سلطان مصر. ثم انه دخل الى اسماعيل بيك فقال له: أنت من يا رجل؟. فقال : يا بيه أنا سالم بن حبيب، فقال له: أنت سالم؟ فقال: نعم يا بيه، فقال يا سالم الفقارية تدخل بيوت أعداهم القاسمية، فقال: يا بيه ضاقت بى الدنيا، وما رأيت احد يحمينى منك، فقلت: أروح الى اسماعيل بيه خليه يقتلك وارتاح من هذا الذل الذى أنا فيه لكون أنى صرت من العرب الرحالة كل يوم فى وادى، وأنا جيت اليك كفنى تحت أبطى، ان كنت تقتل أقتل، تعفو أعفو، أنا بين يديك أفعل ما تشتهى وتريد.

---

(١) بالأصل كتبت كلمة «جارية» وفوقها «أمراة».

هذا السلطان هذا المقعد [شرفة على النيل] وجآء بدعـه حسنه وهو ادام الله ايامه كل ما يعمله ويقترحه ما يجى فى الدنيا اوقع منه ولا احسن ولا اوزن. فجا احد الخدام ويعرف برشيد الصغير نزل بالقاعة التى للبطرك التى بكنيسة الجزيرة المقدم ذكرها وكان البطرك قد خرج منها ومضى الى دير الشمع وكان من الاتفاقات المقاربة [الصدفة]. ثم رسم بعقد جسر على المآء من الجزيرة [الروضه] الى الجيزة واهتم به وكان المهتم بجميع العماير

* وفيها اتفقت الخوارزمية مع الملك المظفر غازى، صاحب ميافارقين.
* فى ذى الحجة توفى الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن الملك العادل بن أيوب.
* فى ٢٧ صفر، بقرب الخابور، هزمت عكسر حلب ومعه المنصور إبراهيم وعسكر الخوارزمية ومعهم المظفر غازى.

فما كان من جواب اسماعيل بيك، الا أن قال له، مرحبا بك يا شيخ العرب سالم، ثم أن سالم قبل يديه فافرد له محلا، وصار يتحدث معه فى كل ليلة ثمان ساعات، وانما ضر سالم خربة اسماعيل بيك، وصار صحبة من سار الى العقبة، وصار يتكلم فى حقه الكلام الذى لا خير فيه[1]. فلما ظهر ما قدر يقابله، وجرى له معه ما سمعت أذهانكم الرايقة.

ولقد اخبرنى رجل من البقرية، أن سبب ما سموا اولاد بقر، أن جدودهم كانوا يتزوجون بالمحارم، مثل الاخت وبنت الام، وبنت ألاخت، وكان كل قاضى جاءهم يقولون له أعقد لنا على الاخت أو البنت ، فاذا امتنع قتلوه ، حتى جاءهم قاض كان ماهرا، فلما ذكروا له العقد على المحرم، فقال هذا لا يصح الا للبقر، فقالوا: ونحن بقر، فسموا بهذا الاسم.

وأما حماد فانه سار الى الشرقية، واجتمع عليه، وكان صحبته، سيدى أحمد البقرى، فلما اجتمع عليه قال له: يا حماد أنت متزوج بكم، فقال: يا بيه والله ما أدرى تمنطاشر أو تسعطاشر يابيه. فقال له أنت مذهبك ايش يا حماد، فقال: يا بيه مثل القوم كلهم، ثم أن اثنين من الطايفة نزلوا بجانب فدانين زرعه حشيش فقالوا للمرابعى، يا رجل ماذا تصنعون بهذا؟

(١) كتب بيتا الشعر التاليين لمناسبتهما لواقع الحال.. قال الشاعر:

بمكارم الاخلاق كن متخلقا ... ليدوم نثر ثنايك العطر الشذى
وانفع صديقك أن أردت صداقة ... وادفع عدوك بالتى فاذا الذى

الامـيـر جـمـال الدين بن يعـمـور. وخـرج الخـادم المذكور من القاعة ولم يبيت بها سوى ليلة واحدة ثم بطل الجسر المذكور لعدم المراكب التى تصلح له وقيل انه أخر الى ان ينزل النيل المبارك فيقل ما يحتاج اليه من المراكب. وكان النيل يزيد والسعر يزيد والغلاء فى كلما فى الارض، وكانت مصر فى تلك ارجح من غيـرها واصلح لانه ذكـر ان القمح بدمشق يسوى ثلثماية درهم نقره الغراره وهى اردبان بالمصرى واجرة الطحين ستون درهما

فقال المرابعى والله يا أمير هذا لرأس حماد[1]، فى كل سنة يزرعوا له ويأكلهم ، فانظر يا أخى جهل هذا الرجل، مع انه فى سن الثمانين والله أعلم.

وأما عبدالله كتخدا الجاوشية، وعبدالله كتخدا البيت، فانهم عملوا جربجية فى وجاق مستحفظان، وأما سليمان أبو دفية عمل جربجى فى وجاق العزب، وحول الباشا جميع ما فى بيوت الخمس صناجق الى الديوان. وأما أخت أسماعيل بيك فأنما تحولت من بيت أبيها الذى بجامع مسكة، الى بيت حسين جربجى الذى بجوار حمام الكلام، ولم يتعرض لها أحد بنهب، لأن المال الذى هى فيه ميراثا من أبيها، وجوار أخيها اسماعيل بيك أتوا عندها، لأن جميع أموالهن نهبت ولم تفدهن منه شئ الا ما اخذوه، لأن أموال الخمس صناجق ضبطت الى الميرى، فانظروا يا اخوانى الى هذه الدنيا والى غرورها.

وكانت قطيعة الشواربية مثل قطيعة البرامكة الذى تقدم ذكرهم، وانظروا الى العز الذى كان فيه اسماعيل بيك وجماعته، والى نفاذ الكلمة التى كانت له، ولم تصر الى أحد غيره، وأطاعة العسكر وجميع الأكابر والأعيان الا محمد بيك جركس، فانه كان اذا اصطلح هو وأياه لم يمكث صلحه ثلاثة أيام، ويحدث له غما وهم جرى على هذا المنوال، الى أن كان ما كان فى علم الله.

---

(١) بالأصل «الرأس».

نقـره لان انهـارها جـفت وارتحل اكـثـر الناس من المتـمـاعشيين [الفقـراء] والصـعـاليك وغـيـرهم من الشرق والشام وساير الامـصـار الى مـصـر وصار بها من الخلق ما لا يحد ولا ويوصف وهو كـان اكـبـر الاسباب فى الغلاء.

ثم دخلت سنة ثمـان وخـمـسين وتسع مـايه والسلطان خلد الله ملكه واعـز نصـره الملك الصـالح والوزير معين الدين بن الشيخ والقـاضى

ومما اتفق أنى دخلت بيته قبل العصر، فرأيت البيت ملانا بالخلق من علماء واشراف وأعيان البلد، والقاضى، ومن السبعة أوجاق ولم يكن البشيلى عندهم، فسألت عليه فقالوا: فى الحريم، فلم أجد محلا أجلس فيه من كثرة ازدحام الخلق، فجلست فى دهليز المقعد، وكان بجانبى رجل من طلبة العلم، فتحدثت معه الى أن مضى بعد صلاة العصر خمسة عشر درجة، واذا بالبشيلى نزل من الحريم، فبمجرد ما رفع نظر الذين فى المقعد جميعا قاموا، فلما دخل عليهم وسلم، انحنوا له نحو نصف القوس، وأخذوا سلامه وصار هذا يلم حرمته على صدره، وهذا يضم عمامته ثم جلس، فالذى مرتبته الجلوس جلس، والذى مرتبته ألوقوف وقف، فقلت فى نفسى سبحان الذى أودع سره فى أضعف خلقه، وكان صغير السن، لأن عمره كان نحو تسعة وعشرون سنة، لأنه ولد سنة ١١٠٦، ومات سنة ١١٣٦.

وكان اذا طلع الى صلاة الجمعة تصطف له الناس ميمنة وميسرة، وبايديهم القصص، فيعطوهم له فى حال خروجه من المسجد، لأن الفقراء ما كانت تملكه فى المقعد من كثرة الازدحام، وفصل مصالح الناس أى الخلق، لأنه كان يقضى مصالح الخلق من غير شئ، ولم عهد عليه أخذ شئ فى قضاء مصلحة. وكانت الخلق تعطى الرزق معاملة، ويقطعوا كل قرش نصف فضة، وأما هو فكان يعطيها فضة بيضا، والذهب بماية وسبعة، ولم يقطع الخزندار النصف أبدا، ويعطيهم على السواء.

شرف الدين بن عين الدولة الاسكندرى، والبطرك انبا كيرلس المعروف بابن لقلق، والماء متزيد والاسعار متشحطه. ووردت الاخبار بكسر عسكر الشام ورجوعهم الى دمشق مخذولين كسرهم عسكر الملك الناصر بن المعظم. وجات رسل الافرنج بطلب الصلح من مولانا السلطان اعز الله نصره وهم رسل الديوية اصحاب عسقلان وغيرهم من اكبر الفرنج كونوا صلحاً مع مولانا السلطان وهولاء الذين كانوا مع صاحب دمشق لما

- -

ومن أعجب ما وقع[١]، أن رجلا جنديا من طايفته، وكان قد اشترى جارية بيضا، وكانت جميلة، وكان قد اخدها بماتين زنجرلى، وكان مغرما بها، وكان فى البيت عندها امرأة السايس تخدمها، ولم يكن فى البيت أحد غير الست وامرأة السايس، والسيد والسياس هم الأربعة فقط فاذا ركب قدام السنجق يغلق الباب السايس ويأخذ المفتاح، فاذا جاء يفتح الباب ويدخل ، ثم أن يوما من الأيام، فتح الباب ودخل فلم يجدها فطار عقله، فنده عليها فلم تجبه، ولم يجد زوجة السايس فسأل السايس، فقال له: أنا واياك والا فى البيت، فقال: اطلع فتش عليها، فطلع الاثنان فلم يجدوا شيئا، وما أحد أخبر بخبرهما.

فانقطع عن رواح بيت الصنجق نحو ستين يوما، وهو داير طول النهار لم يخل محلا فلم يجدها ولا وقع لها على خير، فسأل عليه الصنجق فأخبره محمد آغا البواب بواقعته فأرسل له، فلما جاء سأله فاخبره، فقال له: هل أخذت شيئا من الحوايج ؟. فقال : لا .. فقال وجميع حوايجها؟ قال: قاعدة فى الصندوق. فقال له هات الصندوق الذى فيه اطمار بدنها، فأتى به قدامه، فقال له: افتحه وطلع(*) ما فيه قطعة قطعة، فطلع قفطانا، فقال له: أنت فصلت لها هذا القفطان؟ فيقول نعم، الى أن طلع قاوشترمة، فقال له هذه؟ فقال لا لم أفصل لها هذا فحاش القفطان، واعطاه الصندوق.

(١٦١) كتب عنوان جانبى «اعرف واقعة جارية الجندى وزوجة السايس الخ».

(*) كتب بأعلى الصفحة «عونك يا الله».

رأوا خذلانهم وانتصار صاحب مصر عليهم رجعوا الى الموادعة والمسالمة وطلب الهدنه على ما فى ايديهم. ثم ان مولانا السلطان اعز الله نصره اطلع على خيانه من بعض الامرا رد الله كيدهم فى نحرهم فقبض على واحد منهم يقال له ابن فلاح وكان من الاشرفيه وكان مولانا السلطان قد احسن اليه غاية الاحسان فكافاه بما لعنه. ثم قبض على اميرين كبيرين من الاكراد وهما بهاء الدين بن ملكيشوا وناصر الدين بن برطاس وصير الثلاثة الى

ثم أنه أرسل لخياط بيته، واعطاه القفطان، وقال له: تأتينى بمن خيط هذا القفطان فغاب ثلاثة أيام، وأتى له برجل نصرانى خياط، فسأله الصنجق، فأخبره بأنه خياطة يده، وأنه باقى له من مصروفه و أجرته تسعون نصفا، وأنه خاطه لسراج فلان، فأرسل أتى به واوراه القفطان، فقال: نعم هذا قفطانى فصلته لفلانة جارية فلان، قال له: وأين هى ، قال قتلتها فقال له: ما سبب قتلتك فيها، فقال: يا بيك اتكلم الصدق، قال له: تكلم الصدق وعليك الأمان.

فقال يا بيك أنا سراج من جملة سراجين قاسم بيك، وهذه الجارية ساكنة فى فم الرميلة قريبة من بيت الصنجق، فلم يكن عندى خبر منها، فأنا مارر من تحت بيتها الى الوكالة، واذا بمحرمة وقعت على رأسى متلفة تسوى فندقلى، فرفعت عينى الى المحل الذى وقعت منه المحرمة، فرأيت الجارية واقفة فى الشباك، وكان وقت المغرب، فلما رفعت رأسى اليها، وضعت يدها على صدرها وشالتها باستها فتحيرت، ورحت مشغول البال، فجعلت طريقى من على بابها، فأجد الباب مقفولا، واذا بامرأة السايس قاعدة بعيد عن البيت، فلما تبعتنى اخبرتنى بانها مرسال الجارية، ثم أنى امرتها أن تجيب لى المفتاح فجابته لى فعملت واحدا مثله، وصرت افتح الباب واطلع مدة، ثم أنها قالت لى مرادى آجئ عندك الاوضة، فقلت أهلا وسهلا، ثم أنها صارت تفتح الباب وتأتى هى والمرأة.

الى يوم من الايام جاءت عندى، فدمنا فى السكر فرقدنا فاقمنا الا بعد العشاء، فلما عادت

قلعـة صـدر تحت الحوطه بعـد حـوز جـميـع مـالهم. وانتهى النيل المبارك فى هذه السنة الى ثمانى عشرة اصبعا من ثمانى عشر ذراعاً وجاء مجياً وثبت على الاراضى ثباتا مليحـا الا ان الاسعـار كانت متزايدة فى كل شئ من الماكـول وغـيـره حـتى الكسـوات والعمـاير والعالم يكثرون بالديار المصرية من الشام والشـرق والعـراق لاجل الغـلا الذى هناك. ثم ان مولانا السـلطان عز نصره قبض على امير كبير من الاتراك من مماليك ابيه يعرف بسنجر اليمنى ويقال

راحت ، ثم انى حشـتها عندى فى الاوضة نحو خمسين يوما، ثم أن بجانبى سراج، فطلعت يوما من الايام فما وجدتها فى الاوضة، فرحت أوضة جارى السراج فرأيتها تحته، فما ساعنى الا أنى قتلت الاثنين ورمتهما فى بيت الخلاء بتاع الوكالة، وان كنت ما تصدق ارسل وأكشف وأنظر، وان كنت تقتل اقتل. ثم أن الصنجق سأل عن امرأة السايسى فقال هربت فعفى عن السراج وأنزل سيد الجارية حوالة على[1] جملة بلاد، جاله منها نحو ثمانين ألف فضة، وحث على المرأة وقتلها ، غفر الله له وأرضى عنه خصماه والله أعلم.

ثم أن فى يوم الخـمـيس خـامس ربيع أول سنة ١١٣٦[2]، وردا آغـا من الديار الروميـة وصحبته خطان شريفان، واحد بخمسة آلاف فرق بن، والثانى بغلال الحرمين، وطلع محمد بيك جركس الى الديوان، وكان أول طلوعه بعد قتلت اسماعيل بيك، وكذلك محمد بيك أمير الحاج، وعلى بيك الهندى، وحمزه بيك، وعلى بيك أمين الشون، فقرى الخطان، فأجابوا بالسمع والطاعة، ثم أن الباشا البس الصناجق خمسة أكراك سمور وأقر أمير الحاج وحمزة بيك على كشوفية المنصورة، وعلى بيك الهندى على نظارة الخاسكية، وعلى بيك على امانة الشون ومحمد بيك جركس على مشيخة القاهرة محل اسماعيل بيك ثم أن الباشا أمرهم أن يرسلوا الى مشـايخ الاسـواق والمطربازية [المسـؤلين عن المزادات] والدلالين أن يحـضـروا الى

(١) بالأصل كلمة «المراة» وفوقها علامة الشطب.

(٢) ٣ ديسمبر ١٧٢٣م.

انه اخرجه من البلاد وجماعة من المغاربه معروفين وغير معروفين. وعزل القاضى شرف الدين قاضى القضاه من قضا مصر واقتصر به على قضا القاهرة والوجه البحرى واستخدم فى قضا مصر مع الصعيد رجلا كان قاضى سنجار وهو من اصحاب السلطان عز نصره وكان قد سير اليه كتاباً احضره لانه كان خدم السلطان خلد الله ملكه ايام كان بسنجار وبذل الجهد فى خدمته. وارتفعت الاسعار حتى ان القمح بلغ خمسين

الديوان ، فحضروا ، فأمرهم أن يبيعوا حوايج الخمس صناجق، فنزلوا الحوايج الى حوش الديوان. وجلس الباشا والقاضى والرزنمجى أحمد أفندى والقسام والصناجق فى ديوان قايتباى، وفتحوا باب البيع فى خامس عشر ربيع أول سنة ١١٣٦ ، فأول ما باعوا الخيل والجمال والخيام والفرش والنحاس والصينى، واخرجوا شيئا يذهل العقول بحضرة أعيان البلد، ثم أنهم اخرجوا صندوقا صغيرا فوجدوا فيه طاقية وصديرى وحزام لم عرفوا هو من جلد ايش من الحيوانات، ووجدوا عليه كتابة مثل دبيب النمل، لكن الخط كوفى، كان قد أهداها له مولاى اسماعيل سلطان الغرب [المغرب]، فأخذه الوزير ولم يبعه، وأخذ الوزير الصيوان الكبير الذى كان اخذه رجب (*) باشا وأرسله الى سكندرية مع جملة المنهوبات. فلما ظهر اسماعيل بيك فأرسل يجيب المنهوبات، فوجدها سافرت صحبة المركب التى سافر فيها العرض الذى تقدم ذكره صحبة العماوى، وكان هذا الصيوان تأخر، وما أرسله الا بعد سفر المنهوبات. فلم يجد اسماعيل بيك الا الصيوان، فأرسل أحضره فأخذه الوزير محمد باشا بعشرة آلاف زنجرلى. وكان هذا الصيوان من الكشيرى، وكان قد اصطنعه رجل تاجر يقال له خضر فى الهند، وأتى به الى مصر ، فأعرضه على اسماعيل بيك، وقال له مرادى التوجه الى الديار الرومية لابيعه فى اسلام بول، فدفع لهماية كيس، فأمتنع الحاج خضر أن يبيعه، وتوجه به الى الديار الرومية،

(*) بالأصل «رب».

درهما الاردب والشعير خمسة وثلثين درهما الاردب وبذر الكتان الفلت [الردىء] ثمانين درهما الاردب والسلجم مثله والزيت الحار ثمانية وثمانين درهما القله والجميع من هذه السنة. ولم يكن فى البلاد شئ رخيصا بالجملة الكافية. واما اصناف العماير فما يقدر عليها لان الناس مع الغلا ما كانوا يقترون من العماير مع العماير السلطانية التى ما كان قط مثلها. وكسفت الشمس(*) فى الساعة التاسعة من نهار يوم الاحد تاسع بابه [٦ اكتوبر]

(*) كسوف للشمس فى يوم الأحد ٩ بابه.

فما أخذه أحد فأعرضه على السلطان أحمد، فدفع فيه خمسين كيسا فأبى أن يبيعه، فعمله له بشير آغا بستين كيسا ليأخذه ويهديه الى حضرة الملك، فأبى ثم انه أتى به الى مصر وأعطاه الى اسماعيل بيك فأخذه بثمانين كيسا، فلما طلع فى المنهوبات أخذه الباشا بعشرة آلاف أحمر.

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع أول(١)، طلع محمد الدفتدار ابن أبى شنب، فلقيه رجل فى حوش الديوان وقال له: ارجع الى بيتك، فان الأمر دبر عليك وعلى عمر اغا كتخدا الجاوشية، فقال لا يمكن الرجوع من حوش الديوان. ثم انه طلع الى الديوان وجلس فى مرتبته، ثم فز قايما، ونزل ركب وسار الى منزله، وكان فى حال جلوسه، أخبر عمر اغا كتخدا الجاوشية، فقال له الذى اخبرك أخبرنى واخبرنى بالسبب، فقال: ممن؟ فقال: من اخت اسماعيل بيك، بواسطة جماعة اخيها من داخل الداخل، ثم انى اعطيته ماية زنجرلى، فقال الدفتدار: وانا أعطيته الكيس الذى فى جيبى بما فيه، ثم أن كتخدا الجاوشية افرقه ودخل الى الوزير، فقال له الوزير لماذا محمد بيك نزل ولم يعمل ديوانا؟ ما سبب ذلك؟ فقال عمر اغا: يا وزير دولتلى نزلت عليه نزلة ثم أنه تقايا فخاف أن يثقل عليه الأمر، فسكت الباشا على خبره.

(١) ٢٣ ديسمبر ١٧٢٣م.

من هذه السنة واستغرقها الكسوف بحيث ان
النجوم ظهرت فى ذلك الوقت واوقد الناس
السرج فى الدكاكين والحمامات ثم بعد ذلك
انجلى الكسوف اولا اولا الى ان رجعت الشمس
الى حالها وظهر النور كما كان وقيل ان هذا
الكسوف لم يعقل احد لمثله وقال قوم من المشايخ
انه كان مثله فى ايام الملك الناصر صلاح الدين
سنة اخذ القدس من الافرنج ويكون لهذا الحديث
اليوم خمس وخمسون سنة [من ١١٨٧ -

ثم أن فى ثانى يوم أظهر الخبر، وهو أن أخت اسماعيل بيك اجتمعت مع بعض جماعة أخيها، وأقرت لهم بأنهم يجتمعوا على الوزير ويعملوا له خمسماية كيس وللابواب ثلاثماية كيس، وأن الوزير يقتل الدفتدار وعمر اغا فى الديوان، وبعد قتلهم.. بأمر العسكرى أن يهجموا على جركس فى بيته فيقتلوه، وكان هذا تدبيرهم، ففطن جركس، وابن سيده جمع السبع أو جاق وأعرض عليهم هذا الأمر ، وقال الهم:

لابد من نزول الباشا لكون انه رتب جماعة من جماعة اسماعيل بيك وانه البسهم لبس البشتلية، ونزلهم فى الديوان، وهم نحو الثلاثين، فقالت السبعة اوجاق أحنا معك فى الخير والشر، وهذا أمر لا يثبت، ونبقى نحن العايبون.

ثم ان الجماعة اقتضى أمرهم أنهم يكتبوا عرض حال ويرسلوه الى الباشا، يعلم لهم عليه بأنه لا أحد يطلع الى الديوان من الصناجق ألا كواخيهم وباش جاوشية الديوان الذين للوجاق، وان كان أحد من العسكر له مصلحة فى الديوان، لا يطلع الى [سوى] الديوان ألا بمعرفة ضابطه. ثم أنهم قدموا العرض الى الوزير، فلما قراه، قا ل لا أعتاز فى الديوان [سوى] الدفتدار والرزنمجى خدمة الديوان ، وأما الصناجق لا حاجة لى بطلوعهم، فان طلوعهم وعدمه على حد سوا، ثم انه علم لهم على العرض.

ثم أن جركس عمل جمعية فى بيته، وكتب قايمة بنفى جماعة يأتى ذكرهم فى محله.

١٢٤٢م] وارتاع الناس لهذا الامر ارتياعاً عظيما وقالوا ماذا يكون من هذا الحادث. ووصل رسول الانبرور(*) الى الاسكندريه ومعه اموال عظيمة وبضايع جزيلة وتحف كريمة وقيل ان المركب الذى وصل فيه تسعماية بحار وان اسمه نصف الدنيا، وتاخر وصوله الى القاهرة ثم اذن له فى المجى فاحضر فى البر وطول [طوف] به فى طريق ودور به من على الفيوم وجآء الى الاهرام(*) وعدى من الجيزة وكان معه زهآء ماية رجل وكان

(*) الامبراطور فردريك الثانى امبراطور الامبراطوريه الرومانية المقدسة فى الفترة من ١١٩٤/١٢٥٠م.

(*) وفد الامبراطور فردريك الثانى يزور الاهرام فقد كان للآثار

ويرجع الكلام الى الأربعة انفار الذين كانوا نفوهم، وهم قرا مصطفى جدك وعلى أوضباشا بن داوود وسليمان مستحفظان وكشك محمد، وعلى أوضباشا عزبان وكل منهم اليمق ويمقه وان كان قد شاع فى القاهرة انهم ماتوا، ولم يكن له أصل، وانهم لما دخلوا الى جرجة، فر قرا مصطفى الى العزب، وقال انا عزب فما قدروا أن يأخذوه من أيدى العزب، وكذلك على اوضباشا، ثم ان سردار العزب حماهم وكتب مكاتيب وأرسلها الى مصر يتشفع فى قعادهم فى جرجة.

فلما وصلت مكاتيب السردار الى مصر، وقروها أجمع رأى الانكشارية والعزب أنهم يأخذوا فرمانا بنفيهم الى أبريم ، وأن يكون السردار العزب صحبتهم، فكان كذلك.

وعينوا سرادارا عوضا عنه يقال له حسين جاويش العقاب، وسافر من يومه فلما ورد السردار الى جرجة، هرب مصطفى ولم يواجه، ونفوا السردار وعلى أوضباشا الى أبريم، وانفوا كشك ورفيقه فى جرجة.

وفى يوم الخميس خامس وعشرين ربيع أول نفوا ابراهيم أوضباشا الى رشيد، وعملوا محله سليم أو ضباشا باش مستحفظان، وعملوا يمقه سليمان ا لاقواسى واحمد أوضباشا اخو رجب كتخدا ، عمل ثالثا فى خامس عشرين ربيع أول سنة ١١٣٦ . ونفوا من باب العزب على كتخدا الخربطلى، وابو شناق أو ضباشا، وسليمان اغا الوالى وخمسة او ضباشية الجميع الى

يوم وصوله عظيما زينت له المدينتان وركب العسكر جميعه وتلقاه وخرج الناس اجمعون وكان الرسول المذكور ورفيقه لانهما كانا اثنين على فرسين من خيل النوبة التى لمولانا السلطان اعز الله نصره وجاوا بهما وانزلوهما فى الادر السلطانيه التى تحط دار الديباج(*) المعروفة بسكن الصاحب بن شكر فالكبير منهما وهو الذى يقال ان على جسمه ثوب صوف فى الدار الكبيرة، والصغير فى الدار التى على باب درب الشيخ المعروفة بسكن

المصرية سحرها فى هذا الوقت وحتى اليوم.

(*) دار الديباج: انظر الهامش العلوى ص ٥٤٩.

أبى قير، وصاروا ينفون جماعة بعد جماعة بالتدرج من الذين كان لهم مدخل مع اخت اسماعيل بيك ابن ايواظ ، وأصبحت جماعة اسماعيل بيك مختفية فى القاهرة لم ير منهم أحد بعد ذلك العز والجاه.

ويرجع الكلام الى الامير زين الفقار، فان محمد بيك الدفتدار أبن أبى شنب طلع الى الديوان يوم الثلاث غرة ربيع آخر سنة ١١٣٦[١]، فدخل على الوزير صبح غليه وجلس، فما استقر به الجلوس حتى سأله الوزير عن الامير زين الفقار فقال:

يا مولانا الوزير، حاضر فى الديوان، فأرسل الوزير كتخدا الجاوشى وأوفى له جركس بما وعدله، وصار زين الفقار اشراق جركس فى الصنجقية ونزل راكبا على جواد الدفتدار وركب قدامه طايفة محمد بيك جركس، والدفتدار الى جانبه، الى منزله الذى كان ساكنا فيه[٢]، بسويقة العزى واوفى له جركس بما وعد له ، وصار زين الفقار اشراق جركس فى الصنجقية اشراقه فى مشيخة القاهرة، لأنه لو لم يقتل اسماعيل بيك، ما كان يحصل لجركس هذا العز الذى حصل له.

وفى ثانى يوم الذى هو ثانى ربيع آخر سنة ١١٣٦[٣]، نفوا ابراهيم أفندى كاتب كبير

(١) بالأصل «ربيع أول» والتصويب من سياق النص / ٢٩ ديسمبر ١٧٢٧م.
(٢) قدم واخر. (٣) ٣٠ ديسمبر ١٧٢٣م.

عز الدين ابن الصاحب المقدم ذكره، واطلق لهم من الرواتب والضيافات والانعام والاطلاقات ما لم يسمع بمثله، واقام الرسولان اياما لا يجتمعان بمولانا السلطان خلد الله ملكه ثم استدعاهما وسير اليهما خيل النوبه ولا صحابهما ما يركبون لانهم كانوا وصلوا فى البحر وكان يوم طلوعهما الى القلعة المحروسة مثل يوم وصولهما، واقاما فى البلاد لاجل الشتا فى الضيافة والكرامة والدعاوى

مستحفظان الى دمياط، ويوسف بيك الذى كان كتخدا الحاج تابع اسماعيل بيك نفوه الى بلده، واثنين أوضباشية من العزب الى بلد اسماعيل كتخدا عزبان. ثم أن ابراهيم أفندى الذى عملوه جربجى الذى كان خصم اسماعيل بيك وصار جناح جركس الذى يطير به، تفقد باب العزب فرأى ثمانية أوضباشية وقد أحدثهم اسماعيل بيك، فقلعهم القواويق الطرابيشى وعادوا الى النفرية بعد الاوضباشية.

وفى يوم الخميس عاشر ربيع الثانى(١)، البس الوزير قفطان الصنجقية الى عمر خزندار جركس ، وكان يقال له عمر الصغير، وأسكنه فى بيت محمد بيك المجنون أخو أسماعيل بيك.

وفى رابع عشر ربيع آخر سنة١١٣٦(٢)، أعرض على بيك الأصفر الى حضرة الوزير، بأنه قد صار عاجزا، وليس له قدرة على الصنجقية، وحضرة مولانا الوزير اولى بها منى، يعطيها لمن يريد. فرفعها الباشا عنه، وارسل أخذ الطوخ من بيته، ثم أنه التجأ الى باب العزب وارشاهم بالفين زنجرلى وعملوه جربجى. وفى تاسع عشر ربيع المذكور، البس الباشا صنجقية الأصفر الى عمر بيك الكبير، وكان خزندار جركس، وأسكنه ببيت ابن درويش بيك، بجوار قيطاز بيك، وهو ثالث اشراقاته.

---

(١) ٧ يناير ١٧٢٤م.

(٢) فى١١ يناير ١٧٢٤م.

والفرح والصيد ورماية البندق. ثم ان الاخبار وردت بان العسكر الذى كان مجردا بقوص(*) وكانوا اتراكا وكان مقدمهم رجل يقال له طغربل الجحافى الزاهد نافقوا وجعلوا هذا طغربل سلطانا وقبضوا على والى قوص واستادوا الزكاه والجوالى والخراج وتصرفوا فى الحواصل، الا انهم لم يتابعهم احد على ذلك من العربان لخوفهم من السلطنة فجرد لهم السلطان زها الفى فارس

(*) قوص: وردت فى كشف الاسقفيات هكذا: قوص ورويز، وهى قوص التى بمحافظة قنا على الضفة الشرقية للنيل. واسمها المصرى حات هور أى قصر الأله حور(س). وكانت فى الفترة المملوكية عاصمة للوجه القبلى ومركز للتجارة بين مصر والبلدان المطلة على البحر الأحمر وعدن والهند، وذلك بسبب نقص اراضيها الزراعية، ولكن فى ظل الاحتلال العثمانى فصل لها زمام خاص من أراضى الحرجه (الحراجيه الآن)، فأصبحت وحدة ماليه، كما ورد فى دفاتر الروزنامه القديمة وتاريخ سنة ١٢٣١هـ = ١٥٣٢ق.=

وفى يوم السبت خامس عشر ربيع آخر سنة ١١٣٦، اجتمعت الصناجق وأكابر الدولة، بأحمد كتخدا أمين البحرين، فى قبة الامام محمد ابن ادريس الشافعى، وقروا ثلاثة فواتح على أنهم رجل واحد، وان كل امر مخالف للشرع اذا أتى لا يعمل به، كان من الوزير أو من السلطان، ونكون مساعدين فى دفعه وعدم العمل به، وان كل اسم كان عليه شئ من اسماء اتباع المقتولين لايسلموه الى السلطنة، ويكون باقيا على اسم صاحبه يتصرف فيه كيف يشاء.

وكان السبب الحامل على هذا الاجتماع وهذه الفواتح، انه ورد عليهم خبر من الديار الرومية صحبة محمد السيفى باش السراجين بتوع جركس، ثم أنهم بعد ما قروا الفواتح مع أمين البحرين، ظهر لهم منه نقض الفواتح وعدم العمل بها فأرسل جركس يطلبه، فأدعى انه مريض وعنده انحراف مزاج ولا يمكنه الحضور. فلما ورد عليه هذا الجواب، فأرسل جمع الجماعة وأعرض عليهم ماتقدم ذكره، فاجتمع رأيهم على نفيه الى بلدة بسيون هو وولده وجميع اتباعه، فكان كذلك ثم أنهم سفروه فى غرة جماد أول سنة ١١٣٦[1]. وفى ثانى جماد المذكور، ورد آغا من الديار الرومية وصحبته خطان شريفان وقرى بالديوان بحضرة صناجق مصر وأعيانها بطلب ثلاثة (آلاف)(*) من عسكر مصر الى بلاد العجم، وهى روات، والثانى بالثناء للوزير والدعا له وأكابر مصر وصناجقها فيما فعلوه من قتل الخمسة صناجق

(١) ٢٧ يناير ١٧٢٤م.

(*) الاضافة للتصويب.

ومقدمها الركن الهيجاوى فى بر الشرق وسير الاشراف فى بر الغرب فجمعوا من عشايرهم وقبايلهم ما يزيد عن الفى فارس وساروا الى ان وصلوا الى منية بنى خصيب [المنيا](*) فوصل رجل من الصعيد زاهد معظم فى المسلمين ويقال ان له كرامات وقد كان وصل الى القاهرة وبجل من السلطان والوزير وساير المسلمين فجآء الآن فى طلب الامان لهذه الطايفة المنافقة وسد باب الفتنة

١٨١٥م كما أنها فى نفس الفترة العثمانية اندمجت فى ولاية جرجا التى كانت تمتد فى ذلك الوقت على جانبى النيل من مدينة اسيوط شمالاً إلى وادى حلفا جنوبا. ثم فى سنة ١٨٢٦م عندما أنشىء اقليم قنا لأول مرة باسم مأمورية قنا ضمت إليها مدينة قوص ثم صارت مركزاً منذ عام ١٨٩٠م.

(*) المنيا: بصعيد مصر على الضفة الغربية للنيل، وهى عاصمة محافظة المنيا. ومن قبل ذلك مديرية المنيا التى تكونت لأول مرة فى سنة ١٢٤٩هـ.=١٨٣٣م.=١٥٤٩ق. فى عهد محمد على باشا.

وبياض وجههم وهكذا خدمة الوزراء الناصحون والخدام المطيعون وأن يكن خبزى حلال لكم، وكرك سمور للباشا على وجه ديمى أبيض، ولجميع أعيان الديوان والصناجق وأغوات القاهرة قفاطين(١)، ولمحمد بيك جركس كرك سمور على وجه جوخي، فكان جملة القفاطين ماية وخمس وأربعين وكركين سمور، وكان من عادة آغات السفر أن يركب من باب النصر الى القلعة باللاى بالملازمين، فهذا طلع من برة ولم يشق القاهرة، ولا البلد على حكم العادة لرذالة الوزير، فان عوايد اللاى آغة السفر عشرة الاف فضة، فأبى أن يعطيهم ثم بعد ماقرى الخطان الشريفان ألبس كيخيته حمزة بيك قفطان السفر نايبا عن سيده حمزة بيك، لأنه كان فى كشفه بولاية المنصورة، وارسلوا له خبر السفر.

وفى ثانى يوم، أرسل فرمانا الى باب مستحفظان بطلب عثمان كتخدا الجلالى الذى بباب الوزير، فطلع الى الوزير من وقته وصحبته رجب كتخدا، وسقا حسين كتخدا وسليمان كتخدا الخربطلى، وعمر كتخدا البرلى، فألبسه الوزير كرك سمور وقفطان السفر، بأن يكون سردارا على طايفة الانكشارية، ونزل الى بابه ، ثم ان طايفة الانكشارية أخذوه من الباب بالاى الى منزله الذى بباب الوزير، وأرسل فرمانا الى باب العزب بسفر أحمد كتخدا أمين البحرين، ثم أنهم أرسلوا له الفرمان الى بسيون وأمروه بالتوجه الى رشيد الى أن يأتى له العسكر، وعملوا

---

(١) بالأصل «قفطاناه».

وحقن الدمآء وكان مسكنه دمامين (*) من الصعيد ويعرف بالشيخ مفرج وجآء فى حراقه فى اربعة ايام واجتمع بمولانا السلطان واخذ لهم الامان وتوجه على فوره فى حراقته وكان العسكر قد وصل الى حدود اخميم(*) فاعطاهم الامان فنزلوا عما كانوا عليه واطاعوا وجآوا الى خدمة الامير الركن الهيجاوى وعادوا جميعاً الى القاهرة المحروسة، ولما وصلوا لم يروا لمولانا السلطان وجها. وبعد ايام رسم بالقبض على جماعة منهم

(*) دمامين: قرية بالقرب من شمال قوص شرق النيل.

(*) اخميم: هى من اقدم المدن المصرية حيث عرفت باسم «برمين» نسبة إلى إله الخصوبه «مين» تقع على الضفة الشرقية للنيل وبها الآن كثير من آثار الفراعنه خاصة تحوتمس الثالث وبطليموس الثالث والتى تم تدمير معظمها على يد الغزاه والسكان

سليمان جربجى باش اختيار الجراكسة ، سردارا على طايفة الجراكسة، وابراهيم جربجى باش اختيار الجراكسة، سردارا على طايفة الجراكسة، وابراهيم جربجى البنهاوى سردارا على طايفة التفكجية، وسردار المتفرقة أحمد جلبى باش اختيار الجراكسة، سردارا على طايفة الجراكسة، وابراهيم جربجى باشن اختيار الجراكسة، وسردارا على طايفة الجراكسة، وابراهيم جربجى البنهاوى سردارا على طايفة التفكجية، وسردار المتفرقة أحمد جلبى بن سيد عبدالرحمن بيك باش اختيار المتفرقة. وباش اختيار الجاوشية سردارا على طايفته وهو عثمان آغا ابو النور تابع محمد باشا أبو النور، وباش اختيار الجملية مصطفى جربجى التكلى سردارا على طايفة الجملية، وهؤلاء أعيان البلد. وكانوا اجنحة اسماعيل بيك أمير الحاج لأن بموت اسماعيل بيك انتهى الحل والربط لمحمد بيك جركس، وصارت الكلمة النافذة فى داخل البلد. وخارجها لجركس ومصطفى كتخدا باش اختيار مستحفظان: ورجب كتخدا أبو شناق مستحفظان، وابراهيم جربجى عزبان المعروف بافندى، وأن جميع الكلام الذى دون كلام هؤلاء الاربعة باطل، لا يسمع ولا يعبأ به آبدا، ثم أن الفساد والقتل وأخذ أموال الناس بغير الحق فشا وكثر فى البلد، ثم أن الجالب انقطع وغلا كل شئ وقفلت البلد . فأجمع رأى متكلمى[1] القاهرة أن أغات مستحفظان ينزل الى القاهرة، وأن يجلس فى باب زويلة داخل سبيل الدهيشة، الذى مقابل باب زويلة، فمسك رج البلد شيئا قليلا.

(١) بالأصل «متكلمين».

قبل الغزو العربى وبعده. وقد أشتهرت أخميم بصناعة المنسوجات الصوفية وسجادها الجيد الذى كان يصدر إلى كثير من البلدان.

معنيين وقيل انهم بقوا وقيل بل حبسوا فى بعض المدن، واما باقيهم فرسم لهم با ن يخرجوا الى الريف يسكنون فيه بشرط ان لا يكون لاحد منهم فرس ولا يحمل عده [سلاح] بل يكون فلاحا او تاجرا وان اراد [اهل] بيته ان يخرجوا له فلا يمنع من ذلك، فتفرقوا فى البلاد ووهبهم مولانا السلطان ارواحهم لان الفقها كانوا قد افتوا بانه قد حل قتلهم لانهم شقوا العصا ونكثوا العهد وغدروا سلطانهم واقاموا الفتنة فعفا لهم عن ذلك

ثم أن حمزة بيك جاء من بسيون[1] وطلع الى الديوان، وألبسه الوزير كركا وقفطان السفر، ونزل الى محله، واعطوه أربعين كيسا وأعطوا عثمان كتخدا ثلاثين كيسا من بابه، وانهم كتبواجميع أغراض اسماعيل بيك، وانهم كانوا لا يكتبون الا متكلمين الاوجاقات أصحاب الحل والربط فى ذلك العصر، فصاروا يلصون بلصا فاحشا. فمن جملة ما بلصوا هياتم، فانهم كانوا عملوه سردارا، فلما آخذوا منه ثلاثة آلاف زنجرلى عفوه من السفر، وكتبوا محله حسن جربجى قانصوة فحط الفين أحمر فعفوه، وكتبوا محله على أفندى كاتب[2] الجملية، فعفوه بعد أن أخذوا منه الغيط والبيت الذى فى الجيزة والفين [زنجرلى]، وعملوا محله مصطفى جربجى التكلى وهو الذى سافر بها ، وان كل أوجاق أخذ من أوجاقه بقدر ما يقول.

وكانت سفرة على مرادهم فان اعطاهم عفوه ، وان ما اعطاهم كتبوه، بالرغم عليه وانهم لم يكتبوا أولا، إلا أصحاب الأموال، فاذا اخذوا ما طلبوه عفوه وكتبوا غيره الى أن ما خلوا أحدا من أصحاب الكلمة النافذة فى ذلك العصر حتى أنهم أخذوا منه بما قالوا وطلبوا، وأنها سفرة جاءت لجركس والجماعة المتكلمون أحيتهم من العدم، ونمنمت شنباتهم. وأن أحمد

---

(١) بسيون: احدى قرى، مركز كفر الزيات ، محافظة الغربية اسمها الاصلى «شبرا بسيون» فحذف صدر الاسم، وأصبحت تعرف باسم «بسيون» محمد رمزى، المصدر نفسه، قسم ٢ ، جـ٢، ص ١٢٣.

(٢) بالأصل «كانت».

جميعه. ثم انه رسم بخروج العساكر الى الشام وتجهزوا ولم يخرجوا. ووردت الاخبار بان الملك الجواد بن ممدود اتفق مع الافرنج ونزل معهم وانهم جاوا الى غزه واخذوا كلما كان بها وعادوا نزلوا الى قيساريه وبقوا مترددين فى الساحل من موضع الى موضع والملك الجواد معهم. وبعد رواح الافرنج من غزه جآء الملك الناصر بن الملك المعظم نزل بها هو وعسكره. وفى هذه الايام كان فى بيت المال المعمور رجل ناظر يعرف بشهاب الدين قاضى

كتخدا أمين البحرين لما راح له الخبر بأنهم عملوه سردارا، الى مصقوة ارسل الى بابه انه يعفوه من السدارية ولهم فى نظيرعفوهم له خمسة وعشرون كيسا. فأبى ابراهيم جربجى وجركس، وأخذ رجب كتخدا من محمد جربجى المرابى مبلغا وعفاه من اليمقية. ومازالت اختيارية الاوجاقات تكتب وتعفوا الى أن اقتصر الحال على الذين ذكروا ولبسوا القفاطين. ولو ذكرنا كل وجاق وما أخذ لطال علينا[١] الشرح وانما اقتصرنا، وأن الذى أخذه جركس ومتكلمين عصره هو الذى كانت أخذته متكلمين عصر[٢] اسماعيل بيك. ولما ملك جركس وحزبه صاروا يأخذون منهم ما كانوا يأخذونه منهم وما كانت كلمة اسماعيل بيك ماشيه عليهم إلا بعطية الذهب الزنجرلى لمتكلمين الاوجاقات، واما جركس، فما كانت تسمح نفسه بالدرهم الفرد يعطيه لأحد منهم أو من غيرهم، وكل شئ آخذوه من الذين عفوهم من السفر يشاركهم فيه.

ثم أن الوزير أرسل فرمانا الى الاوجاقات والصناجق بأن يعملوا الاى الصنجق فى غد الذى هو خامس عشر جماد آخر سنة ١١٣٦[٣]. فراجعوه فأبى وحلف برأس السلطان لابد من طلوع الصنجق وكان كذلك.

وأوكب حمزة بيك يوم السبت خامس عشر جماد آخر، وأوكبت جميع الصناجق وجميع

---

(١) بالأصل «الحال» وفوقها علامة الحذف.

(٢) بالأصل «مصر».

(٣) ١١ مارس ١٧٢٤م.

دارا وكان ناهضا [نشطاً] فيما يتصرف فيه شديد الجهاد فى خدمة سلطانه، فاطلع على انه بقى من مبلغ خط البطرك خمس ماية وعشرة دينار إما بأنه وقف عليه او وشى اليه به، فسير طلب ابن اخيه وابن اخته الذين كان الخط باسمهما وطلب منهما المبلغ ورسم عليهما وكان الشيخ الصنيعة الذى يقال له مستوفى المستوفيين هو حل الدولة وربطها وفيه خوف الله وكان من مبغضى البطرك، فتسبب

سدادرة السفرة، الا أحمد كتخدا أمين البحرين، لأنه فى رشيد، وأوكب ولده ابراهيم جلبى محل أبيه، وكان صغيرا لأن والده ارسله يشهل مصالح السفر، وكان آلايا معتبرا عظيما، والبس حمزة بيك ثمانية عشر مملوكا الزروخ خلفه، وعثمان كتخدا كان حواليه وخلفه نحو الماتين بالطرابيش الكشف، ثم انهم دخلوا بولاق فبمجرد ما دخل الصنجق الى بولاق، كان الطبجى أعطى النار الى مدفع من المدافع الذين معدين لعمايل الشنك، واذا به فرقع فقتل خمسة أنفار من العسكر الذين هم قدامه.

وفى خامس عشرين جماد المذكور، أوكبت السدادرة من أبوابها حكم العادة وكان حصل قبل أن عملوا الاى أسدادرة أن عمل[1] مصطفى كتخدا باش اختيار جمعية فى بيته، على أنهم يلبسوا عثمان كتخدا قفطان السفر فى المحجر ولجميع جربجية السفر خوفا من أن تحصل فتنة من عثمان كتخدا فيملك الباب، لأن عثمان كتخدا ليس عليه سفر، وأن هذا السفر الذى هو رايح فيها بالقهر عليه، فخشوا أن يقع منه غم. فلما علم عثمان كتخدا قال أنا لا ألبس القفطان الا من بابى، والا طلعت من بيتى وخرقت القوانين فكان كذلك. وأوكب من الباب وطلع قدامه جميع الاختيارية الا رجب كتخدا ومصطفى كتخدا باش اختيار، ومن العزب اسماعيل كتخدا وابراهيم جربجى وعلى كتخدا القيصرلى باش اختيار عزبان، وكذلك الخمسة أوجاق لم يوكب باش اختياريتهم.

(١) بالاصل ، وكان حصل أن قبل أن عملوا آلاى السدادرة عمل مصطفى.. فضبط النص ليستقيم المعنى.

الى ان احال بالمبلغ بعض الاجناد التقدمه وتسبب معهم الى ان صالحهم عليها. ويقال ان البطرك لم يزن من هذا المبلغ سوى ثلثماية دينار واخذ الوصولات وتخلص اقرباوه. الا انه حصل له من الاسف فى هذه النوبة وضيق الصدر وشكوى العدم مالم يجر مثله ولا سمع فى وقت الحمل الكبار. ونفذ [البطرك] الى [كنيسة] حارة زويله اخذ ما بها من شمع وغيره. واستعان بقس بها كان يسمى ابا شاكر وكان يخدم فى باب الميسم

وكانت (سدارة) [١] الوجاق لعثمان كتخدا ولوجاقه وخلفه نحو الثمانماية نفر مكشفة الرءوس بالطرابيش فقط، لأنه هو صاحب فتنة اثنين وعشرين، وهو اوضباشة فى باب الشرطة، وكانت مدة كتابتهم اثنين وعشرين جماد أول والاى السدادرة يوم خامس عشرين جماد آخر سنة ١١٣٦ وما طلعت سدادرة الوجاق السبعة الا وجميع أبوابهم محصنة خوفا من غدر يقع منهم، والسلطان حسن كذلك محصنة، وبيت جركس وجميع بيوت الاختيارية محصنة، وباتت البلد فى قوشعة عظيمة من خوفهم.

ولنرجع الى ما نحن بصدده: ثم ان عثمان كتخدا دخل الى بولاق، فجاءته الهدايا العظيمة ثم أنه أرسل الى محمد بيك جركس يطلب منه ثلاثة آلاف احمر التى كان أخذها منه لما قتل اسماعيل بيك واراد قتله فأرسلها له، واخذ الالف زنجرلى الذى اخذها منه الدفتدار ابن أبى شنب فأرسلها له، وان عثمان كتخدا ضبط بولاق من التعفيش فلم يحصل فيها شئ. ومن أعجب ما وقع أن عثمان كتخدا جالس فى الترسخانة، واذا بمركب وردت الى بولاق فيها خمسة وعشرون مرود سمن، كل مرود ثلاثة قناطير. وأربعون قفصا من الجبن المنصورى، كل قفص فيه قنطاران. فأرسل الغز اتوا له بجميع ذلك، فأدخل ذلك الترسخانة، ثم أن القواص الذى صحبة ذلك جاء الى عثمان كتخدا وأخبره بأن ذلك لجركس. فقال عثمان كتخدا: والله ما أحسن هذا، تباع ، والذى وما بين الابن والاب شئ.

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.

المفرد فى جامكيه البارداريه(*)، وكان موسرا ويقال انه اخذ ثمن طاحون كانت وقفاً على الكنيسة [بحارة زويله] والله اعلم. وكتب [أبا شاكر] الى الوجهين القبلى والبحرى بهذا السبب واستعان بالشيخ الصنيعة الارخن المقدم ذكره فى مثل ذلك وكتب له الى النواب والمستخدمين بالمساعدة. واما الاسعار فانها ارتفعت جدا [حتى] بلغ القمح خمسة وسبعين درهما الاردب، والشعير اثنين واربعين درهما الاردب، والدجاج بدرهم نقرة

(*) جامكية البادرارية: كان الموظف الذى يتولى هذه الوظيفة فى الفترتين السلجوقيه والمملوكية من المدنيين وكان يختصر اسمه إلى «الجامدار»، كانت مهمته النظر فى ملابس السلطان ومع تعددهم كان يقوم بعضهم بدور الحاجب على ابواب الوزراء والأمراء.

ثم أن الخبر راح لجركس فأرسل يطلبهم وكان عثمان كتخدا فى حال أخذه فيهم وزنهم، فوجد السمن خمسة وسبعين قنطارا، والجبن ثمانين قنطارا، فحسب ثمنهم خمسماية وخمس وثلاثين زنجرلى، وكان السمن بخمسة زنجرلى القنطار، والجبن باثنين زنجرلى القنطار، اسم بلا جسم، وكانوا لا يجدون شيئا من ذلك وانما هو رزق ساقه الله له، فما جاء المرسال من جركس يطلبهم، كانت الصرة مقطوعة محسوبة مختومة، وكتب تذكرة وأرسل الصرة والتذكرة صحبة[1] جاويش الديوس [الخياله]، فتوجه بذلك الى جركس، فلما ورد عليه الجاويش سلم عليه وناوله التذكرة فأخذها وقراها، فما كان من جوابه الا كتب فى ظهرها استعن بذلك على وقتك، وهم هبة منى اليك، ثم انهم عوموا ثانى يوم. كان قبل تعويمه اتته جميع الكواخى والجاوشية والجربشية والاوضباشية وسلموا عليه الا رجب كتخدا ومصطفى كتخدا باش اختيار والأقواسى ، وأخو رجب أحمد أوضباشى، فما أحد منهم جاء له، ولا سلم عليه، وكان تعويمهم من الوراق [2] يوم الاثنين غرة جماد آخر سنة ١١٣٦.

(١) كتب بأعلى هامش الصفحة «عونك بالله».

(٢) الوراق: احدى قرى، مركز امبابة، محافظة الجيزة، وتعرف حاليا باسم «وراق العرب» لكثرة من بها من العرب، واستحدث منها ناحية أخرى، تسمى «وراق الحضر» محمد رمزى، المصدر السابق، قسم ٢، جـ٣، ص ٦٥.

الدجـاجـة، واللحم بدرهم ونصف، وثمن الرطل السكر بثــلاثة دراهم الرطل، والشـــمع بدرهم الاوقـيـه، والعـسل النحل بثـلاثة دراهم الرطل، والزيت الطيب بثلاثة دراهم الرطل وجميع ما فى الارض من هذه النسبة. وكانت شدة ما روى اعظم منها ولا اعجب لان الماء فى هذه السنة بلغ ثمانية عشر اصبعا من ثمانية عشر ذراعاً، وهذه الاسعار على هذه الحالة. وكانت العادة جارية ان الغلة اذا غلت رخص كل شئ مـــثل الدقـــيق والدواب

ولنذكر سبب هذه السفرة[1]، وذلك أن رجلا شريفا من أولاد العباس، يقال له محمود بن عويس، ظهر فى بلاد اليزبك، وكان سنى، سنوى يحضر الجمعة والجماعة ، ويترضى عن جميع الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

وكـان والده الشريف عـويس له قلعـة فى آخـر بلاد اليـزبك، وأول بلاد العـجم يقـال له قندهار، وأنه يتـوصل من هذه القلعـة الى بلاد الهند، لكن من قندهار هذه الى عـمـارة الهند ستين يوما برا، ليس فى هذه الستين يوما عمار الا ما قل.

وكان عويس هذا الحاكم على هذه القلعة، وحامى أرضه بعسكره والجنود، فتوفى الى رحمة الله تعالى. فلما مات تغلبت الارفاض [الشيعة] على هذه القلعة فملكوها، وتشتت عسكره والجنود منهم من راح الى اليـزبك، ومنهم من قـعـد وصـار يحط الجزية الى الارفاض. وكـان محمود هذا، صغيرا، فهرب هو ووالدته واخواته وأقاربه ودخل بلاد اليزبك لأنهم سنية، ومنهم العلماء الى أن بلغ مبالغ الرجال، فاجتمع عليه بعض رجال والده، فقالوا له: ما هذا القعاد على قلعـة ابيك، وما هذا الخـمـول ؟ فقـال : كـيـف اصنع، وأنا لا مـال لى ولا رجـال وأخـذ القـلاع لا يكون الا بالمال والرجـال وأنا عـادم الاثنين، فقـالوا له: تكن رجـلا ونحن نجمع لك

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف حكاية الشريف محمود بن عويس وتملكه لقلعة أبيه قندهار وتملكه أيضا بلاد العجم وقلعة اصفهان الخ ذلك».

والقـمـاش والاثاث وفى هذه الايام كل مـا فى الارض غال حتى الات العماير واجر الصناع. واما قلعة الجزيرة [الروضه] فكان العمل مستمراً فيها والاجتهاد واقعاً فى تكملها وهدت كل دار كانت فيها، وانتهى الامر الى المواضع التى قدام الكنيسة [كنيسة الروضه] والجامع فهدت وصار المكان رحبة عظيمة وبهواً. وجاء احد اصحاب السلطان وهو المهمندار(*) ويعرف باخى الحاجب على نزل

(*) المهمندار. وأصلهـا فى الفـارسـيـة «مـاه مندار» أى متلقى الضيوف كانت وظيفته فى الخلافة الفاطمية نيابة عن صاحب الباب (هو من الامراء ووظيفته تلى رتبة الوزراء ويقال لها الوزارة الصغرى، ولذلك كان يسمى بالنائب وكذلك «النيابة الشريفة». ومقتضاها أنه كان يتولاها أحد الاعيان أو أحد أرباب العمائم، وينعت كذلك «عدى الملك». وهو يتلقى الرسل الواصلين من الدولة، ومعه نواب الباب فى خدمته،

رجال ابيك وغيرهم، لعل الله يساعدنا ويكشف عنا هذا الذل وهذا التشتيت الذى نحن فيه، وأن أهل القلعة مطعين وموامنين من طارق يطرقهم فيعيننا ربنا على فتح القلعة، ان كان لك سعد وتكون حاكما علينا كما كان والدك . فقال ان شاء الله يكون ذلك.

وكانوا خمسة وأربعين رجلا فجمعوا نحو الثلاثماية مقاتل، وساروا نحو القلعة فى غرة محرم الحرم سنة ١١٣٦(١) وصاروا يسيرون الليل ويكمنوا بالنهار، الى أن وصلوا الى القلعة أخر الليل، فكمنوا عندها، الى أن فتحوا القلعة عند طلوع الشمس فهجموا عليهم على حين غفلة، فاعانهم الله فملكوها، ودخلوا معلنين بالتكبير والترضى على الصحابيين، ووقعوا فيهم قتلا وساعدتهم السنة الذين فى القلعة، كانوا عندهم فى الذل، فما جاء وقت العصر، حتى لم يبقوا فيها رافضين غير النساء، وان السنية التى كانت فى داخل القلعة تحط الجزية الى الارفاض، حكم النصارى الذين يؤدون الجزية الى الاسلام.

ثم ان الشريف محمود ملك القلعة بجميع ما فيها وقتل ما بقى فيها من الارفاض، رجالا ونساء، وفرق جميع ما أخذه الى الرجال الذين كانوا صحبته، ثم نادى فى الاقليم: كل من يريد الثواب والمال فليأت الى الشريف محمود . فجاءة خلق كثير من اليزبك، فركب واياهم الى أن ملك ثلاثة وعشرين قلعة من قلاع الارفاض، وكل ما ملك قلعة، فرق جميع ما يغنمه

(١) ١ اكتوبر ١٧٢٣م.

بقاعة البطرك التى بجانب كنيسة الجزيرة ووضع بها قماشه واخذ مفتاحها وجاء البطرك نزل بالطبقة التى اخرجها من جانب الكنيسة وجعلها فى جانب قاعته قصداً منه فى حفظها، وان هذا الرجل [المهمندار] اذا خرج من هذه القاعة رجع اليها. وحصل له من هذا المكان تعب قلب ونكد. واما المقعد الذى كان عمل على بسطة المقياس

ويحفظهم وينزلهم فى الاماكن المعدة لهم مثل دار الطراز، ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب يميناً وهو يسار، ويتولى افتقادهم والحث على ضيافتهم. وسُمى هذا النائب كما جاء هنا فى المتن بالمهمندار وهو له راتب خمسون دينار فى كل شهر، وفى اليوم نصف قنطار خبز. ولكن هذه المهنة أنحط أمرها فى فترة صلاح الدين الايوبى حتى أنه تولاها الجند من الامراء الصغار.

على العساكر، الى ان كملت عساكره أربعون الفا. ثم انه حط على قلعة اصفهان وهى تحت الشاه الكبير، الذى يحكم على جميع الاعجام، فحاصرها ثمانية اشهر. وفى أول يوم من التاسع ملكها بقدره الله عز وجل، فتحصن الشاه فى القلعة الداخلة هو وأولاده وأقاربه ونساه واربعة آلاف مملوك له، وجميع ما كان للملوك المتقدمة من زمن أنو شروان، فى هذه القلعة. ثم انه نهب جميع ما فى القلعة البرانية، وقتل جميع من فيها من الارفاض. وحاصر القلعة الثانية أربعين يوما الى أن أعانه الله وملكها، وقبض على الشاه قبضا باليد، والأربعة آلاف مملوك، وهرب ابن الشاه. ثم انه امر بحبس الشاه، وملك الحريم والخزاين، وفتح الخزاين فوجد فيها شيئا كثيرا من الجواهر والتحف والدخاير والذهب والفضة، تكل الألسن عن وصفه، لأنه من عهد ان ملكت الاسلام بغداد وانتقل حكم المخالفين الى هذه القلعة، لا مسلمون ولا كفار ولم تملك الا هذه المرة لأن الارفاض كانت تتوارثها ملكا بعد ملك، ففرق جميع ما فيها على الفارس سهمان، وعلى الراجل سهم واحد.

ومن جملة ما وجد فيها ، حجر الماس قدر بيضة الدجاجة، لا يقاوم بمال، وانه من دخاير أنو شروان، فكان من نصيب هذا الشريف محمود ابن عويس. ثم ان المماليك ترضوا عن الصحابة وصاروا اتباعا الى محمود. ثم انه عن له ان يدخل مرحاض السراية، فدخله فوجد الكرسى من الرخام الأبيض، مطعم فيه بالرخام الأسود، تحت رجل الجالس اليمنى أبو بكر،

واستحسنه كل احد فانه هد وعمل موضعه برج عظيم على راس القمية . واما الجانب الغربى فانه تكامل جميعه مناظر لمولانا السلطان بساتين ومقاعد من الكنيسة الى اخر العمارة. ثم ان السلطان اعز الله نصره جرد عسكراً الى اليمن عدتهم الفا فارس وفيهم جماعة من الامراء والمقدمين مثل الصارم المسعودى والاشراف وعلم الدين شمايل وغيرهم، وانفق فى كل طواشى ثلثين دينارا واعطى خمس ماية دينار خارجاً عما





(*) مدينة تعز اليمنية

وتحت الرجل اليسرى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم. فلما رأى ذلك المرحاض أمر باحضار الشاه، بعد أن طار[1] عقله ، وغاب عن الصواب.

فلما حضر الشاه، قال : ما هذا يا ملعون ، فتكلم الشاه كلام من يعلم انه لا حياة له بعد هذا الامر . ثم ان الشريف أمر أن توقد نار، فأوقدت ثم امر أن يأتوا له بسيخين من حديد فحماهما فى تلك النار، ثم أنه كحل بهما عينيه كما كحل عنتر الأسد الرميصى . ففرقعت عيناه فى الحال، وعاش بعد ذلك ثلاثة ايام وهلك الى حيث شاء الله تعالى. ثم انه سال عن ولده الشاه فأخبروه بأنه من حين ملكت القلعة لم ير، فأرسل خلفه الخيل فلم يقعوا له على خبر. ثم انه استتوب ابنة الشاه وتزوج بها ومكث يعمل مهرجان الغزوة.

وأما ابن الملك، فانه لما هرب لم يزل سايرا الى أن وصل الى بلاد ملك المصقوة، هو والبعض من جند أبيه، فاجتمع ابن الشاه بملك المصقوة وأخبره بما حصل له، ولوالده، مع الشريف محمود ووقع فى عرضه، فأرسل معه جندا الى أن أوصلوه الى همدان، فدخلها وكان أكثرها ارفاضا وأهل السنة رعاياهم. فصار يصول على البلاد ويقتل أهل السنة، ويقوى شوكة الارفاض فحصل لأهل ذلك[2] الاقليم الضرر حتى وصل الى طرف بغداد، فأرسل أحمد باشا أخبر الدولة العلية، فأرسلت له العساكر من الديار الرومية، وأمره بالركوب على سروان. ثم أن

(١) كتب بالهامش «طاش».
(٢) قدم وأخر.

تاخذه الطواشيه لانفسهم. ورسم لهم بالتجهز والمسير الى اليمن وشرعوا فى ذلك وصاروا يبيعون الخيل والابقار والجاموس والاغنام ويسيرون الجمال والهجن وعدد السقايين والات سفر الحجاز واليمن. ورخصت الخيل الى حد ما عليه [مزيد] وغلت الجمال والاكواز [جمع كوز، وهو كوب للشرب] والروايا والقرب والدلا [جمع دلو] وكل ما يجرى هذا المجرى غلواً كبيراً، واشترى الرقاق الموصلى بخمسين درهما القنطار وخمسة وخمسين



(*) وسائل نقل الماء. يعد السقايين من أقدم الطوائف الحرفية المنظمة فى مصر.

- -

حضرة السلطان أحمد خان أعزه الله تعالى أرسل هذا الخط الشريف الى مصر يطلب الثلاثة آلاف، فعينت وسافرت من بولاق فهذا كان السبب. ثم أن العسكر سافرت الى سكندرية ومكثت فيها، الى أن تكامل العسكر.

ثم ان جركس ومتكلمين أوجاق الانكشارية والعزب بعد سفر السدادرة، أرسل وجاق مستحفظان نحو العشرين واجب رعاية، ونزلوهم فى يومهم بالقهر عليهم فلحقوهم على بولاق. والعزب كذلك أرسلوا خمسة أوضباشية، وأرسلوا الى ابراهيم جربجى بتاع الرميله الذى كان باش أو ضباشية العزب ونفوه الى رشيد بأن يكون بيك، ويسافر.

ثم أن العسكر سافرت من اسكندرية عشرين شعبان سنة ١١٣٦[(١)]، فوردوا الى اسلامبول، وطلعوا الى البلد، فجاءت الاخبار أن أحمد باشا نزل على سروان، وأنه محاصرها، ثم أنه أشيع فى أسلام بول أن السفرة بطالة، وأن الوزير كلف حمزة بيك والسردار الى حضرة الملك يعطى لكل نفر عثمانى، وأنهم يرجعون الى مصر، فأبت السدادرة وقالت ما نأخد تراقينا الا على الكامل، واننا جينا هنا، فأرسلونا الى أى قلعة أردتموها، وأن أرسلتمونا الى مصر أعطونا تراقينا على الكامل.

فلما اشيع هذا الخبر، سأل الوزير ابراهيم باشا الذى يقال له ابراهيم أفندى، فوجد هذا

(١) ١٤ مايو ١٧٢٤م.


(*) ارتفاع اسعار المواد الغذائية تحت دعوى حرب اليمن

والكعك مثله لانه اتفق فى [هذه] الايام ان السعر تحرك وبلغ القمح بسبعين درهما الاردب والخبز بربع وثمن درهم الرطل فاشتد الحال. وقبض رجال الاسطول برسم مراكب اليمن وقل الواصل وكان الوقت صعبا الى الغاية. ثم ان السلطان اعز الله نصره جهز عسكراً اخر الى غزه فى زها ثلثة الاف فارس ومقدمه الركن الهيجاوى وفيه جماعة من الامرآء وخرجوا ونزلوا غزه اجتمعوا بالملك الجواد مظفر الدين بن مودود وكان القصد اصلاح قلبه

الكلام من مصطفى جربجى يمق عثمان كتخدا السردار المعين الى سفرة، فنفاه الوزير الى ليمية.

ثم ان القزلار بشير آغا اجتمع عليه عثمان كتخدا، وأحمد كتخدا أمين البحرين، فسألهم عن أحوالهم، وما سبب سفرهم، وأن هذه لم تكن عادة من تولى الكخاوية أنه يسافر الى الحجاز اذا طلبت نفسه السفر، فأحكوا الى القزلار الواقع بعينه.

ثم أن القزلار أخبر الملك، فعفاهم من السفر، ورتب لهم رواتب وأبقاهم فى اسلام بول، وعينوا سدادرة تخلفهم وأرسلوهم الى سروان يحاصروها، ثم مكثوا ثمانية عشر شهرا وراحت لهم الاجازة بالعود فجاءوا الى اسلام بول، فوجدوا عثمان كتخدا توفى بالطاعون، وولده، وكذلك أحمد كتخدا أمين (البحرين)[1]. ثم أن يشير آغا أمر الوزير أن يحضر مصطفى جربجى من النفية، وأرسله صحبة العسكر، وكان عينهم ثمانية وعشرين شهراً.

ومن العجب أن بعد سفر حمزة بيك والسدادرة، فى خامس عشر رجب[2]، ظهـــر فى حلوان عين ماء حار تحت الرحاية نازلة الى البلد. فجاء الخبر إلى الباشا والصناجق، فركبوا وساروا اليها وتفرجوا عليها، ورجع الوزير وباتت الصناجق تلك الليلة هناك. وسبب ذلك، أن رجلا مغربيا جاءته دليلة بخبية [آثار فرعونية] فى هذا الجبل، فجاء اليها وعالجها، فطلعت هذه العين والله أعلم.

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) ٩ أبريل ١٧٢٤م.

والمسير الى دمشق لاخذها فاقاموا هناك وعسكر اليمن يتجهزون للخروج وما بقى فيهم الا من هو مصم على ذلك، واذا الاخبار قد وردت بان فخر الدين ابن رسول صاحب اليمن جآء الى مكة اخذها مخامرة [خيانة] من العسكر الذى كان بها، فانحل العزم عن تجريد اليمن وبطل. وكان السعر قد انحل فى يوم السبت النور(*) وبلغ الى اربعين درهم الاردب والخبز ستة ارطال بدرهم والدقيق بخمسة وستين درهما الحمله. واستبشر

(*) هو اليوم السابق لعيد الميلاد المجيد، وهو اليوم التاسع والعشرون من شهر كيهك. انظر السنكسار جـ١ ص٢٢٧. مكتبة المحبة. القاهرة.

وفي يوم الثلاثا عشرين رجب سنة ١١٣٦[١]، ورد آغا من الديار الرومية وصحبته خطان شريفان قريا بالديوان، أحدهما بجميع فايض بلاد الخمس صناجق، وبيع جميع موجودات البلاد وبيع أطمار أبدانهم وجميع محلاتهم ويعطوا ذلك لأرباب الديون بعد الاثبات، ويضبطوا البلاد الى الميرى، وأن الفايض الذى يدفعوه الى أرباب الديون فايض خمسة وثلاثين، ويبيعوا البلاد، وأن يقسم الذى يجعلوه قسم غرماء، وأن فاض شئ يضيفوه الى الخزينة العامرة مع ثمن البلاد.

والخط الثانى بأن يعطى لأمير الحاج عشرين كيسا مساعدة فى مثل هذه السنة، وأن يضاف البدرشين الى امارة الحاج، وان تباع البلاد بفايض عشر سنوات. فلما سمعوا قوله بفايض عشر سنوات، كسف طبعهم، فهم فى قراءة الخط الثانى، واذا بالديوان رج رجة كبيرة، فقال الوزير: ما الخبر، فقال الصناجق: مولانا الوزير جانا خبر بأن محمد بيك جركس قتل قيلان تابع قيطاز بيك الكبير، وقيطاز تابع رضوان آغا، وأيوب تابع قيطاز بيك أيضا، فقام الباشا ودخل السراية ونزلت العسكر الى بيت جركس فقالوا له: ماهذا الأمر يابيك، قال لهم: هؤلاء الثلاثة دخلوا على وارادوا قتلى فقتلتهم، فقال له العسكر مستحقين وجزاهم ما حل بهم.

وكان السبب ان جركس رأى منهم عين الخيانة، وكان عمل أيوب كتخدا فعزله من

(١) ١٣ أبريل ١٧٢٤م.

الناس بذلك استبشارا كبيرا وكان عيدا مباركا وفرح العسكر المجرد الى اليمن بتبطيل التجريد الى هناك ورجعوا الى بيع ما كانوا اشتروه واكثر الاصناف ضاعت عليهم مثل الكعك والرقاق والدهن وما جرى مجرها، ورجعت الخيل غلت اثمانها لانهم عادوا الى شراها. ووردت الاخبار بان الركن الهيجاوى الذى كان مقدم عسكر غزه ترك العسكر(*) وانفصل عنه هو والملك الجواد [الامير يونس] لامر توهما منه، فاما الملك الجواد فانحاز

(*) الخيانات والصراعات داخل البيت الأيوبى وكان ذلك فى عام ٩٥٥ق.=١٢٣٨م=٦٣٦هـ.

الكخاوية، وقال لهم: أنا عندى[1] خوف منكم، ولكن لا تدخلون بيتى وأنا أعمل لكم ما يكفيكم.

فمكثوا اياما قلايل، وصاروا يدخلون البيت، فجاءه واحد منافق وقال له ان زين الفقار وهؤلاء الثلاثة، فلان وفلان، وعد له جماعة، قروا فواتح على قتلك فى بيتك ، والرجل خايف منهم ويقول ما جركس الا بنا. ومن يسمع يخل فما كذب خبرا، وأنه من خوفه مكث خمسة جمع لم يطلع من بيته، ولم يصل الجمعة، وأنه من خوفه من الفقارية عمل له ضرابزين خشب وراء ظهره محل جلوسه، ووقف فيه جماعة مسلحين وراء ظهره يكشفوا القادم من باب المقعد.

وكان زين الفقار بيك دخل بدرى فسال عليه، فقالوا له فى الحريم، وانه كان قاعدا هو ورجب كتخدا ومصطفى كتخدا الشريف فى داخل المقعد، فلما سأل عليه زين الفقار بيك وقالوا له فى الحريم، جاءه مملوك جربجى بفنجان[2] قهوة، وكلمه بلسان الجرج [اليونانى] ففز قايما، ونزل فقابله المقدم شعبان، ومقدم جركس، ونده على الركبدار، هات الجواد، فجاء له الجواد فركبه، وقرط على رجل زين الفقار، وقال اخرج.

ثم أن الجماعة دخلوا وجعلوا يدورون فى الحوش، فطلع جركس فرأى الجماعة يدورون فى

(١) بالأصل «عنده».

(٢) بالأصل «بفلجان».


(*) أوانى السقاية

الى الافرنج لانهم حلفاوه واما الركن فانه توجه الى دمشق وقيل انه ما مضى الى هناك الا لمصلحة يرمها واشنان [شؤن] يصلحه وان كان رواحه خوفاً على نفسه والا المخامرة والغدر ونكث الايمان ماعرفت منه قط. ثم ان الافرنج صاروا يخرجون من بيت لحم وغيرها ويتعقبون بالناس يقتلونهم فى الطريق ويستبيحون اموالهم فبلغ الملك الناصر بن المعظم وهو صاحب الكرك ونابلس وجبل الخليل وبيسان ذلك فسرى [هجم ليلاً] على بيت لحم

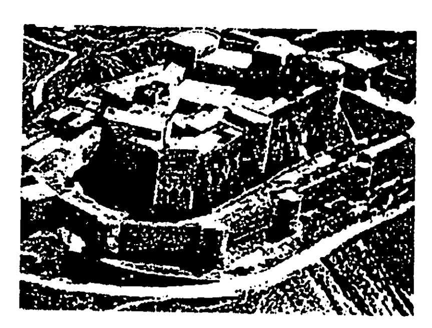
الحوش، فسأل عن زين الفقار، فقالوا له: ركب، فأمر بأن يقفل الباب فقفل، فقال: اضربوهم فضربوهم، فمانعوا عن أنفسهم وجرحوا منهم جماعة، ثم أنهم تكاثروا عليهم فقتلوهم.

فهاذا كان السبب، ثم أنهم غسلوهم فى الحوض المرصود، وأرموهم فى الجب، وأرسل نهب بيوتهم وأخذ جميع ما فيها، ثم ارسل بعد العشاء أحضر له رفيقهم اسماعيل وقتله، ثم أن محمد بيك جركس أرسل أحضر اختيارية السبعة اوجاق، وقال: ان هؤلاء الذين قتلتهم، كانوا قاتلين لى وهم من جملة عشرين نفس متفقين على قتلى، وقروا فواتح ولابد لى من قتلهم، وكل من عارضنى فى قتلهم لا يكن خصمى الا هو. فأجاب أغراضه بالسمع والطاعة، ثم انه فى ذلك اليوم، أرسل أحضر(١) شهود محكمة طولون وكتب حجة، بأن المقتولين متعدين عليه وأرادوا قتله فقتلهم، وشهد بذلك كل من كان فى مجلسه.

ثم انه فى ثانى يوم عزل رضوان آغا من اغاوية الجملية، وولى محله حسن كاشف قبين الضاشه وعزل محمد آغا الكور من آغاوية التفكجية، وولى محله الزناتى، وما قدر أحد من الفقارية يتكلم بكلمة واحدة ابدا، ولا قالوا له لأى شئ فعلت هذا ابدا. ثم أن قيطاز بيك الصغير تابع قيطاز بى الكبير توجه الى محمد بيك الدفتدار ابن أبى شنب، وتوجه هو واياه الى محمد بيك جركس، وكذلك زين الفقار بيك توجه الى عمر بيك، وتوجه واياه الى جركس،

(١) قدم وأخر.

وقـتل كل من بهـا من فـرنجى ونصـرانى [فى ٩٥٥ق. = ٦٣٧هـ.= ١٢٣٩م] واخـذ الامـوال وسبى الدرارى [الأطفال]. وكانت ايام فتن قلاقل ومخاوف. وكان بعض الحجاج الذين توجهوا الى البيت المقـدس خـرجـوا منه الى عكا، منهم من مضى فى تجارة ومنهم من مضى الى قرابته هناك، فـاخـذوا فى الطريق وقـتل منهم جـمـاعـة رجـال ونسآء. واما البطرك فصار اكبر مقامه بدير الشمع



(*) قلعة الكرك بالشام

فاجتمعوا فى بيت جركس، واحطوا [1] على جركس فعاتبهم، فحلفوا له أنهم لم يكن معهم خبر من هذه القضية، وأنه كفاهم ما حل بهم. وأرسل رجب كتخدا اخاه أحمد أوضباشا الى المحجر بطايفة معه قعدوا فى المحجر، وكذلك ابراهيم جربجى عزبان أرسل جماعته الى السلطان حسن قعدوا فيه، وكذلك جركس حرس نواحى الصليبة بطايفته.

ثم أن الباشا لما جاءه الخبر بما فعلوا، ومسكهم فى المحلات وتحرسهم، نزل الى قرا ميدان يوم السبت رابع عشرين رجب سنة ١١٣٦ [2]، وأرسل طلب جركس فأبى ان يروح له، ثم انه أرسل نبـه على الصناجق بأن يطلعـوا الى الديوان فى غـد، الذى هو يوم الاحـد خـامس عشرين رجب فأبوا أن يطلعوا الى الديوان، واعتذروا الى الباشا بعدم سلوك الطريق، و أن عدم طلوعهم خوفا من الفقارية، لأنهم وقع فى قلوبهم خوف كبير من طرف الفقارية، مع أن الفقارية لم يتحرك منهم احد، ولم يفكروا فيهم، وحقيقا لم يكن عندهم خبر بما حصل من أيوب بيك، وقبلان وقيطاز، ولم يكن الثلاثة دخلوا بيت جركس ليقتلوا،و ما عمل جركس هذه العملة الا خوفا منهم، وحرس بعض جماعته من الليل، انهم اذا دخلوا فى غد البيت فاقتلوهم.

وكان زين الفقار لم يكن معه علم من هذا الأمر، ودخل ذلك اليوم على قلب غافل، ولم

(١) بالأصل «واحطلوا».

(٢) ١٨ أبريل ١٧٢٤م.

لانه لم يبق له موضع ياويه سواه . ولما كان فى
نهار يوم الجمعة الثانى عشر من بوونه [٢٦ يونيو]
وهو عيد الملاك الجليل ميكاييل الموافق للخامس
من ذى الحجه سنة تسع وثلثين وستمايه الاسلاميه
[١٢٤١م]، وقف رجل من الصوفيه الذين يسمون
القلندريه(*) فى الجامع بمصر بعد صلاة الجمعة
وبعد فراغ الخطبة وصاح بأعلى صوته: يامسلمين
من اراد منكم الجهاد فى سبيل الله فعليكم

(*) القلندريه: أو القرندلية، طريقة اسسها الشيخ القرندلى.

تكن الثلاثة هناك، وكان البيت عليه الاخر، وكانوا ينتظروا مجئ الثلاثة ويأخذوهم، ولكن عمر زين الفقار بيك باقى فغمزه المملوك، فركب وخرج وطلع الى الديوان فى دخول الثلاثة وطلوع جركس من الخلوة، وقد كان رأى زين الفقار فسآل عليه، فقالوا: طلع الى الديوان، فرأى الجماعة فى الحوش، فأمر بقفل الباب وقتلهم، ولكن ليس من الممكن أن الثلاثة يدخلون بيت جركس ويقتلونه فيه، فهذا من المحال ولا يدخل عقل عاقل، وأنما هذا خوف منه، وجبنا[1] لأن محمد بيك جركس كان عنده جبنا.

فلما أرسل الباشا طلبه وأبى يقابله، كبر الخوف عنده من زين الفقار ومن الفقارية، فأرسل طلب زين الفقار، وطلب من كل وجاق اثنين، فأرسلوا له من كل وجاق اثنين اختيارية، وأخبروا زين الفقار فقال: نعم أروح له، ثم أنه ركب صحبة الاختيارية، وتوجهوا الى بيت جركس، فلما دخلوا عليه[2] وأكرمهم، ثم بعد ما جلسوا، قال زين الفقار لمحمد بيك: أنت أرسلت طلبتنى، وها أنا قد جيتك فما تريد؟ فقال له جركس: أنا ما أرسلت طلبتك، الا لأنى غير مؤتمن من طرفك، والمنافقون كلامهم كثير، فأنت تطلع تسافر الى ولايتك المنوفية وتكف الشر وكلام المنافقين، فقال: على الرأس والعين، ولكن تملهنى خمسة عشر يوما، ولكن مرادى أن تعطينى

(*) بالأصل «طرق».
(١) بالأصل «وجبان».
(٢) بالأصل «عليهم».

بكنيسة المعلقة. فخرج من الجامع كل من كان
فيه وهم امم لا تحصى وجآوا الى الكنيسة، وكان
والى مصر فى الجامع وكان رجلا خبيراً عالماً ذا
تجربه يقال له المجاهد سليمان فسمع التشويش
فسير مملوكه وعشرة من المقدمين لحفظ الكنيسة
فجاء اليها فوجد من الخلق مالا يعد وقد طلع
بعضهم الى المسجد المجاور له الذى اخذ منها،
والملح إذا رمى لا يقع على الارض، فحمل فى

من بلاد الصناجق خمسة بلاد، فقال: نعم، أكتب قايمة بالذى تطلبه. ثم أنه كتب قايمة بما طلب من البلاد، وأخذ منه مهلة خمسة عشر يوما ويسافر . ثم أن المجلس انفض، ثم أن جركس أرسل أحضر جماعة اسماعيل بيك أمير الحاج وأصطلح معهم، وأنه يرد على على بيك الاصفر صنجقيته، وأنهم يكونوا عونا له على الفقارية واحنا أولاد اليوم، والذى مضى لا يعاد وقروا الفواتح وانصرفوا، والحرص واقع من رجب كتخدا ومصطفى الشريف مستحفظان، وابراهيم جربجى عزبان، وقد كثر القيل والقال، وسافر زين الفقار الى المنوفية فى غرة شعبان، وشق من وسط القاهرة. وكذلك عمر بيك طلع بيته، الذى بسوق السلاح الى ولاية المنصورة بعد طلوع زين الفقار، وكان طلوعه على قناطر السباع.

وفى هذا التاريخ، أرسلت هوارة الى جركس من الصعيد، نخلة واحدة[1]، لها سبعة عشر راسا، وانها طرحت فى أرضها التى قلعوها منها سبعة أرادب تمر ناشف، وأنهم أتوا بها الى مصر القديمة فى مركب على حدتها، ثم أن جركس أرسل لها عتالين وغزا، فأتوا بها، وهم ثمانون عتالا، فانفسخ منها راس واحد وزرعوها فى جنينته التى بمنزله، وأن بمنزله عند سلالم مقعدة شجرة كابلى قديمة، وكانت فى بيت من جملة البيوت التى ادخلها فى بيته، فجثمت

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف أن هوارة الصعيد أرسلوا الى محمد بيك جركس نخلة لها سبعة عشر رأسا فغرسها فعاشت».

تلك الخلايق بالدبوس والعشرة المقدمين بالمقارع
ومهابة السلطنة قايمة عظيمة فافرجوا [فتفرقوا]
عن باب الكنيسة فاغلق الباب الذى عندها الذى
هو من ابواب قصر الشمع ويعرف بدرب المعلقة
وطلب رووس الفتنة وكانوا طلعوا الى المسجد
وكانت عدتهم خمسة انفس اوستة [وقبض على]
القلندرى ومن وافقه على ذلك وصار يضرب كل
واحد منهم نوباً عدة باصناف الات العقوبات مما لا

الشجرة عند سلالم المقعد. وانى أظنها من زمن الجراكسة، وهى باقية الى يومنا هذا وأن هذه النخلة من العجايب، وأن سابقا فى سنة ١١٣٢[١]، كان قد جاء الى اسماعيل بيك ثمانية عشر صندوقا مزقبة، فى كل صندوق شجرة من الجوز الهندى من بلاد الشحر. وكذلك جاء له شجر الكارى، وزرع ذلك فى جنينته التى فى الحريم بمنزله بدرب الجماميز.

ولنرجع الى ما نحن بصدده، ثم أن بعد سفر زين الفقار شالوا الحرس الذى بالمحجر والصليبة والذى بالسلطان حسن باقيا على حاله، وفى رابع شعبان[٢] توجه رضوان آغا الى بيت زوج ابنته قاسم بيك ليسلم عليه، ويخبره بالتذكرة (التى)[*] جاءته من جركس فى حال قتل تابعه قيطاز بيك، يذكر فيها انه حاصل عندى عدم أمن من طرفك، فأنظر أى محل تريده أرسلك اليه، أما الحجاز، واما اسلام بول وأما الشام، وانه لا بد من أرسالك الى محل من هذه الثلاثة، فأرسل يقول له ليس لى ارادة الا المحل الذى تريده أنت، فأنى اتوجه اليه.

فلما أرسل له رد جواب التذكرة، ركب جواده وتوجه الى زوج ابنته قاسم بيك الصغير تابع جركس، فلما رآه قاسم بيك أكرمه ، وقال له لا تخشى من شئ، أنا أشفع لك عند الصنجق وآخد لك خاطره، ثم انه ركب وتوجه الى جركس،و أخبره بما قال له، أنه حلف أنه لم يكن

(١) ١٧١٩م.
(٢) ٢٨ أبريل ١٧٢٤م.
(*) بالأصل «الذى».

يذكر مما يجده ثم المقارع والعصى واصناف الات
الهوان ثم اخذهم بعد ذلك مربوطين فى الحبال
ومضى بهم الى دار صاحبه [والى مصر]، وكان
يسكن بالقرب من حمام الفار، فاخذهم الوالى
وجدد عليهم العذاب والهوان وامر بهم الى
الحبس وكان ذلك بهم مثل التجريس عليهم
واهتدت المدينة وانقمع المفسدون، ودعا لهذا
الوالى العقلآء من السادة المسلمين وعامة النصارى

عنده خبر من هذا الامر وأنه مظلوم فى هذه القضية. ثم أن جركس قبل شفاعته ورضى عليه، وأرسل شال جماعته من بلاد رضوان آغا، وأمره أن يرسل قيام مقام من طرفه الى بلاده كما كان أولا، وقابل به قاسم بيك.

وفى سادس شعبان، عمل الباشا ديوانا، وانتظر أن احدا يطلع له، فلم يطلع أحد ولا الرزنمجى، فسأل الباشا عن الخبر، فقالوا له: أن الصناجق والعسكر عندهم. قال: وقيل فيما بينهم.

وكان السبب فى ذلك أن زين الفقار بيك، لما نزل الى ولايته وهى المنوفية، نزل على البتنون[1] بلد محمد جاويش تابع على كتخدا الداودلى باش أختيار مستحفظان سابقا، فلما حط على البتنون، أرسل الغز تطلب له كلفة، وأن البلد لم يكن عليها نزلة الى الكاشف مطلقا، وأن الكلفة التى بعث يطلبها خارقة للقانون، وهى خمسون خروفا وقنطار سمن وقنطار عسل وعشرون أردب شعير وعشرة أرادب فول وعيش كفايته وخمسون زنجرلى، لأن البلد[2] كبيرة، وهى قلعة المنوفية، وأنها نصفان، ولكن النصف لواحد فيه رجل مقدام، يقال له الحاج

(١) البتنون: احدى قرى، مركز شبين الكوم، محافظة المنوفية، وهى من القرى القديمة، محمد رمزى، المصدر السابق، قسم ٢، جـ٢، ص ١٨٤.

(٢) بالأصل «البلاد».

واليهود لانه حسم مواد كادت تتفرع، وعلى انصار
الفساد والعباد كانت تتطلع. وكان القاضي شرف
الدين الاسكندرى المعروف بابن عين الدولة الذى
كان افرد بقضاء القاهرة وما يليها من الوجه
البحرى بعد ان كان قاضيا على الاعمال كلها قد
توفى وعوض عنه بالقاضي بدر الدين قاضي
سنجار الذى كان فى قضاء مصر، وبقيت مصر

ناصف، وهو من نصف حرام، وهو اميرهم على البلد، وجيرتها خلاف النصف الثانى، كريم اللحية، طعام عيش لا يحب فسادا، فتلقى جميع أمور البلد يصدره، وأن مضيفته للشارد والوارد من أهل الرايتين، وأنه عين البلد، وأن جرايته التى تخبز فى داره فى كل يوم أردبان، وأن فى داره طاحون بحجرين، وفرن تخبز فيه الرجال.

فلما سمعت اهل البلد، من جماعة الكاشف، طأب الكلفة قالوا نحن ما علينا كلف للكشاف ثم أنهم توجهوا الى الحاج ناصف وقالوا له: نحن ماعطينا كلف الى قايم مقام، فكيف نحط الى الكشف، وأنه ليس علينا كلف وما فياتات للكشاف، وأن هذا الكلام لا يصح ولا ترتب علينا حادثة. فقال لهم الحاج ناصف: نراجع الكاشف فى نصف الكلفة، وأن كنتم ما تستقيموا فيما أنا أقوم بها من عندى، ولا نجعل بيننا وبين الكاشف غما. قال أهل البلد لا يمكن هذا ابدا، ولا نجعل علينا عادة. فراجعهم الحاج ناصف، فلم يفد شيئا للامر النافذ فى حكم الله تعالى، فاوصل المنافقون الخبر الى زين الفقار بخلاف الواقع وقالوا له: ان ناصف وأولاد عمه يقولون ايش هو زين الفراخ، ما لقى شيئا يلصه فى البلاد الا هذه البلد؟ وأن أستاذنا محمد جاويش طيب لم يمت، لما أن زين الفراخ يلصنا، وتعلم أن خدمة الكشاف أولاد حلال.

فلما سمع زين الفقار بيك هذا الكلام، طاش عقله، ومن يسمع يخل. فجمع العسكر

اياماً بغير حاكم الى ان فوض الامر فى قضايها الى رجل من اهل دمشق يعرف بابن عبد السلم [عبد السلام][*] وقد كان ولى الخطابة بمصر قبل ذلك فاجتمع له الخطابة والقضاء وكان رجلا جيدا وسمعته [مصانه]. وكانت الاسعار تاخذ وتعطى والقمح الى زيادة اقرب من النقص من خمسين درهما الاردب الى ما حولها وكل شئ غال. ثم ان

(*) هو عزّ الدين عبد العزيز ابن عبد السلام ابن ابى القاسم الدمشقى الشافعى، شيخ الاسلام والمسلمين، القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى شرع المسلمين توفى فى عام ٩٧٨ق.=٦٦٠هـ=١٢٦١م. فى عهد الملك الظاهر بيبرس الذى أقام الخلافة العباسية بعد سقوطها فى بغداد على يد التتار بقيادة هولاكو فى ٢٠ محرم سنة

وهجم على طرف البلد الذى فيها الحاج ناصف، فهرب الحاج ناصف وأولاده وأولاد عمه وأقاربه جميعا ولم يقع منهم أحد، فنهب دور الحاج ناصف ودور أقاربه. ولم يبق فيها شيئا ولا رأس عنز، وشال من على البلد، فطلع جماعة الحاج ناصف الى مصر ببيارق الى الوزير يشكوا فى زين الفقار بيك.

فلما أخبر زين الفقار بيك، أن أهل البتنون نزلت[1] الى مصر تشتكى فيه، كتب مكاتيب وأرسلها الى الفقارية يخبرهم بواقعة الحال، فلما رأهم الوزير سأل عن الخبر، فأخبروه بما فعل زين الفقار بيك فيهم، فكانت الفقارية فى الديوان، فاظهروا المكاتيب التى أرسلها زين الفقار بيك، فلما رأى المكاتيب زين الفقار بخلاف مكاتيبهم، فهذا أمر لا ينفصل الا بحضور زين الفقار.

ثم أن الباشا عين اثنين من طرفه الى حضور زين الفقار، فلما سمع جركس بمجئ زين الفقار، قال هذا أمر مدبر بين الفقارية، ويعملون معى مثل ما عملوا مع جماعة أبن أيواظ، وأنى ما أخرجته من البلد الا التى والتى، وما هذا ألا بتدبير رضوان آغا، ومحمد آغا الكور.

ثم أنه عمل جمعية، وقال لهم أننا ما أخرجنا زين الفقار ألا بالجهد، ومرادى نفى رضوان والكور، لأنه اذا وقع أمر لا تكون منشاه الا من هؤلاء الاثنين، لأنهما فتنة الفقارية والقاسمية،

(١) كتبت بأعلى هامش الصفحة «منك العون».

القاضى بن عبد السلام المذكور ظهرت منه اسباب
كانت كامنة فى نفسه فاسقط عليه الشهود
وتعقب اثار القاضى المتوفا وتطلب ولده محى
الدين عن ذلك، وضيق على الناس فى امور شتى
وتعاسر فى الاحكام، واقام الوراقين من الدكاكين
وامرهم بان يقعدوا بين يديه فى الزيادة [الرحبه]
التى فى الجامع.ثم ان السلطان [الصالح ايوب]
خلد الله ملكه رسم بان يعمر مدرسة بالقاهرة قدام

٦٥٦هـ.=٩٧٤ق. =١٢٥٨م.
وقتله لأخر الخلفاء العباسيين
المستعصم بالله بدسيسة من وزيره
الشيعى مؤيد الدين ابن العلقمى.

فقالوا له: نعم الراى. ثم أنهم أخذوا فرمانا بنفى رضوان والكور، فنفوا رضوان آغا الى رشيد، ومحمد آغا كور الى دمياط. كل هذا خوفا من الفقارية.

ثم أن الاغوات الذين أرسلهم الباشا لاحضار زين الفقار تعذر عن المجئ، وأرسل قايم مقام العمل وكيلا عنه فى الدعوة، فترافعا فى محمد جاويش أستاذ البلد، ولم يثبت على زين الفقار شئ. وكتب حجة، وأخذها الوكيل، ونزل من الديوان وسافر الى سيده فى ثانى يوم الذى هو عاشر شعبان سنة ١١٣٦(*).

وفى ثانى رمضان توفى شيخ الاسلام مسموما من الوزير، والسبب فى ذلك أنه تقدم أن هذه القاضى الذى دبر هذه الفتنة وأحكمها، وكان سببا فى قتل هؤلاء الصناجق، وانه لما حصل من قتل اسماعيل بيك وجماعته زاد بغيه وطغيانه فى العالم، وافشا ما كان فى سره من الحقد والضغاين القديمة، وصار لا يبالى بالوزير ولا بالعلماء، وتقدم أنه لما حصل له ما سمع من اسماعيل بيك وبهدلته(١) الى العلماء، وحصل أن اسماعيل بيك نصر العلماء، وكتب العلماء والبكرية والسادات عرضا بمعرفة الباشا، وذكروا جهل القاضى وانه حكم بتطليق المراة من زوجها على الرغم عنه، وساعدهم الوزير بعرض ثان من عنده، ولم يشعر القاضى، ثم أن

(*) ٤ مايو ١٧٢٤م.

(١) بالاصل «بدلقه» والتصويب من سياق النص.

الصـاغـة فى الموضع الذى كـان يسكن فـيـه البياطرة(*) قدام القصر(*)، وشرع فى ذلك، ونقل البياطره من هناك فتحولوا الى ناحية باب البحر الى صـوب الركن المخلق، وهد ذلك الجـانب من القصر وهو ما يلى باب الزهومه(*) الى بحـرى طول مـاية ذراع بالعمل فى مثلهـا فى العرض، واهتم بذلك مع استمرار الاهتمام بعمارة قلعة

(*) البياطرة: معالجى الدواب من الخيول والبغال والحمير.

(*) القصر: لعل المقصود بالقصر هنا بقايا القصر الغربى الفاطمى.

(*) بابا الزهومة: كان أحد الأبواب التسعة للقصر الشرقى الكبير الفاطمى. وسمى بالزهومة لأن اللحوم وحوايج الطعام التى للمطابخ إنما كانت يُدخل بها

العرضين سافرا فوقعا فى يد الوزير، ثم أن الوزير كتب فرمانا بأربعة أشهر انعاما للقاضى، ولف العرضين فى داخل الفرمان، وأرسل ذلك للقاضى. فوصلوا اليه ثانى عشرين رمضان، وكان القاضى فى يومها عازم على عبدالله أفندى، ر ئيس كتاب الديوان الهنكارى بالديار الرومية، الذى جاء فى بيع البلاد، وكان الشيخ أحمد العماوى، والشيخ سليمان المنصورى الحنفى حاضرين بالمجلس.

ثم أن القاضى فتح الفرمان، فوجد فيه انعام شيخ الاسلام بواسطة الوزير الاعظم، لأن هذا القاضى كان من الذين لا يغيبون عن مجلس الوزير بالليل والنهار، فرأى الفرمانين ورأى العرضين، فلم يرى للعماوى كتابة، ورأى كتابة المنصورى، فاغتم القاضى، وحصل له غيظ على الوزير، وعلى المنصورى وعلى أهل مصر، ولكنه لم عاتب المنصورى، ولم يذكر له هذا الأمر، وأنما أخبر الشيخ العماوى.

ثم انه فى ثانى يوم طلع الى الديوان واختلى بالوزير وعاتبه بما فعل فى حقه، فقال له الوزير: العلما وأكابر البلد أغصبونى، فقال له: لم لا تخبرنى، ولو لم يكن لك غرض، ما كانوا فعلوا هذا، ولكن أن شاء الله ربنا يقدرنا على مجازاتك اذا توجهنا الى الديار الرومية.

وكان هذا القاضى ممن يحضر مجلس الوزير للمنادمة والتحدث هو وأياه فى الخلوة، فلما سمع محمد باشا من القاضى هذا الكلام، تغيرت أحواله، ولكن تدارك أمره فأراد القاضى

منه، وكان يقابل المدرسة الصالحية بشارع المعز لدين الله فى موقع حي الصاغة.
(*) قلعة الجبل: وهى التى كانت تعرف بقلعة الكبش.

الجزيرة ومناظرها وعماير القلعه بالجبل (*) وعماير المناظر ببستان الخشاب وغيرها من العماير السلطانية فصارت اصناف العمارة لا يقدر عليها، والصناع لا يصابون البنا بعشرة دراهم كل يوم ودرهم موونته، والفاعل باربعة دراهم ونصف وربع درهم موونته، والبقية من هذه النسبة. والخبز لا يوجد الا باطلاق، وبعد هذا الناس يعمرون والعماير تكثر والخراب يعمر واموال الناس تترى مع الغلا، وهو من الامور المتضادة. وجآء راس

الانصراف، فحاشه الى الغداء واياه،و لا طف مزاجه، وأخذ بخاطره. ثم أنه ادغر له السم فى الشربات، فنزل مشغولا بالسم، فعاش ثمانية أيام، وتوفى ثانى رمضان سنة ١١٣٦[١]، وصلوا عليه بالجامع الازهر، ودفن بالمدفن الذى كان أعده شاهين أوضباشي الجلفى لنفسه بالمطهرة التى تجاه الامام الحسين، وعمل له التركيبة الرخام والعمامة العسكرية. وجاءته والدته والجوخدارية شايلينها فى قفص، لأنها اعمرت فى العمر نحو المائة وعشرين سنة، هكذا قد اخبروا ، ثم أنها سافرت بعد موته بعشرة أيام، وكان آخر مدته شعبان، ولم يكن تولى من الانعام الذى جاء له الا يوما واحدا، وهو غرة رمضان. ثم أن نايبه طلع الى الديوان، فألبسه الباشا كركا سنجابا على جوخ أحمر، وجعله قايم مقام الى أن يجئ جواب من الديار الرومية.

ولنرجع الى ما نحن بصدده: ثم أن بعدها سافر قايم مقام العمل، الذى كان وكيلا فى الدعوة عن زين الفقار، ونفى رضوان ومحمد آغا الكور لم يكفيه ذلك، بل شال بلاد رضوان آغا ومحمد آغا الكور، ورفع أيضا البلاد التى على زين الفقار بيك، وأضاف منهم امانتين الى امارة الحاج ونهب برمه، وشبين وقصر بغداد واقطاعهم، وعمل جركس حساب زين الفقار بيده، فوجد قد طلع عليه ثمانون كيسا، الذى تأداها من المال والموجودات، فعين عليه عشر أغاوات. فلما وصلوا اليه لم يلتفت اليهم، وقال لهم لما نحضر الى مصر نحاسبهم ونعطيهم

(١) ٢٥ مايو ١٧٢٤م.

السنة المباركة الهلالية وهى سنة اربعين وستماية للهجرة(*) وامر باستخراج الجوالى [الجزية] فاستخرجت استخراجا بعنف عظيم، وكان قد تولا بها رجل يقال له أبن جراده فعمل مالا عمله احد وسلط الاوباش على الناس ولم تقتصر على جوالى مصر والقاهره بل اى من وجده وزنه. وجعل عرفا(*) ارباب الصنايع يحضرون من هو تحت ايديهم من كل صناعة واصحاب الارباع

(*) ٦٤٠هـ = تبدأ فى الاول من يوليو ١٢٤٢م. والسابع من ابيب٩٥٨ق.

(*) عرفا: هى جمع عريف، وهو رئيس الطائفة الحرفية والمسئول عنها أمام المحتسب.

الذى يطلع لهم، بعد ما نفرغ من ولاية السيد أحمد البدوى، ونتوجه الى مصر، وننظر ماذا يكون.

وفى يوم السبت رابع شوال(١) اوكب داوود آغا صاحب عيار بالكسوة الشريفة، فلما وصل البرقع الى باب زويلة انكسر الخشب الذى عليه البرقع قطعتين، ووقع البرقع على الأرض، فشالوا البرقع على أقفاص الخبازين الى مقام الامام الحسين رضى الله عنه. وكذلك طبل المحمل انقطع من الجمالية، وانكسرت شرافة المحمل وهو خارج من باب قراميدان، يوم موكب أمير الحاج محمد بيك بن اسماعيل بيك الدفتدار الكبير. وفى ليلة شيل الحاج من البركة، سرقت الأربعة كوايخ التى للمحمل من قدام صيوان أمير الحاج من البركة، فا ستفولت الناس بذلك الأمر. وكان كذلك، فان الحاج تعب تلك السنة، ولم يأت من العقبة، وجاء من طريق غزة، وكانت سنة متعبة.

وفى سابع شوال(٢) ورد ركاب ابراهيم افندى ثابت كبير مستحفظان من دمياط فأنزله جركس فى بيت مصطفى كتخدا باش اختيار، ولم يدخله بيته، ولم يجتمع على أهله وأولاده، فمكث ثمانية، ثم أنهم أطلعوه باب مستحفظان والبسوه قفطانا على سردارية جدة، ونزل من

(١) ٢٦ يونية ١٧٢٤م.

(٢) ٢٩ يونية ١٧٢٤م.

ياخذون من هو ساكن فى حارتهم بالقيام بالجزية، وكانت العقوبة مبسوطة على الناس. وفى هذه الايام نودى فى مصر بما حكايته رسم الشرع ان يشد النصارى الزنانير فى اوساطهم وقيل ان السبب فيه أبن جراده المقدم ذكره لان شكا الى القاضى ان النصارى ما بقوا يعرفون من المسلمون لانهم ما يشدون الزنانير، وان الرسل ربما مسكوا المسلمين لسبب الجوالى. فامر بهذا النداـفرجع

الباب بالبيرق، الى بيت مصطفى كتخدا،ومكث فى بيت باش اختيار الى ان سافر صحبته للحاج، فى سابع عشرين شوال سنة ١١٣٦[١].

فانظر يا اخى إلى هذه الدنيا كيف ما تفعل باهلها، فقد كان (له)[*] فى باب مستحفظان الكلمة التى لا ترد، وكان كل شئ فعل فى الباب لا يمكن فعله الا اذا كان برضاه ولا يتم أمر اللا باطلاعه، وكان الداخل الذى يدخل الى الباب يسمع جرم صوته من عند كشك محمد باكير، وكان صوته فى مدة اسماعيل بيك من العجب، فلماقتل اسماعيل بيك نفوه الى دمياط، ثم أنهم جابوه ودخل مصر ولم يجمعوه على أهله وأولاده، وسافر الى الحجاز بحسرة اجتماعة عليهم. وفى خامس القعدة[٢] من السنة المذكورة، عزل محمد آغا الطويل، وتولى باكير آغا الاعسر تابع أبو شنب، وتولى محمد جاويش الملة كتخدا مستحفظان، وعزل مصطفى كتخدا بلوط قبان. وفى عاشر القعدة[٣]، ورد آغا من الديار الرومية الى أن جاء الى قطية وسار منها واحد عشر نفرا من جماعته طلع عليهم عرب يقال لهم القصاصين والسما!كين. الذين تقدم ذكرهم فى كلام سالم بن حبيب، فقتلوا الاغا وتسعة انفار من جماعته وواحدا من أهل العريش، وأن العرب لم تقتل هؤلاء من تلقاء انفسها.

---

(١) ١٩ يولية ١٧٢٤م.

(٢) ٢٦ يولية ١٧٢٤م.

(*) الاضافة للتوضيح.

(٣) ٣١ يولية ١٧٢٤م.

الناس شدوا الزنانير فى اوساطهم [خاصة] المشايخ منهم ومن يخاف على عرضه، وتسلط العوام على جارى عادتهم. ثم رسم السلطان بان يخرج العساكر الى صوب الشام لان رسول الخليفة وصل الى تل العجول، وتجهزت العساكر وخرجت اولا اولا ونزلوا على ظاهر القاهرة من مسجد التبر(*) الى بركة الحب [الحج] ووصل رسول الخليفة المسير من بغداد وعبر الى القاهرة وانزل بدار

(*) مسجد تبر: بنى هذا المسجد عام ١٤٥هـ.=٤٧٨ ق. =٧٦٢م. وعرف وقتها بمسجد البئر والجميزة. وفى فترة كافور الاخشيدى قام الامير تميم

وأن السبب فى قتلهم جركس، لأنه جاءه خبر من الديار الرومية أن الاغا المعين الى مصر صحبته خط بباشوية جدة اليك، فان ابيت جردوا عليك وقتلوك، وان رحت الى جدة قتلوك، فلم يكذب خبرا، فأرسل الى العرب فقتلوه، فهذا كان السبب.

ويرجع النص الى زين الفقار بيك، فانه لما رجع الاغا من عنده وأخبر جركس ومصطفى كتخدا الشريف باش أختيار، ورجب كتخدا مستحفظان وابراهيم جربجى عزبان متكلمين البلد، فقالوا: لا، هذا أمر غم علينا، نحن ما صدقنا أخرجناه من البلد غدا يفرغ مولد السيد البدوى ويروح الكشاف ويروح ما يخلينا فى هدوء فان(١) خيار ما نعمل نريح الدنيا منه، ويتم مرادنا ونبقى مرتاحين آمنين، ولم يحصل قيل ولا قال. ثم انهم اجمع امرهم على أنهم يرسلوا يقتلوه فى طنطا(٢)، ولم يدخلوه البلد، ثم أنهم اجتمعوا وأخذوا فرمانا من الباشا برفع صنجقيته وقتله ، وهذا امر أسروه وأخذوا فرمانا ثانيا ظاهر للناس بنفيه الى بلدة قمن العروس، وأرسلوا الفرمان صحبة اثنين اغوات ومن كل بلك، واحد اختيار، فزين الفقار كان فى الملقة، ناصب الملعب وهو يرمح فى الملعب يوم الثلاث حادى عشر القعدة وكان بيطرد الخازندار على الصايبة، وكلما قرب الصايبة يزرقه بالجريدة فيحود عنها قبل أن تقع الى الأرض. ثم أن الملعب انفض ورجع الى الخيمة، واذا برجل فى صورة قواس دخل عليه الخيمة

(١) بالأصل «بين».

(٢) بالأصل «طنته».

الوزارة وكـان السلطان قـد خـرج تلقـاه لانه كـان رجـلا مميـزا ريسـاً ذا قـدر خطيـر . ثم ان قـومـاً من المسلمين يعرفون بابن حوله وابن صباح وجماعة تعـصبوا معهم وهم الذين كانوا قاموا فى قـضية الكنيسة المعلقة وفعلوا فيها ما تقدم ذكره، انتبذوا لكنيسـة بوسرجـه بمصـر وجاوا الى دارين من ادر وقفها لاصقين بها احداهما من شرقيها شارعه على

بتعميره. وكان هذا المسجد يقع بآخر الحسنية من جهتها الشمالية فى سفح الجبل الأحمر. وما زالت بقاياه قائمة باسم زاوية محمد التبرى فى الشمال الغربى لمحطة مترو حمامات القبة بالقرب من قصر القبة.

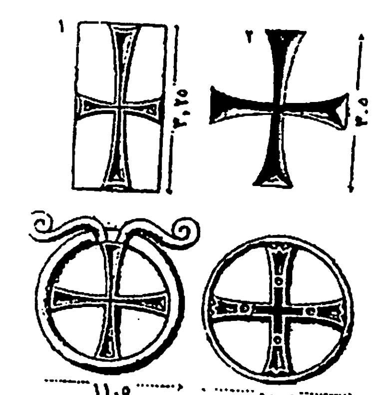
وناوله مكتوبا ففكه وقراه، فتغير وجهه ، ثم أنه سأل عن الرجل الذى اعطاه المكتوب فلم يجده، فقطع المكتوب.

وكنت أنا فى طنطا، فهو قرب المغرب جالس فى صيوانه، وكان يوم الثلاثا حادى عشر القعدة[1]، واذا بالاغوات والجماعة داخلين عليه فى الصيوان، فقام لهم وأكرمهم وأهلهم وجاب لهم القهوة، فلما شربوا القهوة أبرزوا له الفرمان فقراه، ثم أجاب بالسمع والطاعة، وقال لهم تروحوا بنا فى هذا الوقت أو تصبروا الى أن نتعشى: فقالوا: الى غد ما يكون الاخيرا، ثم انه أفرد لهم خيمة وأكرمهم وصبر الى أن مضى من الليل الثلث. فهرب هو وثلاثة مماليكه، ثم أن الجماعة أصبحوا فطروا وشربوا القهوة فلم يروا الصنجق فسألوا عليه، فقالوا : لا نعرف، ورأوا النهب واقع فى الصيوان من المماليك والطوايف ثم أن سليمان آغا كاشف الغربية منع النهب وضبط الصيوان وهرب المماليك والطوايف. ثم ان الجماعة زارت السيد البدوى وسافرت من يومهم الى مصر وسافرنا نحن من يومنا فوجدنا المماليك ضايعة فى البلاد فبتنا فى كفر حسين، و قد بات فيه ثلاثة مماليك من مماليك الصنجق. ثم أن زين الفقار قام على مصر فلم يبت الا فيها، وما كان هروب زين الفقار بيك بسبب النفية، وانما هربه المكتوب الذى جاءه من مصر يخبر فيه برفع صنجقيته، فدخل مصر ليلا قبل أن تدخل الاغوات.

---

(١) ١ أغسطس ١٧٢٤م.

الطريق والاخرى من غربيها من داخل الدرب الذى ابواب الكنيسة فيه وادعوا ان كل دار منهما كانت مسجدا وانهم يعرفون ذلك من مدة تنيف على اربعين سنة. وكان الشيخ السنى الراهب المعروف بابن الثعبان مقيما بالكنيسة [ابو سرجه] المذكورة وناظرا فى احوالها وقد عمرها وعمر رباعها واستجد بالرباع مواضع عديدة اضافها الى



(*) صلبان للتكريس: (١) على اعمدة كنيسة العذراء بحارة زويله (٢) على اعمدة كنيسة ابى سرجه.

ودخلنا نحن مصر ثالث يوم فوجدنا أحمد بيك المسلمانى قاعدا فى قدم النبى عينوه ليستعجل غلال العنبر الشريف، ثم أنه سافر من قدم النبى فى اثنين وعشرين القعدة سنة ١١٣٦[١].

وفى يوم سفر أحمد بيك حرق بيت ابراهيم جربجى عزبان، الذى بقرب الصليبة، ولم يبق فيه شئ، وما خلص الا العيلة[٢] هو وزوجته، وكانت النار أول ثورانها من الكرار الذى فيه الدهانات والطب، وصارت أناس تقول هذا بسبب اهانته الى السيد أحمد البسيونى.

فسألت عن الخبر فاخبرنى غير واحد: أن السيد أحمد البسيونى له ثلاثة مراكب حمايته من قديم، ليس عليها سخرة من مدة أسماعيل بيك الكبير وأحمد كتخدا القيمجى وظالم على، وغيرهم من الذين ملكوا هذا المرتبة التى ملكها ابراهيم جربجى الشهير بافندى، فكتبها ابراهيم افندى فى الرسالة، فعلم السيد أحمد البسيونى بذلك فتوجه له وساله عن سبب كتب مراكبه الى الرسالة. فكلمة ابراهيم أفندى كلاما يابسا، فرد عليه السيد أحمد جوابه الذى يعمله معه دايما ، ومع أكبر منه. فسبه ابراهيم افندى وسحب عليه الخنجر، وكان كتخدا الجاوشية حاضرا فمنعهم عن بعضهم وخرج من عنده وهو يدعو عليه وحاله متغير، ثم أن جركس أسكنه فى البيت الذى كان ساكنا فيه زين الفقار، فانه لما هرب (الى)[١] طنطا عزل

---

(١) ١٢ أغسطس ١٧٢٤م.

(٢) بالأصل «وهو».

وقفها وسار فيها سيرة الملايكة [الملائكة] فاقآم هولآء المدعون الخربون قوما منهم رفعوا [اشتكوا] الشيخ المذكور الى الشرع الى هذا القاضى [عز الدين] بن عبد السلم[السلام] بعد ان اجتمعوا به وقرر معهم ما يعملونه وعرفهم الطريق التى يسلكونها، فادعى واحد منهم مسلمانى(*) يعرف بابى الحسن بن مكين القزاز وكان بينه وبين الشيخ السنى مشاحنة لانه كان ساكنا بقاعة من ربع

(*) المسلمانى هو المسلم من غير العرب، وكان يحتقر من العرب والقبط المصريين.

حريمه منه لأنه فى الاصل بيت محمد آغا الدالى آغة الجملية أبو اسماعيل بيك وصار يعمر فى البيت لأن الذى لم ينحرق هدوه.

ولنذكر هذه النبذة التى جاءت عارضة: وما ذاك الا أن أحمد آغا لهلوبة، والى القاهرة تابع جركس شق فى البلد على حكم العادة. ورجع الى البوابة، نزل عن جواده وطلع الى المقعد، فأخذ السايس الجواد. وربطه فى البرنية مقابل المقعد، ولم يقشطه، وتفرقت الجماعة كل منهم راح ينام ومنهم جماعة دخلوا عند القهوجى يشرب له فنجان قهوة ليذهب نومه فجاء الشاطر ودخل البوابة وفك الجواد من برنيته وركب وطلع من البوابة، فستر الذى يستر على العاصى وهو يعصيه، فجاء السايس فلم ير الجواد، فسأل عن الجواد، فما أحد انباه فهاجت الخدمة.

ثم انهم طلعوا فتفرقوا ميمنة وميسرة، فلم يجدوا احدا فهم فى الدهشة، واذا بالخبر جاءهم ان الغفر اخبروا ان الجواد فات من داخل باب زويلة، فصاروا يسألون الغفرى، فيقولون: فات، وعليه رجل وسلم علينا، الى أن وصل الخبر الى باب النصر، ثم أن الوالى ركب جوادا غيره وسار الى باب النصر، وسأل البواب فقال: جاءنى رجل وقال. افتح لى قلت له انت من(٢)، والى أين تذهب؟ فقال لى: أنا من جماعة جركس، ورايح الى بلبيس أقضى حاجة واجئ من

(١) الاضافة لتوضيح المعنى وكتب عنوان جانبى «أعرف أسم والد اسماعيل بيك محمد آغا الدالى».
(٢) قدم واخر.

الكنيسة ولم يعط عنها اجره، وكان الشيخ يطالبه بها لانه ما راى ان يتركها له ولا كان لتركها وجه. وكان هذا الشخص [المسلمانى]مذموم الطريقه زايفاً عن الحقيقة فادعى على الشيخ بتسليم الدار الواحده البرانيه وما يجب من اجرتها من نيف واربعين سنة، فانكره [الشيخ] فالتمس [المسلمانى] منه اليمين، فقال له القاضى: احلف . قال [الشيخ]: نعم قال: قل وحق من انزل الانجيل على

يومى، ففتحت له، ولم يعطينى شيئا. فما ساع الوالى الا أنه رمى عنق البواب، وراح مظلوما شهيدا. وهذا من جملة الشطارة والاباحة التى عملوها فى لهلوبة، وما عملت الا قصدا، دقة اباحة.

وفى ثامن عشر القعدة(1)، أمر محمد باشا بعمارة السراية ونزل المنادى ينادى فى شوارع مصر القاهرة بجميع البنايين والفعلة، ان كل من تخلف عن عمارة السراية يقبض عليه ويضرب ويهان وصار جميع البنايين والفعلة التى تتعاطى الهد والبنا والسراية وتحزم معمار باشا بالحزم، وصار يباشر خدمة السراية بنفسه. وكذلك الوزير صار يباشر البنا بنفسه وجميع خدمته، وصار يجلس على الكرسى والخيزرانة بيده، ولم يبق فى البلد بنا ولا فاعل الا والكل يشتغلون فى السراية، فمكث البنا نحو أربعة أشهر، ولم يقدر أحد يشغل بنا، وتمت بناية السراية فى آخر ربيع أول سنة ١١٣٧(١).

وفى عشرين القعدة سنة ١١٣٦(٣)، أمر ابراهيم افندى برفع الحرس من السلطان حسن، وكان السبب فى رفعه أن ابراهيم قايم، رأى فى منامه السلطان حسن وبيده حربة من نار وهو يقول له يا ابراهيم تمنع الصلاة من مسجدى تسعة أشهر وتحط فيه جماعة مفاسيد يشربون

(١) ٨ أغسطس ١٧٢٤م.
(٢) ١٧ ديسمبر ١٧٢٤.
(٣) ١٠ أغسطس ١٧٢٤م.

قلب عيسى قال له الشيخ: هذا ما هو مذهبى ولا معتقدى ولا يحلف الانسان الا على معتقده كماعهدنا من تقدم من القضاه. قال له: ان لم تحلف على ما قلت لك اخرقت بك [جلدتك]. قال: مهما شيت افعل ما سمعنا قط من حكم بهذا الحكم فاغتاظ عليه واخرق به قدامه وامر به الى الاعتقال كما جرى للرسل الاطهار. ثم ان المسلمين المتحزبين عملوا محضراً برأى القاضى [عز الدين بن عبد السلام] بان هذا الموضع

فيه الخمر، وبدلت محل الصلاة بشرب الخمر، وعزة الربوبية، ان لم تشلهم من المسجد فى غد، وامرت الخدمة يغسلونه ويصلى الناس فيه كل وقت، والاضربتك بهذه الحربة قتلتك، فاستفاق من المنام ولم ينم بقية ليلته، الى أن أصبح أمر يشيل من كان فيه من الحرس وأمر بغسله وفرشه بالحصر الفيومى وباشر الأمر بنفسه هذا قوله بلسانه فى مجلسه والله أعلم.

وفى عشرين القعدة سنة ١١٣٦[١]، أمر ابراهيم أفندى برفع سيدى مصلح الشعرانى وحضرنا الصلاة عليه بالجامع الأزهر، وخطب له، ودفن بتربة جده سيدى عبد الوهاب الشعرانى. وكان رجلاً صالحًا مهاباً وكان مجذوبا. ومن جملة ما وقع له أنه طلع إلى محمد باشا وأخذ منها فرمانا بأن لا أحد يصبّح عليه ولا يكلمه وهو مار فى الطريق، وكل من صبح عليه أو كلمه يضرب ويهان ونودى به فى شوارع القاهرة رحمه الله وسامحه. ولم يعقب ذرية إلا بنتا وابن عمة له، وهو سيدى عبد الرحمن، وهو الذى استخلف بعده على الزاوية، وجلس على سجادة جده، وأيضا خلف ابن اخت له من إبراهيم جربجى باشجاويش الجملية. ثم أنهم جعلوا لكل منهما الثلث فى وقف الزاوية، وان الفايظ اثنى عشر كيسا لكل منهما أربعة اكياس والله أعلم.

---

(١) ٢٩ أغسطس ١٧٢٤م، كتب عنوان جانبى «اعرف وفاة القطب الربانى مصلح الشعرانى».

مسجد من مساجد المسلمين وان النصارى
تعدوا عليه وعملوه دار من ايام الغلا فى سنة
سبع وتسعين وخمسماية [١٢٠٠م] ودعوا
الشيخ من الاعتقال فى اليوم الثالث لان
مبتدى احضاره كان العصر من نهار الثلثا التاسع
عشر من مسرى [١٢أغسطس] من هذه السنة
وجددوا الدعوى عليه، فانكر فاخرجوا المحضر وقد
شهد فيه ثمانية من هذه الطايفة فادوا شهاداتهم،
وفيهم من لم يبلغ اربعين سنة وشهادته من نيف

وفى عاشر الحجة [١]، رفعوا صنجقية أحمد المسلمانى، وضبطوا بلاده الى الميرى، وعينوا آغا لجيبة رأسه من جرحة، فهرب، وجاءت جميع طايفته وخدمة الى القاهرة.

وفى ثالث عشر الحجة[٢]. ورد ركاب محمد جاويش الجدك، سردار الخزينة الى رشيد، فعينوا سراج كتخدا الوقت محمد كتخدا الملة، الى رشيد بمجيئه البيرق، وابقاء محمد جاويش فى رشيد، فكان كذلك ودخل البيرق الى مصر صحبة اليمق [اليسق = الحرس] يوم الاحد سادس محرم سنة ١١٣٧[٣].

وفى ثانى يوم هرب خليل أفندى، كاتب صغير جراكسة تابع أحمد بيك المذكور، والسبب فى ذلك أن محمد بيك جركس، له بلد فى الشرقية يقال لها مشتول[٤]. وأنها عاصية عليه، وأنها فى الحاجز فأرماها الى الكشوفية، وأخذ عوضها بلدين من بلاد الكشوفية، زنكلون والتلبين. فلما علمت الجملية والجراكسة والتفكجية أبوا، وقالوا هذا أمر لايمكن، وهذه خسارة على العسكر، فلما علم جركس بأنهم أبوا، أرسل تذكرة الى حضرة الوزير، صحبة ابن سيده

---

(١) ٣٠ أغسطس ١٧٢٤م. (٢) ٢ سبتمبر ١٧٢٤م.
(٣) ٢٥ سبتمبر ١٧٢٤م.
(٤) مشتول: احدى قرى، مركز بلبيس، محافظة الشرقية، وتعرف حاليا باسم «مشتول السوق» وهو الاسم الذى عرفت به منذ العهد العثمانى، لشهرتها بسوقها الكبير، محمد رمزى، المصدر السابق، قسم ٢، جـ١، ص ١٠٤.

واربعين سنة فسمعها الحاكم المذكور وزكى منهم
اثنين وهما ابن حوله وابن صباح لانهما كان
شخصين لكن كشيخي سوسنه، فاثبت المحضر
واعاد الشيخ الى الاعتقال بعد ان جرت بينه وبينه
مفاوضات. وقال له: ان كان لك بينه احضرها.
قال له: يا مولاى من اين لى بينه وانا فى الاعتقال.
قال له: وكل عنك. قال له: يا مولاى ما لى وكيل
يبقى معى الترسيم الى ان احضر بينتى . قال له :

محمد بيك الدفتدار، تتضمن تلبيس آغاوية العزب الى خليل أفندى، فأرسل الباشا الى خليل أفندى آغا يطلبه، فتوجه واياه الى الديوان فى يوم الخميس عاشر محرم سنة ١١٣٧[١].

فلما واجه الوزير لم يخاطبه، الا بأنه فى الحال البسه قفطانا وقال له: أوليتك أغاوية العزب، فلبسه وطلع به الى خارج الديوان، أخبر الدفتدار بأنه لا قدرة له على آغوية العزب، فلم يلتفت اليه، فعلم أن الأمر مبيت، فنزل الى باب مستحفظان، ورد القفطان وعدم قبوله الاغاوية، فأرسل اليه ثلاث أغوات بفرمان النفى الى بوقير. فلما فطن بمجئ الاغوات له بالنفى، فر هاربا، ولم علم أحد الى أين هرب، فلما آخبر الوزير بهروبه، أرسل عزل أفندى الوجاق، وباش جاويش، وولى خلافهما من عنده، وهذا بخلاف العادة، فلما رأى باقى الاوجاقات بما فعله الباشا بخليل أفندى سكنوا ولم يتكلم منهم احد، فأخرج جركس مشتول من تصرفه فالحقها بالكشوفية وأخذ عوضها زنكلون والتلبين وانفدت كلمته وصار خليل[٢] أفندى، وزين الفقار بيك مختفين فى مصر والله أعلم.

ومن أعجب ما وقع: ان رجلا حلاقا أتى حانوته صبيحة يوم فرأى غلاما نايما على مسطبة دكانه، فأيقظه، وقال له: ما بالك ها هنا قايما، فقال له الغلام: أنا غريب يا سيدى، وجيت ممسيا، ولم أعرف أحدا، فنمت على هذه الدكان. فقال له الحلاق: أنت لك أحد، فقال: لا.

(١) ٢٩ سبتمبر ١٧٢٤م.

(٢) كرر الاسم بالأصل .

لا سبيل الى ذلك . وامر به الى الاعتقال فى عشية
يوم الجمعة الثانى والعشرين من مسرى. وبعد ذلك
عملوا المحضر بالدار الاخرى التى من داخل الدرب
وكان القسيس المعتمد بن القسيس معانى قسيس
الكنيسة المذكورة [ابو سرجه] ساكنا فى الدار
المعينة فدعوه وادعوا عليه بتسليمها وعملوا معه
كما عملوا فى الدار الاولى، فاعترف انه ساكنها
من مدة عشرين سنة فامره بخلوها للوقت والساعة

فقال له : أنت تخدم عندى وأنا أعلمك صنعة الزيانة، فقال له: نعم. وكان الغلام دون البلوغ، فأعطاه الأسطى محزما تحزم فيه وقايشا.

وكان الغلام عنده بعض جماله، وصار الغلام بالدكان فى النهار وبالليل[1] فى منزل الأسطى، الى مدة ثلاثة أيام، وفى اليوم الرابع تعرف عليه جماعة من النصارى، فأتوا الى دكان الحلاق، وأرادوا أن يأخذوا الغلام فأبى الولد، وقال: أنا مسلم ، وانى لست بابنكم، وأن كنت ابنكم، فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أن الحلاق منعهم من أخذه، وكان بجوار دكان الحلاق منزل يوسف جربجى عزبان، الذى كان سابقا سافر بالعرض الى اسلام بول صحبة الشيخ أحمد العماوى، وجاءوا بمحمد باشا النشنجى هذا من قلعة جريد على ما تقدم ذكره، فخشى الحلاق على نفسه، فأخذ الولد ودخل الى يوسف جربجى تابع حسن اغا البركاوى، وسلمه الولد، وحكى له حكاية الولد ومجئ النصارى واسلام الولد. ففى ثانى يوم جاء النصارى الى الحلاقة وسألوه عن الولد، فأخبرهم أن يوسف جربجى أرسل أخذ الولد وهو عنده، فلما علموا أن الولد عند يوسف جربجى توجهوا الى محمد بيك جركس، وأخبروه بأن يوسف جربجى البركاوى، أخذ ولدنا، أغصبه على الاسلام، وأن له أم لم تنم الليل على فقده، وأن الولد دون البلوغ. فكتب تذكرة

(١) قدم واخر.

ووكل عليه اجرة عشرين سنة. وامر باخلا الدار
الاخرى البرانيه من سكانها لانها كان بها سكان
فاخليت الدار وصارتا بيد الخصوم. وانهى اليه ان
القسيس المعتمد فقير لا يقدر على شى فقال
نضمنه عليه ويعمل محضرا بعدمه فضمنه اهله
وخرج يتسبب فى المحضر. ولما كان فى عشية يوم
الاثنين الخامس والعشرين من مسرى [١٨
أغسطس] دعا القاضى [عز الدين بن عبدالسلام]
الشيخ السنى، لانه كان فى كل ثلثة ايام يدعوه

وأرسلها صحبة باش سراجينة، محمد السيفى، وناهيك به فى ذلك العصر، فأخذ التذكرة، وذهب بها الى يوسف جربجى، فلما دخل الى بيت الجربجى رأى الولد واقفا فى الحوش، وكان الجربجى فى الحريم، فمسك الولد، وأراد أن يخرج به من البيت، فاستغاث الولد بالجربجى، فمنعه الخدم من أخذ الولد، فغلظ كلامه عليهم، وفزع عليهم، فأرادوا أن يضربوه، وكثر الهرج بينهم فسمع الجربجى الهرج فنزل من الحريم، فرأى الولد فى قبضة السيفى، فلما رأى السيفى الجربجى لم يكترث به، ولم يلتفت اليه، وبالغ فى سب الخدم، مع أن السيفى هذا كان سراجه سابقا، وكان قد جابه معه من سفرة بلغراد لما كان سردار العزب بها، وكان جركس صارى عسكرها، وانكسرت الاسلام وملكت الكفار بلغراد سنة ١١٢٩[(١)].

وكان قد استسلمه لأنه كان أرمينى الأصل، فلما جاء الى مصر جعله سراجا له، فعمل ذنبا، فطلب أن يضربه فهرب الى جركس، وعمل سراجا عنده الى ذلك اليوم، فلما رأى الجربجى الولد فى يده، وعدم أكتراثه له، وكان فى يد الجربجى نبوتا ففزع عليه وأراد أن يضربه، فأسيب الولد وفر هاربا الى خارج الباب، فعيط الجربجى على البواب أن اقفل الباب فدقها السيفى ولم يلتفت خلفه، فما وجد نفسه الا عند سبيل رجب آغا الذى فى علوة باب الخرق . وأدركه حماره بالحمار، فركب وسار الى سيده، وحكى له خلاف ما حصل. وانى

---

(١) المقصود بجراد / ١٧١٧م.

وقال له: اى شئ عملت. قال له: يا مولاى ما الذى اعمل وانا فى السجن وانا ما لى احد. قال: ضمن عليك وامض تسبب فى نفسك. فحضرت جماعة وضمنوه ضمان وجه، وجآ الى الكنيسة الى القلايه التى له بها. وجآ اليه الجماعة وبذلوا مجهودهم الا انهم ما كانت لهم حيلة لان اكابر المسلمين وشيوخهم وروساهم كانوا متحققين ان هذه الشهادة باطلة وان هذا شئ ما كان قط، الا انهم ما يمكنهم الشهادة، وادوابهم [أذنابهم]

دخلت له وأعطيته التذكرة، فرماها وسبك وسبنى، وأراد يضربين فما ساعنى الا أنى جيت لك وادينى قلت لك، ولو كان معى اذن منك بالضرب لضربته. فقال له جركس. كنتى ضربتيها، لأنه كان يؤنث المذكر.

ثم أن الجربجى ركب وسار الى جركس فراى السيفى قد سبقه وأخبره بخلاف الواقع. فلما رآه جركس قال له: يا يوسف جربجى، أنت الأن بقيت تفزع على سراجى فى بيتك، فقال له يوسف جربجى: والله لو أدركته لقتلته، لكن هرب فحصل بينه وبين الصنجق كلام زايد وناقص، وبالغ يوسف جربجى فى الكلام، وقال له: هذا خدامى قبل أن يخدمك، وأنا الذى استسلمته[(٢)] ولكن والله لو كنت أعلم أنك تعمل هذه العمايل وتريد أن ترد مسلما الى دين الكفر، وتسمع كلام هذا الملعون الذى هتك البلد ما كنت تركته يجئ لك سالما الا كنت اطرد وراءه الى بيتك، ولكن لما خرج هاربا من البيت ما أحد راح وراءه، وانى والله ما أراد الواد المسلم الى الكفر، لو أعلم أنى أبقى أربا أو أنفى أو أخرج من وجاقى وطلع مغضبا.

ثم انه طلع باب العزب، وحكى لهم ما سمعته أذهانكم الرايقة، وأسماعكم الفايقة، فقالوا له ما عليك من هذا الأمر شئ، كن فى أمان من هذا الطرف، ثم أنه نزل الى منزله[(٢)] فما

(١) أى جعلته يعتنق الاسلام.

(٢) كتب بأعلى هامش الصفحة «عونك يا لله».

والمسـايـيـر منهم ممن يعلم ذلك يخـافـون من القاضي. حتى ان المحضر التي بالدار الاولى الشارعة على الطريق تضمن ان هذا المسجد كان له ثلاثة ابواب قصدا منهم فى ان ياخذوا فيه دارين اخرتين وكانت هاتان الداران شركة مع امراة مسلمة لها الربع والكنيسة النصف والربع فجاءت هذه المرأة بكتبها الى القاضى وشنعت وشعتت وهى امراة مسلمة، فامر بان لا يعارض الدران اللتان لها فيها الحصه واقتصروا على الدار الواحدة التى هى

استقر به بالجلوس واذا بصالح كتخدا قد أتاه يستشفع عنده فى تسليم الولد الى أهله، لأجل خاطر محمد بيك جركس ولك فى نظير ذلك ثمانين زنجرلي، فأبى، وقال. والله لو تعطونى مايتين ألف أحمر، لا يمكن أنى أرد مؤمنا الى الكفر مطلقا، وأخصم محمد بيك والدنيا وانى ان رأيت هذا الملعون السيفى لا قتله، ولو كان واقفا فى باب جركس سيده وقد اخصم جركس واخصم وجاقه لأجل النصارى عملوا للوجاق ماتين زنجرلي، وللسيفى خمسين، وللعلماء ستين، وأخذوا فتوة من أيمة الشافعية[1]، ان الولد يرد الى اهله لكون أنه مراهق، لأن ساداتنا الشافعية لا يرون الاسلام الا بعد البلوغ والحنفية برونه بعد التميز ولم يشترطوا البلوغ، وأن يوسف جربجى أخذ فتوة من السادة الحنفية بعدم تسلمه الى أهله، وأنه باقى على اسلامه وأن اسلامه صحيح، وكل من اراد رجوعه الى الكفر فهو مرتد، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وأخذ على موجب الفتوى حجة، ومنعهم بالرغم عليهم وأخذ الولد عنده، فأسرها محمد بيك جركس فى نفسه والله أعلم.

فأنظر يا اخى الى هذه الأمور: وأعجب، من هذا، ان رجلا من الجند له خدم وله فى بيته عشير[2] وفراش، ثم ان الفراش تحته اتباع، فتبع من اتباعه، سرق جوخة لمملوك وهرب، فأخبروا سيدهم، فهو مار يوما من الأيام فرأى الفراش فأمر القواصة بمسكه، فمسكوه وساروا

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف هذا السؤال قفد».

(٢) بالأصل «وعشير».

لصيقة بالكنيسة قصداً منهم فى التسلط على الكنيسة واخذ ما يجاور الادر المذكورة منها حسب ما يمكنهم كما فعلوا فى المعلقة. وكان فى الحارة جيران مسلمون ولهم املاك مجاورة للدار البرانيه ومعهم كتب تاريخها منذ تسعين سنة تشهد بحدود احدها ينتهى الى هذه الدار وهو يشهد بالدار الوقف على النصارى ولو كانت مسجدا كما ذكروا ذكرت، واخر نصراني يعرف بابى اسحق بن الاعمى له دار من داخل الدرب مقابلة الدار

به فمروا به على بيت عمر بيك، بيت جركس، فاستجار الفراش بالسراجين الذين واقفين على البيت، ففزعوا على الجندى وخلصوا الفراش منه، ودخلوا وأخبروا عمر بيك بأن رجلا جنديا مسك فراشا واراد أن يأخذه فخلصناه منه، فلما رأى الجندى السراجين أخذوا الولد، وادخلوه البيت، دخل البيت ونزل على بيت الركوبة، وطلع الى المقعد، فرأى الصنجق جالسا على دكة المقعد ، فسلم وميل على الصنجق الا أنه شال رجله ورفس الجندى فى صدره ، فوقع الى الأرض على ظهره، ثم أنه أمر المماليك أن يمسكوه فمسكوه ، ثم أنهم أنزلوه الى الحوش ومدوه، وأمر القواصة أن يضربون بالنبابيت فضربوه نحو المائة نبوت، وأمرهم بشيله ورميه خارج الباب. وكانت خدمه هربت، ولم يبق الا سراجه خارج البيت، فأتى اليه بحمار وركبه ورده الى بيته، وكان الرجل من الأكابر ولم يحصل لعمر بيك شئ، ومضى على الرجل أيام قلايل وتوفى من قهره، ولم يجد له ناصرا. وأنه لما تولى (عمر بيك الصغير) (*) كشف المنصورة، مسك ابن البقرى، فما خلصوه منه الا بخمسة آلاف زنجرلى. ومما اتفق أن بالمنصورة كوم تراب من زمن الكفار فنادى (عمر بيك) (**) فى البلد بشيله، وأن هذا الكوم لا يمكن شيله، واذا شالوه أين يودوا ترابه، وان رموه فى البحر سده، ولم يمكن (شيله) بوجه[1] من

(*) الاضافة لتوضيح المعنى. (**) الاضافة للتوضيح.

(١) بالأصل «بو» التصويب والاضافة ليستقيم المعنى.

الاخرى المنازع فيها ومعه كتب عهدها ماية
واحدى وثلثين سنة فشهد بحدود مثل ذلك والحد
الذى ينتهى الى هذه الدار يذكر فيه انه ينتهى الى
الدار الوقف على النصارى سكن الشيخ ابى
غالب. واحضرت الكتب المذكورة الى القاضى
[عز الدين بن عبدالسلام] فوقف عليها وما اصغى
اليها. وبقى الشيخ المذكور [السنى] يسعى
بالقاهرة ومصر ويتسبب يوم الثلثا والاربعا ولم

الوجوه فصالحه أهل البلد بخمسماية زنجرلى، وعفاهم من شيله وهو باق الى يومنا هذا، وكانت أفعالهم كثيرة، وكل شئ فعلوه لا يمكن مخالفته الا بالزنجرلى.

وأوفى النيل وزاد زيادة كثيرة، وكان كلما زاد البحر زادت الغلال قرشا. وأبيع القمح بعد زيادة البحر ووفاية بثمانية قروش الأردب ديوانى، والفول بسبعة قروش، وصلب البحر والغلا زايد، الى أن حصل الى الفقراء شدة كبيرة.

وارسل جركس الى أولاد همام بأنهم لا يرسلون غلالا، الى أن تفرغ غلاله، والله أعلم.

وفى عشر محرم سنة ١١٣٧[١]، عزل الباشا عبدالله أفندى الرزنمجى أمين الله على أموال المسلمين وتعلقاتهم الديوانية وولى أحمد أفندى بن محمود أفندى التذكرجى الذى كانت ظهرت خيانته على مدة على باشا الأزمرلى وحبسه فى قلعة مستحفظان مدة طويلة على مدة سليمان كتخدا، وأخذ منه على باشا ستماية كيس، ولولا احتمى بباب مستحفظان، والا كان قتله وانه أراد أن يعمل رزنمجى فى زمن اسماعيل بيك، فما أمكن لأن كان باش قلفة الرزنامه الى أن صارت مصر فى حكم محمد بيك جركس، فعمله رزنمجى وباع قلم قلفة الرزنامه بثمانية وعشرين كيسا، وعمل رزنمجى وعزله عبد الله أفندى الذى كان يستسقى به الغيث. ولكن كل زمان له دولة ورجال وما عمل رزنمجى ، حد أخذ منه، جركس

---

(١) ٢٩ سبتمبر ١٧٢٤م.

ينعمل له شئ فلما كان فى عشية يوم الخميس الثامن والعشرين من مسرى [٢١ أغسطس] جاء القاضى الى الكنيسة ومعه جمع من الشهود وغيرهم ووالى مصر ودخل الى الدار البرانية واحضر السنى وقال له: اى شئ عملت .قال له: يامولاى ماعملت شيئاً قال له: يا شيخ هذه الدار قد ثبت عندى انها كانت مسجدا من مساجد المسلمين فانت ما جددت ولا غيرت بل ان ابن ابى

خمسة ألاف زنجرلى و الله أعلم. وفى ثانى يوم الذى هو حادى عشر محرم أتوا برأس أحمد بك المسلمانى من جرجة وكان تقدم أنه هرب من جرجة فأرسلوا خلفه الخيل فأتوا به بعد خمسة أيام الى جرجة، وأحضروه الى ديوان جرجة وقروا عليه الفرمان الذى جاء من مصر بطلب رأسه فقتلوه وأرسلوا رأسه الى مصر كما ذكرنا وأن أحمد بيك هذا كان من أعوان جركس ومن اعداء اسماعيل بيك.

ثم ان جركس أرسل ضبط جميع ما فى منزله الذى بسوق السلاح لأن خليل أفندى كان مستخفيا وما كان أحد يقول حاس، وكان أحمد بيك هذا رجلا عظيما حليما، ولكن أغواه جركس لأمر أراده الله وما أحد يقدر يمحى المقدر ولا الذى على الجبين مسطر، وكفاه أنه حصلت له الشهادة رحمه الله وسامحه لأنه كان بيننا وبينه ود ومحبة وكان عنده معرفة بالضرب، وكان يقول: اللهم أكفنى شر علو المرتبة فان حصوله علو المرتبة لى يحصل لى مشاق كبيرة والله أعلم.

وفى عشرين محرم سنة ١١٣٧[١] حصل أن رجلا من العزب، يقال له باكير العنتبلى، دخل على مصطفى آغا بن أحمد آغا الوكيل فى بيته الذى بالحبانية بعد صلاة العصر، فرأى مصطفى آغا جالسا، والامام بجانبه ولم يكن عنده أحد غيره، فتقدم ليبوس يده وسحب

---

(١) ٩ اكتوبر ١٧٢٤م.

غالب الذى كان بطركا(*)، وانت فما يلزمك الا مدة الثلاث عشر سنة التى اعترفت انك تصرفت فيها فى هذا المكان تقوم لنا باجرتها. قال له: يا مولاى هذه الاجرة صرفتها فى جوالى النصارى وصدقاتها على شرط الوقف. قال: هذا ما لا يفيد. قال: يا مولاى ان كان هذا المكان كان على ما قيل مسجدا فمن اين له هذه العماير وهذه الطبقة وهذه الالات التى صار له بها هذه القيمة. قال:

(*) هو البطرك ٧٤ يوأنس (يوحنا) السادس (أبو المجد أبن أبى غالب أبن ساويرس) فى المدة ما بين ١١٨٩ - ١٢١٦م.

خنجرا ليضرب به الاغا وكان الامام باله معه ففز قايما ليمنع الجندى وزعق حاس عن الأغا يا ملعون، فالتفت على الامام وضربه فجاءت الخدم، وتقدم له الخازندار ليمسكه، فجرحه، فتكاثروا عليه ومسكوه، ثم ضربوه بالنبابيت إلى أن قطع النفس، ثم حبسوه الى ثانى (يوم)(١) أطلعوه الى الوزير وادعى عليه بحضرة الوزير، وشيخ الاسلام فأنكر، وقال: أنا ما فعلت شيئا من هذا الذى يدعيه ولا قتلت أحدا وأنما أنا لى فلوس عند الاغا فدخلت أطالبه فمسكنى وضربنى وحبسنى، وها هو قد أتى بى بين يديك فطلب القاضى من مصطفى أغا البينة، فأبرز حجة الاخبارية بما حصل ودخوله البيت وتهجمه، على الأغا وقتله فى الامام، وأتى ببينة شهدت بمضمون الحجة وأبرز الخنجر الذى قتل به الامام فأمر الوزير بأن يكسروا يديه ورجليه، ثم أنهم يقتلوه بالخنجر الذى قتل به الإمام ولا يشيلوه الا بعد ثلاثة أيام، ثم أنه ادعى أنه عزب فأنكروه العزب، ثم أنهم أنزلوه الرميلة، وفعلوا به كما أمر الوزير، عند باب قراميدان ومكث ثلاثة أيام، ثم أنهم رموه فى الجب.

وكان السبب فى ذلك رجل من الخلنج جابه أبوه وعمله سراجا، ثم أنه نقله من السراجية، وجعله جابى على أوقاف الحرمين وغيرهما، وصار، يراشيه، الى أن تريش، وصار صاحب مال وجامكية، وصار متكلما على البيت، فوق وتحت وكان شاطر ممارس للأمور التى للآغا، الجزنى

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.

قوموا اجره المكان مسجدا منذ ثلاث عشر سنة، وقيمة هذه الاخشاب والاصناف والبنيان الذى به الان . فقالوا : يفضل للشيخ احد عشر دينارا. قال لهم: انتم فى حل منها. فخرجوا على هذه الصورة وانتقل الى الدار الاخرى ولم يكن بها الا العلو الذى كان القسيس يسكنه لان سفلها كان مخرباً، وكان الشيخ قد سد بابه من ناحية الدرب وفتحه من ناحية الكنيسة جعله مخزناً

والكلى، فعمله جربجي في العزب، وكان أسمه أحمد السراج فصار أسمه أحمد جربجي ، وجوزته أبنة أخت مصطفى أغا هذا فمات والده وتحضن به اسماعيل بيك، وخلص له بلاد أبيه بأقل الشئ، وطلب أحمد جربجي هذا أن يجعل له فى البلاد قسما، فأبى، وقال: بلاد أبى لى، وأنت أيش تكون لأبى، وأن أنت الا زوج أختى. فحصلت العداوة بينهم، وأخرج أخته من البيت وأسكنها فى بيت مصطفى كتخدا جار المحمل، ومنعها من الاجتماع على أمها وأخيها، الى أن ترجى اسماعيل بيك، فصار يطلب أذيته، ويغرى عليه مثل هذا وأمثاله الى أن أغرى هذا، وجرى له ما سمعته أسماعك الفايقة وأذهانكم الراقية، وقد قال المتقدمون:

من غاب عنك أصله　　　كانت دلايله فعله

وقال السلف: سبب الشر فعل الخير. وقال الشاعر:

واذا اختفى أصل الفتى أنظر الى
أفعاله، تغنيك عن أنسابه[1]

فانظر يا اخى الى هذه التجارى: وهجوم واحد حلنج مثل هذا على مثل هذا الأغا فى بيته محل أمنه ويريد قتله، فكان جزاه ما حل به، وبعد ذلك بأيام قلايل مات أحمد جربجى،

(١) كتب بالهامش كتعليق يناسب واقع الحال « ومما اجتمعت الأمة عليه، اتق شر من أحسنت اليه». وقالت الحكماء: العفو على اللئيم يفسد، بقدر صلاحه من الكريم».

للحلفا (*) وهو يجاور مستخدمات والمطلع، وجآء الى موضع المراحيض والقذارات [القاذورات]. فقالوا: هذا موضع المحاريب. قال: ثبت عندى ان هذا ايضا كان مسجداً اطلبوا القسيس الساكن فيه. قال له الشيخ: يا مولاى ماذا تريد منه على ضمانة. قال: نريد الاجره. قال [الشيخ السنى] له: يا مولاى مهما وجب عليه اما ان يثبت عسرته اويقوم به . وخرج على هذه الصورة. فلما كان يوم الاحد اول النسى [٢٤ أغسطس] سير الشهود

(*) الحلفا: المقصود هنا السمار الذى يصنع منه الحصير.

وضبط مصطفى آغا ميراثه، وطلع الى حريمه وختم على الخزنة وهو راقد فى الفراش ينظر وه وفى حالة النزع، وكذلك عاش بعده مدة قليلة وتوفى هو أيضا وصار كل ذلك لأخته والله أعلم.

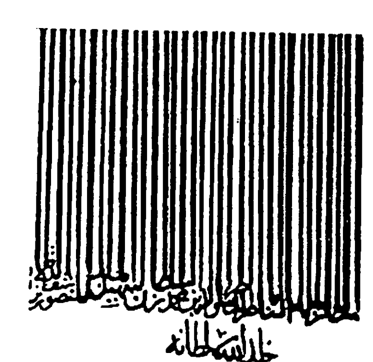
وفى ثانى عشرين محرم المذكور من السنة المذكورة سنة ١١٣٧[١]. أوكب باش العقبة الى بركة الحاج.

ثم أنه شال منها قاصد العقبة، واذا هم بعرب يقال لهم الترابين، فمنعوهم من السفر فتحصنوا بقلعة نخل[٢]. وأرسلوا الى مصر يعلموهم بالحال، فأرسلوا لهم مايتين من الغز وعمر بيك وسليمان آغا كاشف الغربية، الى أن أوصلوهم الى العقبة فلم يروا الحج جاء، فنزلوا العقبة ينظرون الحج.

وأما الحاج، فأنه لما سافر ودخل الى الينبع فى الروحة، فوجدوا الينبع نارا مشعلة من الغلا والفول كل ربع بريال فلم يمكثوا فيها ساروا الى أن دخلوا مكة المشرفة فوجدوا الغلا بها، ولكن الطف لأن الشئ موجود فيها لكنه غالى، فالحنطة بخمسين زنجرلى والسمن بخمسين ريال القنطار والرز لم يوجد واذا وجد بثمانين ريال الأردب، والجبن بثلاث قروش الرطل، واللحم الضانى والماعز بخمسة عشر الرطل.

(١) قلعة نخل كانت محطة من محطات الحاج المصرى، وبها حامية لحماية الحاج من العربان.
(٢) ٣٠ أكتوبر ١٧٢٤م.

والمهندسين وعبروا الى الدار البرانية وقعدوا يقومون. واخذوا فى ان يهدوا بابا مشدوداً ظناً منهم انه ينفذ الى الكنيسة فياخذوا به قطعة منها وينتهون من اسفل الى العلو فلم يجدوا وراه الا ترابا من تقادم السنين . ثم انتقلوا الى الدار الجوانيه وجاوا الى موضع المراحيض وقالوا لنا: السفل والعلو من هذا الموضع اربع ادرع دايرة غير العشرة فى عشرة التى لنا فى المخزن، ولم يكونوا فى الاول ذكروا الا عشرة فى عشرة لانهم كانوا قاسوه من



* توقيع المنصور سيف الدين قلاون ابو المعالى الألفى. تولى فى ٩٩٥ق. = ١٢٧٩م = ٦٧٨هـ.

وقد أخبرنا لولا سردار جدة عثمان جاويش، تابع حسن كتخدا القزدغلى فى مكة لماتت عسكر السبعة بلوكات جوعا: لأنه كان فى كل يوم يمد سماطين، واحد فى الغدا وواحد فى العشاء، ويأكل منه العسكر وفقراء مكة، وما فضل من السفرة يخرجوه الى الذين لم يأكلوا على السماط، لأنه كان عنده الفين حمل ذخيرة، ففرق البعض وباع البعض. وأكل هو وجماعته والعسكر وفقراء مكة البعض، وأنه واسى أهل الحجاز خيرا يذكر به الى يوم القيامة، خصوصا فعل الخير فى تلك الأرض الحجازية التى الحسنة فيها بسبعين. وأن الحاج لما رأى هذا الغلا حار فى أمره ثم أنه حج. ونزل فمكث ثلاثة أيام زايدة لأجل مركب هندى. ثم أنهم ساروا من مكة الى المدينة، فرأوها أغلا من مكة المشرفة فزاروا وجاءوا الى الينبع فوجدوا النجاب الذى أرسلوه من الجبل قاعدا فى الينبع عريانا وقد ذبحوا ناقته وأكلوها ووجدوا أهل الينبع أكثر أهلها ماتوا جوعا، وتعلق الغلا والموت فى الناس والجمال من الينبع الى أن جاءوا العقبة.

وكانوا أرسلوا نجابا من الينبع الى مصر خلاف نجاب الجبل، وان الجمال التى ماتت لا تعد ولاتحصى.

وأما عثمان جاويش القزدغلى كانت حملته ماتين وخمسين جملا، فما وصل الى العقبة حتى مات منه اثنان وتسعون جملا، وأمير الحاج مات من جماله من أصل ثمانماية ستماية اثنان وأربعون جملا وأكرى جميع حملته الى العرب.

برا. وكان الشيخ لما جاوا يقيسون ويقومون قد
مضى الى القاضى قعد عنده فخرجوا وقد اوجبوا
على المكانين ثلثماية واربعين ديناراً فقبله. وقام
القاضى وجآء الشيخ الى الكنيسة بغير توكيل الا
ان الامور مختبطة فلما كان اخر النهار استدعاه
وكلمه برفق وطيب قلبه وقال لنايبه تقف على
هذه الكتب وتعرفنى بما فيها. وطلع الى القاهرة
فلما كان فى صبيحة يوم الاثنين سير اليه النايب
رسولا طالبه فمضى اليه ومعه الكتب المقدم

وحصل له وللحاج تعب ومشقة كبيرة ولابن أبى شنب وكان الدليل على تعب الحاج كسر البرقع وكسر شرافة المحمل وسرقة الأربعة كواجب التى للمحمل فى الجملية كما تقدم ذكره.

ونهبت الاشراف الينبع ودخل الحاج الى مصر اضعف من بعوضة لو لم يكن هذا الرجل الذى سخره الله تعالى للحاج فى مكة وفى الطريق والاكانت الناس هلكت. وأن الهدايا التى جاءته فى بندر الوجه وبندر العقبة والدار الحمرة فرقها جميعا على الفقراء والمحتاجين اليه من عليق وماء وبقسماط ومن جميع الأشياء وصاح الحاج جميعا يدعو الى عثمان جاويش القزدغلى وأن الحاج دخل الى مصر حادى عشر صفر سنة ١١٣٧[١]. وفى رابع عشر صفر[٢]. ورد آغا من الديار الرومية بخط شريف يأمر الوزير بتزيين القاهرة ثلاثة أيام لنصرة الاسلام واخذهم قلعة سروان[٣]، وهى قلعة كبيرة ولها بابان وتحتها سبعة آلاف قرية، وأنهم لما ملكوها وجدوا فى خزينة الشاه خمسة عشر الف كيس كل كيس ضمنه الف أحمر عجمى، فأرسلوها الى حضرة السلطان أحمد عز نصره وان صارى عسكرها كان أحمد باشا بن حسين باشا والى بغداد. ونهبت عسكر الروم جميع ما فى تلك الأرض وأسروا أهلها وأن

(١) ٣٠ أكتوبر ١٧٢٤م. (٢) ٢ نوفمبر ١٧٢٤م.
(٣) كتب عنوان جانبى «أعرف تزيين القاهرة ثلاثة أيام لفتح قلعة سروان من العجم».

ذكرها فقال: هذه قبور لا تفيد شيا. وقال له ما الذى عملت. قال: يا مولاى ماعملت شيئاً. فوكل به على المبلغ وبيته فى التوكيل فلما كان فى غد ذلك اليوم سير استدعاه فقال: انا مريض ما اطيق الحركة. فسير وقال يحمل على قفص جمال ويحضر فاحضر اليه قفص من اسرة النوم فحمل عليه وجاوا به اليه فقال: ياسنى اى شئ عملت؟ قال له: يا مولاى ما عندى شئ اعمله. قال: الساعة يعتقلونك قال: يا مولاى اعمل ما شئت.

البنجكات التى ضبطت من بيع الذين أسروهم وباعوه وكتبت بنجكياتهم سبعة وخمسون الف بنجكا التى أخذتها السلطنة وان كل بنجق بشريفين بندقى.

ثم أن الباشا قال للعسكر: ما تقولون فقالوا: وما تقول: سمعنا وأطعنا فقال لهم الباشا: هذه أيم غلا والناس فى مصر من الشدة لكن نعمل شنكا مدافع فى القلعة ثلاثة أيام ونعفوا الرعايــة من هذا التكليف، فقالوا له: الأمر أمرك وكان كذلك وكان انتهاء الشنك ثامن عشر صفر سنة ١١٣٧[1] والله أعلم. وفى تاسع عشر صفر من السنة المذكورة، تولى ابراهيم أفندى كخاوية العزب. وفى ثالث ربيع أول. من السنة المذكورة قامت الرعية وقفلت حوانيتها ونهبت أسواق القاهرة وهجمت الجامع الأزهر على العلماء وهم فى الدروس[2] ووقع الضرب فى الجامع من الرعية، وهربت العلماء الى بيوتهم ولم يبق فى الجامع الا المغاربة والمجاورين. فضربوا الرعية بالبندق والنبابيت فقتل من المغاربة رجل ومن الرعية واحد. ثم أن الرعية نزلت الى الرميلة والى بيت جركس، فلما رآهم العزب ضربوهم بالبندق فنزلوا على بيت جركس فضربهم جماعته بالرصاص فانكسروا الى الرميلة، فبقيت الرعية بين العسكرية، فما ساع الرعية الا أنهم قصدوا القرافة وتوجهوا الى قبة الامام الشافعى، وفرقة طلعت الى الجيوشى

---

(١) ٦ نوفمبر ١٧٢٤م.
(٢) كتب عنوان جانبى «أعرف قوم الرعية بمصر وهجومهم على جامع الأزهر وبيت جركس».

قال: يودى الى الاعتقال. فمضى به الى الاعتقال وصار مطلوباً بما يجب على الدارين لاجل ضمانه للقسيس وكان القسيس قد استتر [هرب].

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وتسع(*) ماية فى يوم الجمعة مستهل ربيع الاخر سنة اربعين وستماية [هجرية]، والسلطان الملك الصالح [نجم الدين ايوب] خلد الله ملكه وقاضى القاهرة بدر الدين الذى كان قاضى سنجار، وقاضى مصر عز الدين

(*) أهم أحداث سنة ٩٥٩ق. =١٢٤٢م.
* ١ توت ٩٥٩ =٢٩ اغسطس الجمعة غرة ربيع الأول ٦٤٠.
* فى ١١ جماد الأول توفيت صفية خاتون، بنت الملك العادل، صاحبة حلب، وتولى بعدها ابنها

وفرقة قصدت الامام الليثى بن سعد ، وباتوا طول ليلتهم يدعون الله بالعفو، ويدعوا على جركس وطايفته. وطلع الناس على المنارات يدعون الله بالعفو عنهم. والدعاء على جركس، أول ليلة وثانى ليلة الا المنارات التى بجوار بيت جركس فلم يطلع عليها احدا. ثم ان جركس كتب مراسلة الى القاضى يامره بعدم طلوع المنارات وطلبهم من الله. وكان دعايهم فوق المنارات: يأمن له المراد. فى كل ما أراد. بجاه المصطفى الحبيب. تعفو عن البلاد . فكتب القاضى مراسلات وارسلها الى المساجد يأمرهم بعدم طلوعهم المنارات والطلب من الله العفو.

ثم ان جركس عمل جمعية ثانى يوم وأخبرهم بجميع ما فعلته الرعية وكسرهم فى حبس الرحبة وتسيبهم فى المحابيس وضربهم فى الوالى والأوضباشا وضرب سليمان كتخدا الخربطلى فقالوا له: ما الممكن؟ فقال: تركب الخمس اغوات.

ثم انهم قطعوا فرمانات وأرسلوا لاغاة الجملية فرمانا ولا غاة التفكجية فرمانا، ولاغاة الجراكسة فرمانا، ولا غاة الينجشرية فرمانا، ولا غاة العزب فرمانا، ينزولهم الى القاهرة. فنزلوا فى ذلك اليوم بعد العصر.

وفى ثانى يوم وثالث يوم فابشعوا القاهرة وتبوشعت الناس فارسلت اختيارية باب مستحفظان الى محمد بيك الجاويش يقولون له: نزول الخمس أغاوات ليس بعادة وأنما العادة نزول آغة مستحفظان، فأرسل جركس يقول لهم: ان لم تكن عادة فانا أجعلها عادة لأنكم موالسين، وأن قيام الرعية منكم.

بن عبدالسلام، والبطريرك انبا كيرلس المعروف بابن لقلق. وانتهى النيل فى هذه السنة الى ثمانى اصابع من سبع عشر ذراعاً وكانت نهاية زيادته يوم الاثنين الرابع من توت [١ سبتمبر] وصار يزيد وينقص ولم يزد عن الثمانية من سبعة عشر شيا اخر. وتحركت الاسعار وغلت وبيع القمح بسبعين درهما الاردب، والشعير باربعين درهما الاردب واما

الملك الناصر يوسف، وعمره وقتئذ ١٣ سنة.

* فى ١١ جماد الثانى وفاة المستنصر بالله أبو جعفر المنصور، بعد أن حكم سبع عشرة سنة إلا شهرا، وهو الذى بنى المدرسة، ببغداد، المسماة بالمستنصرية، وتقلد الخلافة بعده ولده عبدالله، ولقبوه المستعصم بالله، وكنيته أبو أحمد بن المستنصر بالله منصور.

* ١ يناير سنة١٢٤٣=٦ طوبه٩٥٩= الخميس ٨ رجب سنة ٦٤٠.

فلما وصلهم الجواب لم يلتفتوا لكلامه، وأرسلوا باش جاويش الى الباشا بتبطيل ركوب الاغوات. فأرسل الباشا بتبطيل ركوب الاغوات. فأرسل الباشا أربع فرمانات بعدم ركوبهم ونزولهم القاهرة. فلما أخبر جركس بما فعله الباشا من تبطيل ركوب الاغاوات، أرسل جمع السبع أوجاق فى بيته ثانى يوم الذى هو يوم الأربع خامس ربيع أول سنة ١١٣٧[١]. فلما اجتمعوا قال لهم: الوزير أرسل الى الوجاقات فرمانات بعدم ركوبهم، فقالت اختيارية الثلاث أو جاقات ليس لنا عادة فى الركوب الا فى عزلان الباشا: فقالت اختيارية العزب: أن كان أغة الينجشرية يركب وينزل البلد أحنا كذلك اغتنا يركب وينزل البلد فقالت جماعة من الينجشرية: ليس بعادة نزول أغة العزب. فقال ابراهيم كتخذا العزب فأى شئ بقى من العادات على أصوله حتى تبقى هذه العادة. أن كان أغاتكم ينزل فأغاتنا كذلك. وأن كان الباشا يعطى أغاتكم فرمانا بالنزول ولم يعطنا فرمانا بنزول أغاتنا، ضربنا أعناقكم بالرصاص لو أنها تفى الى أمر الله.

وانفض المجالس على عدم ركوب أغاة مستحفظان ولا يجعلوها حادثة بركوب أغاة العزب وأخمدت الينجشرية الفتنة لأنهم يعرفون عناد ابراهيم كتخدا والنفر (الذين)[٢] معه ورجب كتخدا وشريف مصطفى وابراهيم كتخدا اجنحة جركس وهاماناته ولا يعمل جركس شيئا الا

(١) ٢٢ نوفمبر ١٧٢٤م.

(٢) الاضافة لتوضيح المعنى.

البـرسيم فطلب الى الغاية لاجل شحـة الماء وقلة نبات الربيع [البرسيم] المباع فبيع بتسعين درهما الاردب وغلا الزيت الحار ايضا ولم يكن فى البلاد شيـأ رخيصـاً فى هذه المدة. وكـان البطرك مقيـما بدير الشمع لم يدخل مع الناس فى شئ مما كانوا فيه ولا كان كانه منهم. وكان قد حضر فى مبدا الحال بات بكنيسة بوجرج الحمـرا ليلة وَاحـدة

* وفيها أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب جامع الصالح أيوب، الكائن بشارع النحاسين فى مقابلة الصاغة.
* فيها اتفق الصالح اسماعيل مع الناصر داود واعتضدا بالفرنج وسلمّا اليهم طبرية وعسقلان، فعمر الفرنج قلعتيهما، وسلما اليهم أيضا القدس.
* ١توت ٩٦٠ =٠ ٣ اغسطس ١٢٤٣= الأحد ١٢ ربيع أول ٦٤١.
* ١ ينـاير ١٢٤٤ =٥ طـوبة ٩٦٠= الجمعة ١٨ رجب سنة ٦٤١.
* فيـهـا تراسل الصـالح أيوب،

بعلم هؤلاء الثلاثة. ولا يتم شئ فى القاهرة وغيرها الا بعلم هؤلاء وغيرهم[١] وتوجه كل الى منزله والله أعلم.

وفى ثانى يوم توجه جاوشية القاضى لتأخذه وتطلع به الى الديوان وكان يوم الخميس سادس ربيع أول فأبى القاضى. والسبب فى ذلك أن رجلا من أرباب الوظايف توفى وله جملة وظايف.

ومن جملتها وظايف قبانة تقطع نحو ثمانين الفا، فأرسل ابراهيم كتخدا العزب الى القاضى تذكرة بأن يكتب له الوظايف جميعا ووظايف القبانة فأرسل له صرة ضمنها ماية زنجرلى فردها له.

فأرسل ابراهيم كتخدا بعض اختيارية من جماعته عن أن يكتب له الوظايف فأبى فكان هذا السبب فى عدم ركوبه فأخبر جركس فأرسل يتشفع عنده وأرسل له ثلاثماية زنجرلى فكتبها له واصطلح.

ومن أعجب العجايب[٢]: ان فى طريق بولاق من طريق قنطرة يوسف سعيد قريب من رزقة الشيخ حسن الدجمونى محل قمين طوب وكان معدا لحرق الطوب. بينما الرجل الطواب

(١) بالأصل «لا» حذفت يستقيم المعنى.
(٢) كتب عنوان جانبى «أعرف ظهور قبر الولى الصالح ناصر الدين الشهيد».

واشار عليه بعض الجماعة بالعود الى مكانه فعاد الى دير الشمع ولم يعد منه فى هذه المدة وكان معذورا لانه كان خايفاً . ثم ان القاضى بمصر [عز الدين بن عبدالسلام] تطلب القسيس المعتمد الى ان وقع به فاودعه الاخر الاعتقال وصار هو والشيخ السني في السجن. وكان الجماعة قد كتبوا فتيا الى الفقها يستفتونهم في قوم مسلمين علموا

صاحب مصر، والصالح اسماعيل صاحب دمشق، فى الصلح، وأن يطلق الصالح اسماعيل المغيث بن الملك الصالح أيوب وحسام الدين الهدياني، وكانا معتقلين عنده، فأطلق حسام الدين فقط وجهزه إلى مصر.

* فيها وصلت الخوارزمية إلى غزة، باستدعاء الصالح أيوب، ليعضدوه على عمه الصالح اسماعيل.

* وفيها توفى الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب فى حبس الصالح اسماعيل، صاحب دمشق.

نايما بالليل واذا هو برجل أتاه وفي يده حربة من نار وقال: الى كم تحرق الطوب على تربتى وتوذيني وأنا صابر والآن آن ظهور قبرى. فوعزة الربوبية أن لم يظهر قبرى وتزرع الاشجار عندى عوض حرق الطوب وان ما فعلت ما قلت لك عليه والا قتلتك بهذه الحربة. وأنا ناصر الدين الشهيد: فما أصبح الصباح حتى أن الرجل لم يكذب خبرا، فأسرع فى شيل الاتربة وفحت الآرض فوجد فيها فسقية بالحجر الأحمر تحت الأرض وقد ركبت التراب عليها قامتين فصلحها وبنى شواهدها وزرع عندها الأشجار. وبعد أن كانت كوما صارت متنزها وبها أم الطواب خدامة بقبر الشيخ فى كل يوم من صبيحة النهار الى المغرب تسير الى منزلها. وكان ظهوره فى غرة ربيع آخر سنة ١١٣٧[1] . والله اعلم. وفى عاشر ربيع آخر المذكور، قطع

(١) ١٨ ديسمبر ١٧٢٤ / كتبت بالهامش أبيات الشعر التالية:
قال الشاعر:
لا يصعبن عليك فى طلب العلى
طول النقل أو فراق المكنس
فلا بدر لو لم ينتقل من برجه
ما كان يعرف نوره فى الحندس=

وقال الآخر:
وما فى الأرض عن دار القل متحول
وكل بلاد أو طنك بلاد

شهادة في حق من حقوق الله سبحانه من مدة طويلة ثم ودوها الان فهل يكون تاخير الشهادة المذكورة قادحاً في عدالتهم ام لا. فافتوا جميعاً بان عدالتهم ساقطة بتاخير شهادة الحسبة، واستثنى منهم من قال الا ان يكون له عذر واضح، واحتج عليه من لم يستبن بان العذر غير مقبول في بلد فيه سلطان الاسلام قايم والولاه والحكام. ولم يفد

* ١توت٩٦١=٢٩ اغسطس ١٢٤٤=الاثنى ٢٣ ربيع أول سنة ٦٤٢.

* في ١١ جماد أول توفي الملك المظفر، صاحب حماه، بعد أن حكمها ١٥سنة و٧ أشهر، وكان يحب أهل الفضل ويعين على نشر العلوم.

* ١ يناير ١٢٤٥=٢ طوبه٩٦١ = الأحد ٣٠ رجب سنة٦٤٢.

* وفيها حصلت محاربة في ظاهر غزة بين عساكر مصر والمتحدين من الخوارزمية معهم، تحت امرة ركن

محمد بيك جركس فرمانا ونادى به في القاهرة على زين الفقار بيك على أن كل من كان يعرف محله ويخبر عنه فله من الأنعام بلد التزام وخمسة آلاف زنجرلي، والذى يكون عنده ولا يخبر عنه ويظهر عنده يقتل وينهب ماله ويهد جداره، ومن يوالس عليه أو يواريه أو ياويه يستاهل ما يجرى عليه، ومن حذر. فقد أنذر، وليس له عذر يعتذر به. والله أعلم . وفي سابع عشرين ربيع الثاني[1]. ورد الى محمد بيك جركس صورة مغطس من صيوان مربع الطول والعرض عمقه نحو الذراعين من ثغر اسكندرية وجدوه داخل الأرض فوضعوه في جريم من جرمات بحر اسكندرية الى أن أتوا به الى بولاق فأرسل جركس له خمسة عشرة جوزا من الثيران فوضعوه على عجل وجرته الثيران الى أن أتوا به الى باب منزله، فما أمكن دخوله على العجل، فانزلوه خارج الباب.

وطلع جركس وجميع من في البيت من مماليك وقواصة وسياس نحو الثلاثماية رجل ووضعوا تحته البراطيم وزحلقوه على تلك البراطيم فانكسر منهم ثلاثة براطيم.

ومكثوا يعالجوا فيه من صبيحة ذلك الى بعد العصر حتى أنهم أدخلوه ووضعوه بجانب الجنينة، ولم يضعه في محل الى يومنا هذا وهو مرمي وخربت الدار ولم يبق فيها شئ، وهو قاعد ما أحد جاء نحوه، لأنه شغل كاهن عمله، وكأنه كان مغطسا لحمامه، أو هو كان ملآن

(١) ١٣ يناير ١٧٢٥م.

هذا ايضا شيئاً ولا عمل به مع انه نص شرعهم وهو صفة الحال. ومن بعد هذه كتب الشيخ شمس الرياسة ابن هبلان رقعة الى مولانا السلطان عز نصره عن النصارى يسله [يسأله] فيها ان يعقد لهم مجلس مع خصومهم فى مجلس العدل الشريف وان يحضر الراهب يحاقق عن نفسه، فامر بذلك على لسان امير يقال له بدر الدين اخو الحاجب على، فعقد المجلس فى يوم الاثنين صبيحة

الدين بيبرس وبين عسكر دمشق والمتحدين معهم من الافرنج وغيرهم، فانهزمت عساكر دمشق وصاحب حمص والفرنج، واستولى الصالح أيوب، صاحب مصر، على غزة والسواحل والقدس، وأرسل باقى عسكره المصرية والخوارزمية وحاصروا دمشق وبها الصالح اسماعيل وصاحب حمص، واستمر الحصار لما بعد آخر السنة.

* فيها تسلم عسكر الملك الصالح أيوب، ومقدمهم معين الدين بن الشيخ، دمشق من الصالح اسماعيل بن الملك العادل.

ذهب، أو أكسير لأنه مربع، فلو كان مطاولا مثل الحيضان الذين يخرجوهم من منية رهينة، مما كان فيه الكهان ويدفنوا فى الارض فيغير الكاهن الذى فيه والله اعلم[١].

وقد رأينا منهم فى منية رهينة ودهشور. وكان فيهما قايم مقام وكان صاحبا لنا فأخبرنا أنه رأى تربة خراب فأخبره رجل أن فيها مال من زمن الكفار فلما أخبر بهذا (٣١٣) الخبر. أمر الفلاحين أن يحفروا فحفروا ثلاث قامات، فوجدوا حوضا من صوان أزرق بغطا صوان صنعته الكهنا فعالجه حتى فتحه فوجد فيه كاهنا راقدا فيه وقد صار مثل الفحمة السودا ولكن له برقان زايد وراى جميع أعضاية كاملة لم[٢] يذهب منها ولا ظفر. ثم أن جماعة من الفرنج جاءت لتتفرج على الأهرام فاتوا الى قايم مقام ليتوجه صحبتهم ليلا أحد يكلمهم من العرب فباتوا عنده تلك الليلة فأخبرهم بالحوض وبالذى فيه فما سمعوا به قالوا له: ننظره، فأوراه لهم فأخذوه منه بماية وعشرين طرلى، وأرسلوه الى بلادهم.

ولنرجع الى مانحن بصدده: ان محمد بيك جركس لما صفى له الوقت وراق له الزمان، البس جماعته الكشوفات وتقدم أنه البس مملوكه عمر بيك الصغير المنصورة وفعل ما سمعته أذهانكم الرايقة واسماعكم الفايقة من شيل الكوم وأخذ الخمسماية زنجرلى. ثم أنه البس

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف القبر الذى ظهر فى منية رهينة».

(٢) بالأصل «يطر» وفوقها علامة الحذف. وكان هذا حال آثار مصر فى هذه الازمنة.

* ١ تــــوت ٩٦٢=٢٩ اغــسطس ١٢٤٥= الثــلاث ٤ ربيع الثانى سنة ٦٤٣.

* وفيها قصدت التتر بغداد فخرجت عساكر بغداد للقائم، فلم يكن للتتـر طاقة بهم فولوا منهزمين.

* ١ يناير ١٢٤٦ = ٦ طوبه ٩٦٢ = الاثنين ١١ شعبان سنة ٦٤٣.

* وفيها توفيت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين، بدمـشق، وقـد بنت فى حياتها مدرسة للحنابلة بجبل الصالحية.

* فـيـهـا اتفق الحلبـيـون وصـاحب حـمص وصـاروا مع الصـــالح أيوب بن الكامل وقـصـدوا الخـوارزمـيـة والصـالح اسماعيل وهم محاصرون لدمشق فرحلت الخوارزمية عنها والتقوا مع الحلبين على القصب فانهزم الخوارزمية شر هزيمة.

* ١تـوت سـنـة ٩٦٣=٢٩ اغـسـطس ١٢٤٦ = الاربع ١٤ ربيع الثانى سنة ٦٤٤.

* وفيـهـا رحل حـسام الدين بمن عنده من العـسكر بدمـشق ونازل بعلبك وحاصرها وتسلمها بالامــان، وحـمـل أولاد الملك الصـالح اسـمـاعـيل إلى الملك الصـالح أيوب بمصـر فـاعـتـقلوا وأمين الدولة وزير الصالح بمصر، وزينت القاهرة لذلك.

* ١ يـنـاير ١٢٤٧= ٦ طوبه ٩٦٣= الثـلاث ٢١ شـعـبـان ٦٤٤.

* وفيها حبس الصالح أيوب مملوكة بيبرس، صاحبه فى اعتقاله

مملوكه عمر بيك الكبير كشوفية البحيرة . فلما نزل الى الاقليم صار ينزل البلد فلا يرحل عنها الا بماية زنجرلى خلاف الكلفة. ثم أنه أمنه على ابن منيعى شيخ الهنادى وقتل أخاه(١)، وكان له عبد خيال الغبرة فقتله وقتل عبده شيخ عرب البهجة. وكان هؤلاء اذا أرادوا خراب الاقليم اخربوه، واذا ارادوا عمارته عمروه، ولم أحد من الصناجق ظفر بما ظفر به عمر بيك من قتل هؤلاء المقدامين والعبدين وصار له صيت فى البحيرة يخرق الطبل وحكم البحيرة حكما ما أحد حكمه، وبلص الاقليم بلصا ما أحد بلصه قبله ولا سيده ولا الأعسر.

ثم أنه نزل على بلد يقال لها سمخراط لرجب كتخدا الذى هو جناح سيده فأخذ منها ماية زنجرلى وأكل الضيافة. ثم بعد أكل الضيافة كسر حواصل الأوسية وأخذ ما فيها من القمح والفول والشعير والسمسم وحمله على جمال الفلاحين وثيران الأوسية فطلع خلفهم قايم فلولا أنه هرب من قدامه لقتله.

ثم أنه نزل على بلد أخرى لجربجى من التفكجية يقال له ابن مراد، وكان شريك شيخ الاسلام، الشيخ محمد شنن، فأخرجوا له الكلفة وأخذ من البلد مايتى زنجرلى. ثم أنه رحل عنها فلاح نظره على غيط فيه ثمانية عشر محراثا، يحرث غيط لابن مراد فساقهم، فراح الخبر للجربجى. فطلع هو وعبد لوالده عسكرى فى وجاق ابن سيده فأدركوا الكاشف

(١) كتب عنوان جانبى «اعرف قتل عمر بيك الكبير لابن شيخ العرب على بن منيعى الهنيدى وغيرهم».

بالكرك، لصيرورته مع الخوارزمية لما جرده إلى غزة.

* وفيها توفى الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه، صاحب حمص، بدمشق، وكان متوجها إلى خدمة الملك الصالح أيوب بمصر، فدفن بحمص، واستقر مكانه ولده الملك الأشرف مظفر الدين.

* فيها عاد الملك الصالح أيوب من دمشق التى، توجه إليها فى سنة ٦٤٤، إلى مصر، بعد أن فتح فخر الدين بن الشيخ قلعتى عسقلان وطبرية وكانتا بيد الفرنج. * وفيها سلم الأشراف، صاحب حمص، سميس للصالح أيوب.

* ١ تـوت ٩٦٤ = ٣٠ اغسطس ١٢٤٧= الجمعة ٢٦ ربيع الثانى سنة ٦٤٥.

* وفيها توفى الملك العادل أبو بكر بن السلطان الكامل بالحبس، وكان مسجونا من وقت ما قبض عليه ببلبيس، فاقام بالسجن نحو الثمان سنين.

* وفيها حاصر فريدريك الثانى مدينة بارمة.

* ١ يناير ١٢٤٨=٥ طوبه ٩٦٤= الأربع ٣ رمضان سنة ٦٤٥.

* فيها سلم الأشرف موسى حمص إلى عسكر الناصر، صاحب حلب، بعد حصار، وتعوض عنها بتل باشر، زيادة على ما بيده من تدمر والرحبة، فغاظ ذلك نجم الدين أيوب وقدم إلى دمشق مريضا، وأرسل عسكرا إلى حمص بالمجانق، ثم بلغه وصول الفرنج إلى جهة دمياط

وكلموه من جهة الثيران فقال لهم: أرض الكشوفية أولى من أرضكم فقال له العبد: وكان يابيك[1] فارسا أرضنا لها ثلاث سنين شراقى وندفع مالها فلا تبورها وما عندنا محاريث الا الذى اخذتها، فاغتاظ الصنجق على العبد فى الجواب، فقال العبد: أحنا نروح مصر ونعلم محمد بيك جركس سيدك بما فعلت.

فما تكلم[2] العبد بهذه الكلمة حتى أمر الجلاد برميه، فرمى رأسه فى الحال، وحبس ابن سيده فى حبس المجرمين فى القلس. فما أسيبه الا بماية زنجرلى واخذ المحاريث وقال له: روح محل ما تريد. قل لجركس أو للباشا.

وأخذا المحاريث بالثيران وسار. فما ساع قيامة مقامات الا أنهم كتبوا مكاتيب وارسلوها الى أسيادهم، ونزل ابن مراد الى مصر يشكوا عمر بيك الى وجاقه.

فلما دخل مصر أعلم وجاقه بما فعل عمر بيك فى حقه، وقتله لعبد والده، وكذلك المكاتيب التى وردت من قيامة مقامات الى أسيادهم، فركبت الملتزمين كل وجاق بأوجاقه ودخلوا الى جركس وأخبروه بما فعل عمر بيك الكبير فى البحيرة، وعمر بيك الصغير فى شرقية المنصورة من الظلم والجور.

فلما أتموا كلامهم قال لهم: يا سبحان الله! أنتم تشكوا من ظلم الريف وأنتم الظلمة !

(١) قدم واخر.

(٢) بالأصل «هذه» مشطوبة.

فرحل عن دمشق بعد أن استقر الصلح بينه وبين الحلبيين.

* ٦ تـــوت ٩٦٥= ٢٩ اغسطس سنة ١٢٤٨= السبت ٨ جماد أول سنة ٦٤٦.

* وفى ٤ جماد أول قامت التجريدة السابعة للصليبيين تحت امرة سنت لويز، وهو لويز التاسع، ملك فرانسا، وكل من الكونت دانجوا والكونت دوبواتيه والكونت تواز، قاصدين محاربة المسلمين بمصر، وعدتهم خمسون ألف مقاتل.

* ١ يناير ١٢٤٩=٦ طوبه ٩٦٥= الجمعة ١٥ رمضان ٦٤٦.

* فى ٢٠ صـــفــــر وردت مراكب الصليبين إلى دمياط، وفى ٢١ منه حصلت مقتلة بين الصليبين وبنى كنانة محافظيها الذين فروا ليلا، وفى ٢٢ منه استولت الافرنج على دمياط بكل ما فيها، وفى ٢٤ منه توجه الصالح إلى المنصورة وعسكر فيها، بعد أن شنق بنى كنانة عن اخرهم. وبعدها صارت الفرنج تحارب وتتقدم حتى هاجموا المنصورة.

* ١ تـــوت ٩٦٦= ٢٩ اغسطس ١٢٤٩= الأحد ١٨ جماد أول سنة ٦٤٧.

انتم تفعلوا أمورا فى هذه البلد ما تفعلها المجوس! فقالوا : خير نحن لم نظلم احدا. فقال لهم شيلوا الظلم الذى رتبتموه فى هذه البلد وظلمتم به الفقراء والمساكين. فاذا شيلتموه فعلى شيل ما كان فى الريف من ظلم كشاف وقيامة مقامات وان كنتم لم تشيلوا هذا الظلم الذى فى هذه البلد والا أمرت الكشاف بأن يأخذوا من كل بلد قدر ما كان يأخذه عشر مرات ويخربوا البلاد تماما فقالوا له: أرنا محل الظلم الذى نحن نظلمه حتى نعرفه؟ فقال: المقاطعات وأمانة بحر بولاق والمذبح والخردة وما زاد على الحسبة والجمركات برفع جميع ما زاد عن تحرير ابراهيم باشا ويكشف على تحريره الذى حرره سنة ١٠٨٣[(١)] فأرسلوا احضروا دفتر الى سنة ١١٣٧[(٢)]. ستماية وثمانين كيسا. ثم أنهم قروا فواتح وقالوا هذا أمر فيه نفع لجميع الناس المؤمنين والكفار والأغنياء والفقراء.

وأصبحوا ثانى يوم الذى هو يوم الخميس تاسع عشرين ربيع آخر سنة ١١٣٧[(٣)]. أرسل جمع العلماء والبكرية والسادات ونقيب الاشراف وأغوات السبع بلكات والصناجق والسبع أوجاق فى بيته وقال لهم.

يا علماء يا بكرية يا سادات. يا أشراف يا أغوات يا صناجق يا عسكر مصر. الفقرى والرعية

---

(١) ١٦٧٢م.

(٢) ١٦٧٢ / ١٧٢٤م.

(٣) ١٤ يناير ١٧٢٤م.

عيد الصليب(*) وحضر جماعة من الاجلا والروسا وكان صدور المجلس الشريف الارموى قاضى العسكر وبدر الدين قاضى القاهرة والوجه البحرى، والفقيه عباس(*)، ووالى مصر، ونايب قاضى مصر لانه (قاضى مصر، عز الدين ابن عبدالسلام). ما حضر، وجماعة من الشهود، واحضر ابن حوله وابن صباح والشيخ السنى والقسيس من السجن وجاوا بمحاضرهم.

(*) عيد الصليب فى ١٧ توت= ١٤ سبتمبر (الجوليانى) = ٢٧ سبتمبر (الجريجورى).

(*) هو نجم الدين أبو العباس المقدسى الشافعى.

وجميع أهل مصر أنحرقوا من تزايد الظلم وفحشه فى الارياف وفى هذه البلد وأننا جبنا دفتر التحرير الذى حرره ابراهيم باشا سنة ١٠٨٣ فوجدنا زاد الى يومنا هذا ستماية وثمانين كيسا واحنا نظلم الرعاية وأهل بلدنا الى الباشاوات لأى سبب وهذا حرام علينا وأننا قادرين على ازالته فما تقولون ؟ فقالوا: والله هذا فعل خير كبير وتثاب عليه الجنة أن شاء الله تعالى فقروا ثلاثة فواتح. وفى الحال كتبوا عرض حال وأرسلوه صحبة كتخدا الجاوشية وأغاة المتفرقة ومن كل وجاق واحد. فلما قرأ الوزير العرض قال فى غاية ما يكون. والذى لم يرض برفع الظلم فهو الظالم. ولكن أنا أرفع الزايد عن دفتر ابراهيم باشا وأسلمكم المقاطعات والجردة وأنتم على ما أنتم عليه من الظلم وزيادة. ولكن أنا ما أخالف لكم قولا وأبطل الزوايد من المقاطعات والجمرك والخردة وأمانة البحرين والمذبح والحسبة وجميع الزوايد من سنة ١٠٨٣ والى سنة ١١٣٧، واجعلها على موجب دفتر التحرير وأنتم تكونوا أمناء على هذا الأمر، وأسلم جميع المقاطعات والخردة الى جماعتى ينزلوا يضبطوا المحلات على موجب دفتر التحرير وعلى عدم لبوسيته الكشاف وأخذ الحلوان من الذى يكن حيا واما الذى على اسم الميت لا خلاف فيه. وأما أن كان مرادكم ترفعوا الزايد الذى لى وتأخذوه انتم وتزيدوا الظلم عشرة أمثاله فلا سبيل الى ذلك فقال الجميع: نعم لك ذلك سمعنا وأطعنا فكتب لهم فرمانا فى الحال على[1]

(١) كتب بأعلى هامش الصفحة «عونى بالله».

والمتحدث قاضى القاهرة، فاستدعى المحاضر ووقف عليها وقال لاوليك الشهود: ما اخركم عن الشهادة وهى شهادة حسبنه لله تعالى مدة خمسين سنة . قالوا: قلنا بها. قال: لمن قلتموها . فذكروا شخصا ميتا. قال: هذه دعوى منكم وامر معدوم. وجرت مفاوضات كثيرة اخرها انهم قالوا للسنى: لك بينة . قال: نعم. قالوا: احضرها. قال: يا مولاى مع السجن . قالوا: لا لكن يستاذن عليه

موجب ما طلبوا. ثم أن الانكشارية اردوا ما كان تعلقهم من المقاطعات والمذبح، وتسلم ذلك الوزير. وأما العزب فانهم مكثوا ثلاثة أيام يحاولوا فما أمكن، وسلموا الخردة الى الوزير. ثم ان الوزير انزل جماعته، فى جميع المحلات، وكتب عليهم حجة، وكذلك هم كتبوا على الوزير حجة، وأن لا يكن صاحب عيار ألا من هذا البلد، وأن ينزل أغات مستحفظان ينادى على الأسعار، فعالجت العزب على عدم نزول الآغا فما قدروا فنزل وشق البلد، ونزل الى كل اقليم أغا وصحبته من كل أوجاق اثنان. ونادوا برفع الظلم عنهم، ولا يدفعوا الا على موجب القوانين القديمة، الى الكشاف، والذى ما عليه شئ لم يدفع شيئا. وفى غرة جماد أولى[1]. قدم باب مستحفظان عرض حال الى الوزير يشكو له من غلو الأسعار، أن كل شئ قد زاد النصف، فأعطاهم فرمانا بأن يجتمعوا فى محل ويجمعوا أهل الخبرة ويسعروا بالحظ والمصلحة. ثم أن أغة مستحفظان يشهر النداء فى البلد، ولا يأخذ بلصا من أحد، وان أشتهر عليه أنه يأخذ البلص يعزل ويخرج من حقه. فخرج الاغا ونادى على اللحم الضانى بنصفين والجاموس بنصفين فلوس. والزيت الحار بثلاثة أنصاف. والجبن بنصفين والصابون بثمانية أنصاف بعد أثنا عشر. والبن بخمسة وأربعين الرطل، وأن الجدد ماشية والفضة ماشية ولم يكن فى البلد فضة ديوانية وأن وجد الديوانى فهو والمقصوص سواء. فلما نادى الأغا قفلت

---

(١) ١٦ يناير ١٧٢٤م.

القاضى [عز الدين بن عبدالسلام] ويضمن عليه
ويخرج يتركض فى نفسه . فاستاذنوا عليه القاضى
فقال لا سبيل الى هذا الا ان كان بغير امرى .
فاعيد الى السجن هو والقسيس وكان الجماعة قد
عملوا محضرا يشهد بهاتين الدارين وقف على
النصارى وانها بايديهم من مدة تزيد على خمسين
سنة والى الان، وكتب لهم فيه رجل شريف معتبر
متصدر فى الجامع. فعلم به قوم من اصحابه

الدكاكين ولم يبق أحد يجد شيئا ووقف الحال، ووقفت الفلوس الجدد التى كانت ماشية وكانت دراهم ولم ينقدها ألا يعدها فقط.

فهم فى الحال والشيل والحط، واذا بآغا ورد وصحبته صاحب عيار وأمين على الضربخانة وجميع خدمة الضربخانة من السباك الى الجلا وصحبته سكة الذهب الفندقلى(١) ولم يكن قبل ذلك اليوم ذهب فندقلى. وأنما كان الاشرفى والطرلى والزنجرلى ثم هذا الفندقلى وان يكون عليه الاثنين وعشرين قيراطا فلما قرى الخط قامت العسكر على الوزير وقالوا له: أما من جهة تمشية الذهب فعلى الرأس سمعين مطيعين . وأما من جهة صاحب عيار فانا لا نغيره. فقال الوزير: نعم كذلك ولكن الأغا الذى جاء يكن ناظرا على الضربخانة لاجل اجراء الخط، فان داوود لما اخبر بمجئ الاغا فى سكندرية تدارك امره مع الوزير ومع العسكر وجركس ومتكلمين البلد بخمسة وعشرين الف زنجرلى فرقها عليهم قبل ورود الأغا. ثم أن الباشا البس الأغا قفطانا على نظارة الضربخانة. وألبس داوود قفطانا على ما هو عليه صاحب عيار الضربخانة. ثم أن الناس شكت من عدم وجود الشئ وكثت الناس نحو الثلاثين يوما لم يجدوالسمن، ولا الجبن ولا الزيت. وصارت الفقراء تنامن فى الظلام، والسمن الزبد صار لا يوجد ولا بخمسة عشر الرطل. فزاد الحصر على الناس، فشكوا أمرهم

(١) كتب عنوان جانبى «أعرف خروج الفندقلى».

الاشراف اصحاب القاضى فدخلوا عليه بالترهيب
والتانيب والتخويف والتثقيل الى ان اشهدوا عليه
بالنزول عن شهادته . وشهد فى المحضر ايضاً رجل
من جيرة الحارة شيخ معتبر يعرف بابن ابى الطبيب
وكان قد ازمن فما بقى يقدر على التعرف، فحمل
اليه عدلان سمعا قوله واديا عنه الشهادة، وبعد
هذا مضوا الى الاخر وعنفوه وخوفوه بانك ساكن

الى الباب مستحفظان وكان اذا أصاب الناس ضيم من ضجق أو كبير، يشكو أمره الى باب مستحفظان فتفكه ولو كان فى يد الوزير، فاجتمع رأيهم أن يجعلوا باكير آغا أغة مستحفظان، وكتبوا له حجة بتبطيل جميع الحمايات والجمركات الزايدة، عن قانون ابراهيم باشا، والمظالم التى تقدم ذكرها، ولا أحد يؤخذ منه زايد على القانون أو أحد يأخذ من أحد شيئا ظلما ويشكو له يخلص له ظلامة منه، وأن أراد أن يمسك أحدا وهرب منه واستجار ببيت أحد يقف على الباب ويطلب الرجل فان أعطاه له فلا كلام، وأن أبى أن يعطيه يكبس عليه بيته ويأخذه منه ولو كان بيت جركس أو مصطفى كتخدا أو رجب كتخدا مستحفظان أو أبراهيم كتخدا عزبان. ولم يكن فى ذلك العصر الأمر منوط الا بهؤلاء الأربعة فقط. وكتبت الحجة بحضرة العلماء والبكرية والسادات وختم عليها قاضى الاسلام وسلمها الى الآغا، وكان ذلك فى يوم الجمعة سادس عشر جماد آخر سنة ١١٣٧[١]. ونزل الأغا الى القاهرة وأشهر المنادات على عدم توقفهم فى أخذها فضة أو جددا وعلى الأسعار كما تقدم من منادات محمد آغا قبل عزلانه.

فلما حصل هذا الأمر منعت الأشياء بالكلية من جميع البضايع، وغلت أعظم مما كانت من جهة المعاملة، وصار على كل طابونة رجل معين بعشرة أنصاف لقبض غلة الخباز، لنقدها

(١) ٢ مارس ١٧٢٤م.

في مسجد مدة سنين والساعة تخرج منه وتطالب
بالاجـره من هذه السنين، فـاشـهـدوا على الاخـر
بالنزول عن الشهادة. ثم ان هولاء المعاندون اخذوا
البنايين والفعله والجبس وجاوا ليلة من الليـالى الى
الادر المذكـورة فـقـصـدوا ان يبنوا فـيـهـا المحـاريب
[القبلات] فمضى بعض الجماعة الى الوالى اعلمه
بذلك فـسير منعهم. ومن باكـر اجتمعت جمـاعة

- -

من الدراهم والمقصوص، وصار الأغا ينادى بأنها ماشية والرعية لم تأخذ ألا الديوانى، فوقفت البـلـد[١]. وكان خوف الرعية من قبض المقصوص والدرهم، من مجئ الأغا بالسكة أن لا ينادى على تبطيل المعاملة على حين غفلة. فتوقفوا فى عدم أخذها، وأن الغلا ناصب صيوانه، على مصر من حين، نزل رجب باشا، وقدم محمد باشا هذا من مدة أربع سنوات لم ينفك القمح عن اثنين زنجرلى، ومايتى فضة، اذا رخص وأما مدة رجب باشا كانت الغلة رخيصة، فكان القمح بسبعة وعشرين نصف الأردب، والفول بأربعة وعشرين الأردب والشعير عشر نصف الأردب، وأما مدة هذا الوزير لم ينفك عما تقدم ذكره. والسبب فى ذلك أن الباشا أراد أن يخرج هوارة من الأوجاقات ويجعلهم رعية، والتجار من العسكرية، ويجعلهم رعية، لأجل ما إذا ماتوا تضبط تركاتهم، فلم تمكنه العسكر وقالوا: القوانين القديمة يكشف عليها. فأرسل الباشا أحضر دفتر ابراهيم باشا الذى تقدم ذكره. فوجد عرب هوارة انكشارية وعزب وأولاد البلد والتجار عسكرية فى السبع أوجاق من قبل ابراهيم باشا بأعوام، فرجع عن ما كان طالبه وردته العسكر بالحق بعد توقف كبير نحو الخمسة دواوين وهو مصمم على أعطاء فرمان الابقاء فهذا كان السبب فى عدم ارسال الغلال.

ثم حصل فى البلد قيل وقال وقلقلة، فأرسل ابراهيم كتخدا عزبان عسكرا نحو الستين نفرا ملكت السلطان حسن وقعدت فيه، ولم يتفكر الرؤية التى رآها ذلك.

(١) بالأصل «على حج» حذفت ليستقم المعنى.

كبيرة ووقفوا لمولانا السلطان فامر بان لا يتعرض
لهــذا المكان حــتى يثبت الحكم. وكـــان
القـسيـسـان الشيخ القـديس السنى ابو المعـانى
المعـروف بابن كـمش والشـيخ الرضى بن ابى
الطيـب همـا المنشـغلان لـهـذا الامـر الـلذان
صرفا جميع همتـهمـا اليـه فـكانا فى تعـب
شـديد وجهد جهيد لا يفترقان بالنهار ولا يهديان

والسبب فى هذا أن الوزير ارسل الى حسين أفندى كاتب كبير مستحفظان تقرير الجوالى فأبى أن يقبله فأرسل الباشا فرمانا الى باب مستحفظان يأمرهم بقبول الجوالى لكون أنه قلم واسع، ولم يكن عنده جماعة تفهم اصطلاحهم فقبل ذلك منه برضا أوجاقه واتفاقهم.

فلما علمت العزب أحدثوا قلقة وطلبوا الخردة، فأبى الباشا وقال أنا أعطيت الجوالى الى حسين أفندى الا بالرغم عليه لقلة معرفة جماعتى بتعاطيها. وأما الخردة فلا أعطيها لأنها مظلمة تظلم فيها. وأما الجوالى ليست مظلمة وأنتم كتبتم على أنفسكم حجة برفع المظالم. فنزلوا من الديوان من غير قضاء حاجة ولا مصلحة فملكوا السلطان حسن والرميلة وساعدتهم الانكشارية بمسك المحمودية والمحجر. ثم أن الانكشارية طلعت الى الباشا وتشفعت بأن يعطيهم الخردة فأعطاها لهم. ثم أن فى يوم الجمعة خامس عشر رجب سنة ١١٣٧[1]. عمل ابراهيم كتخدا عزبان ديوانا فى بابه وعزم على جميع أختيارية بابه، وواجب الرعية بأن يصلوا الجمعة ويتوجهوا جميعا الى بيت محمد بن اسماعيل بيك ليحضروا عقد أخت محمد بيك عليه فأجابوا بالسمع والطاعة. ثم أنهم صلوا الجمعة وتوجهوا فوجدوا البيت قد امتلأ من اختيارية الوجاقات السبعة، ممن يألفوه وجركس وجميع صناجقه وكان قد أرسل النشان قبل بيوم فرق بن قهوة ثلاثة قناطير، وخمسة قناطير سكر منعاد، وقنطار ماء ورد، وبيعة عنبر،

(١) ٣٠ مارس ١٧٢٤م.

بالليل ويدفعان من اموالهما فالله سبحانه يحسن لهما ويجزينهما جزآء امثالهما، فحملا الى مجلس العدل شهوداً أخر غير دينك وهم القاضى المعين عبد الحكم بن محمد ابن عبد الحكم، والقاضى الاسعد بن مسير، والشيخ الحكيم ابو سعيد بن تمام، فادوا الشهادة بمجلس العدل على ما تضمنه المحضر، وبقوا فى قيد التزكية لان الشهود لم يكونوا عدولا وصاروا فى المدة الطويلة يحضرون

وخمسة مراود ديمى مقصب، ومقطعين خياطة مقصب، وعشر مقاطع برنجك اسطنبولى، ومااية طربوش ومااية خف ومااية صينية فطور وخمسماية زنجرلى مقدم الصداق وعقد العقد وفرق يومها خمسماية محرمة ومنديل، أقل ما فى المحارم تساوى ريال والله أعلم.

وفى ثانى يوم الذى هو يوم السبت سادس عشر رجب[1]. توفى الخواجة محمد داده الشرايبى وكان له مشهدا عظيما لم يتفق لغيره من الخواجات [المغاربة] معه[2]. فأول الجنازة قد دخلت من باب الجامع والنعش فى العتبة الزرقة، ومشى فى جنازته العلماء جميعا والبكرى والصناجق وأختيارية السبع وجاقات، وكان كريما يواسى الناس خيرا. ويسعى فى مصالحهم، وقسم ما له ين أولاده وبين عبدالله بن الخواجة محمد الكبير وبين أبن أحمد أخو عبد الله كما فعل الخواجا الكبير فانه قسم المال ين الدادة وبين عبد الله وأخيه أحمد. وكان المال الذى استلمه الداده وقسمه ستماية كيس والمال الذى قسمه الدادة ين أولاده وبين عبدالله وأبن أخيه وهم قا سم وأحمد ومحمد جربجى وعبد الرحمن والطيب هؤلاء أولاده لصلبه وعبدالله بن الخواجة الكبير وأبن أخيه الذى يقال له ابن المرحوم، ألف وأربعماية وثمانين كيس خلاف وكالة الحمزاوى. وغيرها من الأملاك، وخلاف الرهن الذى تحت يده من البلاد وفايضهم ستون كيسا وفايض البلاد الملك أربعون كيسا. خلاف ثلاثة مراكب ببحر السويس،

(١) ٣١ مارس ١٧٢٤م / كتب عنوان جانبى «أعرف وفاة الخوجا محمد دادة الشرايبى سنة ١١٣٧».
(٢) بالأصل «الخواجا».

شاهداً للتزكية وهم يريدون اربعة لا اثنين كما فعل اولئك. وطالت المدة فسير القاضى [عز الدين بن عبدالسلام] احضر الشيخ السنى من الحبس وقال له: الى متى تتجلد، ان لم تقم بالمبلغ وإلا عاقبتك عقوبة الشرع. قال له: يا مولاى مهما استعملك الله اعمله. قال: ما عملت شيئاً . قال: يامولاى ما يكون. ثم مهله. قال: يومين وثلاثة. قال: الشيخ وخمسة وستة- وكان قايما فقال: يا مولاى ما فى [ما أستطيع أن] اقف: قال اقعد. فقعد ساعة ثم

وخلاف سبعة وكايل وحمايم. كل هذا أحداث الدادة، وأن أصل المال الذى أستلمه الدادة فى حال الاصل سنة ١١١١[1]. من الخواجة لما عجز عن البيع والشرى. وراح سعد الدادة يتلألا تسعين كيسا هكذا شاع فى ذلك العصر. ولما قسم الخواجا المال بين الدادة وبين عبدالله وأخيه بالثلث غضب عبدالله وقال: هو أخ ثالث: فقال أبو عبدالله: والله لا يقسم المال الا مناصفة له النصف ولك ولأخيك النصف. وأن هذا الموجود كله، مكسب الدادة وأنى لما أسلمته المال كان تسعين كيسا وها هو الان ستماية كيس غير ما حدث من البلاد ملكا ورهن. فكان كذلك كما قال. وكان مرتب لعبد الله فى كل يوم ألف نصف فضة ديوانى تحت البشرقة خلاف المصروف والكساوى له ولأولاده وعياله إلى أن مات وقام قاسم ولده محله. وكان محسنا فى حق اولاد البيوت وكان مسعدا فى كل شئ تعاطاه ولقد صدق القايل حيث قال:

لعمر ما الرزية فقد مال ... ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر ... يموت لموته ناس كثير

ولقد رأيت فى بعض التواريخ: أن فى مدة مروان بن الحكم، أن رجلا تاجرا يقال له ابن القصاص. وكان مسعدا فى كل شئ تعاطاه ويوجه الله له الربح الكثير منذ تعاطى التجارة لم يقع له فيها خسارة ولا كساد ولم يخسر طول عمره فى شئ أبدا.

---

(١) ١٦٩٩م

قال: يا مولاى ما اروح الى موضعى. فقال: رح فعاد الى الاعتقال. وبعد ذلك بايام شنع اولئك الرهط فى يوم الجمعة ان القاضى [عز الدين بن عبدالسلام] يخرج السنى ويجرسه.فبلغه ذلك فقلق قلقا عظيما. ومضى رجل نصرانى يعرف بابن الحشا الى القلعة فاعلم الجماعة بذلك فاما الحكيم الرشيد المعروف بابى خليفة فانه اجتمع ببدر الدين اخى الحاجب على فسير جندارين [جنديين] من عنده الى والى مصر يقول له اما

ففى يوم من الأيام صنع لاخواته ومحبيه ضيافة وشكى لهم حاله من كونه لم يخسر فى شئ باعه وقال: أننى أخشى أن يكون لهذا عاقبة سوء فتضرنى فان كل شئ بلغ كماله قرب زواله. فقال له رجل منهم: نشدت خبير. ان كان مرادك تشترى شيئا وتخسر فيه فأنا أرشدك الى شئ تفعله وتخسر فيه وينصرف عنك الذى قايم بك وذلك أن التمر بالبصرة رخيص ويجلب الى الكوفة. فأرسل الى الكوفة عشرة آلاف احمر خذ بها تمرا وأرسلها الى البصرة يبيعوه لك بالخسارة، وقد تخلصت مما تحذره. ففعل كما أمره الرجل وأرسل عشرة آلاف أحمر الى الكوفة فأخذوا له بها تمرا وشاله على جمال الكرى الى البصرة. فلما صار بينهم وبين البصرة يوما، واذا بأهل البصرة خارجين لمقابلة القافلة. يسألوا أهل القافلة هل جئتم بتمر؟ فقالوا لهم: ويلكم والتمر تسألون عنه؟ فقالوا: بان الجراد لم يبق لنا تمرا، حتى الجريد أكله. فباعوا لهم التمر فربح الواحد واحد، فربحت العشرة آلاف مثلها غير ما صرف فى الطريق وأجرة الجمال.

فلما ورد اتباعه بالمال حصل له غم كبير، وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لابد لهذا العز والسعد من زوال. ثم أنه أعرض عن هذا الأمر واشتغل. بما هو فيه من التجارة، فعن له يوم من الأيام أنه فتح دولابا له فى قاعته، وكانت القاعة على بستان فى داره. فوجد فى الدولاب علبة ففتحها فوجد فيها ألف حبة من اللؤلؤ الرطب وكل لؤلؤة تحكم ربع درهم، ووجد عشرة موادن من الزمرد والياقوت الأحمر فأخذ العلبة وجلس على سدلة بجانب

علمت ان مولانا السلطان عز نصره قد عقد
للنصارى مجلساً وانتهى الامر فيه الى الاثبات وقد
احضروا بينهم وهم فى تزكيتها فالله الله لا يمكن
احــدا من هذا الرجل ولا من المواضع. وامــا
المستوفون حرسهم الله فانهم كتبوا رقعة الى مولانا
السلطان عز نصره بصفة الحال وسيروها على يد
استاذ الدار، فخرج امره بان يسير الى الوالى وينكر
عليه الغفلة عن مثل هذا والحذر ثم الحذر ان
يتعرض احد الى هذا الراهب او يحرك فىَ هذه

البستان أفرغ العلبة فى حجرة وجعل يقيها ليجعلها عشرة سبح وهو يصلح فيها واذا بالخدم داخلين عليه منزعجين. فقال : ما الخبر؟ فقالوا: أعوان مروان قد كبسوا البيت. فما ساعه الا أنه حذف ما كان فى حجره من شباك القاعة الى البستان، فهجموا عليه وكتفوه ونهبوا جميع ما فى داره وجميع ما ملكته يده، وأخذوه وقفلوا الدار الى أن اوقفوه بين يدى مروان، فلم يخاطبه سوى أنه أمر بحبسه.

فمكث فى السجن أربعة أشهر. ثم بعد الأربعة أشهر توفى مروان، وتولى ولده عبدالملك بن مروان، فسأل عن من فى حبس أبيه فأخبروه بجماعة من جملتهم ابن القصاص، فقال: على به. فلما أوقفه بين يديه سأله عن سبب حبسه. فقال: لا أعلم لى ذنبا غير أنى أخذت من محلى ونهبت جميع ما فى دارى ولى أربعة أشهر وأنا مسجون؟ فأرسل الى الكتبة وسألهم عن ماله. فقالوا: قد أذهبه والدك ولم يبق سوى داره، فأنعم عليه بها فقط.

فتوجه الى داره فلما دخل لم يكن له التفات الا البستان فدخله فوجد اللؤلؤ قد علاه التراب، فجمعه فرآه كاملا لم يعدم منه شئ ولم يكن عنده شئ سوى ذلك، فجعلها عشرة سبح وباعها بعشرة آلاف أحمر. فما مضى عليه ثلاث سنين حتى عاد المال أكثر مما كان . وقد نقل عنه أنه كان عنده بعض تغافيل.

وأما محمد الداده لم يكن عنده غفلة وكان فهيما وكان على قدر هذا المال والمتاجر والبلاد، لم يتخذ له كاتبا وكان كل شئ بيده فرحم الله تربة ضمته وتجاوز عن سيئاته.

المواضع ساكنا. فمضى جندار اخر عن السلطان بهذا وارتدع اهل العناد الساعون فى الارض بالفساد. واما القاضى [عز الدين بن عبدالسلام] فانه انكر ان يكون هذا خطر بباله او جرى فيه حديث. قال له الوالي: فتكتب خطك بهذا الى السلطان والا راحت روحى. فكتب القاضى رقعة يقول فيها ان النصارى شنعوا عنى ما لم اقله ولا نويته وانما هذا الرجل محبوس على حق شرعى، و سيرت الى مولانا ا لسلطان. فقراها وتركها ولم

وفي يوم السبت سادس عشر رجب[1]. ورد ساعى من ثغر سكندرية بمكاتيب، تخبر أن فى يوم تاريخه ورد الى سكندرية غليونان من غلايين السلطنة. وصحبتهم باكير باشا باشت جدة وصحبته ألف وخمسماية عسكرى من عساكر الروم، وطلب ستماية جمل وأربعماية جواد تحمل عازقة واتباعة، فلما قريت المكاتيب حصل عند أعيان البلد غم بذلك الخبر. ثم أنهم عملوا جمعية فى بيت محمد بيك جركس من بعد العشاء الى نصف الليل على أنهم لا يرتبون مظلمة على البلاد للباشة البرانى، مثل باشت جدة والحبشة فى تسخير جمال الفلاحين وخيلهم لشيل عازقهم. وانما هذا الأمر مخصوص بمن يكون باشة مصر فقط، وأما غيره فلا، وانما يرسل محمد بيك ومحمد بيك الدفتدار ابن سيده وأحمد بيك الأعسر وقاسم بيك الكبير وعمر آغا كتخدا الجاوشية يرسلوا الى بلادهم يخبرهم أنهم يرسلوا يشيلو عازق باكير باشه الى رشيد فكان كذلك. ثم أن جركس ومن كان عنده خوف من طرف السلطنة، حصنوا بيوتهم بالغز، والسلطان حسن والحمودية والمحجر وسبيل المؤمنين والصليبة وباب العزب وباب مستحفظان، وأن جركس وأبن أبى شنب واحمد بيك الأعسر وعمر آغا كتخدا الجاوشية أكروا غزا وأعطوا كل نفر خمسة زنجرلى بقشيش وقرش فى كل يوم لكل واحد، وحصنوا بيوتهم وأصرفوا جملة أموال.

(١) ٣١ مارس ١٧٢٤م.

يجب عنها. وقد كان القاضى قبل هذا جرت له
قضية مع رجل نصرانى سكرى [صانع حلوى]
من اهل منية غمر يقال له مكرم بن محاسن
وذلك ان ولده عبر على مطبخه وكان قايما بغير
زنار وهو يتنابذ [يتشاجر] هو ورجل حلفاوى فشكا
اليه الحلفاوى ان هذا النصرانى ما يفعل [لابد]
يروح معى الى الشرع، ولم يعلم مكرم انه ابن
القاضى. فقال [ابن القاضى] لغلامه: اعبر اخرجه
فتشابط الغلام مع صناع المطبخ فعبر ابن القاضى

وكل هذا من الفزع الحاصل عندهم، والذى يخاف من شئ لابد له من وقوعه والذى له رأس عند الرواس لم يغم البال. هكذا قالت الأفاضل واذا وقع القضى عمى البصر. ثم أنهم كلهم أرسلوا له هدية كبيرة الى رشيد.

ثم أن باكير باشا دخل الى بولاق ثانى عشر شعبان سنة ١١٣٧[١] ونزل بقصر قيطاز بيك المعروف بالمدش. فنزل له كتخدا الوزير وشيخ الاسلام وكتخدا الجاوشية عمر آغا وآغة المتفرقة والترجمان وعمل له أمير الحاج محمد بيك بن اسماعيل بيك سماطا عظيما، وأرسل كتخدا مستحفظان وكتخدا عزبان قابجية الى جميع الوكايل التى بمصر وبولاق أن لا أحد يسكن عنده أحد من جماعة باكير باشا وكل من سكن أحد ترمى رأسه. ثم أن محمد باشا نزل من القلعة الى الأثر وأرسل الى باكير باشا أن يأتيه الى قدم النبى، فنزل باكير باشا فى القايق [المركب] الذى لابن ابراهيم بيك أبو شنب. وكان بأربعة وعشرين مقدافا محلاة بالذهب، وكان قد جاءه من البلاد الرومية، وكانت بنديرته [أعلامه] من الحرير، ثم أنه سار فيها الى أن طلع الى الأثر واجتمعوا مع بعضهم البعض. ثم أن محمد باشا طلع الى القلعة بعد المغرب وأما باكير باشا فانه روح الى بولاق بعد العشاء من البر بالمشاعل الى أن دخل الى القصر. وفى ثانى يوم نصب صيوانه فى وسعة الشيخ فرج بأربعة وعشرين عامودا وثلاث قبب من النحاس

---

(١) ٢٦ أبريل ١٧٢٤م.

الى المطبخ راكبا وضرب الصبى، ووقف مكانه
وسير الى ابيه فركب بنفسه وجآ الى المطبخ وكان
المطبخ الذى عند دار الفاضل مقابل صناعة الثمر،
واخرج هذا المسكين مشحوطا مكشوف الراس
مقطع الثياب واجتمع عليه امم لا تحصى ما منهم
الا من يضربه ويهينه وهو صابر. وبلغ الوالى الخبر
فحضر وقال يحبس حتى يجى امرالسلطان
فحبسه وكتب الى مولانا السلطان بما جرى، فلم
يصبر القاضى حتى يجى جواب السلطان بل قال:

الأصفر المطلى بالذهب البندقى، فوق كل قبة طوخ من أطواخ السلطنة. ثم أنه شال من بولاق الى قبة العزب فى غرة رمضان ونادى لجماعته بالقصر وعينوا له فى كل يوم ثلاثين جملا من الماء العذب.

ثم أنه فى أحدى وعشرين من رمضان[1]. سار الى البركة فمكث فيها ثلاثة أيام وفى خامس عشرين رمضان سافر من البركة وصحبته العرب الى بلاد الحجاز وسافر صحبته خلق كثير من أهل مصر الى مكة المشرفة.

ثم فى ثانى يوم سافر باكير باشة وورد آغا وصحبته قفطان وثلاثة أغربة [مراكب] مشغولة مفروغة وانما يعتازوا التركيب فقط، وللنجارين والقلافطة صحبته وجميع الالات صحبة القبطان. ثم أن الوزير أمر بشيلها جميعا الى السويس وكان كذلك. وأيضا صحبته آغا معه من الديار الرومية بمحلول أحمد كتخدا امين البحرين وعثمان كتخدا الجلالى وولده. وفى خامس عشرين رجب سنة (١١٣٧)[2] ورد خبر من ولاية البهنسة بموت قاسم بيك الصغير.

والسبب فى ذلك: أنه لما نزل فى كشوفية بنى سويف والبهنسة فشق فى الاقليم وكان فى رمضان فرأى رجل من فقراء البهنسة جالسا على تل من تلول البهنسة وهو يشرب فى دخان،

(١) بالأصل فى رمضان / ٣ يونية ١٧٢٤م.
(٢) أضيف الرقم لتوضيح المعنى / ٩ أبريل ١٧٢٤م.

سير لى النصرانى حتى اعمل فيه الواجب. فسيره اليه وقال له: هذا انت تركبه بين هولآء العوام وهو يقتل وما تعلم ما ياتى من السلطان. فاخذه ولم يركبه بل اشهره ما شيا وهو مهان الى ان شق له البلد ومضى به الى مجلس الوالى وهو صابر شاكر وحسب الله اجرا وكان ذا يسار وقدره كبير واقام فى الحبس اياما واخرجه الوالى بعد ان كتب عليه حجة بانه لا يخرج من بيته الا بزنار ولو كان فى حبس القاضى ربما كان عسر خروجه.

فطب [١] عليه حتى وقف بازايه وقال له: ما هذا يا رجل؟ تشرب دخانا فى رمضان يا قليل الأدب فقال له الفقير: جوز فى طريقك، أقام العباد فيما أراد أيش لك عند الفقراء ، كن فى حالك، وخلى الحال يعمل حاله وخلى كل من هو تحت بلوته. فقال لجماعته مدوه، أنا أريك حالك. فأحاطوا به زبانية جهنم ومدوه ونزلوا عليه بالضرب، فالتفت الى قاسم بيك وقال له وهو تحت الضرب: شفاعة ياقاسم، فقال له: ما فيه شفاعة. فقال له الفقير: وأنت الآخر ما فيك شفاعة الله، وأشار بيده نحو الصنجق: واذا بالصنجق انحنى عن قربوص سرجه وزعق بأعلى صوته آه يا قلبى اسيبوه فما سيبوه حتى وقع الصنجق من على جواده الى الأرض وقد خرج من مناخيره نشابا، دم أحمر، فرفعوه عن الأرض فاذا به فارق الدنيا فأخذوه الى الوطاق وغسلوه وكفنوه ولم ينقطع الدم من مناخيره وحلقه.

فلما ورد الخبر الى جركس حصل له غم كبير عليه، ثم أنه أرسل جاء به من البهنسة ودفنه بالقرافة فى خامس شوال سنة ١١٣٧ [٢].

ومن العجايب: أن كل من تولى كشوفية البهنسة وظلم فيها لم يحصل له خير، فانه تولى عبدالله بيك فحصل له ما حصل وتولى بعده محمد بيك ا لمجنون أخو اسماعيل بيك بن

(١) بالأصل «قضيب» والتصويب ليستقيم المعنى.
(٢) ١٧ يونية ١٧٢٤م.

واما ما كان من امر كنيسة بوسرجه فان القاضى لما ابطا عليه الحال ايقن ان النصارى لا ينعمل لهم شي ولا يزكى لهم احد لانه كان قد سك عليهم الدنيا. واى من سمع انه يشهد او يزكى شاهدا سير هدده وتواعده وكانوا المساكين في شدة شديدة ومن اين لهم بمقاومة القاضى [عز الدين بن عبدالسلام] لولا معونة البارى، فسير الى الوالى فى عشية يوم الاربعا رابع بابه [أول أكتوبر] مع رجل من شهوده يقال له ابن زيدان.

ايواظ فحصل له ما حصل، وتولى قاسم بيك هذا فحصل له ما حصل. لأن ظلمهم قد فحش فى العباد خارج البلد وداخلها.

ومن جملة ظلمهم: ان السراجين صاروا يدخلون بيوت التجار فى رمضان بالليل، فما يقوموا من عنده الا أن أخد الواحد اطلسية وشاشا وخمسة زنجرلى.

فلما رأت التجار هذا الأمر فصاروا بدخلون بيوتهم من العصر ويقفلونها ولم يفتحوها ولو جاءهم أعظم ما يكون. وحصل للناس غم كبير من القتل فى السكك.

ومن جملة ما وقع: ان رجلا تاجرا يقال له لطفى النطرونى، وكان ذو مال كثير. وكان قد عجز بصره وهو قاعد فى منزله الذى بالسبع قاعات قريبا من مسجد شرف الدين، والناس فى صلاة التراويح، وهو جالس ينتظر الفقهاء الذين يقرءون عنده فى كل ليلة فى رمضان، واذا هو باثنين من سراجين دخلا عليه وأربعة على الباب وأربعة مسكوا باب الدرب فضربه الاثنان اللذان دخلا عليه بالخناجر فمات وأخذا ما أخذاه وساروا جميعا. وفى ثانى يوم ارسل محمد جركس سراجه محمد السيفى أخذ ما ببيته من نقد وتمسكات وحجج وتقاسيط، وكان والى مصر اذ ذاك أحمد آغا لهلوبة فصار يأخذ على بياض الثوب.

ثم ان جركس عزله من الولاية وعمله آغة مستحفظان، وعزل محمد اغا كتخدا الملة من كخاوية مستحفظان وتولى على جاويش كيل يعنى الاقرع فى ثانى القعدة، كل ذلك والحرس موجود فى البابين والمحلات مرتبطة بالعسكر. ثم أن عسكر الخزينة دخلوا الى مصر ولم يأت

وهو يقول له: اننى اجتمعت بالسلطان وقد رسم لى بان نعمل فى هذين الموضعين [المنزلين] ما اوجبه الشرع. وانتهى ان يساعد هولآء القوم على ما هم بصدده. قال له: الوالى مهما اردتم افعلوا ومكنهم من كل ما يريدون. فبيتوا على الفعلة والمساحى والطوارى وصبحوا من الفجر الى الدار الجوانية هدموا واجهتها وروشن الطبقة التى كان يسكنها القسيس وطلع اصحابنا بالخيبة وكانوا فى هذا النهار اعنى فى يوم الخميس خامس بابه [٢

صنجقها مرجان جوز، و لا سردار مستحفظان أحمد جاويش بل مصطفى كتخدا الشريف باش اختيار مستحفظان.

ثم أنه أشيع فى البلد أن الوزير قتلهما، وفى كل يوم يسمع الانسان خبرا غير الأول، الى أن تحقق أن الوزير حبسهما خلف الأبواب وانقطعت الأخبار عنهما، ثم أن مصطفى كتخدا عن له أن يكتب عرض حال الى حضرة مولانا السلطان صورة شفاعة فى ولده أحمد جاويش، وأراد أن يرسله، واذا بعزلان محمد باشا قد ظهر من جركس.

والسبب فى ذلك أن ديوان السلطان ما بقى أحد من أعيان البلد يطلعه: ولا الدفتدار ولا أحد من الصناجق سوى الرزنمجى والكتبة وبعض من الجاوشية وبعض من المتفرقة مقدار عشر درج وينزلون وأخرموا نظام الديوان. فلما رأى الباشا عدم طلوع الدفتدار والصناجق الى الديوان، أبرز خطا شريفا[١] برفع صنجقيه محمد بيك جركس وأرسل الى كل وجاق من السبعة أوجقة فرمانا، وأرسل فرمانا الى العلماء، وفرمانا الى البكرى، وفرمانا الى سيدى عبد الخالق السادات، وفرمانا الى النقيب، بأن صنجقية جركس[٢] مرفوعة بخط شريف فلا أحد يدخل بيته ولا يجتمع عليه. وكل من دخل بيته أو اجتمع عليه فلا يلومن الا نفسه.

(١) بالأصل «خط شريف».
(٢) كتب بأعلى هامش الصفحة «عونك يا الله».

اكتوبر] واتفق انه خامس ربيع الاخر سنة اربعين وستمايه الهلاليه [١٢٤٢م] قد اخذوا معهم ابن تمام ليوذن لهم لانه كان ابنه كتب عنه باذنه لعجزه عن الكتابة لاجل كبره، ولم يكن روى وجات هذه القضية فكشفت خواطرهم واظلمت ابصارهم حتى من الله تعالى بان السلطان خلد الله ملكه ركب في ذلك اليوم ومضى الى مصر واجتمع به الوالي فقال له ابتداء منه كلاماً ما فهم الا ان يفتتحه ان الوالي حضر الى دار العدل

فلما درى جركس بارسال الفرمانات الى الأوجاقات والى الجماعة، ففى الحال كتب تذاكر وأرسلها الى اختيارية الأوجاقات والى الجماعة على انكم هلبت تحضروا فى هذه الساعة لسؤال ورد جواب. فلما قروا التذاكر اجتمعوا مع بعضهم وقالوا: ما الحكم فى هذا الأمر؟ فقالوا: نروح ننظر سؤاله ونرجع ولا نعود نروح له بعدها. ثم ان اختيارية الوجاقات قاموا من باب مستحفظان وتوجهوا له جميعا. فلما وردوا عليه، اجلسهم وأكرمهم. فقالوا له : فيما أرسلت لنا تطلبنا ، فقال: لسؤال أقل لكم عليه لما تحضر العلماء والبكرى والسادات والنقيب.

ثم أنه[1] أرسل لهم فحضروا، الا سيدى عبد الخالق فانه لم يأت وتعلل بأن مزاجه متغير. فلما حضر الجميع ولم يبق منهم أحد قال لهم: أنتم تعرفون[2] لأى شئ طلبتكم. قالوا: لا. فقال: لأقتلكم جميعا من قبل أن أموت أنا درع لا يركب حجر على حجر بعدى، أو انكم تكونوا معى على الذى أقوله لكم. ثم أنهم رأوا جميع من فى بيته مسلحا بالسلاح الكامل، فقالوا له كلما تريد أحنا معك فيه، ولو كان فيه تلاف أرواحنا. فقال لهم: الباشا اظهر خطا بشيل صنجقى والذى ترفع صنجقيته الموت اهون له من ذلك، وأنا مرادى نزول الباشا، ما تقولون: فقالوا جميعا: نعم، الذى تختاره نحن معك فيه.

ثم انه ابتدى فى كتابة سؤال. وأخذ عليهم خطوط ايديهم جميعا وصورة السؤال: ما

---

(١) بالاصل «أنهم».

(٢) بالأصل «تعرفوا».

واجتمع مع الاكبار الذى فيه سراً وقال ابصروا الى
ساعياً يروح الساعة الى مصر يمسك الهدم ويقول
لهم لا تعملوا شيأ الى ان احضر. واستدعى
النصارى وقال انجزوا اليوم شغلكم فقد رسم
السلطان بذلك. ثم انه لما لم يجد ساعياً يسيره
سير بابنه الشريف الى مصر ركضاً فبطل الهد
وحضر ابن تمام وودى شهادته وجآء الحكيم ابن
الزبير زكاه فى المجلس وجا النبيه العدل الاخر
وزكى ابن عبد الحكم وقويت الانفس وهان الامر

قولكم دام فضلكم فى نايب السلطان؟ اراد فى مملكة سلطانه فسادا من قتل وسلب ونهب وتسليط البعض على البعض وتقوله عليهم بالفتن لأجل قتل بعضهم بعضا. ففطن أهل المملكة بأنه أحكام فتنة، لأجل خراب مملكة السلطان، وقتلهم واخذ أموالهم، فماذا يلزمهم وما يجب عليهم. فأجابه العلماء، بأنه يلزمهم الصلح فيها بينهم ولا يلتفتوا الى فتنة ذلك النايب ويجب عليهم أن ينزلوه لأجل حقن دماء المسلمين ويعرضون أمرهم الى صاحب المملكة يرسل نايبا غيره فأخذ الفتوى منهم. ثم أنه التفت اليهم جميعا وقال لهم: لا تخشوا من شئ. أنا أن مت وآياكم، وان عشت واياكم ما عليكم بأس.

ثم أنه أخذ مثل الذين يعتمد عليهم، مثل رجب كتخدا، ومصطفى كتخدا وابراهيم كتخدا عزبان وبقية جنده. ودخل وأياهم الى داخل وترك الجميع فى المقعد والحوش والحرس عليهم. وباتوا تلك الليلة بالجوع وقلة الغطا، والذى أرسل أحضر من بيته ما يأكله أكل. والذى لم يفعل بات جوعا.

ولقد حلف لى الشيخ محمد الجداوى أن عمره لم يبت بيتة العن من تلك الليلة. وكان بقربهم بيوت راحة المقعد، فعموا تلك الليلة من الرايحة الخبيثة.

ثم أن فى ثانى يوم الذى هو يوم الجمعة عاشر القعدة[١]، أرسل قاسم بيك الكبير الى

(١) ٢١ يولية ١٧٢٤م.

وبقيت الحاجة الى شاهدين اخرين يكملان تزكية بينة المحضر ويثبت، فعادوا الى القاهرة بعد ان استاذنوا الجماعة فى ان تكون تتمة التزكية فى دار القاضى بالقاهرة فانهم ما يجتمعون بدار العدل(*) الا يومى الاثنين والخميس ويتعذر فى هذين اليومين وجود الشهود ويطول الوقت ويتسوف، فاذنوا فى ان تكون تتمة التزكية بدار القاضى بالقاهرة، فعبر الى القاضى بالقاهرة فى بكرة يوم الجمعة السادس من بابه [٣ اكتوبر]

(*) كان الاجتماع للتقاضى (انعقاد المحكمة) لا يتم إلا يومى الاثنين والخميس بدار العدل.

الجبل المقطم بخمسماية خيال وأرسل أحمد بيك الأعسر الى الباشا يقول له: أنت تنزل أو تحارب. فقال: لا بل أنزل، أنظروا لى بيتا أنزل فيه. وأن كان للبلد صاحب يدور عليها. ثم انه نزل فى يومه قبل صلاة الجمعة فى بيت محمد بيك قطامش الذى بقيسون المعروف ببيت محمد آغا الدالى آغة الجملية. ولم ينضرب فيها ببندقية. ولم يخرج جركس من بيته ولا أحد من الذين منحاشين عنده سوى قاسم بيك وأحمد بيك الأعسر.

ثم أن محمد باشا بمجرد نزوله: ذبح سبعة رءوس غنم من أسمن الكباش فداء له لكونه نزل سالما. ثم أن جركس كتب عرضا على موجب الفتوى التى تمسك بها وختم عليها جميع العلماء والبكرية والسبع وجاقات ونقيب الاشراف والسادات والذى كتبه سيدى عبد الخالق ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن.

وصورة العرض: انه اغرى أهل مصر على بعضهم بعضا وانه صنجق [أى أعطى الصنجقية] رجلا لم يكن أهلا للصنجقية ، وأولاه صنجقية الصعيد، وتواطى هو واياه على بيع غلال الحرمين وغلال الفقراء والمساكين، وباع كل أردب بجنزرلى ولم يأخذ تلك السنة من أهالى الحجاز ولا أهالى مصر ولا أردبا واحدا. ومن جملة ما باع من غلال الدشايش والخواسك ثمانية وعشرين ألف أردب. وختم عليه القاضى وأرسله صحبة ستة أنفار، من كل أوجاق واحد ومن الجاوشية والمتفرقة واحد وأرسل مصطفى كتخدا عرض ولده صحبة عرض أهل مصر وأعطى كل واحد منهم مايتين زنجرلى وسافر العرض يوم الجمعة غرة الحجة ختام

شاهد طبيب يعرف بجمال الدين الرازى، زكى ابن
عبد الحكم فكملت تزكيته بشاهدى عدل وبقى
ابن تمام يحتاج الى شاهد اخر لا غير ويثبت
المحضر، وفى وسط نهار يوم الجمعة اشيع بان
القاضى [عز الدين] بن عبد السلم [السلام] عزل
وقوم يقولون انه عزل نفسه لاجل قضية النصارى
وكون حكمه نقص عليه. وفى بكرة يوم السبت
السابع من بابه [٤ اكتوبر] حضر شاهد اخر عدل
فاضل يعرف بجمال الدين عبد المعطى وكان

سنة ١١٣٧[١]. ثم أنه أقام محمد بيك الدفتدار ابن سيده قايم مقام فصار يعمل الديوان فى بيته. ولم يطلع الى الديوان الا فى يوم نزول الجامكية، وهذا لم يقع لغيره من قيامة مقامات التى تقدمت مطلقا.

وأوفى البحر خامس عشرين أبيب وفاء زايدا. وجاء الرخاء، وولى الغلا، ومكث الخليجماية يوم وصارت الغلال فى ساحل بولاق لم يقل لها أحد بكم الأردب بخلاف ما تقدم من السنين.

ثم أن الزمان صفى لجركس بعزلان الباشا وعزل مملوكه محمد آغا الدالى من الولاية. والبسه قفطان الصنجقية فى بيت ابن سيده محمد بيك قايم مقام وسماه بمحمد بيك جركس الصغير، وألبس على آغا مملوك ابن أخى قاسم بيك الصغير صنجقية عمه، وأبقاه على ماله وجواره وبلاده وكان ذلك فى سابع عشر الحجة ختام سنة ١١٣٧[٢]. فسبحان المنعم المتفضل . ثم فى ثانى يوم لاحت من جركس التفاتة فرأى حسن آغا الشبكة كتخدا محمد بيك أمير الحاج ابن اسماعيل بيك الكبير واقفا فى ديوان قايم مقام. فقال لبعض من طوايفه: خذ حسن آغا وأدخله البستان واقتله. فجاءه واحد منهم، وقال له: يا حسن آغا الصنجق يطلبك ليقول لك على سؤال. وكان جركس قد تحول من مجلسه، فذهب حسن آغا صحبة

(١) ١١ أغسطس ١٧٢٤م.

(٢) ٢٧ أغسطس ١٧٢٤م.

خطيب القلعة زمانا وزكى ابن تمام فكمل المحضر. وقويت القضية بان قاضى مصر عزل نفسه عن القضاء واشهد عليه بذلك وكتب به رقعة الى مولانا السلطان ولم يخرج لها جواب. وكان فى هذه الايام قد حدث تغير عجيب وهو انه لما كان فى ليلة السبت اخر توت [٢٧سبتمبر] جات ريح عظيمة حتى قلعت النخل من اصولها وطرحتها الى الارض ووقعت ادر كثيرة ومات تحتها اناس كثيرون. وكانت ليلة عظيمة مزعجة وقد كانت



* رياح عظيمة تخلع النخيل

الرجل الى البستان، واذا بجماعة داخل البستان، فلما رأوه قاموا عليه وقتلوه ودفنوه تحت شجرة فى بستان بيته.

وكان السبب فى قتله ان محمد باشا ليلة نزوله من القلعة كتب عرض حال الى السلطنة ومكتوبا الى باشت غزة، ثم أنه أراد أن يرسل ذلك الى غزة فما أمكنه ذلك من شدة الحرس الذى ملك الطريق (فأرسل انسان اليه، بأن لا يقضى[1] لك هذه المصلحة الا كتخدا الحاج حسن آغا الشبكة لكونه كتخدا الحاج والعرب تحت يديه، فاستحسن هذا الرأى. فكتب تذكرة الى حسن الشبكة، بأن الواصل لك صرتين، واحدة فيها ماية زنجرلى لك، والثانية فيها ماية زنجرلى تنظر رجلا بدويا بمعرفتك تعطيه المابة زنجرلى، والمكتوبين يوصلهما الى باشت غزة. وأرسلها الى الشبكة يوم الخميس بعد المغرب ، فأوصلها المرسال اليه. فأرسل أحضر بدويا واعطاه الصرة التى له والمكاتيب. وأخبره بأن يوصل ذلك الى باشت غزة، فأخذها البدوى وأوصلها الى الباشا. وأخذ رد الجواب ورجع: الى أن جاء الى البساتين قبضوا عليه وفتشوه فوجدوا رد الجواب معه. فسألوه فأخبرهم أن ما أرسله الا حسن آغا الشبكة فأخذوه الى أن أوقفوه قدام جركس، فسأله فأخبره، فأسيب البدوى وتسبب فى قتل الشبكة، وهذا هو السبب والله أعلم.

(١) بالأصل «فأرسله انسان بأن يقضى».

الشمس كسفت من ليلة الجمعة المذكورة من اخر الليل وطلعت منكسفه الا انها لم تظهر منكسفة لانها كانت تحت الشفق ولم تكن مثل السنة الخارجه [السابقة] لان ذلك الكسوف كان عظيما مستغرقا وقت العصر كما تقدم شرحه. وفى نهار السبت السابع من بابه [٤ اكتوبر] تحقق ان القاضى [عز الدين] بن عبدالسلم [السلام] عزل نفسه من الحكم واشهد عليه بذلك شهودا عدة عدولا وبقيت مصر بلا حاكم ولا نايب لان النواب

وفى يوم الخميس ثامن عشرين الحجة (١) أحضر قايم مقام مملوكه رضوان خزنداره وألبسه الصنجقية، وفى غرة محرم الحرام سنة ١١٣٨(٢) ألبس قايم مقام قفطان الصنجقية الى على الحرمجى مملوك جركس، وألبس أيضا أحمد الخزندار مملوك أحمد بيك الأعسر قفطان الصنجقية. وفى ثانى ديوان الذى هو ثالث محرم، ألبس أيضا قفطان الصنجقية الى سليمان آغا جميزة تابع احمد آغا الوكيل،والجميع ألبسهم قايم مقام محمد بيك ابن أبى شنب فى بيته، وهذا أمر لم يحكم لغيره مطلقا. ثم ان قايم مقام أرسل فرمانا الى أحمد آغا لهلوبة آغاة مستحفظان بأنه يركب ويشق البلد وأمره مفوض وحكمه نافد فى الغز والرعية، ويفعل كما كان يفعل على آغا.

وفى يوم الخميس تاسع عشر محرم سنة ١١٣٨(٣). أرسل محمد بيك قايم مقام الى محمد آغا استاذ السنبلاوى رضوان بيك مملوكة، وصحبته ثلاثين سراجا الى بيته فمسكوه، وأخذوه حافيا مكشوف الرأس. ماشيا من بيته الى قصر العينى. فغرقوه فى البحر من بعد ذلك العز ونفاذ الكلمة .

وكان محمد آغا هذا ثانى اختيار فى وجاق المتفرقة.

(٢) ٧ سبتمبر ١٧٢٤م.
(٢٨٣) ٢٦ سبتمبر ١٧٢٤م.
(٣) ٩ سبتمبر ١٧٢٤م.

رفعوا ايديهم بحكم رفع يد مشئيهم. وكان عيد القديس واخس يوم الاحد الشامن من بابه [٥ اكتوبر] الذى هو يوم شهادته. ويوم الثلاثا العاشر منه [٧ اكتوبر] عيد القديس بو سرجه. وكان هذا الذى جرى اية عجيبة لهذين القديسين في عيدهما لانه شي ما كان في قدرة احد من النصارى ان يفعله ولا يقدر عليه. وصار كل احد يقول هذا بسبب النصارى ونيتهم، وكانت اعجوبة ما روى مثلها. ثم ان القسين المقدم ذكرهما جآ الى دار

وفى ثانى يوم أتى محمد آغا أبطال باش أختيارية المتفرقة الى بلده منية هلال[١]. بالشرقية.

وفى يوم الجمعة سابع عشرين محرم ورد ركاب ابن على باشا بزينة الى القاهرة ثلاثة أيام فزينت القاهرة. وسببها أن السلطان ملك قلعة تبريز بالعجم[٢]. وأنها قلعة حصينة كبيرة يسير الراكب فى طولها من الباب الى الباب اثنى عشر ساعة. وتحت تلك قلعة سبعة آلاف قرية تزرع الحنطة والشعير وبها بساتين عديدة. ولم يكن فى قلاع العجم أكبر منها واستشهد فى فتحها اثنى عشر ألفا من عسكر الروم ومات من الارفاض نحو أربعين ألفا. هكذا جاء الخبر صحبة الاغا المعين للزينة.

وأخبر أيضا أن جمرك الحرير الذى يطلع فيها فى كل سنة أربعة آلاف قنطار وأن العسكر مكثت ثلاثة أيام تضرب فيها بالسيف وقد بطل حكم النار.

وفى غرة صفر أوكب ابراهيم بيك الفارسكورى بالاى الخزينة العامرة. وفى يومها ورد قاضى مصر. وله من الأولاد ثلاثة، أحدهم تام وكان اسمه، فايز أحمد أفندى وكان شريفا، وكان قساما عسكريا. والثانى قساما عربيا، والثالث نايب الباب، فأما ولده الكبير. فانه كان قساما

---

(١) منية هلال: احدى قرى، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية، وتعرف حاليا باسم «بنى هلال» وهى من القرى القديمة، محمد رمزى، المصدر السابق، قسم ٢. جـ١، ص ١٤١.

(٢) كتب عنوان جانبى «أعرف ملك قلعة تبريز من أرض العجم على يد السلطان أحمد خان».

العدل فى يوم الخميس الثانى عشر من بابه [٩ اكتوبر] ومعهما المحضر ونسخته التى نقلت منه بامر القاضى لان كان كتب فى المحضر ينقل، فجاء الى دار العدل وسالا القاضى ان يكتب فى المحضر بالثبوت ويسجل عليه بمحضر من الجماعة الذين بدار العدل، فتوقف عن ذلك وقال: محضركم قد ثبت الا ان العجلة ما هى جيدة تمهلوا حتى نبصر ان كان لخصومكم مطعن فى الشهود او حجة يلجون بها . فقال بعض الحاضرين ممن له علم

عسكريا ونقيب أشراف، ونايب الديوان ومحاسبجى، وهذا لم يتفق لأحد من القضاة. وأتى صحبته مكتوب من أحمد جاويش بن مصطفى كتخدا الشريف يخبر والده أنا كنا تسيبنا من الحبس فلما ورد عرض أهل مصر عاودنا الى الحبس ثانيا، فلما أخبر مصطفى كتخدا باش اختيار بهذا الخبر من ولده مرض ثلاثة أيام وتوفى الى رحمة الله تعالى سابع صفر سنة ١١٣٨[١].

وتولى محله عثمان كتخدا باش اختيار الذى ساكن بجامع الماس، وجاءت أخبار الحاج أن العرب تملكت العقبة وأن الحج لم يملك الطلوع إلى السطح. ثم أن الحج شال من البندر نصف الليل صحبة شديد البدوى من وراء العقبة بثلاثة أيام زايدة على المعتاد، وأن الطريق التى سلكوها عسرة ومعطشة. فبلغ الفنجان الماء نصف ريال، والشربة: أخبرنا رجل من الحاج أنه شرب شربة بأربعة زنجرلى. الى أن طلع الحاج على نخل، ودخل الى مصر ثالث عشر صفر سنة ١١٣٨ . وفى ثانى ليلة دخل الحاج كسف القمر. وكان كسوفه تسعين درجة ست ساعات. وكان السبب فى كون العرب ملكت العقبة ومنعتهم من الطلوع ان من العادة ان كل من توجه الى مكة فى غير أيام طلوع الحاج لا يشيله الا عرب العقبة.

فلما سافر باكير باشا شاله شديد وفزاع لأن محمد بيك جركس طرد عرب العقبة، وأرسل

---

(١) ١٥ أكتوبر ١٧٢٥م.

ونباهة: يا سيدنا هولاء ما لهم خصوم انما اوليك
كانوا يقولون ان عندهم شهادة حسبه قالوها وقد
ثبت بضد ما قالوا. فقال: قبيح بالحاكم ان يخرج
خطه بشي ثم ينتقض. وكان كلامه هذا [موجباً]
ثم التفت الى والى مصر وقال له: قل لهولاء ان
محضر النصارى قد ثبت فان كان عندكم حجة
فاتوا بها او مطعن فاظهروه. وانفصل المجلس على
هذا ثم ان جماعة النصارى اجتمعوا ووقفوا تحت
القلعة ثلاثة ايام متوالية اولها يوم السبت الرابع

جاب فزاع وشديد وأمرهم بشيل باكير باشا فأوصلوه الى[1] مكة، ولم رجعوا من شيلهم باش الأزلم محمد آغا اغت مستحفظان سابقا فلما وصل باش الوجه الى العقبة رآها ملآنة بالعرب فلما رأى أنه لا يقدر عليهم رجع[2] الى نخل وأرسل الى مصر أعلم جركس فعين جركس على بيك ابن اخى قاسم بيك . فسافر الى ان اجتمع مع محمد آغا فى نخل، فساروا الى العقبة فما أمكنهم النزول الى البندر. فمكثوا فى سطح العقبة.

فلما وصل الحاج الى القلعة فوجد العرب قد نهبت القلعة وردمت بير ماء وأخذوا مدافع القلعة ووضعوها على أول حلزونها[3] فما بقى أحد يقدر يملكها من كثرة العرب والحصار الذى قد عملته العرب. فأرسل لهم نجابا ينظر أحوالهم،و ما مرادهم، فطلبوا عشرة أكياس. وعشرة احمال قماش، وعشرة أحمال بن . فعمل لهم ألف زنجرلى وأنهم يخلوا له الطريق فأبوا وقالوا: أين يروح هو ؟ فلما حكم محمد بيك أمير الحاج ابن اسماعيل بيك أن قعادهم لم فيه فايدة، أرسل أحضر شديد وفزاع واستشارهم، فأخبروه بهذا الدرب[4]. وأنه يزيد على المعتاد ثلاثة أيام فزعق نفيره على حين غفلة من الليل. وقصد الدرب الذى أشار به شديد

---

(١) مكرر بالأصل.

(٢) بالأصل «نزل» وكتب فى الهامش «رجع» ووضعت أشارة أحلال الكلمة مكان «نزل» من النص.

(٣) بالأصل «حزفها».

(٤) بالأصل «الضرب».

عشر من بابه [١١اكتوبر] ينتظرون ركوب مولانا السلطان خلد الله ملكه فلم يركب يوم السبت ولا يوم الاحد بل انهم كانوا فى كل يوم من اليومين يلقون القاضى بدر الدين قاضى القاهرة فيقول لهم: حقكم قد ثبت وانا أعرف السلطان بذلك.

فلما كان يوم الاثنين السادس عشر من بابه [١٣ اكتوبر] ركب السلطان عز نصره وركب القاضى [عز] بن عبدالسلام واجتمع بالسلطان ويقال انه تضرع واستغفر الله تعالى مما جرى وكان قد

فنزلت العرب من القلعة فنهبت أواخر الحاج وأخذوا تسعة عشر حملا من الأقمشة كانت مع الربايع للتجار وقطعوا نصف الربايع، وهلكت الرجال والجمال وما رجع الى مصر إلا كل طويل العمر واجتمعوا مع على بيك وباش الأزلم فى نخل وباش العقبة ومكثوا ثلاثة أيام، ريحوا فيها أنفسهم وألبهايم. وصاروا الى أن دخلوا الى مصر كما ذكرنا والله أعلم.

وفى يوم الاثنين حادى وعشرين صفر سنة ١١٣٨(١). توفى السيد مصطفى الرفاعى وكان له من العمر مابة وثمانية عشر سنة لأنه ولد سنة ١٠٣٠ وتوفى سنة ١١٣٨.

وفى يوم الخميس رابع عشرين صفر حصل أن أحمد جربجى صاحب عيار سابقا طلع الى الباب.فلما أراد النزول قال له على كتخدا الوقت: لا تروح فان لى بك حاجة فلما انغلق الباب ونزلت الاختيارية، فأمر بحبس أحمد جربجى فى القلعة فحبس.

فلما علم عثمان كتخدا الذى هو باش اختيار بحبس احمد جربجى أرسل له تذكرة يأمره باطلاق أحمد جربجى. فلما جاءته التذكرة ركب ونزل الى بيت قايم مقام وأخذ منه فرمانا بنفيه الى أبى قير، فلما طلع الى الباب نفاه فى الحال من ليلته.

فلما أصبح الصباح اجتمع الاختيارية فى بيت باش اختيار، وأرسلوا احضروا على كتخدا

(١) ٢٩ اكتوبر ١٧٢٤م / كتب عنوان جانبى «آعرف وفاة السيد مصطفى الرفاعى».

تحدث في حقه قاضي نابلس وقبح ان قاضيا مثل
قاضي قضاة مصر يعزل في شهرين. فرسم له
بالعود الى القضا وشرط عليه شروطا على ما ذكر
من سمعها ولم يثبتها. فعاد القاضي جذلا مسروا
وكذلك اصحابه ونزل في يوم الثلاثا صبيحة اليوم
المذكور الى مصر وحكم بعد ان بقيت مصر بغير
حاكم احد عشر يوما الا انه ما اعاد ولا ابدى في
امر الادر التي ادعى انها كانت مساجد، الا انه ما
زال يسير الى شاهد شاهد من شهود محضر

وتشفعوا في رد أحمد جربجي فأبى. فعزروه باللسان. وتكلمت الاوضباشية فقال لهم على كتخدا: أنتم الآن صار لكم كلام لكن أن شاء الله في نظير كلامكم لألبسن عشرين أوضباشا منكم الجزمة لأنكم كثرتم. فقامت عليه جميع الاختيارية وجميع من كان حاضرا في المجلس. ثم أنه قام من المجلس مغضبا فلم أحد أكترثه، وطلع الى الباب، ثم أن باش اختيار منعهم من الطلوع الى الباب فمكثوا ثلاثة أيام لم يطلع الباب أحد منهم، وفي اليوم الرابع أرسلوا جابوا أحمد جاويش الخربطلي الى بيت قايم مقام وألبسوه قفطان الكيخاوية وألبس على كتخدا كرك العزلان، ونزل الى بيته معزولا، وطلع أحمد جاويش الخربطلي الى الباب. وفي ثاني يوم أرسلوا جابوا أحمد جربجي. وكان ذلك في يوم الثلاث اثنين وعشرين صفر سنة ١١٣٨[١].

وفي خامس عشرين صفر ورد ركاب عبد الرحمن بالتسليم الى محمد بيك أبن أبى شنب وأن يكون قايم مقام جن على باشا على ماهو عليه الى حين بحضر، وأن محمد باشا يكون محافظا قلعة جريد محل جن على باشا وصحبته خط شريف الى شيخ الاسلام قاضي مصر والى العلماء والبكرية والسادات وأرباب السجاجيد، بأن يدعوا الى السلطان بالنصر لكون أنه ملك قعة خنجا بالعجم وهي مينة العجم عوضا عن الزينة فدعوا له[٢].

---

(١) ٣٠ أكتوبر ١٧٢٤م.

(٢) كتب عنوان جانبي «اعرف ملك السلطان أحمد خان قلعة خنجا بأرض العجم».

النصارى قوماً بالترهيب وقوم بالترغيب حتى استنزل الجميع عن الشهادة واشهد عليهم بذلك الا ان المحضر قد ثبت وكتب قاضى القاهرة عليه بالثبوت فى دار العدل بعد ان توقف عن الكتابة اياماً وكتب من دار العدل مطالعة فى يوم الخميس التاسع عشر من بابه [١٦ اكتوبر] وترجمها(*) جميع الناظرين بدار العدل على جارى العادة وكان مضمونها: انه ثبت بمجلس الحكم بمصر ان مسجدين كانا من مساجد المسلمين وقد جعلها

(*) لاحظ كلمة ترجمها. فلعل المحضر كان مكتوبا باللغة القبطية.

وفى تاسع عشرين صفر[1]. ورد الخبر من سكندرية بأن على باشا ورد الى سكندرية. فسافر كتخدا الشاويشية وآغة المتفرقة والترجمان وأحمد باش جاويش وكان أبن أحمد كتخدا مناو وباش جاويش العزب والملازمين الى سكندرية يوم الجمعة خامس عشرين صفر. ثم جاءت الأخبار بعد سفرهم من سكندرية أن بعد ورود على باشا ورد غليونان من الديار الرومية وصحبتهما مصطفى آغا جاويش باشت السلطان وصحبته خطوط. وأيضا صحبته محمد بيك مرجان جوز سردار الخزينة وصحبته أصحاب درك أحمد جاويش سردار مستحفظان ابن باش اختيار، وأن أحمد جاويش لم يزل فى حبس السلطان ولم تقبل فيه شفاعة شافع ، والغليون الثانى فيه عسكر السفر الذى كانوا فى العجم وجاءهم الآذن برواحهم الى مصر، وان حمزة بيك والسبعة سردارة فى اسلام بول والست الذين توجهوا بالعرض وأنهم لم يقابلوا ولا كتخدا الوزير وأنما قابلوا كتخدا محمد باشا الذى العرض بسببه، وهو الذى أنزلهم بيته وأخذ لهم الأذن بالرجوع بعد أن حبسوهم فى حبس العين اثنين وعشرين يوما. وان مرجان جوز سبب تعوقه الى الآن أنه سافر الى بلاده وودع أهله وأقاربه وان أحمد جاويش كان قد اسيب. ففى رواح العرض من أبيه رجعوه الى السجن. ولم يبق عنده الا مملوكين لخدمته فقط، ثم انه ورد مصطفى بيك أبن قرا محمد باشا من البر، أغاة القبجية، فأرسل محمد باشا أخذه عنده وأسكنه قريبا من منزله الذى هو فيه.

---

(١) ٦ نوفمبر ١٧٢٤م.

النصارى ادراً للسكن من مدة ثلاث واربعين سنة ثم ثبت محضر تنجزه النصارى بدار العدل العزيزة ان هذين ا لموضعين المدعى انها كانت مساجد ادر وقفت على النصارى من مدة تزيد عن خمسين سنة ومقتضى ذلك ترجيح بينة النصارى مالم يعارضها تجريح الشهود. وبقيت الرقعة مع الحاجب اياماً انتظاراً لان يركب السلطان أويجلس فيعرضها عليه ويتحدث عليها فلم يركب ولم يجلس وطال الامر عليها الى يوم الاثنين الثالث والعشرين من

وفي خامس ربيع أول[١]. ورد آغا من ثغر دمياط وأنزله محمد باشا قريبا من منزله أيضا. وفي عاشر ربيع أول[٢]. ورد خبر الى مصر أنه ورد الى سكندرية غليون ملآن [عسكر] غريب جت. فلما آخبر جركس بهذا الخبر أرسل أتى باغة مستحفظان وقطع له فرمانا من قايم مقام وأمره بأن ينادى به شوارع القاهرة لجميع أهل مصر، أن كل من اسكن غريبا من جنس غريب جت في وكالته أو في بيته يستاهل مايجرى عليه. وكل من قعد بعد ثلاثة أيام يرمى عنقه في الحال، ونادى في بولاق لجميع المراكبية أن كل من حمل غريبا من دمياط أو رشيد الى مصر يشنق على صاريها. وفي خامس عشر ربيع أول سنة ١١٣٨[٣]. شال ابراهيم بيك الفارسكورى بالخزينة من العادلية . وفي يوم الجمعة سابع عشر ربيع أول[٤]. ورد ركاب على باشا الى بولاق. وكانت هذه المرة التي تولى فيها محمد باشا النشنجي أربع سنوات، لم يرخص فيها الغلال مطلقا والغلاء قايم والفتنة لم ترقد، وله من الماثر الأرض التي في السراية.

وكانت مدة محمد بيك في قيامة مقام أربعة أشهر، من عاشر القعدة، الى عشرين ربيع أول سنة ١١٣٨[٥]. والله اعلم.

---

(١) ١١ نوفمبر ١٧٢٤م.

(٢) ١٨ نوفمبر ١٧٢٤م.

(٣) ٢٣ نوفمبر ١٧٢٤م.

(٤) ٢٥ نوفمبر ١٧٢٤م.

(٥) ٢٨ نوفمبر ١٧٢٤م.

بابه [٢٠ اكتوبر] فاجتمع به روسا دار العدل وقالوا ان تاخير عرض هذه الرقعة ضرر علينا وعلى النصارى فانه ربما يبلغ للسلطان ذلك او يكتب اليه الغير فيقول ولأى شئ ما اعلمتمونى فتسيرها الى السلطان فى هذه الساعة على رقعة منك، واملوه ما يكتب فى الرقعة فكتبها بحضورهم وحملها الى مولانا السلطان على يد بعض الخدام فلم يخرج لها جواب. ولازم النصارى الاجتماع والطلوع الى القلعة يوم الثلثا والاربعاء والخميس

٨٩ـ ذكر تولية جن على باشا

وكان رجلا كهلا قدم الى مصر واوكب يوم الثلاث فى أحدى وعشرين ربيع أول سنة ١١٣٨[١]. ولم يركب محمد بيك جركس الالاى وانما قابله فى قصر الحلى ثانى يوم ورد، وألبسه الباشا كرك سمور وألبس من كان صحبته من الصناجق، وكانوا اثنى عشر صنجقا منهم أربعة مماليك وهو. عمر. وعمر. ومحمد بيك جركس الصغير. وعلى الحرمجى. واشراقة سليمان بيك جميزة. لأنه لم يكن مملوكه، وآنما كان مملوك أحمد آغا الوكيل وصحبته الباشا مصطفى آغا جاويش باشة وأغا من أغوات السلطان يقال له عبد الرحمن آغا معين صحبة جاويش باشا.

وكان مركبا عظيما وتوجه اليه محمد باشا الى الحلى ومكث عنده الى المغرب وركب من الحلى بعد المغرب. ودخل من باب الحديد وشق البلد فى الذهاب. بالنوبة خلفه، وفى الاياب بالمشاعل قدامه والنوبة خلفه. ومكثت الأسواق مفتحة الى أن فات من باب زويلة. وكان الناس داخلين الى المساجد لصلاة العشاء وحكم التاريخ قدومه لنصر على باشا بمصر يؤيد. واستبشرت الناس بقدومه.

(١) مدة ولايته: ٢١ ربيع أول ١١٣٨ / ٨ جماد آخر ١١٣٨ هـ ٢٧ نوفمبر ١٧٢٥ / ١١ فبراير ١٧٢٦م.

فلم يركب السلطان، وفي نهار يوم الجمعة هو لا يركب. واستمر على ذلك ولم يقفوا لمولانا السلطان عز نصره، بل ان القاضى بدر الدين قاضى القاهرة كان يقول لهم انا قد قلت لمولانا السلطان ان محضركم قد ثبت ولكن ان قدرتم على زيادة بينة فافعلوا لاجل ان شهودكم قد نزلوا عن الشهادة. وصار الجماعة يدابون في تزكية الشاهدين الذين كتبا لهم فى المحضر اللذين لم يزكيا بعد واحدهما كان ادى فى مجلس العدل

وفى ثاني يوم، الذى هو يوم الخميس ثالث عشرين ربيع أول[١]. عمل ديوانا وهو أول دواوينه فأبرز أربع خطوط شريفه، واحد بغلال الحرمين، والثانى بعشرين ألف أردب غلال جهة ابراهيم بيك أبو شنب. والثالث بمقرره. والرابع بعزلان محمد بيك بن أبى شنب من دفتدارية القاهرة، وتولية أحمد بيك الأعسر ثم بعد قراءة الخطوط افرغ على جميع اختيارية الديوان والسبعة أوجاق وجميع الصناجق والاغوات قفاطين.

وكان جملة القفاطين التى البسها الباشا بالديوان فى ذلك اليوم مايه وسبعين خلعة، وكان مصطفى آغا جاويش باشا صحبت على باشا بالديوان حين قراءة الخطوط. فلما فرغوا من قراءة الخطوط، قام واقفا على حيله ومسك يد أحمد بيك الأعسر وقال له: حضرة مولانا السلطان أرسل لك دفتدارية مصر وجعلك شيخ البلد. فافتح عينيك ، و انه اخبر بأن محمد بيك جركس بيعمل الجمعيات فى بيته ومن هذا اليوم كل من عمل جمعية فى بيته من غير فرمان الوزير لا يلوم الا نفسه وكرر عليه القول ثلاث مرات. ثم أنهم أنصرفوا من الديوان الى منازلهم. ثم أن على باشا فى ثانى يوم نزل الى منزل محمد باشا فمكث الى العصر.

وفى يوم الأحد الذى هو سادس عشرين شهر ربيع أول[٢] عمل ديوانا ثانيا، فلم يطلع محمد بيك بن أبى شنب وكذلك عمر آغا كتخدا الجاوشية مملوك أبى شنب وجعلوا أنفسهم

(١) ٢٩ نوفمبر ١٧٢٥م.

(٢) ٢ ديسمبر ١٧٢٥م.

وهو الاسعد بن ميسر والاخر كتب ولم يود وهو الموفق بن النحـــاس وكـــانوا يريدون انهـم ان لـم يقدروا على تزكية الاثنين فعسى ان يكون احدهما وكان الامر قد عسر لان الناس كانوا يخافون من [عز الدين] ابن عبد السلم [السلام].

وفى هذه المدة وردت الاخبار بان الافرنج خرجوا من يافا وجاوا الى نابلس وقتلوا كل من كان بهـا من مـسلمين ونصارى وهدمـوا الجامع الى الارض

مشوشين، فسأل عنهم فأخبروه بمرضهم وأعلموه بأن الدولة مرادهم تغييره وان يلبس محله مملوكه محمود كاشف الخداوية. وكان المخبر له بذلك القول دفتدار مصر أحمد بيك الأعسر ومحمد بيك أمير الحاج، فأبى على باشا أن يلبسه.

والسبب فى ذلك: ان عمر آغا كتخدا الجاوشية قد أخبر أن الباشا فى مراده ان يعزله من كتخدا الجاوشية ويلبسه قفطان الصنجقية وامارة الحاج. فتوجه الى جركس وأخبره بما سمع، فأجمع رأيهم أنهم يلبسوا محمود كاشف تابع عمر آغا كتخدا الجاوشية، واخلو له بيتا، وفرشوه وأرسلوا له الخدم وارسلوه صحبة أمير الحاج والدفتدارية، وأرسل خلفه الجواد خاليا من غير فارسه فهذا كان السبب.

ثم أن الباشا ألبس مرجان جوز قبطانية السويس. ثم بعد ذلك شرع محمد بيك جركس فى عمايل عزومة الى مصطفى آغا جاويش باشا، فأبى أن يروح إلى عزومته ثم ان أحمد بيك الأعسر عمل عزومة له وركب له بنفسه وعزم عليه. فأجاب وركب معه فلما دخل الى منزل الأعسر رأى جركسا وجميع الصناجق الذين من طرفه جالسين، فقاموا له وأهلوه وبجلوه واجلسوه صدر مكان وهو صاحب الصدر بغير خلاف. ثم أن محمد بيك جركس عتب على مصطفى آغا فى كونه امتنع من عزومته فقال له: أنا ما جيت لأكل عزايم انما جيت[1] لخدمة

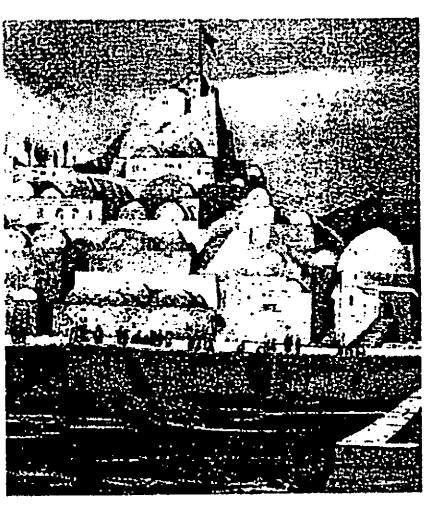
(١) كتب بأعلى هامش الصفحة «منك أطلب المدد».

وحرقوا الاشجار واخربوا الديار. وحكى انهم لما احاطوا بالناس وجمعوهم قالوا من كان نصرانيا ينعزل حتى نخلصه ففرح النصارى بذلك وامتازوا من المسلمين، فلما صاروا عزله عادوا اليهم فقتلوهم اجمعين. واما المسلمون فانهم قتلوا منهم واسروا بعضهم وكان القتل يعم النسوان والولدان والصغار والكبار، واقاموا بها ثلثة ايام ثم عادوا بالسبى والغنايم وكانت فتنة ما روى اشد منها.

مولانا السلطان وأنظر حالكم لأن اخباركم عند السلطان غير محمودة، فأرسلنى السلطان لأتحقق صدق الخبر من كذبه، فرأيت الخبر الذى أخبر به السلطان قيراطا من أربعة وعشرين قراطا ولكن أنا خوفى لم يكن عليك وأنت لم تكن عند السلطنة شيئا وانما خوفى على فقراء مصر يموتون بسببكم . وكان بالمجلس كتخدا محمد باشا . فلما سمعوا ما تكلم به مصطفى جاويش قاموا جميعا له على الاقدام ووقعوا عليه يقبلون يديه وركبتيه وقالوا له: حاش الله ان يكون عندنا مما ذكرت شيئا واننا مطيعين حضرة مولانا السلطان وعنقنا له أرق من الشعر وان الذى سمعه هذا كلام كله زور وبهتان وحسد ومن نكن نحن حتى نخالف مولانا السلطان فى أقواله وأفعاله. والزم نفسه انه فى غد يطلع الى الديوان وانقضى المجلس وقدم له الأعسر جوادا معددا والبسه كرك سمور يساوى ألف زنجرلى وانصرف كل أحد الى منزله. وفى ثانى يوم طلعت الصناجق الا جركسا وابن سيده وعمر أغا كتخدا الجاوشية، وطلع على بيك الهندى تابع ابن ايواظ، فألبسه على باشا قفطانا على نظارة الخاسكية ثم أن الباشا قال لهم: تقدم، أن حضرة السلطان أرسل خطين، واحد بعد واحد. بتلبيس الخاسكية الى على بيك هذا وابن ابراهيم بيك يمنعه من اعطاء الخاسكية له واتصلت أخباره الى السلطان فأرسلنى(١) لأنظر فى احوال بلده.

(١) بالأصل كتبت كلمة فاخبرنى «وشطب على حرفى «فا» رسلنى، فأصبح، التصويب «فأرسلنى».

ورسم السلطان خلد الله ملكه بخروج العساكر الى الشام فخرج زهآء الفى فارس مقدمهم مملوك يقال له شمس الدين سرا سنقر الذى كان استاذ الدار ووصلوا الى غزة واجتمعوا مع العسكر الذى كان هناك. وكان الملك الناصر معهم وصاروا فى عسكر عظيم وتموا ونزلوا على منزلة تسمى العوجا مقابل يافا وراموا حاصر يافا فاستعد الافرنج لذلك واقاموا [مدة] مديده وبعد ذلك سير



* ميناء وحصن يافا

ثم أن على بيك الهندى بعد أن لبس القفطان قال: يا دولتلى وزير أنت تلبسنى القفطان ومحمد بيك جركس لم يعطينى مفاتيح الشونة فقال له: أنزل والمفاتيح تأتيك، ثم أنه أمر آغا من أعوانه أن يأخذ المفاتيح ويسلمها الى على بيك فلما نزلوا له الصناجق اخبروا جركس تلبيس القفطان على الخاسكية، وارسل اغا لأخذ مفاتيح الشونة وتسليمها الى على بيك الهندى فقال جركس: يالله العجب. هذا له ثلاثة أشهر وهو عامل متشوش والآن يعنى طاب وأنه كان راكبا بنحو المايتين نفس والله أن لم يجئ الى منزلى واصطلح أنا واياه لم يشف مفاتيح الشونة بعينه ولو أنها تفى الى أمر الله. ثم أن رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودلى ركبا الاثنان وتوجها الى على بيك واجتمعا عليه وقالوا له: تركب معنا ونصلح بينك وبين جركس لأجل كسر الشر وضمانك علينا أن اصابك شى فبرءوسنا فقال: يا نعم ، يا نعم وأنا حين يقتلنى تطلع تربتى أما أنا والله لا أروح له ولا اجتمع عليه مطلقا وأما كان ضمانكم فانه حكم ضمان مصطفى كتخدا الشريف لما ضمن عبد الله بيك وحط ولده احمد جاويش فى بيته وأخذه لجركس وأرسل جركس للباشا فقتله وأرسل مصطفى كتخدا أخذ ولده من بيت عبدالله بيك، وخلص ابن مصطفى كتخدا ، والله لا أروح له ولا عندى غم منه مطلقا. ثم أنهم قاموا من عنده ولم يركب صحبتهم. ثم أنهم حصنوا جميع المحلات والأماكن بالسلاح والرجال.

السلطان اعز الله نصره الى شمس الدين سرا سنقر المقدم ذكره وامره بان ياخذ العسكر الذى خرج معه ويحضر، فلموا خيامهم وارتحلوا، فلما راى الملك الناصر ذلك حمل ما قدر عليه من قماشه واحرق الباقى ورحل ومضى الى الكرك. واما العسكر الذى بقى هناك وهم الاشراف والصارم المسعود وشمايل ورجال من الحلقه مقدمهم ريحان الصاحبى فانهم رجعوا الى غزه.



* سامريون من نابلس

ومن أعجب ما وقع: ان المراكب التى ورد فيها على باشا، فيها مركب يقال لها قبطانة. وأن قبطانها ورد صحبة الباشا الى مصر وسكن في درب المصنع وصحبته ثلاثون لاوندى[1]. خدام له، فأخبر جركس ان عنده ماية لاوندى فأرسل الصيفى وصحبته عشرة من السراجين. فدخلوا على القبطان فى بيته وأمروه بالخروج كما أمرهم جركس. فما كان من جوابه لهم الا أنه أراد أن يبطش بهم وأمر أتباعه بضربهم، فما ساعهم الا الهروب. ثم أن القبطان ركب جواده وسار الى جركس فلما رآه قام له وأجلسه فقال له القبطان: سفهاؤك يأتون الى بيتى ويتطاولون على فى الكلام ويقولون لى أخرج من هذه الحارة فانها ما تساعك[*] أنت وجماعتك. فقال له جركس: انا الذى أرسلتهم لك لأن هذه الحارة أهلها فقراء وخوافين لأنهم حضروا جماعتك لاوند يشربون الخمر، فخفنا على أهل الحارة من أذية أتباعك، أنهم عمرهم ما سكن عندهم قباطين. لأن القباطين مسكنهم دايما فى التركانة التى ببولاق. فقال له القبطان: محمد بيك: مثل ما أنت صنجق، أنا كذلك باشا بطوخين وهذا الكلام ما يقال لمثلى أن كانت البلد لك وأنت سلطانها سمعنا وأطعنا. وأن كانت البلد للسلطان أحمد تبقى كلامك تخانة وجه والذى يتكلم فى ملكه تخين الوجه أنا رجل السلطان والبلد بلد السلطان. قليل الادب أنت مثلك يرسل لى يأمرنى بالخروج من بيتى؟! ثم أنه فز قايما فركب وسار الى منزله وهذا كله سببه الخوف.

(١) بالأصل «دوندى».

(*) بالاصل «تساعدك».

واما احوال اصحابنا النصارى فما كانوا فيه فانهم اجروا ذكر الشيخ السنى عند مولانا السلطان عز نصره فقال انا اعرفه قولوا للقاضى يخرجه. فكتب صاحب يقال له بدر الدين اخو الحاجب على الى القاضى رقعة يعرفه فيها ان مولانا السلطان رسم بخروج السنى الراهب المعروف بابن الثعبان الذى فى اعتقال الشرع وهذا خطى عند سيدنا بذلك. ومضى بها اليه جندار، وكان يوم الجمعة وكان

ثم ان جركس كتب مراسلات وارسلها الى العلماء بأن لا حد منهم يجتمع على القاضى ولا على الباشا، وان كل من اجتمع عليهما لا يلومن الا نفسه.

وان السبب فى ذلك: ان محمد بيك جركس اخبر أن القاضى أرسل شيخ الاسلام صحبته سؤالا يطلب عليه جوابا من علماء مصر. فجمع العلماء وأبرز لهم السؤال فقراوه مضمون السؤال ما قولكم؟ دام فضلكم؟ فى طايفة من المسلمين تعدوا على طايفة من المسلمين فقاتلوهم وقتلوهم فى حرز السلطان وهم فى محل مأمنكم.. فأجابت العلماء بأنهم يقتلون ولو ولوا مدبرين. فلما أنهم كتبوا على السؤال اخذه القاضى عنده. فلما علم جركس بذلك، أرسل حرج عليهم بعد الاجتماع على القاضى والباشا وأراد أن ينفى الكاتب على الفتوة فما قدر فهذا كان السبب. ثم أن جركس لما رأى الحال رايح يتغير أرسل الى على بيك الهندى صحبة ابراهيم كتخدا العزب يقول له: من يوم عزل محمد باشا جعلت نفسك مريضا الى حين جاء على باشا ركبت وقابلته فى الحلى بمايتى نفس وصرت فى كل يوم تركب فى هذه الطايفة فلابد من أنك تقابلنى وان ما قابلتنى لا تلوم الا نفسك. فأرسل على بيك يقول له: أما ركوبى بهذه الطايفة خوفا من غدرك فأخاف أن تغدرنى كما غدرت بسيدى فى ديوان السلطان محل الأمن. وأن كان ولابد من الاجتماع فيكون فى أحد البيتين، أما بيت عبد

بمـــصــر فـاعــتـذر وقـال حـتى اجـتـمع بمولانا
السلطان. فكتب اليـه رقـعـة ثانيـة وهو يقـول هذا
خــطى وعلى العــهـــدة، فـــابى وقـــال: هذا فى
حبس الله على حق شرعى ما هو فى حبسى حتى
اطلقه. ولم يعد احد يعرف السلطان ان القاضى رد
قـوله. وقـد كـان قـبل ذلك قـد جـرى بين القـاضى
والوالى مـشـاحنة بسـبب هذه القـضـيــة، وهو ان
القاضى سير شهودا الى الموضع الجوانى حتى تجدد

الرحمن بيك، أو بيت قيطاز بيك. وأما قولك لا تلوم الا نفسك فانى جالس فى بيتى وأن كان
فى رأسك فساد فاركب برهطك وخذنى من بيتى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

فلـما ورد عليه الجواب قال: نجتمع فى بيت ابن اسماعيل بيك وهو محمد بيك فلما ورد
الخبـر الى على بـيك، فأبى، وباتوا تلـك الليلة. فلما أصبح صباح يوم الأحد الثالث ربيع
الثـانى سنة ١١٣٨ (٢). وعمل الباشا ديوانا داخل السراية وجمع السبعة أوجاق بحضرة
مصطفى أغا جاويش باشا وعبدالرحمن آغا الذى جاء بالتسليم وأبن قرأ محمد باشا والقبطان
وأبرز خطا شريفا قرأه عليهم متعلق بالسبعة أوجاق، ان الوارد عليكم على باشا وصحبته
خـطوط بجماعة مـن المفسـدين فى السبعة أوجاق. تخرجوا من حقهم وأن لم تفعلوا
بالخـط والا لا تلومـوا الا أنفسـكم. فلما قرى عليـهم قالوا: سمعنا وآطعنا. ثم أن على باشا
التفت اليهم وقال لهم: من كتخدا الوقت اليوم بباب مستحفظان(*) مع معرفته به فأشاروا له
وقـالوا له: هذا وكان أحمد كتخدا الخربطلى فأعطاه مكتوبا وقال له: اقرأ هـذا المكـتوب
على طايفتك وخذ هذا المكتوب من آغا مستحفظان وأعمل بما فيه ولا تخالف فتـندم وخذ

---

(١) كرر بالأصل الاسم واللقب « محمد بيك».
(٢) ٩ ديسمبر ١٧٢٥م.
(*) كرر بالأصل لفظ «اليوم» حذف ليستقيم المعنى والأسلوب.

تحديده، وكان قصدهم ان يدخلوا فيه بما لا كان فيه اولا حتى يستضيفوا اليه مواضع اخرى، فسير اليهم الوالى مقدم ركابه وقال لهم بامر من عملتم هذا وما هذا التحديد بعد التحديد الاول، فجاوا الى القاضى اعلموه فسير القاضى اخذ المقدم المذكور ضربه وحبسه، فسير الوالى أخذ الشاهدين ضربهما وحبسهما، وكتب كل منهما الى السلطان وبقيت بينهما مشاحنة. ولا شك ان السلطان رجح

صورة مكتوب الوزير بعد قراءته على طايفتك وأعطه لباقى الأوجاق يقرونه على نفرهم فى أبوابهم، وبعد ثلاثة أيام تأتونى بالجواب يوم الخميس. ثم أنهم تفرقوا فى أبوابهم.

ثم ان فى اليوم الثالث اطلعوا محمود آغا الصعيدى تابع عمر آغا كتخدا الجاوشية الى الديوان، وألبسه الباشا قفطانا على كتخدا الجاوشية عوضا عن سيده عمر آغا، وأن محمود آغا هذا كان ولدا صغيرا من أولاد ملوى، وكان ابراهيم أبو شنب لما نزل عمر آغا تابعه كاشف على ملوى، رأى هذا الولد محمود، فأخذه وجعله عنده خداما، فرأى الولد عينه مفتوحة فصار يلتفت اليه الى ان عمله كتخدا الجاوشية، فأطلعوه ديوانين والباشا يأبى ان يلبسه الى أن أخذ كشوفية المنصب وألبسه ثالث ديوان.

وفى يوم الأربع رابع عشر ربيع الثانى[1]. عزم ابراهيم أفندى كتخدا عزبان على مصطفى أغا جاويش باشا فى بيته ولم يكن عندهم أحد الا عمر كتخدا الجاوشية وبعض من اختيارية العزب فقط، ولما انفضت العزومة قدم له جوادا معددا والبسه كرك سمور يساوى خمسماية زنجرلى.

ثم ان اختيارية سبعة أوجاقات طلعت الى الباشا يوم الخميس فى الموعد الذى داخل السراية. فلما وقفوا قدامه سألهم وقال لهم: كيف ما فعلتم فى فرمان الوزير ومكتوب آغاة

(١) ٢٠ ديسمبر ١٧٢٥م.

القاضى، فخمن الوالى ومال الى ملاينة القاضى، فاخرج الشاهدين واخرج القاضى المقدم الذى كان حبسه، وبقى الامر على ما هو عليه والجماعة يسعون فى تزكية شاهدين اخرين.

وكان فى هذه السنتين وهى هذه السنة وما قبلها بسنتين قد ظهر فى الفيوم بركة عظيمة وصار فيها من البلطى شى لا يحصى وكان يحمل منه

مستحفظان؟. وجعل خطابه مع أحمد آغا كتخدا الخربطلى، هل قرأتموه على طوايفكم ؟ فقالوا نعم: فقال لهم: ما تقولون ؟ فقالوا: سمعنا وأطعنا لمولانا السلطان فى كل ما يأمر ولو كان فيه هلاك أنفسنا. وان كان هناك خطوط شريفة بكل شئ كان، فانا سميعين مطيعين لمولانا السلطان وللوزير ولجنابكم، خلافا لمولانا السلطان. وان كان عندنا مفسدين أخرجناهم من أوجاقنا وخلصنا من حقهم. فقال لهم الباشا: شكرا لله صنيعكم وهكذا تكون عسكر السلطان وعلى مثلكم، وبكم يشتد ظهر السلطان ولكن تكتبوا لى حجة على هذا القول. فقالوا: نعم . ثم أنه كتب عليهم حجة بما قالوا من خروجهم من حق المفسدين وانفض[1] الديوان. ثم أن فى يوم الثلاث ثامن عشر ربيع الثانى سنة ١١٣٨[2]. طلعت اختيارية السبعة أوجاق الى الوزير وقدموا عرضا من جهة امارة الحاج فقال لهم الوزير أمير الحاج محمد بيك بن اسماعيل بيك ما هو موجود قالوا: نعم ولكن ليس له قدرة على امارة الحاج. فقال لهم: أرسلوا اسالوه ربما يكون له مراد وأنتم تقولون هذه القول من عند أنفسكم.

ثم أن الباشا أرسل كتخداه الى محمد بيك وأخبره بما وقع من اختيارية الوجاقات فصادقه على ما وقع منهم. فرجع الى الباشا وأخبره. فقال الباشا: أرسلوا له. فأرسلوا له. فجاء وسأله فقال له: مولانا الوزير لا طاقة لى. فقال الوزير: نرسل نعرض[3] من جهة امارة الحاج فيرسل

(١) بالأصل «انقض». (٢) ٢٤ ديسمبر ١٧٢٥م.
(٣) بالأصل «كرر» لفظ نرسل حذف ليستقيم الأسلوب والمعنى.

الى مـصـر فى كل يوم حـمله لا يحـصى عـددها حتى ان بعض الاصحاب ذكر انه توجه يوما من القاهرة الى مصر[الفسطاط] فلقى فى طريقه فى تيك [تلك] المسافة ما يزيد عن عشرين حملا هذا خارجا عما يحمل من غير تيك الطريق وما يحمل فى طول النهار وما يباع بمصر والجيزة لانه كان يحمل من الفيوم الى الجيزة على الجمال وله سوق بالجيزة يباع به. وقد ضمن [فرض] السلطان

السلطان يوجه امارة الحاج لمن يريد من أمراء مصر. فقالوا: يروح الوقت منا وتتعطل امور الحاج. فقال الباشا: فكيف العمل؟ فقال أحمد كتخدا الخربطلى دولتلى وزير خدامكم عمر آغا فيه كفاية ولم يعتاز لمساعدة من السلطنة، وبلاد الوقف تكفيه . فقال الوزير: من يضمنه. فقال أحمد كتخدا : هذا رجل لا يعتاز لضمان وأن كنت تطلب ضمانه فبلاده تحت يدك فقال لهم الباشا: أكتبوا عرض حال، بأن محمد بيك لا قدرة له على امارة الحاج، وأن عمر آغا لايق الى الصنجقية وامارة الحاج، وانه لم يعتاز الى مساعدة السلطنة، واكتب عليكم حجة على موجب الغرض، وأنا ألبسه الصنجقية وامارة الحاج ثم انى بعد ذلك ابعث العرض فقالوا له: يا وزير لم يكن عندنا صنجقية خالية من صاحبها فقال لهم فما الحكم؟ قالوا له: مولانا الوزير قدامكم مصطفى بيك تابع القطردار عمى وطرش نتوجه اليه ونرضى خاطره ونأخذها منه لعمر(*) آغا. فقال: أنزلوا افعلوا ما قلتم من كتابة العرض والحجة وتعالوا يوم الأحد وأنا البسه قفطان الصنجقية وامارة الحاج.

ثم أنهم نزلوا من عنده واجتمعوا مع مصطفى بيك القزلار(١) وطلبوا منه سنجقيته، فأبى. فلما كان يوم الأحد طلعوا جميعا الى الديوان وأعطوا الباشا الحجة والعرض ثم انه سألهم عن سنجقية مصطفى بيك فقالوا له: ابى أن يعطيها. فلما سمع الوزير منهم هذا القول قال

(*) بالأصل «عمر».

(١) بالاصل «القزدار».

[على هذا السوق] ستين دينارا، ومن هناك يشتريه الناس ويفرق في البلاد. وكان فيه الكبير واللطيف، واللطيف ما كان يكون وزن البلطية منه اربعة ارطال وتباع كل عشر بلاطي منهم بتسعة دراهم ودون ذلك، واكبر من هذا الوزن بعشرة دراهم العشرة والكبير من اكبر من هذا الوزن بكثير بخمسة عشر درهما العشرة، وكانوا يحضروا فيهم ما يقدر وزن كل بلطية عشرة ارطال

لهم: فما الحكم؟ تعملوه أمير الحاج من غير صنجقية ؟. فقالوا له : مولانا الوزير الأمر امركم. فلما سمع على باشا ما قالوه له فقال: أنا أعطيه صنجقية كيخيتى فقبلوا ذيله، ثم أنه البسه صنجقية كتخداه بقفطان وألبسه كرك سمور على امارة الحاج

وكان ذلك يوم الأحد ثاني عشرين ربيع الثاني سنة ١١٣٨[١]. ونزل الى منزله فكملت جملة الصناجق بعمر آغا أربعة وعشرين صنجقا وما كملت الصناجق أربعة وعشرين أبدا الا في هذه المرة. فاتباع جركس. عمر . وعمر. ومحمد بيك جركس الوالي. المحرمجي. واشراقات على مملوك قاسم الصغير. وسليمان جميزة تابع أحمد أغا الوكيل وعمر أغا تبع عبدالرحمن بيك. هؤلاء اتباعه واشراقاته. وابن سيده محمد بيك. واشراقه رضوان بيك. وهو مملوك محمد جربجي الدفراوى. ومملوك سيده أبو شنب أحمد بيك الأعسر. ومملوكه أحمد بيك. وقبى الضاشه قاسم بيك الكبير، وابراهيم بيك الفارسكورى. هؤلاء الأربعة عشر من بيت أبى شنب مماليكه واشراقاته ومماليك مماليكه وأما البرانيين فهم. محمد بيك بن اسماعيل بيك. وقيطاز الأعور، تابع قيطاز بيك الكبير. وعبد الرحمن تابع حسين آغا استاذ الطالبية. وزين الفقار تابع قانصوه بيك. ومصطفى بيك القطردار. ومحمد بيك مرجان جوز. وابراهيم بيك الوالي. والذى فضل من صناجق ابن ايواظ على بيك الهندى. وعلى بيك الأرمنى . وحمزة بيك المتوجه لسفرة سروان العجم. وأن الكشوفيات والمناصب جميعا على جركس وجماعته.

(١) ٢٨ ديسمبر ١٧٢٥م.

واكثر تباع بدرهم نقره ودون ذلك، وتحققت من
السماك الذى يبيعه بالجيزه ان الذى كان يصل منه
فى كل يوم ماية حمل ويزيد وينقص، وان فى اكثر
الايام يصل مايه وثلثين حمل على كل حمل مايتى
بلطيه يكون العده على هذا الحكم ستة وعشرين
الف بلطية.وكان الناس قد وجدوا به رفقا عظيما
وما كان معظم الناس بقى له اكل سواه ولولاه ما
قدر على اللحم لان اللحم فى هذه الايام قد غلا

واما سبب تلبيس عمر آغا صنجقية كتخدا الباشا: لما أن حصل ما حصل من تلبيس محمود آغا كتخدا الجاوشية اجتمعت الصناجق والسبع أوجاق عند جركس فقال لهم: مرادى أنكم تتوجهوا الى مصطفى بيك وتسلمون عليه وتطلبون منه صنجقيته وله فى نظير ذلك خمسة آلاف زنجرلى يستعين بها على وقته.

فركبت اختيارية السبعة أوجاق واعرضوا عليه ما قاله جركس فأبى. (وقال)(*) كيف ما أبيع صنجقية انعم بها على السلطان؟ والله ما أبيعها ولو بخمسين كيسا ولا يقال على بأنى فشلت وبعت صنجقيتى أبدا، لا يكون هذا الامر أبدا.

فلما ايسوا منه ركبوا وتوجهوا الى جركس وأخبروه بما قال مصطفى بيك فشرع محمد بيك جركس فى عزومة قاضى مصر وولده وقبطان البيليك[1]. ودفتر دار مصر أحمد بيك الأعسر وعمر آغا.

ثم أنه أعرض أمر صنجقية كتخدا الباشا وقال للقاضى: مرادى نتشفع عندك وأنك تتشفع لنا عند حضرة الوزير أن يعطى صنجقية كتخداه الى عمر آغا الى حين تقع له صنجقية محلول وله فى نظير ذلك خمسة آلاف زنجرلى. فقال القاضى: هذا أمر لا يتم الا من يد

(*) الاضافة للتوضيح.

(١) البيليك : نوع من السفن الحربية التى كانت تستعمل فى ذلك العصر. درويش النخيلى، السفن الاسلامية على حروف المعجم، ص ١٨.

غلوا عظيما حتى بلغ الرطل درهمين واكثر مع ان
الاسعار كانت رخيت، وانحط القمح الى ان بلغ
العال فيه الى خمسين درهما الاردب والى دون
ذلك، والشعير الى سبعة عشر درهما وحولها،
والفول مثله. وبيع الخبز خمسة ارطال بدرهم
وثمن، ما خلا اللحم فانه غال جدا. واما البلطى
فما كان ينقطع طول السنة ومن كثرته ما صار
يباع فى السماكين خاصة بل فى ساير الاسواق ولا

مصطفى آغا جاويش باشا. ففى الحال اركب احمد بيك الاعسر الى مصطفى آغا يعزمه، فسار اليه وأركبه وأتى به الى مجلس جركس. ثم أنهم تكلموا فى شأن الصنجقية وله فى نظير ذلك ألف زنجرلى فكان. ثم أنهم أكلوا وركبوا فأفرغ عليه جركس كرك سمور وقدم له جوادا معددا. وكذلك القاضى وابنه والقبطان كل واحد كرك سمور واصطلح مع القبطان. ثم ان مصطفى أغا اخبر الوزير بالذى وقع. فلما كان ثانى يوم ألبسه الصنجقية وامارة الحاج فى يوم واحد فهذا كان السبب وانتهت رياسة مصر الى جركس، وملك ما لم يملكه أحد غيره، واخضع الله له أهل مصر. حتى اذا طلب أمرا لا يخالفه فيه أحدا، ولو كان فيه تلاف أنفسهم وهو جالس فى بيته لم يطلع منه ولا الى صلاة الجمعة.

ومن أعجب ما وقع له: انه طلع يوم السبت الى زيارة الامام الشافعى رضى الله عنه ونزل الى الروضة قبل الظهر، فبمجرد ما سمع بقدوم الباشا الى قصر العينى ركب من الروضة وفات الغداء مع أن الغداء كان بيفرق، فقسم للفقراء والمساكين ففرق عليهم جميعا. وصارت الناس تقول ان شاء الله فى كل يوم يأتى باشا لأجل ما يهرب منه ونأكل شيئا ما أكلناه عمرنا أبدا وصار الناس والفراشة يكبوا ما بقى من الطعام وصار الغز رامحين من الروضة الى أن دخلوا بيوتهم.

وكان يوما لم يكن يقع له نظير مع أن الباشا لم يكن معه خبر منه وانما هو طل على العنبر ولم يطلع الى الخلا بعد ذلك اليوم. وكان جركس اذا طلع الديوان لم يمكث فيه الا

صار السمك يعدم اصلا لاجل وجود هذا البلطى.
الا انه سيم [سئم] لكثره، واكثر الناس ما كانوا رجعوا ياكلونه بل كانوا يتبطرون حتى يقع لهم فرخ او بنيه [حمام] فياكلون منه. ثم تمادى الامر فى امر ادر الكنيسة الى اوايل شهر رمضان من هذه السنة فاجتمع القاضى [عز الدين] ابن عبد السلام بمولانا السلطان اعز الله نصره وقال له: ان هذه المواضع التى يدعى بها النصارى انها املاك

قدر ساعة وينزل ولم يقابل الباشا. وقد ظهر فى مدته الفساد العام والنهب من الأسواق والدكاكين. ونهبت النحاسين، والصاغة، وخان الخليلى،الحريزانية، أخذوا منها أربع ربط كهرمان، كل ربطة نصف أقية. ومن الغورية الشاشات والقطين وكذلك الالماطين والسكرية نهب فى صورة خطف أو صورة شراء تأتى ثلاثة أو أربعة من السراجين يقعدون على دكان التاجر ويطلبون منه ما يريدونه ويأخذونه بلا شئ فاذا تبعهم صاحب الدكان يضربون عليه الطبنجات. فيرجع ويحتسب الله. وهجموا حمام القاضى وحمام قنطرة الأمير حسن وحمام الموسكى. كل ذلك فعل السراجين ولم أحد يقول حاس. وعروا بعضا من الخواجات فى وسط الأسواق، فمن جملتهم الخواجا حسن مرزوق. وكان معه أربعماية وعشرين زنجرلى فأخذوها وأخذوا حوايجه أيضا وقتلوا أربعة أنفار فى جمعة من أعيان الناس، على جلبى الماوردى بالخراطين المعروف بالقرافى وكان بعد العصر، وسليمان جلبى بن حسين جاويش بحارة الروم، وكان بعد الظهر ورجل جندى قطعوه أربع قطع فى الصليبة وأيوب كاشف أتباع الصابنجى فى رأس الجمعية بعد صلاة الجمعة ومسكت الغفراء أربعة أنفار من السراجين وهم يعروا اثنين من الأرمن فى طريق بولاق وصار الناس فى كرب شديد فقفلت البلد يومين وانتقل الخبر الى الباشا.

فأرسل الى آغا مستحفظان يأمره بالركوب وكذلك الوالى، وأمرهم بأنهم كل من رأوه من

وقف عليـــهم قـــد ثبت عندى انهـــا مـــســـاجـــد،
والنصـارى فلم يثبت لهم شئ لان شـهـودهـم نزلوا
عن شـهـادتهم وهؤلاء المسلمـون قـد اشـتـهـوا ان
يجـددوا هذه المسـاجـد في ايام مـولانا. فـقـاله له:
مـهـمـا ثبت في الشرع اعـمل به فنزل الى مـصـر
وسير الى الوالى يقول له قد رسم لى السلطان بان
أهد هذه المواضع واعيـدها كـمـا كـانت مسـاجـد
واريد مـسـاعـدتك وشـدك فـسيـر الوالى الى مـولانا

المعاكسين يقتلوه وكان الاغا إذا ذلك لهلوبة تابع جركس والوالى اسماعيل آغا تابع عبدالله الوالى من اشراقات جركس، فمسكوا بعض أنفار من الذين لا علم لهم بهذا الأمر فقتلوهم ونفوا البعض فلم يفد شيئا.

وزاد الأمر فتعب الناس وكثر الغم واتفق ان رجلا من فقراء الأزهر، كان له ولد فأراد أن يطاهره، وكان عنده من حطام الدنيا عشرة أصحن نحاس وطنجرتين، فأخذ من ذلك سبعة أصحن وطنجرة، وأبقى ثلاثة أصحن وتنجرة[1] وأخذهم هو وزوجته لبيعهم فى النحاسين ويطاهر ابنه. فهو فى الكحكيين بالقرب من قهوة الخرابة واذا بثلاثة معاكيس رأوهم فسألوا (المرأة: هل للبيع)[*] قالت : نعم. فتناول واحد الطنجرة وآخر تناول الصحون.

ثم أن الذى آخذ الطنجرة وسار نحو الباطلية تبعه[2] الرجل. والآخر سار نحو القرابة فتبعته المرأة سحب الطبنجة وضربها والاخر ضرب طبانجة اخرى فما أحد حاشهم. فقفلت الناس الدكاكين وأخذوا الرجل ودخلوا الجامع الأزهر واخبروا العلماء بما وقع. فقال العلماء: نحن وقع علينا التحريج من محمد بيك جركس أننا لا نقابل الباشا فرجعت الناس ولم يفد من شكايتهم الى العلماء شيئا.

---

(١) الطنجرة: أناء من النحاس، يستعمل فى طهو الطعام، وتعرف حاليا باسم «الحلة».
(*) الاضافة للتوضيح.
(١) بالأصل «قبعة».

السلطان عز نصره رقعة فى هذا المعنى فلم يخرج
لها جواب. فجاء القاضى الى المواضع بنفسه ورسم
[افتى] بهدها فهدت لانه ما كان يمنع من ذلك
الا الوالى، فلما لم يجد نفساً من السلطنة تخلى.
وأشار جماعة من الناس بانه ما بقى يفيد الا
الوقوف للسلطان فاجتمع جماعة من النصارى
القسوس والصعيديين ووقفوا مراراً، فوقتا توجد
رقعتهم ووقتا لا يجاوبون، واخر الوقت وكان

ومما وقع فى بركة الأزبكية من سراجين كيل على كتخدا زوج ابنة سيدى أحمد البكرى شيخ السجادة، أنهم أذوا المتسببين فشكوا امرهم الى الشيخ البكرى، فأرسل البكرى الى على كتخدا يخبره بما فعله سراجينه، فتحور الكتخدا وقال للرسل: والله لولا أنك من طرف نسيبى لأذيتك، ثم أن الرجل خرج من عنده ولم يبد جوابا.

فاجتمعنا به فأخبرنا: بأنه قال له قدام السراجين، يا فلان احنا لأجل فلاحين الازبكية نضرب خدامنا وقد ربيناهم حكم أولادنا لأن الواحد منهم يفوت رأسه عندنا واحنا أن لم نراعيهم ونتغافل عن أمورهم والا فروا من عندنا. فما ساعنى الا انى لم أخبر الشيخ ما وقع منه.

واعجب من هذا: ان رجلا مباشرا من جملة مباشرين الأوقاف، وتاجر فى السكر يقال له عبد الرحيم السلمونى وهو ذو مال، فعن له أن يعمل فرحا ليزوج ابنته. فعزم على العلماء يوم الجمعة وعلى الصناجق يوم السبت وكانوا خمسة صناجق محمد بيك بن اسماعيل بيك، ومحمد بيك أبن أبى شنب. وفى ثانى يوم الأحد عزم على القاضى والنقيب. وفى يوم الاثنين (عزم على)[1] اختيارية مستحفظان. فلما مدوا سماط الاختيارية طلب سراجينهم سماطا لانفسهم، فمدوا لهم سماطا كما طلبوا فامتنعوا عن الأكل.

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.

السلطان بالجزيره جاهم بعض الحجاب وقال لهم: قال لكم مولانا السلطان لا ترجعون تقفون فانى لا اسمع لكم كلاماً. وكان القاضى [عز الدين] بن عبدالسلام فى ذلك اليوم قد مضى الى تيك المواضع وهو يردد نظره فيها بعد هدم البعض فجاء اليه الوالى وقال له: يا سيدنا كنت الساعة مع مولانا السلطان عز نصره وقد وقفوا له النصارى فى امر الكنيسة وامر بطردهم فازداد غيظاً وتحزباً

فقال لهم السيد محمد الطحان وكان مهمندار الفرح:ما تأكلون يا أسيادنا؟ فقالوا له: نحن عادتنا لانأكل حتى نأخذها. فقال:وماهى؟ فقالوا:لكل واحد منا ريال كرا،ما نأكل. فأخبر الشيخ عبد الرحيم بما حصل منهم،فأعطى لكل واحد منهم ريالا وكانوا خمسة وعشرين سراجا وصان نفسه من البهدلة. وكان كتخدا الوقت احمد كتخدا الخربطلى، وكانت جميع الكواخى حاضرين،فلم يتكلم أحد منهم، مع علمهم بما حصل ولم يلتفتوا الى كلام المخبر. وفى يوم الثلاث كانت عزومة اختيارية باب العزب فأخذت منه سراجين العزب خمسة وعشرين ريالا، والمتفرقة والجاوشية واختيارية الجملية والتفكجية والجراكسة فى يوم الأربع.

وفى يوم الخميس خامس جماد (أول) سنة ١١٣٨[١] كانت عزومة اغوات دار السعادة لأنهم نظار الاوقاف السلطانية، وهو مباشر أكثر أوقافهم والله أعلم. وفى سابع عشر جماد أول[٢] ورد ركاب أحمد جاويش من الديار الرومية الذى تقدم ذكره، الى أن ورد الى الخانكة. صحبة خيل المنزل فى سبعة وعشرين يوما.

فما ورد الى الخانكة توجه الى بلده أبو زعبل[٣]. فمكث فيها ثلاثة أيام ثم تقدم الى العادلية بعد أن أخذ التقادم من بلده.

(١) الأضافة للتوضيح / ٨ فبراير ١٧٢٦م. (٢) ٢٠ فبراير ١٧٢٦م.

(٣) أبو زعبل : من القرى القديمة التابعة لمركز، شبين القناطر، محافظة القليوبية، محمد رمزى، المصدر السابق، قسم٢ جـ١، ص ٣١.

وامر بهدم المواضع كلها واستضاف لها مواضع اخر، وامتد فى الزقاق فهدم من حايط الكنيسة القبلى الى قمية الزقاق الذى يسلك منه دار القسيس معانى والادر التى هناك ودخل فى هذا الحد ثلثة ادر علوا وسفلا من هذا الدار التى من شرقى الكنيسة وطبقه الشيخ السنى التى كان عمرها فى موضع الفرن العتيق وانتهى الى سفلها الذى كان مطلعاً الى علو الكنيسة ومستخدمات.

ثم ان محمد بيك جركس أرسل له جميع ما يعتاز له المطبخ وصنع له طعاما سماطا لايكاد يوصف، وسارت اليه جميع اختيارية باب مستحفظان ثم أنهم بعد السلام عليه جلسوا على السماط فاكلوا ثم انهم عملوا له الاى عظيما فى يوم الخميس تاسع عشر جماد أول سنة ١١٣٨[١]. وفى عشرين جماد أول، توجه مصطفى جاويش الى بولاق وصحبته القبطان الذى جاء صحبة على باشا يريدون السفر الى الديار الرومية، وصحبتهم عرضين من مصر الى الاعتاب العلية مضمونهما: لم يكن عندنا مفاسيد فى مصر وان المفاسيد الذى كانوا بمصر هلكوا مع جملة من هلك مع ابن ايواظ بيك، والثانى من جهة جركس بأنه مصلح بالبلد ولولا وجوده وقطع ما تقدم من المفاسيد لكانت مصر وأقطاعها خرابا وأن وجوده (فى) مصر كوجود النيل على أرضنا، ينتفع به البار والفاجر، وصحبة مصطفى جاويش ثمانين ألف زنجرلى الى السلطنة وعشرة آلاف زنجرلى الى الوزير وعشرة آلاف مثلها الى[*] اغوات البنات بشير آغا القطردار وأنه مطيع الله والسلطان، ولولا وجوده على الفقراء والمساكين لهلكوا.

وأما مصطفى جاويش والقبطان فأنهم عملوا لهما الايا وركب قدامهما جميع الصناجق والاغوات واخرجوهما بالاى الباشات حتى يدخلون الى مصر، وانهم أعموهما من كثرة ما اعطوا لهما من ذهب فندقلى وبن وسكر وخيل وعدد وفراوى سمور عمرهما مالبساها

(١) ٢٣ يناير ١٧٢٦م.

(*) قدم وأخر.

واستمر الهدم وبقى زقاق الكنيسة لا يسلك من الهدم والردم والطوب والاخشاب، وصار القاضى يتردد كل يوم الى الكنيسة ويقوى جأش اوليك الجماعة الذين كانوا سبب الفتنة المدعين والشهود والمتعصبين. وفى اثناء هذه القضية جاء شخص يقال له ابو الحسن بن مكين القزاز مسلمانى وهو من تيك الجماعة المقدم ذكرهم وهو الذى كان ادعى على الشيخ السنى اولا وعمد الى طاق فى

وأقمشة هندى ومسك وعنبر وعود الى ان بقى الحلى لا ينشق من كثرة الهدايا. ولما دخلوا الى القصر وشربوا القهوة والشربات، وأعطا جركس عرض حال من جهة أمارة الحاج الى عمر بيك، وأن أحمد جاويش بن مصطفى كتخدا باش اختيار كان قد أخبر جركس فى حال وروده أن جميع السدادرة الذين تولوا من مصر تغيروا جميعا بالموت وان منهم سرداره، تغير أربع (مرات)(*) الا محمد جربجى هياتم سردار التفكجية، فانه لم يتغير، وأن حمزة بيك قد مات. والبسوا صنجقيته الى رجل يقال له جعفر آغا، وقد كان سابقا ساعى أيواظ بيك وكانت الهمة له فى لبس الصنجقية ابراهيم باشا، واعطى خطا بجميع بلاد حمزة بيك له وان لا أحد يعارضه لكون أنه اشراق الوزير. وأخذوا منه عوايد الصنجقية وحلوان البلد ستين كيسا، وكان العسكر متهى الى السفر الى مصر وانما المانع لهم من السفر الشتا. وأخبر أيضا أنه أجتمع مع ابراهيم بيك الفارسكورى وانك يا مصطفى آغا تكون مساعدا الى ابراهيم بيك فى سفره الينا فإننا نعتازه فى مصر، وأن أحمد جاويش فى حال خلوصه من السجن لم ينتظر خروج الشتا وأتى فى المراكب لأنه حبس ثلاث مرات. فلما خلص فى المرة الرابعة عدى الى اسكدار وتوجه الى مصر من على البر وقد أخذوا منه خمسة عشر الف زنجرلى قد حطهم عن البازرجان وأخذوا له فرمان خيل المنزل الى مصر. فما أصبح الا بينه وبين مصر أيام. وكان مدة غيابه سنة

(*) بالأصل «تعيرت أربع مرار».

طبـقـة من الطبـاق التى هدمت وهى فى سـور
الكنيسـة وهى من جملة طاقات دايرة فى سورها،
فجاء الى هذه الطاق التى هى الى ناحيـة القبلة
على زعمهم وان كان معها طاقات عديدة فى هذا
الحد الا انه اختص بهذه فكتب فيها الشهادتين التى
لهم بالمغرة وعمل عليها التراب حتى ترى انها
عتيقة والصق عليها قطعة بياض من الذى نقص.
وكانت امراة من السكان تبصره، وبات فى المكان

وأربعة أشهر فى مشقة وعنا واعراض فى كل يوم وحبس وعفو. فلما حصل له العفو فى هذه النوبة وأخذ له البازرجان الفرمان، ما بات الا فى البر الثانى خوفا من الحبس مثل ما عملوا معه فى الأول . فلما سافر سألوا عليه بعد فوجدوه قد سافر منذ أيام والله أعلم.

وفى رابع عشر جماد أول سنة ١١٣٨[١]. أعطى الباشا فرمانا الى أحمد أغا لهلوبة ينادى به فى شوارع مصر القاهرة، لطايفة[٢]. اليهود بأن يلبسوا الطراطير والطواقى الزرق، والنصرانى يلبس القلايق، والافرنج قلايق وبرينطاط، ولا يلبسون جوخ أحمر ولا بوابيج صفر ولا مزوز صفر ولا شخاشين، وكل من خالف ولبس، فللرعايا أخذه منه، وللحكام أن يخرجوا من حقه ولجميع الغربا كل من قعد بعد ثلاثة أيام يقتل ويكون دمه هدرا.

وفى ثانى يوم أرسل محمد بيك جركس أحمد يكن الأعسر وابراهيم أفندى الى كتخدا عزبان الى مصطفى آغا جاويش باشا ببولاق بأن يسافر فأخذ منهم مهلة الى يوم الجمعة لأن مصالحه لم تتم، ولم يكن محمد بيك جركس عنده خبر من الأمر الذى زيدوه عليه، وهو أنه لما طلع جاويش باشا الى بولاق كما تقدم له أنه عمل غما مع على باشا من جهة جركس، لأنه جاويش باشا ما عمل الصلح بينه وبين جركس الا لغرض وتدبير بينه وبين الباشا القديم محمد باشا النشنجى لأنه لما حصل ماحصل من قراءة العرض بقتل المفسدين الذين تقدم

---

(١) ١٨ يناير ١٧٢٦م.

(٢) كررت كلمة «لطايفة» بالأصل.

يحرسه فلما اصبح مضى الى القاضى وقال له ياسيدنا قد ظهر لنا الحق ووجدنا المحراب فيه الشهادتان مكتوبتان من قديم الزمان فجا القاضى وخلق لا تحصى من المسلمين الى ان كان الملح اذا رمى عليهم لا ينزل الى الارض وراى المكان وعمل بذلك محضراً واشهد فيها جماعة من العدول بانه وجد كذا وكذا وسيره الى مولانا السلطان. وحكى ان السلطان عز نصره لما راى ذلك قال هذا الرجل

ذكرهم، وأخذ ما تقدم ذكره من الذهب واصلاح السلطنة عليه. وتوجه الى بولاق جاءه خبر بأن على باشا أراد أن يأخذ الذهب ويخفى الخط، ويموه بالسلطنة، فجعل هذه النكتة ونزل الى بولاق . وكان قد قام على على باشا بهذا السبب حتى ان على باشا قال لمصطفى آغا : والله أقتلك ولم أسلم لك الفلوس توديها أنت، وأنا آخذها ايش لك، أنت فى أحكامى . ثم أنه أجتمع مع جركس وأخذ منه ما تقدم ذكره من الثمانين ألف أحمر التى للسلطنة والعشرين للوزير والقزلار. ونزل الى بولاق متحيرا فيما يصنع فاجتمع مع الباشا القديم وقال له: رايح أدبر لك أمرا يعجز عنه أفلاطون، لكى لا تكون معى. فقال له: افعل. ثم أن مصطفى آغا اجتمع على على بيك الهندى وزين الفقار وقال لهما، هل فيكما قدرة لمكايدة جركس ومحاربته ؟ فقالوا: نعم. ثم أنه أخذ على بيك الهندى وزين الفقار، وكان مخبأ عند على بيك فأخذهما ليلا واجتمعوا على الباشا القديم ودبروا أمره فى الغيب قبل تدبيرهم وقروا الفواتح على قتل جركس ثم أنهم تفرقوا واجتمع على بيك، على الشواربية وقبض منهم ثلاثمائة كيس، وأضافوهم على ما تسلمه جاويش باشا وأرسلوهم الى الباشا القديم، فتسلمهم وأرسل الى الاطراف التى هى خارجة عن طاعة جركس من الأوجاقات السبعة وفرق عليهم الذهب، وربط جميع المحلات بالرجال ولم يشعر أحد من طرف جركس.

والسبب فى ذلك: أن جاويش باشا اجتمع عند الباشا وعلى بيك وخليل أفندى وزين الفقار

من الاولياء ولا ينبغي ان نرادده في شي. وما كان في الارض قضيه اعجب من هذه القضيه ان يكون محالا وتتميما وتعصباً وكل عاقل وشيخ من المسلمين يشهد بان هذا محال وشى ما كان قط وبعد هذا نصر هذه النصرة وتم فيه ما لم يتم فى زمن من الازمان الا ان هذا كان تخليه من البارى سبحانه وعقوبة لاهل هذه الكنيسة التى انا من جملتهم. واما الشيخ السنى فان هذا كان له زيادة

وقالوا: ما الحكم؟ فقالوا : نقتل رجب كتخدا ونملك باب مستحفظان. فقال على بيك الهندى، لا يتم لنا أمر بموت رجب ويتلف نصفنا[1] لأن باب مستحفظان فى يدنا ما خارج عنا الا باب العزب، وبوجود ابراهيم كتخدا فانه يعد بعشرة آلاف واما رجب ومحمد كتخدا الدوادلى ليس لهم عزوة حكم ابراهيم أفندى وكان تدبيرا جيدا من الهندى، ولو لم يمت ابراهيم كتخدا ما كان تم لهم أمر. ثم أنهم جمعوا اثنى عشر رجلا، منهم أبو دفية مصطفى خزندار يوسف بيك الجزار، وهو الفار وابراهيم الاعسر وارسلوهم الى الرميلة. فهم واقفين فى سوق الخيل واذا بابراهيم كتخدا طالع وقدامه الاختيارية ومن جملتهم: يوسف جربجى البركاوى. تابع حسن اغا وكان معه الخبر واذا بابراهيم الخزندار مسك لجام جواده بيمينه وضربه بيساره فأرمى عنقه وكان أعسر. ففرت جميع من بصحبته، فوقع قتيلا وفى دمه هدير[2]، وكان يوم الخميس خامس جماد آخر سنة ١١٣٨[3]. ثم أنه نزل من على جوادة وحز رأسه وأخذها وتوجه نحو باب العزب وعلقها على باب العزب. واما الاختيار الذى كان معه العلم دخل بابه والذى من حزبه فر هاربا نحو داره، فما شعر كتخدا الوقت الا ومحمد بيك الوالى جركس الصغير داخل عليه، فأخبره بما حصل ، ففر جركس هاربا. فما طلع من

---

(١) بالأصل «منصفنا». (٢) بالأصل «هديرا».

(٣) ١٩ يناير ١٧٢٦م/ كتب عنوان جانبى «أعرف واقعة محمد بيك جركس، وجماعته وما وقع لهم».

بر ومضاعفة اجر وشهادة وجهاداً وسبقا لانه لم يكن يستوجب ما جرى له من المحن الا على هذا النوع لا غير. ثم ان القاضى جاء الى الكنيسة [المعلقة] ودخلها واخذ بيده قادوما وصار يهد بيده وهدوا السور الذى كان فيه الطاقات الذى ذكروا ان فيه وجدوا المحراب وليس محراب بل طاق من جملة طاقات عدة وهم كانوا يشهدوا بان هذا المسجد كان ارضيا والبرانى كان معلقاً وهذا

باب العزب واذا بباب العزب قد امتلأ بعلى بيك الهندى وأخو اسماعيل بيك بن ايواظ مصطفى بيك وعلى بيك الأصفر وزين الفقار بيك وعلى بيك الأرمينى وعلى الوزير ومصطفى بيك تابع الدمياطى، ومعهم عسكر لا تكاد توصف دخلوا باب العزب على حين غفله. فلما رأى العسكر الذين فى السلطان حسن هؤلاء الجماعة ملكوا باب العزب ولو الأدبار [١]، وركنوا الى الفرار لأنهم كانوا من طرف ابراهيم كتخدا المقتول. ونزل الباشا المتولى الى باب العزب. وكذلك الباشا القديم، وظهر خليل أفندى وأبو دفيه وجميع الشواربية وجميع الفقارية كأنهم النمل. ثم أن الباشا البس أبو دفية أغاوية مستحفظان وحبس أحمد آغا لهلوبة فى القلعة. وسليمان الأقواسى وأحمد أوضباشا أخو رجب كتخدا نزلوا الى باب العزب، فلم يقبلوهم. فتوجهوا الى بيوتهم يتدارون فيها. ثم أن الباشا البس أغاوية السبعة أوجاقات جميعا. فألبس عبدالله أغا كتخدا الجاوشية وسليمان أفندى أغاوية المتفرقة، والبس حسن أغا الجملية سابقا الصنجقية، وألبس مصطفى أغاة الجملية سابقا تابع بلفيه الصنجقية، وخليل آغا تابع الجزار البسه أغاوية التفكجية، وسليمان آغا البسه أغاوية الجراكسة وابقوا خليل أغا البشلى على ما هو عليه آغة العزب، والبست قفطان الصنجقية الى مصطفى جلبى بن ايواظ أخو اسماعيل بيك، وعلى آغا الأصفر عملوه صنجقا، ومحمد جلبى ابن الجزار عملوه صنجقا

(١) بالأصل «الابدار».

المحراب الذى ادعوا به فى طبقة وكان هذا السور
ينتهى الى اسطوان عرضى فيه ثلاثة هياكل
احدهما وهو الصدرانى على اسم القديس ابو فكتر
والثانى على اسم يوحنا المعمدانى والثالث على
اسم ابينا انبا انطونيوس وهذا الموضع كان موضع
المغطس العتيق الذى غيره الشيخ السنى وجعله فى
كنيسة استافنس، وكانت الكنيسة المذكورة فى
ظهر هذا الاسطوان فهدموا الكنيسة الاخرى

والبسو سليمان آغا تابع درويش بيك الصنجقية، والبسوا زين الفقار قفطان الصنجقية على ماهو عليه لأن جركس أمر محمد باشا النشنجى برفعها عنه، والبسوا الولاية الى حسن جربجى تابع على آغا أغاة مستحفظان.

ثم أن على باشا المتولى أمر بطلوع البيرق الى الرميلة، وأرسل الى سليمان أغا أبو دفية بأن ينزل ينادى جميع العلماء والاشراف وطلبة العلم والعسكر والرعاية، بأن كل من كان طايع الله والسلطان يأتى تحت البيرق النبوى بالرميلة فطلعت الناس جميعا الى الرميلة. ثم ان الباشا ارسل أتى بالعلماء والاشراف والصناجق والاغوات وأعيان العسكر والبكرى والسادات ونقيب الاشراف وقاضى مصر الى باب العزب، والباشتين محمد باشا المعزول وعلى باشا المتولى وأظهر لهم خطا شريفا قراه عليهم بأن محمد جركس يكون باشا بطوخين ويتوجه لمحافظة غزة، فان أبى فعليكم بقتله وقتل ما يكون معينا له، ونهب ماله وهدم بنايه ونهب مال من يكون من طرفه والمعين له بموجب فتوة شيخ الاسلام وأظهرها وخط شريف فيه نحو ثلاثين أية من كتاب الله تعالى وأحاديث شريفة مطابقة الى فتوة شيخ الاسلام. فلما سمعت العلماء الخط والفتوة والأحاديث قالوا جميعا: نرسل نكاتبه. ثم أن الباشا أرسل له قاصدا من خدمة الشرع يأمره بالحضور الى الشرع الشريف وسماع الخط واطاعته الى ما يدعوه السلطان بالتوجه الى غزة وعدم مخالفته، فتوجه القاصد وأظهر له فرمان الوزير فأبى وقال: لا يمكن

وهدمـوا السلم والمطلع والغـوا الموضع البـرانى
بالموضع الجـوانى ولم يبق فى الكنيـسـة سـوى
الاسطوانات الثـلاثة لا غيـر ولم يبق بها فـرن ولا
مستخدم ولابقى احد يصل الى علوها الذى على
الاسطوانين اللذين فى الجـانبين، فـامـا علو تيك
المواضع فانه هد مع سفلها وكان الذى عدم من
الكنيـسـة اربع كنايس وسـبـعـة هيـاكل والفـرن
والمستخدمات والمطلع وخمسة ادر، وبقى النصارى

أن أطلع واقابل هذا الجمهور، وانى قاعد فى بيتى فان قاتلونى قاتلتهم ولا يمكن أنى أطلع من بيتى مطلقا وأرسل لهم القاصد بما قال، فلما توجه القاصد أرسل احضر جميع حزبه. ثم أنه أحضر محمد بيك بن اسماعيل بيك الدفتدار، واحمد بيك الأعسر، واسماعيل آغا الوالى تابع عبدالله آغا الوالى، وعلى آغا الوالى سابقا، وسليمان بيك جميزة وابن سيده محمد بيك ومملوكه رضوان بيك وأحمد افندى الرزنمجى وعلى بيك وقاسم بيك الكبير ومحمد بيك جركس الصغيرى ثم أنه أرسل رضوان بيك وعلى بيك المغلق الى الشيخونتين فملكوا ذلك المحل.

ثم أن الباشا لما رجع له الجواب من جركس ورأى خيل جركس ترمح نحو الشيخونتين التفت الى العلماء وقال لهم: ماتقولون يا موالينا فيما سمعتموه من رد الجواب؟ ومن الذين تعاينونه من خيله وهى ترمح قصادكم؟ فقال: الجميع قد طغى وبغى وتجبر وعصى فأخذ عليهم حجة بعصيانه ومخالفته أمر السلطان وأخذ خطوط أيديهم على الحجة. ثم أنه ركب عشرة مدافع على عربات وجرتهم الخيل وأمر العسكر بنزولهم صحبة المدافع فنزلوا نحو الشيخونتين ليهجموا عليه فى بيته فوجدوا رضوان بيك وعلى بيك المغلق قد حصنوا فى ذلك المكان ليردوا العسكر عن بيت جركس، فضربوهم بالمدافع فتحدروا منهم الى زاوية الخضيرى وأزرقوا بيارقهم هناك.

فى حزن وكأبة لم يروا مثلها من زمان وذلك
على العقلا منهم وذوى الدين والتمييز. وفى اثناء
هذه الشدة مرض البطرك جمعه من الايام وتوفى
فى يوم الثلاثا الرابع عشر من برمهات [١٠
مارس] من هذه السنة الموافق للثامن عشر بالعدد
من شهر رمضان سنة اربعين وستماية بدير الشمع،
وفى الحال جآء بعض النصارى الذى عليهم اسم
النصرانية خاصة وهم عماد الراهب المرشاد المقدم

ثم أن العسكر أفترقت فرقتان: فرقة منهم نزلت على المظفر الى بيت على بيك المغلق فكسروا بابه ودخلوا لنهبه فهم فى النهب. اذا بالصيفى وصحبته ثلاثماية من السراجين والسياس ومقدامهم أبو الشراميط وبايديهم السيوف صلتا فوقعوا فيهم وهم مشغولون بالنهب.

ثم ان جركس وقاسم بيك طلعا على الفرقة الثانية التى عند البيارق بزاوية الخضيرى فكرشوها الى سبيل المؤمنين ووقعت الكسرة على الفرقة التى من طرف الباشا، وأركز جركس بيرقه على سبيل المؤمنين، وقاسم بيك أركز سنجقه على قهوة الظربة، ورجعت البيارق منكسرة والفرقة التى دخلت بيت على بيك مات منها العشرين ورجعوا مكسورين. وقد مات من الفريقين نحو الخمسين نفسا، وبيارق الانكشارية طلعت نحو المحجر وبيارق العزب دخلت بابها ووقع الرصاص على الباشات من داخل المحمودية ومن زين الفقار من السلطان حسن. فلما رأت الصناجق هذا الأمر ركبت العسكر والاغوات وجاويش باشا والقبطان والباشا المتولى والمعزول وهجموا عليهم فردوهم الى الشيخونتين وصارت الكسرة على جركس، ونزلوا هناك وعملوا متاريس على قدم الصليبة وضربوهم بالرصاص وكان جركس قد اخذ منهم خمسة مدافع حين التهوا فى النهب ثم آنهم باتوا طول ليلتهم يرمون عليهم بالنار. وفى ثانى يوم الذى هو يوم الجمعة سادس جماد الثانى سنة ١١٣٨[١]. أمر الباشا أغة مستحفظان أن يشهر

(١) ٩ فبراير ١٧٢٦م.

ذكره والقس سمعان الذى كان كاتب القلاية
وجرى منه ما تقدم ذكره وذكر ان معهم انبا
يوساب اسقف فوه واعلموا الصاحب معين الدين
بن الشيخ بان البطرك توفى وانه خلف جملة مال
فسير احتاط عليه وعلى موجوده جميعه وختم
على الجوسق وهو فيه ميت وبات كذلك فلما كان
ثانى يوم وهو يوم الاربعا سير والى الجيزة وكان

النداء فى القاهرة لجميع العساكر بأن يطلعوا الى باب العزب وكل واحد يأخذ عثمانين تراقى والف ديوانى، فطلعوا وكتبت الباشان الفا وخمسماية رجل، ستماية من الانكشارية واربعماية من العزب وخمسماية من الخمسة أوجاق وأعطوا لكل واحد الف فضة، وجعلوا عليه صارى عسكر زين الفقار بيك. ثم ان زين الفقار هجم بالعسكر على بيت جركس فمنعهم جماعة جركس بالرصاص فرجعوا. فلما رآهم القبطان أرسل أتى بثلاثة مدافع وركبها على قصر يوسف وأرسل الستماية التى كانت وراء المدافع الى بيت جركس وعلى كل ماية مقدم، فعثمان جاويش القزدغلى باش على ماية والمولى على على ماية والدمياطى على ماية وعلى كتخدا ميسه على ماية والمايتان فى قصر يوسف، فصارت النار نازلة على جركس ومقعده وعلى حريمه. فخرج سليمان كتخدا جركس وأخذه قاسم بيك وجماعة من عسكره وهجموا على العسكر واذا برصاصتين[1] من خلف المدافع فكل واحد حطت فى واحد فلفتوا خيلهم وولوا منهزمين الى بيت جركس. فما دخلا الحوش الا وقد وقعا الى الأرض ميتين والمدافع نازلة من قصر يوسف مثل المطر فاهلكت خلقا كثير. ومن جملتهم قاسم بيك وكتخداه سليمان. فما ساع جركس الا الهروب هو وجماعته الذين كانوا عنده فى داره وطلعوا خلفه[2]. وهم :

(١) بالأصل «برصاتين».
(٢) كتب عنوان جانبى «اعرف خروج محمد بيك جركس وجماعته من مصر وفرارهم».

اميرا يقال له شمس الدين الطنبوغا، وكان والى الغربية قبل ذلك مدة طويلة، وسير معه وكيل السلطان وهو كمال الدين بن الفقيه نصر فجآء الى الدير ومعهم شهود واخرجوا الميت بعد ان بات الليلة فى الظلام بغير سراج(*) يقد عليه واثبتوا الموجود. ويقال انهم وجدوا له ستة عشر غفاره عنابى وغيره، واربعين وزره مثمنه، واما من الثياب

(*) يوقد سراج إلى جانب المتوفى حتى موعد دفنه.

احمد أفندى الرزنمجى واغة التفكجية الزنانى ومحمد بيك جركس الصغير وأحمد بيك الأعسر وابن سيده محمد بيك وعمر الصغير بيك وعمر امير الحاج وعلى بيك المغلق وابراهيم كتخدا ابو شنب وابراهيم بيك والوالى والنظامى والصيفى وبعض من الاتباع. وطلعوا من بيته فى مقابلته لسليمان اغا، فضربه جركس بالسيف.فأهدل كتفه ولم يكن الرجل قاصدا له وطلع الى مصر القديمة فلم يجد مراكب لأن اخصامه نادوا لجميع المراكبية بأن الذين فى بولاق يعدوا ذلك البر والمراكب التى فى مصر تعدى الجيزة، وأنهم لم يعدوا احدا الى ذلك البر فلما لم يروا المراكب ساروا الى معدية الخبيرى فعدوا الى ذلك البر، الى ان طلعوا كرداسة وانقطع خبرهم.

ثم أن العسكر هجمت على بيت محمد بيك جركس وقاسم بيك وأحمد بيك الأعسر وجركس الصغير وقاسم بيك وابن أبى شنب والصيفى وعمر بيك وعلى بيك ورضوان بيك والنظامى ولم يبقوا بيتا ينسب لجركس الا ونهبوه. وقد وجدوا فى بيت قاسم بيك ومحمد جركس وعبد الرحمن النظامى شيئا لا يكاد يوصف من نحاس وفرش وبن وسكر ومبسطاريات جوخ لا تعد . ومن الغنم فى بيت جركس نحو الفا رأس ومن الحرير نحو الف قنطار، فما جاء وقت العصر حتى لم يبق فى هذه البيوت ولا مسمار فى خشبة ولا خشبه فى

والعمايم والسراويلات والبلاريات (*) والعراضى والجحور(*) التى للبدلة التى تكون على الرأس فشى كثير الا اننى ما تحققت عدته، وذكر لى بعض الجماعة ان عدة السراويلات اربعون والعهدة عليه، ووجد له على ما ذكر ست عشرة علبة حلواء وقد زنخت وساس بعضها، وست قروات تمرا عتيقا وغير ذلك مما يجرى مجراه، فاحتاطوا

(*) البلاريات: جمع بلينة وهى عباية كنيسة.

(*) الجحور: صحتها الحجور، وهى الثياب. أو الغطاء للرأس.

- -

حايط(١). وكنت واقفا على مسطبة الجنينة بعد العصر وقد فرغ النهب والهد حتى أخذوا المكعب النفيس الذى هو من الجنينة الى المقعد، واذا باغة مستحفظان سليمان آغا أبو دفية دخل الى البيت فطرد الناس وكانوا متفرجين، وأما النهابون فقد فرغوا منه وذهبوا لغيره. ثم أنه قفل الباب البرانى ولم يبق من الأبواب غيره، وكان جركس مكث أربع سنين يعمر فيه فخرب منه ضحوة الى بعد العصر، وكانت تلك القاعات والجناين والكشكات والقصور (كأن)(٢) لم تكن أبدا وبقيت هى والأرض شئ واحد، وكذلك جميع البيوت نهبت وخربت حتى بيت أبى شنب نهب وخرب منه شئ قليل.

ثم أن اختيارية باب مستحفظان أرسلت تطلب رجب كتخدا من بيته فأبى أن يطلع، فأرسلوا له محمد جاويش الداودلى وعلى كتخدا ميسه وعمر كتخدا البرلى. فلما رآهم اكرمهم وركب صحبتهم الى أن جاء الى سويقة العزى الى بيت سليمان كتخدا الخربطلى

(١) كتب بالهامش: كما قال الشاعر:

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا. ... صروف الليالى والجدود العواثر

(٢) الاضافة لتوضيح المعنى.

على الجميع واثبتوا مع اوانى الكنايس وكساويها التى كانت عنده والكتب التى كانت له وللكنايس وكانت كتبا لها قيمة لانها كانت منتخبة مثمنة.

ثم قالوا لابن اخيه ابى سعيد ولوكيله وخازنه وكان صبيا يعرف بابى الفرج بن خلبوصى البنا: اين المال؟ قال: ما نعلم شيا. فتشدد الامير عليهما. فقال له ابن اخى البطرك: انا رجل غريب ما كنت

باش اختيار فدخل فيه هو ومحمد جاويش الداودلى ودخلوا فى عرض سليمان كتخدا، فأبقاهم عنده وأرسل جماعة من عنده تحرس بيوتهم من نهب الرعية. ثم ان الباشتين ومصطفى آغا جاويش باشا قعدوا فى باب العزب وجاءتهم اختيارية السبعة أوجاق قابلوا على باش المتولى ومحمد باش المعزول وهنوهما بالسلامة، وجاء أمير الحاج محمد بيك بن اسماعيل بيك الدفتدار وهنته العسكر بالسلامة الذى خلص من يد جركس، لأن أراد قتله فهرب. واسماعيل آغا كاشف قليوب ومصطفى آغا آغة المتفرقة سابقا هربوا لأنهم كانوا محبوسين عند جركس وكان مراده قتلهم. فلما هرب لم يفتكرهم لأن بيته أخذ فى أقل من عشرة درج، ثم أنهم أحضروا سليمان بيك جميزة وعزره الوزير وشال صنجقيته وعفى عنه. ثم أنهم فتشوا على محمود آغا كتخدا الجاوشية تابع عمر بيك أمير الحاج الذى تقدم ذكره ثم ان الباشتين تفرقا الى محلاتهما وتفرقت العسكر والعلماء وجميع أرباب السجاجيد.

ومن أعجب العجاب: ان فى حال خروج جركس من باب قناطر السباع غيمت السماء وأمطرت فى الحال. ثم أن على باشا عين تجريدة خلف الفارين وعدوا الى الجيزة. وكان هروبهم من مصر يوم السبت سابع جماد آخر سنة ١١٣٨[(١)] ولم يعاين الا يوما واحدا فقط وهو يوم الجمعة وما جاء عصر يوم السبت حتى لم يبق فى مصر من جماعته أحد، والذى لم

(١) ١٠ فبراير ١٧٢٦م.

عند القوم هذا الخازن والمتصرف. قال له الامير: المال والا عصرت اصداغك فى هذه الساعة فدخل الى موضع اخرج منه من تحت بلاطة الف دينار وكسوراً واخرج من الدراهم النقره والسواد، ما ذكر ان الجميع تناهز الفى دينار فاخذوا المبلغ في حرمدان [مفرش أو طرحة] حسن الصنعة له قيمة وختموا على المواضع وتوجهوا واخذوا معهم ابن اخى البطرك مع الاساقفة الذين كانوا حاضرين

يهرب توارى ولم يتوار الا ما قل حتى هجعت القضية سافر خفية. فسبحان المعز المذل، بغى فأخذه الله ببغيه[1]. ثم أنهم أرسلوا لشيل القتلى الذين فى بيت جركس فرأوا من جملة القتلى قاسم بيك الكبير، فأخذوه وغسلوه فى الحوض المرصود فى الرميلة. فبعد عزلان محمد باشا النشنجي أخرجوه ودفنوه بالقرب من سيده، وكانت النهاية أخذت زوجته وولده الصغير فلقيهم شعبان أفندى كاتب كبير عزبان فخلصهما من يد من أخذهما وأعطاه عشرين زنجرلي.

فانظر يا أخي الى فعل ربك: وكان عنده ماية كيس مضبوطة وكان أو عدة قاسم الشرايبي أن يدفعهما له مماعليه فلم يتملك أن يدفعها له، فنهبت من جملة النهب.

وأما عمر بيك الكبير مملوكه فانه كان فى كشف المنوفية، وعلى بيك المحرمجى مملوك

(١) كتب بالهامش «وكان يقال ثلاثة من لم ينزلها منزلتها، ويرعى لها حقها أسرعت مفارقته، والتحول عن قربه وهي : الملوك: العلماء، والنعم، وقال الامام محمد بن ادريس الشافعي، رضى الله عنه:

اذا ظالم استحسن الظلم مذهبا	ولج عتوا فى قبيح أكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها	ستبدى له ما لم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متجبرا	ترى النجم يتيها تحت ظل ركابه
معمى ضليل فى غفلاته	أناخت صروف الحادثات ببابه
فأصبح لامال له ولا جاه يرتجى	ولا حسنات تلتقى فى كتابه

وهم: انبا يوساب اسقف فوه، واسقف بوتيج والسندوبى وولده، وانبا بمين اسقف اطفيح، وجماعة من القسوس والشمامسة وجمع كبير من الشعب. وجنزوه على جارى العادة. وقيل ان رايحته تغيرت حتى انهم كانوا يرشون عليه ماء الورد لتزول الرايحة الكريهة عن الناس ودفن فى عشية يوم الاربعا الخامس عشر من برمهات

جركس كان قد أرسله حوالة على جميع بلاده وأقطع له على كل بلد خمسين زنجرلى فالذى ضبطه ستين كيسا وهرب بها الى يومنا هذا. ثم أن الشواربية ملكت مراتبهم بعد الذل الذى كانوا فيه، والفقارية بعد الخوف ثم أنهم أرسلوا الى غيطاز بيك الصغير وعبد الرحمن بيك ومحمد آغا أبطال، فأتوا بهم من اقليم الشرقية، لأن جركس كان قد أعطى غيطاز كشف الشرقية وأمره أن لا يأتى الى مصر ولو فرغت مدته ونفى عبدالرحمن الى بلده الوجلة(*) ونفى أبطال الى بلده وارسلوا الى رضوان آغا اتوابه من رشيد، ومحمد آغا الكور أتوابه من دمياط وأرسلوا أتوا بجميع المنفيين فظهروا كالنمل فى جمعتهم. ثم أن فى ثانى يوم الذى هو ثامن جماد آخر[1]. أرسل مصطفى آغا جاويش باشا جميع الصناجق والاغوات والبكرية والسادات ونقيب الاشراف والعلماء ومن كل وجاق اختيارين وأمرهم أن يطلعوا الى على باشا ويأمروه بالنزول من القلعة. وأن يولوا محمد باشا النشنجى ثانى مرة. فأبوا، وقالوا: لا قدرة لنا على هذا الأمر الا بأمر سلطانى، فأبرز لهم فى الحال خطا سلطانيا بالتفويض فى كل ما يفعله، ولا أحد يعارضه، وأن أمره من أمرى وفعله من فعلى، وقرى الخط بالمجلس فقال الحاضرون، سمعنا وأطعنا ولكن نتمسك عليه بأى شئ، فقال لهم: قولوا له أنت الذى اعطاك مولانا خطا شريفا

(*) الوجلة: من القرى القديمة، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية، محمد رمزى، المصدر السابق، جـ١، ص ١٤١.

(١) ١١ فبراير ١٧٢٦م.

[١١ مارس] في القاعة التي كان عمرها بدير الشمع وعاد الناس الى مواضعهم. فاما ابن اخى البطرك وابو الفرج الخازن فانهما لما وصلا الى الصاحب معين الدين أمر بتسليمها الى المجاهد سليمان والى مصر وقال له تسلم منى هذين واريد منك عشرين الف دينار مما كان يقال له ومما كان يخشى في اسماعه. فا خذهما الوالي وحبسهما

بباشوية محمد بيك جركس وانك ترسله الى غزة ومكثت هذه المدة ولم تظهره لنا، فما أنت الا خاين السلطنة ومرادك هتك سترنا عند السلطان، وخيانتنا، وهذا أمر مضر بنا جميعا ولا نرضى به فأنت معزول قم فأنزل. ثم أنهم قاموا من مجلس جاويش باشا وطلعوا لعلى باشا وفعلوا ما أمرهم به مصطفى آغا، فقال لهم، لم يكن في وسعى أن أظهر الخط في ذلك الوقت للنار التي كانت قايمة فم يفده شيئا، وأنزلوه في يومه. وهو ثامن جماد آخر سنة ١١٣٨، وأسكنوه في بيت قاسم بيك الصغير بالمظفر وكانت مدته سبعة وسبعين يوما والله سبحانه وتعال أعلم.

٩٠.ذكر تولية محمد باشا النشنجي ثانيا

وفي يوم الأحد حادى عشر جماد آخر سنة ١١٣٨[١]. توجه مصطفى آغا جاويش الى منزل محمد باشا الوالي اغاة الجملية، وأرسل جمع الصناجق والاغوات والسبع أوجاق والعلماء والاشراف والبكرية والسادات، وقرأ عليهم الخط الذى صحبته بالتفويض فأجابوا بالسمع والطاعة. ثم أنهم في الحال أخذوا محمد باشا وأطلعوا الى القلعة، وكان الوقت بعد الظهر، وعملوا له الآيا عظيما من بيته، وركب قدامه جميع الصناجق والاغوات واختيارية السبع بلوكات الى القلعة وكان يوما عظيما يعد.

(١) مدة ولايته: ١١ جماد ١١٣٨ / ١١ محرم ١١٤١ هـ - ١٥ فبراير ١٧٢٦ / ١٧ أغسطس ١٧٢٨م.

وضيق عليهما واما رهبان الدير فان الوالى سير
اليهم احضرهم اليه ووكل عليهم وتركهم عنده.
وبقى الدير بلا قداس ولا صلاة، وباب القاعة التى
البطرك مدفون فيها مغلق وكان جماعة يريدون ان
يزوروه فلا يجدون سبيلا.ثم ان مولانا السلطان
اعز ا لله نصره رسم بان يعقد جسر الى الجيزة
فاخذت المراكب التى كانت على بحر الجزيرة
[الروضه] نقلت الى الناحية الاخرى من الغرب

ثم أنه فى يوم الثلاثاء الثالث عشر جماد آخر سنة ١١٣٨[١]. عمل ديوانا عظيما طلع فيه جميع الصناجق والاغوات وجميع أختيارية السبع اوجاق. ثم أنه البس قيطاز بيك الأعور قفطانا على أمارة الحاج وألبس على بيك الهندى قفطانا على دفتدارية مصر، وألبس عبد الله أفندى الرزنمجى قفطانا على رزنمجية الديوان عوضا عن أحمد أفندى أبن التذكرجى الذى هرب صحبة جركس، وألبس زين الفقار قفطانا على مشيخة البلد، وقسم الباشا مناصب مصر قسمين على موجب القوانين القديمة. نصفها الى الشواربية جماعة ابن ايواظ، ونصفها الى الفقارية، والدفتدارية على الفقارية، وصار وجاق الانكشارية طرف زين الفقار، والعزب طرف على بيك الهندى، ودمر بيت أبى شنب وسبب تدميره محمد بيك جركس ومحمد بيك بن سيده وكان ذلك فى الكتاب مسطورا.

ثم أن جميع اختيارية السبعة أوجاق أخرجت الذين من طرف جركس أو (من)[٢] كان يميل الى طرفه، فالبعض نفوه والبعض قتلوه والبعض ابقوه. ثم أن عثمان جاويش القردغلى تشفع فى أحمد أغا لهلوبة وفى رجب كتخدا وفى محمد جاويش تابع على كتخدا الداودلى فانزلوهم الى بيوتهم، ونزل آغا مستحفظان سليمان آغا أبو دفية نادى فى البلد بالأمان، وان لا أحد يظلم أحدا ولا يأخذ من أحد شيئا بالقهر. ثم أن محمد باشا أخبره أعيان جماعة جركس

(١) ١٦ فبراير ١٣٢٦م.

(٢) الاضافة لتوضيح المعنى.

(*) بناء الجسر بين الجيزة وجزيرة الروضة وتعميرهما بالعسكر والأسواق والعماير.

وعقد الجسر من الجزيرة [الروضه] الى الجيزة(*) ومشى الناس عليه وكانت الطريق قد مشت من مصر الى الجزيرة فى البر من جانب الجزيرة [الروضه] الاخرى [الشرقى] على جارى عادتها فى كل سنة. ورسم السلطان عز نصره ان ينتقل من كل سوق قوم الى الجيزة ويقيموا بها لان قصده ان يعمرها. وقيل انه قاس لعمارتها مقدار اسكندريه طولا وعرضا. ورسم بأن ينقل الشوانى

بأن جركس أرسل أحضر القنصل ليلا، وأعطاهماية خمسة وعشرين ألف زنجرلى فى خمسة غلايات أمانة عنده وأخذ عليه حجة بذلك: فأرسل اليه الوزير، فلما حضر سأله عما سمع فقال: نعم ولكن آخذ عليك حجة وخذ المال أو أقتل الرجل وأعطى فرمانا بوصول المال اليك أو يأتنى خط شريف بطلبه وأنا أسلم المال له. فقال له الوزير: يكون خيرا وأمره بالنزول. وأن جملة من هرب صحبة جركس الى الجزاير ستة صناجق. جركس الصغير. وأحمد بيك الأعسر. ومملوكه أحمد بيك. وعمر بيك الذى عمله صنجقا، وأمير الحاج، ولم يقسم له نصيب فى السفر، وعمر بيك الكبير. لحقهم فى البحيرة. ونحوا أربعين من المماليك والاتباع والزناتى ومحمود آغا كتخدا الجاوشية وأبو الشراميط عدوا ولحقوهم على درنة. وكانت مدة صنجقية عمر كتخدا الجاوشية وامارة الحاج أحد وأربعين يوما، وكان صاحب مال عريض. فلما اجتمعوا على الركب الجزيرى [الجزائرى] يوم الخميس، وكان هروب جركس يوم السبت، وكان جاء الخبر الى الوزير، بأن جركس والفارين سافروا صحبة الركب الجزيرى، فأرسل عشر أغوات بفرمانين الى عرب البحيرة أحدهما خطابا لهم بأنهم يركبوا صحبة الأغا الى البيه شيخ ركب الجزاير ويعطونه الفرمان الذى صحبته. فركبوا صحبة الاغا وسافروا الى ركب الجزاير فأدركوهم وقد خرجوا من حكم العثمنلى، فاجتمعوا بهم واعرضوا عليهم الفرمان فقرى عليهم بمجلس عام. فاذا مكتوب فيه أن جماعة المفسدين خرجوا على

الى بر الجيزه وتعمر هناك وان تعمر الامرآء لهم هناك ادراً [منازل] ليكون مقام السلطان فى قلعة الجزيره [الروضه] والامرآء فى الجيزه. ونقل اصناف عماير المراكب الحربية والنيلية من صناعة مصر الى صناعة اختطها بالجزيرة. وكان العمل مستمراً بالجزيرة وطلعت ابراجها الشرقية وشرعوا فى الابراج والابدان الشرقية. وكان قد طلع فى بحر الجزيرة جزيرتان كبيرتان فامر بقطعهما ونقل

السلطان وبغوا وحاربوا وخرقوا حرمته وفروا، فجاءنا الخبر بأنهم جاءوكم ووقعوا فى عرضكم فلا تحموهم وتخالفوا السلطان وتخرقوا ناموس السلطنة، وانكم تسلموهم الى الاغا والعرب يأتون بهم الينا والحذر من المخالفة. فلما قرى البيه الفرمان على من كان صحبته من أهل طرابلس والجزاير فلم يلتفتوا الى الفرمان ولا الى الاغا ولا الى العرب، وقالوا: نحن لم نكن تحت حكمكم ولا حكم أهل مصر ولو جاءنا الباشا بنفسه لم نسلم فى أحد منهم. ثم أنه دق طبله وسافر، ورجعت الاغوات وأخبروا الوزير بأنهم رأوا جركس. بعينهم وسافر جركس وجماعته صحبة الركب الطرابلسى والجزيرى والله أعلم.

وأما الصيفى فانه سافر الى اسكندرية واختفى عند اللاوند الى أن ينزل القبطان وأرغبه بالفين زنجرلى ، وسافر الى أن دخل الديار الرومية، فمكث فيها مدة فأخبر الوزير بأن القبطان قد أخذه من مصر الى الديار الرومية وهربه، فأتى به وسأله، فأنكر فقتله.

وأما على بيك المغلق ابن اخو قاسم بيك الصغير فانه هرب هو أحمد أفندى الرزنمجى الى وردان(*). فعلم بهما مصطفى قايم مقام الطرانة، فركب ومسكهما فقطع رأس على بيك وأرسلها الى مصر وأرسل صحبتها أحمد أفندى بالحياة فأدخلوه بيت على بيك الهندى دفتدار

(*) بالأصل «ويعطويه».

(*) وردان : أحدى قرى، مركز امبابة محافظة الجيزة، محمد رمزى، جـ٣، ص ٦٥.

ترابهما فى المراكب الى بر الجيزة وردمه هناك لانه
كان غرق فى ذلك البر مراكب وكان قصده بذلك
كله ان يتوكا [يتوقى = يحمى] البحر [النيل]
على الجانب الشرقى فتبقى تحت الجزيرة من الشرق
شتاء وصيفاً وربما يستمر فى خليج القاهرة. ورسم
بابتياع الابقار والاستكثار منها فابتيع واحضر من
الابقار ما يناهز الف وخمس ماية راس ورتبت فى
العمل فى بر مصر بالجراريف من دار الملك الى فم

مصر، وهو راكب على حمار والحديد فوق رجليه، فأمر على بيك بتوديته الى زين الفقار بيك فقال أحمد أفندى: يا بيك فك هذا الحديد من رجلى وركبنى جوادا. فقال على بيك: لو تركتمونا كنا ركبناكم ولو رحمتمونا كنا رحمناكم، خذوه بهذه الحالة واعرضوه على زين الفقار بيك فأخذوه وأعرضوه عليه فقال: خذوه وأعرضوه على الوزير. وكان يوم ديوان وهو يوم الخميس ثانى (عشر) جماد الثانى سنة ١١٣٨[١]. وكان أمر به الى كيخيته فبات تلك الليلة عنده. ثم فى ثانى يوم أرسل كتخدا مستحفظان أخذه عنده وأودعه فى القلة الى أن يظهر أحد من الذين داخل القاهرة ولم يخرجو منها، والذين لم يخرجوا من القاهرة، أبن أبى شنب. ومحمد بيك. ومملوكه رضوان بيك. وعمر بيك الصغير، وعلى بيك المحرمجى. وعبدالرحمن النظامى. وأما سليمان بيك جميزة. فان سليمان آغا ابو دفية رفيقه شفع فيه وشالوا صنجقيته كما تقدم. وسليمان كتخدا جركس مات صحبة قاسم بيك كما تقدم وتبددت جميع دولتهم وطوايفهم، وقد كانوا ثلاثة عشر صنجقا فتفرق شملهم فى يوم واحد ولم ير لهم أثر، وكل من ظهر قطعوا رأسه كما فعل الرشيد بدولة البرامكة، فعل محمد باشا النشنجى بدولة ابراهيم أبو شنب، وسبب ذلك جركس وابن سيده محمد بيك، و قد كانوا سموه بمحمد بيك البرص. ثم أنهم بنوا جامع السلطان حسن الثانى الذى من الرميلة، ونزل آغا مستحفظان

---

(١) ١٥ فبراير ١٧٢٦م، الاضافة من النص.

الخليج. ونقل سوق الغلات والعلافين اصحاب
المقاعد الذين كانوا على الساحل وادر الاملاك التى
تباع فيها البطيخ والفقوس والخيار وما يجرى
مجراها الى الكوم الاحمر قبلى مصر، ما خلا دار
الاملاك الى الجيزة لما عزم على حفر هذه المواضع.
ثم انه رسم تخلى كنيسة الجزيرة وجامع المقياس
ويخرج [يطرد] من بهما وكان بالكنيسة رجل
قسيس كبير السن ضعيف البصر يسمى إفرهام

وسليمان آغا ابو دفية نادى فى القاهرة بفرمان الوزير، وكل من خبا أحدا من الهربانين ولم يخبر عنه ويظهر عنده، يكون بخراب داره وهلاك نفسه وكل من دل عليه فله أربعين عثمانى على بساط السلطنة.

وفى يوم الجمعة الذى هو ثالث عشر جماد الثانى سنة ١١٣٨[1]. أرسل آغا مستحفظان لجميع البنايين والفعلة بأن يحضروا يوم السبت الى بيت محمد بيك جركس يهدموه الى الأرض، وأن يجعلوه ساحة لينظر أن كان فى الأرض شئ مدفون من المال، فلم يجدوا فى الأرض شيئا، وأنما وجدوا فى ساقية البيت التى تجاه المقعد أربع صناديق، فأخذها الاغا المعين من طرف الباشا لأن الباشا عين آغا بعشرين آغا من الدلاة لنقض الخشب والأحجار والطوب والأعمدة. وأما الأربع صناديق التى أرسلها الاغا للباشا لم يعلم أحد ما فيها.

وقد أخبرت: ان جملة الخشب الذى أخذه جركس من الخشابة بستين كيسا ولم يدفع من ذلك الدرهم الفرد. ومن جملة ما أخذ من الخواجا يوسف القط الذى ببولاق من الخشب بثمانية وعشرين كيسا بوصلات، فلما فرغ مغلقة من الخشب صار يتردد عليه فى كل يوم ويطلب منه، فلما ضجر منه أرسل الى خزنداره فجاءه الخواجا واعمل حسابه وأعطيه حقه و لم تدعه يقابلنى بعدم اليوم ثم أن الخزندار أخذه وأخذ الكاتب النصرانى وصار الى أن أدخله

(١) ١٦ فبراير ١٧٢٦م.

وكان له في الكنيسة المذكور ستين سنة فاخرج منها وسمر بابها، واخرج ابن ابى الرداد من جامع المقياس. ولم يعلم السبب في ذلك فقوم قالوا ان السلطان يريد ان يعمل من جانب الكنيسة طريقا الى الابراج التى عملها على المقياس وقوم يقولون انه كره تخطى الناس على باب داره وبقى الحال على هذا. وكانت اسعار الغلة قد انحطت وتوطت. وكان النصارى فى مصر فى ضايقة من قبل

الى داخل الدار للداخل من البيت وقال للنصرانى: أعمل حسابه. فأخرج الوصلات وحسبوها فوجدوها ثمانية وعشرين كيسا وسبعة آلاف نصف فضة فأخذ الخزندار الوصلات وصار يتشوف نحو الباب فظهر للخواجا عين الغدر[1] فقال للخازندار: ماذا تريد؟ فقال له: أريد قتلك؟ فان الصنجق ما عنده فلوس وأنت رجل ما تستحى، وفى كل يوم تقف قدامه مثل الناطور، فزعل منك فقال لى ليلة أمس إذا جاء الخشاب أعمل حسابه وخذ منه الوصلات وأقتله وها أنا قد أخذت الوصلات وأنى أرسل أحضر القواسة ليقتلوك. فقال يوسف الخواجا: وأنت تدخل فى دمى وتكون القاتل لى على شئ لم يدخل جهتك ولكن الوصلات معك قد أخذتها ولم يبق لى شئ اعتمد عليه وأطالب الصنجق به فقال له الخزندار: فان كان ولابد فأعطنى تمسكا بأن حقك وصلك بالتمام فقال له: لك ذلك. ثم أنه كتب له تمسكا بأنه

(١) كتب بالهامش «ومن كلام سيدنا وهب رحمه الله فى حق سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام:

قضى الله أمرا وجف القلم	وقد قضى ربنا ما ظلم
وفى الأمر ما خال عن أمره	وفى الحكم ما جاء فيما حكم
إذا تم أمرا بدأ نقصه	وعما قليل إذا قيل تم
سليمان جاءت له نملة	تعاتبه عن عساكر القدم
إذا كنت فى نعمة فارعها	فإن المعاصى تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الاله	فإن الاله سريع النقم
فكم ملك عاش فى نعمة	ولم يدر بالموت حتى هجم

القـاضى حـتى انه كلف الناس انه من كـان ثوبه ابيض يحـمل زناره ازرق او اسـود او لونا يخـالف الابيض وان كـان ثوبه اسوداً او ازرق فيكون زناره ابيض واخذ جماعة بذلك، وكان العوام اشد على الناس من هذه الامور كلهـا. ولم يكن فى القـاهرة شئ من هذا اصلا.و كان قد جرى لليهود(*) فـى هذه المدة قضية عجيبة لانهم كانوا بلا ريس وكان

(*) من أحوال رجـال الدين اليـهود فى مصر فى هذا الوقت.

وصله جميع ما كان جهة الصنجق من ثمن الأخشاب وغيرها، ولم يتأخر له عنده شئ قل ولاجل من أول الزمان الخ، وختمه واعطاه له وخرج ينفض غبار الموت من على رأسه، ثم أنه راح الى بولاق فلم يمكث الا سبعة عشر يوما وتوفى الى رحمة الله تعالى.

هكذا أخبرنا بنفسه حين توجهنا لعيادته: وقد أشيع هذا الأمر وهذه خصلة من جملة خصاله وكان قد أوصل بيته الى بركة الفيل وقد أخذ نحو العشرين بيتا. ومن جملة ما أخذه بيت شعبان آغا وبيت المحتسب وبيت النفرية، وقد مكث أربع سنوات يعمر، فيه وأخذ بيت عبد اللطيف أفندى الرزنمجى وأخذ حارة النفرية بجميع بيوتها وأدخل جميع ذلك فى بيته.

ولقد دخلت يوم الهدم فرأيت نحو ثلاثماية فاعل يهدمون فيه وهم يضحكون يلعبون ويقولون: بنيناك لا أجرة والحمدلله هدمناك باجرة [1]. وكان فى حين بناء البيت جميع الفعلة والبنا يشتغلون بلا أجرة، فهربت الناس من فعلة وبنايين ونجارين، وصارت أتباعه تجرهم بالضرب والقتل.

---

(١) كتب بالهامش وقال بن سعيد رحمه الله.

لا تشمت عدوى أن عثرت فقد ... يكبو الجواد وينبو الصارم عن الذكر
هـذا الطـرف تـرى تأثـره أبـدا ... ولا يعـاب بـه شـمس ولا قمـر

وقال عدى بن زيد:

أيـها الشـامت المعير بالدهـر ... أنت المـــوه المـوقـور
مـن رأيت المنـون خلفى لا من ... عـليه مـن أن ينضـام فقير

فيهم قوم متعنفين يعرفون باولاد الفارق فى دقنه، وكـانوا يسـعـون فى الرياسـة فـاتفق ان اثنين منهم وهم الكبار من الاخـوة حـضـروا للكنيس التى لهم فى سبت من السبوت فطلعا الى المنبر وقرآ العشر الكلمـات التى فى التـوراة (*) وكـــان هناك من اليـهـود من يشناهمـا [يشنع عليـهمـا] فـمـضى الى والى مـصـر وقـال له ان السلطان خلد الله ملكه رسـم ان لا يـكون ريس لليـهود الا بعد ان يقوم

(*) هى الوصايا العشر.

ثم ان المعمار جمع أرباب الصناعة الى تحت قلمه والفعلة،و جعل على كل واحد شغل يومين فى الجمعة وباقيها عند غيره، وأما شيل التراب والطين والجبس والجير والحجر فكان يأخذ ذلك بالتجرة، القنطار بمايتين فيبيعوه بستين نصفا، ولم يخلص من يده الا الدهانين فقط، وهذا شئ فاق فيه شغل السلطنة لأن شغل السلطنة بنصف الأجرة وقد نفع الجيارين والجباسين بغلو الجير والجبس تعويضا لهم عن شغله لأن الجبس كان بخمسة عشر نصف فضة الأردب فأمرهم أن يبيعوه باثنين وعشرين، وكان الجير بخمسة أنصاف القنطار فأذن لهم أن يبيعوه بثمانية أنصاف وصار يأخذ الجبس والجير بلا ثمن . وأن الباشا قد انزل من فوق المقعد أربعة صوارى [أعمدة]، كل صار يلف عليه أحضان رجلين، وان الأغا المعين على هدم البيت أرسل الى الغيطانية وأمرهم بشراء الأشجار التى فى الجنينة وكان زمن نقل الأشجار فصارت الغيطانية تشترى من الأغا بثمن ويبيعوا بثمن، لأنه كان فيه نحو المابة نخلة ما بين رشيدى وتمرة عامر وأشجار عنب ليس له نظير، وترنج ونارنج ولم يبقوا الا عشرة أشجار نخل ونبق عتيق. وشجرة كابلى، وأما النخلة التى أتته من ألواح بسبعة عشر رأسا فانها ماتت. وقد أحدث محمد باشا ديوانا فوق العرقانية وبناه من حجر بيت جركس، وطوبة وخشبه ونشر الأعمدة ورخمه بها ورخم الحمام منها ومكث يعمر فيه خمسة أشهر حتى أتمه فى أحسن حال. ولم فرغ من بنايه باع باقى الخشب والحجر والطوب وأعطى الأراضى لأصحابها خالية

بالــف دينار لبــيــت المال و[ها]هو ان اثنان من
اولاد الفــارق فى دقنه قد سرقا الرياسـة وطلعا الى
المنبــر وقــرا مــا كــان يقــراوه الريــس ولــم يــزنا
[يــدفعــا] شــيــاً. فــســيــر الوالــى احــضــرهــمــا
واخــذ علــيــهــمــا الشــهــادة فــانهــمــا قــرآ العــشــر
الكلمــات، فــو كل علــيــهــمــا وسيــر أعلم مــولانا
السلطان، فخرج اليه الامر بان يحبسهما حتّى يزنا

عن البنا وقلع باب البيت البرانى وشاله على الجمال الى العقبة، لأن محمد بيك جركس كان أرسل الى عرب العقبة بأنهم يقطعوا الطريق على الحاج كما تقدم فما تمكنوا الا بحرق باب القلعة.

فلما جاء الخبر الى الباشا كان يهدم بيته، ففك الباب وأرسله وأرسل صحبته المعلمين فوضعوه على باب القلعة فجاء محكم.

وقد اخبرنى بعض (من)[1] تزوج من جواره: ان جركس قبل هروبه طلع الى الحريم وفرق عليهم صندوقا من الذهب الفندقلى ونزل بعشر صناديق كسرها، وصار يحط كل ذهب صندوق فى مقدم وضعه على ظهر جواد، ويركب عليه مملوكا من مماليكه وسار من وقته وكانت تأتيه الهدايا من جميع[2] الأقطار حتى من الططر. وكان يدخل فى السنة ألف كيس لأنها كانت بلاد الملتزمين تحت يده حتى أن البلد كان يأخذ فايظها وصاحبها يحط مالها، وصار يظلم الناس ثمانية وعشرين شهرا أولها صفر سنة ١١٣٦. وآخرها سابع جماد آخر سنة ١١٣٨[3]. وكان كل مال دخل له لا يخرج منه شئ ولا الدرهم الفرد، وكان يلص الناس

---

(١) الاضافة لتوضيح المعنى.
(٢) بالأصل «ساير» وكتبت كلمة «جميع» ووضعت فوقها علامة احلالها محل «ساير».
(٣) نوفمبر ١٧٢٣ / فبراير ١٧٢٦م.

الالف دينار الذى تقرر فى الرياسة فحبسهما. وكان اسم احدهما ابا البها [البهاء] وهو العالم فيهما والاخر ابا النجم وكان يسافر مع السلطان الملك الكامل ويتخادم لاكابر الدولة، فاما ابو البها فانه اسلم وتخلص، واما ابو النجم فبقى فى الحبس. وفى هذه الايام مات اسقف الملكيه الذى بمصر ولم يوجد له ما يكفن به. وكانت اياما عجيبة، النصارى القبط بغير بطرك، والملكية كذلك لان

من الخمسة أحمر الى العشر آلاف أحمر وأزيد من هذا، وكان أرسل أحضر أخاه وبعض أقاربه من ديار الكفر، فلم هرب، أرادوا قتلهم، فشفع فيهم عثمان جاويش القزدغلى وأرسلهم الى بلادهم. وكان من تجبره وعتوه أن الناس جميعا كرهته وعملت الموالد والأفراح لخروجه، وكان عندهم يوم هروبه كالعيد بل وأعظم لشدة الفرح عندهم ولو ذكرنا جميع مساوئه لأمليت الكتب ولكن أقتصرنا على البعض اليسير وأن جملة الصناجق الذين البسهم. الوزير محمد باشا بعد هروبه، ثمانية وهم: مصطفى بيك أبن ايواظ. ومحمد جلبى بن الجزار. وعلى أغا الأصفر. وسليمان القلاقسى[1] كاشف طحطة وألبسه الصعيد. والذى من الفقارية زين الفقار. وأسماعيل آغا بن الدالى. ومحمد أغا بن درويش بيك. وحسن آغا تابع أباظة محمد بيك. وألبس ابراهيم الخزندار قيامة مقام الغربية لقتله أبراهيم كتخد. وألبسهم الولايات وقسمها بينهم، والبلاد التى كان للقاسمية اعطاها للقاسمية، والتى كان للفقارية أعطاها لهم وهؤلاء الثمنية كان ألبسهم على باشا.

وفى يوم الخميس الذى هو خامس عشر جماد آخر سنة ١١٣٨[2]. عمل محمد باشا ديوانا وألبس فيه أربعة صناجق وهم: اسماعيل بيك جرجة الملقب بالخاين وتزوج بأخت بن أيواظ فكملت جملة الصناجق اثنين وعشرين صنجقا نصفهم قاسمية ونصفهم فقارية.

(١) يذكره الجبرتى ، جـ١ ، ص ٢٥٤ ، تحت اسم «سليمان كاشف القلاقسى».

(٢) ٢٠ فبراير ١٧٢٦م.

بطركهم مات(*) قبل انبا كيرلس، واليهود بلا رييس. واما اصحاب البطريك المحبوسين وهم ابن اخيه وتلميذه وغلامه فانهم عصروا مراراً ولم يقروا بشئ، وكان العصر بالاكبر لابى الفرج بن خلبوصى الذى هو التلميذ والمتصرف كان فى المال فعصر حتى قارب الموت ولم يخرج شياً وبقوا محبوسين. وفى هذه الايام كان الصاحب معين الدين بن الشيخ قد عمر مناظر على البحر بمصر

(*) هو نيقولا الاول بطرك الاسكندرية الارتودكس اليونان تولى ما بين ١٢١٠ إلى ١٢٤٣م.

فالفقارية: قيطاز بيك الصغير أمير الحاج. وأبن سيده اسماعيل بيك. ومحمد بيك بن اسماعيل بيك الكبير. وسليمان بيك كاشف الغربية. ومصطفى بيك الخطاط. ومحمد بيك بن درويش. واسماعيل بيك بن الدالى. وحسين بيك أباظة. وابراهيم الدالى. وزين الفقار. وعمر آغا. وعلى بيك الأرمنى تابع حسن كتخدا النجدلى. واشراق بن أيواظ. والقاسمية: على بيك الهندى دفتدار مصر حالا. وعلى بيك الأصفر. ويوسف الشرايبى. ويوسف بيك بن يوسف الجزار. ومرجان جوز وزين الفقار تابع قانصوه بيك. وحسن بيك الرزاز الذى ألبس عوضا عن حمزة. وابراهيم بيك الفارسكورى صنجق الخزينة الذى توفى فى الديار الرومية ولو لم يكن فى الخزينة لهرب أو قتل.

وفى سابع عشر جماد آخر(١). المذكور أخبر الوزير بأن جركس دخل الى مصر وأنه فى الدرب الجديد الذى بقناطر السباع فقطع فرمانا وأرسله الى اغات مستحفظان بكبس الدرب الجديد وان يفتشه. ثم ان الأغا أخذ صحبته ثلاث صناجق بجميع طوايفهم، ودخل الدرب، وقفل الثلاثة أبواب وفتشه بيتا بيتا حتى بيت زين الفقار بيك، فلم يجد فيه أحدا. وفى ثانى يوم نادى الاغا بجميع الغريب وجميع الراجين كل من قعد فى مصر بعد ثلاثة أيام ترمى رقبته ولا أحد يخدم عند احد من الأكابر وكل من خدم أو قعد بعد ثلاثة أيام يرمى عنقه أينما وجد.

---

(١) ١٨ فبراير ١٧٢٦م.

من جانب باب القنطرة، وكان القاضى [عز
الدين] ابن عبد السلم [السلام] قاضى مصر قد
عبر على هذا المكان فى وقت من الاوقات وقال
لبعض الوكلاء الوقوف على العمارة لا تعمروا هذا
المكان فقد ثبت عندى انه كان مسجداً وفيه
اموات، فعرفوا الصاحب بذلك فلم يكثرت له
وكان الى جانب هذا الموضع مسجد وكان ابن
القاضى الاسكندرى الذى كان قبل هذا القاضى

ثم أن الباشا جمع الصناجق وجعل البلاد التى(*) قسمها عليهم بفايض ثلاث سنين وأمهلهم ثلاث سنوات واشترط بأن يعطوه فى كل سنة الثلث وكتب عليهم حجة بذلك.

ثم أن أهل مصر بعد أن بردت الفتنة طلعوا الى الباشا الديوان، وطلبوا منه العثامنة التى جعلها لهم هو وعلى باشا حين أرسلهم الى جركس فقال: أرسل أعرض الى السلطان، فان أتى رد جواب العرض بالعطية أعطيتكم، فلما سمعت الصناجق والعسكر بذلك العرض قالوا: مولانا الوزير! نحن خدمنا حضرة الملك خدمة لا نطلب عليها عثامنة ولا شيئا ونحن جميعا خدمة السلطان. فلما سمع الوزير ما قالوه دعا لهم وقال: تأتونى فى غد لسؤال وجواب.

ثم فى ثانى يوم الذى هو يوم الاثنين ثامن عشر جماد آخر[1]. اجتمع جميع الصناجق والاغوات والعسكر والعلماء والاشراف والبكرى والسادات. فلما اجتمعوا ظهر وسلم عليهم وجلس فى ديوان اسماعيل باشا وقال لهم: أتدرون لأى شئ جمعتكم؟ فقالوا : لا ندرى. فقال لهم: ما فعلتم بجركس وأعوانه؟ فقالوا له : لا نعرف له جهة. فقال لهم: كيف لا تعرفون له جهة وان مصر وأقطاعها تحت أيديكم وتحت ختمكم؟ ان أردتم أمرا من الأمور وكان لكم فيه غرض لا تخلوا الطير يطير، وقام عليهم قومة لم يعهدوها منه منذ تولى عليهم، فحلفوا له أنهم لم يكن عندهم علم ولو علموا محله لأتوا به ولو كان حوله العساكر وكيف يكون

(*) بالأصل (الذى).

(١) ٢١ فبراير ١٧٢٦م.

قد عمر عليه طبقة مليحة تانق فيها وغرم عليها جملة، وقد كان هذا القاضى قصد هدمها لانه قال الاوقاف لا يجب أن تغير عن صورتها ولا يزاد فيها ولا ينقص، فما مكنه الصاحب من ذلك، وبقى فى نفسه. فلما تم له فى كنيسة بوسرجه ما تم ظن ان المواضع كلها هكذى، فاخذ معه جماعة من الشهود وجمعاً من الهدادين واجتمع معه من المتفرجين والمتفرغين [العاطلين] خلق عظيمَ وطلع

أعادينا نتركهم؟ لا، وحياة مولانا السلطان أحمد خان. فقال لهم: أنتم صادقون، ولكن أكتب عليكم حجة أن ظهر عند أحد منكم أحد من الهاربين يكون بقتله ونهب ماله وبيع بلاده ولو كان من البلكات السبعة وقبلت أحد من أهل بلكه يكون روحه وماله الى السلطنة. فقالوا: سمعنا وأطعنا. فتعاهدوا على ذلك وكتب عليهم حجة بذلك ونزلوا الى منازلهم. ثم أن فى ثانى يوم الجمعة طلع يوسف بيك الخاين الى الباشا وأخبره بأن رضوان بيك تابع محمد بيك بن أبى شنب عنده فى بيته، فأمر سليمان أبو دفية أغاة مستحفظان بأنه يأتى به من بيت يوسف بيك الخاين فنزل آغاة مستحفظان الى بيت يوسف بيك الخاين الذى هو بيت ايواظ بيك فدخل الاغا وأخذه من يده وطلع هو واياه الى الحريم ودخل هو وأياه الى خزنة، واذا برضوان نايم وهو مغطى بالحاف ولم يكن الا بالديون وعلى رأسه شال كشمير فرخانه يساوى خمسين أحمرا، فأيقظه آلاغا فلما رأى ابو دفيه قال: انا لله وآنا اليه راجعون عملتها ياخاين، لكن لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولكن يا يوسف، ان كنت ما تعرف جميل، اعمل مثلما يعمل معك، أنا أحميتك مع أن جركس أخذ خبرا انك عندى، وأنت خزندار وأظهرتك ومشيتك فى البلد عرضا وطولا ما كنت تخبر عنى الوزير كنت تركتنى اروح الى حال سبيلى، ولكن خاين. فسمى بذلك الاسم . ثم أن الاغا أخذه وأركبه حمارا وكان ضحوة يوم السبت فأنا خرجت من الحنفى فاذا بالأغا وهو صحبته، فلما وقع نظر الوزير عليه قال له:

أين جركس وسيدك؟. فقال: لا علم لى بهما وأنا خرجت من عندهم قبل أن يهربوا

الى الطبقة وشرع فى هدمها وكان قصده انه بعد
هدمها يهدم الموضع الذى اشار الى انه ثبت عنده
انه كان مسجداً وقد عمله الصاحب مجازاً الى
داره، فبلغ الصاحب ذلك، وكان بالجزيرة، فجآء
الى المكان فى جمعه وغلمانه واشياعه والوالى معه
وسير الى [عز الدين] ابن عبدالسلم [السلام]
وقال له: بامر من فعلت هذا ان كان بامر السلطان
خلد الله ملكه فعرفنا على لسان من خرجت لك

يومين. فقال الباشا: خذوه وهاتوا رأسه. فالتفت رضوان بيك الى الوزير وقال له: مولانا الوزير اسمع منى كلمتين أخبرنا بهما فقال له: قل؟ فقال له: ان عفوت عنى قلت لك على محل سيدى وأخبرتك بألف كيس أين هى شايلها، فقال الباشا الى سليمان أغا، خذه أنا أعرف أين سيده وأعرف الألف كيس أين هى وعند من هى.

ثم أن الاغا أخذه ورمى عنقه فى حوش الديوان وسلخ الرأس ورمى القرعة بين رجليه. وكان ذلك فى يوم الخميس تاسع عشر جماد آخر سنة ١١٣٨[1]. ثم أنهم غسلوه وكفنوه ودفنوه وأنه هو الذى قتل حسن الشبكة كتخدا محمد بيك أمير الحاج بن اسماعيل بيك الكبير، وأخذ ابراهيم جربجى أتباع السنبلاوين ماشيا حافيا مكشوف الرأس قدام جواده الى مصر القديمة، ورمى عنقه عند مسطبة الأعسر، وكان ذلك باذن سيدة.

وفى يوم موت رضوان بيك، [كان] قدوم رضوان أغا من رشيد وصار المنفيون يأتون واحدا بعد واحد من الفقارية والشواربية، وظهرت الفقارية والشواربية ظهوراً كليا وانتشروا فى الأرض الى أن ملوا البلد وقويت شوكتهم وأورث الله الفقارية والشواربية أموال القاسمية وديارهم

---

(١) ٢٢ فبراير ١٧٢٦م / كتب بالهامش «ورحم الله القايل:
قد زال ملك سلميان فعاوده.
والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

الرسالة ونحن اولى ان ننفذ امر السلطان، وان
بامرك فما لك هذا. فقال: بامر الله.. فقال
الصاحب: نحن نعلم ان الله تعالى ما اوحى اليك
بهذا ونحن نمنعك منه حتى ترى ان كان هذا
الامر من الله. وكانوا قد هدوا من الطبقة مسقفتين
من جانب الطريق لا غير فسير الصاحب غلمانه
واشياعه فأخرقوا بالشهود اخراقا عظيما وضربوهم
الى حد الموت، وضربوا الهدادين وبدوا بهم،
وانفض ذلك الجمع وهربوا، واما القاضى [عز

وبلادهم وتزوجوا بنسايهم وسكنوا بيوتهم وقفلت بيوتهم جميعا وفتحت بيوت الفقارية والشوارىية، وصاروا أقوى مما كانوا.

وفى يوم عشرين من جماد المذكور[1]. نزل أغا مستحفظان واظهر النداء فى القاهرة لجميع من كان يخدم جماعة ابراهيم بيك أبو شنب لايخدم أحدا من الفقارية والشوارىية، وأن الصناجق لا يخدموا الا سراجين اثنين والكواخى كذلك والجاوشية المنفصلة عن الضلمة وبقية الخمسة أوجاقات لا يخدموا الا سراجا واحدا. وان السراجين لا يمشون الا مع أسيادهم، وكل من وجده الأغا أو الوالى ماشيا من غير سيده يرمى عنقه ولو كان أمير الحاج أو الدفتدار. وضبطت البلد ضبطا شافيا ولا صرت ترى سراجا من غير سيده، وصارت البلد فى أمان من دولة السراجين، وجورهم وعتوهم وأكثر من نهب بيوتهم، وسراجينهم أكثرهم سافر الى بلاده.

ثم ان الباشا أرسل فرمانا الى باب مستحفظان يأمرهم بنفى رجب كتخدا فأجابوا لما أمروا، وأرسلوا له جاويشا، صحبة الأغا المعين الى منزله فأخذوه الى تكية بولاق وأكروا له خمس مراكب وأنزلوه فى واحدة منها، ونزل الجاويش والأغا فيها، ونزلت جماعته فى بقية المراكب وكانوا نحو الأربعين، خوفا عليه الى أن أوصلوه الى دمياط فى يوم الأحد ثانى عشرين جماد[2]. وكذلك أحمد خرواط كتخدا احمد بيك الأعسر أرسلوه فى مركب الى بطن

(١) ٢٣ فبراير ١٧٢٦م.
(٢) ٢٥ فبراير ١٧٢٦م.

الدين بن عبدالسلام] فانه بقي في الطبقة وحده وكانت بغلته على الباب فضربها الغلمان وهججوها وكسروا يد الركاب دار. وكان يوماً مشهوداً لم يرا اعجب منه. وبعد زمان خرج القاضي يمشي الى برا الباب ونزل في مركب حتى مضى الى بيته. وكان قد اراد من الوالي ان يعينه فلم يعينه بشي، فحلف انه لا يحكم ولا يتصرف الا ان عزل الوالي، وانقطع عن النزول الى مصر وعن الحكم بها، الا ان نوابه كانوا باقيين على

البقرة. ثم أنهم قتلوه وأرموه البحر وأتوا برأسه. وسليمان أوضباشا الأقواسي وأحمد أغا لهلوبة وقرا حسن أو ضباشا الذى كان رابعا أنزلوهم ثاني يوم صحبة سقا باشا وأحمد أو ضباشا أبو رجب كتخدا الزموه بيته وأبو سليم أوضباشا على ماهو عليه وعملوا يمقه عثمان تابع منا وأحمد كتخدا وعملوا الثالث حسن تابع النجدلي والرابع عثمان تابع شاهين جربجي الجلالي. وفي ثاني يوم الذى هو رابع عشرين جماد[1]. سافر مصطفى أغا جاويش باش الى سكندرية. وفي سادس عشرينه[2]. أرسل الوزير أربع أغوات الى باب المتفرقة وصحبتهم فرمان يطلب علي أفندى كاتب كبير وباكير أغا وأيوب أغا استاذ ايواظ فأسلموا على أفندى وباكير الى الاغوات وان أيوب لم يكن حاضرا فأخذوا الاثنين الى قصر العيني وقتلوهما وأرموهما البحر محل ابراهيم أغا السنبلاوى الذى تقدم ذكره.

والسبب في ذلك: أنهم كانوا حاضرين عند محمد بيك الدفتدار ابن أبي شنب، حين أرسل أحضر أبراهيم أغا وأرسله صحبة رضوان بيك وقتله، ولم يشفعوا فيه، ولم يتكلم احد منهم بكلمة، واما أيوب فانه لما وصله الخبر بأخذ الاثنين وقتلهما، تدارى اربعين يوما. وطلع عليه الجذام ومات، واما على باشا فانهم حرجوا عليه ان لا احد يدخل اليه وجعلوا عليه الحرس، واما سليمان بيك جميزة فانهم أودعوه القلة عند احمد افندى الرزنمجي، يطلبون[3] منه

(١) ٢٣ فبراير ١٧٢٦م. (٢) ١ مارس ١٧٢٦م. (٣) بالأصل «يطلبوا».

حالهم ومتصرفين. ثم ان الامر خرج ببيع تركه البطرك فاخرجت فى مصر وبيعت فى يوم الثلثا السادس والعشرين من برموده. وابصر الناس فيها من التحف والاشيا الغريبة ما لم ير مثله حتى ا نه قيل ان قماش بدنه حقق اربع ماية دينار ولم احقق ذلك الا انه بيع بجملة عالية، وكان التوب الصوف المفصل يباع بمايتى درهم، والغفارة [العباءة] الجوخه العتيقة بماية وخمسين درهما

حساب ما تأداه من الغلال ومال الجهات، وأما أحمد أفندى فانهم صاروا فى كل يوم يطلعوه ويعملوا معه حساب الرزنامه ويردوه الى القلة عند سليمان بيك جميزة وغيره من المحبوسين الذين عليهم الدم من طرف جركس ولم وجدوا أحدا يتكلم فى حقه كلمة خبر مما أودعها قلوب الخلق مرات حين كان متولى الرزنامة [١] . ثم انه جمع أهل مصر وأعرض عليهم الخط الذى أتى له بتولية طرابلس الشام حين أعرض فى طلبها لما عزل من مصر وطلب منهم أن يكتبوا عرضا بأن يطلبوه من حضرة السلطان فكان كذلك فكتبوا له عرضا وسافر العرض من على البر صحبة سبعة أنفار من السبعة أوجاق فى يوم السبت ثامن عشرين من جماد آخر سنة ١١٣٨ [٢] .

وفى غرة رجب الفرد[٣] . وقعت فتنة فى باب العزب فنفوا حسن شولاق باش الأوضاباشية وصحبته خمسة عشر أوضباشا وثمانية من النفر ومن أوجاق الجراكسة ثلاثة وزاد الحريج على جماعة جركس والتفتيش عليهم وكبس البيوت بسببهم. ثم أن الباشا ضبط البلاد التى كانت

(١) كتب بالهامش «كما قال الشاعر:

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها ... فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت ... عليه يوما بما لا يشتهى وثبوا

(٢) ٣ مارس ١٧٢٦م.

(٣) ٥مارس ١٧٢٦م.

واخبرت ان شخصا اشترى قطعة من الحلقة واخرجها الى السوق عرضها فسويت نصف ثمنها وكذلك كل ما بيع لان الحلقة لها سمعة لا سيما مع هيبة السلطنة. واما اوانى الكنايس مثل الصوانى التى للقربان والكاسات والكساوى التى للهياكل وما يجرى مجراها فانهم عزلوا حتى تشاوروا عليها. ولما كان فى اوايل بشنس(*) خرج [عز الدين] بن عبد السلم [السلام] قاضى مصر الى المصلى الذى بالقرافة وجمع جماعة من

(*)يقع بشنس = ما بين ٢٦ ابريل و٢٥ مايو

لاتباعهم وعثامنتهم وبيوتهم وأوقع البيع فيها من غرة رجب ثم أن الباشا نفى عابدى جربجى باش اختيار التفكجية الى دمياط وصحبته على جربجى مملوكه فمكثوا مدة قليلة وأرسل قتلهما.

ومن أعجب ما وقع فى هذا التاريخ: ان الباشا لما تعب من التفتيش على محمد بيك ابن أبى شنب فجاءه انسان واخبره انه حلق دقنه وحنا كفوفه وقدميه وأنه يبرز بزى النساء ويخرج صحبة أمه وجارية على باشا ويدور الأسواق وبيوت معارفهم، فقطع فرمانا وأرسل الى زين الفقار بيك بالتفتيش عليه والحث فلما قرأ الفرمان قال هذه بدعة كون أننا نفتش النساء فى السكك أن كان ذلك حقا كما سمعنا أن محمد بيك يزين بزى النساء ويخضب كفيه وقدميه بالحنا يكفيه هذا الذل. ورد الفرمان الى الوزير وقد قال فيهم (شيخنا سيدى أحمد السندوبى بن سيدى احمد).

لقد ضلت أكابرنا	برأس غير مرءوس
وزالت نعمة بهم	وكانوا جنس ابليس
وقد ملكوا بلاد الله	من خيل وعيس
وما راعوا وما اعتبروا	بما قد صار فى الكيس
وشيد رأسهم بيتا	كأنه عرش بلقيس
فصالوا واعتدوا وبغوا	وصار الناس انكيسى

الشهود وعزل ولده وولد البها [البهاء] بن حنا
الذى هو صهر الاسعد الفايزى. وفيما هو فى ذلك
سير اليه الوالى ابن اخيه وقال له هذا ما هو موضع
الحكم فيما هذا الجمع. فشتمه القاضى [ابن عبد
السلام] وافترى عليه فقال له ابن اخى الوالى انا
ما لى معك حديث بل هولآء الشهود هم يعلمون
ما يلقنون وكانوا زهآء ثلثين رجلا، فانقضوا
جميعهم وقاموا فاستعادهم القاضى وقال لهم
اشهدوا على بأنى عزلت نفسى من الحكم بمصر

الى أن زاد بغيهم	برأى كان معكوس
وقطعا من له مكر	يصبح نحس منحوس
فكم نقضوا عهدهم	ولم يحرضوا بتدليس
وكم حلفوا بايمان	ولا أيمان للتيس
وكم حقا على دين	يضاهى دين قسيس
وقد مردوا بتاريخ	لتعريف ابن ادريس

وقد توفى في غرة رجب الفرد سنة ١١٣٨ وكان هذا آخر كلامه. وفى عاشر وجب. نفت العزب أربعة أنفار وهم حسن كتخدا البولاقى الذى كان متولى الكخاوية فى مدة هروب جركس وولوا محله يوسف جربجى البركاوى أبو حسين وعلى جربجى الذى كان باش أو ضباشية ويمقه حسن القاشقجى جربجى وابراهيم جلبى قبين الضاشى ابراهيم كتخدا أفندى المقتول.

وفى غرة شعبان ظهر الطاعون[1]: وتوفى به شيخ الاسلام والمسلمين العارف بالله تعالى المحقق بقية العلماء الراسخين سيدى محمد الصغير المغربى بالطاعون[2]. وكان هو أول

(١) كتب عنوانن جانبى « أعرف ظهور الطاعون باقليم مصر».
(٢) كتب عنوان جانبى «أعرف وفاة سيدى محمد الصغير المغربى بالطاعون».

واعمالها، وصرفت نوابى، وانى عزلت الوزير ابن
الشيخ من النظر على [أوقاف مسجد] الشافعى،
ومن شيوخة [تكية] الصوفية، ومن النظر على
تركة اخيه عماد الدين وورثته واسقطته من العدالة.
فسمعوا ذلك وراح كل منهم الى بيته وخرج
القاضى وحده راح الى القاهرة لانه كان يسكن
بها. وبقى الحال على ذلك الى يوم الجمعة السادس
من بشنس [اول مايو] وهوعيد الشهيد ابى اسحق

استغناما للشهادة وكثر الطعن بعده حتى أن الرجل يكون ماشيا يقع فيموت. وكان الشيخ اسمر اللون خفيف اللحية، وكان له باع فى اكثر العلوم وله معلقات على كتب التوحيد ولكن كان عنده لكانة وكان شديد الفهم مع عدم أنطلاق لسانه أجتمعنا به وحضرناه سامحه الله ورحمه وغفر له ما قد جنى والله أعلم.

وزاد الطاعون الى أن صار يدخل البيت، فلم يبق فيه أحدا وبيوت لم يدخلها أبدا، وبيوت أخذ منها البعض من الذين فرغت[1] أجالهم وابقى من بقى فى عمره بقية والقتل واقع فى جماعة جركس. ثم أنهم عملوا جمعية: واتفق امرهم على أن كل من كان عنده أحد من جماعة جركس أو من اطرافه يطرده وانهم لا يحموا احدا منهم وكل من رأوه من جماعة جركس بعد عشرة أيام يقتلوه، فما كنت ترى فى بولاق الا قتلى على المراكب والخلق فى ازدحام على النزول الى المراكب وأن سليمان بيك كاشف طحطة الذى تولى جرجة عوضا عن سليمان بيك جميزة كان فى قدم النبى وهو متهى الى السفر لجرجة. وكان عنده من اتباع جركس خمسة وعشرون رجلا فرمى رقابهم فى قدم النبى، وكان قد أرسل قدامه فى مركب ثمانية كشاف من كبارات جركس فلما عوم وطلع المنية قابلوه وسلموا عليه وهنوه بالسلامه فمسكهم ورمى أعناقهم فى منية ابن خصيم وأرسل رءوسهم الى مصر.

---

(١) بالأصل «فرغ».

بدفـرى(*)، رسم الشيخ ابى المجد الاخـميمى بان يعود الى الخطابة على ما كان عليه اولا، وهذه اولا خدمة كانت لابن عبد السلم [السلام] فخطب فى النهار المذكور بجامع مصر وكان له يوما مشهوداً وتلقاه الناس بالشمع الموقود والمصاحف المنشورة وفرحوا به فرحاً عظيما. وبقى الحكم بغير قاض بمصر والامر موقوف فى ذلك الى ان ركب السلطان يوما فى بر الجيزة فلحقه [عز الدين] ابن عبد السلم [السلام] وجاء اليه الى المنظره بمنيه

(*) دفرى: من القرى المصرية القديمة. اسمها القبطى Difré ومنها اسمها الحالى، وكان اسمها القديم Tiphré. وهى على مسافة قريبه من طنطا.

وفى يوم ثامن شعبان(1) ورد آغا من الديار الرومية وبيده صحبته خطان شريفان(2) واحد بمقرر باشا عن سنتين سنة ١١٣٨ وسنة ١١٣٩ والثانى بمحاسبة على باشا وارساله الى قلعة جريد حكم ما كان فيها سابقا والحث على جماعة أبى شنب وجركس وأبن سيده وجميع صناجقه وانكم تطلبوهم اينما سمعتم بهم. فلما تم قراءة العرض قدم رجل بين يدى الوزير وقال مولانا الوزير محمد بيك ابن أبى شنب قد توفى، وها هو يغسلوه فى هذا الوقت بحارة الجامع الازهر بدرب هناك يقال له درب الاتراك فى بيت رجل يقال له الشيخ محمد القبانى، وقد أسكنه فيه الشيخ عنبر تابع الشيخ محمد الخراشى وتلميذه الشيخ على الواطى. وكان المخبر للباشا بهذا الخبر الشيخ محمد البتنونى ناظر الشيخ نجم الدين البندارى فقال له الوزير انظر ما تقول يا رجل؟ فقال له: ارسل الاغا والوالى. ونزلوا فى الحال الى الجامع الأزهر الى المحل المذكور فوجدوه حقا كما قال الرجل وقد غسل وكفن وينتظرون غفلة يخرجونه فيها لأنهم فطنوا بأن البتنونى علم به.

وكان السبب فى ذلك أن الشيخ محمد الخراشى له عبد يقال له الشيخ عنبر وهو رجل صالح وكانت أم محمد بيك تعرفه من زمن أبى شنب فلما ضاق على ولدها الحال من شدة التفريط عليه، اجتمعت بالشيخ عنبر وحكت له عدم قبول الناس فى تخبية ولدها من شدة

(1) ١١ أبريل ١٧٢٦م.

(2) بالأصل «شريف».

عقبه(*) [ميت عقبه] واستاذن عليه فاعطاه دستورا [إذن] بالعبور فعبر اليه فاكرمه وقام له واكل معه واستعفاه من القضاء فاعفاه، وما كان يظن ذلك ثم استاذنه في السفر فاذن له فيه الى اى جهة اراد ثم خرج من عنده وقد انبت [انقطع] من الحكم والخطابه واستخدم نوابه جميعهم(*) في مواضعهم على احالهم لكن من قبل السلطنة لا من قبل قاضي مصر على جارى العادة. وكان قاضي مصر

(*) منية عقبه: هي ميت عقبه الحاليه من اعمال محافظة الجيزة. والعقبة معناها الكوم أو التل، وهذا ينفى أن اسمها على اسم عقبه ابن عامر الجهني والي مصر من قبل معاويه ابن أبي سفيان سنة ٤٥هـ. = ٣٨١ق. = ٦٦٥م.

(*) بعد أن عزل الصالح نجم الدين القاضي ابن عبد السلام وولى محله محمد ابن نامارو ابن عبد الملك الخونجي الشافعي. توفى سنة ٦٤٦هـ = ٩٦٤ق. = ١٢٤٨م.

التفريط عليه وحبس البيوت وطلبت منه أن ينظر لها بيتا في ناحية الجامع تسكن بولدها فيه الى أن ينفذ الله حكمه. فقال لها على الرأس والعين. ثم أنه سال أهل الجامع على بيت خالي فوصفوا له هذا البيت فرآه خاليا فاستاجره منه واخذ مفتاحه واعطاه لام محمد بيك فأتت هى وابنها، وهو مزين، في صفة امراة، وصحبتهما جاريتان حبشيتان، فسكنوا فيه مدة الى أن توفى، ولم يشعر به أحد من خلق الله تعالى.

وكانت امه تتردد اليه كل حين تنام عنده تلك الليلة الى أن طعن بثلاثة طواعين ومات، فلما توفى أرسلت أمه الى الشيخ عنبر واخبرته بموت ولدها فأرسل الشيخ عنبر أحضر مغسل الوقف ودكة الوقف وأخبر بأنه رجل من أهل مكة قد توفى فغسله وكفنه وأخذ سلبه وطلع. واذا بالشيخ أحمد البتنوني جالس على حانوت القباني الذى مقابل الدرب فرأى المغسل وهوخارج من درب الأتراك بالسلب فنده عليه فأتاه فقال له: ما هذا الذى معك؟ فقال له: غسلت رجلا مكيا أحضرني له الشيخ عنبر وهذا ملبسه ففتح السلب فوجد فيه كركا سمورا وقفطانا اطلسا نفيسا، وشاية من أطلس نفيس، وقميصا، ولباسا ملزا، وشاش الطون باش، فوق طربوش جوخ، وشالا كشميرا، وتشاقر كشميرا[1]، وشخيشا داخل ملاية زرقاء، سلبه بقطع ستين زنجرلي، فأخذ السلب والمغسل ودخل الى البيت فلما رآه الشيخ عنبر تعطف بخاطره

(١) ظبطت العبارة كلها على النصب، بعد أن كانت مرفوعة خطأ.

ايضـا من جـملة النواب الذين ابقـوا على حـالهم ولم يتغـير احـد من النواب سـوى قـاضى قـوص، وكـان هذا تدبيـرا من الله تعـالى لانه كـان قـد ظلم النصارى واساء عليهم واحدث عليـهم حوادث لم يكن[لـم يسبق لهـا مثيل] حتى انه استسلم كل مملوك لهم ومنع ان يبـاع شى من الجلب [العبـيـد المجلوبين] لاحــد من النصــارى، وقــال ان هـولاء الجلب جـمـيـعـهم مـسلمـون وهم يعـبـرون على

فما أمكن. ثم أن أمه اعطته خمسين زنجرلى على أن يستر القضية فما أمكن. وأرسل ولده الى الوزير ومكث هو عند الرجل الى أن جاء الاغا والوالى وأخذوه فهذا كان السبب ثم أنهم اطلعوه الى الوزير: فلما وضعوه بين يديه فرآه فاذا هو فأمر بالصلاة عليه ودفنه فى باب الوزير وأبى أن يدفن عند والده ثم أن أمه توجهت الى على بيك وأخبرته بأن مسكنها فى هذا البيت وأتى لها بالمفتاح. وأن أحمد البتنونى والشيخ على صقر والشيخ على الطرابلسى، وانهم كانوا يأخذوا منها فى كل يوم ثلاثة زنجرلى وأن الذى كان يأخذ ثلاثة زنجرلى فى كل يوم أحمد البتنونى وما عمل هذه العملة الاتسترا عليه أن أحدا يشك فيه أن عنده خبر من هذا الأمر. فركب على بيك جواده وطلع الى الوزير وأخبره بما قالت له أم محمد بيك، فأرسل الوزير آغا مستحفظان فمسك أحمد البتنونى وعلى صقر والمغسل والمفوض وابن الشيخ محرم وهرب الطرابلسى وعلى الواطى تابع الشيخ عنبر والشيخ عنبر. ثم أن الباشا امر آغة مستحفظان بهدم البيت فهدم الى الاساس واودع من مسكه الى العرقانة. وفى ثانى يوم تشفع على بيك فى دفن محمد بيك عند والده فى القرافة فامتنع وما دفن محمد بيك عنده والده الا بعد عزلان الباشا وكذلك رضوان بيك عند سيده. وفى ثانى يوم أرسل له الوالى خنقه فى العرقانة فكأنه لم يكن وما عملت أم محمد بيك هذه العملة الا لكون أن الشيخ أحمد البتنونى هتك ستر ولدها فأهتكتهم بهذه العملة ثم أنهم بأتوا تلك الليلة واسيبهم الاغا فى ثانى يوم.

دهــلــك(*) وعـيـذاب وبلاد المسلمين ويدخلون المسـاجـد ويصلون فـيـهـا فـلا يجـوز ان يـاعـوا للنصارى، واشـيا كثيرة من مثل هذا، من ان ابن الابن يتبع الجد اذا كـان مـسلمـاً وان كـان الابن نصرانيا لانه كان بالغاً فى حال اسلام ابيه الذى هو الجد. فصرف دون جماعتهم واقر ساير النواب على ولاياتهم. واهتدى الناس مما كانوا عليه قليلا الا ان كنيسة الجزيرة [الروضه] هدمت الى الارض

(*) دهلك: جزيرة فى البحر الأحمر فى مواجهة ساحل اريتريا، كانت مـركـزاً لتـجـارة العـبـيـد السـود المجلوبين من الســودان على يد العـرب. أمـا عـيـذاب فـهى ميناءمـصرى قـديم على البحـر الأحمر، فى مقابلة مدينة قنا كان على طريق الحج وقت الحـروب الصليبية.

وفى يوم الاحدحادى عشر رمضان [١] آرسل الوزير طلب الحاج داوود صاحب عيار، فلما مثل بين يديه وكان على بيك الارمنى وكتخدا الجاوشية وآغة المتفرقة وكتخدا الوزير بمجلس الوزير فقال له الوزير: يا داوود آغا قد جاء فى حقك خط شريف بقتلك. فقال سمعا وطاعة والحمد لله الذى أنا معلوم عند السلطنة ويعرف السلطان اسمى اللهم اجعلها على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله. ثم أن الوزير امر جماعته أن يودعوه العرقانة وارسل الى الوالى فلما حضر أمره أن يقتل داوود وأعطاه فرمانا فأخذ الفرمان ونزل الى العرقانة فأخرجوه له وهو صايم، فأعرضوا عليه الشرب فأبى، وقال للوالى: والله لا أقابل ربى الا صايم. ولكن اذا قابلت ولدى فاقريه منى السلام ثم أنه توضأ وصلى ركعتين وقال للوالى: افعل ما امرك به مولانا السلطان، ولم يتغير له لون، ولم يحصل له انزعاج فرمى عنقه رحمه الله تعالى حادى عشر رمضان سنة ١١٣٨.

والسبب فى قتله: ان السلطان صفى الذهب الذى أرسله سابقه فخس فى العيار ثمانين كيسا، فأرسل اخذها ونهاه الوزير عن عمل الذهب الردى، وفى سبع وثلاثين جاء الاغا الذى صفاه أول سنة فنقص ماية كيس فأرسل الذى كان يصفى الذهب فجعله صاحب عيار وأرسله الى مصر فلم يقبل لقوة جركس واغتر داوود بجركس وفرق الذى تقدم ذكره، وبهدلوا الاغا وابقوا داوود على ماهو عليه.

(١) ١٣ مايو ١٧٢٦م.

وغيرها فى عماير القلعة(*) وصارت من جملتها. وكان فى هذه السنة قد وردت الاخبار أن الخليفة المستنصر بالله(*) قد توفى ببغداد وكان رحمه الله من الخلفا الراشدين الذين اقاموا منار الحق وانصفوا بين الخلق وقربوا المويدين وأقصوا المفسدين فتوفى وقعد بعده ولده المستعصم بالله امير المومنين، وكانوا يطلقوا له هذا للنعت لان الخلفا العباسين قد ناهزوا الاربعين فقد استوعبوا اكثر الاسماء، ومن شرطهم الا يسمى خليفة باسم قد سمى به

(*) هدم كنيسة الروضة.

(*) المستنصر بالله: هو الخليفة العباسي الذى بنى المدرسة المستنصرية فى بغداد. حكم سبع عشرة سنة إلا شهرا. تقلد الخلافة بعده ولده عبدالله ولقب بالمستعصم بالله، وكنيته ابو احمد ابن المستنصربالله منصور. كانت وفاته فى ١١ من جماد الثانى سنة ٦٤٠هـ. = ٩٥٩ق. = ١٢٤٢م.

فلما حصل لجركس ما حصل وتبددوا جميعا كان عنده خط بقتله أو هو فعله من عندياته فأرسل له وفعل به ما فعل وأرسل أتى بالاغا فأولاه من يومه ولم يكن عند احد خبر من هذا العلم الامر، فما شعروا الا وهو نازل عليهم التابوت فكشفوا عليه فراوه جثة بلا رأس والرأس مسلوخة فسألوا عن الخبر، فقالوا قتله [الوزير] وأولى محله على آغا صاحب عيار. وفى ثانى يوم لقوا عبدالرحمن النظامى فى حارة اليهود، فمسكوه وأعرضوه على الباشا فأمر برمى عنقه فقطع وهو مصطفى آغا الوالى عنقه بالديوان، وكان عبدالرحمن هذا النظامى كتخدا جركس وكان له باع فى قطع الجرايم.

وفى عشرين رمضان(١) توفى محمد جربجى المرابى، وكان ذو مال عريض وكان له من البلاد والاماكن والعلوفات والنقد ما ينوف عن الف وخمسماية كيس ولم يعقب أولادا الا ولدين لسيده مصطفى كتخدا الشهير ببابوجى أو غلى يعنى البوابجى. ثم أنه أوصى بوصية فمن جملة وصيته أنه أوصى لرجل يقال له عمر آغا القبطان تابع شاهين أحمد أغا بثلاثين كيسا، ولواحد بألفين أحمر، وحكم تاريخه ختامه محمد سنة ١١٣٨ وبموته ختم الفصل وجلا حكم الطاعون فرحمه الله وعفى عنه وأرضى عنه خصماه وبيته الذى برصيف الخشاب.

(١) ٢٢ مايو ١٧٢٦م.

غيره، فيقال انهم اقاموا مدة يحثون حتى وقع
لهم هذا الاسم . وجـات رسله [رسل الخليفة
العباسى] الى مولانا الملك الصالح وخطب له
وضربت السكة باسمه. ثم ان مولانا السلطان عز
نصره سير الى اخص الامرا الذين بغزة وهم الامرا
الاشراف اولاد تعلب بان يحضروا الى القاهرة
لشغل عرض له فجاوا، وفي مجيهم كان الافرنج
قد جآوا في امر[فوجودا] مركبات الواردة فنهبوها
واخذوا منها جماع ثم جاوا الى قطية وفى مجيهم

وكان افتتاح الفصل بالقاضى الذى مات بالديوان الذى تقدم ذكره وكان زيادته فى رجب وشعبان، وكان ختامه موت محمد جربجى المذكور ولم يذكر طاعون بعد عشرين رمضان. وفى يوم الخميس خامس شوال[1] ورد ركاب حسين بيك الرزاز الذى سافر الى سفرة العجم الذى سافر صحبة حمزة بيك صنجق السفرة لأنه سافر ملياخور الصنجق، فلما مات حمزة بيك أعرض الوزير صنجقيته على أغا [2] المتفرقة فأبى، فكان حسن هذا حاضرا بالمجلس. فعمل للوزير عشرة آلاف أحمرعلى الصنجقية وعلى بلاده، وأخذ فرمانهم ورجع الى مصر فأوكب خامس شوال كما ذكرنا وكان حسن هذا أصله فلاح من المنزله ورباه حمزة بيك والله أعلم.

وجاء صحبته قرا مصطفى قريب جدك وعلى أوضباشا بن داوود وسليمان وصحبته فرمان الوزير خطابا الى متكلمين باب مستحفظان بأن قرا مصطفى يكون باش أو ضباشا مستحفظان وعلى بن داوود يكون أوضباشا وسليمان يمقه ثم أنه لم يفده بشئ من مجيبه الفرمان الا انه البسوه الضلمة ودخل جميع من كان فى السفر وأن جميع السدادرة التى تولت من مصر تغيروا المرة والمرتين الا البنهاوى. فانه لم يتغير وكلما طلع بالسدارية رجع بها. وفى ثانى يوم ورد أغا من الديار الرومية بضبط جميع ما يملكه على باشا وبيعه وارساله الى قلعة رودس نفيا،

(١) ٦ يونية ١٧٢٦م.

(٢) بالأصل «الأغا».

اليها نزل الاشراف بها ولم يعلموا واذا الافرنج قد
طلعوا من المراكب اول الليل وجاوا الى السوق
ونهبوه وامسكوا كل من وجدوه وربطوهم معهم
فى السلاسل، فلما بلغ الاشراف ركبوا وكانوا فى
قلة لان اصحابهم تفرقوا وكانوا فى الاصل ضعافا
لان اجنادهم مقاربة جداً الا انهم ما قصروا
بادروهم وقاتلوهم من اول الليل الى ان طلعت
الشمس وخلصوا منهم المسلمين الذين كانوا
اسروهم واخذوا منهم ثلثة انفس بالحياه وقتلوا

فأرسل له محمد باشا فرمانا صحبة أربعين نفرا من وجاق مستحفظان وعليهم جربجى سردارا من باب مستحفظان فحبسوه فى بيته. وقعد الاربعون ففرا المعينون على باب المخدع الذى حبسوه فيه وصاروا لا يمكنون أحدا من الدخول عليه ثلاثة أيام، الا ان باعوا له وشال صنجقيته واطواخه وعزل من الباشوية بموجب الخط الذى أتى بضبط ماله ورفع اطواخه ونفيه الى جزيرة رودس وأنزلوه الى الحلى ثلاثة أيام بالترسيم عليه. ثم بعد الثلاثة أيام أرسلوه الى سكندرية بالجربجى والأنفار الى أن أنزلوه فى الغليون وسلموه الى القبطان وسافر به القبطان فى غرة القعدة سنة ١١٣٨[1] وورد الركب الجزايرى واخبر أن جركس وجماعته قابلوهم فى طرابلس وانهم (وردوا)(*) على الدوتلى فى تونس فلم يقبله وطرده. ثم انه توجه الى طرابلس فاكرمه الدوتلى أحمد باشا بن يوسف بتاعها ولم يكن معه الا عمر آغا فاخذ منه عرضا وتوجه الى الجزاير ليأخذ منه عرضا الى السلطنة. ثم ان الباشا لم علم أن ركب الجزاير ورد أرسل فرمانا الى كاشف البحيرة ابن يوسف بيك الجزار يفتش ركب المغربى الفاسى الى العقبة الاخضر فسافر الى أن وصل العقبة فأجتمع بشيخ الركب فأخبره بأنه قابل جركس وهو متوجه الى الغرب، فسأله فاخبره بأنه متوجه الى مولاى اسماعيل ليأخذ منه عرضا الى السلطنة بالشفاعة كما أخذ عرضا من طرابلس، وانه لم يكن معه الا رجل يقال له عمرآغا

(١) ١ يولية ١٧٢٦م.

(*) الاضافة للتوضيح.

منهم زها عشرين نفساً جاوا بشعفهم(*) معهم على الرماح ويقال ان اكثرهم جرحوا ومنهم من مات بعد انفصالهم عنهم وماراحوا الا بشدة ويقال انهم ما بين ثلثماية قواس وهذه حملة كبيرة بازا هذه الجماعة اليسيرة. وشكر الامرا الاشراف من مولانا السلطان ومن كل احد. وخلع مولانا السلطان عليهم خلعاً سنية وكانوا ثلاثة امرا اولاد عم وهم حصن الدين وكان اصغرهم سناً واكبرهم قدراً. وشرف الدين، وتقى الدين . ثم بعد

(*) الشعف: هي الرووس أو فروة الرأس.

ومعه عرب ومماليك وبعض عياله وخدم وانه قابل جميع الصناجق بعضهم في درنة وهم: جركس الصغير ومحمود وبعض مماليك وأحمد بيك الأعسر ومملوكه أحمد بيك والزناتي في بني غازي والله أعلم. وفي ثاني يوم ورد آغا بخط شريف يتضمن بيع بلاد ابراهيم بيك الفارسكوري، والسبب في ذلك أن ابراهيم بيك كان وكيلا على بلاد ابن عثمان باشا، فلما دخل بالخزينة اجتمع عليه وطلب منه فايض بلاده فلم يجد عنده شيئا، وجاءهم خبر جركس وهروبه فتحاسب معه فطلع له خمسة وأربعون كيسا فأخذ خطا شريفا ببيع بلاده وارسال الخمسة وأربعين كيسا صحبة الاغا المعين فكان كذلك وارسلوها له.

ومن أعجب ما وقع: أن سفينة جاءت الى سكندرية من بني غازي وفيها ثلاثة مماليك لاحمد بيك الأعسر وصحبتهم مكاتيب الى ولده ومفاتيح صناديق بأنه يتوجه الى رجل يعرفه ابنه وأن ياخذ الصناديق ويفتحها ويرسل ما فيها الى والده في بني غازي، فأخبر القبطان سردار اسكندرية بما حصل، فمسكهم السردار وارسلهم الى باب مستحفظان. فأخبروا الباشا بما وقع وأرسلوا له المماليك فأرسل الباشا الى الوالي وهو اذا ذاك مصطفى أفندى تابع ولي باشا فلما ظهر زين الفقار ظهر مصطفى أفندى فعمله الوالي بمعرفة حسين كتخدا الدمياطي لأنه ارتكن له وعمل أشراقه، فلما حضر الوالي أمره أن ياتي بابن احمد بيك الأعسر فلما أتى سأله عن المال فانكر فعاقبه فاقر انه عند ابن درويش المزين الذى جهة بيت أبي شنب مزين ابراهيم بيك أبو شنب، فأرسل له الوالي فهجم بيته ونهبه وأخذ الصناديق وأرسلها الى الوزير فأخذها ونفى

ذلك تحرك العسكر الشامي [متحالفين] مع الافرنج الى نا حية غزة وجات الاخبار بان الملك الناصر بن الملك المعظم صاحب الكرك اتفق معهم فعاد العسكر الذى كان بغزه وطلعوا الى فاقوس(*)، ورسم مولانا السلطان عز نصره للعساكر بالخروج، وانفق فيهم لكل امير على عدد حلقته عن كل جندى عشرة دنانير، ان كان معه ماية جندى اعطاه الف دينار والاجناد لكل جندى عشرين ديناراً، فاما رجال الحلقة فلكل واحد اربعين ديناراً.

(*) فاقوس: هى من المدن القديمة. كان اسمها المصرىPakes والقبطى Fakoussa ومنها جاء الاسم الحالى. وفاقوس الحالية تقع للجنوب الشرقى من محطة فاقوس وعلى بعد ١٥٠٠ متر منها. وهكذا تكون تابعة لمحافظة الشرقية كما تقع على بحر فاقوس.(مصرف فاقوس)، وكانت على طريق مصر للشام.

ابن الاعسر الى دمياط وقتل المماليك والله أعلم. ثم أن باب مستحفظان كانوا عملوا ايواظ جاويش سردارا الى جدة فمات فأجمع رأيهم أن يحضروا رجب كتخدا من دمياط ويجعلوه سردارا فى جدة، فأرسلوا له جاويشا بأن يأخذه من بره الى بره ولم يدخل مصر واتوا به الى بولاق وأخذوه من بولاق الى العادلية، ولم يدخل مصر ولا رأى بيته فلما نزل بالعادلية أتى له سليمان أوضباشا الاقواسى باش جاويش وابراهيم جربجى يمق صاروا اختيارية بابه فاجتمعوا عليه وسلموا عليه وقوموا عليه ذخيرة ايواظ جاويش وعازقه جميعا بعشرة آلاف زنجرلى وقبضوها منه بالمجلس وأرسل أتى بحريمه ومكث فى العادلية ثلاثة أيام ثم أنه سافر ا لى البركة ونزل فى قصر أيوب بيك وصحبته قافلة وصحبته سليمان جاويش الدبوس الذى كان يمق باش الاوضباشية.

فما أصبح الصباح وطلع النهار واذا بالبر من نحو مصر قد اسود وانكشف السواد وظهر من تحته عسكر يقدمهم سليمان بيك الفراش وسالم بن حبيب فى عرب الجيزة فنهبت العرب قافلة عن بكرة أبيها وهرب رجب كتخدا فأدركه سالم بن حبيب وأتى به وأرمى عنقه تحت القصر قدام حريمه وأولاده واتباعه ينظرون اليه، فلما رآهم سليمان الاقواسى اخذ ولده ونزل يجرى نحو البر، واذا ببندقية نزلت فى ظهره خرجت من صدره فوقع الى الأرض وانتر ولده عثمان من حضنه وقد فرط فيه الفرط فأخذوه الولد وأعطوه الى أمه ولم يصبه شئ وأخذوا الاثنين الى مصر فغسلوهما وصلوا عليهما سوية ودفنوهما رحمة الله عليهما وكان

ويقال ان الذى اخرج مايتا الف . وجات ايام اخذ
القاع بالمقياس والمطالعة به وهو الخامس والعشرين
من بونه [١٩ يونيو] وكان القاع فى النهار المذكور
اربعة ادرع واربعة عشر اصبعاً وكان فى العام
الماضى فى مثل هذا النهار اربعة ادرع وعشرين
اصبعاً النقص بينهما ستة اصابع. وكانت الاسعار
هاديه القمح من خمسين درهما الاردب الى ثلاثين
والشعير من اثنين وعشرين درهما الاردب الى
عشرين والفول مثل ذلك واما اللحم والدجاج

- -

ذلك يوم الجمعة خامس القعدة سنة ١١٣٨ . وكان بينه وبين رفيقه ماية وخمسون يوما وفى ثانى (يوم)[١] أرسل الى مصطفى آغا الوالى فرمانا بقتل أيوب كتخدا ابراهيم ابن شنب فتوجه له فوجده قد خرج من صلاة الجمعة وهو قاعد على دكته فى باب منزله الذى تجاه بيت أيوب بيك، فدخل عليه واعطاه الفرمان فقال: سمعا وطاعة وأتى متوضى فأخذه ورمى عنقه على بلاعة البير، وكان رجل شيبة رحمة الله تعالى. ثم أنه فى ثانى يوم الذى هو السبت سادس القعدة[٢] أمر الباشا باشل جاويش مستحفظان بحضور أحمد أفندى الرزنمجى، فلما حضر بين يديه طلب منه الوزير المال المطلوب منه فقال مولانا الوزير لم يبق عندى ما يباع بدرهم فان كنت تعفو وتطلقنى فأفعل. وان كان مرادك قتلى فاقتل، فلما سمع الوزير كلامه امر به الى العرقانة فمانعت الانكشارية فقال لهم: كل من اراد أن يأخذه منى يقعد بالماتين كيس الذى عليه للميرى والا فانا أقتله وادفع المال الى الميرى وأريح المسلمين من شره فلم يردوا عليه جوابا وسلموه له ونزلوا وكان هذا توطى بينهم وبين الباشا ثم أن الباشا أمر به الى العرقانة، فمكث فى العرقانة يعاقبه أياما ومشى فى أصابعه الغاب. ثم أنه أمر بتكسير يديه ورجليه وخلع رقبته وعاقبه عقابا لا يعاقبه النصارى فى يسراء [اسرى] المسلمين ثم أمر بعد ذلك برمى عنقه فى حوش الديوان ثم أنه أمر بشيله الى المغسل الذى بسبيل المؤمنين، فمكث

(١) الاضافة للتوضيح.

(٢) ٦ يوليو ١٧٢٦م.

وساير اصناف الموكول وما يجرى مجرى ذلك فعلى حاله فى الغلا. وكان مولانا السلطان قد امر بنفى جماعة من الامرآء المعتقلين فاخذ لهم شوانى [مراكب] وركبوا فيها ومضوا بهم الى بلاد الغرب الى جزيرة فيها قوم يهود يقال لها طلمشه [مقابل برقة] فتركوهم فيها. وكان انسان من اولاد النصارى يعرف بابى المجد بن الموتمن بن ابى البدر وكانت امه ابنة اخت الاب البطرك ابن زرعه(*) كان قد جرت له نكبه على سكر من مدة ثمان

(*)هو مرقس الثالث رقم ٧٣ تولى مابين ١١٦٦ إلى ١٢١٦م.

فيه يوما وليلة وفى ثانى (يوم)[١] استأذنوا الوزير بشيله فجاء أهله وأخذوه وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وذلك فى يوم الخميس ثامن عشر القعدة سنة ١١٣٨[٢]. ثم ان فى ثانى يوم طلعت جارية سودة الى الديوان واخبرت الباشا بأنها تعرف محل ماشال فيه أحمد أفندى ماله، فأرسل الوزير صحبتها كتخداه. والوالى وآغا وصحبته ثلاثين من الدلاة فنزلت بهم الى بيته وأدخلتهم الى الحريم ثم أنها أتت الى حايط فى صدر البيت وأمرتهم بهدمها فهدموها، فوجدوا خلف الحايط باب من الخشب فكسروه فوجدوا خلفه خزنة فوجدوا فيها صندوقا عليه قفلا قدر ركبة البغير فشاله عشرون رجلا بعود العتل فوجودا فيه عدد خيل ورخوت مثمنة وصحون صينى وصحون فضة ووجدوا ثلاثة صوانى من الفضة ووجدوا أطباق صينى شالها خمسة عشر رجلا من حمالين العسكر ووجدوا شيئا لا يكاد يوصف.

وأخبرنا رجل من جماعة الوزير: لما فتح الصندوق وجد فيه ثمانية وأربعون الف زنجرلى وثلاثين صره ريالات كل صره خمسماية ريال.

وكان السبب فى اخبار الجارية بذلك: أنها كانت لوالده وكان والده عتقها وكتب لها جراية فى العنبر وسبعة عثامنة بدفتر الأيتام فلما مات سيدها طلبت من ابن سيدها أحمد أفندى ما كتبه لها أبوه فنهرها وشتمها وأبى أن يعطيها وقال لها: ان لم تسكتى والا بعتك الى القرمان

---

(١) الاضافة للتوضيح.

(٢) ١٨ يولية ١٧٢٦م.

وعشرين سنة وهو انه تخاصم مع قوم وهو سكران فتلفظ بالاسلام فحفظوا القول عليه ومضوا به الى مدرسة الفقيه الطوسى وبيتوه فى بيت وحده فلما افـاق من سكره رمى بنفـسـه من باب ريح الى الطريق من ناحية البحر ومر من وقته استتر عند بعض النصـارى الى ان قـضى شـغله وتوجـه الى الشـرق فـاقـام هناك هذه المدة وتزوج ورزق اولاداً ومالا ثم انه رمى من الزمان بحوادث اذهبت المال وافقدت بعض الاولاد فعاد الى مصر رجاء ان امره

وكانت تعرف هذا المحل من زمن حبسه فى القلعة على مدة على باشا الرزنمجى، فلما مات طلبت مالها من ابنه فقال لها: ان كان أبى ما باعك فأنا أبيعك. فطلعت الى الباشا وأخبرته واخذ ما سمعته اسماعكم الفايقة واذهانكم الرايقة. ثم أن الباشا اعطاها الجراية والعثامنة واعطاها خمسماية زنجرلى وامر باغاة مستحفظان بالفحص على ولده. فأنظر يا اخى الى هذا الرجل وكيف ما غلبت عليه الدنيا وفتنته وقاسى العذاب من اثنى عشر جماد آخر الى ثامن القعدة. ستة أشهر ولم يفز، ومات ولم يقر، ولم يفد ورثته شيئا من بعده وأخذ الوزير منه نحو الاربعماية كيس غير هذا ولم يفده شئ مما ادخره لأنه كان سراقا غير مؤتمن على اسرار المسلمين ومعايشهم فجوزى بما حصل له فنسال الله اللطف بنا فى الدنيا والآخرة[1]. وصار الطلب على ولده فاحتمى فى بيت عثمان جاويش القزدغلى، فلا تغتروا يا اخوانى باقبال الدنيا فانها غرور نسأل الله أن يجعل حبها فى أيدينا لا فى قلوبنا وأن يرزقنا الكفاف. وكان شيخنا سيدى محمد الزرقانى شيخ السنة يقول لى: يا أحمد الله، لا يكثرها عليك ولا يقلها عنك، فاقول له آمين.

(١) كتب بالهامش رحم الله الشاعر حيث قال:

ثلاثة كن خـــايفـــا منهم ... ولد عـــاق ولو أعـــجـــبك

أنثى ولو شـــابت، ومـــال ولو ... زاد وسلطـان ولـو قـــــربك

نسى وان حاله يمشى وانه يقيم بالبلاد ويتعرف
نصرانياً فخوف من ذلك وقيل له ان هذا ما لا
يمكن وترجع يجدد هموماً قد مضت فاستتر عند
اخوته وكان له اخ صالح مبارك يسمى الصنيعة ابا
البدر يوحنا وكان مرشحاً للبطريركية، وقد تحدث
له فيها مرة قبل تقدمه انبا كيرلس [ابن لقلق]
فكان يسعى ويبيع ويقترض حتى يحصل له شيئاً
ياخذه ويسافر، فبينما هم كذلك فى السابع عشر

وفى ثامن عشرين القعدة(١). ورد اغا من الديار الرومية وصحبته محاسبى وعليه رجل أمين يقال له ثمانية وعشرين جلبى لضبط جميع بلاد الهاربين وبيعها وضبط أموالهم الى السلطنة العلية، وبصحبتهم ناظر على باب الضرب وبصحبتهم خطوط شريفة لم تقرى فى ذلك اليوم لحادثة وقعت فى الديوان. وذلك أنه لما سافر محمد بيك بن يوسف بيك الجزار الى البحيرة كاشفا، وجد البحيرة قد خرجت من يد عرب الهنادى والأفراد فحاربهم وقتل منهم كثيرا وطردهم عن الوادى ونهب نجعهم واخذ منهم مالا كثيرا. وأخذ من الغنم خمسة آلاف، ومن الجمال ثلاثة آلاف، ونزل بنى عون مكانهم والبهجة ونزل الى دمنهور ثم أن رجلا من جماعة الكاشف نزل الى السوق ليشترى بطيخا فرأى بطيخا عند رجل دمنهورى فأخذ منه بطيختين فما عرف يرضيه فى الثمن فحصل بينهما الغم الى أن أدى الى ضرب الدمنهورى فضربه الرجل فجاءت الدماهرة على الرجل ومنعت جماعة الصنجق، فسمعت جماعة الصنجق العيطة فادركوا رفيقهم فكسروا الدماهرة فقتل منهم رجل، فلما رأت جماعة الكاشف رفيقهم قد قتل ولوا الى ناحية الصنجق فسأل الصنجق عن الخبر فأخبروه، فهم فى الكلام واذا بالدماهرة قد تحاوطت بيت الحكم، فلما رأى الصنجق هذا الأمر أمر العسكر أن بضربوهم

---

(١) ٢٨ يولية ١٧٢٦م.

من بوونه [١١ يونيو] اذا وجعه فواده ليلة واحدة واصبح ميت فى التاريخ المذكور وكان قد رضى ان يخرج الى دير شهران(*) حتى اذا مات يدفن هناك فما امهله الزمان وبقى اخوه المسكين متحرقاً ومتخوفاً فطلع الى القلعة واعلم الجماعة بذلك فاشاروا عليه بان لا يدفنه الا مسلماً وان هذا الامر فيه خلاص من درك عظيم وليس فيه خطية على ميت ولا حى فاما الميت فما مات الا على ايمانه وما هذا مما ينقله عنه، واما الحى فما قصد بهذا

(*) دير شهران: هى من القرى القديمة تعرف حالياً بالمعصرة جنوب طرا. وهذا الدير هو ذاته دير العريان بالمعصرة الآن.

بالرصاص.فما كان الاساعة حتى قتل خمسة عشر رجلا فهربت الدماهرة الى داخل البلد فنادى عليهم الكاشف محمد بيك أن لا أحد يقعد فى البلد وكل من قعد قتل فطلعت الدماهرة هاربة الى مصر وطلعوا الى الديوان بمعرفة اختيارية أوجاقهم وطلع صحبتهم بعض من اختيارتهم ليعرفوا الوزير فتعرض لهم على بيك أبو العذبات أمين الشون وقال من جهة فلاحين قتلوا وهم العايون ترسلوا يحضروا صنجق سلطان من ولايته وتكلم بكلام يابس، فنزلت العزب والانكشارية مغضبين الى أبوابهم وأخرجوا الجنازير على أبوابهم، فلما أخبرت الصناجق تحيروا. فركبوا خيولهم ونزلوا على باب الجبل فرأوه مقفولا فكسروا الباب ونزلوا الى بيوتهم فهذا الذى كان منعهم من قراءة الخطوط. ثم ان اختيارية البابين اجتمعوا بأجمعهم واجمع رأيهم على أنهم ينفوا على بيك أمين الشون فأجمع رؤسايهم مع على بيك فى الليل واصطلحوا ليلا ومشت الزنجرلية، ولما أصبحوا سفروا الدماهرة وأخذوا لهم مكاتيب من الصناجق وأرسلو معهم جماعة أصلحتهم مع الصنجق والله أعلم.

وفى يوم تاسع الحجة(١) . أو فى البحر، وفى ثانى يوم صلى الوزير صلاة العيد وركب الى مصر القديمة وقطع الجسر وحكم فيه ثلاثة أعياد، عيد الجبر، وعيد الأضحى، وعيد الجمعة، وكان الجبر يوم الجمعة عاشر الحجة الموافق لرابع مسرى سنة ١١٣٨(٢) . وفى يوم الثلاث رابع

(١) ٨ أغسطس ١٧٢٦م.

(٢) ٩ أغسطس ١٧٢٦م.

التحقير به ولا التقصير فى حقه وانما على سبيل
الدوا الذى يستعمل لمنفعته وان كان مراً. فمضى
الى مستخدمى المواريث فكتب لهم خطه بما
تخلص به منهم واخرجه مسلماً ودفن مع
المسلمين وكانت هذه من جملة المحن التى امتحن
بها هذا القديس. ثم ان الاخبار وردت بان التطر
[التتر] مالوا الى جانب مملكة روم المسلمين [الروم
السلاجقة.] وهى نواحى قونيه فاقصرا [قيصريه]

عشر الحجة[1] قريت الخطوط الثلاثة أحدها: بضبط جميع بلاد الهربانين وأتباعهم والمقتولين وأتباعهم وجميع علوفاتهم وجراياتهم وأملاكهم ولم يبقوا لهم شيا، وان لا أحد يأويهم ولا ينتصر لهم. والثانى: بقيمة الثلاثة آلاف كيس التى عملها ابن ابراهيم بيك الى السلطنة حين صار سنجق الخزينة على الدفتدارية وعلى ظهور جركس الذى تقدم ذكره، ووصل منها الفان وستماية كيس وصار الباقى أربعماية كيس تنظروا هى جهة من تخلصوها وترسلوها صحبة الخزينة العامرة، والثالث: خطابا لجميع السبع وجاق بأن يكونوا مساعدين لحضرة الوزير فى الذى ذكره فى الخطين. وفى رابع عشرين الحجة[2]. عزل أحمد كتخدا الخربطلى وتولى بعده محمد جاويش الدردنلى، وفى يومها وردت مكاتيب من طرابلس الغرب يخبروا فيها بسفر عمر آغا كتخدا الجاوشية الى اسلام (بول) بعرض الجزاير وطرابلس يشفعوا عند السلطان أحمد خان فى رجوع جركس الى مصر. وفى غرة محرم الحرام سنة ١١٣٩[3]. ورد الى مصر القاهرة خمسماية عسكرى من عساكر اسلامبول للقوارب التى أحدثها السلطان أحمد خان فى بحر السويس، فمكثوا فى مصر نحو شهرين وسافروا الى السويس. وفى صفر الخير[4]. أرسل حضرة الوزير محمد باشا النشنجى فرمانا الى باب العزب خطابا الى كتخدا الوقت يوسف كتخدا أبو جبين البركاوى بأن تنفذ حكم الله فى أحمد جلبى بن على باشا

(١) ١٣ أغسطس ١٧٢٦م. (٢) ٢٣ أغسطس ١٧٢٦م.
(٣) ٢٩ أغسطس ١٧٢٦م. (٤) سبتمبر ١٧٢١م.

وسواس وملطيه وهى بلاد عظيمة تمسك عساكر
جمة وهى من اعمال القسطنطينيه العظمى كان
قد اخذها بالحيلة رجل تركمانى يقال له قليج
رسلان وان ملكها انفق نفقات عظيمة وضرب
دنانير ما سمع بمثلها. ووصل التجار من هنا
واحضروا معهم شيا منها وكان فيها ما وزنه اربع
ماية وخمسون مثقالا(*) ودونها الى خمسين مثقالا
وكان ذهبا عاليا جداً حايفاً حتى انه بيع بالقاهرة

(*) وزن = ٤,٦٨ جرام.

استاذ مطوبس القرا(*) والسبب فى ذلك أن آحمد جلبى كان أعز جماعة أبى شنب ، وكان كلمته لا ترد . فجاءت جماعة من المغضين وأشاعوا أن جركس أرسل مكاتيب سرا الى أحمد جلبى هذه من الجزاير فلما وصل الخبر الى الباشا أرسل الفرمان الى يوسف كتخدا بقتله، فهذا كان السبب. والسبب الأقوى طمع الباشا فى مطوبس وفى ماله. لأنه كان ذا مال عريض وبخل كثير ونفوا ولده، وكان جربجيا فى باب العزب الى مكة المشرفة.

وفى ثالث صفر(١). ورد نجاب المحمل وهذا بخلاف العادة ، ان نجاب المحمل يقعد الى ثالث صفر. فاستغربوا أهل مصر هذا الأمر ولم يدروا ما السبب، وكان السبب لذلك موت قيطاز بيك الأعور، أمير الحاج، فانه وقف بعرفة وتحلل التحلل الأصغر والأكبر وكسى البيت وعاد الى منا فبات ليلة ثالث عشر الحجة وتوفى ودفن بالمعلا رحمه الله تعالى ومات كتخداه الذى كان كتخدا الحاج فى الدهنا من [بلاد] العرب ودفن بالينبع ولم يحصل للحاج تعب أبدا. لأن باشت جدة وباشت الشام وشريف مكة أجمع رأيهم أنهم يسلموا المحمل الى اسماعيل آغا الدويدار وكان كذلك الى أن أوصله الى مصر، فلما جاءت الأخبار الى مصر أرسل الوزير الى الصناجق فجمعهم وأعرض عليهم القول فقالوا جميعا لا تصلح امارة الحاج الا لزين الفقار

(*) مطوبس : احدى قرى، مركز فوه، محافظة الغربية، واسمها الاصلى «تطويس الرمان» ، محمد رمزى، المصدر السابق ، جـ٢، ص ١١٥.
(١) ٢٠ سبتمبر ١٧٢٦م.

بناقص درهم واحد فى كل مثقال عن المصرى
لاغير فما كان النقص يفى بحق ضربه بمصر فدل
على صيغه وانه يصلح غيره اذا سبك معه. وفى
هذه الايام وصل الى الاسكندريه من بلاد الافرنج
غلال كثيرة وهو من العجايب الغريبة حتى ان
قمحهم بيع بالاسكندريه بستة وثلثين درهما
الاردب وكان قمحاً رضيناً صحيحاً قوياً وخبزه
احسن ما يكون. وكان اللز [الاستعداد] فى هذه
الايام على خروج العساكر والنفقة مستمرة والحفر

بيك وكان كذلك، فألبسه الباشا كركا وأمره أن يسافر الى المحمل يقابل الحج فى أى محل كان فيه فيتسلم المحمل، والبس اسماعيل بيك ابن سيده قفطانا على ضبط مخلفاته وسافر صحبة زين الفقار بيك الى أن قابلوا الحج وتسلم المحمل ودخل الى مصر ثانى عشر صفر سنة ١١٣٩[(١)]. وفى تاسع عشر صفر[(٢)]. ورد ساعى من سكندرية وصحبته مكاتيب الى باب مستحفظان يخبروا بورود غليون من الديار الرومية وصحبته محمد بيك قطامش بمفرده، وأنه طلع الى ثغر اسكندرية سابع عشر صفر ففى الحال هيئوا له مراكب وأرسلوها له.

ففى يوم الخميس خامس ربيع أول دخل الى بولاق فأنزلوه فى المدش [ساحل الغلال] فهرعت اليه الخلق من كل ناحية الى ان بقيت لا تقدر على المشى فى بولاق من كثرة الزحام فأخبر الباشا بذلك فخشى أن تقع فتنة فأرسل اليه فرمانا بأنه يدخل الى مصر فلم يبت فى بولاق غير ليلة واحدة. وفى ثانى يوم وهو الجمعة سادس ربيع أول سنة ١١٣٩[(٣)]. دخل الى مصر والناس فى صلاة الجمعة، ولم يكن يصحبته أحد من الصناجق الا زين الفقار بيك لأنه هو الذى عمل له السماط فنزل بمنزله الذى بقيصون المعروف بمنزل محمد آغا الدالى أغاة الجملية. وفى ثانى يوم طلع الى الديوان فاجتمع على كتخدا الوزير فألبسه كرك سمور ودخل

---

(١) ٢٩ سبتمبر ١٧٢٦م.
(٢) ٦ أكتوبر ١٧٢٦م.
(٣) ٢٣ أكتوبر ١٧٢٦م.

فى البحر ليدور على الجزيرة والعمارة فى قلعة الجزيرة والعمارة ايضاً فى المدرسة المستجدة بالقاهرة(*). وفى هذه الايام رسم بعمل قنطرة على الخليج عند باب الخرق واهتم بها وحصل للناس بها فرح عظيم لانها تجى فرحاً لهم. ووفا النيل المبارك ستة عشر ذراعاً فى يوم الاحد الثالث والعشرين من مسرى [١٦ أغسطس] واستبشر الناس بانه نيل مبارك الا ان الاسعار كانت ماسكة نفسها القمح العال بخمسة واربعين درهما الاردب

(*) هى غالباً الجامع الذى اقامه الصالح نجم الدين ايوب فى شارع النحاسين فى مقابلة الصاغة.

به الى الوزير فألبسه كرك سمور بعد أن سلم عليه وقال سلامة يا محمد باشا وكان بصحبته أغا وصحبته ثلاثة خطوط أحدها: أننا أنعمنا على محمد باشا بصنجقية، والثانى: لا يعمل أمر فى مصر الا باطلاعه ومعرفته، والثالث: برجوع بلاده جميعا له وانكم تستخلصوهم له وتحاسبوا واضع اليد على ما دخل من جهته خلاف الحلوان الذى حطه وكانت مدة غيابه أحد عشر سنة ونصف ثم أنه دار على آخوانه الصناجق فردا فردا وجاءه من الهدايا شئ كبير.

ولنذكر سبب مجيئه الى مصر: وهو ان زين الفقار بيك (قال فى نفسه) ان الفقارية قليل والقاسمية جماعة ابن ايواظ قد ملآوا الأرض(*)، ربما يحدث أمر من الأمور وقد مات غيطاز أمير الحاج، فجمع العلماء والصناجق وأعرض عليهم الكلام فى رجوع قطامش الى مصر، فالذى لم يجب طيبته أجاب غصبية فأمر فى الحال بكتابة عرض وكتب عليه العلماء وأرباب السجاجيد صورة شفاعة فى محمد بيك قطامش الى السلطان أحمد خان وكتب عليه الوزير والقاضى وسافر العرض الى أن دخل الى تخت الملك وأعرضوه على مولانا السلطان أحمد خان فقبل شفاعتهم، فأرسل اليه وأحضره هو وابراهيم بيك الفارسكورى فأعرض على محمد بيك رواحه الى مصر فقبل الأرض وقبل، ثم أنه أعرض على ابراهيم بيك الرجوع فأبى، ثم أن السلطان أنعم على محمد بيك بصنجقية ابراهيم بيك وانعم على ابراهيم بيك بباشوية محمد

(*) صوب التعبير، فقدمت (قال فى نفسه) ليستقيم الأسلوب والمعنى.

والدون بخمسة وعشرين درهما الاردب والدقيق بخمسة وثمانين درهماً الجملة والخبز اربعة ارطال بدرهم وكل ما فى البلاد غال من ماكول ومشروب وملبوس ومركوب واصناف العمارة واجر الصناع. وكان قد وصل من بلد روم المسلمين [الروم السلاجقة] مع التجار دنانير منها ما دون الدينار اربع ماية وخمسون مثقالا وما وزنه مايتى وخمسة مثاقيل ولم ار هذين بل سمعت بهما بل اننى رايت دينارا وزنه ماية مثقال ومثقالان

بيك وهذا كان السبب والله أعلم. وألبسه الصنجقية التى كانت على قيطاز بيك أمير الحاج وألبس رضوان أغا أغوية الجملية.

وفى خامس جماد[1] المذكور ورد مكاتيب من بندر السويس يخبروا ان البحر الملح طفش على البلد فغرق اموال التجار وأتلف الحمول ودخل الى عنبر المحمدية والدشيشة فغرق الغلال التى كانت فيهم وعم بيت القبطان ومسجد السليمانية وعم البلد جميعا وكان ذلك فى غرة جماد آخر سنة ١١٣٩[2]. وأن هذا لم يعهد قبل الآن.

وفى يوم الخميس عاشر جماد المذكور ورد جوخدار مكتوب من الوزير خطابا الى محمد باشا الوزير يقول فيه: أنا كنا سابقا أرسلنا لكم فرمانا بالحث على جركس وجماعته فجاء لنا عرض دولتى طرابلس ودولتى الجزاير والعرضين صحبة عمر بيك أمير الحاج يتشفعوا عند مولانا السلطان فى رجوعه الى مصر، فلم يقبل مولانا السلطان أحمد خان فأرسل يتشفع بملك الفرنسيس ، أرسل ملك الفرنسيس الى مولانا السلطان بقبول الشفاعة وله نظير ذلك ثلاثة آلاف كيس يتسلمها من القنصل الذى له عندنا فى اسلامبول بأن يعفوه من القتل هو وجماعته، وأن يرجعه فى مصر فلا يكن عندكم شاغل بهذا السبب وتكونوا فى أمان. ثم أن

(١) ١٩ ديسمبر ١٧٢٦ / بالأصل كلمة «أخر» مشطوبة.
(٢) ٢٤ يناير ١٧٢٧م.

ونصف مثقال وعلى الوجه الواحد اعتقاد المسلمين [لا اله إلا الله محمد رسول الله] واسم الخليفة وعلى الوجه الاخر اسم ملكهم وهو السلطان الاعظم غياث الدنيا والدين كيكاوس بن كنقباد وتاريخ ضربه بدار الملك قونية سنة خمس وثلثين وستماية(*). وفى هذه الايام وردت الاخبار بان التطر نزلوا على بلد الروم هذه وكسروهم واخذوا منهم بلاد كثيرة منها سواس وانزعج الناس من هذا انزعاجاً كثيرا لانهم قربوا من الشام

(*) ٦٣٥هـ = ١٢٣٨م.

محمد باشا قرأ المكتوب على أربعة من الصناجق وهم زين الفقار بيك ومحمد بيك قطامش وعلى بيك الهندى دفتدار مصر وعلى بيك أبو العذبات أمين الشون، فلما سمع الصناجق هذا الكلام من الوزير تحيروا فى أمرهم، ولكن هذا فى الظاهر صورة ما فيه، وأما فى باطن الأمر كلام كثير ثم أنهم نزلوا الى منازلهم وأرسلوا اخبروا السبع أوجاق بما حصل من الباشا، فلما سمع العسكر قاموا جميعا من بيت زين الفقار الى باب مستحفظان.

وكان ذلك يوم الأحد حادى (عشر) جماد آخر سنة ١١٣٩(١)، فلما اجتمعوا قالوا: هذا الوزير يلعب بنا ومراده يقطعنا جماعة بعد جماعة، فأجمع رأيهم أن يطلعوا الى الباشا ويطلبوا منه الخط الشريف الذى جاء ببيع البلاد التى لهم وضبط أموالهم والحث عليهم أينما وجدوا هم وأتباعهم وفتوة شيخ الاسلام التى جاءت بعصيان جركس وضبط أمواله وأموال أعوانه والجواز بأخذهم وقتلهم ويقرى الفرمان الذى جاء من الوزير الذى أخبر به الباشا. ثم أنهم طلعوا أبى الوزير واخبروه بأجتماع العسكر فى باب مستحفظان فأرسل لهم الخط والفتوة وقرأ عليهم مكتوب الوزير فأخذوا الخط والفتوة موضعوهم فى باب مستحفظان فى الصندوق وانقضت الجمعية. ونزلوا على هذا الكلام فما مضى بعد هذا الأمر الا ايام قلايل، واذا بأغا ورد الى العادلية فأرسل له الباشا كتخداه فطلع الى الديوان يوم الأحد خامس عشرين جماد

(١) ٣ فبراير ١٧٢٧م، الاضافة للتوضيح.

وصار بينهم وبين حلب مسافة يسيرة، وكان قد توجهت منهم فرقة الى بلاد الانبرور [الامبراطور] صوب اللمان [الالمان] ولم ينالوا طايلا. وقتل من التطر والافرنج خلق عظيم كانت الكسرة على التطر ولم تنج منهم الا نزر يسير لانهم كانوا عدوا البحر. وفي هذه الايام وردت الاخبار من الاسكندرية بوصول رسول من جهة الانبرور(*) الى مولانا السلطان الملك الصالح وكان تخير بطسه

(*) فردريك الثاني حكم بين ١١٩٤ / ١٢٥٠م. الامبراطوريه الرومانيه المقدسة.

آخر فقرى الخط واذا به بالسفر الى قندهار العجم، الى اشرف قاسم عم محمود بن محمود فانه توفى وأخذ محله أشرف قاسم، وأن السفر عليه وأن يجهزوا ثلاثة آلاف عسكرى وأن يكونوا الأسماء التى مكتوبة فى الخط أحمد كتخدا القيمجى وسردار الجملية سليم وسردار التفكجية أحمد حلوات وسردار الجراكسة خليل أفندى وسردار المتفرقة سليمان آغا الشاطر وسردار الجاوشية محمد آغا أبطال وصارى عسكر السفرة على بيك الأصفر فأجابوا بالسمع والطاعة. ثم أنه فى الحال ارسل على بيك الأصفر قفطان السفر ونزل الى بيته ونزلت العسكر الى ابوابهم وعملوا جمعية فأجمع رأيهم على أنهم يأخذوا من كل بلك آختيارين ويطلعوا الى الوزير يراجعوه فى هؤلاء السدادرة لأن هذا الأمر لم يكن من السلطان وانما هو من عند الوزير فطلعوا له بعد العصر وهم يعالجوه فى قضية العفو عن هؤلاء الرجال التى جاءت اسماؤهم الى أن دخل وقت العشاء وقالوا له: ان لم تعف عنهم، والا تنزل فعفى عنهم ونزلوا، فلما اصبحوا نقض ما وقع منه من العفو. ثم أنهم اجتمعوا فى بيت عثمان كتخدا باش اختيار واجمع أمرهم على انه ان لم يعف عنهم والا يعزلوه، فلما أحس بالعزلان أرسل لهم سبع فرمانات بالعفو عنهم وأن يولوا أصحاب الطريق على موجب قوانينهم . ثم ان الانكشارية فى ثانى يوم تاسع عشرين جماد آخر طلعوا خليل جاويش نسيب النجدلى الى الديوان، فألبسه الباشا قفطان السفر والعزب البسوا على أوضباشا الذى كان باش أو ضباشية سردارا، والجاوشية البسوا حسن أغا استاذ كمشيش، والمتفرقة البسوا خليل أغا استاذ الواط والجملية البسوا

يسمى نصف الدنيا وكان الناس يتعجبون من عظمتها وقيل ان فيها ثلثماية بحار خاصة خارجاً عن الركاب وكان فيها من البضايع ما لا يحصى كثره من زيت وخمر وجبن وعسل نحل ومتاع وغير ذلك. ثم ان الاخبار وردت بان الملك الناصر بن الملك المعظم صاحب الكرك اتفق مع عمه الملك الصالح صاحب دمشق ومع صاحب حمص ومع الملك الجواد الذى هو مع الافرنج واخذ

ابراهيم جلبي والتفكجية ألبسوا ابراهيم جربجي الزفتاوى والجراكسة البسوا حسن أغا جركس. وأوكب على بيك بالاى عظيم رابع عشرين رجب سنة ١١٣٩[١]. الى العادلية وأوكبت السدادرة يوم الاثنين غرة شعبان الى بولاق، وسافر الصنجق من البر سادس شعبان سنة ١١٣٩[٢]، والعسكر سافروا من البحر ثامن شعبان وأن الاجتماع يكون على قلعة حلب وبعد السفر يكون الى أصبهان لمقابلة أشرف قاسم عم محمود بن ادريس وسافر صحبة الصنجق خلق كثيرن من التجار والله أعلم.

وفى يوم الثلاث حادى عشر شعبان عزل الباشا خليل أغا البشلى من آغوية العزب وولى محله محمود آغا تابع حسن آغا قانصوه وعزل آغة الجراكسة سليمان وولى محله اسماعيل أغا تابع قيطاز بيك. وفى خامس عشر شعبان[٣]. طلعت الرعية الى الديوان وشكوا من ظلم الأغا ومما قد رتبه على الرعية من الحوادث والظلم، وجعل على كل طاحون ريال فى كل جمعة فلما سمع الوزير شكوى الرعية من أبى دفية وكثرة الظلم الذى أحدثه، عزله وولى محله عثمان أيواظ بيك الذى كان أغا سابق وعزل بسبب ضربه لابن الشيخ منصور المتوفى ونزل نادى فى البلد برفع ما كان أحدثه سليمان أغا أبو دفية (*).

(١) ١٨ فبراير ١٧٢٧م.
(٢) ٢٩ مارس ١٧٢٧م.
(٣) ٧ أبريل ١٧٢٧م.
(*) قدم وأخر.

عـسكرا فنزل على الشـوبك يحـاصـرها ورجع
العسكر المصرى الذى كان على غزه وبقى الحال
على هذا مدة . وعتق ابن الملك الناصر الذى كان
بالقـاهرة بالقلعـة واحيط على جـميع اصـحـابه
وحبسوا وقطعت رواتبهم. واخذت قاى التى كانت
اعطيت لابن مليح لانه كـان من اصـحـاب الملك
الناصـر وهو صـاحب قلعـة عـجلون. ثم وردت

وفى سابع رمضـان(١). جاءت الأخبار من سكندرية بموت خليل جاويش نسيب النجدلى سردار مستحفظان فقروا المكاتيب فى باب مستحفظان فأرسلوا الى يمقه قفطانا فتولى محله. وفى اثنين وعشرين من شوال دخل الركب الجزايرى والفاسى. فاجتمعنا معهم وسألناهم عن قضية محمد بيك جركس وفى أى أرض هو فأخبرنى شيخ الركب بأنه واطن فى الجزاير عند الدولاتلى وأنه أنزله فى بيت رجل كبير من أهل الجزاير عين له تعايين والدخيرة وما يحتاج اليه من الأمر ولا يعرف عن شئ ، وان صحبته أربع من الخدم وعين له فى كل يوم خمسين نصفا فضة للشبرقة وتحت ما يحتاج هو اليه، فأنظر يا أخى الى حكم القادر القاهر كيف نزع ما عنده وألبسه لباس الذل بعد ما كان سلطان مصر وتجئ له الهدايا ويجئ اليه ثمرات كل شئ. وكانت تأتيه الهدايا من الحجاز والروم واليمن ومن أقصى الصعيد ومن الططر فصار تحت الحكم ويصرف عليه ويعطى له فى كل يوم خمسين نصفا وهى ما كان يقنع السايس أبو الشراميط بها بل كان يصرف كل يوم نحو الماية على السياس فى القهوة فسبحان المعز المذل الا فأعتبروا يا أولى الأبصار فان الملك لله الواحد القهار.

وأخبرنى : أنه صار بالابله ا ذا كلمته أو خاطبته لم يرد عليك جوابا الا كالغايب ويغطس فى نفسه حتى انه لا يكاد ينطق. وأخبرنا: أن أحمد بيك الأعسر وأحمد بيك مملوكه فى قرية

(١) ٢٨ أبريل ١٧٢٧م.

الاخبار بان الملك الصالح صاحب دمشق وصاحب
حمص اتفقا على الملك الجواد وهو عندهما فقبضا
عليــه وســيراه الى دمشق ورحلا طالبين دمشق.
وان الملك الناصر لما بلغه ذلك رحل عن الشوبك
بعـدمـا اشـرف على اخـذها وطلب الكرك ورجع
السلطان خلد الله ملكه جـرد عـسكراً ثقيــلا
ووجهه الى غزه.

من طرابلس يقال لها المنشية خارج طرابلس هو ونحو العشرة أنفار وفى كل يوم جمعة يأتى الى طرابلس فيصلى الجمعة ويجتمع مع الدولاتلى أحمد باشا بن يوسف قرمانلى يتحدث معه ثم أنه يخرج الى قرية المنشية ومرتب له ما يكفيه هو وجماعته من أكل وملبس وفى كل شهر صرة فيها الف نصف فضة تحت الشبرقة له ولجماعته.

وأخبرنى بموت مولى اسماعيل سلطان الغرب: توفى يوم الاحد ثانى عشرين رجب سنة ١١٣٩[١]. وتولى بعده ولده ونزل نجله مولاى محمد الذهبى ولد الحرا وقتل ثلاثة من أخوته واحد شقيقه واثنان غير الشقيقين وذكر لنا أن له من الأولاد الذكور والأناث ثمانية وستين. وكان فى كل يوم يولد له ويموت له وكان له عشرة آلاف عبد، وعشرة آلاف جارية ومزوج الجوارى للعبيد وينكح من أولادهم لأن الجوار فى الرق لم يكونوا أحرارا فيستولدهم وينكح بناتهم المستولدات.

(١) ١٥ مارس ١٧٢٧م/ كتب عنوان جانبى «أعرف موت مولاى اسماعيل سلطان الغرب».

فهرس الجزء الثامن

• رقم الإيداع: ٢٦٤٣/ ٢٠١٢
• الترقيم الدولى: 978-977-704-939-9

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496